جامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الآداب
قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي

الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية

(٦٢٦ - ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩ - ١٤٥٤م)

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وحضارته بكلية الآداب - جامعة صنعاء

إعداد
طه حسين عوض أحمد هُـديل

المشرف
أ . د . محمد عبده السروري
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة صنعاء

المشرف المشارك
د . محمد صالح بلعفـير
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك
جامعة عدن

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

REPUBLIC OF YEMEN
SANA'A UNIVERSITY
OFFICE OF THE VICE PRESIDENT FOR GRADUATE STUDIES & SCIENTIFIC RESEARCH
Date:............................
Our Ref:.........................

الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
مكتب نائب رئيس الجامعة
للدراسات العليا والبحث العلمي
التاريخ:..................
مرجعنا:..................

قرار لجنة المناقشة والحكم رقم (٦٧) لسنة ٢٠٠٧ م

إنه في يوم الأربعاء ١٤ /١٤٢٨/٥هـ الموافق ٢٠٠٧/٥/٣٠ م اجتمعت لجنة المناقشة والحكم على رسالة الدكتوراه

المقدمة من الطالب / **طه حسين عوض هديل** المسجل بكلية/ **الآداب** قسم/ **التاريخ**

المشكلة بقرار من مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضر اجتماعه (الخامس) بتاريخ ٩/ ٥ / ٢٠٠٧ م

تشكيل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة:-

١- أ. د/ محمد عبده السروري	المشرف الرئيس على الرسالة	رئيساً
٢- أ.د/ شايف عبده سعيد	ممتحناً خارجياً - جامعة عدن	عضواً
٣- أ.د/ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع	ممتحناً داخلياً - جامعة صنعاء	عضواً

عن رسالته الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية

"٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)

وقد قام الطالب بعرض موضوع رسالته بشكل ممتاز ....

ثم ناقشت اللجنة الطالب . وبناءً على ما تقدم توصي اللجنة بالآتي:-

منح الطالب/ طه حسين عوض هديل درجة الدكتوراه في الآداب قسم التاريخ

تخصص التاريخ الإسلامي وحضارته وتوصي اللجنة بطباعة الرسالة على حساب جامعة عدن

على الطالب إجراء التعديلات المطلوبة منه (إن وجدت)..............................

توقيعات أعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار:-

١- أ.د/ محمد عبده السروري

٢- أ.د / شايف عبده سعيد

٣- أ. د / عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

مندوب الدراسات العليا

يعتمد

نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ.د/ توفيق سفيان

صورة طبق الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من قال الله في حقهما : " وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا "

" صدق الله العظيم "

والدي حفظه الله وعافاه وزاده من الخير والعمر المديد

والدتي رحمها الله وأسكن روحها فسيح جناته

إلى من شاركني مشقة البحث ومتاعبه ... أخي حسين أنار الله طريقه وسدد خطاه

إلى من دعون لي بالتوفيق والنجاح ... أخواتي جميعاً عافاهن الله

إلى من تقاسمت معها عناء هذا البحث ومشاقه ... زوجتي ورفيقة دربي في الحياة

إلى البسمة والحياة والمستقبل زهرات حياتي وسعادتها ... بناتي (صالحة وأنوار وماريا)

إلى جميع من شجعني وساندني ودعمني ودعا لي بالتوفيق والنجاح

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .

طـه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

يطيب لي في مقدمة ما أسجله في هذه الرسالة وأنا أضع اللمسات الأخيرة فيها أن أتقدم بالشكر والتقدير الوافر إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد عبده السروري المشرف العلمي على الرسالة ، لمَا قدمه لي من رعاية ، ونصح ، وإرشاد ، وجهد أعطى فيه عصارة فكره وتوجيهاته العلمية ، ومراجعته الدقيقة للمادة التي أسهمت بشكل واضح في إغناء الرسالة وإخراجها في الصورة المطلوبة ، كما أشيد بسعة صدره ، وكرم أخلاقه ، لاستقباله لي في بيته بكل سعادة وسرور وتسهيله بعض أموري دون ملل أو ضيق .

كما أتقدم بشكري وامتناني أيضاً إلى المشرف المشارك الدكتور محمد صالح بلعفير ، وفاءً للجميل ، وللجهد الكبير الذي بذله في مساعدتي ، من خلال متابعته المستمرة ، ومناقشاته العلمية المستفيضة بشأن الموضوع ، وإعطاء النصائح وتبديد العثرات التي واجهتني .

ومن الوفاء والعرفان أن أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع لمتابعته ومناقشته العلمية المستمرة للموضوع خلال مدة كتابته ، فضلاً عن توفيره بعض المصادر المهمة التي سهلت لي الكثير من الجهد ، كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور رعد زهراو موسوي والدكتور شايف عبده سعيد لآرائهما السديدة والقيمة التي كان لها الأثر الواضح في هذا البحث .

وأجد نفسي مديناً لكل من ساعدني أو سهل بعض أموري من موظفي جامعة صنعاء من العاملين في الدراسات العليا والبحث العلمي ، وموظفي مكتبة كلية الآداب ، والمكتبة المركزية بأقسامها المختلفة لاسيما قسم المخطوطات ، وقسم الرسائل العلمية ، وإلى جميع موظفي مركز الدراسات والبحوث في جامعة عدن وعلى رأسهم الأستاذ عبدالله بامطرف والأستاذة ناهد شماخ ، وموظفي المكتبة الوطنية بعدن الذين قدموا لي التسهيلات للإطلاع والإعارة .

ولايفوتني أن أشكر جميع الموظفين العاملين في مكتبة كليتيّ الآداب والتربية ، والمكتبة المركزية ، ومكتبة دار العلوم ، ومركز الدراسات الشرقية بالقاهرة ، ومركز الدراسات التاريخية بجامعة القاهرة ، وموظفي المكتبة المركزية بجامعة عين شمس ، وجامعة الأزهر ، وموظفي دار الكتب المصرية ، وموظفي معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، وموظفي الدير المعروف بمعهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان في القاهرة ، وموظفي مكتبة الإسكندرية المركزية لمساعدتهم لي في الحصول على العديد من المصادر والمراجع العلمية ، وجميع من أرشدني أو ساندني لإنجاز هذا العمل وإخراجه إلى الوجود .

طه حسين هُديل

مايو ٢٠٠٧م

بيان الرموز والاختصارات

ت . د : توفي بعد

تـــح : تحقيق

مج : مجلد

ج : جزء

ب : الباب

د . ت : دون تاريخ

ب . د : دون دار نشر

ط : طبعة

ق : ورقة

ق أ : اللوحة الأولى من ورقة المخطوط ، مثلاً : (ق٢ أ)

ق ب : اللوحة الثانية من ورقة المخطوط ، مثلاً : (ق٢ ب)

تر : ترجمة

مط : مطبعة

ح : حاشية

ع : العدد (بالنسبة للمجلات)

BSOAS : Bulletin of the School of Oriental and African Studies .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ت
بيان الرموز والاختصارات	ث
فهرس المحتويات	ج
المقدمة :	١
١ – نطاق البحث	١
٢ – تحليل المصادر	٦
تمهيد : الوضع السياسي والاقتصادي في اليمن في عصر الدولة الرسولية :	١٥
الفصل الأول : العناصر المكونة للسكان :	٣٨
أولاً – أهم العناصر المكونة للسكان :	٣٩
١ – القبائل اليمنية :	٣٩
أ – أهم القبائل اليمنية في عصر بني رسول	٤٠
ب – عوامل ترابط القبائل اليمنية ببعضها	٤٤
ج – أثر القبيلة على حياة الناس الاجتماعية	٤٧
٢ – القادمون إلى اليمن :	٥٣
أ – الغـز	٥٣
ب – الأكراد	٥٨
ج – المماليك	٦٥
د – الأحباش	٨٠
هـ – الفرس	٨٢
و – عناصر أخرى	٨٢
ثانياً – التباين السكاني للناس في اليمن :	٨٤
١ – سكان المدينة	٨٤
٢ – سكان الريف والبوادي	٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ...

إن الدارس لتاريخ أي من الدول التي قامت في اليمن لابد أن تستوقفه أحداث وظواهر تشد من انتباهه وتزيد من تركيزه وتجعله في شوقٍ إلى خوض غمار البحث والدراسة فيها ، وكلما غاص في عمق تاريخ هذه الدول زاد ذلك من فضوله لمعرفة المزيد ، وتعد الدولة الرسولية من الدول التي شدت بأحداثها ومراحل تطورها ونهوضها ومنجزاتها انتباه الباحثين والدارسين في تاريخ اليمن الإسلامي ، فراحوا في السنوات الأخيرة يتسابقون لدراسة تاريخها وتحليل أحداثها ، مع إعادة صياغة هذه الأحداث بجوانبها المختلفة وإخراجها في الصورة المطلوبة .

وقد كنت من الذين شدهم تاريخ هذه الدولة بأحداثه وظواهره ، وفي محاولة لاستكمال موضوع رسالة الماجستير الموسومة بـ : التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها على الحياة العامة في بلاد اليمن (٦٢٦ – ٨٥٨هـ)[1] ، ولتوسيع مجال دراستي وبتأكيد من المتخصصين في هذا المجال حددت موضوعي في : (الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية ٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ، وذلك إثر سؤال كثيراً ما يراودني عن علاقة المجتمع بالتطور والازدهار الذي عرفته اليمن في عصر بني رسول ، وهل كان لهذا المجتمع دور في الاستقرار السياسي والاقتصادي والعلمي والفكري الذي شهدته اليمن خلال عمر هذه الدولة ؟

١ – نطاق البحث :

لقد كانت الدولة الرسولية من أكثر الدول استقراراً وأطولها بقاءً في تاريخ اليمن الإسلامي، وقد شهدت العديد من الأحداث التي كادت أن تغير مجرى تاريخها ، وعلى الرغم من خطورة تلك الأحداث على أمن اليمن واستقراره ، إلاّ أننا نجد أن هناك العديد من الأعمال والمنجزات التي تم تحقيقها في مختلف مجالات الحياة مع كل ما تعرضت له من صراعات وفتن ، فقد شهدت نهوضاً اقتصادياً كبيراً في مواردها المالية أوصلها إلى مرحلة من الرخاء نتيجة للتطور التجاري والزراعي والصناعي ، وعبرت سياستها الداخلية عن مدى الوعي الذي وصل إليه حكامها في التعامل مع فئات المجتمع المختلفة ، وأصبحت الحياة العلمية دليلاً على النهوض الفكري والعلمي الذي وصل إليه أبناء اليمن رجالاً ونساءً ، فضلاً عمّا شهدته الحياة الاجتماعية من تطور في علاقاتها الداخلية ، مما زاد في ترابط وتواصل أفراد المجتمع و قوة تماسكهم .

---

[1] بإشراف الدكتور محمد صالح بلعفير ، كلية الآداب ، جامعة عدن ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

• **أهمية البحث :**

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يمثل دراسة تاريخية جديدة ومهمة لمرحلة ازدهرت فيها اليمن في مختلف جوانبها ، حتى إن ذلك الازدهار أصبح يمثل صفة لمجتمع ذلك العصر الذي تميز بتعقد تركيبته الاجتماعية وتداخلها واندماجها ببعضها ، مما جعل للبحث أهمية دفعتني إلى الاهتمام بدراسة هذا الجانب المهم من حياة الدولة الرسولية .

• **أسباب اختيار البحث :**

لقد كان من الأسباب التي دفعت الباحث إلى التفكير في الكتابة عن هذا الموضوع رغبته الجامحة في دراسة الحياة الاجتماعية بما فيها من طبقات وفئات وشرائح ، ومظاهر حياتها وعلاقاتها والمستوى المعيشي لأفرادها ، إضافة إلى رغبة الباحث في إخراج موضوعات تاريخ اليمن الإسلامي من العام إلى الخاص ؛ لسد فجوة مهمة منه ، وإن كانت المصادر التي كتبت عن الحياة الاجتماعية تكاد تكون قليلة ، وهي على قلتها احتوت على معلومات قيمة شجعتنا على إعداد دراسة في هذا الخصوص ، فضلاً عن رغبة الباحث في تقديم دراسة تاريخية أكاديمية متكاملة عن الحياة الاجتماعية في العصر المذكور لسد النقص الذي تعاني منه المكتبة العربية عامة ، والمكتبة اليمنية خاصة .

• **أهداف البحث :**

يهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة تاريخية جادة ودقيقة ومعمقة للعناصر المكونة للمجتمع ، والطبقات التي تشكلت من تلك العناصر وأوضاعها ومظاهرها العامة ، والعلاقات القائمة بين أفرادها ، وعلاقتها بالدولة ، وعلاقة الدولة بها لمعرفة خاصية كل طبقة ومميزاتها وموقعها في المجتمع ، كما يهدف هذا البحث إلى توضيح نوع الحياة الاجتماعية التي كان المجتمع اليمني يعيشها في عصر الدولة الرسولية ، وذلك بهدف معرفة الطريقة والكيفية والمستوى المعيشي لجميع فئات المجتمع ، فضلاً عن إجراء دراسة مستفيضة عن وضع المرأة التي تعد النصف الآخر المهم في المجتمع ؛ التي بدراستها نكون قد استوفينا جوانب الحياة الاجتماعية – من وجهة نظرنا – ، إذ يصعب على أي باحث في الحياة الاجتماعية تجاوز حياة المرأة أو غض الطرف عنها ، لِمَا للتعرف على وضعها الاجتماعي ودورها ومشاركتها في نواحي الحياة المختلفة ، وإظهار مكانتها بين أبناء مجتمعها من أهمية تاريخية واجتماعية .

• **الدراسات السابقة :**

حظيت الدولة الرسولية بالعديد من الدراسات السابقة والرسائل الجامعية التي استُعرضت فيها أحوالها السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ، وأهم تلك الدراسات هي : **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما** ، للدكتور محمد عبد العال أحمد ، **والحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن** ، للدكتور محمد عبد الفتاح عليان ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ، لهدى مفتاح عبد الحميد السعدي ، **والمدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م)** ، لعبد العزيز بن راشد بن عبد الكريم السنيدي ، **والزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية** ، لداود داود عبد الهادي المندعي وغيرها[١] ، ورغم تطرق تلك الدراسات لجوانب الحياة العامة المذكورة بما فيها حياة الناس في المجتمع إلاّ أنها غفلت عن دراسة الحياة الاجتماعية بحد ذاتها ، وكان كل ما تطرقت إليه من تناول للحياة الاجتماعية لا يتجاوز عنواناً واحداً فقط من عدة عناوين أخرى من حياة هذه الدولة ، وقد يكون لندرة المعلومات في هذا الجانب المهم دور في عزوف الباحثين عن الخوض فيه .

• **الصعوبات :**

واجه الباحث عدداً من الصعوبات التي لم تقف عائقاً أمام دراسته هذه وأهمها : شحة المصادر التي أرّخت للحياة الاجتماعية بحد ذاتها ، وتبعثر المعلومات المتعلقة بحياة الناس وتقسيماتهم ومظاهر حياتهم وعلاقاتهم وأوضاعهم وارتباطاتهم بين نصوص المصادر ؛ وهو ما تطلب بذل مجهود كبير لجمعها ، فضلاً عن عدم وجود دراسات متخصصة بالجوانب الاجتماعية للمجتمع وتقسيماته والتي يمكن الاستفادة منها ومن منهجيتها في هذا البحث .

• **حدود البحث :**

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية للحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في المناطق اليمنية التي كانت تحت حكم الدولة الرسولية والتي امتدت من سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م وحتى سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م ، وهي المدة التي حكمت فيها اليمن أسرة وجدت فيها كل مقومات القيادة والسلطة ، وتمكنت من ربط نفسها بالمجتمع وطبقاته وفئاته وشرائحه ، في الوقت الذي ربطت تلك الفئات نفسها بالدولة ، ودخلت معها في علاقات اختلف نوعها من حين إلى آخر .

• **منهج البحث :**

لقد استوجب إعداد هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي التاريخي لعناصر المجتمع وطبقاته وفئاته وشرائحه ومظاهره وأوضاعه وعلاقاته ؛ أي دراسة المعطيات التاريخية وتحليلها تحليلاً معمقاً للوصول إلى خلاصة تضم أهم النتائج والاستنتاجات ، كما اقتضى المنهج طريقة كتابة التاريخ الهجري وما يقابله من التاريخ الميلادي ، محاولاً ضبط ذلك قدر الإمكان ، مستعيناً ببعض المراجع المتخصصة في ذلك الشأن مثل كتاب : " جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية وشهورها " للمستشرق الكبير ويستنفلد .

---

[١] لم تكن تلك المراجع والرسائل الجامعية إلاّ نموذجاً للعديد من الدراسات الحديثة ، للمزيد منها انظر : ص٤٩٨ – ٤٩٩ .

• **هيكل البحث :**

لقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى تمهيد وستة فصول وخاتمة ، وخُصص التمهيد لإعطاء مدخل تاريخي مختصر للأوضاع السياسية التي شهدتها اليمن منذ قيام الدولة الرسولية وحتى سقوطها ، وما تعرضت له من صراعات كادت أن تقضي عليها ، مع تناول مختصر للأوضاع الاقتصادية ، وما كان لها من دور فاعل في انتعاش اليمن ولاسيما في جوانبها التجارية والزراعية والصناعية .

ويتناول الفصل الأول دراسة للعناصر المكونة للسكان في العصر المذكور والتي تعد القبائل اليمنية والعناصر القادمة إلى اليمن أساسها ، مع إعطاء لمحة عن تاريخ هذه القبائل وتقسيماتها الداخلية وفروعها وعوامل ترابطها وتأثيرها على المجتمع ، كما ركز هذا الفصل على تحديد أهم الأجناس القادمة إلى اليمن ، وأسباب توافدها ، وما كان لهذا التوافد من تأثير على المجتمع في خلق تشكيلة اجتماعية جاءت إثر اختلاط هؤلاء بسكان اليمن الأصليين ، على أن يشار في هذا الفصل إلى دور القادمين إلى اليمن في الحياة السياسية ومشاركتهم في إدارة شؤون الحكم وتثبيت دعائم الدولة الرسولية ، فضلاً عن علاقة هؤلاء بالسكان الأصليين وتأثير كلٍ منهم على الآخر بالاختلاط والتزاوج الذي أدى إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات تشكلت منها فئات المجتمع وأطيافه كافة ، وختمنا هذا الفصل بإجراء دراسة عن أسباب تباين سلوكيات الناس في المدن والأرياف والبوادي والجبال ، وما كان للبيئة من تأثير عليهم وعلى طبائعهم .

أما الفصل الثاني فحاولنا فيه أن نحدد الطبقات التي تشكلت من العناصر المكونة للمجتمع (القبائل اليمنية وَ القادمين إلى اليمن) مع إجراء دراسة شاملة للتعريف بجميع فئات وشرائح هذه الطبقات وصفاتها ومهامها في الحياة العامة ، وما تقدمه كل فئة للأخرى من خدمات ، على أن يقسم المجتمع هنا إلى طبقتين رئيستين هما : طبقة الخاصة وطبقة العامة ، ومِنْ ثَمَّ توزيع جميع الفئات والشرائح الاجتماعية على الطبقتين المذكورتين ، مع تمييز الصفات التي اتسمت بها فئات كل طبقة ، حتى تتكون لدينا صورة واضحة عن التقسيم العام لسكان اليمن في ذلك العصر .

وخصص الفصل الثالث للتعرف على مظاهر الحياة الاجتماعية العامة في العصر المذكور من خلال دراسة مظاهر الترف والنعيم التي عاشتها فئات وشرائح طبقة الخاصة ، وأهم الأعياد والاحتفالات التي احتفل بها جميع فئات المجتمع ، وكذلك عاداتها المختلفة ، وأهم الهوايات ووسائل اللهو والتسلية التي عرفت وانتشرت بين خاصة الناس وعامتهم .

كما أفردنا في هذا الفصل عنواناً خصص للعادات والتقاليد ومنها عادات الزواج وتجهيزاته ، وبناء البيوت وتعميرها وما تحتويه من أدوات وأثاث ، ولباس الناس وزيهم وزينتهم وطعامهم وشرابهم وتحيتهم وضيافتهم والتعاون والتكافل الاجتماعي بينهم ، إضافة إلى

عادات الختان والمآتم ، وما يحدث فيها من أمور فرضتها طبيعة المناطق وعادات من سكنوا فيها ، وختمنا هذا الفصل بدراسة أهم الظواهر الاجتماعية والبيئية وأثرها على حياة الناس .

أما الفصل الرابع فقد كرس لدراسة الروابط الاجتماعية بين الناس وأوضاعهم المادية والعلمية ، من خلال الإشارة إلى دور الأسرة في التربية والتنشئة الاجتماعية لأبنائها ، وما لهذه التربية من دور في توطيد العلاقة بين الآباء وأبنائهم أو بين الأبناء أنفسهم في إطار الأسرة ، وعلاقاتهم بغيرهم من أفراد المجتمع .

ونتيجة لما للمال والتعليم من دور في التفاوت الاجتماعي بين الناس وتصنيفهم وخلق الروابط بينهم فقد أفردنا عنواناً لدراسة الأوضاع المادية والمعيشية لكل طبقات وفئات المجتمع ، مع البحث عن مصادر دخل كل فئة اجتماعية ، ودور ذلك الدخل في تصنيف وتحديد موقعها في المجتمع ، والعوامل المؤثرة في عدم استقرار أوضاعها المادية والمعيشية . وينتهي هذا الفصل بدراسة أوضاع الناس العلمية ، ومع الإشارة هنا إلى الاهتمام الواضح الذي أولاه الناس لتعليم أبنائهم ، وموقف الأسرة وفرحتها بالتحاق أبنائها بالمدارس ، وما يعمل من احتفالات وأفراح لتشجيعهم على ذلك ، لاسيما في ختام كل مرحلة ، وتناول هذا المبحث في هذا الصدد مراحل تعليم الأطفال وأوقات الدوام والعطل الرسمية وغير الرسمية ، وختم هذا الفصل بإبراز دور الفئة المتعلمة من العلماء والفقهاء في الحياة العامة ، وموقفهم من سياسات بعض سلاطين بني رسول المجحفة بحق رعيتهم ، وتأثيرهم في تغيير العديد من الظواهر الغريبة التي شهدها المجتمع ، ودورهم في بناء المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والدينية والخيرية .

أما الفصل الخامس فقد خصصناه للمرأة فقط ، باعتبارها تشكل عنصراً مهماً من عناصر الحياة الاجتماعية ، وقد دفعتني المعلومات التي تمكنت من جمعها عن وضع المرأة الاجتماعي ودورها في المجتمع إلى أن أقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث اجتماعية وسياسية وعلمية ، وتناولنا في المبحث الأول وضعها الاجتماعي ، ومكانتها بين أفراد مجتمعها ، وأهم الألقاب التي عرفت بها ، ولباسها وزينتها ، ومشاركتها في الاحتفالات والمواسم ، وكرمها وجودها ، ووضعها المادي والمعيشي ، وأهم الأعمال التي زاولتها ، ومسألة توريثها واختلاف الناس حولها ، وعلاقتها الأسرية بزوجها ، ودورها في تربية أبنائها والسهر عليهم ، فضلاً عن دورها في الحياة الاجتماعية ، وأهم الأعمال التي قامت بها كبنساء المدارس والمساجد والأسبلة ، وصرفها الأموال لمساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام .

ودرسنا في المبحثين الأخيرين دورها في المجتمع من خلال مشاركتها في الحياة السياسية ، وتأثيرها في اتخاذ القرارات عند المحن والأزمات ، مع الإشارة إلى أهم النساء اللاتي برزن في ذلك العصر من بين نساء الأسرة الرسولية الحاكمة ونساء السادة الأشراف

ونساء القبائل ، فضلاً عن دور هؤلاء النسوة في الحياة العلمية والفكرية والثقافية ، وما قدمنه للمجتمع من خدمات زادت من التطور العلمي والثقافي للناس .

وقد خصص الفصل السادس والأخير لدراسة دور الدولة في الحياة الاجتماعية ، من خلال إجراءاتها في نشر العدل بين الناس ، ورفع الظلم عنهم ، وتحسين مستواهم المعيشي ، ومحاربتها للظواهر السيئة ، وسن القوانين المنظمة لحياتهم ، فضلاً عن دورها في الاهتمام بالبيئة المحيطة بالناس ، وتعمير المناطق والقرى الخاربة ، والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية والدينية والخيرية ، وتكفلها ورعايتها لأصحاب الحاجات من الفقراء والأيتام .

وانهينا هذه الدراسة بخاتمة للموضوع تتضمن أهم ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات . ثم ألحقت بالدراسة أربعة ملاحق ، احتوى الملحق الأول على جدولين : الأول لأسماء سلاطين الأسرة الرسولية الذين حكموا اليمن ، والثاني لأسماء الأشراف من الأئمة الزيديين الذين عاصروا سلاطين بني رسول . أما الملحق الثاني فاحتوى على مشجرتين : الأولى للعناصر المكونة للمجتمع (القبائل اليمنية وَ العناصر الوافدة إلى اليمن) ، والثانية للتقسيم الطبقي للمجتمع . أما الملحق الثالث فضم خمسة جداول : الأول لبعض مظاهر الترف في القصور والدور السلطانية التي بناها سلاطين بني رسول ، والثاني لبعض أنواع الأطعمة والأشربة والحلويات التي انتشرت بين الناس في العصر المذكور ، والثالث لبعض الأدوات المنزلية التي عرفت في بيوت الناس ، والرابع لأسعار بعض المواد الغذائية والاستهلاكية في الأسواق اليمنية ، والخامس لأهم الكوارث البيئية والأوبئة والأمراض والحرائق التي تعرض لها الناس وتضرروا منها . أما الملحق الرابع فاحتوى على ثلاث خرائط توضيحية من عمل الباحث : الأولى لأهم المناطق التي توزعت عليها العناصر المكونة للمجتمع ، والثانية لأكثر المناطق كثافة سكانية ، والثالثة لأماكن تمركز بعض فئات الطبقات الاجتماعية .

٢ – تحليل المصادر :

تعد دراسة المصادر من الأمور المهمة لإكمال أيّة دراسة علمية جادة ، لما لتحليلها من دور في التعريف بها وبمنهجيتها ، وتكتمل أهمية هذه المصادر بالمدة الزمنية التي أُلّفتْ فيها ، لاسيما إذا أُلّفتْ في المدة التاريخية للدراسة ، وكان مؤلفها من الذين شاركوا في الأحداث أو عاصروها أو كانوا شهود عيان لها أو عاشوا في مدة زمنية قريبة منها ، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على عدد من المصادر ذات الأهمية التاريخية التي حاولنا انتقاءها – كما نحسب – بدقة تامة معتمدين على أكثرها قرباً من مدة الدراسة . ومن أهم هذه المصادر وأقدمها :

كتاب " **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف** " الذي يعد من أهم ما دون في تاريخ الدولة الرسولية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ؛ لندرة معلوماته التي قل ما نجدها في غيره من المؤلفات التي كتبت عن تاريخ هذه الدولة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– كما نحسب – ، فهذا الكتاب هو مجموعة من الوثائق والسجلات التي تخص ديوان السلطان المظفر يوسف الأول ، وقد دونها عدد من الموظفين والكتاب التابعين للدولة ، وتكمن أهمية هذا المصدر في معلوماته الوفيرة والدقيقة التي تدل على براعة كتابه الذين اعتمدوا على شخصيات اجتماعية وحكومية كانت موجودة في ذلك الحين ، ونستدل على ذلك من خلال إشارة هؤلاء الكتاب إلى مصادر معلوماتهم ، وممن استقوها .

وقد قام الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم بتحقيق[١] هذه السجلات والوثائق في جزئين منفصلين ، كانا من أكثر ما اعتمدنا عليه في دراستنا هذه ، ويحتوي الجزء الأول على معلومات قيمة ونادرة ووفيرة عن فئات المجتمع اليمني في العصر الرسولي ، وتقسيماتها الداخلية مثل فئة التجار والفلاحين وموظفي الدولة ، فضلاً عن تسميات وظائف بعض هؤلاء الموظفين ؛ وهو ما لم نجده في غيره من المصادر ، إلاّ أن أبرز المعلومات قد جاءت عن فئات اجتماعية كثيراً ما تهملها المصادر وتتجنب ذكرها وهي فئة الحرفيين والصناع والمهنيين والعبيد ، وهو ما يعطي صورة واضحة ومهمة عنهم وعن تسمياتهم وتقسيماتهم ، وأماكن وجودهم ، وأهم منتجاتهم وأسعارها ، كما قدم هذا الجزء معلومات لا نظير لها عن الملابس التي كان الناس يرتدونها على اختلاف مستوياتهم ومراتبهم ، والأدوات التي احتوتها منازلهم ومطابخهم وأماكن جلوسهم ، إضافة إلى ذكره لأسماء بعض الشخصيات النسوية من نساء بني رسول ، وأماكن تواجدهن ، وما كان يقدم لهن ولغيرهن من الدولة من مواد غذائية وملابس وغيرها ، كما وجدنا في هذا الجزء إشارات إلى بعض الإجراءات التي كانت الدولة تقوم بها لتنظيم حياة الناس الخاصة ومعاملاتهم التجارية في الأسواق ، ومعلومات قيمة عن أسعار بعض السلع التجارية والمنتجات الزراعية والمواد الغذائية المستهلكة من خاصة الناس وعامتهم من لحوم وخضار وحبوب وفواكه وملابس وأقمشة وغيرها .

أما الجزء الثاني من نور المعارف فيحتوي على معلومات جديدة وقيمة عن بعض المناسبات الدينية التي كان الناس يحتفلون بها ، كاحتفالهم بقدوم شهر رمضان وما يمد في لياليه من موائد تعد في المطابخ السلطانية لخاصة الناس من ضيوف السلطان وعامتهم من الفقراء والمساكين ، فضلاً عمّا يقدم لهم في الأعياد كعيدي الفطر والأضحى من كسوات وهبات ، وما يصرف لموظفي الدولة من أضاحي وأطعمة تعددت وتنوعت أسماؤها بهذه المناسبة ، إضافة إلى ما يقدم لهم في بعض المناسبات الأخرى التي يحتفل بها كليلة النصف من شعبان ، إلاّ أن أفضل ما جاء في هذا الجزء من المعلومات ما ورد عن بعض الطبخات

---

[١] أبدع الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم في التعليق على ما جاء في هذه السجلات والوثائق الديوانية من أخبار ورفدها بمعلومات مصادر معاصرة لتأكيد ما جاء فيها ، وكشف الغموض عن كثير من المصطلحات والوظائف والأسماء المبهمة التي يصعب على القارئ العادي تفسيرها وتحديد معناها .

التي عرفت في قصور بني رسول ومقاديرها ، وأشهر طباخيها المعروفين بخبرتهم في إعدادها ، إضافة إلى أنواع الحلوى والمشروبات التي عرفت في ذلك الحين .

ولا ريب في أن كتاب نور المعارف بما جاء فيه ، وما أضيف إليه من تعليقات وإيضاحات ومراجعات يعد موسوعة يصعب على أي باحث في تاريخ الدولة الرسولية الاستغناء عنها وعن معلوماتها ولاسيما في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية .

ومن المصادر التي أفادتنا في دراستنا هذه مخطوطة " **الديوان المالي المعمور في زمن دولة بني رسول** "[(١)] التي تعد أحد دواوين الخراج التي دونت – على ما يبدو – في عصر السلطان المظفر الأول ؛ لما فيها من إشارات تؤكد ذلك ، وإن ضاعت أوراقها الأولى التي تحدد هويتها وتاريخ تدوينها ، وتكمن أهميتها في المعلومات التي تخص الوضع المادي لبعض أفراد الفئات الاجتماعية التي تنتمي إلى طبقة الخاصة ، كأفراد الأسرة المالكة من أبناء السلاطين ونسائهم والمقربين منهم من الوزراء والأمراء والولاة والعلماء والفقهاء والشعراء ، فضلاً عن ذكرها لبعض المنشآت التي قاموا بتعميرها خدمة للمجتمع ، وما تحتويه من أوقاف ، وما تؤخذ على أراضيهم الزراعية من ضرائب ومسامحات .

كما شكّل كتاب " **السمط الغالي الثمن في أخبار ملوك الغز باليمن** " للأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن عمران اليامي الهمداني الذي كان حياً سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م مصدراً مهماً من مصادر هذا البحث ، ومع أنه من المصادر التي دونت للتاريخ السياسي لكنه لم يخلُ من بعض المعلومات ذات الطابع الاجتماعي كعادات الناس وتقاليدهم وملابسهم وأزيائهم وزينتهم وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية ، إضافة إلى إشارات لبعض الظواهر الاجتماعية والبيئية التي أثرت على حياتهم وأحوالهم ، وكان أكثر ما قدمه لنا ابن حاتم من معلومات هو ما جاء به عن دور بعض النساء في المجتمع ، ومواقفهن من بعض الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة ومشاركتهن فيها ، وتأتي أهمية هذا المصدر من كون مؤلفه ممن عاشوا شطراً من أحداث هذه الدولة من عهد السلطان المنصور نور الدين عمر إلى بداية عهد السلطان الأشرف الأول ، وشاركوا سكانها معاناتهم حتى أن معلوماته يغلب عليها الجانب الوصفي التفصيلي التحليلي .

ومن بين المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة كتاب " **السلوك في طبقات العلماء والملوك** " للقاضي أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م ، الذي احتوى على معلومات تفصيلية مهمة عن أحوال الناس وعلاقتهم ببعضهم ، إضافة إلى معلومات مبعثرة بين من ترجم لهم الجندي عن عاداتهم وتقاليدهم في الزواج والمهور واللباس والزينة والمآتم والأعياد والاحتفالات ، وعلاقاتهم الأسرية ، وما كان

[(١)] اعتمدنا على صورة من النسخة الموجودة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض ، وقد أفادني الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم بأنه يعمل على تحقيق هذه المخطوطة وهي في طريقها إلى النشر قريباً .

يشوبها من مشكلات ، وأوضاعهم المعيشية وما كان يؤثر عليها ، ويعد هذا الكتاب من أكثر ما اعتمدنا عليه في دراستنا هذه لكون مؤلفه عاصر الدولة الرسولية في عهد السلطان المؤيد وشطر من عهد ولده السلطان المجاهد وشهد أحداثها ومشكلاتها وكوارثها لتنقله بين مدنها وقراها بحكم عمله كمحتسب وتدوينه لكل مشاهداته عن أحوال أشهر الناس في المناطق التي زارها .

ومن الكتب ذات الأهمية في هذا الدراسة كتاب " **بهجة الزمن في تاريخ اليمن** " للمؤرخ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م الذي كان معاصراً لهذه الدولة في عهد السلطان المؤيد داؤد وولده المجاهد ودون العديد من المظاهر الاجتماعية فيها كمظاهر الترف والنعيم والبذخ التي شهدتها الأعياد والاحتفالات التي كان يقيمها السلاطين المعاصرين له بحكم عمله في ديوان الإنشاء والذي قربه منهم لاسيما السلطان المؤيد داؤد ، فضلاً عن ذكره أسماء بعض القصور الفاخرة والبساتين الجميلة التي أنشأها هؤلاء السلاطين وأقاموا الاحتفالات لافتتاحها ، إضافة إلى ذكره للعلاقة التي ربطت بين بعض السلاطين والموظفين العاملين في قصورهم ودورهم ، وعلاقتهم بعامة الناس من الفقهاء والتجار .

كما مدنا كتاب " **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** " للملك الأفضل العباس بن علي بن داؤد بن رسول المتوفى سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م بتراجم لشخصيات اجتماعية تنتمي إلى جميع فئات المجتمع ، ومن خلال هذه التراجم تمكنا من استخراج العديد من المعلومات القيمة عن الحياة الاجتماعية الخاصة بهم كعلاقاتهم ببعضهم واحتفالاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ودور بعضهم في نشر العلم بين الناس ، وتأتي أهمية هذا المصدر من كون مؤلفه أحد سلاطين بني رسول الذين عرفوا بعلمهم وعلاقاتهم الواسعة مع من حولهم من أبناء المجتمع .

ومن الكتب المهمة التي وقفنا عليها في بحثنا هذا كتاب " **الاعتبار في التواريخ والآثار المعروف بـ : تاريخ وصاب** " للعلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي الوصابي المتوفى سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م والذي يعد من المصادر المهمة التي قدمت معلومات وتفاصيل دقيقة عن الحياة الاجتماعية لأهالي منطقة وصاب بعاداتها وتقاليدها واحتفالاتها وطبائع نسائها ولبسهن وزينتهن وعلاقتهن بأزواجهن ودورهن في التربية والتنشئة الاجتماعية ، وفي البناء والتعمير والتعليم والتأليف .

كما يُعد كتاب " **تاريخ المعلم وطيوط** " للعلامة حسين بن إسماعيل المعروف بالمعلم وطيوط المتوفى بعد سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م من المصادر التي أفادتنا بالعديد من المعلومات عن الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ، لإشاراته إلى المعاناة التي كان يتعرض لها الناس بفعل الضرائب المختلفة التي فرضت عليهم والكوارث البيئية ، وما كلفهم ذلك من ديون ، ودور بعض الميسورين في التخفيف عنهم ، وبعض عادات الزواج والأعياد ، وما كان يلبس فيها ، فضلاً عن دور الدولة في إنصاف العامة من الناس ، وخدمة المجتمع بتقديم المشاريع لأبنائه .

ومن المصادر التاريخية التي تم الوقوف عليها لأهميتها الباب الخامس من كتاب " **فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن** " للملك الأشرف أبي العباس إسماعيل بن العباس الرسولي الغساني المتوفى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ، والقارئ لهذا الكتاب قد يجد نفسه في حيره للتشابه الكبير بين مادته التاريخية وما دونه الخزرجي في كتابه العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، وقد يكون للعلاقة التي ربطت بين الرجلين دور في الاستعانة به لكتابة بعض فصوله ، ولا نجد مبرراً آخر لذلك ، ويعد هذا الكتاب من كتب التاريخ العام ، ويضم اثني عشر فصلاً ، يهمنا منها الفصل السادس عن بداية قيام الدولة الرسولية إلى الفصل الثاني عشر نهاية عصر المؤلف ، وما يميز كتاب فاكهة الزمن أن مؤلفه كان من سلاطين بني رسول وعلمائهم الذين ارتبطوا بالناس وتداخلوا معهم ، وهو ما تثبته المعلومات التي تتحدث عن المناسبات والاحتفالات التي كانوا يقومون بها في أعيادهم ومناسبات ختان أبنائهم ومآتمهم التي كثيراً ما يشارك فيها الناس كافة على اختلاف فئاتهم ، إلاّ أن ما يميز كتاب فاكهة الزمن عن كتب الخزرجي المعلومات النادرة التي انفرد بها السلطان الأشرف عن بعض الكوارث البيئية التي ظهرت في مدة حكمه ، فضلاً عن بعض الأحداث المتعلقة بحياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والعلمية التي عاصرها ، لهذا لا يقل هذا الكتاب من حيث الأهمية عن ما سبقها من المؤلفات التاريخية .

إلاّ أن أكثر المصادر التاريخية التي اعتمدنا عليها عند كتابتنا لهذه الدراسة مؤلفات المؤرخ موفق الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن الحسين بن وهاس الخزرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م الذي يعد بحق مؤرخ الدولة الرسولية ، لما قدمه لنا من مؤلفات اختلفت بين التاريخ العام وتاريخ الدول والتراجم والطبقات التي ترجم فيها لرجال ونساء عصره ، وقد تدل تلك المؤلفات وما جاء فيها من أخبار على سعة علم هذا المؤرخ ، وارتباطه بالمجتمع والناس والتزامه الحيادية عند التأليف وعدم انحيازه إلى جهة معينة ذات سلطة أو جاه أو مال ، مع ما كان بينه وبين السلطان الأشرف الثاني من علاقة وطيدة أكدتها المكانة التي احتلها الخزرجي عنده ، لما كان يهب له من أموال وعطايا وهبات ومسامحات في أرضه لقربه وعلاقته به ، ومن أهم مؤلفاته التي قامت عليها الدراسة :

– كتاب " **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** " الذي يتكون من جزئين ، شمل الأول منها الأحداث التي مهدت لقيام هذه الدولة ابتداءً بعصر مؤسسها المنصور نور الدين عمر ثم ابنه المظفر الأول ، ومن تبعه من أبنائه الأشرف والمؤيد ، ويُكمل الجزء الثاني حياة سلاطين هذه الأسرة إلى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م ، ابتداءً بالسلطان المجاهد ومن ثم الأفضل عباس وانتهاءً بالسلطان الأشرف الأول إسماعيل ، ويعد هذا الكتاب من أكثر المصادر تفصيلاً للأحداث التي تعرضت لها الدولة الرسولية ، وقد أخذت الجوانب الاجتماعية جزءاً كبيراً من

معلوماته بجزئيه ، ونستنتج مما جاء فيه أن المؤرخ الخزرجي كان أكثر ارتباطاً بعامة الناس لانتمائه إليهم ، إذ كان يعمل في زخرفة وتشكيل سقوف المباني وجدرانها قبل انتقاله للعمل في بلاط السلطان الأشرف الثاني ، وقد ساعد انتقاله من إحدى فئات طبقة العامة إلى رجل ذي جاه وسلطة وأملاك في طبقة الخاصة على أن يكون أكثر ارتباطاً ومعرفة بحياة خاصة الناس وعامتهم ، ويعد كتاب العقود اللؤلؤية من المؤلفات النادرة التي تطرقت للتقسيم الاجتماعي للناس ومراتبهم وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم وأعيادهم المختلفة ، وعلاقاتهم الأسرية الخاصة والعامة ، كما أنه من المؤلفات التي أكدت لنا أن هناك تنافساً شديداً وتفاخراً في الأنساب بين الناس في ذلك العصر ، فضلاً عن إشاراته إلى جميع فئات المجتمع من سلاطين وملوك وأمراء ومشائخ وشعراء وعلماء وفقهاء وتجار وفلاحين وصناع وحرفيين ومهنيين وعبيد ودورهم في الحياة الاجتماعية ، وأحوالهم المادية والمعيشية ، وما تعرضوا له من مشكلات اجتماعية ، وكوارث طبيعية وبيئية مختلفة أثرت على حياتهم .

– كتاب " **المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** " ، ويعد من كتب التاريخ العام لليمن ، إلاّ أن ما يهمنا فيه هو الفصول الثمانية الأخيرة من الباب الخامس من الفصل الخامس حتى الفصل الثاني عشر الذي خصصه الخزرجي لبني رسول منذ دخولهم اليمن حتى نهاية عصر السلطان الأشرف الثاني ، وقد كان للجوانب الاجتماعية نصيب من هذه الفصول على الرغم من تبعثر معلوماتها بين صفحاته ، ومن الملاحظ أن أحداث هذا الكتاب لم تقف عند سنة وفاة الخزرجي بل استمرت إلى نهاية الدولة الرسولية ، ومما لا يدع مجالاً للشك أن ذلك العمل من صنع الناسخ نفسه الذي يبدو أنه نقل عن بعض المؤلفات الأخرى كمؤلفات ابن الديبع . وقد اعتمدنا في ترقيم صفحات هذه المخطوطة وغيرها من المصادر المخطوطة التي نشرت مصورة على الترقيم الأصلي الذي يعرف بالإلحاقة ، وأشرنا إليه بمختصر (ق) بدلاً من الترقيم الذي أدخلته الجهات التي قامت بنشرها .

– كتاب " **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن** " ويعرف بـ " **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** " وهو من كتب التراجم المرتبة على حروف المعجم ، وعن طريقه تعرفنا على جوانب من حياة سلاطين بني رسول الاجتماعية وأمرائهم وكبار رجال دولتهم وقادتهم وعلمائهم وشعرائهم ومشائخهم .

– كتاب " **الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام** " وقد خصص لتاريخ اليمن منذ العهد النبوي إلى عصر المؤلف ، ويعد من الكتب التي عدنا إليها في الجوانب الاجتماعية كغيره من مؤلفات الخزرجي التي يجد القارئ فيها تشابهاً كبيراً ، وكأن المؤلف يُغير في عناوينها فقط بعد أن يزيد أو يحذف عنها بعض معلوماتها .

كما مدنا كتاب " **ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب** " للحسن بن علي الشريف الحسيني الذي كان موجوداً سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م ، بمعلومات قيمة عن فئة اجتماعية كان لها دور كبير في المجتمع وهي فئة موظفي الدولة ومهامهم في خدمة المناطق المسؤولين عنها ، وما يقدمونه لأهلها من مساعدات ومشاريع خيرية واجتماعية ، علماً بأن هذا الكتاب أُلّف ليكون دليلاً لعمال ديوان الخراج في معرفة تقسيم الأقاليم اليمنية في عصر السلطان الناصر .

ومن المصادر المهمة التي رجعنا إليها كتاب " **تاريخ الدولة الرسولية** " لمؤلف مجهول عاش في النصف الأول من القرن التاسع الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، ويبدو أنه كان من المعاصرين للسلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل ، وعمل عنده كاتباً في الديوان ، لما احتواه كتابه هذا من معلومات وفيرة عن تاريخ بني رسول ، لاسيما في مدة حكم السلطان المذكور التي أخذت النصيب الأكبر من أحداث هذا الكتاب الذي يعد تكملة لما جاء به الخزرجي من معلومات عن بني رسول ، ويسرد هذا المؤرخ أحداث هذه الدولة بصورة تفصيلية دقيقة لم ترد في مصدر آخر عن بعض عادات السلاطين واحتفالاتهم ، ومظاهر ترفهم ونعيمهم التي تجسدت ببنائهم للقصور والدور الفاخرة والبساتين الغناء ، إضافة إلى معلومات نادرة عن بعض الظواهر البيئية التي تعرض لها الناس في ذلك العصر ، وآثارها على حياتهم ، وتشكل المعلومات التي مدنا بها عن طاعون سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م من أفضل ما قدمه ، ويظهر أن هذا المؤلف مات في هذا الطاعون لتوقف أحداث هذا الكتاب عند هذا الخبر .

كما شكّلت كتب الرحلات والجغرافيا من أهم المصادر التي تم الرجوع إليها في هذه الدراسة ، مثل كتاب " **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر** " لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م[1] ، الذي حمل بين صفحاته العديد من المعلومات الاجتماعية النادرة عن بعض فئات المجتمع في ذلك العصر من فلاحين وعلماء وحرفيين وعبيد ، وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم ومناسباتهم التي اختلفت من منطقة إلى أخرى .

وكتاب " **رحلات ماركو بولو** " الجزء الثالث منه لمؤلفه الرحالة الإيطالي ماركو بولو المتوفى سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م ، والذي لم يزر اليمن ، ولكنه كتب عنها في عصر السلطان المظفر الأول في أثناء رحلته التي قام بها في آسيا الصغرى ، معتمداً في معلوماته على مصادر زار أصحابها اليمن أو عاشوا فيها ؛ فمدته بأخبار قيمة عن مدينة عدن ووضع التجار فيها

---

(١) هناك إشارة للدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري إلى أن المؤلف الحقيقي لكتاب " تاريخ المستبصر " ليس جمال الدين أبا الفتح يوسف بن محمد المعروف بابن المجاور ، وإنما هو أبوبكر بن محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مستدلاً ببعض الحقائق التي توصل إليها والتي لم يركز عليها محقق الكتاب . انظر : زهور السوسن في تاريخ عدن – اليمن : دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي الوسيط ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٤م ، ص١١٣ – ١١٦ .

وأحوالهم ، وأملاك سلطانها الطائلة ومصادر دخلها التي ميزته عن ملوك الأقطار المجاورة لليمن ، فضلاً عن معلومات قيمة عن أهالي الشحر وظفار الحبوضي ، وأهالي جزيرة سقطرى وديانتهم ولباسهم وطعامهم ومعاملاتهم ، وأهم أعمالهم ، وعاداتهم المنتشرة بينهم .

وكتاب " **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار القسم الخاص بمملكة اليمن** " لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م الذي حفل ببعض المعلومات عن مظاهر الترف والنعيم التي عاشها أفراد طبقة الخاصة ولباسهم وعلاقاتهم ، ودورهم في تشجيع أصحاب الحرف ، واستقدامهم وترغيبهم ، ورغم أن ابن فضل الله العمري لم يزر اليمن إلاّ أنه اعتمد في معلوماته على بعض ممن التقى بهم من أهل اليمن .

وكتاب " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة** " للرحالة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م . وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون مؤلفه ممن زاروا اليمن ، وعاشوا بين أهلها ، واختلطوا بهم ودونوا ملاحظاتهم عن عاداتهم وتقاليدهم المختلفة والمتعددة لاسيما في عصر السلطان المجاهد الذي استضافه عنده ، حتى إن لقاءه بالمجاهد من الأمور التي لفتت نظر ابن بطوطة ، فراح يدون ملاحظاته حول التقسيم الاجتماعي للناس في مجلس السلطان وبعض عادات السلام والمصافحة والضيافة والكرم والجود والطعام والشرب ، فضلاً عن عادات بعض سكان المناطق اليمنية التي زارها والتي أثارت عجب هذا الرحالة .

كما كشف لنا كتاب " **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** " للعلامة أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م الغموض عن العديد من المصطلحات والأسماء والوظائف ، وأمدنا بمعلومات قيمة عن نمط حياة بعض الفئات الاجتماعية وأحوالها في ذلك العصر مثل فئة السلاطين والأشراف والموظفين .

وليس من شك في أن لكتب التراجم والطبقات التي دونت في مدة زمنية قريبة من تاريخ الدولة الرسولية فائدة كبيرة لهذه الدراسة مثل كتاب " **طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص** " للعلامة أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي المتوفى سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م ، وكتاب " **طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي** " للعلامة المؤرخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي المتوفى سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م لما احتوته هذه التراجم من معلومات اجتماعية عن حياة العديد من الشخصيات التي عاشت في ذلك العصر ، وكان لها دور في المجتمع ، وتعد كتب التراجم والطبقات من المصادر المهمة لأي باحث في الحياة الاجتماعية لما بين تراجمها من أخبار تتعلق بحياة جميع فئات المجتمع .

وإضافة إلى ذلك ، استفادت الدراسة كثيراً من مؤلفات بعض المؤرخين الذين لم يعاصروا هذه الدولة بل عاشوا في مدة قريبة منها ، واستقوا معلوماتهم من مؤلفات عاصر

كتابها الدولة الرسولية مثل كتاب " **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون** " ، وكتاب " **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** " للعلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني ابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م اللذين ضما العديد من المعلومات الاجتماعية عن الناس ونمط حياتهم ، وعلاقاتهم بطبقة الخاصة من سلاطين وملوك ، ودور هؤلاء في تطوير المجتمع بهدف تحسين مستوى الناس المعيشي والعلمي والاجتماعي والفكري .

كما استفدنا أيضاً من مؤلفات أبي محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م ، لاسيما كتابي " **تاريخ ثغر عدن** " وَ " **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** " وبخاصة الجزء الثالث منه ، اللذين يعدان من أهم كتب التراجم التي أعطت معلومات قيمة لم نجدها في غيرها من المؤلفات عن الأوضاع الاجتماعية للناس في مدينة عدن في الأيام الأخيرة لسقوط الدولة الرسولية ، وما عانته هذه المدينة وأهلها من حالة الفوضى والسلب والنهب من قبل قبائل المنطقة ، وما كان لذلك من أثر سلبي على حياة التجار والميسورين والعلماء وبسطاء الناس ومعدميهم ، فضلاً عن معلومات اجتماعية أخرى ، ويبدو أن هؤلاء المؤرخين مثل ابن الديبع وبامخرمة اعتمدوا في معلوماتهم على مصادر حية عاصرت الحدث أو مؤلفات لم تجد طريقها إلى النور .

ولم تكن تلك المؤلفات إلاّ نموذجاً للعديد من المصادر التي عدنا إليها في دراستنا هذه ، مع العلم أن هذه الرسالة استفادت كثيراً من كتب أخرى كان لها الفضل في استكمال وتفسير وتعريف ما غمض من المعلومات والمصطلحات والأسماء مثل كتب الأنساب والجغرافيا والمعاجم واللغة ، فضلاً عن بعض الكتب الأجنبية المعربة وغير المعربة ، والرسائل الجامعية والبحوث التي احتوت على دراسات مهمة عن مدة حكم الأسرة الرسولية للـيمن ، وقد تم الاستفادة من آراء ووجهات نظر ونتائج واستنتاجات مؤلفي هذه الكتب والرسائل ، وما توصلوا إليه من جديد في تاريخ هذه الدولة ، ولكننا تجنبنا التعريف بها خشية الإطالة .

وفي الأخير أرجو من الله العزيز العليم أن أكون قد وفقت بجهدي المتواضع هذا في إعداد دراسة علمية أكاديمية جادة وجديدة ومفيدة عن الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، كما أرجو أن أكون قد وفقت في إخراجها بالصورة المطلوبة ، فإن تحقق ذلك فبتوفيق من الله تعالى وعونه ، وأن قصرت في ذلك أو أخطأت فمن نفسي ، والله الموفق والمعين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً – الوضع السياسي :

سنتناول فيها لمحة مختصرة عن سلاطين بني رسول وتوليهم السلطة ، وعلاقتهم مع منافسيهم من أفراد البيت الرسولي والقبائل اليمنية والإمامة الزيدية ، ونوضح ذلك بالآتي :

١ – الوضع السياسي في اليمن عند قيام الدولة الرسولية :

ساعدت الأحوال السياسية في اليمن على قيام الدولة الرسولية سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م[١] ، وذلك بعد دخول بني رسول إليها[٢] مع القوات التي بعثها صلاح الدين الأيوبي[٣] بقيادة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م[٤] ، وقد تمكنوا من إثبات وجودهم السياسي والاجتماعي ، وحرصوا على إتباع سياسة يستطيعون من خلالها ربط أنفسهم بالناس ، مع أن تعاملهم مع اليمنيين لم يكن أمر غريباً على أوائل سلاطينهم لكون أبناء هذه الأسرة قد امتزجوا بالمجتمع اليمني منذ أن كانوا ولاة في العصر الأيوبي[٥] ، مما جعلهم يحتلون مكانة في قلوب أبناء اليمن لتقربهم منهم بهدف عدم معارضتهم أو معارضة دولتهم التي لاح نجمها في الأفق .

---

[١] ابن حاتم ، بدر الدين محمد : السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تح : ركس سمث ، لندن ، ١٩٧٤م ، ص٢٠١.

[٢] يشير الخزرجي إلى أن الأمير شمس الدين علي بن رسول دخل اليمن مع القوات الأيوبية وبرفقته أبناءه بدر الدين الحسن ، وشرف الدين موسى ، وفخر الدين أبو بكر ، ونور الدين عمر وهو أصغرهم ومؤسس دولة بني رسول في اليمن ، علماً بأن هناك خلاف بين المؤرخين حول تحديد الزمن الذي دخل فيه بنو رسول اليمن ، فالخزرجي نفسه يذكر رأيين أحدهما يناقض الآخر ؛ فالرأي الأول يذكر فيه أن بني رسول دخلوا اليمن مع توران شاه بن أيوب سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م . العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، ج١ ، عنى بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ، مط : الهلال ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، ص٢٨ ، ٣٧ . ومن المستبعد أن يكون هذا الرأي صحيحاً . والرأي الثاني يذكر فيه الخزرجي أن بني رسول دخلوا اليمن مع سيف الإسلام طغتكين بن أيوب . العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوطة مصورة ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ق٩٦أ . وهو الرأي الأكثر ترجيحاً ؛ لعدم ذكر المصادر لأي دور لهم إلاّ بعد دخول سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن ، وهذا دليل على أنهم كانوا من بين رجال حملته . انظر مناقشة ذلك : محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٦ – ٩٢٣هـ / ١٢١٣ – ١٥١٧م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م ، ص٦٣ – ٦٥ .

[٣] أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج١، ب . د ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص٢١٦ ؛ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج٢ ، تح : جمال الدين الشيال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت ، ص٤٨ ، الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح : ناظم رشيد ، بغداد ، ١٩٧٩م ، ص٤٠٠ ؛ ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر بن عبدالله : كنز الدرر وجامع الغرر ، المعروف بـ " الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، ج٧ ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ب . د ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص٧٠ ، ٧٢ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٩٦أ .

[٥] تدرج بنو رسول خلال العصر الأيوبي في عدة مناصب ومكنوا وجودهم من خلال قضائهم على العديد من التمردات المناوئة لبني أيوب ، ولكنهم في بعض الأحيان ساندوا المعارضة بل قادوها بأنفسهم ، مما أعطاهم الصفة الوطنية التي عن طريقها بدأوا يخططون للتخلص من الوجود الأيوبي والانفراد بحكم اليمن . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص١٠٥ – ١٩٧ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٩٠أ – ٩٧أ ؛ محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م ، ص٢١٣ – ٢٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد سعى مؤسس الدولة الرسولية المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦ - ٦٤٧هـ / ١٢٢٩ - ١٢٩٤م) - منذ أن لاحت له فكرة الانفراد عن الحكم الأيوبي - إلى اتباع سياسة يحاول من خلالها عدم إثارة القوى الداخلية والخارجية ضده وضد طموحاته، حتى عندما تهيأت له الفرصة بوفاة آخر ملوك بني أيوب في اليمن المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل الأيوبي في مكة المكرمة سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م[١]، إذ أعلن أنه نائب لبني أيوب في اليمن[٢]، ولم يعلن الاستقلال عنهم خوفاً من رد فعل الأيوبيين في مصر، فكان ذكياً في تعامله معهم، وبعث للملك الكامل الأيوبي هدايا عديدة، وأبقى الخطبة والسكة كما كانت عليه للمسعود وبني أيوب ليدخل الطمأنينة والثقة في نفس الملك الكامل[٣]، دون أن يكشف عن نيّته ومخططاته، في حين بدأ ينفذ سياسته الداخلية تمهيداً لإعلان الانفصال عن الدولة الأم في مصر، فعزل كل من له صلة بالأيوبيين وسيطر على حصونهم، وأسر وقتل من رأى منهم المنعة والرفض، وأسرع في تولية الحصون لمن يثق بهم، ليتجنب الفوضى والاضطراب، ثم أعلن نفسه سلطانا وتلقب بالمنصور[٤].

وفي الوقت نفسه، سعى إلى عقد صلح مع الأشراف الزيديين أشد القوى المعارضة للأيوبيين سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م وضمن فيه عدم معارضتهم له ووقوفهم إلى جانبه وتأييدهم لدولته[٥]، فأوجد بذلك حليفاً جديداً له ضد أي اعتداء قد يقوم به الأيوبيون ضده، مع معرفته عجزهم عن استعادة اليمن، نتيجة لأوضاعهم السياسية الصعبة التي تمر بها دولتهم في

---

[١] الملك الأشرف، أبو العباس إسماعيل بن العباس: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج٢، تح: محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، بيروت، دار البيان، بغداد، د. ت، ص ٤٣٨ - ٤٣٩؛ اليافعي، أبو محمد عبد الله ابن أسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٤، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص٥٧؛ ابن الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم: حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأعيان من أبنائه، دراسة وتح: خضير عباس المنشداوي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص٣٧١؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين: التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تح: محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص٧٦؛ الزبيدي، السيد محمد مرتضى: ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تح: صلاح الدين المنجد، مط: مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م، ص٧٩.

[٢] عندما قرر الملك المسعود العودة إلى ديار مصر لم يجد بين أرباب دولته وأعيانها وخواصها من يصلح للنيابة مثل الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول ففوضه رسمياً بذلك. انظر: ابن حاتم: السمط الغالي الثمن، ص١٩٥؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص٤٠ - ٤١.

[٣] الخزرجي: العسجد المسبوك، ق ١٩٧ أ؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٢٣٧.

[٤] الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي: كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، دراسة وتح: عبد المحسن مدعج المدعج، ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٢م، ص٩٥؛ الخزرجي: العسجد المسبوك، ق ١٩٧ أ.

[٥] ابن حاتم: السمط الغالي الثمن، ص٢٠٣؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص٤٧.

الداخل والخارج[١] ، ومن أجل أن يشغلهم عن التفكير في اليمن ، وفي الانتقام منه نقل المعركة معهم إلى الحجاز ، واستولى عليه سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م وأصبحت مكة خط دفاعي متقـدم لحماية اليمن[٢] ، وبدأت مرحلة جديدة من الصراع بين بني رسول وبني أيوب حول الحجاز . وأكمل السلطان المنصور شرعية حكمه لليمن باعتراف الخليفة العباسي المستنصر[٣] بولايته على اليمن سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٤م[٤] مكملاً بذلك حلقات بناء دولته .

وفضلاً عن ذلك ، فقد اتجه السلطان المنصور نحو إقرار الأوضاع الداخلية للبلاد ، وسعى إلى تحسين علاقاته مع الشخصيات الاجتماعية المؤثرة في المجتمع ، و مع القبائل ذات المكانة والثقل القبلي ، وربط علاقات طيبة بالجميع ، وأخذوا في تقديم المساعدة له[٥] ، ممـا شجعه على القيام بإرسال حملات متعددة لإخضاع المناطق التي مازالت خارجة عن طاعته ، مثل حملته إلى حضرموت سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م[٦] ، ورغم كل محاولاته لإقرار الأوضاع إلا أنه واجه العديد من المشكلات ، وكانت المُدة من سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م وحتى سنة وفاته فـي ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م من أكثر المُدَد اضطراباً وتوتراً ، فزاد من حملاته محاولاً إخضاع العصاة[٧] . وفي ظل هذه الأوضاع الحرجة قُتِل السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في

---

[١] عن الأوضاع الداخليـة والخارجية للدولة الأيوبية في مصر والشام انظر : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن الشيبانـي : الكامل في التاريخ ، مج١٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص٤٨٢ – ٤٨٥ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفـداء إسماعيل : البداية والنهاية في التاريخ ، ج١٣ ، تح : أحمد عبدالوهاب فتيح ، ط١٤ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١٤٣ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٦ ، قدم له وعلق عليه : محمد حسيـن شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٢٤٢ ؛

The New Encyclopaedia Britannica , volume I , Micropaedia Ready Reference , 15 th edition , E . B . Inc . , U . S . A , 1995 , p . 753 .

[٢] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : محمد حامد الفقي ، ج١ ، دار إحيـاء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص٢٧٩ – ٢٨٤ ؛ ج٢ ، ص١٧٤ ؛ شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، ج٢ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ ؛ دحلان ، أحمد بن السيد زيني : أمراء البلـد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول (ﷺ) حتـى الشريف الحسين بن علـي ، ط٢ ، الدار المتحدة للنشر ، بيـروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٤٠ ؛ السعدي ، هدى مفتاح عبد الحميـد : العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ، رسالة دكتـوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٣٠ – ٣٥ ، قطان ، فريـال محمود عباس : الحجاز في ظل الدولة الأيوبية والفاطمية بمصر ، ب . د ، جدة ، ٢٠٠٣م ، ص٢٤٦ – ٢٥٠ .

[٣] هو الخليفة العباسـي أبو جعفر منصور المستنصر بالله بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، بويـع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م ، ونشر العدل في الرعايـا وترك العديد من المآثر ، توفي سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م . السيوطـي ، الحافظ جلال الدين : تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٤٢٤ – ٤٢٦ ؛ الروحي ، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور : بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء ، تح : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ٢٠٠١م ، ص١٤٥ .

[٤] ابن الجزري : حوادث الزمان ، ص١٥٧ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠١ ، ٢٠٥ .

[٦] شنبل ، أحمد عبد الله : تاريخ حضرموت المعروف بـ تاريخ شنبل ، تح : عبد الله الحبشي ، ط٢ ، مكتبة صنعاء الأثرية ، صنعاء ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص٨٩ –٩١ ؛ الحامد ، صالح : تاريخ حضرموت ، ج٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، د . ت ، ص٩١٤ .

[٧] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٢ – ٢٢٤ ، ٢٣٤ ؛ الحمزي : كنز الأخيار ، ص٩٧ ، ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجند[١] على يد مماليكه[٢] ، فدخلت اليمن مرحلة جديدة من الصراع بين أبنائه رغم محاولات المنصور حسم هذه المشكلة قبل موته ، إذ أمر العسكر بمبايعة ابنه الأصغر المفضل ، حارماً ابنه الأكبر المظفر من حقه في الحكم[٣] ، وقد كان لتصرف المنصور هذا أثره في نفس ولده المظفر الذي قرر وضع حد لتصرف والده ، فعزم على السفر إلى بغداد ليشتكيه إلى الخليفة المستعصم[٤] ، ولكن مقتل أبيه المفاجئ جعله يعدل عن فكرة السفر إلى فكرة أخذ حقه بنفسه[٥] .

٢- وضع اليمن السياسي في عصر المظفر يوسف الأول :

كان لمقتل السلطان المنصور أثره السريع في حدوث الشقاق داخل اليمن ، فقد ظهرت تكتلات جديدة أوجدت حالة من الفوضى في البلاد ، إذ أوجد المماليك لهم تجمعاً بعد قتلهم المنصور وخرجوا من الجند ليقيموا سلطاناً جديدا يحميهم من أبناء المنصور إذا ما حاولوا الانتقام لأبيهم ، فأقاموا الأمير فخر الدين بن الحسن بن علي بن رسول والي فشال[٦] من قِبَل عمه السلطان المنصور سلطاناً ولقبوه بالملك المعظم ،وسار معهم لحصار زبيد [٧] محاولاً دخولها تمهيدا للسيطرة على بقية المدن ، لإدخالها في ملكه الذي لم يعترف به إلا من أقامه من المماليك ، في حين كان أخوه الأمير أسد الدين محمد والي صنعاء وأعمالها يترقب الأوضاع دون أن تشير المصادر إلى موقف له إثر هذه الأحداث[٨] ، ويبدو أنه لم تكن له آمال وطموحات سياسية مثل أخيه فخر الدين ؛ لذلك ظل في صنعاء[٩] ، محاولاً الحفاظ على ما تحت يده مترقباً ما سوف تنجم عنه الأحداث ، ومن جانب آخر كان المفضل أبو بكر والفائز أحمد أبناء المنصور ووالدتهم بنت جوزة قد استولوا على الحصون والمدن والمعاقل المهمة

---

(١) الجَنَـد : كانت حاضرة اليمن الأسفل ، وقد انكمشت اليوم ولم يعد منها إلاّ عدد من البيوت وجامع معاذ بن جبل ، وتبعد عن تعز شرقاً بنحو (٢٥ كيلو متراً) ، ويقع شمالها مطار تعز الجديد . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٨١ .

(٢) الملك الأفضل ، العباس بن علي بن داؤد بن يوسف الرسولي : نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، ج٢ ، مخطوطة ميكروفيلم بدار الكتب المصرية ، رقم (٥١٩٨٥) ، " تاريخ " ، منسوخة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٣٥١) ، القاهرة ، ق١٢٦ ب .

(٣) عن محاولات بنت جوزة لحرمان المظفر الأول من حقه في الحكم انظر لاحقاً : ص٣٧٧ – ٣٧٩ .

(٤) هو الخليفة العباسي أبو أحمد عبدالله المستعصم بالله بن الخليفة المستنصر بالله ، وقد بويع بالخلافة بعد وفاة والده سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م ، وكان كريماً حليماً ، وقد قتل على يد المغول بعد دخولهم بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٩م ، وبموته انتهت الخلافة العباسية . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢٧ – ٤٣٤ ؛ الروحي : بلغة الظرفاء ، ص١٤٦ .

(٥) الحمزي : كنز الأخيار ، ص٣٠٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٩ .

(٦) فشّال : بلدة قديمة كانت برمع شمال زبيد على مسافة ثلاثة ساعات ، وقد خربت وعمر محلها قرية الحسينية . الحجري ، محمد ابن أحمد : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح وتصحيح ومراجعة : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٢ ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص٦٣٤ .

(٧) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٣ – ٢٤٤ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٠٥ ب .

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٨– ٨٩ .

(٩) ابن الديبع ، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط٢ ، دار بساط ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص٣١٥ .

والخزائن التي تركها والدهم[١] لقربهم من موقع الحدث عند مقتل المنصور وبعد المظفر عنه في إقطاعه[٢] المهجم[٣] ، في الوقت الذي انتشر فيه صيت الإمام الزيدي أحمد بن الحسين في البلاد العليا التي استولى عليها وعلى حصونها ضاماً إليه الكثير من أبنائها ، وذلك بعد انتشار دعوته في سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٨م[٤] ، ومع ذلك خرج المظفر لمواجهة كل تلك القوى وحده ، وتمكن من القضاء عليها جميعاً بمساعدة قبائل تهامة التي وقفت إلى جانبه ودعمته بالمال والرجال ، فقبض على فخر الدين ومن معه من المماليك ، كما تمكن من إلزام خالته بنت جوزة وابنيها المفضل والفائز من سكن حيس[٥] ، بعد أن تمكن من السيطرة على الدملوة[٦] آخر معاقلهم ، كما تصدى لجميع محاولات الإمامة الزيدية ومنع توسعاتها ، وأخذ في مواجهة كل إمام جديد يدعو لنفسه[٧] ، ومع ذلك ظلت الإمامة الزيدية هي الخطر الأكبر والأقوى ليس على مستوى عصر السلطان المظفر ، وإنما على مستوى عصور جميع سلاطين بني رسول .

وفضلاً عن ذلك ، فقد سعى السلطان المظفر لإكساب دولته الصفة الشرعية ، وراسل الخلافة العباسية في بغداد بذلك اقتدى بوالده المنصور ، فأرسل إليه الخليفة العباسي المستعصم بالله رسولاً سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ، وألبسه الخلعة وقرأ عليه منشور الخليفة وولاه العهد باعتراف الخليفة المستعصم[٨] .

---

[١] الملك الأفضل ، العباس بن علي بن داؤد بن يوسف بن علي الرسولي : العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، دراسة وتح : عبد الواحد عبدالله الخامري ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص٦٩١ . ولمزيد من التفاصيل عن بنت جوزة ودورها في هذا الصراع انظر لاحقاً : ص٣٧٧ – ٣٨٥ .

[٢] الإِقْطَاع : نظام قديم يُملك بموجبه السلطان قطعة من أرض أو منطقة لأبنائه أو نوابه على سبيل المنحة . المعجم الوجيز ، ص٥٠٨ . وعن الإقطاع والمقطعين في الإسلام وفي عصر بني رسول انظر : طرخان ، إبراهيم علي : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ، ص٢١ وما بعدها ؛ حماد ، أسامة أحمد : مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي " عصر دولتي بني أيوب وبني رسول " ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٠١ – ١٢٠ ؛ الفيفي ، محمد بن يحيى : الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية (٨٠٣ – ٨٢٧هـ / ١٤٠٠ – ١٤٢٤م) ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص٢٣٨ – ٢٥٥ .

[٣] المَهْجَم : مدينة خاربة في وادي سردد قبالة الزيدية من جهة الشرق بينها وبين زبيد أكثر من (١٥٠ كيلو متراً) . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٧٦ .

[٤] الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن : العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن ، تح : علي مطهر حمود العلماني ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٨٨ – ٨٩ ؛ الزحيف ، محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند : مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالحدائق الوردية ، مج٢ ، تح : عبد السلام الوجيه وخالد قاسم المتوكل ، ط١ ، مركز النهاري ، صنعاء ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٨٦٧ – ٨٨٢ .

[٥] حَيْس : مدينة عامرة من تهامة أعمال زبيد ، احتلت مكانة كبيرة في عصر بني رسول سياسياً واقتصادياً . انظر : الحداد ، عبدالله عبد السلام : حَيْس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص٧ – ٨ ، ٣٧ – ٣٨ .

[٦] الدُّمْلُوَة : حصن عظيم من حصون الحجرية بتعز لها تاريخ عظيم . انظر : الحجري : مجموع ، مج١ ، ص٢٣٦ .

[٧] الجندي ، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج٢ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٦٦ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٥ ، ١٠٢ ، ١٢٦ .

[٨] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٠أ .

وبذلك أخذ السلطان المظفر الأول في توسيع رقعت دولته ، وضم إليه أراض جديدة لم يسبقه أو يلحقه إليها أحد من سلاطين بني رسول ، وكانت صعدة[١] وذمار[٢] وظفار الحبوضي[٣] والمناطق الشرقية من أهم المناطق التي دخلت في ملكه[٤] . كما كان للحجاز نصيباً من الحملات التي كان يرسلها ، حتى تمكن من السيطرة على مكة سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م[٥] بعد أن أخرجها الأشراف عن سيطرة بني رسول بعد مقتل والده السلطان المنصور[٦] ،وقد لقيت مكة عناية كبيرة من المظفر[٧] ، كما لقيت من والده من قبل العناية نفسها عندما كانت ضمن أملاك بني رسول[٨] .

٣ - الصراع السياسي بعد وفاة المظفر يوسف الأول :

أصدر السلطان المظفر الأول قبل وفاته مرسوماً قلد بموجبه ابنه الأكبر الملك الأشرف الحكم وحلف العسكر له ، وجمع اسمه معه في الخطبة والسكة ، لعدم تكرار المشكلة التي حدثت بينه وبين إخوته بعد وفاة والده ، إلا أن الصراع بين أبناء السلاطين عند وفاتهم أصبح سمة ذلك العصر ، فبمجرد وفاة السلطان المظفر سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م قام الصراع بين أبنائه الأشرف إسماعيل والمؤيد داؤد ودارت بينهم المعارك الشديدة التي انتهت بهزيمة المؤيد وسجنه في حصن تعز سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م[٩] ، وبعد عامين من سجنه توفى الأشرف فجأة فاتفق الجميع على إخراج أخيه المؤيد وتنصيبه سلطاناً سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ، وقد اتبع

---

[١] صَعْدَه : مدينة تاريخية مشهورة شمال صنعاء على مسافة (١٢٠ كيلو متراً) . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٧٥ .

[٢] ذَمـار : مدينة مشهورة كبيرة جنوب صنعاء بنحو (١٠٠ كيلو متراً) . الويسي ، حسين بن علي : اليمن الكبرى كتاب جغرافي تاريخي ، ط٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م ، ص٧١ – ٧٢ .

[٣] ظَفَار الحبوضي : مدينة تتبع عمان تقع بين حضرموت وعمان ، تنسب إلى حكامها آل الحبوضي . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٩٣ ؛ باكريت ، علي سعيد : المهرة الأرض والإنسان ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٩م ، ص١٨ .

[٤] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٤٦ – ١٤٨ ، ١٥٤ – ١٥٥ ، ١٦٠ ؛ عليان ، محمد عبد الفتاح : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص١٧٢ .

[٥] الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٠٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١١٥ .

[٦] ابن الجزيري ، زين الدين عبد القادر بن محمد الحنبلي : درر الفوائد المنظمة في أخبار الحجاج وطريق مكة المعظمة ، مط : السلفية ، القاهرة ، د . ت ، ص٢٤٤ .

[٧] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد : الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تح وتعليق : محمد زينهم محمد عزب ، ط١ ، الدار الثقافية ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٥٣ ؛ المكي ، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تح : علاء إبراهيم الأزهري وايمن نصر الأزهري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص١٨٢ ، ١٨٥ ؛ ابن فهد ، عمر بن محمد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ج٣ ، طبعة جامعة أم القرى ، مكة ، د . ت ، ص٦٠ ، ١١٧ .

[٨] الفاسي : الزهور المقتطفة ، ص١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد : البرق اليماني في الفتح العثماني ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م ، ص٨٨ .

[٩] الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٢٠ – ١٢١ ؛ ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني ، ط١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص١٧١ – ١٧٥ .

السلطان المؤيد منذ توليه الحكم سياسة القمع لتمردات القبائل المعارضة والسيطرة على حصونها ، حيث تمكن من إخضاعها ومن ثم دخولها معه في علاقات طيبة ، جعلته يعتمد على هذه القبائل في ضرب أعدائه . كما اتجه إلى سياسة تحسين علاقاته مع الأشراف الزيديين ، وعقد معهم صلحاً سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م استقرت بعده الأوضاع وشهدت البلاد نوعاً من الهدوء[١] ، رغم قيام بعض الحركات التي كانت تعكر صفو ذلك ، كما ظلت الحجاز تُحكَم من قِبَله وكان يُولّي من يشاء من الأشراف عليها[٢] .

وفي سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م توفي السلطان المؤيد داؤد وتولى بعده ابنه المجاهد علي (٧٢١ – ٧٦٤هـ / ١٣٢١ – ١٣٦٢م) الذي زادت في عصره الصراعات والفتن بسبب سياسته التي أغضبت من حوله ، وإثارته لحفيظة جنده بعد رفضه تسليم رواتبهم ، فقبضوا عليه وسجنوه في حصن تعز سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م[٣] ، وأقاموا بدلاً منه عمه الملك المنصور زند الدين أيوب بن المظفر ، الذي لم يحكم سوى مدة يسيرة ، لتمكن أعوان المجاهد ومناصريه من فك سجنه ، والقبض على عمه المنصور وتقييده وسجنه[٤] ،ثم دخل المجاهد في صراع طويل مع ابن عمه الظاهر بن المنصور أيوب الذي ثار لسجن أبيه ، وقام بالعديد من المحاولات لتخليصه ، إلاّ أنه عجز عن ذلك ، ولم تهدأ أمور المجاهد إلا عندما قبض على الظاهر سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م بعد تفرق أنصاره عنه[٥] .

كانت مدة الصراع بين المجاهد والظاهر من أكثر المُدَد اضطراباً في اليمن لاستغلال القبائل حالة الفوضى معلنة خروجها عن طاعة الدولة ، مع كل ما بذله المجاهد لإخمادها[٦] ، وقد زادت الأمور سوءاً بعد القبض على المجاهد سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م في أثناء تأديته لفريضة الحج ومن ثم ترحيله إلى ديار مصر أسيراً[٧] ، فسبب سجنه فراغاً وجدت فيه القبائل المعارضة لحكمه فرصة للتعبير عمّا تكنه له ، فزادت من تمرداتها ، حتى أنه سار إليها بجيوشه فور عودته إلى اليمن لضربها بشدة ، ومع ذلك لم تستقر الأمور بل زادت سوءاً[٨] ، بعدما أصبحت

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص ٣٠٩ ، ٣٢٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ .

[٢] القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، مط : السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، ص ١٦٢ .

[٣] ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص٤٩.

[٤] الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص ٢١١ ؛ طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٢٦٥٧) ، وميكروفيلم رقم (٢٩٩٣٥) ، القاهرة ، ص ٤١٧ – ٤١٩ .

[٥] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ص ٤٩ .

[٦] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٠ – ٢٩١ ؛ الخزرجي : المسجد المسبوك ، ق ١٨٠ب ، ١٨١ب ، ١٨٣أ.

[٧] ابن شاهين ، زين الدين عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل في ذيل الدول ، ج١، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٢١٣ . وللمزيد من التفاصيل عن سبب القبض على السلطان المجاهد . انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٨٤ – ٨٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص ٣٦٣ .

[٨] الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٧ .

المواجهة في آخر أيام المجاهد ليس مقصورة على أعدائه التقليديين من المشائخ والقبائل والأشراف الزيديين وغيرهم ، بل امتدت لتشمل المقربين منه من أبنائه وكبار قادته ، حتى أنه توفي سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م والبلاد في حالة فوضى سياسية[١] ، مما دفع ابنه السلطان الجديد الأفضل عباس (٧٦٤– ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ – ١٣٧٦م) إلى أن يفتتح حكمه بسياسة العنف ضد جميع منافسيه الذي أخضعوا بالقوة ، الأمر الذي ترتب عليه قيام تحالفات جديدة بين أعدائه[٢] زادة من توتر الأمور .

وقد شهدت مدة حكم السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (٧٧٨ – ٨٠٣ هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠م) الذي تولى بعد وفاة والده الأفضل نوعاً من الحزم السياسي ، حيث كثف من حملاته على قبائل تهامة ، واستعمل القوة ضد الزيدية ، وأقام علاقات طيبة مع بعض أعداء والده من المشائخ مع حذره وحرصه في تعامله معهم ، فكان لحالة الاستقرار هذه أثرها في توطيد علاقة السلطان الأشرف الثاني مع مشائخ آخرين ، فتوافدت عليه القبائل ومشائخها معلنة تأييدها له ووقوفها إلى جانبه ، مغ مواصلة إرسال الحملات لتأديب غيرهم من العصاة ، وقد ساعد على زيادة الهدوء خلال مدة حكمه وفاة الإمام صلاح الدين بن علي[٣] سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م الذي كان من الأئمة الذين خلفوا حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في عصر الأشرف ومن قبله والده السلطان الأفضل[٤] .

ومع هذا ، فقد بدأ الضعف في جسم هذه الدولة بوفاة السلطان الأشرف وتولى ابنه السلطان الناصر أحمد (٨٠٣ – ٨٢٧هـ/ ١٤٠٠ – ١٤٢٣م) ، الذي اضطربت الأحوال في عهده ، وفتحت أمامه جبهات متعددة وبذل الغالي والنفيس لإخمادها ، فكانت المدة من سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م وحتى سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م من أحرج المُدَد وأشدها على الناصر[٥] ، فغير سياسة العنف التي لم تجدِ نفعاً سوى زيادة الخلاف إلى سياسة الخضوع وتقديم التنازلات ، محاولاً إعادة الأمور إلى طبيعتها مع أعدائه ، وعقد اتفاقيات الصلح مع مشائخ بعض القبائل والمناطق المضطربة ، فعم الهدوء النسبي البلاد حتى وافته المنية سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م ،

---

(١) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٨٠ – ٤٨٢ ؛

Playfair . R . L *AHistory Arabia Felix or Yemen , from the commencement of the christian era to the present time , inclding An Account of the British settlement of Aden,* Bombay : Edncoton S . P . 1859 , p 92 .

(٢) انظر عن هذه التحالفات : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٢ .

(٣) هو الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين محمد بن علي المهدي (ت : ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) ، تولى بعد وفاة والده الإمام المهدي علي بن محمد ، وقد دخل مع سلاطين بني رسول في حروب عديدة سيطر فيها على صنعاء ،وقام بعدة محاولات للسيطرة أيضاً على زبيد وعدن والمهجم وحرض ، وله العديد من الآثار في صنعاء وغيرها . انظر : الزحيف : مآثر الأبرار ، مج٣ ، ص١٠٢٢ – ١٠٤٩ .

(٤) انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص ١٥٣ – ١٥٥ ، ١٦٨– ١٧١ ، ٢٠٦– ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ .

(٥) انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص١١١ – ١٣٧ .

فتولى بعده ابنه المنصور عبد الله بن أحمد (٨٢٧ – ٨٣٠هـ / ١٤٢٣ – ١٤٦٢م) ، وقد وصفته المصادر بالعدل والصلاح والكرم والشجاعة ، لكنه توفي بعد ثلاثة سنوات من توليه الحكم ، وخلفه أخوه الصغير المعروف بالسلطان الأشرف الثالث إسماعيل (٨٣٠ – ٨٣١هـ / ١٤٢٦ – ١٤٢٧م) فكان لصغر سنه دور في ظهور الفتنة بين رجال دولته وحاشيته الذين ثاروا عليه بعد عام من توليه الحكم وقبضوا عليه وسجنوه ، وولّوا بدلاً منه عمه السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل (٨٣١ – ٨٤٢ هـ / ١٤٢٧ – ١٤٣٨م)[١] الذي ساءت سيرته منذ بداية عهده ، وعجز عن إخضاع البلاد لحكمه ، لاسيما في إقليم تهامة لهيجان قبائلها ضده وإفسادهم للأوضاع هناك ، فكان شديداً معهم ومع جميع من رفض الخضوع له ، مما جعل وفود العديد من القبائل تصل إليه مؤيدة ومناصرة له ولدولته ، وكان كريماً مع كل من يصله منهم ، مما زاد وشجع بقية مشائخ القبائل على الوصول إلى بابه طمعاً في عطاياه وهباته ، التي لم تمنع مناطق أخرى من الرضوخ لسلطانه[٢] .

وفي سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م توفي السلطان الظاهر ، وتولى بدلاً منه ابنه الأشرف الرابع إسماعيل بن الظاهر (٨٤٢ – ٨٤٥ هـ / ١٤٣٨م – ١٤٤١م) فسار على سياسة والده في العدل والشجاعة والإقدام ، ولكنه كان سفاكاً للدماء لاسيما مع قبائل تهامة التي دخل معها في معارك عرفت بأسمائها بين الناس ، فلقب بالمجنون ، نتيجة لأعماله التي كثيراً ما كانت تعلن القبائل بسببها الخروج عن طاعته ، وقد أدت سياسته العنيفة والدموية التي اتبعها إلى هزيمته على يد تلك القبائل ، ونجاته من سيوفها بأعجوبة ، واستمرت دولته مضطربة حتى توفي[٣] .

٤- الأفول السياسي للدولة الرسولية من اليمن :

شهد عصر السلطان المظفر يوسف الثاني بن عمر بن إسماعيل (٨٤٥– ٨٥٤ هـ / ١٤٤١ – ١٤٥٠م) الذي تولى بعد ابن عمه الأشرف الرابع النزع الأخير للدولة الرسولية ، لاشتداد مكانة أمراء المماليك داخل دولته وضعفه أمامهم ، وتدخلهم في أمور عديدة بما فيها تنصيب وعزل من يرضون من بني رسول ، وكانت المدة من سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م إلى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م على يد المشائخ بني

---

[١] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٧ – ٣٩٤ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٦ ب ، ٢٥٨أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، مط : الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م ، ص٢٠٩ – ٢١٦ ، ٢٦٠ – ٢٦٧ ؛ الصيرفي ، علي بن داود الجوهري : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ج٤ ، تح وتعليق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص١٣٥ .

[٣] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٠ – ٤٠١ ؛ الصيرفي : نزهة النفوس ، ج٤ ، ص ٨٥ ، ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طاهر[١] نواب بني رسول على مخلاف رداع[٢] من أشد أوقات الصراع بين أبناء الأسرة الرسولية الذين أصبحوا ألعوبة بيد عبيدهم ومماليكهم ، ومن أهم هؤلاء الملوك الرسوليين الذين ولّوا من قبل المماليك : المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل عباس سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م الذي كان سبباً في زيادة تجبر وطغيان قبائل تهامة ، وتشجيعهم على أخذ أموال وأراضي وأملاك الناس بغير حق ، ولكنه قتل في العام نفسه الذي ولّي فيه ، فنصّب العبيد الناصر أحمد بن الظاهر يحيى بن يوسف بن عبدالله بن المجاهد سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م ، ولقب بالخاسر لسوء سياسته التي كانت سببا لتعرض زبيد لأشد حالة نهب وتخريب لم تعرفها قبل ذلك من عسكر الدولة بتأييد من سلطانها ، فلزمه المماليك لأفعاله ، ولم يمر على حكمه عام واحد فقط ، وأخذوا يبحثون عن البديل عنه ، ووجدوا ضالتهم في المسعود صلاح الدين أبي القاسم بن الأشرف المخلوع بن الناصر بن الأشرف (٨٤٧ – ٨٥٨هـ / ١٤٤٣ – ١٤٥٤م) وولّوه سلطاناً مع أن عمره لا يتجاوز ثلاث عشرة عام ، وأصبح من أقوى المنافسين للسلطان المظفر يوسف الثاني الذي كلما حاول القضاء على سلطان ، ظهر له سلطان آخر ، وقد كان المشائخ بنو طاهر هم أنصار المظفر الثاني ونوابه وكثيرا ما يستعين بهم عند الأزمات ، ولولا مساندتهم له لقضي عليه سريعاً من قِبل المسعود الذي فرض عليه الحصار مرات عديدة[٣] .

وقد حاول السلطان المسعود فرض حصار حول زبيد للسيطرة عليها سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م بعدما ولّى المماليك فيها سلطاناً جديداً هو المؤيد حسين بن الظاهر يحيى (٨٥٥ – ٨٥٨هـ / ١٤٥١ – ١٤٥٤م) لخوفهم من قوة نفوذ المسعود وزيادة خطره عليهم . ولكن المسعود تراجع عن حصار عن زبيد حينما دخله الشك من خيانة يدبرها له عسكره وعاد إلى تعز ومنها اتجه إلى عدن وبقي فيها إلى أن تخلى عن الحكم سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م[٤] .

---

[١] برز المشائخ بنو طاهر في عصر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل كأمناء لبني رسول ونواب لهم على مخلاف رداع وغيرها من المناطق التي عرفت باسمهم ، فكانت بلاد بني طاهر هي خط الدفاع الأمامي لا أراضي بني رسول من خطر الأئمة الزيدية ، وقد زاد من قوة وترابط الأسرتين الرسولية والطاهرية زواج السلطان الظاهر من ابنة الشيخ طاهر بن معوضه ، وأخذ بنو طاهر في تثبيت وضعهم مستغلين ضعف ووهن بني رسول وزيادة الخلافات بينهم حتى حانت لهم الفرصة لإعلان دولتهم سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م . ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٩ ، ٤٠٢ – ٤٠٥ ؛ الحييد ، عبد الله حامد : قيام الدولة الطاهرية تحت قيادة الملكين المجاهد علي والظافر عامر أبناء طاهر بن معوضة آل طاهر (٨٥٨ – ٨٨٣هـ / ١٤٥٨ – ١٤٧٨م) ، د . ن ، مكة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص٥ – ٩ . وقد اختلفت المصادر حول نسبهم . للمزيد انظر : بافقيه ، محمد بن عمر الطيب : تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص١٢٤ ؛ عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين : روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور ، ط٢ ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ٧/١ ، صنعاء ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ق٤ب .

[٢] رداع : مدينة عامرة في الشرق من ذمار على مسافة (٥٠ كيلو متراً) . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٢٧ .

[٣] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٩ب – ٢٦٠ب .

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٤ ؛ الحييد : قيام الدولة الطاهرية ، ص٨ .

وقد بقي المؤيد في زبيد باحثاً عن الفرصة المناسبة لمهاجمة عدن والسيطرة عليها ، وقد وجد هذه الفرصة عندما سمع أن المسعود خلع نفسه وخرج من عدن ، لهذا سار المؤيد إليها ودخلها اعتقاداً منه أنه حقق ما يريد ، إلاّ أن بني طاهر لم يمنحوه الفرصة للتمتع بحلمه وترتيب أموره وإقرارها ، إذ وصلوا إليه بجيش كبير تمكنوا به من دخول عدن والقبض عليه ، ولكي يضمنوا عدم بقائه قاموا بشراء كل ما معه ، فخرج من اليمن إلى مكة[١] ، وهكذا استولى بنو طاهر على مقاليد الحكم لأنفسهم ، وأقاموا لهم دولة على أنقاض دولة بني رسول التي دام حكمها لليمن لأكثر من قرنين وثلاثين عاماً .

لقد كان للأوضاع السياسية أثرها الواضح على حياة الناس العامة ، حيث شهدت مدة الصراع السياسي أشد وأصعب المراحل التي مر بها جميع أفراد المجتمع[٢] الذين عانوا منها أشد المعاناة لانعكاسها على أوضاعهم الأمنية والمعيشية .

ثانياً - الوضع الاقتصادي :

حظي الاقتصاد اليمني بعناية كبيرة من قبل سلاطين الدولة الرسولية ، لما لهُ من أهمية بالنسبة لوضع الدولة المادي ، وقد شكل الاقتصاد العماد الأساس لبقاء الدولة واستمرارها ، كما شكل العماد الأساس للحياة المعيشية لجميع فئات طبقات المجتمع ، ولأجل ذلك لابد من التعرف على الوضع الاقتصادي في ذلك العصر ، ومدى التطور الذي وصلت إليه بدعم سلاطين الأسرة الرسولية وولاتهم وإسهامات الفئات الأخرى التي بذلت جهوداً عظيمة لتطويرها ورفع مستواها ، حتى أن اليمن شهدت في العصر المذكور مرحلة من التطور الاقتصادي لم تعرفها خلال تاريخها ، فأصبح ذلك سمة لذلك العصر . ومن هذا الجانب سيكون الحديث مختصراً عن الزراعة والثروة الحيوانية والصناعة والتجارة ، ونوضح ذلك بالآتي :

١- الزراعة :

شكلت الزراعة المصدر الأول والأساس الذي اعتمد عليه سكان اليمن في حياتهم ومعيشتهم اليومية ، وقد عمل فيها السواد الأعظم منهم ، وأصبح قوت جميع أفراد المجتمع من إنتاجهم الزراعي[٣] ، وكانت الزراعة كأي نشاط اقتصادي آخر في حاجة إلى مقومات تساعدها

---

[١] يشير بامخرمة إلى أن سبب تخلي المسعود عن الحكم هو ما تعرض له من إهانة من قبل فرعي قبيلة يافع في عدن آل أحمد وآل كلد ، وقد جرت من هذه القبائل أموراً أشعرته بالضعف والعجز عن بالإمساك بزمام أمور مملكته لهذا عزل نفسه وخرج من عدن وتركها لنيران التنافس التي أشعلتها هذه القبائل . للمزيد من التفاصيل عن أوضاع عدن والدولة الرسولية خلال هذه المدة . انظر : عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد : قلادة النحر في وفيات الدهر ، ج٣ ، تح : محمد يسلم عبد النور ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٣٥٨٨ - ٣٥٨٩ .

[٢] عن هذه الأوضاع انظر لاحقاً : ص٣١٦ - ٣١٩ .

[٣] الألوسي البغدادي ، محمود شكري : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه : محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ص٤١٧.

على الاستمرار والتطور ، وقد وجدت في اليمن العديد من المقومات البشرية والطبيعية التي ساعدت على تطور النشاط الزراعي فيها . وقد ظهرت المقومات البشرية في المزارع اليمني ، وما تميز به من خبرات مختلفة ساعدته على التعامل مع هذه الأرض والظواهر الطبيعية المساعدة على الزراعة أو المضرة بها ، فتمكن من تسخير مظاهر الطبيعة في صالحه وصالح أرضه ومصدر رزقه[١] ، في حين كان للمقومات الطبيعية وما تميزت به اليمن من طبيعة زراعية دور في تطوير الحياة الزراعية ، فكان المناخ والتضاريس ومصادر المياه المتنوعة[٢] من أهم المقومات الطبيعية المساعدة على تطور الزراعة[٣] .

وقد تنوعت المحاصيل الزراعية التي عُرفت اليمن بإنتاجها ، وتذكر بعض المصادر أن في اليمن أنواع الخصب وغرائب الثمر وطوائف الشجر[٤] ، وهذا دليل على تنوع الإنتاج الزراعي الذي اشتهرت بإنتاجه ، وتعد الحبوب بأنواعها (الذرة ، والقمح ، والشعير ، والدخن[٥] ، والأرز[٦] ، والسمسم[٧]) من أهم منتجات ذلك العصر[٨] ، لارتباطها بقوت الناس

---

[١] انظر : الملك الأشرف ، عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول : ملح الملاحة في معرفة الفلاحة ، تح : عبدالله محمد علي المجاهد ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٩ – ٤٧ ؛ محمد أمين صالح : تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الأولى للهجرة (عصر الولاة) ، ط١ ، مط : الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٢٠٤ ؛ الأكوع ، محمد بن علي : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط٢ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص٧٣ ؛ الحمد ، جواد مطر : الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٠٥ – ٣٣١ ، ٣٤٩ – ٣٥١ .

[٢] تنوعت مصادر المياه في اليمن ، وأهمها الأمطار التي تميزت بغزارتها في فصل الصيف كله ، وإنتاجها الزراعي في فصل الشتاء . ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٣٧ .

[٣] عن المقومات الطبيعية المذكورة . انظر : حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي ، ص٢٣٢ – ٢٣٧ .

[٤] ابن الفقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ص٣٧ .

[٥] الدخن : من محاصيل الحبوب الصيفية ، وتزرع بصورة رئيسة في تهامة وبعض المناطق المحيطة بها ، وينتمي الدخن للعائلة النجيلية . الملك الأشرف : ملحُ الملاحة ، ص٢١ – ٧٢ ، للمحقق .

[٦] عرفت اليمن زراعة الأرز في عصر بني رسول ، وقد أشار الملك الأفضل إلى مناطق زراعته في اليمن كجبال اللحب وبلاد حجة وبرع . الملك الأفضل ، العباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف الرسولي : بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٤٥٢٥٠) ، القاهرة ، ق ٤١٤أ . وقد أدخل السلطان الأشرف الثاني زراعته في وادي زبيد ، ورغم اهتمام بني رسول بزراعته إلاّ أنها انحصرت في المناطق كثيرة المياه كزبيد . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٤٨ب ، ٢٤٩أ .

[٧] عرف السمسم في المصادر الرسولية بالجلجلان ، وقد تنوعت مصادر استعماله من قبل الناس منذ زمن طويل وفي زمن بني رسول . للمزيد من التفاصيل انظر : ابن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة ، حققه ونشره : دي جويه ، ليدن ، ١٨٩١م ، ص٨٥ ؛ نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف ، ج١ ، تح : محمد عبد الرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص٧١ ، ٧٢ ، ١١٨ ، ٢١٠ ، ٣١١ ، ٣٤٨ ؛ آل ياسين ، محمد حسن : معجم النباتات والزراعة ، ج١ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص٢٨٥ .

[٨] لمزيد من التفاصيل عن هذه الحبوب انظر : الملك الأشرف : ملح الملاحة ، ص٤٩ – ٨١ .

اليومي ، ولقدرتها على البقاء لمدة زمنية طويلة بعد تخزينها في مدافن خاصة بهـا لأوقـات الأزمات والشدائد والقحط دون أن تتلف[١] .

كما زرع الناس أنواع الفواكه كالعنب[٢] والتفاح والسفرجل والأجص والمشمش والخوخ (الفرسك) والكمثري (العنبروت) والتوت والرمان والزيتون والتين (الـبلس)[٣] والمـوز وقصب السكر والبطيخ[٤] ، كما زرع اليمنيون في الأودية والمرتفعات المعتدلة الحرارة أنواع الحمضيات كالليمون الحامض والحلو والأترنج والنارنج[٥] ، واهتموا بزراعـة الخضـروات بأنواعها المختلفة : كالبصل والبطاطس والثوم والقثاء والباذنجان واليقطين (القرع أو الـدبا) والكزبرة والبسباس والجزر والفجل والكراث والزنجبيل والخس والملوخية والنعناع والباميـة والكمون والخيار[٦] ، إضافة إلى أنواع البقول من الحمـص والعـدس واللوبيـا[٧] والعتـر والفول[٨] ، ويشير ابن بطوطة إلى زراعة النارجيل في اليمن والذي نقل إليها من الهنـد[٩] . كما زرعـوا الفوة[١٠] والكتـان والورس[١١] والهـرد ، فضلاً عن اهتمامهم بزراعـة القطن (العطب) لما له من أهمية في حياتهم العامة ، واللوز والفستق (البنـدق) والحبـة السـوداء

---

[١] أخذ الناس في عصر بني رسول يبحثون لهم عن سبل لحفظ ما يحصدونه من طعام " حبـوب " خلال العام ليكون موجوداً معهم حتى يأتي الموسم الجديد ، فأوجدوا ما يسمى بالمدافـن ، وهي عبارة عن حفر عميقة في أرض صلبة لا تتسرب إليها الرطوبة ويضيق أعلاها بقدر ما يدخل الرجل ويوسع جوانبها ، وفيها تخبأ وتدفن الحبوب ثم تغطى بحجر قد عملت خصيصاً لذلك فـلا ينفذ إليها الهواء ، ويوضع عليها الخلب من الطين وتمكث سنين عديدة ، وإذا احتاجوا للأخذ منها فتحوها ، فإذا منها النصف أو أكثر أو أقل فلا يدخل الإنسان إليها إلا بعد أن تبرد ، وعلامة برودتها أن ترمى إليها نار فإذا ظلت تلتهب نزل الإنسان إليها وإن انطفأت علم أنها لا تزال حارةً ، فإذا نزل إنسان ذهبت روحـه بسرعة وذلك لفقدان الأكسجين كما يقال ، وقد قلت المدافن اليوم لوجود ما يسمى بالبراميل . الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٧٢ ، ص٧٣ ، ح (١) .

[٢] عن أنواع العنب التي اشتهرت اليمن بزراعتها انظر : الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٣١٤ . وانظر أيضاً : الملك الأفضل ، بغية الفلاحين ، ق ٢٣٨أ – ٢٦٠أ .

[٣] الملك الأشرف : ملح الملاحة ، ص١٣٢ – ١٦٠ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٤ ، ٨٢ ، ١٠٣ ؛ ج٢ ، ص١٦ .

[٥] ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتـح يوسف بن يعقوب بن محمد : صفة بـلاد اليمن ومكة وبعض الحجـاز المسمـاة تاريـخ المستنصر ، اعتنى بتصحيحها : أوسكر لوفقرين ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٦٥ ؛ الملك الأشرف : ملح الملاحة ، ص١٥ .

[٦] نـور المعارف ، ج٢ ، ص١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٠ ؛ الملك الأشرف : ملح الملاحـة ، ١٦ – ١٧ .

[٧] اللوبيا : هي الدجر، وتزرع بكثرة في اليمن وأجودها الأحمر والأبيض . الملك الأشرف ، المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

[٨] انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤– ١٥ ، ٩٩ – ١١٣ .

[٩] أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ج١ ، قدم له وحققه : محمد عبد المنعم العريان ، راجعه وأعدّ فهارسه : مصطفى القصاص ، ط١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٧٠ – ٢٧٣ .

[١٠] الفوة : عروق نبات ، لونها أحمر يستعملها الصباغون . الملك المظفر ، يوسف بن عمر الرسولي : المعتمد في الأدوية المفردة ، صححه وفهرسه : مصطفى السقا ، دار العلم ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٢٩٢ .

[١١] الورس : نبات كالسمسم يستخدم في صبغ الملابس لايوجد إلاّ في اليمن . آل ياسين : معجم النباتات والزراعة ، ج١ ، ص٣٦٩ .

والصبر[١] لتنوع أغراض استخداماتها الطبية لديهم[٢] . كما أعطى سلاطين بني رسول جل اهتمامهم بزراعة الورود بأنواعها المختلفة ، كما حظيت بعناية عامة الناس الذين أخذوا يزرعونها في بساتينهم ، وعلى حافة الأودية والأنهار ، قدوةً بسلاطينهم الذين عرفت بساتينهم أنواع هذه الورود والتي أهمها : الورد الأحمر والنرجس والياسمين (المعروف عندهم باسم الزنبسق) أو الفل الذي ادخله بنو رسول إلى اليمن وزرعوه في بساتينهم لأول مره ، كما زرعوا الكاذي والحنون والسوسن والريحان والأزاب وهو الحبق القرنفلي وشقائق النعمان ويسمى أقداح زبيدة وغيرها من المشمومات التي اشتهرت بزراعتها بساتين وحدائق بني رسول[٣] .

ونتيجةً لما يشكّله النخيل من أهمية في حياة الناس اليومية ، انتشرت زراعته في مناطق واسعة من اليمن ، لدخوله ضمن الوجبات الرئيسية لغذائهم . وتشير المصادر إلى وجود أنواع مختلفة من أشجار النخيل التي زرعت في ذلك الحين[٤] ، بعد أن لقيت زراعته عناية وتشجيع سلاطين الأسرة الرسولية أنفسهم لامتلاكهم مساحات واسعة من الأراضي المزروعة به ، وتشجيعهم الرعية بغرسه في أراضيهم[٥] .

زبدة القول ، إن الزراعة في العصر المذكور وصلت إلى مرحلة من التطور والازدهار بينتها المصادر ، وأعادت سببها الرئيس إلى الاهتمام والخبرة التي بلغها الفلاح اليمني ، إضافة إلى دعم الدولة وتشجيعها لهم ، لهذا بلغت الزراعة في هذا العصر أوج تطورها .

٢- الثروة الحيوانية :

أعطى اليمنيون منذ القدم جل اهتمامهم للثروة الحيوانية ؛ لحاجتهم الماسة إليها في حياتهم ولاستخدامها في أغراضهم الخاصة[٦] ، وقد وجدت في عصر بني رسول ثروة حيوانية كبيرة ومتنوعة ضمت العديد من المواشي والدواب التي اعتمد الناس عليها في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وركوبهم وأحمالهم وتنقلاتهم وحروبهم ، وتعد الأغنام بأنواعها والأبقار والجمال والحمير والخيول أهم مصادر هذه الثروة ، وقد أولى سلاطين بني رسول عناية فائقة بالثروة الحيوانية ،

---

(١) نور المعارف ، ج١ ، ص٢٢ ، ١٧٧ – ١٨١ ، ٢٣٩ – ٢٦٠ ، ٣٨٢ ، ٤٥٠ ، ٤٦٠ ، ٤٣٨ ، ٥٢٤ ، ٥٥١ ؛ الملك الأشرف : ملح الملاحة ، ص٨٧ – ٨٧ ، ٩٥ – ٩٦ ، ١١٨ ؛ الملك المظفر : المعتمد ، ص٢٢٣ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧، ٤٢١ .

(٢) شائف عبده سعيد : الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى ، مجلة دراسات يمنية ، صنعاء ، ع (٤١) ، سبتمبر ١٩٩٠م ، ص١٦٩ .

(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨١ – ٨٢ ، ١٨٥ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٠ .

(٤) انظر : الملك الأفضل : بغية الفلاحين ، ق ٢٠٨أ – ٢٣٨ب ، المندعي ، داؤد داؤد عبد الهادي : الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، عمّان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٥١ .

(٥) نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠١ – ٥٠٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٨ ، ج٢ ، ص١٦٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢١٨ أ ؛ الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم (٢٢٠٦) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ق٨٢أ ، ١٣٠أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٠ .

(٦) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٦ ، ٣٢٠ – ٣٢١ ؛ ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص١١٢ .

وخصصوا لها المراعي الغنية بالعشب والموظفين القائمين عليها ، وانشئوا الزرائب لأجود أنواع الأغنام والأبقار ، كما قسموا مناخات الجمال وإصطبلات الخيل[١] حسب جودتها وأصالتها وعمرها وأغراض استخدامها في الحياة ، معتنين بكل منها حسب حاجتها ، فكانت دواب السلطان من أغنام وخيول وأبقار وجمال أكثرها عناية واهتماماً ، ومِنْ ثَمّ تأتي دواب من تبع السلطان من رجال الدولة والأسرة الرسولية حسب قرابتهم وسلطتهم ودورهم في المجتمع[٢] .

وفي الوقت نفسه ، لقيت الثروة الحيوانية عناية كبيرة من قبل بقية أفراد المجتمع اليمني ، لاسيما الأغنام والإبل التي تعد في ذلك الحين ثروة كبيرة للناس ، لاعتمادهم عليها في غذائهم وشرابهم ولباسهم[٣] ، كما شكلت الخيول والجمال أهم وسائل النقل والمواصلات في ذلك العصر ، في حين كان للخيول والجمال دور كبير في الحروب والمعارك التي كانت تقوم فيما بين القبائل ، وفيما بين القبائل والدولة ، لهذا امتلكت بعض القبائل أعداد كبيرة من الخيول ، واستخدمتها للأغراض العسكرية والحربية ، بالإضافة إلى الإغراض المدنية[٤] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد وجدت في اليمن أنواع أخرى من الحيوانات : كالأسود والنمور والفيلة والذئاب والضباع وحمر الوحش والكلاب والقطط والقرود والزراف والغزلان والأرانب ، وأنواع الطيور والعصافير ذات الأشكال والألوان المختلفة ، والدجاج والحمام والإوز والغربان ، وطيور الصيد كالحدأة والنسور والصقور بأنواعها[٥] . كما عرفت اليمن في العصر الرسولي أنواع المناحل وأجود أنواع العسل المستخرج منها[٦] ، وضمت بحار اليمن أنواعاً مختلفة من الثروة السمكية وبخاصة الأسماك المستخرجة منها التي أعتمد عليها الناس في غذائهم اليومي ، لاسيما في المناطق الساحلية مثل عدن وحضرموت وظفار الحبوضي وسواحل تهامة[٧] .

لقد بلغ اهتمام سلاطين بني رسول بالثروة الحيوانية أن ألف بعضهم الكتب فيها وفي كيفية التعامل معها ، وعلاجها ووقايتها من الأمراض والأوبئة[٨] ، لذلك بلغت الثروة الحيوانية في العصر الرسولي شهرة كبيرة في جودتها واصلاتها ، لِمَا شهدته من عناية واهتمام جعل لها صيتاً كبيراً في الأسواق التجارية الداخلية والخارجية ، فاشتهرت منها الخيول التي بلغت تجارتها ذروتها في ذلك العصر لزيادة الطلب عليها ، لما عرفت به من جودة وأصالة[٩] .

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥٦ ، ٣٨٦ – ٣٩٩ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ .

[٢] سوف يتم الحديث عن مناخات الجمال وإصطبلات الخيل لاحقاً عند الحديث عن فئة موظفي الدولة . انظر : ص١٢٨ – ١٣١ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٥١ب ، ٢٥٤ب .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٠ – ٩١ ، ٣٢٨ ، ٣٨٦ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٨٩ .

[٥] عن هذه الحيوانات والطيور وامتلاك سلاطين بني رسول وغيرهم من الناس لها انظر لاحقاً : ص٢٣٣ – ٢٣٤ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٦٢ ؛ الملك المظفر : المعتمد ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٤٣ ، ٢٥٣ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

[٨] عن هذه الأمراض وما ألف فيها من كتب لعلاجها انظر لاحقاً : ص٢٨٧ ، ٤٣٩ .

[٩] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٠٤ – ٥٠٦ .

٣ - الصناعة :

عرفت اليمن في عصر الدولة الرسولية العديد من الحرف والصناعات التي لقيت اهتماماً كبيراً من قبل سلاطين هذه الدولة وعامة الناس ؛ لأهميتها في حياتهم اليومية ، وقد شجّع هؤلاء السلاطين جميع الفئات العاملة في مختلف أنواع الحرف ، لمعرفتهم بأهمية ما ينتجونه من سلع مختلفة ، وما تجنيه خزانة الدولة من ضرائب متعددة تؤخذ على تلك السلع . ولأهمية ما ينتجونه وندرته من تحف فنية أخذ سلاطين بني رسول يتفاخرون بها في قصورهم ودورهم ، كما أخذوا يهدونها لغيرهم من ملوك الدول الأخرى ، وقد سعت الدولة الرسولية إلى تطوير مثل تلك الحرف المتنوعة ، فمدوا المجتمع بخبرات خارجية من العالم الإسلامي وبخاصة من مصر والشام مستعينين بهم في تطوير أنواع الصناعات[١] ، وكان لهؤلاء الصنّاع القادمين من خارج اليمن مكانة كبيرة في المجتمع ، لاسيما من قِبل السلاطين الذين راحوا يوفرون لهم كل ما يحتاجونه من سبل العيش ورفاهيته ؛ بهدف ترغيبهم في الإقامة في اليمن لحاجة المجتمع إليهم وإلى خبراتهم[٢] . وتشير بعض المصادر[٣] إلى أن استقدام الصناع والاعتماد عليهم في استخراج المعادن وتصنيفها عرف في اليمن منذ القدم ، ويبدو أن بني رسول ساروا على نهج من سبقهم في الاستعانة بهؤلاء الوافدين .

وعلى أية حال ، فقد تنوعت الصناعات والحرف التي عرفها الناس في ذلك العصر ، وكان لكل منها مقوماتها الخاصة التي ساعدت على تطويرها واستمرارها ، وأهم هذه الصناعات التي زاولها العديد من أبناء اليمن في عصر بني رسول : الصناعات المعدنية التي ساعد على انتشارها توافر أنواع المعادن في مناطق مختلفة من اليمن[٤] ، وتأتي صناعة الذهب والفضة في مقدمة الصناعات المعدنية ، لما كسبته من شهرة في داخل اليمن وخارجها ، ولما تميز به أبناء اليمن من خبره في هذا المجال[٥] ، ولنا في القناديل المصنوعة من الذهب والفضة الخالصة خير دليل على ذلك إذ كانت ترسل من قبل سلاطين بني رسول إلى مكة لتعلق على باب الكعبة ،

---

[١] العمري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القسم الخاص بمملكة اليمن) ، حققه وقدم له : أيمن فؤاد سيد ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص٣٤ .

[٢] القلقشندي ، أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : نبيل خالد الخطيب ، ج٥ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٣٤ .

[٣] الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد : كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، تح : كريستوفر تول ، تر : يوسف محمد عبدالله ، ط٢ ، مشروع الكتاب ، صنعاء ، ١٩٨٥م ، ص٥٠ ، ١٢٦ .

[٤] الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ . وانظر أيضاً : صفة جزيرة العرب ، ص١٤٨ ، ١٤٩ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٩٩ ؛ ابن الديبع ، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي : نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، تح : أحمد راتب حموش ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص٨٠ - ٨١ .

[٥] الملك المظفر ، يوسف بن عمر بن علي بن رسول : المخترع في فنون من الصنع ، دراسة وتح : محمد عيسى صالحية ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٨٩م ، ص٨٩ - ٩٢ .

وقد اشتهرت في العالم الإسلامي بجودتها ، وكذلك تصفيح باب الكعبة بالذهب والفضة[١] ، كما صنع الناس حلي نسائهم وطرزوا ملابسهم بالذهب والفضة[٢] ، وسكّ بنو رسول عملتهم من الذهب والفضة ، بل إنهم ملكوا كميات كبيرة منها مثلما تشير المصادر التي أرّخت لهذه الدولة[٣] ، ونثروها على الناس والعسكر في المناسبات والأعياد وعقب الانتصارات[٤] ، كما تنوعت وتعددت صناعة الذهب والفضة ، واختلفت استخداماتها في حياة الناس[٥] .

أما الحديد والنحاس فقد كثر استخدام منتجاته في حياة الناس اليومية ، لتوافر معدنه في مناطق اليمن المختلفة ، ومن أهمها جبل حديد القريب من مدينة عدن[٦] ، وقد برزت اليمن بمنتجاتها الحديدية المتعددة الأغراض ، ووضعت الدولة الرسولية لها قانوناً لتنظيم العمل فيها[٧] ، وكانت صناعة الأسلحة الحديدية من أكثر ما اشتهرت به اليمن بعد أن ذاع صيتها في داخل اليمن وخارجه ، وقد تغنى الشعراء بالسيف اليماني وجودته منذ القدم[٨] ، وبالإضافة إلى السيف صنعت من الحديد أنواع الأسلحة الأخرى مثل الرمح والسهم والقوس[٩] .

ولقد كان لتوافر الأحجار الكريمة بأنواعها (الجزع والعقيق واللؤلؤ والمرجان) دور في تنامي صناعتها ، حتى أن الناس زينوا بهذه الأحجار خواتمهم وسلاسلهم وأساورهم وأحزمتهم ، وصنعوا من العقيق بعض أدواتهم المنزلية[١٠] ، ورصعوا بها ملابسهم وأحذيتهم[١١] .

كما كان للثروة الحيوانية التي تميزت بها اليمن دور في ازدهار صناعة المنسوجات وإنتاج مختلف أنواع الأقمشة[١٢] ، كما كان للتطور الزراعي الذي شهدته اليمن دوراً أيضاً في الحصول على أنواع القطن والكتان[١٣] . وتشير المصادر الرسولية إلى أنواع الأقمشة التي

---

[١] الفاسي : الزهور المقتطفة ، ص٩٧ ؛ ابن حاتم :السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٥ ، ١٦٩ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٠٢ .

[٢] عن بعض هذه الحلي انظر لاحقاً : ص٢١١ ، ٣٥٣ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٧ ، ٥٥٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٩ ؛ الكفاية والإعلام ، ق١٢ اب .

[٤] المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تح : جمال الدين الشيال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص٨٤ .

[٥] الهمداني : الجوهرتين العتيقتين ، ص٢٠٢ – ٢٠٤ . وانظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ، ٢٥٠ – ٢٥١ .

[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٥٥ ، ١٠٦ – ١١٠ .

[٧] للمزيد من التفاصيل عن هذه المنتجات ، والقانون المذكور انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٤– ١٧٥ ، ٢٩٠ –٣٠٠ .

[٨] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٣١ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٠٣ – ٢٠٤ .

[٩] انظر : ابن الديبع : نشر المحاسن اليمانية ، ص١٨٨ .

[١٠] للمزيد من التفاصيل عمّا يصنع من هذه الأحجار الكريمة انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٦٦ – ١٦٨ ، ٢٥٠ – ٢٥٢ .

[١١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٣ – ٢٩٤ .

[١٢] محمد عبد الرحيم جازم : دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن ، مجلة الأكليل ، ع (١) ، صنعاء ، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م ، ص١١٦ .

[١٣] الملك الأشرف : ملح الملاحة ، ص٨٢ – ٨٧ ، ١١٧ – ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدت في قصور السلاطين والأمراء ، والتي استخدم فيها أرقى المنسوجات القطنية والحريرية الموشاة بالذهب والفضة ، مستعينين بأفضل صناع الحرير المشهورين في العالم الإسلامي في ذلك العصر[١]، وقد تعددت مناطق صناعة هذه المنسوجات في اليمن ، وتنوعت منتجاتها من برود وثياب ومطارح وفوط وغيرها[٢] ، وزاد من تطور هذه الصناعة توافر الأصباغ المستخرجة من أنواع النبات والمستخدمة في تلوين الأقمشة ، وقد بلغت اليمن شهرة كبيرة في إنتاج الأصباغ وزراعة نباتها ، كنبات الورس والفوة وغيره[٣] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد كان لتوافر أنواع الجلود الحيوانية دور في شهرة اليمن في هذا المجال وتفوقها فيه ، وتعد صناعة الجلود من أقدم الصناعات التي عمل فيها اليمنيون مستخدمين فيها جلود البقر والجمال والغنم والحمير والنمور ، ومنتجين منها أنواع الأحذية والسروج وأدم الكتابة والجلود وزمازم المياه والدروع وغيرها[٤] .

وفضلاً عن ذلك لقيت صناعة الزجاج شهرة كبيرة في اليمن ، ووجدت معامل لتصنيعه في مناطق متعددة كمنطقة لخبة[٥] ، كما اشتهرت بصناعته في العصر الرسولي كلّ من زبيد والمهجم ، حتى أن بني رسول وضعوا قانوناً خاصاً بالصناعات الزجاجية ، سار عليه جميع من عمل في هذه المهنة أو تعامل معها[٦] . أما صناعة الخزف والفخار فقد انتعشت في ذلك العصر وذاع صيتها ، علماً بأن اليمن قد عرفت صناعة الفخار منذ أوقات زمنية سابقة لمدة الدراسة[٧] ، وأوجدت له أسواقاً خاصة لبيعه[٨] ، وبلغت أهمية الخزف اليمني في العصر الرسولي ذروته ، واشتهرت بعض المناطق بصناعته كمدينة حيس ، التي تفاخر سلاطين بني رسول بصناعتها الفخارية ، وأخذوا يتهادون بها مع غيرهم من ملوك الدول المجاورة ، ويرسلونها مع هداياهم الثمينة[٩] . وقد تنوعت المنتجات الفخارية والخزفية التي أبدع في تصنيعها المختصون من أبناء اليمن ، حسب حاجة المجتمع وأفراده ، واستعملوا الألوان

---

[١] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٥٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٢ ؛ ج٢ ، ص٧٣ – ٧٤ ، ١٨٦ .

[٢] عن هذه المنسوجات ومناطق صناعتها انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٧٩ ، ٤٨٦ – ٤٩١ .

[٣] الملك المظفر : المعتمد ، ص٢٦٠ ، ٢٩٢ – ٢٩٣ ، ٤٢١ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص١٤ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٤٢٣ – ٤٢٤ ، ٤٧٣ ؛ الحديثي ، نزار عبد اللطيف : أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د . ت ، ص٤٢ .

[٥] لخبة : قرية بظاهر عدن أبين وضواحيها ، تبعد عن عدن بمسافة فرسخين إلاّ ربع حوالي (٩ كيلو متراً) ، اشتهرت بصناعة الأجر والزجاج ، وبدكاكينها ومعاصرها . ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ الشمري ، محمد كريم إبراهيم : عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦ – ٦٢٧هـ/١٠٨٣ – ١٢٢٩م) ، ط٢ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٤م ، ص٧٨ .

[٦] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠١ – ٣٠٩ .

[٧] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٩ ؛ الإكليل ، ج١ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، مط : السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٢٧٤ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٦٨ ، ٢٣٢ .

[٨] ابن المجاور : المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٢ .

[٩] الحداد : مدينة حيس اليمنية ، ص٤٩ – ٥٢ .

المختلفة لتشكيلها ، مكونين بذلك تحف فنية ذات أشكال جميلة ، عرفت بندرتها ورونقها عبر العصور[١] . كما نلاحظ إبداع الصانع اليمني في العصر الرسولي من خلال تشكيله للأحجار ونحتها ، مكوناً بذلك أشكالاً مختلفة من الأوعية والأدوات المنزلية ، مثل القدور بأحجامها والمقالي والدسوت والسراج الحجري المستعمل في الإضاءة وغيره من الأدوات المنزلية[٢] .

لقد كان لتوافر مقومات الصناعة دور في تطورها واستمرارها عبر العصور ، ولنا في الصناعات الخشبية المتداولة في ذلك العصر خير دليل على ذلك ، حيث عرفت اليمن أنواع الأخشاب[٣] . مما ساعد على نمو هذه الصناعة ، وقد زاد من ازدهارها ما وصل إليه الحرفي اليمني من خبرة في جانب الخرط والزخرفة الخشبية[٤] التي تميزت بها اليمن ، كزخرفة التوابيت وأبواب القصور والمدارس والمساجد وسقوفها[٥] ، وكانت أهم المنتجات الخشبية في العصر الرسولي : المنابر[٦] والمحامل والصناديق والكراسي والأسرّة ، وبعض أنواع الأسلحة كالمنجنيقات وأنواع النشاب[٧]. كما صنع الحرفي اليمني من الخشب القوارب المتنوعة الأشكال والأحجام ، المستخدمة في الصيد والسفر ونقل البضائع التجارية المختلفة ، وفي الأغراض العسكرية[٨] وتعددت أسماؤها ، وكانت مدينة عدن من أهم مراكز صناعتها[٩] .

وقد كان لصناعة آلات الطرب رواجا في العصر المذكور لانتشارها واستخدامها على مستوى واسع في حياة سلاطين بني رسول[١٠] وغيرهم ، وتذكر المصادر العديد من تلك الآلات التي تبين لنا المستوى الذي وصلت إليه اليمن في هذا المجال[١١] .

وزيادة على ذلك ، عرفت اليمن صناعات أخرى بالغة الأهمية في حياة الناس ، كصناعة العطور التي ساعد على تطورها توافر أنواع الورد والنباتات العطرية الأخرى والعنبر[١٢] ،

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٤ – ٥٥ ، ٢٠٨ – ٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص٤٩ – ٥٠ ، ٢٥٨ – ٢٥٩ .

[٣] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٣ ، ٨١ ؛ نور المعارف ، ج١ ، ص٢٩ – ٣٠ ، ٣٢ .

[٤] عن الخرط والعاملين فيه انظر لاحقاً : ص١٧٧ .

[٥] ربيع حامد خليفة : الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص١٤٥ – ١٤٧ ، ٩٨ – ١٠٣ .

[٦] السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ج١ ، تح : محمد الثقفي ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص٦٠ ، ٣٨٥ – ٣٨٦ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٩ – ٣٣ ، ٢٣٢ – ٢٣٨ ؛ الملك المظفر : المخترع ، ص١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٥٦، ١٥٨ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٩ – ٢١٢ ؛ شهاب ، حسن صالح : أضواء على تاريخ اليمن البحري ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص٢٥٧ – ٢٦٩ .

[٩] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٨٤ – ١٨٦ ؛ ٢٧١ .

[١٠] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٥ .

[١١] عن تلك الآلات انظر لاحقاً : ص١٧٢ – ١٧٣ .

[١٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨١ – ٨٢ ؛ ج٢ ، ص١٩٢ ؛ الملك المظفر : المعتمد ، ص٢٦٨ ، ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانتشار الأسواق الخاصة بها ، لرواج تجارتها في ذلك العصر في بعض المدن كمدينة عدن[١] . كما صنع من سعف النخيل والخيزران العديد من المنتجات التي يستخدمها الناس في منازلهم مثل البسط والحصيرة والمكانس[٢] . وعرفت اليمن صناعة الشموع ذات الأشكال والألوان المختلفة التي تستخدم للإضاءة ، وأوجدت لها معامل خاصة لتصنيعها ، وكانت زبيد من المناطق التي وجدت فيها مثل هذه المعامل التي صنعت فيها أنواع الشموع ، كالشمعة الكافورية والملوكية السلطانية ذات المواصفات الخاصة ، والتي لا تصنع إلاّ لسلاطين بني رسول ونسائهم[٣] ، كما عرفت اليمن صناعة الصابون[٤] ، وصناعة السكر الذي اشتهرت بزراعته ، وكانت له مصانع خاصة تسمى المسابك تميزت ببساطتها[٥] . وقد ساعد توافر السكر على وجود صناعة الحلويات التي تميزت بها اليمن منذ القدم[٦] ، إضافة إلى صناعة الكعك وتطورها عبر العصور ، ليصبح عصر بني رسول من أشهر العصور المعروفة بصناعة أجود أنواع الحلويات[٧] .

أما الخمور فقد وجدت لها معاصر خاصة في بعض المدن اليمنية ، وقد ساعد على وجودها توافر التمور والبر وغيره من الأشياء المستخدمة في صناعتها ، وأصبح تعاطيه على مستوى واسع في العصر المذكور[٨] ، كما وجدت معاصر خاصة بالزيوت التي اشتهرت بها اليمن منذ القدم[٩] ، وانتشرت تلك المعاصر في عصر بني رسول بشكل كبير في العديد من المدن اليمنية كمدينة عدن و زبيد ، وأوجدت لها أسواقاً خاصة عرفت بأسواق المعاصر[١٠] . وقد كان لحركة تأليف الكتب في ذلك العصر وانتشارها ، وانتعاش عملية نسخ الكتب دور في ظهور صنعة تجليد الكتب التي اشتهرت بها بعض المدن اليمنية كمدينة زبيد وعدن ، لاسيما وأن الدولة الرسولية نظمت هذه الصنعة ، ووضعت لها قانوناً للتعامل مع المشتغلين فيها[١١] .

خلاصة القول ، إن جميع الصناعات التي وجدت في عصر بني رسول ارتبطت بشكل كبير بمتطلبات الناس ، وذلك لخلق حالة من الاكتفاء الذاتي لهم ، وتصدير الفائض إلى الخارج ، مما أدى إلى انتعاش الحركة التجارية الداخلية والخارجية مع بقية أقطار العالم والإسلامي .

---

[١] بامخرمة ، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، مط : بريل ، ليدن ، ١٩٣٦م ، ص٤٩ .

[٢] للمزيد من التفاصيل عمّا يتم صناعته من سعف النخيل والخيزران انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٣ – ٣٥ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٢ ؛ ٣١٥ – ٣٢٠ .

[٤] عن كيفية صناعة الصابون في عصر بني رسول . انظر : الملك المظفر : المخترع ، ص١٩٨ – ٢٠٠ .

[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٠٢ – ١٠٥ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٥ .

[٦] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٣١٦ – ٣١٧ .

[٧] نور المعارف ، ج٢ ، ص١ ، ٣ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٥ ؛ ج٢ ، ٥٣٠ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ – ٨٦ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٥٠٤ ، ٥٠٥ .

[٩] المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مط : بريل ، ليدن ، ١٩٠٦م ، ص٨٦ .

[١٠] ابن الديبع ، عبد الرحمن بن علي : بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ١٠٠ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٢٢ .

[١١] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٢٤ – ٣٢٩ ؛ الملك المظفر : المخترع ، ص١٠٣ – ١١٩ .

٤- التــجارة :

شهدت اليمن حركة انتعاش تجارية كبيرة ، ساعد في أحيائها موقع اليمن الجغرافـــي المهم في الجزء الجنوبي الغربي لمدخل البحر الأحمر ، وتحكم اليمن بموقعها هذا المعــروف بمضيق باب المندب بخطوط التجارة العالمية القادمة من مصر وغيرها ، والسفن القادمة مــن الهند والصين والساحل الشرقي لإفريقيا ، وأصبحت اليمن ملتقى لجميع تلك الســفن التجاريــة التي كانت ترسو ببضائعها في ميناء عدن لتصريفها داخليــاً أو لإعادة شحنها إلى الخارج[١] .

وقد توافرت العديد من المقومات التي ساعدت على تطور اليمن تجارياً وأهمها : اهتمام سلاطين بني رسول بالطرق التجارية البرية التي تربط اليمن بغيرها من الأقطار أو تلك التـــي تربط مدن اليمن ببعضها ، وخصصوا لهذه المهمة غلمان أطلق عليهم اســم القراغلاميــة[٢] ، مهمتهم حراسة الطرقات التي تسلكها القوافل التجارية ، ودفعت لهم الرواتب لذلك[٣] ، كما أخذ بنو رسول في محاربة سفن القراصنة الذين كانوا يهاجمون السفن التجارية القادمة إلى مينــاء عدن[٤] لنهب ما تحمله من البضائع والهروب بها إلى بعض الجزر اليمنية كجزيرة سقطرى[*] التي اتخذ منها القراصنة مقراً لهم[٦] ، وقد أرسل الدولة الرسولية السفن الحربية لمحــاربتهم ، وسعى في محاربتهم أيضاً إلى جانب الدولة سكان المناطق الساحلية[٧] ، وفي الوقت نفسه سعت الدولة إلى تقديم التسهيلات لجميع التجار اليمنيين والتجار القادمين من الخارج ، وأعفتهم مــن بعض الضرائب المفروضة على بضائعهم ، بل ومدتهم بمختلف أنواع الهدايا لترغيبهم في القدوم إلى اليمن[٨] ، ولنقل صورة طيبة عن حسن المعاملة في اليمن لبقية التجار في الخارج ، كمــا ساعد على تواصل تجار اليمن بالعالم الخبرة التي وصل إليها البحارة اليمنيون في التعامل مع طرق التجارة البحرية والبرية ومعرفتهم النجوم والمواسم وحركة الملاحة واتجاه الرياح ، وحركات المد والجزر البحرية وغيرها من الأمور التي يتطلب أن يعرفها النواخيذ والبحارة[٩] .

---

[١] محمد أمين صالح : تاريخ اليمن الإسلامي ، ص٢٠٨ ؛ الجوهري ، يسري وآخرون : جغرافية العالم الإسلامي ، مط : الجهاد ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م ، ص١٩٣ ، ٢٠٨ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٤ ؛ ج٢ ، ص١٣٨ .

[٣] البقلي ، محمد قنديل : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٢٧١ .

[٤] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٢٢ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٢٩٠ – ٢٩١ .

[*] سقطرى : أكبر جزر اليمن تقع في المحيط الهندي بمحاذاة الساحل الشرقي الإفريقي وخليج عدن ، وهي على بعد (٤٠٠ كيلو متراً) من الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ، وتقع على الطريق التجاري إلى الهند ، وتسيطر على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، القاهرة ، د . ت ، ص١٧ ؛ البــار ، محمد علي : سقطرى الجزيرة الساحرة ، مط : العصر الحديث ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص٩ .

[٦] Hedy ,W , *Histoire du commerce du levant au moyen age* , tome 2 , Leipzig , 1925 , pp 34 - 36

[٧] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٩٠ – ٢٩١ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢١ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٦ أ – ب .

[٩] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١١٧ ؛ شهاب ، حسن صالح : فن الملاحة عند العرب ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أدى التطور الذي شهدته اليمن في عصر بني رسول إلى ظهور عدد من الأسواق التجارية التي اكتظت بأنواع البضائع المحلية والمستوردة من الخارج ، وكانت مدينة عدن وميناؤها[١] ، وزبيد وغيرها من أهم المدن التي اشتهرت بأسواقها التجارية الحية[٢] .

بعبارة أخرى فقد تعددت صادرات البضائع التجارية التي حملت من أسواق اليمن عبر ميناء عدن إلى موانئ الدول المجاورة لها ، كما تنوعت واردات البضائع الداخلة إلى ميناء عدن من تلك الدول ، وتذكر بعض المصادر الرسولية تفاصيل بأسماء هذه البضائع ؛ وما يؤخذ عليها من ضرائب وعشور[٣] ، كما تذكر أيضاً أسماء بعض هذه البضائع المعفية ، لاسيما المواد الغذائية الضرورية المرتبطة بحياة الناس[٤] .

لقد شكلت الضرائب التي تؤخذ على البضائع التجارية الواردة والصادرة أهم مصادر الدخل التي اعتمدت عليها خزانة الدولة الرسولية ، وكان لتلك الأموال دور في تمويل الجيوش وإعدادها ، وبناء قصور بني رسول ، وتعمير المدارس والمساجد والحصون ، وشراء الهدايا والتحف ولوازم وحاجيات الدولة ، وصرف رواتب الموظفين وغيرها[٥] ، وقد كان من أسباب ضعف الدولة الرسولية وانهيارها حركة الركود التي تعرضت لها التجارة بسبب تغيير السفن خط سيرها إلى موانئ أخرى في البحر الأحمر كميناء جدة ، وضعف دخل الدولة من الضرائب وعجز خزانتها عن الإيفاء بالتزاماتها المفروضة عليها .

والخلاصة ، أن اليمن في العصر المذكور شهدت حركة انتعاش تجارية كبيرة ، بذلت الدولة لأجل استمرارها الكثير ، لعلم سلاطينها بالفائدة المالية التي تجنيها من وراء عشور البضائع ، وقد انعكس ذلك على المجتمع اليمني الذي ناله نصيب من تلك العشور بإنشاء المدارس والمساجد ودور الأيتام وغيرها من المشاريع التي قام بها بنو رسول واستفاد منها جميع الأهالي خلال ذلك العصر .

---

[١] انظر : باوزير ، خالد سالم : ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م ، ص٢٧ – ٣٧ .

[٢] عن بعض هذه الأسواق انظر لاحقاً : ص١١٦ – ١١٧ ، ١٨٣ – ١٨٤ .

[٣] حول حركة الصادر والوارد في ميناء عدن . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٦١ – ٤٩١ ، ٤٩٥ – ٥٠٧ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٢ – ١٤٣ ؛ الشمري : عدن ، ص٢٦٥ – ٢٦٨ .

[٥] عليان : الحياة السياسية ، ص١٨٤ – ١٨٥ ؛ الحسن محمد ربيع خليل : بلاد اليمن في عهد الملك الأشرف الثاني إسماعيل ابن العباس الرسولي (٧٧٨ – ٨٠٣هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة المنيا ، المنيا ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص١٨٩ – ١٩٠ .

الفصل الأول

العناصر المكونة للسكان

أولاً – أهم العناصر المكونة للسكان :

١– القبائل اليمنية :

أ – أهم القبائل اليمنية في عصر بني رسول

ب – عوامل ترابط القبائل اليمنية ببعضها

ج – أثر القبيلة على حياة الناس الاجتماعية

٢ – القادمون إلى اليمن :

أ – الغز

ب – الأكراد

ج – المماليك

د – الأحباش

هـ – الفرس

و – عناصر أخرى

ثانياً – التباين السكاني للناس في اليمن :

١ – سكان المدينة

٢ – سكان الريف والبوادي

أولاً – أهم العناصر المكونة للسكان :

ضمَّ المجتمع في عصر بني رسول فئات متعددة لطبقات اجتماعية مختلفة تباينت في مستواها الاجتماعي وعلاقاتها العامة ، وكان لكل منها طابعها الخاص الذي ميّزها عن غيرها ، مكونة بذلك فروقاً اجتماعية جعلت لكل منها مكانته وترتيبه في هذا المجتمع ، حتى أن المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية أكدت هذه الفروق[١] .

وقد أدت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية والدينية إلى وجود هذه الفئات ، بل وكان للتعقيدات التي شهدتها الحياة العامة دور في زيادة عددها والتفريعات المكونة لها[٢] ، معطية لكل فئة صفاتها المميزة لها ، وعلى الرغم من تشابه بعض هذه الصفات ، إلا أن هنالك فروقاً متعددة جعلت لكل منها طابعه الخاص .

ومن المسلَّم به ، أن أي مجتمع من المجتمعات البشرية لا بد له من وجود عناصر اجتماعية مكونة له ، كما تتشعب هذه العناصر إلى طبقات رئيسة ، تتفرع عنها تقسيمات داخلية تزيد غالباً من تعقيدات حياة الناس الإجتماعية ، وقبل الخوض في دراسة الطبقات التي عرفت في عصر بني رسول لا بد لنا من معرفة العناصر الرئيسة المكونة لهذه الطبقات ، لمعرفة الجذور الأساسية للمجتمع ، حيث نلاحظ أن هناك عنصرين رئيسيين كانا يشكلان الأساس لجميع فئات الطبقات التي عرفها المجتمع ، وهما :

١ – القبائل اليمنية :

شكّلت القبائل الغالبية العظمى من سكّان اليمن ، والسواد الأعظم من السكان الأصليين ، فتكوّن المجتمع وتشعّب وتفرّع عن هذه القبائل ، مكوناً بذلك فروعاً مختلفة من أصل القبيلة الواحدة ، وقد توزّعت هذه القبائل في سكنها بين المناطق الجبلية والمناطق الساحلية والتهامية[٣] ، في حين قلّ سكن هذه القبائل في المناطق الصحراوية[٤] ، وقد اختلفت هذه القبائل من حيث الاستقرار والتحضّر والبداوة ، فغلب الاستقرار على بعض قبائل الجنوب وسهول تهامة الذين كانوا يمارسون الزراعة ويدينون بالولاء للسلطة الحاكمة ، في حين غلب طابع البداوة على بعض القبائل القاطنة في المناطق الجبلية حيث التعصب للقبيلة والولاء للمشائخ[٥] . وقد شجعت طبيعة اليمن الجغرافية ، التي تسمح بالتجمع البشري في منطقة واحدة ، على نموّ الحياة القبلية

---

[١] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٨٤ ، ٤٤١ ؛ ج٢ ، ص١٢٧ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٠٥ب ، ٢٥٥ب .

[٢] النقيب ، خلدون حسن : المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف ، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص١٢٥ – ١٣٦ .

[٣] الظاهري ، محمد محسن : الدور والسياسي للقبيلة في اليمن (١٩٦٢ – ١٩٩٠م) ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٦٧ .

[٤] سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥م) ، ط٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٢٩ . لم يتغير نمط حياة القبائل اليمنية منذ القدم وحتى العصر الحديث لاسيما في سكنها وأسلوب حياتها ومعيشتها .

[٥] حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن ، ص٤٥٣ .

واستمرارها[١] . وعلى الرغم من كثرة عدد هذه القبائل وتفرّعاتها ، إلاّ أننا نلاحظ بروز بعض القبائل وخمول البعض الأخر ، حتّى أصبح لكل دولة قامت في اليمن رجالها وقبائلها البارزة اجتماعياً ، في حين يقل دور هذه القبائل أو ينتهي بانتهاء الدولة وزوالها[٢] . وسنحاول استعراض أهم القبائل البارزة والفاعلة في ذلك العصر وعوامل ترابطها :

أ – أهم القبائل اليمنية في عصر بني رسول :

شهدت اليمن بروز كثير من القبائل التي أصبح تاريخها ممزوجاً بتاريخ بني رسول ، وقد كان لهذه القبائل مواقف مناوئة للدولة التي كثيراً ما تضرروا منها ، فأخذوا في التعبّير عن وجهة نظر الناس بتمردات كثيراً ما أثرت على أوضاع اليمن ، باعتبار هذه القبائل جزءاً لا يتجزأ من المجتمع ، وتذكر المصادر الرسولية[٣] أسماء هذه القبائل وتقسيماتها الداخلية وأهمها :

- **قبائل الأزد**[٤] : وهي من أهم قبائل اليمن وأكثرها شهرة ، استوطن بعضها منطقة مأرب[٥] ، وقد تفرع عنها عدد من القبائل أهمها : قبائل غسان[٦] ، وقبائل عك[٧] التي تعد من

---

[١] غزالي ، نصاري فهمي محمد : المظاهر السياسية والحضارية في اليمن في العهد الأيوبي ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٢٤٣ .

[٢] برز في عصر الدولة الأيوبية التي قامت في اليمن (٥٦٩ – ٦٢٦هـ / ١١٧٣– ١٢٢٨ م) عدد من القبائل التي أدت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية ، كقبيلة جنب وعنس وهمدان وغيرها ، بينما نلاحظ ضعف دور هذه القبائل وإغفال المصادر ذكر بعضها كقبيلة جنب في العصر الرسولي ، حتى أنه لم يعد لها ذكر . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٧ – ٢٨ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٦٨ – ٢٦٩ ، ٢٧٢ ؛ جميل حرب محمد حسين : الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط٢ ، دار تهامة ، جدة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٤ .

[٣] الملك الأشرف ، عمر بن يوسف بن رسول : طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . د . ستر ستين ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٤٦ – ٧٧ .

[٤] تنسب قبيلة الأزد إلى مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان ، وقد خرجت من اليمن بعد تهدم سد مأرب إلى الشام . المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، مج ٢ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص١٠٦ – ١٠٩ ؛ البكري ، عبد الله بن عبد العزيز : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج١ ، تح : مصطفى السقاء ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٧٥ ؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد : جمهرة أنساب العرب ، مراجعة وإشراف الناشر : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص٣٣٠ .

[٥] مأرب : مدينة تقع إلى الشرق من صنعاء على مسافة (١٧٠ كيلو متراً) . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٤٨ .

[٦] عن السبب الذي دفع بني رسول إلى نسب أنفسهم إلى قبائل غسان انظر لاحقاً : ص٦٠ .

[٧] هناك خلاف حول نسب عك ، إذ تنسبه بعض المصادر إلى عدنان بن مالك بن زيد بن الأزد من كهلان القحطانية . القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، الشركة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٣٦٧ ؛ أبو علامة ، عز الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن المؤيد : روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الطلاب ونخبة الأحساب لمعرفة الأنساب ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (١٠٨٣) ، القاهرة ، ق١٦أ . في حين تعيدهم بعض المصادر إلى قبائل شمال جزيرة العرب من العدنانية التي هاجرت إلى تهامة لتستقر فيها ، وقد تزوجوا من أهل اليمن واختلطوا بهم . ينظر : ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص١٨ – ١٩ . وتشير بعض المصادر إلى ذلك الخلاف بشكل واضح . انظر : الحميري ، نشوان بن سعيد : منتخبات في أخبار اليمن ، عنى بتصحيحه : عظيم الدين أحمد ، ط٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٧٤ ؛ السويدي ، أبو الفوز محمد أمين البغدادي : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص٢٧٩ .

أهم القبائل التي قامت بدور كبير في تاريخ الدولة الرسولية لاحتلالها مكانة كبيرة وقتئذ ، وقد تفرعت عنها قبائل عديدة أهمها : المعازبة[١] ، والرماة ، والمقاصرة ، والصميون ، والكعبيون ، والأهمول ، والبجليون ، واللاميون ، والزعليون ، والاقحور ، والزيديون ، والحجبة ، والمنسكيون ، والخبثاء ، والجرابح ، والواعظات ، والعسالق ، وغنم ، وقد سكنت هذه القبائل في منطقة تهامة ، واستقر بعضها في مدنها وقراها المختلفة كمدينة زبيد[٢] والكدرا[٣] .

• – **قبائل الأشاعر**[٤] : وقد تفرع عنها عدد من القبائل التي أثّرت على سير الأحداث خلال المدة موضوع الدراسة وأهمها : القرشيون ، والركب ، وبنو سليمان ، وبنو ثابت ، والزواقر[٥] ، وتأتي هذه القبائل بعد قبائل عك من حيث التأثير القبلي والاجتماعي داخل تهامة في عصر بني رسول ، حتى أنها خالطتها وخالطت غيرها من القبائل السكن في تهامة ، فسكن بعضها زبيد والكدرا والقحمة ، وتوزع بعضها على قرى وبوادي منطقة تهامة[٦] .

• – **قبائل مذحج**[٧] : ومن أهم قبائلها التي أثرت على سير الأحداث في العصر الرسولي : عنس ، وبنو الحارث ، ومراد ، وعبس ، وجنب ، وبنو عبيدة ، وبنو سيف من مراد ، والجحافل ، والعجالم وغيرهم[٨] . وقد استوطنت بعض هذه القبائل منطقة ذمار وما

---

[١] اختلف المؤرخون حول نسب قبيلة المعازبة فالبعض يعيدهم إلى الأشاعر . الحجري : مجموع ، ج٣ ، ص٦٣٦ . بينما ينسبهم البعض إلى عك ، ويبدو أنه النسب الصحيح . انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٩. وتطلق عليهم بعض المصادر اسم الزرانيق . المعلم وطيوط ، حسين بن إسماعيل : تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوط مصور بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير رقم (١٧٣) ، جامعة صنعاء ، " تاريخ " ، ق٥٠أ . ويبدو أن الزرانيق فرع من المعازبة .

[٢] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٥٣ – ٥٤ ، ٨٣ – ٨٤ .

[٣] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٦ – ٩٧ ؛ المَذْحِجـي ، جمال الدين محمد بن علي : رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة زبيد باليمن ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة رقم(١٦٦٠) ، القاهرة ، ق٢أ.

[٤] ينسب الأشاعر إلى الأشعر (نبت) بن أدد بن عريب بن زيد بن كهلان من قحطان ، ولقب بالأشعر لأنه ولد وجسمه كله شعر . ابن الكلبي ، أبو هشام بن محمد بن السائب : نسب معد واليمن الكبير ، ج١ ، ط١ ، تح : ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٣٢٩ ؛ ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن : الاشتقاق ، ط١ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مط : المدني ، القاهرة ، د . ت ، ص٣٩٧ ؛ الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : الإكليل ، ج١٠ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٩٠م ، ص٣٠ ؛ ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، ج٧ ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م ، مادة (شعر) ؛ السويدي : سبائك الذهب ، ص١٢٥ ؛ أبو علامة : روضة الألباب ، ق١٧ أ .

[٥] انظر : الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٦٦ – ٦٧ .

[٦] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٦ – ٩٧ . وانظر : ابن الديبع : نشر المحاسن اليمانية ، ص٢٠٥ – ٢٠٧ .

[٧] تنسب قبيلة مذحج إلى عريب بن زيد بن كهلان . الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب : الإكليل ، ج٢ ، ط٣ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٥١ – ٥٢ ؛ الحجوري ، يحيى بن سليمان بن أبي الحفيظ : روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكت الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار المعروف بروضة الحجوري ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة رقم (١٠٨١) ، القاهرة ، ق٢٣٢ب ، ٢٣٤ب ؛ الحازمي ، أبو بكر محمد بن أبي عثمان : عجالة المبتدأ وفضالة المنتهى في النسب ، تح : عبد الله كنون ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٤٦ ، ٨٣ .

[٨] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٦٤ – ٦٥ .

جاورها[١] ، في حين استقر بعضها كالجحافل والعجالم كافة في منطقة أبين ولحج ، واستقر جزء منها فيما بين أبين ودَثِينَة[٢] ، وسكن بعضهم في المناطق القريبة من عدن[٣] .

• – **قبائل كندة**[٤] : وتفرع عنها : السكاسك ، والسكون ، والصدف ، وتجيب ، والعوادر من السكاسك[٥] . وقد سكنت قبيلة كندة في منطقة حضرموت ، وسكنت بطون من السكاسك كالعوادر في الجند ، واستقر بعضها في منطقة المَعَافِر[٦] .

• – **قبائل همدان**[٧] : وهي من القبائل التي عُرفت بمكانتها في عصر بني رسول ، وقد أكسبتها مواقفها ثقلاً قبلياً واجتماعياً ، وتفرعت عنها عدد من القبائل أهمها : حاشد ، وبكيل ، وأرحب ، وحجور ، والأهنوم ، ونهم ، وشاور ، ويام ، وجشم ، وهيرة ، وسفيان ، وذيبان ، وبنو وهيب[٨] . وقد سكنت همدان في مناطق متفرقة من اليمن كالمنطقة الممتدة من شمال صنعاء إلى صعدة والتي استوطنت فيها أهم قبائلها : حاشد وبكيل ، رغم وجود حدود تاريخية لكل منها[٩] ، واستقر بعضها في شرق نجْرَان[١٠] ، وفي منطقة المَعَافِر والقحمة حضرموت[١١] .

• – **قبائل حمير**[١٢] : وانقسمت إلى فرعين ، الأول وأهم قبائله : خولان ، ومهرة ، ومجيد ، وسنحان ، ونهد ، والعبادل ، وبنو شهاب ، والعقارب[١٣] . والأخر وأهم قبائله : ذو

---

[١] الحجري : مجموع ، ج١ ، ص٦٩ ؛ ج٢ ، ص٣٤٦ – ٣٤٧ .

[٢] دَثِينَة : منطقة معروفة شمال شرق محافظة أبين ومركزها مودية . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١١٦ .

[٣] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص١٣٦ – ١٤٠ ؛ لقمان ، حمزة علي : تاريخ القبائل اليمنية ، ط١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٢٤٥ – ٢٤٨ .

[٤] تنسب قبائل كندة إلى أدد بن زيد بن عريب بن كهلان . الهمداني : الإكليل ، ج١ ، ص٣٥٨ ؛ القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٧١ .

[٥] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٦٤ .

[٦] المَعَافِر : بطن كبير من حمير سكنت المنطقة المعروفة بالحجرية . بامطرف ، محمد عبد القادر : الجامع : جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلها ، ج٤ ، ط٢ ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٣م ، ص١١٣ – ١١٤ ؛ الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد : اليمن في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧م ، ص٢٣ . وعن بقية المناطق التي استقرت فيها قبائل كندة انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٩٤ .

[٧] همدان قبيلة كبيرة تنسب إلى مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان . الهمداني : الإكليل ، ج١٠ ، ص٣٥ – ٣٦ ؛ القلقشندي : قلائد الجمان ، ص٩٩ .

[٨] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٤٧ .

[٩] الدواري ، محمد بن أحمد بن علي بن موسى : رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة صعدة باليمن ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة رقم (١٦٦١) ، القاهرة ، ق١أ – ب ؛ الحجري : مجموع ، ج٤ ، ٧٥٢ ، ٧٥٨ – ٧٥٩ ؛ المروني ، محمد بن عبد الملك : الثناء الحسن على أهل اليمن ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص٤٥ ، ٥١ – ٧٨ .

[١٠] نَجْرَان : صقع معروف بالجهة الشرقية الشمالية من صعدة على بعد (١٠٠ كيلو متراً) تقريباً . الويسي : اليمن الكبرى ، ص١٣٣ .

[١١] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٦ – ٩٧ ، ١٩٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ .

[١٢] هو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص٣٢٩ ، ٤٣٣ ؛ الحميري ، نشوان بن سعيد : ملوك حمير وأقيال اليمن ، تح : إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص١٥ ؛ الحزمي : عجالة المبتدأ ، ص٨٣ .

[١٣] يعود نسب القبائل المذكورة إلى قضاعة بن حمير . انظر : الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٥١ ، ٧٨ .

أصبح ، وحضرموت ، ووصاب ، والأشعوب ، والسحول ، وبعدان ، والشوافي ، والشعر ، وشرعب ، ورعين (يريم)[١] الذي يتفرع عنه : بنوجعدة ، وذبحان ، وجيشان ، ويافع[٢] . وقد سكنت قبائل حمير ببطونها في المناطق الممتدة من وسط هضبة جنوب صنعاء حتى عدن ، كبطون : ذو أصبح والمعافر والسحول ولحج ورعين وغيرها ، في حين نزلت بطون أخرى من حمير في غرب الهضبة كبني مجيد ووصاب وغيرها ، وفي شرقها توزعت قبائل يافع وعنس وأبين ورداع[٣] . وانقسمت خولان (أهم قبائل حمير) في سكنها إلى خولان العالية بشرق صنعاء إلى مأرب ، وخولان قضاعة التي استوطنت صعدة[٤] . وسكنت قبيلة نهد حضرموت ، وفي شرق حضرموت سكنت بعض قبائل حمير كقبائل مهرة التي استقر بعضها في جزيرة سقطرى ، واستقرت بعض قبائل حمير في منطقة المَعَافِر والجَنَد[٥] ، كما عاش بنجران أقوام من حمير وكهلان[٦] .

وعلى الرغم من استقرار هذه القبائل في مناطق مختلفة ، ومخالطة بعضها البعض في السكن وتداخلها فيه[٧] إلاّ أن هناك ميزة عمت اليمن وهي أن تسمى بعض المناطق بأسماء من سكنها من هذه القبائل ، وهو ما عرفته اليمن منذ القدم[٨] ، وتشير المصادر الرسولية إلى مناطق كثيرة سميت بأسماء ساكنيها من القبائل التي أدت دوراً في الحياة الاجتماعية والقبلية ، كمنطقة القرشية والقحرية والمقصرية والعسقلية والحجبية والغانمية والمنسكية في تهامة[٩] ، إضافة إلى

---

[١] وينسب هذا الفرع إلى الهميسع بن حمير بن سبأ بن قحطان . الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٥٠ – ٥١ ؛ الجرافي ، عبد الله عبد الكريم : المقتطف من تاريخ اليمن ، تقديم : الياس عبود ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٣٢ – ٣٣ .

[٢] الهمداني : الإكليل ، ج٢ ، ص١٥١ ، ٢٩٨ – ٣٠١ ؛ السمعاني ، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي : الأنساب ، ج٥ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٦٧٥ – ٦٧٦ . وانظر : بيضاني ، إيمان محمد عوض : صنعاء في كتابات المؤرخين الجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع من ٢٠٠ – ٤٠٠هـ ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م ، ص١١٤ – ١١٥ .

[٣] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٤ – ١٠٢ ، ١١٦ – ١٤٧ ، ١٧٢ – ١٧٥ ؛ الحديثي : أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص٣٨ – ٣٩ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤٥١ .

[٤] الهمداني : الإكليل ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ ابن عبد البر ، يوسف بن عبدالله : الأنباه على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص١١٧ ؛ الحميري : منتخبات في أخبار اليمن ، ص٩ .

[٥] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٩٢ ، ١٦٥ – ١٧٢ ، ١٩٥ – ١٩٦ ؛ الحجري : مجموع ، ج٤ ، ص ٦٦٧ ، ٧٢٥ .

[٦] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٨ ؛ النجدي ، محمد البسام التميمي : الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب) ، تح : سعود بن غانم الجمران العجمي ، ط١ ، د . ن ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٣٥ – ٣٩ .

[٧] السروري ، محمد عبده محمد : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ /١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٦٥٤ .

[٨] الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص١٦٥ – ١٦٦ .

[٩] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٨٣ – ٨٤ .

العوادر وعنس وهمدان ووصاب والشعر وغيرها[١] . ويبدو أن هذه الظاهرة كانت أكثر انتشاراً في عصر بني رسول لقول الملك الأشرف[٢] عن هذه القبائل : " وبهم سميت مواضعهم " .

ب – عوامل ترابط القبائل اليمنية ببعضها :

شكلت القبيلة أكبر وحدة اجتماعية في المجتمع ، لِمَا كان يربط بين بطونها وفخائذها وعشائرها من علاقات وصلات وثقتها المصالح المشتركة التي جمعت بينهم ، وهناك عاملان رئيسيان يعدان الأساس في الترابط بين هذه القبائل وهما :

• – عامل القُرْبَـــي :

يقوم هذا العامل على فكرة وحدة الدم والنسب ، باعتبار أن جميع القبائل يجمعها جد واحد ، وأنها عبارة عن أسرة واحدة يتفرع منها فروع عدة[٣]. وإذا بحثنا عن الأساس الأول في أصل القبيلة نجد فعلاً أن الأسرة هي البذرة الأولى لأي تجمع قبلي ، إذ أن ترابط مجموعة من الأسر ذات الدم مع بعضها قد وثّق تماسكها[٤] وكوّن الفخيذة التي تتكون منهـــا العشــيرة ومن ثَم القبيلة التي أساسها الأسرة[٥] .

وتورد لنا المصادر الرسولية العديد من المواقف التي تبــين لنـــا مـــدى التماســك والتلاحم الذي كان قائماً بين القبائل ذات الدم والنسب والجد الواحد في عصر بني رســـول ، والذي أدى إلى قوة العصبية القبلية التي فرضها الوضع الاجتماعي القائم في ذلك الحين على مناصرة ذوي القربى ظالماً كان أو مظلوماً ، فكانت الحمية والنجدة بين أفراد القبائـــل التـــي تربطها علاقات قرابة لأي حدث كان ، ولم تقف القبيلة موقف المتفرج إذا ما تعرضت أختها لموقف عدائي من السلطة المركزية أو من أي قبيلة أو جهة معادية أخرى ، ولنا في موقف بني حَاتِم[٦] أنصار السلطان المظفر يوسف الأول ثاني سلاطين بني رسول خير دليل على تماسك المجتمع ووحدة قبائله ووقوفها إلى جانب أبنائها ، وذلك بعد أن طلب الأمير علم الدين الشـــعبي والي صنعاء من قِبَل المظفر من قوم من همدان كانوا قد عمروا حصن بيت أنْعم[٧] تســليمه سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م ، وكان بنو حاتم في خدمة المظفر ومناصرين له في هذا الموقف ضد أبناء عمومتهم الهمدانيين ، ولكنهم ثاروا وأعلنوا خلافهم عندما أراد الأمير علم الدين إخراجهم

---

[١] انظر : الحجري : مجموع ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ ج٢ ، ص٢٧٦ ، ٣١٢ – ٣٢١ ؛ ج٣ ، ص١٦٣ ، ٤٥٤ .

[٢] طرفة الأصحاب ، ص ٨٤ .

[٣] الرافعي ، مصطفى : الإسلام نظام إنساني ، مط : شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص٧ .

[٤] الظاهري : الدور السياسي للقبيلة ، ص٦٤ .

[٥] المصري ، أحمد عطية : النجم الأحمر فوق اليمن ، ط٣ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٣٢ .

[٦] بنو حَاتِم : أسرة يعود نسبها إلى قبيلة همدان ، وقد حكموا صنعاء وأعمالها مستقلين عن الصلحيين ، وقد سقطت دولتهم على يد الأيوبيين . انظر : محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص٥٦ ، ٨٩ – ٩٣ .

[٧] بيت أنْعم : من قرى اليمانية العُليا في خولان العالية شرقي صنعاء . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص١٠٩ .

منه بالقوة بعد فرضه الحصار عليهم ، فتحصن بنو حَاتِم في ذِمَرْمَر[١] وكاتبوا علم الدين طالبين منه فك الحصار عن أبناء عمومتهم و إلاّ أعلنوا الخلاف رغم ولائهم للسلطان ، فلما رفض الأمير علم الدين طلبهم ثار بنو حاتم جميعاً حميةً وغيرةً على إخوانهم الهمدانيين[٢].

ويذكر لناء الخزرجي موقف قبائل عك من قبيلة الأشاعر بعد قتلهم ثلاثة من فرسان المعازبة سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م مما دفع المعازبة إلى اللجوء إلى أبناء عمومتهم من قبائل عك كالقحرية والرماة والمقاصرة وقبائل ذُؤال[٣] وغيرها ، وقد أخذتهم الحمية القبلية إلى جانب إخوانهم المعازبة رغبة في الثأر من الأشاعر[٤] . كما ثارت قبائل بني سليمان ضد السلطان الناصر أحمد سنة ٨١٣هـ /١٤١٠م بعد قبضه على أربعين فارساً منهم وسجنهم في زبيد ، وناصرت قضيتهم قبائل أخرى تأييداً وشجباً لموقف الناصر من هذه القبيلة[٥].

وفي الوقت نفسه ، أعطت القبيلة اهتماماً وتقديراً لكل فرد من أفرادها ، وإن كان فقيراً أو معدماً ، لأنه يعد جزءاً لا يتجزأ منها ، وما يمسه يمس جميع أفراد القبيلة لرابطة الدم التي تجمع بينهم ، ولموقفهم القائم على المناصرة لأي فرد كان ، واتخاذهم موقفاً معادياً لمن لا يهب لنصرة أخيه ، وخوفاً من أن يتعرض الفرد منهم لنفس ما تعرض له أخوه في القبيلة ، ولخوفهم من موقف القبائل الأخرى منهم ، ومن أن ينظر إليهم نظرة ضعف وعدم مقدرة على الدفاع عن أبنائهم في داخل القبيلة ، لهذا كانت القبيلة تهب بأسرها إذا ما تعرض فرد واحد من أبنائها لاضطهاد أو تعذيب أو قتل . وقد ثارت قبيلة الأهمول في مَوْزَع[٦] سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م على أمير الجهات الموزعية الأمير بدر الدين عمر بن سيف الدين وقتلته بسبب سجنه لأحد أفراد قبيلة الأهمول الذي مات سجيناً دون ضرب أو تعذيب[٧] ، وموقف الأهمول هذا وإن كان فيه نوع من الفوضى والعصيان للدولة لكنه يعبر عن مدى تماسك المجتمع القبلي وتكاتفه ضد أي مشكلة قد تواجهه ، أيّاً كان صاحب المشكلة ، مع أن المصادر لم تذكر مكانة هذا الرجل أو دوره في المجتمع .

وقد عرف بنو رسول الأهمية التي يمثلها الفرد بالنسبة للقبيلة ، فكان سلاطينهم إذا أرادوا الانتقام من قبيلة أو إثارتها عبروا عن ذلك في أحد أفرادها ، كما فعل السلطان المجاهد

---

[١] ذِمَرْمَر : من حصون صنعاء . الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٨ . ويقع في ناحية بني حشيش بشمال صنعاء على مسافة أربع ساعات . الحجري : مجموع ، ج٢ ، ص٣٥٠ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٥٤ – ٣٥٨ .

[٣] ذُؤال : وادي يأتي من بلاد ريمة يقع مابين وادي سهام شمالاً ووادي رمع جنوباً ويمر بجوار بيت الفقيه والمنصورية . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٢٤ . ويبدو أن قبائل ذؤال من عك لموقفهم هذا إلى جانب إخوانهم من المعازبة .

[٤] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٥ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٩٩ب .

[٥] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٥٩ .

[٦] مَوْزَع : بلدة عامرة من ناحية المخا وأعمال تعز كانت من مراكز العلم القديمة . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٧٦ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٥ ب .

علي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م عندما أغضبه المعازبة بكثرة عصيانهم ومهاجمتهم لقرى ومدن وادي زبيد ، وقتلهم رجال الدولة المرابطين هنالك ، وأمام فشله في إيقاف أعمالهم العدوانية والقضاء عليهم ، ولمعرفته لما يمثله الفرد الواحد بالنسبة لهم أمر بتوسيط[١] أحد رجالهم المسجونين لديه في تعز ، مما زاد من جنونهم وثورتهم لفعلته هذه[٢] .

وعلى الرغم مما شهدته الدولة الرسولية من صراعات قبلية في مناطق مختلفة من اليمن بين أبناء القبيلة الواحدة أو بين مجموعة قبائل تربطها صلة الدم والنسب ، إلاّ أنا نجد ثوران العصبية القبلية إذا ما تعرض أحد أبناء القبيلة المتناحرة لاعتداء أو قتل من قبيلة أخرى ، مما يؤكد لنا وحدة تماسك هذا المجتمع المتداخل الذي تحكمه روابط قديمة متأصلة .

وهنا نصل إلى حقيقة مفادها أن العصبية القبلية هي التي كانت تحكم القبائل الكبرى وفروعها في العصر المذكور وتثبت أواصرها ، لقوة فكرة الجد الواحد والنسب المشترك بين أفراد القبيلة ، وزرعهم لذلك النهج بين أبناء القبيلة جيلاً بعد جيل ، مما يعطينا فكرة عن أحد أسباب وحدة وتماسك مجتمع اليمن القبلي في ذلك الحين .

- – **العامل الاقتصادي :**

يقوم هذا العامل على فكرة أن الترابط القبلي تفرضه العلاقات الاقتصادية والمصالح المادية القائمة بين أفراد القبيلة الواحدة أو مجموعة من القبائل ، وإن لم يكن بينهم علاقة دم أو نسب ، ولكن المصلحة المادية في الأرض والزرع والماء والتجارة والجباية والحدود الجغرافية التي تجمع بينهم قد تكون أقوى وأمتن من علاقة النسب المشترك[٣] ، فمثلاً إذا نظرنا إلى أفراد قبيلة المعازبة التي تعد من أقوى قبائل تهامة وأكثرها مكانة اجتماعية وثقلاً قبلياً بين قبائل تهامة في العصر الرسولي نجد أن هناك روابط اقتصادية جمعت بين أفرادها إلى جانب رابطة الدم وهي رابطة الأرض والزرع ، وهي وأن تميزت عن غيرها من القبائل بكثرة رجالها وقوتها ، إلاّ أن فروعها كافة[٤] ارتبطت بأراضٍ زراعية تعرف بالمدبي[٥] ، ويوزع جميع ما ينتجه من نخيل بين أفراد هذه القبيلة التي سخرت جهودها للعمل في أراضي المدبي ، والدفاع عنه من أي اعتداء ، حتى أن بني رسول كثيراً مَا يحاولون الانتقام من هذه

---

[١] التُوسيط : شكل من أشكال الإعدام التي استخدمت في عصر بني رسول للتخلص من المغضوب عليهم من أصحاب الجرائم الكبرى ، وتعد من أبشعها ، وطريقته أن يعرى الشخص من الثياب ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض . دهمان ، محمد أحمد : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٤٨ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٠٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٥٨ .

[٣] الظاهري : الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، ص٦٦ – ٦٧ .

[٤] تضم قبيلة المعازبة فروعاً عديدة منها : بنو بشير وبنو يحقوب وقبائل بيت الأكيد و ذؤال وغيرها . انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨١ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٢ ب ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٨٥ .

[٥] أراضٍ زراعية من أملاك قبيلة المعازبة كانت تزرع النخيل ، ويبدو أنها ذات مساحات واسعة . الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٩٨ .

القبيلة عن طريق قطع النخل المزروع فيه من جذوره ، في محاولة لتدمير اقتصادها وإضعاف قوتها ، فيثور المعازبة ويخرجون برجالهم وشيوخهم للدفاع عنه ، ووقف عملية تخريبه وقطعه متجاوزين أي خلافات ومشكلات قد تكون قائمة بينهم[١] .

وعلى الرغم من العداء الذي شهدته العلاقة بين المعازبة والقرشيين إلاّ أننا نجد أن ذلك العداء قد تبدد بعد أن سيطرت هاتان القبيلتان على نخل الأهالي في وادي زبيد ، وأصبحوا جميعاً مسؤولين عنه ، وغضوا الطرف عمّا بينهم من تناحر قبلي أنهته المصلحة المشتركة[٢] . وقد يؤدي تعارض المصالح الاقتصادية إلى اشتعال الحرب بين القبائل أو ربما بين القبيلة الواحدة كما حدث بين فرعي قبيلة يافع آل أحمد وآل كلد في عدن حول السيادة والمال والجبايـــة[٣] ، هذا في حين فرضت الأوضاع السياسية في عصر بني رسول على بعض القبائل التي لا يربط بينها نسب ولا دم ولا مصالح مادية مشتركة ضرورة إقامة تحالفات الهدف منها توحيد قـوى مجموع هذه القبائل لخلق ثقل قبلي لها في المجتمع ، لاسيما عند مواجهة خطر يهدد مصالحها سواء من الدولة أو من أي قبيلة أخرى ، ولعل خير مثال على ذلك تحالف قبائل بني شـــهاب وبني الراعي وأهل حضور[٤] ، وقد أوجدت تلك التحالفات لهذه القبائل مكانة اجتماعية وقبلية كبيرة أمام الدولة والقبائل المعادية لها .

ج – أثر القبيلة على حياة الناس الاجتماعية :

لقد دفعت بعض الصفات التي اتصفت بها القبائل من قوة وشجاعة وإقدام ســلاطين بني رسول إلى الاستعانة برجال تلك القبائل ، لاسيما البدو منهم عند الحاجة ، وفــي أوقــات الشدائد والأزمات والمحن ، وهو ما أشار إليه ابن فضل الله العمري[٥] عند حديثه عن جــيش بني رسول ، وكان السلطان المظفر الأول أول من استعان بهم في حروبه ضد منافسيه على الحكم بعد مقتل والده المنصور ، وقد استجابت له معظم قبائل تهامة التي خرجــت بســلاحها وعتادها وخيلها لمناصرته ، ولم يكن هدفهم الوحيد مساندته والوقوف معه ، بــل إن هنــاك أسباباً أخرى دفعتهم إلى ذلك منها حبهم للغزو الذي يجنون من ورائه الكثيــر مــن الغنــائم

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٥ ، ٦٩ ، ١٣٤ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٨٥ .

[٢] الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٧ .

[٣] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٨ – ٣٥٨٩ .

[٤] تسكن قبائل بني شهاب الحميرية وقبائل بني الراعي المنسوبة إلى راع بن يسار من بكيل همدان ، وقبائل حضور المنسوبة إلى حضور بن عدي من حمير في ناحية البستان الواقعة في الجهة الغربية من صنعاء والمتصلة بحقل صنعاء ، وتضم هذه الناحيــة مجموعة من المخاليف التي سميت بأسماء القبائل المذكورة . الحجري : مجموع ، ج١ ، ص١١٨ – ١٢٢ . انظر ذلك التحالف : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٧ – ٢٢٩ ، ٣٠٢ – ٣٠٣ ، ٤٩٧ – ٥٠٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٠٩ ، ٣٢٧ .

[٥] مسالك الأبصار ، ص٤٧ .

والأموال كالأغنام والأبقار والجمال والمزروعات وغيرها[١] ، وقد فُجع السلطان المظفر لتصرفات القبائل الموالية له عند دخوله إلى قرية التريبة ، فقد عاثوا فيها فساداً وأرادوا نهبها فجعل ذلك أهلها يخرجون عنها بنسائهم وأطفالهم تاركينها غنيمة لهم ، مما أثار السلطان الذي وقف بنفسه معتلياً جواده ومتصدياً لهم ، وأمر عساكره بملاحقتهم وإيقافهم في محاولة لإجبارهم على إعادة ما نهبوه من أموال أهالي هذه القرية[٢] .

ولا ريب في أن ما حصل من قبل هذه القبائل كان تجربة مريرة للسلطان المظفر لعجزه عن صدهم عن نهب أموال الناس وأملاكهم ، ولهذا لم يسمح لهم بدخول مدينة زبيد عند وصوله إليها ظناً منه بهذا الإجراء سيحمي زبيد وأهلها من نهب رجال القبائل ، غير أنه فوجئ بهم يهاجمون قرى وادي زبيد المحيطة بالمدينة وينهبونها نهباً شنيعاً ، فأمر عساكره بإجبارهم على التوقف في محاولة لإعادة ما نهبوه ، وأخذوا في ملاحقتهم دون أن ينالوا منهم ، لهروبهم في اتجاهات مختلفة[٣] .

ومع ذلك ، استمر السلطان المظفر في التعامل مع تلك القبائل لحاجته إليهم ، وأدخلهم في سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ضمن قواته الموجودة في صنعاء ، وبلغ عدد رجالهم المنضمين لقواته ما يقارب من خمسمائة فارس جهزهم لمهاجمة منطقتي الجَوف[٤] وصعدة ، فكان الخراب على أيديهم ، إذ دخلوا الجوف وهاجموا مزارع الأشراف هناك ونهبوا ما بها من غلة ، وفعلوا الشيء نفسه عند دخولهم صعدة ، وأخذوا يخربون ما لم يتمكنوا من حمله ، واستباحوا بيوت الأشراف ، ووصلت بهم الأمور إلى مهاجمة مزارع الفلاحين من الرعية ونهبها[٥] .

وعلى الرغم مما سببته القبائل للسلطان المظفر من إحراج أمام رعيته إلا أنه استمر في ترغيبهم للانضمام إلى قواته صارفاً لهم الرواتب والمكافآت المالية الشهرية والسنوية في محاولة لصرفهم عن نهب أموال الرعية عند دخول أي مدينة أو قرية ، معطياً لهم الحرية في امتلاك ما يغتنموه من العدو من مواشي وزرع وسلاح وغيره ، مع عدم السماح لهم بنهب أموال الرعية ، فكانت قبائل آل راشد وآل ضيغم[٦] من أشهر القبائل المناصرة لبني رسول[٧] ، وبهذا أصبحت القبائل تشكل قوات غير نظامية يستعان بها عند الحاجة ، وأصبح عليهم

---

[١] يبدو أن قساوة البيئة والأحوال المعيشية الصعبة التي عاشوا منها والحاجة إلى المال والطعام هي التي دفعت هذه القبائل إلى كثرة الغزو بهدف الحصول على نصيب جيد من الغنائم لسد رمق أفراد أسرها .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٤ – ٢٥٥ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٥ – ٢٥٦ .

[٤] الجَـوف : مدينة قديمة في الشرق الشمالي من صنعاء عرفت بواديها الشهير وادي الجوف الذي يبلغ طوله (٦٠ كيلو متراً) وعرضه (٣ كيلو متراً) وهو من أجود المناطق خصباً في اليمن . الويسي : اليمن الكبرى ، ص١٠٠ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٢٨ .

[٦] ينتسب آل راشد بن منيف وَ آل ضيغم بن منيف إلى جنب . الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص١٢٢ .

[٧] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٤٥ – ٥٤٦ ، ٥٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجبات مفروضة ، ولهم حقوق عند الدولة تنظمها تحالفات تعقد بينهم ، ولعل أبرز مثال على ذلك موقف السلطان الظاهر سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م من جميع المعازبة الذين اتفقوا على الفساد والخروج عن الطاعة ، إذ أمر بجمع أنصاره وحلفائه من القبائل في وادي زبيد ووادي رمـــع الذين بلغ عددهم ما يقارب ألفين مقاتل لمواجهة المعازبة[١] .

لقد بلغت أهمية القبيلة في العصر المذكور ذروتها ، واحتلت مكانة ساعدتها على أن يكون لها موقع وثقل اجتماعي ، لما تميزت به من قوة ونزعه نحو الاستقلال وعدم الخضوع لأية سلطة مركزية كانت ، وإن تحالفت معها وساندتها[٢] ، وأصبح أفرادها لا يخضعون لأي سلطة أخرى غير سلطة القبيلة وأعرافها ، مكونة بذلك أقوى وحدة سياسية واجتماعية داخـــل المجتمع ، ومشكلةً بمجتمعها وبيئتها وأعرافها دولة صغيرة لها حاكمها وعسكرها وطموحاتها التوسعية والاستقلالية ، ولها علاقاتها الداخلية والخارجية بجيرانها داخل الدولة المركزية[٣] ، لذلك كانت القبائل اليمنية ذات النفوذ والقوة والمقدرة كثيراً ما تعرض التجمعـــات الســـكانية المحيطة بها لأعمال السلب والنهب والتخريب والتدمير ، مما يؤثر سلباً على تلك التجمعـــات لفقدانها الأمن والاستقرار ، وتذكر لنا المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية العديد من المواقف التي تبين لنا مدى همجية تلك القبائل عند مهاجمتها لبعض المدن والقرى ، ومدى حجم الخراب والدمار الذي تتركه تلك الهجمات ، وحالة القلق والخوف التي تنتاب الأهالي في تلك اللحظات ، وتعد منطقة تهامة من أكثر مناطق اليمن تعرضاً لهجمات القبائل ، وقد عاش أهلها في حالـــة خوف دائمة ، لاسيما وأن تلك الهجمات قد تحرق ما هو أمامها من الأخضر واليابس ، مخلفة الفقر والخوف والهلع والخراب والدمار ، وكانت منطقة القحمة واحدة من المناطق التهامية التي تعرضت لهجمات تلك القبائل المخرِّبة ، ويبدو أن قربها من تجمعات القبائل وضعف مقـــدرة

---

[١] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٥ .

[٢] الموسوعة العربيـــة الميسرة ، مج٢ ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص١٣٧٠ ؛ المقرمـــي ، عبد الملك : التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحول بناء القوة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشـــق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص٩٨ ، ٢٣٤ .

[٣] لقد بلغت أهمية ومكانة القبيلة في اليمن أن نسب بني رسول أنفسهم إليهم ، وقد يكون لذلك النسب دوافـــع سياسية للحصول على صفة شرعية لحكمهم ، إلاّ أن ما عرف من مكانة اجتماعية لقبيلة غسان في اليمن وخارجها منذ القدم جعلهم ينسبون أنفسهم إليهم ، مدركين مدى احترام المجتمع للقبيلة التي تمثل القوى والتماسك والعصبية ، وقد اهتم بهذا النسب عدد من المؤرخين لهذه الدولة واختلفوا فيه . انظر : ابن حاتم : السمط الغالـــي الثمن ، ص١٠ – ١١ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٣٩ – ١٤٠ ؛ الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٣١ ، ١٠٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٨٦أ ؛ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مج١ ، ج٢ ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص٢٩٩ ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، لجنة إحياء التراث ، بيروت ، د . ت ، ص٢٦ . وقد درس عدد من الباحثين هذا النسب دراسة مستفيضة محاولين إثبات صحته أو عدمها . انظر : محمد عبد العال أحمد : بنو رسول وبنو طاهر ، ص٥٢ ؛ قائد حميد عثمان : أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصاديـــة في ظل بني رسول (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤ م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢ .

سكانها القتالية جعلتها عرضة لهجماتهم ، حتى أنها دُمِّرتْ تدميراً كاملاً من قبل المعازبة سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م[1] ، كما نشر المعازبة الخوف والرعب بين أهالي منطقة تهامة سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م ، وأخذ معظمهم في الرحيل عنها إلى مناطق أكثر أماناً وطمأنينة ، بعدما أخرب المعازبة مدنهم وقراهم ، مستغلين غياب السلطان المجاهد الأسير في الديار المصرية .

وكانت المهجم ثاني المناطق التهامية تعرضاً لهجمات القبائل ، حتى أنها أحرقت كلياً في إحدى الهجمات[2] ، ثم هوجمت مرة أخرى في سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م من قبل المعازبة جهاراً نهاراً ونُهِب أهلها واغتنمت أموالهم ، ولم يخرجوا منها إلا بعد أن دمروها وأحرقوا بيوت ساكنيها[3] .

لم يكن سكان مناطق تهامة الأخرى مثل القحمة والكدرا والتربية أحسن حظاً من أهالي المهجم ، لوقوع جميع تلك القرى تحت السيطرة التامة للقبائل ، بعد أن فقدت الدولة سيطرتها على تهامة كاملة باستثناء حرض وزبيد التي عاش أهلها في أمان وطمأنينة لوقوعهم تحت حماية الدولة[4] . ومع محاولات بني رسول محاربة تلك القبائل لإقرار الأوضاع وحماية الناس إلاّ أن المنطقة عادت للاضطراب مرة أخرى ، وعاد سكانها من جديد إلى حالة الخوف والفزع التي عاشوه سابقاً عندما عاد المعازبة إلى مهاجمة مدن تهامة وقراها ، ولمنع التواصل بين سكان المناطق ، ومنع تواصل الرعية بالدولة قطع المعازبة الطريق على الناس سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ، مما أثار الرعب بينهم ، وزاد من ذلك الرعب تحالف المعازبة مع القرشيين وإغارتهم على أطراف البلاد لتخريبها ، وإفزاع الناس فيها[5] .

وفي سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م تعرض سكان منطقة الكدراء لهجوم من قبل المعازبة ، دمرت على إثره بيوتهم وأملاكهم ، وأخربت الكدراء خراباً كاملاً ، وقد خلقت هذه الحادثة خوفاً عظيماً بين الناس ، لاسيما في وادي سِهام[6] الذي وقع بمن فيه من سكان تحت رحمة المعازبة ، بعدما منعوا تواصل الأهالي مع بني رسول ، وقطعوا الطريق عليهم ، فأصبح من الصعب التواصل بين مدن تهامة ، لاسيما مدن وادي زبيد[7] .

---

[1] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٨٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٥٣ .

[2] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٧ .

[3] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٣ – ١١٤ .

[4] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٧ .

[5] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٤٨ .

[6] سِـهام : من أودية اليمن . البغدادي : مراصد الإطلاع ، ج٢ ، ص٧٦٠ . وهو من أشهر أودية تهامة ويقع بين وادي سردد شمالاً ووادي رمع جنوباً . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص٢٠٥ .

[7] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان التجار من أصحاب القوافل التجارية ، والفلاحين من ملاك الأراضي الزراعية من أكثر الرعية تضرراً من أفعال القبائل الساكنة منطقة تهامة والتي كانت تقوم بقطع طريق القوافل التجارية ، وتخريب أراضي الفلاحين ومزارعهم بشكل لا يكاد ينقطع ، فعاش الفلاحون البسطاء وملاك الأراضي الزراعية في خوف دائم من هذه القبائل ، وقد وصل بها الأمر أحياناً إلى طرد الفلاحين من أراضيهم والبسط عليها وامتلاكها ، كما فعلت قبائل المعازبة والقرشيين في سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م مع فلاحين النخل في وادي زبيد[١] ، وأصبح المعازبة هم المتحكمون بأمور الرعية وأملاكهم في تهامة ، لذلك كانت مناطق تهامة تتعرض للتخريب والتدمير الواحدة تلو الأخرى على يد القبائل ، وكانت الجَثّة[٢] من المناطق التي لم تسلم من تخريب المعازبة ، بعدما استغلوا خروج واليها الأمير بهاء الدين السنبلي بمن معه من عسكر بني رسول إلى المهجم ، ليهجموا عليها ويذلوا أهلها الذين وقعوا برجالهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم تحت تصرف هذه القبائل[٣] ، وظل المعازبة يهددون القرى المجاورة لوادي زبيد ، ولم تأت سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م إلا والخراب قد عم معظم تهامة ، ولم يبق في وادي زبيد إلاّ ثلاث أو أربع قرى ظلت خيل المعازبة تحوم حولها ، ولم تعد في تهامة قرى مسكونة سوى قرى المتمردين[٤] .

وقد محت تلك الهجمات معالم بعض المدن التي وصفتها المصادر بأنها من عجائب مدن اليمن وأحسنها ، لما احتوته من مساجد ومدارس ودور علم وطبيعة جذابة ، كمدينة أبيات حُسين[٥] التي أصبحت بعد تخريب قبيلة الزعليين لها من مدن وادي سردد الخربة ، بعد أن كانت تزخر بالعلماء وطلاب العلم في المدارس والمساجد ، ومراكز تجمع التجار والأغنياء والقوافل التجارية ، ومزارات الباحثين عن الجمال والطبيعة الخلابة[٦] .

وفي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م هاجم المعازبة عدداً من قرى وادي زبيد مثل المخيريف وبَيْذَحَة[٧] ، وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها ، وأخافوا من سلم منهم[٨] ، وظلت هجمات المعازبة وقبائل تهامة كالأهمول والواعظات والرماة والقحراء والقرشيين والزعليين تثير القلق والخوف بين خاصة الناس وعامتهم ، لما كانت تسببه لهم من اضطراب وعدم استقرار ،

---

[١] عن أسباب تردي أوضاع التجار والفلاحين وملاك الأراضي المعيشية في عصر بني رسول انظر : ص٣١٨ – ٣٢٤ .

[٢] الجَثّة : من مدن تهامة العامرة ، من أعمال المهجم من شماله . الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٥٢ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٧ – ١٠٨ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٨ – ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ – ١١٤ .

[٥] أبيات حُسين : من مدن وادي سردد التي عرفت بأنها كانت مقصد العلماء والفقهاء ومركز تجمعهم وهي خربة اليوم . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص٢٠ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٦ ؛ عماد الدين : روضة الأخبار ، ص٥٧ – ٥٨ .

[٧] بَيْذَحَة : عزلة من ناحية مقبنة وأعمال المخا . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص٢٠٩ .

[٨] انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٨ب ، ٢٤٩أ ، ٢٥١أ ، ٢٥٢أ ، ٢٥٤ب ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٧ .

لاسيما أن هـذه القبائل كانت تهدف من وراء هجماتها هذه إلـى اغتنام أموال سـكان تلـك المناطق وأملاكهم وزرعهم ومدافنهم ودوابهم ، بسبب فقرهم وحاجتهم التي أجبـرتهم علـى الغزو واغتنام ما يجدونه من حقوق الرعية دون رحمة[١] .

وفي هذا الصدد ، فقد تعرض الأهالي في منطقة أبين[٢] ولحج للعديد مـن أعمـال السلب والنهب والتخريب من قبل قبائل الجحافل والعجالم ، ووصل الأمر بهذه القبائـل إلـى مهاجمة قبور وأضرحة الأولياء ومزاراتهم التي تعد من المقدسات بالنسبة للأهالي فـي هـذه المناطق ، ونهب ما فيها من الطعام والأموال التي يقدمها الناس كنذور لتلك الأضرحة ، مما أثار نقمة الناس عليهم ، لاسيما وأنهم كرروا هذه الأعمال التخريبية جـاعلين سـكان هـذه المناطق يعيشون في حالة خوف مستمر[٣] .

ولم تكن مدينة عدن وما جاورها من قرى في حال أفضل ، إذ وصلت يد التخريب المرعبة إلى أهلها ، وأصبحت مقصد قبائل الجحافل والعجالم ويافع ، وكانت منطقة لخبة من أكثر المناطق تعرضاً لهجمات القبائل ، وتعد قبيلة الجحافل أكثر قبائل المنطقة مهاجمة لهـا ، مستغلة ضعف ساكنيها ، وقلت قدراتهم القتالية وعدم مقاومتهم[٤] ، كما شهد أهالي مدينة عدن العديد من الأعمال التخريبية من قبل قبائل المنطقة المحيطة بها كالجحافل ويافع ، مع المقاومة الشديدة التي بذلها الأهالي لصد بعض الهجمات التي قد تنتهي بدخول هذه القبائل المدعومة من الدولة أو من غيرها إليها وإلحاق الخراب والدمار بها مع معاقبة شديدة لأهلها ومن فيها مـن فئات كالتجار وغيرهم ، مما يولد الخوف والرعب بينهم[٥] ، ومع أن هذه القبائل تعد جـزءاً من المجتمع إلاّ أنها كثيراً ما كانت تمثل مصدر قلق وإرهاب[٦] .

وخلاصة القول إن القبائل التي تعد عنصراً مهماً من العناصر المكونة للمجتمع إلـى جانب العناصر الأخرى القادمة إلى اليمن أدت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية في العصر المذكور ، وارتبطت بالمجتمع والناس وتداخلت معهم ، وشكلت عامل مهم في تكوين مختلف فئات وشرائح الطبقات الاجتماعية .

---

[١] للمزيد من التفاصيل . انظـر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٥٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٦٦ – ٢٦٧ ؛ ابن الديبع : بغية المستفيد ، ص١١٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٠ ، ٥٦٩ .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٥ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٤٢ ؛ مجهول : المصدر نفسه ، ص١١٤ ، ١٢٤ – ١٢٥ ، ٢٣٤ – ٢٣٣ .

[٤] الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٣٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٥٥ب .

[٥] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٥ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٨ .

[٦] للمزيد من التفاصيل حول تأثير هجمات القبائل ومدى إقلاقها للمجتمع كله . انظر : هديل ، طه حسين عوض : التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها على الحياة العامـة في اليمن (٦٢٦ – ٨٥٨هـ) ، رسالـة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ١٨٣ – ٢٠٠ .

٢ – القادمون إلى اليمن :

شكّل القادمون إلى اليمن العنصر الثاني من العناصر المكونة للمجتمع بعد القبائل اليمنية ، وقد شهدت اليمن العديد من الهجرات الوافدة إليها خلال تاريخها الحافل بالأحداث التاريخية التي ساعدت زيادة مثل هذه الهجرات ، وكان للملوك الذين حكموا اليمن دور كبير في جلب هؤلاء والاستكثار منهم لغرض الجندية وإقرار الأوضاع أو للبناء والعمران والخدمة في بيوت الملوك والسلاطين و قصورهم أو لنشر العلم ، ولم يكن ذلك التوافد مقصوراً على جنس معين بل تنوعت الأجناس وتعددت الشعوب ، واختلفت أعدادها وتباينت ألوانها بين الأبيض والأسود والأسمر ، فكانوا من الغز والأكراد والترك والأحباش والفرس والزنوج والهنود ، ومن مصر والشام والعراق ومن غيرها من الأجناس التي دفعتها أوضاعها وأحوالها والأحداث التي شهدتها اليمن والأقطار المجاورة لها إلى الانتقال إلى بلاد اليمن :

أ – الغُز :

كون الغُز عنصراً مهماً من العناصر السكانية للمجتمع في عصر الدولة الرسولية ، ويشير ابن منظور[١] إلى أصل هذا العنصر بأنه جنس من الترك[٢] ، وقد عرفت اليمن هؤلاء الغُز منذ مدة زمنية سابقة على العصر الرسولي ، فكان أول وجود لهم في اليمن عندما استعان جيَّاش بن نجاح بطائفة منهم كانت في مكة لحرب الداعي سبأ بن أحمد سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م فأجابه منهم قدر ألفي فارس[٣] ، ويشير عمارة اليمني[٤] إلى ما حققه الغز لجيَّاش من انتصارات ، وأصبح هؤلاء الغز فيما بعد يشكلون خطراً على دولته ، فأخذ في التخلص منهم بوسائل مختلفة منها السم وإثارة الفتنة بينهم وإغراء بعضهم بالمال بحرب الآخرين ، ومع ذلك لم يستطع التخلص منهم نهائياً ، لذلك أقطعهم وادي ذؤال وشاركوا سكانه الأصليين من القبائل العكية والأشعرية وغيرها العيش فيه ، بل إنهم توسعوا في تهامة وسكن بعضهم مدينة زبيد ،

---

[١] لسان العرب ، ج١٠ ، ص٦٥ .

[٢] كان هذا الجنس من الترك يسكن منغوليا في القرن السادس الميلادي ، بعد أن أقامت قبائله التي يقدر بعضهم عددها بأربعة وعشرين قبيلة بتكوين دولة لهم هناك ، إلاّ أن سقوط دولتهم فيما بعد أجبرهم على النزوح غرباً إلى الأراضي الواقعة شرقي بحر قزوين ، وهناك عاشوا بشكل جماعات توسعت كل واحدة منها في اتجاه ، ونشطت حركة الهجرة بينهم إلى بلاد عديدة في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) ، فكان منهم فيما بعد السلاجقة والأتراك العثمانيون ، وشكلوا لاحقاً جنداً مرتزقة يستعين بهم الحكام والملوك في الحروب وغيرها ، لما تميزوا به من قوة وشجاعة وخبرة في قيادة الجيوش وتحريكها . انظر : بارتولد ، ف . ف : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، تر : أحمد سعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص٤٦ وما بعدها .

[٣] عن جياش بن نجاح والداعي سبأ بن أحمد انظر . عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص١٣٢ ؛ المطاع ، أحمد بن أحمد بن محمد : تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، ص٢٧٨ .

[٤] تاريخ اليمن ، ص١٣٣

وحسنت حالهم وأصبحوا من أصحاب الأملاك والثروة ، وكونوا لهم زعامات تحركهم ويخضعون لها كبقية قبائل المنطقة ، حتى أنهم اختلطوا وتزوجوا مع سكان المنطقة الأصليين ، وظهر جيل جديد منهم من المولودين في مدينة زبيد[١] ، ويبدو أن هذا الجيل لم يكن على مستوى القوة والشجاعة والإقدام الذي كان عليه أسلافهم من الغز لوصف عمارة[٢] لهم بأوصاف تقلل من مكانتهم في المجتمع ، إذ يقول : " أما أولادهم المولودون بزبيد فلم يفلحوا ولا جاء منهم بأس يتقى ولا معروف يرجى " .

وتغفل المصادر التي بين أيدينا ذكر هؤلاء الغز الذين أصبحوا من العناصر المكونة لسكان المنطقة ، لاسيما منطقة زبيد ووادي ذؤال لاختلاطهم بأهلها حتى مجيء الأيوبيين إلى اليمن بقيادة توران شاه بن أيوب سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م ، ويطلق اليمنيون عليهم وعلى من قدم معهم اسم الغز دون تمييز بين التركي والكردي ، وكان ابن حاتم اليامي[٣] أول من جمع بينهم تحت اسم واحد ، فأطلق عليهم اسم الغز دون أن يميز بين العنصر التركي الذي هو جزء من الغز ، والعنصر الكردي المختلف عنه[٤] ، وأطلق على الأيوبيين الأكراد[٥] اسم الغز ، وكرر الاسم نفسه على بني رسول التركمان ومن دخل معهم إلى اليمن ضمن القوات الأيوبية ، وشاعت كلمة الغز على الجميع بما فيهم المماليك والعبيد الذين قدموا إلى اليمن[٦] .

ولقد كان للوجود الأيوبي في اليمن دور في إعادة مكانة الغز ، فتولوا المناصب العليا في السلطة ، وأوجدوا لهم مكانة بين الناس ، وزادوا من نفوذهم في داخل الدولة ، لاسيما أمراؤهم لصلاتهم الوثيقة بسلاطين هذه الدولة وملوكها وقربهم منهم[٧] ، وعلى الرغم من سقوط الدولة الأيوبية في اليمن إلا أن بعض الغز استمر في خدمة بني رسول ، وذاب البعض الآخر في داخل المجتمع وبين أفراده .

---

[١] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص١٣٣ .

[٢] المصدر نفسه والصفحة .

[٣] السمط الغالي الثمن ، ص٩ – ١١ . وانظر : عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبدالله بن علي الأنف بن حاتم القرشي : روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار ، تح : محمد بن علي الأكوع ، دار المعرفة ، صنعاء ، ١٩٩٥م ، ص٢٥ .

[٤] يعد الأكراد من العناصر المكونة للمجتمع اليمني ، وهم يختلفون عن الترك الغز رغم جمع بعض المصادر بينهم ، لذلك سيتم الحديث عن الأكراد بشكل منفرد وتحت عنوان منفصل عن الأتراك الغز ، للاختلاف بين الجنسين التركي والكردي ، ودور كلّ منهما المختلف عن الآخر في عصر دولة بني رسول . انظر : ص٦٩ – ٧٦ .

[٥] وفاء محمد علي : قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٤٠ – ٤٥ ؛ العبادي ، أحمد مختار : قيام دولة المماليك الأول في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م ، ص٧٣ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٩١ .

[٧] عسيري ، محمد علي : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٢٩١ .

وكيفما كان الأمر ، فقد لقي الغز عناية خاصة من قبل بني رسول عند قيام دولتهم ، واهتموا بهم اهتماماً كبيراً لانتماء الرسوليين أنفسهم إليهم ، وعمل العديد منهم في الجندية ، وتولى بعض أمرائهم مواقع قيادية مرموقة ميزتهم عن غيرهم ، وأصبح لهم القرار في العديد من الأمور ، وقد اعتمد عليهم سلاطين بني رسول في إقرار الأوضاع في الدولة ، وتثبيت دعائمها لما عرفوا به من خبرة ومقدرة على القيادة وإدارة دفة الحكم وتسيير الجيوش ، ويشير ابن حاتم[(١)] إلى دور هؤلاء الغز في الحملة التي أرسلها السلطان المنصور نور الدين عمر إلى حضرموت سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م بقيادة الأمير نجم الدين أحمد بن زكريا[(٢)] لإخضاعها لحكم بني رسول ولإقرار الأوضاع فيها ، ومع ما حققته هذه الحملة من انتصارات مكنتها من دخول حضرموت ، والتقرب من أبنائها وقبائلها الذين خرجوا لاستقبالهم والترحيب بهم ، وأقاموا الاحتفالات لقدومهم ، إلاّ أن الغز بغرورهم وتعاليهم جعلوا يختلفون مع أبناء قبيلة نهد أهم قبائل حضرموت وأكبرها مكانة هناك ، وذلك بعد أن طلب مشائخ هذه القبيلة منهم الذمة والسماح لهم بالخروج بحريمهم إلى منطقة العَبْر[(٣)] ، وقد تعاطف معهم الأمير نجم الدين لما لاحظه عليهم من تقدير للدولة أكده الاستقبال والترحيب بالحملة التي كان يقودها ، ولكن أمراء ومقدمو الغز المرافقين للحملة كالأمير مبارز بن سعد الدين وعلي بن عيسى وغيرهم تعالوا وتجبروا ، وحاولوا فرض رأيهم على أبناء قبيلة نهد بمنعهم من الذمة ورفضهم لطلبهم بالخروج إلى العبر ، فشهدت حضرموت بسبب ذلك فتنة عظيمة سببها تعنت الغز هذا ، إضافة إلى عدم إدراكهم لطبيعة القبيلة اليمنية ووقوفها صفاً واحداً ضد من يتدخل في شؤونها الداخلية حتى وإن كانت السلطة المركزية نفسها ، لذلك ثارت نهد في حضرموت ضد تصرف الغز هذا ، وهاجم أبناؤها الغز وقتلوا من وجدوا أمامهم بما فيهم الأمير نجم الدين ، وهرب أصحاب الفتنة من الغز براً وبحراً تاركين دوابهم وخزائنهم وأموالهم غنيمة لأبناء قبيلة نهد[(٤)] .

---

(١) السمط الغالي الثمن ، ص٢١٩ . وانظر : شنبل : تاريخ شنبل ، ص٨٩ – ٩١ ؛ الحامد : تاريخ حضرموت ، ج٢ ، ص٦١٤ .

(٢) كان الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريا من الأكراد الذين جاؤوا إلى اليمن في عصر الدولة الأيوبية ، ويبدو أنه تدرج في المناصب حتى أوكل إليه السلطان المسعود الأيوبي النيابة على صنعاء إلى جانب نور الدين عمر الذي أوكل إليه النيابة على اليمن عامة ، لهذا اعتبر الرجل الثاني بعد نور الدين في اليمن . وعند وفاة المسعود كان الأمير نجم الدين من أكبر الأخطار التي هددت طموحات نور الدين في إقامة دولته في اليمن ، بعد أن تحصن في براش ، إلاّ أن نور الدين تمكن من استمالته وإنزاله من الحصن المذكور وأكرمه وأنعم عليه ، ولمكانته عقد له السلطان المنصور بكريمته التي عرفت بالنجمية نسبةً إليه ، وعرف الأمير نجم الدين بأنه كان رجلاً كريماً شهماً شجاعاً ، وقد قتل في حضرموت على يد قبيلة نهد ، وتكريماً لذكرى وفاته بنت له زوجته مدرسة سمتها بالنجمية نسبةً إليه . انظر : ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٢١٩ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ ، ٥٦٣ – ٥٦٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٣ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) العَـبْر : منطقة في الشمال الغربي من شبْوة على بعد (٨٠ كيلو متراً) منها ، وهي المنفذ الطبيعي إلى حضرموت للمتوجه من مأرب ، وهي منطقة جبلية وسط رمال واسعة وتشكل اليوم من مديريات محافظة حضرموت . السقاف : إدام القوت ، ص٤٥٣ ، وانظر : ح (١) من الصفحة نفسها .

(٤) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢١٩ .

وقد أدى هؤلاء الترك من الغز دوراً كبيراً في بعض مراحل الصراع الذي تعرضت له الدولة الرسولية ، ففي أثناء الصراع بين السلطان المظفر الأول ومنافسيه على الحكم كانوا من العساكر المؤيدة له والمرابطة داخل مدينة زبيد المحاصرة من قبل الأمير فخر الدين بن الحسن ومن معه من المماليك ، كما كانوا الحرس الخاص لأخته الدار الشمسي في أثناء ذلك الصراع ، فتولوا حراسة دارها وتمركزوا حوله وعلى سطحه للحفاظ عليها[١] .

إلاّ أن مكانة الغز ارتفعت درجاتها في عصر المجاهد لمساندة عدد كبير منهم لقضيته في أثناء صراعه مع ابن عمه الظاهر ، حتى أن معظم جيشه تشكل منهم ومن غيرهم من الأجناس الدخيلة على اليمن ، فكانوا ضمن عساكره الذين سار بهم إلى عدن سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م[٢] ، كما كانوا مع قواته التي سار بها سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م إلى تعز في أثناء صراعه مع الظاهر[٣] ، وحاصر بهم جبل بَعْدان[٤] سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م[٥] ، وظل الغز الأتراك العنصر الأساسي في جيش بني رسول ، وشكلوا جزءاً مهماً من قواتهم التي أخذوا يحاربون بها الخارجين عن طاعتهم[٦].

وفي الوقت نفسه ، اهتم سلاطين بني رسول برجالهم من الغز ، ولم يبخلوا عليهم بالإقطاع والأموال والعطايا لكسب رضاهم ، ولمعرفتهم بقدراتهم المختلفة في إدارة الدولة وتسيير أمورها ، فشاركوهم أفراحهم وتحملوا تكاليف تلك الأفراح ، وبذلوا لهم الأموال بسخاء ، ولنا فيما قدمه السلطان الأشرف الثاني إسماعيل في عرس أحد أمراء الغز وهو الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي على ابنة أمير آخر من أمراء الغز وهو سيف الدين سنجر صاحب القَحْمَة[٧] من عجائب الأثاث والهدايا والدواب خير دليل[٨] على المكانة الاجتماعية التي احتلها الغز عند الحكام وفي المجتمع ، كما نلاحظ تماسك هؤلاء الغز فيما بينهم وتواصلهم من خلال مشاركتهم لبعضهم في المناسبات المختلفة من زواج وغيره[٩] ، وظل هؤلاء الغز يحتلون مكانة كبيرة عند سلاطين بني رسول رغم قيامهم ببعض الأعمال التي تثير غضبهم ، إلاّ أن حرصهم وخوفهم من ردود الفعل ، وحاجتهم إلى تأييد أمراء الغز تطلب منهم العفو عنهم في العديد من المواقف التي أثرت على الدولة[١٠] .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٨ – ٢٤٩ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص ٤١ .

[٣] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٨٥ أ – ب .

[٤] بَعْـدان : جبل تقع في سفحه الغربي مدينة إب . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٦١ – ٦٢ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٩٦ – ٩٧ .

[٦] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٥ .

[٧] القَحْمَة : بلدة عامرة من أعمال زبيد ، بين وادي زبيد جنوباً ووادي رمع شمالاً . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٢٦ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

[٩] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٦٩ ب .

[١٠] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٦ – ٣٠٨ .

لقد وصلت الجرأة ببعض أمراء الغز الذين احتلوا مكانة عالية في المجتمع أن بدأوا يتآمرون ضد دولة السلطان الناصر أحمد ، بل إن بعض نقبائهم كالنقيب حسين بن سندمر وعمر بن خليل انضموا إلى أبناء الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي وهما الأمير عباس وأخوه عبدالله في محاولة لخلع السلطان الناصر وتنصيب أخاه حسين بدلاً منه ، وقد أدت هذه المؤامرة إلى تعرض الغز لنكبة بعد أن اكتشف الناصر أمرهم فقتل عدداً منهم وأسر الباقين وأرسلهم مقيدين من سجن زبيد إلى سجن تعز[١] .

وقد ارتبط بعض رجال الغز في عصر بني رسول بالمجتمع وعرفوا بأعمالهم التي قربتهم من عامة الناس ، واحتلوا عندهم مكانة رفيعة في مناطق مختلفة من اليمن مثل أبي بكر بن علي الرضي بن جعفر الذي عرف بأنه من أعيان الغز في مدينة إب لسيرته المرضية ؛ ولما اتصف به من صفات حميدة ، وقد تم تعيينه والياً على مدينة إب من قبل السلطان المظفر الأول فأحبه الناس هناك لأعماله التي انصبت في صالحهم ، كما أخذ في حل العديد من المشكلات التي واجهت أهالي بعض المناطق كمنطقة ذُبحان[٢] ، فكان خير منصف لهم ، وكشف عنهم الضر في العديد من الأمور كما يقول الجندي ، ولهذا ولي الجند سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م وحسنت سيرته وسعد الناس به وبولايته لفعله المعروف بينهم ، وزاد من محبة الناس له أعماله الخيرية في إب وزبيد منها شرائه الكتب ووقفها على المساجد وغير ذلك[٣] .

وتذكر لنا المصادر شخصيات أخرى من رجال الغز البارزين في الدولة الرسولية ، كالأمير الكبير بهاء الدين أبي محمد بن عبدالله الشمسي الأشرفي الأفضلي المجاهدي الذي عرف بملك الأمراء وتاج الكبراء ؛ ولما عرف عنه من خير تدرج في المناصب إلى أن أصبح من أعيان الغز وأمرائهم ، ومقدماً ونقيباً على الغز في الدولة الأفضلية[٤] .

ومن أعيان الغز الذين اشتهروا خلال تلك المدة بالأعمال الخيرية أبو الخير فاتن بن عبدالله المعري ، الموصوف بأنه من أعيان أهل الدين والدنيا لما قدمه من أعمال منها بناء المساجد وتعيين القائمين عليها والاهتمام بالأيتام الذين لا عائل لهم[٥] .

وقد كان لظهور جيل جديد من الغز الترك المولودين في اليمن دور في ذوبان بعض جماعات منهم في المجتمع لنشأتهم فيه وتربيتهم بين أبنائه ، ومع هذا ظل أبناؤهم يعرفون بأنهم من أبناء الغز ،وظلوا مميزين بين الناس بخبراتهم القتالية ومقدرتهم على الفروسية والشجاعة

---

[١] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٩٣ – ١٩٥ .

[٢] ذُبحان : عزلة من ناحية الحجرية (المعافر) . بامخرمة : النسبة ، ص٢٨٨ ؛ السامرائي ، إبراهيم : رحلة في المعجم التاريخي ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص٤٩٣ .

[٣] السلوك ، ج٢ ، ص١٦٥ .

[٤] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٨ب .

[٥] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٢٥ .

مثل أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أزدمر التركي الأصل والمولود في اليمن ، والذي كان والده الأمير شمس الدين أزدمر (ت : ٧٢٣هـ / ١٣٢٢م) من أكبر الأمراء الغز في الدولة المظفرية ، وكذلك كان ولده شهاب الدين أحمد[١] .

ب – الأكـراد[٢] :

دخل الأكراد اليمن مع مجاميع القوات العسكرية التي وصل بها توران شاه بن أيوب إلى اليمن ، فاعتبرهم البعض عنصراً من الغز إلى جانب الأتراك وغيرهم من العناصر التي جاءت إلى اليمن[٣] ، وقد قويت سلطتهم في اليمن خلال الحكم الأيوبي وتقلدوا العديد من المراكز الإدارية والعسكرية ، واعتمد عليهم الأيوبيون اعتماداً كلياً في إدارة شؤون الدولة ، وولاهم توران شاه على اليمن عند خروجه منها إلى مصر[٤] ، الأمر الذي زاد من نفوذهم ومكانتهم ، وقد تعرض اليمن بسببهم إلى فتنة عظيمة تضرر منها الناس كافة[٥] ، وقد تطلب الأمر قدوم سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ليوجه لهم ضربة قاسية للتخلص منهم والقضاء على نفوذهم[٦] ، ومع ذلك ظل نفوذهم وعددهم يفوق نفوذ وعدد قوات الأتراك العسكرية ، وتقلد بعضهم مراكز قربتهم من ملوك بني أيوب الذين اعتمدوا عليهم في أمور الحراسة الخاصة بالملك ، فعزز ذلك مكانتهم ودورهم في اليمن ، ووصلوا إلى مراكز النفوذ في المجتمع ، وهو ما جعلهم يتآمرون على الملك الأيوبي المعز إسماعيل بن طغتكين ويقتلونه سنة ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، مما أثار فتنة عظيمة في اليمن كله ، فتصدى لهم الأتابك[٧]

---

[١] الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص٧٨ .

[٢] اختلف المؤرخون في نسب الأكراد وجذورهم ، فمنهم من يعيدهم إلى ربيعة بن نزار بن معدبن عدنان ، ومنهم من رأى أنهم من مضر بن نزار ، وذهب بعضهم إلى أنهم من نسب كرد بن مرد بن صعصعة بن هوزان ، ومنهم من يعيدهم إلى مضر وربيعة ، وقد انتقلوا إلى الجبال طلباً للماء والمرعى ، فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم من الأعاجم والفرس . للمزيد عنهم . انظر : المسعودي : مروج الذهب ، مج٢ ، ص١٢٢ – ١٢٥ ؛ الرازي ، أحمد بن عبدالله بن محمد الصنعاني : تاريخ مدينة صنعاء ، تح : حسين عبدالله العمري ، ط٢ ، ب . د ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٤٧٤ ، ٥٠٤ . ويشير الحميري إلى أن الأكراد سكنوا فيما بين حدود أذربيجان والجزيرة ونواحي الموصل التي أكثرها مسكونة بهم ، كما سكن الأكراد طبرستان ، خاصةً مدينة الكلار ، التي يقيم فيها أكراد الديلم وهم أهل فروسية ونجدة . انظر : الروض المعطار ، ص٤٤٧ ، ٤٩٤ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٩ – ١١ ؛ عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٣٦ .

[٤] العمري ، حسين بن عبدالله : الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص٣٩ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٧٩أ – ب ، ٨٠ ب ؛ مجهول : قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن ، (طبع حجر) ، كانبور ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م ، ص١٠٠ – ١٠١ .

[٦] ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر ، ج٧ ، ص٧٠ ، ٧٢ – ٧٣ .

[٧] الأتابك : والمعنى الأب وهو أتا ، وبك هي بك أو بيك ، والمراد به في الاصطلاح مربي الأمير ، ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب أتابك العسكر ، وبيك هو اليوم من ألقاب التشريف التي ورثها العرب ، وما زال أهل مصر يعرفونها . الباشا ، حسن : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٢٢ – ١٢٥ ؛ الخطيب ، مصطفى عبدالكريم : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص١٧ ؛ ضومط ، أنطوان خليل : الدولة المملوكية ، دار الحداثة ، بيروت ، د . ت ، ص٦٣ .

سيف الدين سنقر[١] ، ووجه لهم ضربة عظيمة لقتلهم المعز ولتجبرهم الذي ضاق منه الأهالي ، وقد وصلت بهم الأمور بعد ذلك إلى دخول زبيد وإخضاعها لسيطرتهم[٢] ، دون أن تذكر المصادر أي دور للقبائل اليمنية القاطنة هناك ، ويبدو أن هذا الهدوء كان بسبب قوة وجبروت هؤلاء الأكراد مع عامة الناس في زبيد ، فعرض هذا الموقف الأكراد لنكبة عظيمة ومجزرة شنيعة من قبل الأتابك سنقر سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م بعد أن هزمهم عند باب القُرْتُب[٣] ، وكان لهذه الضربة المؤلمة دورها في إخضاعهم وكسر شوكتهم[٤] .

وعلى أية حال ، فقد استمر هؤلاء الأكراد ضمن الفرق العسكرية بعد انتهاء الدولة الأيوبية وقيام الدولة الرسولية التي أبقتهم عساكر لها ، وتذكر المصادر بعض الشخصيات الكردية التي أدت دوراً كبيراً ومساعداً في تثبيت دعائم الدولة الرسولية منذ نشأتها كالأمير نجم الدين بن زكريا ، والأمير مبارز بن برطاس الذي جاء إلى اليمن في أيام السلطان المنصور ، وقد اهتم به وقربه منه ، وأصبح من أكثر المقربين لولده الملك المظفر يوسف بن عمر ، بل وآخى المنصور بين ابن برطاس وولده المظفر في حياته ، كما يقول الجندي[٥] ، لما كان لابن برطاس من موقع ومكانة في الدولة وبين أوساط الناس بعد أن قام له بالعديد من الإنجازات والأعمال الخيرية التي استفاد منها عامة الناس .

وفي الوقت نفسه ، تبرز لنا بعض الشخصيات والأسر الكردية التي احتلت مكانة مرموقة في المجتمع مع بدء قيام الدولة الرسولية ، لاسيما في عصر السلطان المنصور مثل : بنو فيروز الأكراد الذين كانوا يقيمون في إب ، وكان لهم مكانتهم في هذه المنطقة ، وقد بلغ من مكانتهم وقدراتهم أنه عندما قُتل السلطان المنصور من قبل مماليكه في قصره بالجند لم يكن أحد من أبنائه موجوداً عنده ، ولم يتجرأ أحد من رجال الدولة أو القبائل أو غيرهم على التقدم إلى موقع الحدث خوفاً من بطش هؤلاء المماليك وجبروتهم ، فبقي المنصور مرمياً حتى اجتمع رجال بني فيروز في خطوة جريئة لم يقدم عليها أحد وساروا إليه ووضعوه في محمل كانوا قد جاؤوا به خصيصاً لذلك وحملوه إلى تعز ، حيث أبنائه وزوجته بنت جوزة[٦] ، وقد

---

[١] وهو سيف الدين سنقر بن عبدالله المعزي الأتابك أحد الأتراك المملوكين للملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي ، وكان الأتابك سنقر شهماً شجاعاً اختلف مع الملك المعز إسماعيل بن طغتكين فهرب منه ، ودارت بينهم العديد من المعارك ، وقد توفى سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م ، وهو والد بنت جوزة زوجة السلطان المنصور نور الدين عمر . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٧٩ – ١٣٤ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٣٥ – ١٣٦ .

[٢] الحمزي : كنز الأخيار ، ص٩٢ – ٩٣ ؛ غزالي : المظاهر السياسية والحضارية ، ص٢٤٤ .

[٣] القُرْتُب : أحد أبواب مدينة زبيد ، وينسب إلى أحد قرى وادي زبيد . الحجري : مجموع ، ج٤ ، ص٦٤٨ .

[٤] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٣٥ .

[٥] انظر : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٣ – ٥٦٤ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٠٤ أ – ب ؛ الكبسي ، محمد بن إسماعيل : اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مط : السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٨٢ .

أكسب هذا الموقف الجريء بني فيروز مكانة وتقديراً بين الخاصة والعامة من الناس وعند أبناء السلطان المنصور ، لاسيما عند ابنه الملك المظفر الأول ، فقدر لهم موقفهم الشجاع هذا ، واجتمع بهم بمجرد توليه المُلك وشكر لهم صنيعهم هذا ، ورفع لكبار رجال بني فيروز مثل : شمس الدين أبي بكر بن فيروز وأخيه فخر الدين عثمان بن فيروز الطبلخانة ، واقطعهم الإقطاعات الواسعة تقديراً لشجاعتهم ، ويظهر أن موقف بني فيروز هذا وما لقوه من قبل بني رسول أوجد لهم ولبعض جنسهم من الأكراد مكانة في المجتمع وبين أوساط رجال الدولة ، إضافةً إلى ما تميزوا به من فراسة وشجاعة[١] .

لقد كانت مدينة ذمار من أكثر مناطق اليمن تجمعاً لهؤلاء الأكراد ، لاسيما البقية الباقية من عسكر الأيوبيين ، إذ اتخذوها مقراً ومجمعاً لهم ولعوائلهم ، مكونين بذلك مجتمعاً خاصاً بهم منذ نهاية الدولة الأيوبية وبداية الدولة الرسولية ، وظلوا موالين لبني رسول مناصرين لهم ضد مناوئيهم والخارجين عليهم[٢] ، ويبدو أن أعداد هؤلاء الأكراد في ذمار كان كبيراً إذ شكلوا قوة كبيرةً لها كيانها في المجتمع ، وأصبحوا هم أنفسهم يشعرون أو يتوهمون أنهم بأعدادهم هذه يشكّلون خطراً على بني رسول ، فأخذوا يرتابون من أي تحرك ولو كان يسيراً من قبل الدولة معتقدين أن بني رسول يفكرون في التخلص منهم وتشتيت جمعهم ، ولعل ما يؤكد حقيقة ذلك ما حدث سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م بعد أن طلب والي بني رسول على ذمار وهو الأمير سيف الدين طغربل الخزندار جريدة من السلطان المؤيد داود لمساعدته على ضبط الأوضاع هناك فتوهم الأكراد أنه طلب تلك الجريدة للقبض عليهم ، فتحركوا سريعاً إلى خارج المدينة لمهاجمة عسكر بني رسول المرابطين هناك ، ثم اتجهوا إلى قصر السلطان في ذمار حيث يقيم الأمير سيف الدين وهاجموا الاصطبل ، وأخذوا ما فيه من الخيول رغم المقاومة العنيفة لهم ، إلاّ أن ما تميزوا به من جلافة وقوة وشجاعة ، إضافة إلى ما ذكرناه من كثرة عددهم قد مكنهم من فرض الحصار حول قصر السلطان المؤيد داود ، فهرب العسكر المحيطون بالأمير المذكور أمام العدد الكبير من هؤلاء الأكراد ، ونزل الأمير سيف الدين إليهم بذمة منهم بعدم المساس به أو الاعتداء عليه ، وعندما أصبح بينهم هجموا عليه وقتلوه وقتلوا من معه من رجاله ومماليكه ونهبوا محطة السلطان وما فيها من دواب وأموال وهربوا سالمين غانمين[٣] ، وقد أدى هذا الموقف إلى تعرض الأكراد بذمار إلى غضب السلطان المؤيد ، ومنْ ثَمَّ ملاحقة قواته لهم ، فأصبحوا مطاردين من قبل عسكر السلطان الذين الحقوا بهم الهزائم الواحدة تلو الأخرى ، الأمر الذي أدىٰ إلى تفرقهم ولجوئهم

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٦٤ – ١٦٥ ، ٥٤٧ .

[٢] الحداد ، محمد يحيى : التاريخ العام لليمن ، ج٣ ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص١٤٢ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٥٩ – ٢٦٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٨٦ .

إلى الإمام محمد بن المطهر[1] ، وظلوا في حالة تفرق ومطاردة إلى أن اصطلحوا مع السلطان ودخلوا في طاعته سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م ، وكان السلطان المؤيد متسامحاً كريماً معهم وأبقاهم في حصن هِرّان[2] الذي كانوا يتحصنون فيه ، وعرض عليهم الاستمرار في خدمته والانخراط ضمن قواته[3] .

وعلى الرغم مما قدمه السلطان المؤيد من تنازلات للأكراد لكنهم ظلوا على اتصال بالإمام محمد بن المطهر ، فضربهم المؤيد ضربة قوية عندما عقد صلحاً مع الإمام المذكور سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م ، وأصبح الأكراد ضعفاء أمام بني رسول لا نصير لهم ، لذلك جهز المؤيد حملة عسكرية لحربهم انضم إليها رجال من قبيلة مذحج لمهاجمة هران ، إضافة إلى تحرك قوة عسكرية من صنعاء إلى ذمار ، ولم يكن أمام الأكراد إلاّ عقد صلح مع هذه القوات ، وقد نص هذا الصلح على منع الأكراد من دخول ذمار ورداع ، وتجريدهم مما هم عليه من الإقطاع ، وأن يسلّموا رهائن من أبنائهم ليوضعوا في حصن العَرُوس[4] ، وأمر السلطان المؤيد بعض تلك القوى بالبقاء في ذمار لمراقبة الأكراد وحصر تحركاتهم[5] ، وتحسباً لأي جديد من قبل الأكراد تم نصب منجنيق[6] أمام حصن هرّان ، فكان ما تم توقعه ، إذ ثار الأكراد في صنعاء سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م وهاجموا واليها من قبل بني رسول الأمير حسن بن إياس وقتلوه مع ستةٍ من الغز ، فما كان من عسكر بني رسول إلا أن ضربوا حصن هران التابع للأكراد بالمنجنيق حتى دمروه كاملاً ، فعاد الأكراد طالبين العفو والمغفرة من السلطان المؤيد بعد أن رأوا عدم جدوى تمردهم مسلّمين هران وخاضعين لكل ما فرض عليهم المؤيد

---

[1] هو الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر بن يحيى ، وقد ولد سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م ، وكانت دعوته سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م ، وقد دخل في صراع طويل مع سلاطين بني رسول حتى توفي سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م بذي مرمر وقبر بها . انظر : الزحيف : مآثر الأبرار ، مج٣ ، ص٩٣٧ – ٩٤٥ ؛ العرشي ، حسين بن أحمد : بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، عني بنشره الأب أنستاس ماري الكرملي ، دار الندوة الجديد ، بيروت ، د . ت ، ص٥٠ – ٥١ .

[2] هِـرّان : حصن وجبل يبعد عن ذمار شمالاً بنحو ميل واحد . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٣٠٤ .

[3] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٦٤ – ٢٦٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٨٧ – ٣٨٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٦٠ أ – ب ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٨٧ – ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

[4] العَـرُوس : حصن من ناحية البستان من نواحي صنعاء في الجهة الغربية . الحجري : مجموع ، ج١ ، ص١١٨ – ١٢٢ ؛ ج٣ ، ص٥٩٩ .

[5] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠١ .

[6] المنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار أخذها العرب عن الفرس والروم ، وهي أداة من الخشب مؤلفة من دفتين قائمتين بينهما سهم طويل له رأس ثقيل وذنب خفيف بنهايته كفة تجعل فيها الحجر المقذوفة بعد جذبها إلى الأسفل ، ثم ترسل فتنطلق باتجاه هدفها . انظر : الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص٤١٠ . وللمزيد من التفاصيل عن كيفية صناعة المنجنيقات وأنواعها وتاريخها . انظر : الملك المظفر : المخترع ، ص١٢٢ – ١٥٥ ؛ محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين . تركيبة . تنظيمه . أسلحته . بحريته . وأبرز المعارك التي خاضها ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٩٩ – ٣٠٧ ؛ عواد ، محمود أحمد محمد سليمان : الجيش والقتال في صدر الإسلام ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٣٩٦ – ٤٠٦ .

الذي رأى ضعفهم وخضوعهم فأمر أن يعودوا إلى أبنائهم وعوائلهم في ذمار ، وأن يعود من أراد منهم إلى خدمة بني رسول ، وطمأنةً لهم وإظهاراً لنواياه الحسنة أمر بأن ترفع المحطة عنهم لزرع الثقة بينهم[١] .

وقد استمر الأكراد على هدوئهم إلى أن توفي السلطان المؤيد سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وتولى بعده ابنه السلطان المجاهد الذي واجه معارضة شديدة من قبل عمه الملك المنصور أيوب بن المظفر وابنه الظاهر عبدالله ، وكان بعض الأكراد ضمن قوات الظاهر المحاربة ضد المجاهد[٢] ، في حين انقسم البقية بين مؤيد للمجاهد ومعارض له ، فكانوا في جيش المجاهد وفي جيش الظاهر في وقت واحد ، وإن كانوا أكثر عدداً في جيش المجاهد ، حتى أنهم كانوا معظم عسكره المحاصرين لمدينة عدن سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، ونتيجة لكثافة عددهم وقوة عدتهم خاف المجاهد غدرهم وخيانتهم له ، مما جعله يترك حصار عدن لخوفه منهم بعد أن لاحظ عدم إخلاصهم في أثناء الحصار[٣] .

ونتيجةً لاندماج الأكراد في المجتمع فقد أصبحوا يشكلون جزءاً لا يتجزأ منه ، ويتعرضون لما يتعرض له أبناء اليمن من ظلم وقهر من قبل ولاة وأمراء بني رسول ، وكغيرهم من أفراد المجتمع أخذوا يعبرون عن رفضهم لأفعال الولاة وأساليبهم – التي أتعبت الناس من الرعية وأنهكتهم مادياً – من خلال التمردات والخروج عن طاعة الدولة بين الحين والآخر ، ولعل خير مثال على ذلك تمردهم في سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ضد والي بني رسول في ذمار ابن الحجازي المعروف بسيرته ومعاملته السيئة والظالمة لهم ولأهل ذمار ، وفرضهم الحصار عليه بمعقله في حصن هران ، ومِنْ ثَمَّ هروبه إلى باب السلطان المجاهد ، وكان التصرف السليم من قبل المجاهد الذي لم يغضبه فعل الأكراد مثلما أغضبه التصرف السيء لابن الحجازي مع أهالي ذمار بما فيهم الأكراد أن صادره[٤] مصادرة شاقة بمائة ألف دينار ، وقبض ما معه من الدواب البالغة أربعين رأساً من الخيل المشهورة ، وستين جملاً[٥] ، مما جعل الأكراد يوقفون تمردهم ضد بني رسول ، ويظهر أن هذا التمرد من جانب الأكراد كان الأخير في عهد المجاهد ، إذ لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أي تمرد آخر لهم .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٥ – ٤٠٦ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٠ – ٥٦١ ؛ الخزرجي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١١ – ١٣ ، ٢٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٧٢ب ، ١٧٣أ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤١ ، ٥٦ .

[٤] المصادرة : نوع من أنواع العقاب والمحاسبة التي تتخذه الدولة ضد أحد المخالفين أو المحكوم عليهم ، فتعمد السلطة إلى انتزاع أملاكه المنقولة أو غير المنقولة من أراضٍ أو دواب أو أسلحة أو أموال أو بضائع أو غيرها تأديبا وعقابا له . جبران مسعود : الرائد معجم لغوي عصري ، ج٢ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص١٣٨٦ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٧ – ٦٨ .

أصبح الأكراد بعد موقف المجاهد المناصر لهم ضد ابن الحجازي من أهم العناصر المكونة لجيشه ، فكانوا ضمن قواته المحاصرة لجبل بعدان سنة ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م[١] ؛ كما كانوا ضمن المجاميع التي استعان بها السلطان الأفضل العباس بن المجاهد سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م لحرب الأمير محمد بن ميكائيل[٢] الذي تمرد في تهامة وتحالف مع الزيدية ، وقد اهتم بهم الأفضل وصرف لهم الأموال ولغيرهم من الجند المشاركين في هذه المهمة[٣] .

لقد كان لاندماج الأكراد في المجتمع دور في ظهور عدد من الأسر الكردية التي ذاع صيتها بين الناس ، فعرفت بمكانتها ومركزها المرموق ومواقفها الاجتماعية ، لانخراطها بين أوساط الأهالي ، واختلاطها بهم وتزاوجها معهم ، وأصبح للأكراد ذكر ليس بوصفهم عسكر منخرطين في جيش بني رسول فقط ولكن أيضاً بوصفهم علماء وفقهاء وفلاحين وغير ذلك . وأهم هذه الأسر التي ذكرتها المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية :

• – **بنو فيروز :** وهم من أشهر الأسر الكردية التي ذاع صيتها منذ قيام الدولة الرسولية في اليمن كافة ، لمواقفهم السياسية ولموقعهم الإجتماعي المرموق ، فكانوا من أنبل الأسر الكردية ، وأرفعها منزلة بين الناس في تلك المدة ، وقد سكنت هذه الأسرة في مدينة إب وجبل حبيش[٤] ، واستوطن بعضهم منطقة بعدان[٥] ، ويبدو أنهم اختلطوا بالناس واندمجوا معهم ، لذكر الجندي أن هناك جماعة من هذه الأسرة اتجهت إلى العبادة والتصوف ، واشتغال بعضهم في الزراعة والحرث[٦] .

• – **بنو السوغ و بنو الأسد و بنو علاء الدين :** وهم من الأسر الكردية التي عملت في الجيش الرسولي ، وقد استعان بها السلطان المجاهد لإقرار الأوضاع في بعض المناطق والمدن التهامية المضطربة ، واستقرت هذه الأسر في منطقة ذمار[٧] ، ويبدو أنها من المجاميع الكردية التي اختلفت كثيراً مع بني رسول ، وهم أصحاب حصن هران المذكور سابقاً ، ويعدون من أهم الفرق العسكرية المكونة لجيش بني رسول .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٩٦ – ٩٨ .

[٢] كان الأمير محمد بن ميكائيل من رجال الدولة الرسولية والمناصرين لها ، وقد لقب بملك الأمراء في عصر السلطان المجاهد ، وعرف بأنه رجل جليل عاقل نبيل كريم ، إلاّ أنه في سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م ادّعى السلطنة وخرج على المجاهد وخطب له في المهجم و المحالب وحرض ونواحيها ، وضرب السكة باسمه ولقب نفسه في الخطبة بالشريف الحسيب النسيب الفاطمي . وللمزيد عنه انظر : الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٢ ، ١٦٦ .

[٣] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٩ .

[٤] جبل حُبَيْش : يقع في محافظة إب غرب وادي السحول . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٦٣ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٦٤. وانظر : ح (٢) من الصفحة نفسها .

[٦] المصدر نفسه والجزء ، ص١٦٤ – ١٦٥ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢ .

• – **بنو أسد و بنو شكر** : وهم من الأسر الكردية المرموقة التي سكنت مدينة ذمار واستقرت بها ، وأُطلِق عليهم اسم غز ذمار ، ويبدو أنهم كانوا من المتصدين للإمام الزيدي علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور[١] ، مما خلق نوعاً من العداوة بينهم . لكنهم ما لبثوا أن عقدوا صلحاً مع الإمام المذكور في سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م ، ووثق العلاقة بينهم زواج ابن الإمام علي بن محمد المعروف بالناصر صلاح الدين محمد بن علي بفاطمة بنت الأسد بن إبراهيم الكردي ، وقد أنجبت له ولده المنصور علي بن صلاح الدين[٢] . ومن الملاحظ أن تلك المصاهرة زادت من مكانة ووضع الأكراد الاجتماعي ، وأصبح الأشراف الزيديون يدافعون عنهم في حال تعرضهم لأي اعتداء ، لاسيما بنو الأسد أصهار الإمام ، حتى أنه عندما ثارت فتنة بين بني الأسد وبني شكر في ذمار سار الأسد بن إبراهيم الكردي إلى صعدة للاستنجاد بالإمام علي بن محمد بن يحيى بن منصور بن المفضل على بني شكر ، فذهب الإمام بنفسه إلى ذمار وقبض على بني شكر وأودعهم حصن هران ، ورفع منزلة بني الأسد وأقرهم على ما كانوا عليه من الإقطاع والأملاك[٣] ، وأصبح بنو الأسد بهذه المصاهرة من أهم أحلاف الإمام الزيدي المذكور ، ومن بعده ابنه الإمام الناصر[٤] ، وشاركوهم حروبهم ضد أعدائهم ، واعتُبِروا من أهم فرسانهم وقادتهم[٥] ، وأصبح بعض رجال بني الأسد من أهم قادة الإمام الناصر صلاح الدين علي بن محمد . وقد برز منهم رجال اختلفوا معه ، مثل القاسم سنقر[٦] الذي برز بصورة جعلت الإمام الناصر يهابه ويختلف معه كثيراً ، حتى أنه

---

[١] هو الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن أحمد بن الهادي بن يحيى بن الحسين ، ولد سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ، وظهرت دعوته سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م وكان إماماً عالماً فاضلاً ، قاتل بني رسول وأخذ أكثر بلادهم حتى توفي سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م بذمار . الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص١٠٠٣ – ١٠٢١ ؛ الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط٢ ، دار اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٩١م ، ص٢٠٧ .

[٢] عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٣٥ – ٣٧ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٥ .

[٣] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٧.

[٤] هو الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي ، ولد في سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ، وتولى الإمامة بعد وفاة والده سنة ٧٧٣هـ / ١٣٧١م ، وقد اتسع صيته واستولى على أكثر مناطق اليمن وحصونه وقهر بني رسول ، وفتح صنعاء وحاول السيطرة على زبيد ، توفي سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م . الجرافي : المقتطف ، ص١٤١ ؛ زبارة ، محمد بن محمد يحيى : خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون ، ج٢ ، ط١ ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص٤٣ – ٤٦ ؛ تاريخ الأئمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث ، تقديم وعرض : محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت ، ص١٠٤ – ١٠٧ .

[٥] عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٣٦ – ٣٧ ، ٤٠ .

[٦] كانت والدة قاسم بن سنقر أمة من إماء الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي ، ولم يُعرف له أب فانتمى إلى الأكراد بني الأسد . وقد تخلص منه الإمام الناصر بأن أمر اثنين من عبيده بقتله بطريقة لا تثير الشك وكأنه مات موتا طبيعياً لعدم إثارة الأكراد الذين ينتسب إليهم ضده ، فألقى العبدان على قاسمْ بن سنقر الوسائد وجلسا عليها حتى اختنق ومات ، وفي الصباح أعلن خبر موته الذي اعتبر طبيعياً . انظر عن هذه الحادثة : عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٤٢ .

دبر مؤامرة تمكن خلالها من التخلص منه دون أن يعلم بنو الأسد أنه المخطط لها ، ولكي يبعد الإمام الشبهات عنه استدعاهم من ذمار مظهراً أسفه وحزنه لموته ، فحضروا جنازته وأخذوا هم وابنه إبراهيم الذي كان أسيراً عند الإمام العزاء ، وشارك الإمام في عزائه وجنازته ، إضافة إلى أعداد من أهالي ذمار ، لاسيما الأكراد الذين ينسب إليهم[1] .

ونلاحظ من خلال هذه الأحداث أن الأكراد تداخلوا بشكل كبير مع أبناء اليمن ، كما شاركوهم خلافاتهم ، واختلطوا بهم عن طريق الزواج والمصالح المشتركة ، لذلك ظهرت أجيال جديدة منهم أصبحت تشكل مزيجاً لهذا التزاوج ، ونتيجة لتفرعهم وزيادة عددهم اتجه أبناؤهم لمزاولة أعمال مختلفة كالزراعة والتجارة والصناعة ، كما اتجه بعضهم إلى العلم والتصوف ، واستطاع بعضهم أن يصل إلى المراكز العليا في الدولة مكونين بذلك أسر احتلت مكانة رفيعة في منطقة ذمار وإب وغيرها من المناطق التي استقروا بها .

ج – المماليك :

وهم عبيد[2] يباعون ويشترون ، غير أن هذه التسمية اقتصرت في معظم الدول الإسلامية على فئة من الرقيق الأبيض يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة لتكوين فرق عسكرية ولاسيما في أيام السلم ، وإضافتها إلى الجيش العام في أيام الحرب ، ثم صار المملوك الأداة الحربية الوحيدة في بعض الدول مثل دولة المماليك في مصر والشام[3] ، وكان حكام الشرق الإسلامي يشترون المماليك صغاراً في سن الطفولة وينشئونهم تنشئة عسكرية وسياسية ليكونوا عدتهم في الصراع المرتقب جنداً ومساعدين لهم في حكم الدولة ، وفي نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) بدأ عنصر المماليك يتزايد في جيوش أولئك الحكام ، مما أدى إلى ازدياد دورهم في الحياة السياسية في مصر والشام[4] ، فضمت الأقطار العربية أعداداً كبيرة منهم ، اختلفت أجناسهم ولغتهم ولونهم[5] .

---

(1) عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٤٣ .

(2) الرازي : مختار الصحاح ، ص٥٧٢ ؛ الزبيدي ، محيي الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي : تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، ج٧ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، مادة (مملوك) ؛ بطرس البستاني : محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص٨٦٢ .

(3) السيد عبد العزيز سالم وآخرون : تاريخ الأيوبيين والمماليك ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ٢٠٠٢م ، ص٢٢٦ – ٢٣٧ .

(4) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة للنظم السياسية ، مط : الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص١١ ؛ قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعي (عصر سلاطين المماليك) ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص١١ ؛ ضومط : الدولة المملوكية ، ص٢٩ .

(5) يتكون هؤلاء المماليك من عناصر مختلفة من الأتراك والمغول والصقالبة والأسبان والألمان والجراكسة ، ومن بلاد القفجان والقوقاز وغيرهم . للمزيد عن الرقيق ونظام الرق وبداياته الأولى . انظر : البالوي ، مصطفى حمدي بن أحمد الكردي : قلائد الذهب في معرفة أنساب قبائل العرب ، تقديم وتعليق وشرح : كامل سليمان الجبوري ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص٢٤٧ ؛ العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، ص١١ – ٤٠ .

أما في اليمن ، فقد كان للحملة التي أرسلها السلطان الناصر صلاح الدين الأيــوبي إليها سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م دور في وجود أعداد كبيرة من المماليك فيها ، وقد اعتمد علــيهم سلاطين بني أيوب وأمرائهم في العديد من أمور الدولة إلى جانب غيرهم من العناصر الكردية والتركية ، وكان المماليك ممن ولاهم توران شاه بعض المناطق إثر خروجه من الــيمن[١] . وأصبحت ظاهرة امتلاكهم في اليمن خلال العصر الأيوبي من الظواهر المتفشية بين صفوف بني أيوب وكبار رجالهم وقادتهم وغيرهم ، ولم يقتصر الأمر على اقتناء أعداد بسيطة مــنهم بل وصل الأمر إلى امتلاك المئات منهم ، واستخدام أكثــرهم فــي الأغــراض العســكرية والخدماتية كحراس شخصيين أو خدم خصوصيين في البيوت والقصور السلطانية أو للأمراء أو القادة العسكريين . وتذكــر المصادر أن مماليك الناصر أيوب بن طغتكين بلغوا الثلاثمائة مملوك[٢] ، وأن مماليك والي صنعاء الأمير ورد سار بلغوا مائتين وستين مملوكا[٣] ، ومع ما قدمه هؤلاء المماليك لهذه الدولة إلا أنهم كانوا السبب في زعزعتها وعدم استقرارها ، لكثــرة حركاتهم وإثارتهم للفتن والصراعات .

وقد ظلت أعداد كبيرة من هؤلاء المماليك في اليمن بعد انتهــاء الدولــة الأيوبيــة ، واستمروا على مكانتهم ووضعهم عند قيام الدولة الرسولية التي ورثت أملاك الدولة الأيوبيــة في اليمن بما فيها من مماليك وغيرهم من العناصر الوافدة ، واعتمد سلاطين بني رسول على المماليك وغيرهم في إقرار أوضاع اليمن الداخلية منذ أن قامت دولتهم ، فولوا بعضهم المناصب المهمة في الدولة وعينوهم ولاة وأمراء على المناطق ذات الأهمية الكبرى في ذلك الحين ، وكانت لدى هؤلاء المماليك الكفاءة والمقدرة على إدارتها وتسيير أمورها وإقرار أوضاعها ، ويعــد السلطان المنصور نور الدين عمر أول من تعامل معهم ، فعينهم ولاة على بعض المدن بعد أن وصل إليه خبر وفاة الملك المسعود الأيوبي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م وأعطاهم الثقــة الكاملــة لإدارتها ، مع أن دولته لا تزال في مهدها ، ومن هؤلاء المماليك الذين اعتمد علــيهم انــدمر البدري ، وهو من مماليك أخيه الأمير بدر الدين الحسن ، وقد كلفه المنصور ولاية احدى أهم المدن اليمنية في ذلك الحين وهي مدينة عدن بعد تسلمه لها مباشرة في السنة المذكورة[٤] .

ونظر لما قدمه المماليك من جهود لتثبيت دعائم الدولة الرسولية فقد أخذت أعدادهم تتزايد في اليمن وتمثل ذلك في استجلاب السلطان المنصور لأعداد كبيرة منهم ، لما تميــزوا به في ذلك الوقت من خبرة في الفروسية والرمي ، حتى أنهم فضلوا في هذا المجــال علــى

---

[١] العمري : الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، ص٣٦ – ٤٠ .

[٢] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨٧ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص١٤٩ .

[٤] المصدر نفسه ، ص٢٠١ .

مماليك مصر أنفسهم ، وبلغ عدد مماليك المنصور ما يقارب من ألف فارس وقيل ثمانمائة[١] ، ويبدو أن المنصور قد أخذ في تقليد غيره من ملوك الأقطار الإسلامية الأخرى[٢] ، حيث أقدم على شراء أعداد كبيرة أخرى من المماليك صغار السن ، وقد يكون هدفه من وراء شـرائهم صغاراً تنشئتهم بالطريقة التي يريدها ، وتشكيلهم وتسخيرهم لأعمال منتقاة ، وتدريبهم عليها منذ طفولتهم ، وكان عدد هؤلاء المماليك الصغار الذي اشتراهم لا يقل عن المجاميع الموجودة معه[٣] ، فتكون لديه أعداد كبيرة منهم ، وبلغ من أهمية شراء المماليك عند المنصور أنه كان يخصص مبالغ مالية من خزينة الدولة لشرائهم ، لاسيما المماليك الأتراك ، حتى أن الجندي[٤] يقول عن المنصور إنه لم يكن لأحد من الملوك الرسوليين مثل عسكر ومماليك السلطان المنصور .

وعلى ما يبدو أن هؤلاء المماليك الصغار كانوا موزعين على الحصـون والمـدن المختلفة ، وفي هذا الصدد يشير ابن حاتم[٥] إلى أنه كان في المنصـورة[٦] مـن المماليـك الصغار مئة وسبعون مملوكاً جميعهم ملك السلطان المنصور ، ونلاحظ أن هـذه المجـاميع كانت موجودة فقط في المنصورة عدا المجاميع التي كانت موجودة في المدن اليمنية الأخرى ، لاسيما المدن الكبرى التي يبدو أنها ضمت أضعافا مضاعفة ، ويرى بعض الباحثين أن سبب قيام السلطان المنصور باستجلاب هؤلاء المماليك بهذه الكميات إلى اليمن يعود إلى أنـه أراد أن تكون له عصبية قوية يقارع بها العصبيات المحيطة به في اليمن من قبل تكتلات القبائـل حوله ، منتهجاً أسلوب حكام مصر المعاصرين له في ذلك[٧] ، والحق أن اهتمام بني رسـول في الاعتماد على المماليك الصغار لم يقتصر على عهد المنصور بل امتد ليشمل من جاء بعده من أبنائه وأحفاده ، فأخذوا في تنشئتهم وتربيتهم بما يليق بالمكان الذي سيخدمون فيه ، وكان السلطان المظفر الأول ممن امتلك هؤلاء المماليك الصغار اقتداءً بوالده المنصور ، وبالغ في الاهتمام بهم ، وصرف لهم المرتبات ، وتذكـر المصادر أن راتب هؤلاء المماليـك لشـهر رمضان في سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م بلغ ألفين وخمسمائة وثمانين ونصف دينار ، وهو مبلـغ كبير جداً ، وهذا دليل على العناية التي أولاها سلاطين بني رسول بمماليكهم ، ومن الملاحظ

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٢ .

[٢] وهي طريقة اتجه إليها بعض سلاطين البلاد الإسلامية كمصر والشام ، إذ يشترون المماليك صغاراً في سن الطفولة لا يعلمـون شيئاً ، ويعملوا على تربيتهم بالطريقة التي يريدونها . انظر : قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعي ، ص١١ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٢ – ٨٣ .

[٤] السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٣ – ٥٤٤ .

[٥] السمط الغالي الثمن ، ص٢٤١ .

[٦] المَنْصُـورَة : بلدة خربة شرق القاعدة شمال الجند ، وهي بين الجند ونقيـل الحمراء . البغدادي : مراصد الإطـلاع ، ج٣ ، ص١٣٢٢ ؛ إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٢٧٤ .

[٧] الحبشي ، عبدالله محمد : حياة الأدب اليمني فـي عصر بني رسـول ، ط٢ ، منشورات وزارة الإعـلام والثقافـة ، صنعاء ، ١٩٨٠م ، ص٤٥ – ٤٦ .

أن تلك المبالغ تجعلهم يعيشون في مستوى راقٍ بين أوساط الناس ، فضلاً عن حصولهم على كل ما يحتاجون إليه من متطلبات المعيشة والحياة ، في حين بلغ من اهتمام سلاطين بني رسول بهؤلاء المماليك الصغار أنهم أخذوا يوفرون لهم المدرسين لتعليمهم العلوم المختلفة ، إضافة إلى تدريبهم على أساليب التعامل والخدمة داخل القصور السلطانية عند خدمتهم للسلطان وغيره من أفراد البيت الرسولي[١] .

ولم يقتصر استجلاب المماليك على سلاطين بني رسول فقط بل فعل ذلك عدد من أفراد الأسرة الرسولية ، إضافة إلى بعض كبار الأمراء والشخصيات المؤثرة في الدولة كالمشائخ والأغنياء والفقهاء[٢] ، ويشير الخزرجي[٣] إلى أن الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول كان يملك أعداداً من هؤلاء المماليك ، حتى أنه عندما خرجت عليه صنعاء ونواحيها سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م في أثناء صراعه مع الإمام أحمد بن الحسين والقبائل المؤيدة له لم يبق معه أحد من عسكره إلا مماليكه ، لانضمام الجميع إلى الإمام وأنصاره .

لم يكن السلطان المنصور يعلم بأن نهايته ستكون على أيدي هؤلاء المماليك الذين دفع لشرائهم مبالغ مالية طائلة اعتقاداً منه بأنهم سيكونون سنداً له واليد التي سيضرب بها من يشاء من أعدائه ، ولم يكن يعلم بأن خراب دولته التي بذل لإقامتها الكثير سيكون أيضاً على أيديهم ، وقد قام المماليك بعد أن أوجدوا لهم مكانة سياسية واجتماعية بدور كبير في زعزعة الأوضاع السياسية ، فأثر هذا على استقرار الحياة الاجتماعية للناس ، وكثيراً ما كانت حركاتهم تسبب الكثير من الفزع والخوف بين أوساط الرعية في العديد من المناطق اليمنية ، وأصبحوا يشكلون قلقاً لبني رسول أنفسهم خلال حكمهم اليمن ، لتدخلهم في أقل الأمور المتعلقة بهم ، لاسيما بعد أن تجرأوا على قتل السلطان المنصور في قصره بالجند[٤] ، ولم يكتف هؤلاء المماليك بقتلهم المنصور فقط بل انتشروا في الجند وافزعوا الناس وأخافوهم بعد

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ .

[٢] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٥ – ٥٦٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨١ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٥٤ – ٥٥ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣ ب .

[٣] العسجد المسبوك ، ق١٠٣ب .

[٤] يبدو أن مماليك السلطان المنصور الذين كانوا معه في الجند هم جميع جنده ، بما فيهم حرس المدينة وحرس القصر وحرسه الخاص ، ومن يقومون بخدمته وحاشيته ؛ لأن المصادر لم تشر إلى أي مقاومة من قبل المنصور أو غيره ممن كانوا معه الذين يبدو أنهم استضعفوا أمام كثرة المماليك وتكاتفهم عليهم ، إضافة إلى أن المصادر لم تذكر دوراً لأحد من حرسه أو عسكره المحيطين بقصره من غير المماليك ، وهذا دليل على أن كل من حوله كانوا منهم ، حتى أنه لم يتجرأ أحد على التقدم إلى قصر المنصور لأخذ جثته خوفاً منهم ، سوى بني فيروز الأكراد الذين لم يتجرأوا على ذلك إلا بعد أن خرج جميع المماليك من المدينة ، وتجمع المصادر على أن الذي أغراهم بقتله ودفعهم إلى ذلك ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول بعد أن وعدهم بإعطائهم ما طابت أنفسهم ، أما السبب في قتله فيعود إلى أن السلطان المنصور أراد انتزاع صنعاء من يد أسد الدين بعد أن كانت إقطاعاً له ، ليقطعها لابنه الملك المظفر الأول ، مما أثار غضب أسد الدين الذي اتفق مع المماليك على قتل عمه . انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٤٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٢ .

أن رأوهم يقومون بمهاجمة اصطبلات الجند الخاصة بالسلطان المنصور ليستولوا على ما فيها من الخيول ، كما رأوهم يهاجمون المناخات ليستبيحوا ما فيها من الجمال[١] ، ويبدو أن أهالي الجند ارتعبوا من أفعالهم تلك خوفاً على أنفسهم من مهاجمتهم واستباحتهم لأملاكهم وأموالهم ، ويصف لنا عماد الدين إدريس الحمزي[٢] المماليك بعد قتلهم السلطان المنصور بأنهم أصبحوا في الجند كغنم بلا راع . في حين ارتجت مدينة تعز واضطرب الناس فيها حينما علموا صنيع المماليك ، وزاد من خوف الرعية في تعز وصول خبر مفاده زحف المماليك إليها ، ويظهر أن هذا الأمر قد أثار خوف عامة الناس الذين خافوا من سطو المماليك على أملاكهم وأموالهم ، ولاسيما أنه لم يكن هناك ما يمنعهم من أخذ ما يريدون من أملاك الناس هناك[٣] .

وعلى أية حال ، فقد فعل المماليك ما فعلوا وهم خائفون من ردة فعل أبناء السلطان المنصور وردة فعل المجتمع من حولهم ، حتى أنهم عند وصولهم إلى تعز أخذوا بالتفاوض مع أبناء المنصور المفضل والفائز وأمهم بنت جوزة ، ولكن تلك المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود ، فلم يكن أمامهم إلاّ اللجوء إلى أحد أفراد البيت الرسولي ليتمسكوا به ويولوه سلطاناً بدلاً من المنصور أو أحد أبنائه ، فوجدوا الأمير فخر الدين أبابكر بن الحسن بن علي بن رسول الذي أيدهم وسار معهم لحصار مدينة زبيد[٤] .

لقد كان لهذه الأحداث صداها بالنسبة للمماليك الموجودين في مختلف مناطق اليمن ، فتحرك بعضهم في ظل هذه الفوضى ، وأخذوا يقومون بأعمال الشغب والعصيان كالسلب والنهب والتخريب والسبي لأهالي المناطق الموجودين فيها ، وفي الوقت نفسه كان رد فعل المجتمع كافة ضد أفعال المماليك شديداً ، فثاروا في وجوههم محاولين وضع حد لتصرفهم هذا الذي أصبح يُقلق حياة الناس بعد أن بدأ صداه يدوي في كل منطقة وُجِدوا فيها ، وكان مماليك السلطان المنصور نور الدين عمر في منطقة المنصورة أول من فكر في القيام بأعمال السلب والنهب منذ سماعهم لما حصل في الجند ، إذ أغلق هؤلاء المماليك باب المنصورة ، واختلفوا فيما بينهم على نهب المدينة وسبي حريمها وقتل الرجال الذين بها ، واستباحة ما فيها من أموال ، فكان رد فعل أهالي مدينة المنصورة شديداً عند وصول خبر المماليك إليهم وما ينوون فعله[٥] ، ولعل ما قام به أهالي المنصورة ضد المماليك من قتل وسجن وغيره كان له

---

[١] عن مناخات الجمال واصطبلات الخيل انظر لاحقاً : ص١٢٨ – ١٣١ .

[٢] كنز الأخيار ، ص١٠٠ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٩ .

[٤] عن تفاصيل هذه الأحداث انظر فيما سبق : ص١٨ – ١٩ .

[٥] كان لفئات المجتمع دور في الأحداث التي أخذت تعم اليمن بعد مقتل المنصور ، كما كان دور الناس كافة أيضاً فاعل في التصدي لها ، مما يظهر لنا مدى المشاركة الفاعلة لأبناء اليمن في مثل هذه الأحداث التي تعرضوا لها ، ودورهم في حماية مدنهم وأموالهم وأملاكهم في أيام ضعف الدولة أو غياب دورها أو عجزها عن الدفاع عن هذه المدن . انظر : ص٣٤١ – ٣٤٢ .

أثره الإيجابي على مستوى اليمن ، فقد هدأت الأمور وأخذت تعود إلى طبيعتها[١] ، ولم تذكر المصادر أي تحرك لهم في أي منطقة أخرى لشدة تصدي الأهالي لتصرفاتهم التي خرجت عن الصواب ، ومع ذلك أخذ الناس يحملون الحقد والبغضاء والكره لهؤلاء المماليك ، لاسيما لبعض أفعالهم القبيحة التي أثرت سلباً على المجتمع كافة .

وهكذا ، تظهر لنا الأحداث التي كان للمماليك الدور الفاعل فيها منذ بداية قيام الدولة الرسولية أن هؤلاء المماليك لم يكونوا على مستوى واحد من حيث ترتيبهم الإجتماعي ومهامهم في الدولة ، بل قُسِّموا من قبل بني رسول إلى فرق لها ترتيب خاص حسب قربها ودروها في خدمة السلطان وأفراد بيته ، مما ميز بينهم داخل المجتمع ، حتى أن هذا التقسيم أصبح فيما بعد يشكل مراكز ودرجات عرفهم بها الناس كافة ، وأدى ذلك إلى أن يعرف المماليك بمراتبهم التي جعلت بعضهم يصل إلى مستوى عالٍ في المجتمع ، وأهم هذه الفرق :

• – المماليك السلطانية :

وهم من خاصة السلطان ، ويتم شراؤهم وانتقاؤهم بمواصفات خاصة ، ويتم تدريبهم على فنون القتال والفروسية منذ نشأتهم الأولى ، ليكونوا أعلى ترتيباً وأحسن نظاماً من سائر المماليك وخصوصاً إذا كانوا من اختيار السلطان نفسه والذي يكلف من يقوم بتعليمهم وتدريبهم على النظام الدقيق ، وقد تميز المماليك السلطانية بأنهم كانوا يعرفون بأسماء مالكيهم من السلاطين ، كأن ينسب المملوك إلى السلطان المنصور فيقال (المنصوري) ، أو أن ينسب – فيما بعد – إلى أحد أبنائه أو أحفاده ممن تولّوا بعده[٢] ، فيقال له (المظفري) أو (الأشرفي) أو (المؤيدي) أو (المجاهدي) أو (الأفضلي) أو غيره ، وتذكر لنا المصادر أسماء بعض هؤلاء المماليك مثل : ريحان البرجمي المظفري[٣] ، والأمير عز الدين أيبك الدودار المؤيدي والأمير بهاء الدين بهادر المجاهدي وفاخر الأشرفي وغيرهم[٤] . ويعد المماليك السلطانية من أرفع المماليك منزلة ، وأشدهم قرباً من السلطان ، وأكثرهم إقطاعاً[٥] ، وعُلِم في ذلك الوقت أنه في حال وفاة السلطان ينتقل جميع مماليكه إلى أملاك السلطان الجديد ويعملون في خدمته ، كما كانوا يفعلون مع السلطان الذي قبله[٦] ، وبهذه الطريقة كان المماليك السلطانية يتزايدون حين يُضم إليهم مماليك أسلافهم من السلاطين ، إلا أن العلاقة بين السلطان والمماليك الذين

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤١ – ٢٤٢ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٥ – ١٦ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٥ . وانظر : إحسان عباس : تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، مط : الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٣٨ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١٤١ .

[٤] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٧٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٩٤ .

[٥] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٥ – ١٦

[٦] عليان : الحياة السياسية ، ص٢٧ ؛ إحسان عباس : تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك ، ص٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اشتراهم وأشرف على تربيتهم عادة ما تكون أقوى من العلاقة بينه وبين غيره من المماليك الذين ورثهم[1] ، ويبدو أنه كان لهؤلاء المماليك مكانة متميزة بين رجال الدولة وأبرز رجال المجتمع الذي أصبح عنصر المماليك جزءاً لا يتجزأ منه .

وقد اختلفت مهام المماليك المحيطين بالسلطان ، وتعددت تقسيماتهم الداخلية حسب قربهم منه ، وحسب نوعية الخدمة التي يقدمونها له ، مما أوجد تقسيماً داخلياً في إطار المماليك السلطانية أنفسهم ، ومراتب قربت بعضهم أكثر من السلطان[2] ، وأوجدت لهم مكانة أكبر عنده . وعلى الرغم من أن المماليك السلطانية كانوا عبارة عن مجموعة واحدة إلا أنهم كانوا مؤلفين من عدة فرق أهمها : المماليك الخاصكية[3] ، وهؤلاء يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ، ويجعلهم في حرسه الخاص ، ويجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يدخلون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه وينالون من ذلك مالا يناله أكابر المقدمين ، ويحضرون في بداية كل نهار لخدمة الإصطبل والقصر ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً ، ويتميزون عن غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز ، ويبعثون في مهمات سياسية ، ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم ، ومنهم أصحاب المناصب العليا في الدولة[4] ، كما كان المماليك الخاصكية يشاركون في الاحتفالات والأعراس السلطانية أو أفراح كبار رجال الدولة ، ويتولون حمل الشموع أمام العريس في أثناء الزفة حتى يصل إلى الدار التي سيقيم فيها ، يعني أن مهمتهم في جزء منها أقرب إلى فرق الاستعراض العسكرية ، وقد شارك المماليك الخاصكية في عصر السلطان الأشرف إسماعيل الثاني في عرس الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م ، وكانوا يحملون الشموع المزهرة أمامه ليلة عرسه وهو سائر إلى داره الجديد[5] .

ومع رقة العمل الذي يقوم به هؤلاء المماليك في القصور ، وابتعادهم عن الحروب إلاّ أنهم كانوا كثيري الخيانة ، وقد رصدت المصادر لهم حركتي خيانة قاموا بها في منطقتي القوز[6] والمملاح[7] سنة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م ضد السلطان الأشرف الثاني الذي استكثر منهم في

---

(1) قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعي ، ص١٨ .

(2) ابن كنان ، محمد بن عيسى : حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تح : عباس صباغ ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص١٣٨ – ١٣٩ .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٥ ؛ ضومط : الدولة المملوكية ، ص٢٢ .

(4) الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر لويس راويس ، باريس ، ١٨٩٤م ، ص١١٦ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٦٦ ؛ البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص١١٤ ؛ إحسان عباس : تاريخ بلاد الشام ، ص٣٨ .

(5) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٣ .

(6) القَـوز : بلده في ظاهر زبيد . ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٨٦ ، ح (٢) للمحقق .

(7) المملاح : قرية تقع في ظاهر زبيد . الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٧٨ب .

قصوره ، فعاقبهم بأشد العقوبات ، وأباح دماءهم وأموالهم ، فقتلوا وصلبوا ولم ينج منهم إلاّ اليسير[١] ، حتى أن المصادر كفت عن ذكرهم وذكر دورهم إلى نهاية عصر الدولة الرسولية .

• – مماليك حلقة :

وسمو بالحلقة لأنهم يحيطون بالسلطان ويكونون حلقة من حوله عند تحركه ، ولم تكن الحرب مهمتهم وإنما يكلفون بحراسة السلطان فقط[٢] ، وإذا دعت الحاجة إليهم في الحروب يتم استدعاؤهم كفرقة مستقلة ، وقد شارك مماليك الحلقة نظراؤهم المماليك السلطانية في العديد من الوقعات التي تطلبت وجودهم وتدخلهم ، وتشير المصادر إلى أن السلطان المظفر الأول احتاج إليهم حين أراد فتح ظفار الحبوضي سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وميزهم عن غيرهم من المماليك حين عين عليهم مقدماً خاصاً بهم ، فشاركوا كفرقة مستقلة بذاتها[٣] .

ويبدو أن عدد مماليك الحلقة المحيطين بالسلطان كان كبيراً ، حتى أن سلاطين بني رسول قد يستعينون بجزء منهم في تأدية بعض المهام العسكرية الصعبة كالتصدي لبعض القبائل التي تثير القلق في بعض المناطق والمدن ، كما فعل السلطان المؤيد داؤد عندما أرسل ثلاثمائة فارس من حلقته ليتصدوا للنجوع[٤] الذين جاؤوا إلى ناحية حرض للسطو عليها ونهب سكانها في سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م ، فشتتوا النجوع وأعادوهم خائبين مهزومين[٥] ، كما كان سلاطين بني رسول يرسلون حلقتهم مع بعض الأمراء والمقطعين لتسهيل مهامهم في إقرار أوضاع مناطقهم ، كما فعل السلطان المظفر عندما أرسل حلقته الخاصة مع الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبدالله بن حمزة بعد أن أقطعه القحمة ، فكانت لهم العديد من الوقعات هناك[٦] .

وتذكر لنا المصادر فرقة من المماليك تعرف بالبحرية[٧] ، ومهمتها أيضاً حراسة السلطان في الليل والنهار ، وكانوا يحرسون السلطان عند نومه ، وإذا أرادوا النوم ناموا في دهاليز القصر[٨] . ويظهر أن هؤلاء المماليك الذين سمّوا على اسم المماليك البحرية في مصر كانوا فرقة من

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٦٧ – ١٦٨ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٨٣ .

[٢] عليان : الحياة السياسية ، ص٢٢٨ . وانظر : ضومط : الدولة المملوكية ، ص٥٦ – ٥٧ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١٠ .

[٤] النُجع : بطن من حمير . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص١٧٢٣.

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٢ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٥ أ – ب ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٨٣أ .

[٧] يذكر المؤرخون أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو أول من رتب المماليك البحرية ، وأول من سماهم بهذا الاسم نسبة إلى بحر النيل الذي أحاط بثكناتهم في جزيرة الروضة ، ومع هذا فقد اختلفوا حول هذه التسمية . للمزيدمن التفاصيل . انظر : علي إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، مط : الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٤م ، ص٢٨ – ٣٠ ؛ العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، ص٩٦ – ٩٧ . ومن الملاحظ أن سلاطين بني رسول تأثروا بسلاطين المماليك في مصر فسموا فرق من مماليكهم بالبحرية نسبة للمماليك البحرية هناك .

[٨] دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٤ .

مماليك الحلقة لتشابه مهامهم ، وهي حراسة السلطان وحمايته ، وما يميزهم عن الحلقة أنهم يظلون حول السلطان يحرسونه في دهاليز القصور والقلاع عند سفره ، إضافة إلى الاستعانة بهم بشكل واضح لخوض المعارك إلى جانب عسكر السلطان[١] ، بينما مماليك الحلقة يرافقون السلطان حتى عند خروجه من القصر أو في زياراته لبعض المناطق والمدن أو عند خروجه إلى أي مكان ، أي أنهم يقومون أحياناً بمهام من يطلق عليهم في عصرنا بالقوات الخاصة .

وتذكر المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية المماليك البحرية للمرة الأولى عند الحديث عن جنازة السلطان المنصور الأول ، بعد أن نقله بنو فيروز إلى تعز ، إذ كانوا ضمن المشيعين لجثمانه والحاملين لنعشه ، مع الإشارة إلى أحد مقدميهم وهو الطواشي[٢] مسرور الذي كان أحد خدم المنصور[٣] ، إضافة إلى الطواشي جوهر الذي كان والياً ومقدماً على المماليك البحرية في حصن الدملوة عند مقتل المنصور ، وقد كان هؤلاء المماليك البحرية ومقدميهم مناصرين لأبناء السلطان المنصور المفضل والفائز[٤] .

وكان السلطان المظفر الأول كثيراً ما يستعين بهم في حروبه ضد أعدائه ، لما تميزوا به من بسالة وشجاعة في المعارك ، فكانوا ضمن قواته التي جهزها سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م بقيادة الطواشي تاج الدين لحرب الإمام أحمد بن الحسين والأمير أسد الدين بن الحسن المناصر له ، وقد ظهرت بسالة المماليك البحرية وقدراتهم القتالية في المعارك التي خاضوها ، حيث أبلوا بلاءاً حسناً فيها[٥] . كما اعتمد عليهم السلطان المؤيد في أثناء صراعه مع الأشراف الزيديين ، فكانوا من أشد فرسانه وأشجعهم في هذه المعارك[٦] ، وفضلاً عن ذلك تميز المماليك البحرية بالقوة والشجاعة ، حتى أنه لم يقف أحد في وجه الأكراد في نمار مثلما وقف المماليك البحرية ، وكثيراً ما كانوا يهزمون الأكراد ويكسرون شوكتهم في المعارك التي تحدث بينهم[٧] .

الجدير بالذكر ، أن دور المماليك البحرية برز بصورة كبيرة في أثناء الصراع الذي نشب بين السلطان المجاهد ومنافسيه على الحكم ، إذ كان موقفهم إلى جانب قوى المعارضة ، فساندوا الملك المنصور أيوب بن المظفر الأول بعد أن قبض على ابن أخيه المجاهد سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م ، وأصبحوا فيما بعد يمثلون مصدر خوف وقلق له ، وأخذ يتودد إليهم تجنباً لغضبهم عليه ، حتى أنهم عندما اختلفوا مع نائب السلطنة الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين الشهابي

---

(١) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٠ ب ، ١١١ أ .

(٢) الطواشية : وهم الخصي من الغلمان المماليك المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٠٩ .

(٣) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٩٨ .

(٥) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٠ب ، ١١١أ ، ١٢٢أ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .

(٧) انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٣٨٦ .

– بعد أن فوضه الملك المنصور أيوب لهذا المنصب – صرفه عنه إرضاءً لهم ولأمرائهم[١] الذين وصلوا إلى مرحلة من القوة جعلت بني رسول يهابونهم ويخافون منهم ، وقد اشتد موقفهم المعارض للمجاهد عندما قبض على عمه الملك المنصور ، وامتلأت مدينة تعز بفرسانهم ورجالهم ، وساروا إلى الملك الناصر جلال الدين محمد بن عمر بن المظفر الأول في محاولة لتنصيبه سلطاناً ، وتشير المصادر إلى تعجب المجاهد من موقفهم هذا المعادي له وهو يرى تجمعهم من أعلى حصن تعز ، وهم يحاولون مهاجمة الحصن بالبحث عن طريق لاختراقه ، ولم يكن أمام المجاهد خيار غير توجيه ضربة قاسية لهم ، فأمر صائحاً يصيح من أعلى الحصن ويقول : " يا أهل تعز بيوت المنصورية لكم حلال "[٢] ، ويبدو أن أهالي تعز كانوا قد ملوا من أفعال المماليك التي أفقدتهم الأمن والاستقرار ، فأخذوا يكيدون لهم ، حاملين في قلوبهم الكثير من الكره والبغضاء ، إذ بمجرد سماعهم ذلك النداء انقلبت تعز رأساً على عقب ، فهاجم الناس بيوت ملوك بني رسول المناوئين للمجاهد ، وبيوت أمراء المماليك البحرية في عملية نهب لم يشهدوا لها مثيلاً ، ورغم جبروت المماليك البحرية إلا أنه غشيهم السواد الأعظم من أهالي تعز ، وأصبحوا عاجزين أمامهم ، وأخذوا ينظرون إلى بيوتهم وأموالهم وهي تنهب من قبل الناس ، ولم يوقفهم إلا نداء آخر من المجاهد يأمر فيه الناس بالكف عن أعمال النهب لبيوت الملوك والأمراء . ومما لا شك فيه أن هذه العقوبة أخضعت المماليك البحرية لحكم المجاهد وأدخلتهم تحت طاعته بعد أن عقد معهم العهود والمواثيق والذمم وتعهد لهم بالأمان ، وأمر من ينادي في الأسواق وأماكن تجمع الناس بالأمان لهم[٣] .

على أية حال ، فقد ظل المماليك البحرية يحملون للسلطان المجاهد الكثير من الحقد والبغضاء لما عمله معهم من أمور عرضتهم للإذلال والمهانة من قبل الناس كافة ، حتى أنهم عندما حانت لهم الفرصة للخروج عليه فعلوا ذلك ، فأعلنوا في سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م انضمامهم إلى قوات الظاهر بن أيوب المعارضة لابن عمه السلطان المجاهد بعد أن أكرمهم بالأموال ، وانضموا إلى قواته المحاصرة لحصن تعز ، حيث يتحصن المجاهد الذي أمر بعد الحصار بوقف ما يصرف لهم من جوامك[٤] ومعونات وهبات ، فتعبوا بعدما طال عليهم الأمر ، وباع كثير منهم عدته من سلاح وخيل ، وباع بعضهم ثيابه ، وأحدثوا أموراً أثارت غضب المجاهد

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٧ – ٢٨٨ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٨٠ .

[٣] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص ٥ – ٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٧١ أ – ب .

[٤] الجَوَامِك : لفظة فارسية مشتقة من جامة بمعنى اللباس أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي ، وقد ترد بمعنى آخر أو كراتب ، وهي من مصطلحات الدواوين ومعناها المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدولة . ابن الديبع ، عبد الحمن بن علي : الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٣٨٩ للمحقق ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٥١ .

عليهم ، وذلك عندما أخذوا يسبونه ويجاهرون بالكره له ، وبدأوا يؤذونه بالكلام البذيء والجارح ، وتكرر ذلك أمام هدوء المجاهد الذي نفذ صبره في الأخير ، ولم يجد أمامه إلاّ أن يكرر ما فعله من قبل ، فأمر صائحاً من أعلى حصن تعز يبيح لعامة الناس المماليك البحرية قتلاً ونهباً وأسراً بأوامر وتعليمات منه ، وكانت تلك نكبة أخرى للمماليك البحرية فقتل من قتل منهم ، وشنق من شنق ، وجلد من جلد[١] ، لهذا ظلت علاقة بني رسول بالمماليك البحرية في اضطراب دائم لتجبرهم وتعاليهم الذي جعل الناس يترقبون الفرص السانحة لمهاجمتهم والقضاء عليهم .

• - مماليك الأمـــراء :

ويأتون في المرتبة بعد المماليك السلطانية ومماليك الحلقة ، لكونهم يكونون في حوزة أمراء بني رسول ، ويعد امتلاكهم حق من حقوق أي أمير ، وكثيراً ما كان سلاطين بني رسول يقدمونهم هدايا للأمراء أو عند تكريمهم أو عند إقطاعهم لمنطقة معينة ، كما فعـل السـلطان المظفر الأول عندما أقطع الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام مدينة القحمة ، وقدم له من الرجال والخيل والأكسية الكثير ، إضافة إلى مئة فارس من هؤلاء المماليك والحلقة[٢] .

ويذكر الخزرجي[٣] أن السلطان الأشرف الأول عمر أمر للأمير الشريف عماد الدين إدريس بن علي الحمزي في سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م بسبعة آلاف دينار وتحف وملابس وخيل ومماليك هدية له ، وقد اهتم السلاطين الرسوليون بإقطاع الأمراء المناطق المختلفة لاستثمارها والاستفادة من أموالها لتدريب هؤلاء المماليك والإنفاق عليهم[٤] ، وفي حالة حاجة السـلطان الرسولي لهم كان الأمراء يمدونه بما يحتاج إليه منهم[٥] .

كما وجدت فرقة أخرى من المماليك كان لها دور في الأحداث في اليمن والتأثير على سيرها وهؤلاء عرفوا بالمماليك الأسدية ، ويبدو أنها كانت من الفرق العسكرية القوية في الجيش الرسولي ، وقد اعتمد عليهم السلطان المظفر الأول في إخضاع العديد من المناطق ، واهتم بهـم اهتماماً خاصاً ، ورغم انشغاله في حروبه المختلفة إلا أنه لم يتوانَ في إرسال الخزائن المحملة بالرواتب إليهم بصورة دائمة [٦] ، كما اعتمد على بعض رجالهم في بعض المهام العسكرية ، مثل أحمد بن قيصر الذي تزعم أحد المحاط المحاصرة لأهل ثُلا[٧] سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م[٨] .

---

[١] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٠ – ٥٦١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١ – ١٣ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٥ ا – ب ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٨٣أ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٦ .

[٤] عليان : الحياة السياسية ، ص٢٢٨ .

[٥] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٩ .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .

[٧] ثُـلا : حصن مشهور في الغرب من صنعاء على مسافة (٤٥ كيلو متراً) ، وفي سفحه الشرقـي توجد مدينة ثُـلا ، وهي من المدن المشهورة بالعلم . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٦٧ .

[٨] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٨٠ – ٣٨١ .

كان المماليك الأسدية كغيرهم من المماليك لا يستقرون على حال مع سلاطين بني رسول ، فعلى الرغم مما قدمه لهم السلطان المظفر الأول من اهتمام وتقدير إلا أنهم دخلوا في صراع مرير معه ، بل إنهم أخذوا في إثارة الاضطرابات ضده ، كما أخـذوا فـي انتهـاز الفرص لخلق البلبلة والفوضى في البلاد ، وكانت أشد الفتن التي أثارها المماليك الأسدية فـي سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م عندما قتل أحد مماليك الأمير علم الدين الشعبي أحد أبنائهم[١] . كمـا فعلوا الشيء نفسه عندما اضطربت صنعاء لتهدم القصر السلطاني فيها على الأمير علم الدين الشعبي[٢] .

لقد استمر قدوم عنصر المماليك خلال مدة حكم الأسرة الرسولية ، وكانت مصـر مصدر توافدهم ، مما أدى إلى زيادة أعدادهم في البيوت والقصور السـلطانية[٣] ، وتصـف المصادر جانباً من أخلاقيات بعض المماليك وسلوكياتهم التي شاعت في المجتمع ، فوصفتهم بالفسق والشيطنة وتعاطي الخمور[٤] ، وقد لقيت تلك الصفات السيئة معارضة من قبل الناس كافة لعدم تقبلهم لها ، ولاسيما أنها دخيلة على المجتمع اليمني الذي تميز بصـفاته الحميـدة وأخلاقه الرفيعة والنبيلة .

وعلاوة على ذلك ، فهناك مواقف كثيرة قام بها المماليك ولّدت الكثير مـن الحقـد والكره في قلوب الناس تجاههم ، وكان قتلهم السلطان المنصور أول وأعظم المواقف والجرائم التي ارتكبوها ، وتركت أثرها على الأسرة الرسولية ، وعلى المجتمع كله ، لتضرره منها[٥] ، كما كان لموقفهم المعادي للسلطان المجاهد دور في زيادة حقد الناس عليهم ، وما مهاجمة أهالي مدينة تعز لبيوت المماليك ونهبها إلا دليلاً على حقد دفين عبروا عنه بسلبهم ونهبهم لأمـلاك هؤلاء المماليك الذي زادت أفعالهم من حقد المجتمع عليهم ، لاسيما وأنهم كانوا يغذون الصراع الذي كان دائراً بين المجاهد ومنافسيه[٦] ، إضافة إلى انضمامهم إلى الملك المظفر المخـالف لأبيه السلطان المجاهد سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م[٧] . وكان للحملة التي وصلت إلى اليمن قبل ذلك في سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م من مصر لمساعدة المجاهد ضد منافسيه دور في عدم تقبل اليمنيين

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٥٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٩٠ – ١٩٤ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٥٤–٥٥ ؛ الشامـي ، أحمد بن محمد : تاريخ اليمن الفكري فـي العصر العباسـي (١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٥٠ – ١٢٥٩م) ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

[٢] انظر عن ذلك : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٤٥ ، ٤٦٣ ، ٤٥٤ – ٥٠٥ ، ٥٤٠ .

[٣] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٣أ – ب ، ٢٠٤ب ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٨ – ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٧٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٢٩ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٩ – ٢٤١ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣ – ٥ ، ٢٨ – ٣١ ، ٤٧ – ٤٨ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٣٠٣أ – ب ، ٣٠٤أ .

لأي عنصر من عناصر المماليك ، لما ذاقه الناس من أمراء وعسكر هذه الحملة ، حيث رسموا صورة سيئة للمماليك كافة ، لاسيما مماليك مصر[1] .

وقد شجعت هذه المواقف المماليك في اليمن على زيادة تدخلهم في شؤون بقية أفراد الأسرة الرسولية والكيد لهم ، حيث تآمروا على السلطان الناصر سنة ٨١٨هـ / ١٤١٥م ، فكشف أمرهم وعاقبهم بشدة ، وكان لموقفهم من السلطان الأشرف الثالث إسماعيل الذي قاسى الناس في عهده الكثير منهم دور في القضاء على ملكه سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م ، وتولية السلطان الظاهر يحيى بدلاً منه ، لهذا كان الظاهر شديد الحذر منهم مع أنهم السبب في توليته الحكم ، وفي عهد الظاهر نفسه أخذ المماليك يتجرأون على الأسرة الرسولية بقولهم أنهم يولّون ويعزلون من شاءوا منهم ، إضافة إلى تلفظهم ببذيء الكلام على بني رسول ، الأمر الذي دفع بالظاهر إلى أن يوجه لهم ضربة شديدة في سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م فقتل وصلب وسجن وأغرق الكثير منهم ، وفي الوقت نفسه عفا عن بعضهم بعد أن رأى الحالة التي وصلوا إليها[2] . ولكن المماليك زادوا من تجبرهم وعنادهم ضد بني رسول مع بدء ضعف الدولة الرسولية ووهنها ، وأصبحوا هم الذين يولون السلطان الرسولي أو يعزلونه ، ووصل بهم الأمر إلى تولية أكثر من سلطان في وقت واحد ، وكأن بني رسول ألعوبة في أيديهم أو دمى يحركونها كيفما شاءوا وأينما شاءوا[3] .

كان الأشراف الزيديون ممن اختلفوا مع المماليك لمواقفهم المعادية لهم والمؤيدة لبني رسول ، على الرغم من تحالفهم معهم في بعض الأحيان ، إلا أن العلاقة ساءت بينهم إثر قتلهم لأحد كبار رجال الأشراف الحمزيين وهو الأمير داؤد بن الإمام عبدالله بن حمزة ، بعد أن نهبوا محطته سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م ، بتحريض من السلطان المظفر الأول ، وأخذ الأشراف ينتظرون الفرصة المناسبة للانتقام منهم ومن أفعالهم[4] . أما عامة الناس فلم يسلموا من ظلمهم وقهرهم ، لاسيما في أثناء فترات الضعف والاضطراب التي تتعرض لها الدولة ، إذ كان المماليك يستغلون مثل هذه الظروف ليقوموا بأعمال السلب والنهب والتخريب لبيوت الناس ، مسببين لهم

---

[1] عن هذه الحملة التي أرسلها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون بعد أن فشل المجاهد في ضبط الأمور في البلاد انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٢ – ٣٥ ؛ علي إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية ، ص١٧٠ – ١٧٢ ؛ ريتشارد مورتيل : الأحوال السياسية والإقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ط١ ، مط : جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٨٢– ٨٤ . وللمزيد من التفاصيل عن أثر هذه الحملة على المجتمع اليمني . انظر لاحقاً : ص٣١٩ .

[2] انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٩ ، ٢١٤ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٩ . وقد صور إسماعيل المقرئ هذه النكبة التي وجهها السلطان الظاهر للمماليك الذين زادت أفعالهم من حقد الجميع عليهم ، بقوله :

وقد زين الشيطان أعمالهم لهم ... وأوهم منهم من طغى أنه الأعلى

وأغراهم حتى تحير من بغى ... وأسرف أن يهدى إلى أمه الثكلا

انظر : أبو زيد ، طه أحمد : إسماعيل المقرئ حياته وشعره ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١١ .

[3] انظر عن دور المماليك في عدم استقرار الأوضاع السياسية في أواخر عصر الدولة الرسولية فيما سبق : ص٢٣ – ٢٤ .

[4] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٨٧ .

حالة من الخوف والإرباك ، وكانت مدينة الجند أول المدن التي تعرضت فيها أملاك بني رسول وغيرهم من عامة الناس لأعمال السلب والنهب والسرقة بعد قتلهم للسلطان المنصور[١] ، كما كانت مدينة المنصورة ثاني المدن التي تآمر المماليك على نهب أموال أهلها وسبي نسائها ، مدركين انشغال الدولة عنهم وضعفها في ردعهم[٢] ، ويتكرر الموقف نفسه لأهالي منطقة الجوف وما جاورها ، فقد استبيحت أموالهم وأملاكهم وبيوتهم من قبل المماليك الذين كانوا برفقة الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبدالله بن حمزة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م[٣] ، كما استغل المماليك مدة الصراع بين السلطان المجاهد وعمه المنصور أيوب ليهاجموا بعض نواحي مدينة تعز وينهبوا أهلها سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م[٤] .

أما علاقة المماليك بالقبائل فلم تكن أحسن حالاً من غيرها ، إذ كان رجال القبائل يهاجمون المماليك حيث ما وجدوهم ، وهذا دليل على سوء العلاقة التي كانت بينهم ، ويشير الخزرجي[٥] إلى مهاجمة رجال قبائل مذحج لهؤلاء المماليك وقتلهم في أي مكان كانوا فيه ، كما حدث في سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م عندما هاجموا أحد مماليك السلطان المظفر الأول وقتلوه مع سبعين رجلاً من أصحابه . كما كانت قبائل المعازبة من أشد قبائل اليمن معاداة للمماليك ، لما رأوه منهم من قهر وظلم ، وقد توترت العلاقة بينهم نتيجة للمواقف العدائية التي تعامل بها المماليك مع أفراد قبيلة المعازبة ، وقد وصل بهم الأمر إلى قيامهم بقتل من وجدوا من رجال المعازبة في أثناء الصراع الذي كان قائماً بينهم ، لهذا أخذ المعازبة يترقبون الفرص المناسب للانتقام من المماليك ، وتذكر المصادر إحدى تلك الفرص التي تمكن فيها المعازبة من الانتقام من المماليك ، وذلك عندما قامت معركة بين الأشراف الزيديين والمماليك سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م ، وقد هزم المماليك في هذه المعركة وقتل فيها أفضل فرسانهم وأشدّ رجالهم في يوم عرف بيوم جَاحِف[٦] ، وهرب بعضهم مثل : أطبية المحمودي أشجع فرسان المماليك وأقواهم وأكثرهم عداء للمعازبة صدفة إلى بلاد المعازبة ليكون فريسة سهلة لرجال هذه القبيلة[٧] ، وظلت

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٤١ – ٢٤٢ .

[٣] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٨٣أ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤ .

[٥] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩١ .

[٦] جَاحِف : وادٍ شمال السخنة ، ينزل من جبال بلاد الطعام الغربي وجنوب برع . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٢٠ .

[٧] تذكر المصادر أن أطبية المحمودي قتل أخوين من المعازبة كان لأحدهم ولد وللآخر بنت ، وقد قتلا بعد أن عُقد لهما ، وسأل الصبي إتمام مراسيم العرس بعد حادث مقتلهم من قبل المماليك ، إلاّ أن الصبيّة رفضت ، وقالت له : " لا تعرفني ولا أعرفك حتى تأتيني برأس أطبية المحمودي . فرد عليها وقال : هذا مالا أستطيعه أنا ولا أكبر مني " ، ثم استمر على هجرها حتى كانت الوقعة المذكورة ، وساقت الأقدار أطبية إليهم ، في حين كان المعازبة يترقبون نتائج هذه المعركة ، فوقعوا به وقتلوه وقطعوا رأسه وجاؤوا به إلى الصبيّة ، وكان ذلك سبباً في إتمام عرسهم . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٨٣ – ٥٨٤ .

القبائل ناقمةً على المماليك لقبح أعمالهم خلال مدة حكم الأسرة الرسولية ، واستمرت القبائل تترقب مثل هذه الفرص للانقضاض عليهم ، ويصور لنا إسماعيل المقرئ[١] وضعهم والقبائل تتخطفهم ، وقد وصل ببغضه وبغض عامة الناس لهم إلى تشبيه هؤلاء المماليك بالكلاب المسعورة المضرة المحلل قتلها لخطورتها ، بقوله :

خرج العبيد وظنهم أن يفقدوا   متوقعين الكتب و الإرسالا

وهم أقل أنت أغنى عنهم   فتخطفوا وتقطعوا أوصالا

إلى أن يقول :

صاروا لزهدك فيهم بين الورى   مثل الكلاب يقتلون حلالا

يوصى بقتلهم القبائل بعضهم   بعضا لكي يجدوا لديك منالا

كما يشير المعلم وطيوط[٢] إلى تعدي أحد مماليك السلطان المؤيد على زوجة معلم من عامة الناس في الشرجة[٣] ، وكان هذا المملوك يدخل بيت هذا المعلم بالقوة للجلوس مع زوجته ، ليشرب الخمر عندها ، وقد فشل المعلم في صده عن ذلك لخوفه منه لأنه من مماليك السلطان ، واستمر المملوك في تكرار ذلك لمدة طويلة ضاق منها المعلم ، فلم يكن أمامه إلاّ اللجوء إلى السلطان المؤيد نفسه علّه يجد عنده الإنصاف والعدل من ظلم وفسق هذا المملوك ، وقد انزعج المؤيد كثيراً لتصرف مملوكه هذا ، وسار إليه بنفسه ورآه وهو في نشوة سكره ، فكان عقاب المؤيد شديداً معه[٤] .

خلاصة القول أنه على الرغم من اندماج المماليك في المجتمع كعنصر من العناصر المكونة له ، وانخراطهم بين أبنائه ، وامتزاجهم به بالزواج ، وظهور جيل جديد من أبنائهم المولودين في اليمن[٥] ، إلاّ أنهم ظلوا هم ومن جاء بعدهم من أبنائهم وأحفادهم في نظر الناس كافة غرباء عن اليمن ، لوصف المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية لهم بالغرباء ، ونعتها لهم بهذا الاسم عند الحديث عنهم وعن أخبارهم[٦] .

---

[١] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص١٢ .

[٢] تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣ ب ، ٤٤ أ .

[٣] الشَّرْجَة : اسم لبلدتين في تهامة إحداهما شرجة حرض والأخرى شرجة حيس . الحجري : مجموع ، ج٣ ، ص٤٤٩ . ويبدو أن الشرجة المذكورة هي شرجة حيس ، لخروج سلاطين بني رسول كثيراً إلى منطقة حيس لغرض الصيد أو التنزه أو الزيارة أو لغيرها من الأسباب .

[٤] قام سلاطين بني رسول بدور كبير في حل العديد من المشكلات الاجتماعية للناس في ذلك الوقت . انظر لاحقاً : ص٤٠٦ .

[٥] لم تذكر لنا المصادر ماذا كان يسمى أبناء المماليك الذين ولدوا في اليمن في العصر الرسولي ، علماً بأن أبناء المماليك المولودين في الأقطار الإسلامية التي كانت تخضع لحكم المماليك كمصر والشام وغيرها والذين لم يمسهم الرق كان يطلق عليهم اسم " أولاد الناس " ، وهو ما لم نجد له ذكر في المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية المتوفرة بين أيدينا . انظر عن أولاد الناس : قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعي ، ص٢٢- ٢٥ ؛ إحسان عباس : تاريخ بلاد الشام ، ص٣٩ .

[٦] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٧٩ – ٨٠ ، ١٦٧ – ١٦٨ .

د – الأحبـــاش :

عرفت اليمن الأحباش منذ مدة زمنية قديمة ، وقد شكّلوا عنصراً مهماً من العناصر المكونة للمجتمع لانخراطهم بين سكانه[١] ، وقد توالت الموجات الوافدة منهم عبـــر التـــاريخ لاسيما خلال عصر دولة بني زياد التي قامت في اليمن ، حتى أنها اعتمدت عليهم في تسيير أمورها ، لاسيما العسكرية منها ، مما أوصلهم إلى منصب الوزارة ، ومِنْ ثَمَّ تمكنوا من إقامة دولة لهم في منطقة زبيد عرفت بالدولة النجاحية[٢] ، وعمل ملوكها علـــى الاســـتكثار مـــن الأحباش مكونين لهم عصبية قوية في تهامة ، وقد بلغ عدد جيشهم منهم فقط عشـــرين ألـــف رجل ، ومن الطبيعي جداً أن هذا العدد الكبير المقيم في منطقة تهامة ، لاسيما في زبيد لابد له من علاقات يقيمها مع سكان المنطقة الأصليين وغيرهم من الأهالي ، فاختلطوا بهم وأصبحوا يشكلون عنصراً من عناصر المجتمع لظهور جيل جديد منهم انصهر في المجتمـــع بعـــد أن تزوج رجال من تهامة من الجواري الحبشيات ، ومع ذلك عرف الأحباش بلونهم ولغتهم التي ميزوا بها بين سكان اليمن[٣] .

وفي عصر الدولة الرسولية وجدت أعداد كبيرة من هؤلاء الأحباش توزعوا على مناطق ومدن اليمن المختلفة ، لاستمرار قدومهم من بلاد الحبشة[٤] ، مما أدى إلى زيادة أعدادهم بعد انضمامهم إلى المجاميع التي سبقتهم ، وأخذوا في التمازج مع أهل اليمن عن طريق التزاوج بسكان المناطق التي ينزلون بها ، وفي هذا السياق تورد المصادر أسماء لبعض الأحباش الذين كان لهم ذكر في اليمن خلال تلك المدة ، لاختلاطهم بأهلها ، مثل : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الجدائي (ت : ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) (المنسوب إلى جداية صقع من الحبشة) ، والفقيه أبو الحسن علي بن أبي بكر الزيلعي (ت : ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) (المنسوب إلى قرية بطة أحد قرى الحبشة) ، ويشير الخزرجي[٥] إلى ارتباط أسر هؤلاء الرجال بسكان اليمن بالزواج منهم ، ووجود ذرية لهم في العديد من مناطق اليمن ، وقد مزجت هذه الذرية بين مزايا أهل اليمن ومزايا الأحباش ، وأصبح من الصعب التفريق بين من هو يمني الأصل ومن هو حبشي[٦] .

---

[١] انظر : عاقل ، نبيه : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص١٠٢ – ١٠٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص١٥٧ – ١٧٥ .

[٢] انظر عن بني زياد وبني نجاح : عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٤٥ وما بعدها ؛ الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام الدولة الرسولية ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٨٧ – ٩٧ ، ١٨٧ – ١٩٣ .

[٣] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٧١ – ٧٣ .

[٤] يقـــول الأستاذ محمد عبد الرحيم جازم أن المقصود بـــلاد الحبشة في ذلك العصر كلٌ من أرتيـــريا وأثيوبيا وأجـــزاء من بلاد الصومال . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٠ ، ح (٣٦) للمحقق .

[٥] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٤ ، ٥٤ .

[٦] الحداد ، عبدالله عبد السلام صالح : الاستحكامات الحربيّة بمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية ٢٠٤ – ٩٢٣هـ / ٨١٩ – ١٥١٧م دراسة أثرية معمارية ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٦٤ .

لقد كان لتجارة الرقيق التي شهدتها اليمن في العصر المذكور دور في استكثار أعداد الأحباش ، وقد أخذ تجار الرقيق يميزون بينهم من حيث الأصل والقوة ، وتذكر المصادر أسماء لأنواع من العبيد الذين كانوا يجلبون من الحبشة ، مثل : الجزلي[١] والأمهري[٢] والسحرتي[٣] والذين كانوا من أفضل الأجناس الحبشية التي كانت تباع في أسواق اليمن حينذاك[٤] . وقد لقي الجنس الحبشي إقبالاً كبيراً من قبل بني رسول الذين تسابقوا على شراء أحسنه من الأسواق ، ليضافوا إلى مجامي العبيد الذين تزدحم بها قصورهم ودورهم[٥] ، وجيوشهم التي برز فيها عدد منهم لكونهم قيادات عسكرية كان لها وضعها السياسي والاجتماعي في ذلك الحين[٦] ، وقد تعدت عملية شراء العبيد من الأحباش إلى ذوي اليسار والمقدرة من التجار وكبار رجال الدولة وميسوري الحال من عامة الناس ، فحوت بيوتهم ومحلاتهم ومزارعهم حاشية كبيرة من الأحباش والجواري والخدم والخصيان[٧] ، و يذكر ابن فضل الله العمري[٨] أن هناك أعداداً منهم سكنت مدينة عدن ، ونتيجة لانتعاش حركة التجارة في العصر الرسولي ازداد عدد تجارهم الذين يأتون من الحبشة إلى عدن لترويج بضائعهم في أسواقها ، إلا أن استكثار مثل هؤلاء العبيد كان له أثره السلبي على اليمن في عصر الدولة الرسولية[٩] .

وقد عرفت اليمن إلى جانب الأحباش مجاميع أخرى من الشعوب من ذوي الجنس الأسود ، كالسودانيين الذين ينسبون إلى بلاد السودان[١٠] ، والزنوج الذين جاء بهم إلى اليمن تجار الرقيق بعدما وجدوا فيهم سلعة مربحة تدر عليهم الأرباح الطائلة ، فامتلأت أسواق اليمن بهم ، لما تميزوا به من قوة في البُنية الجسمانية ، ومقدرة على العمل في الأرض أو في الجبال أو في الحراسة دون ملل أو ضجر ، وعرف الزنوج في ذلك العصر في اليمن باسم العلوج[١١]

---

(١) الجـزل : قبيلة من قبائل الحبشة ينسب إليها ملوك آل نجاح في زبيد وبعض وزرائهم . عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص١٢٥ .

(٢) الأمهرة : من قبائل الحبشة ، ظهرت منهم مجاميع حكمت بعض الأقاليم هناك ، ويعتبرون أنفسهم هم الأصل في الأحباش ، ويوصفون بأنهم مغرورون لأنهم من البيض مع أن لون بشرتهم مائل إلى اللون الأسمر ، وكانوا ينظرون إلى غيرهم من السود نظرة العبيد ، ولهذه القبيلة لغتهم الخاصة بها التي عرفت بالأمهرية . العارف : الأحباش ، ص١٣ ، ١٣٩ .

(٣) سحرت : من قبائل الحبشة ينسبُ إليهم بعض وزراء دولة بني نجاح في زبيد مثل أبي منصور مفلح الفاتكي . عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص١٣١ – ١٣٢ .

(٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٦٣ .

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٦٢ ، ٣٦٥ .

(٦) انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢١٠ – ٢١١ ، ٢٣٨ .

(٧) العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ص٤٩ ، ٥٣ ، ٥٥ .

(٩) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨٤ – ٥٨٥ ؛ الكبسي : اللطائف السنية ، ص١٠٨ – ١٠٩ ؛ شائف عبده سعيد : " الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين " ، مجلة سبأ ، ع (٧) ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٨م ، ص١١٠ – ١١١ .

(١٠) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٨٥ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٩٣ أ .

(١١) العُلـوج : هم العبيد الأشداء الضخام الأجسام من الزنوج . انظر : الزبيدي : تاج العروس ، ج٢ ، مادة (علَجَ) .

الزنوج[١] ، ويشير ابن فضل الله العمري[٢] إلى مجاميع منهم سكنت في مدينة عدن ، كما وجدت مجاميع من هؤلاء الزنوج في منطقة المنصورة في عصر السلطان المنصور نور الدين عمر ، وعرفوا في المنصورة بأعمالهم الآثمة ، إذ كانوا يقومون بنبش القبور ونهب ما فيها إن وجد ، ووصل ببعضهم الأمر إلى إخراج الميت وسرقة التابوت الذي يوضع فيه ليبيعوه ، أو يقومون بتفتيش الميت ظناً منهم أنهم قد يجدون معه شيء كخاتم في يده أو غيره من الأشياء[٣] التي قد تدفن معه[٤] ، ويبدو أن هذه المجاميع استقرت في المناطق المذكورة ، وشكلت عنصراً من العناصر المكونة للمجتمع هناك .

هـ - الفــرس :

شكّل الفرس في اليمن عنصراً مهماً من العناصر المكونة للمجتمع ، وقد وجدوا في اليمن منذ مدة زمنية قديمة ، وانصهروا بين الأهالي ، لاسيما في صنعاء وعدن ، مكونين بذلك جيلاً جديداً أصبح جزءاً منه[٥] ، كما استقرت في وادي زبيد مجاميع من هؤلاء الفرس ، ولاسيما الفرس الخراسانيون الذين وفدوا إلى اليمن مع ابن زياد سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م ، وبقيت هذه المجاميع في بلاد اليمن ، واختلطوا بأهلها وأصبحوا جزءاً منهم[٦] ، وتذكر لنا بعض المصادر الرسولية أسماء لبعض الشخصيات ذات الأصول الفارسية التي وجدت وعاشت في اليمن ، واختلطت بأهله في العصر الرسولي[٧] .

و - عناصر أخرى :

إضافة إلى ما قد ذُكر من العناصر فقد ضمت بعض المدن اليمنية بين سكانها عناصر ذات أجناس مختلفة ، امتزجت وتداخلت فيما بينها ، ويذكر ابن المجاور[٨] أن سكان مدينة عدن كانوا مجاميع من العرب : المصريين من أهالي القاهرة والإسكندرية ، وجماعات من العرب المغاربة ، ومن العجم : الفرس والمقادشة والزيالع والأحباش والبربر[٩] ، كما عرفت اليمن

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٢٩ .

[٢] مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٣] تدل هذه الأفعال الهمجية على أن أفرادها لا يمتون إلى الدين الإسلامي بصلة ، لتحريم الإسلام مثل هذه الأعمال الآثمة بحق أصحاب القبور ، وعلى ما يبدو أن هؤلاء الزنوج كانوا على ديانة أخرى غير الدين الإسلامي .

[٤] الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن العباس : فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفن في أخبار من ملك اليمن على أثر التابعة ملوك العصر والزمن (الباب الخامس) ، دراسة وتح : علي حسن علي عمر ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، عمّان ، ١٩٩٧م ، ص٢٠٠ .

[٥] عن ذلك الجيل . انظر : الحبشي : أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص٨٤ - ٨٦ .

[٦] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٤٥ - ٤٦ ؛ السروري : الحياة السياسية ، ص٧٢٦ .

[٧] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٤ ؛ ج٢ ، ص١٥ .

[٨] تاريخ المستبصر ، ص١٣٥ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ - ٨٦ ، ٣١١ - ٣١٢ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ؛ الأهدل ، بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن : تحفة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٤٨ .

مجاميع من العرب الشاميين والعراقيين والمصريين والمغاربة[١] ، ومجاميع من الهنود[٢] وغيرهم من الأجناس التي انتقلت إلى اليمن لتستقر بين أهله ، وتختلط بهم ليصبحوا جزءاً منهم .

ولم تتوقف العناصر الوافدة إلى اليمن من التدفق إليها على صورة هجرات جماعية أو فردية ، لاستمرار حاجة الدولة الرسولية إليهم للعمل في الجندية ، أو في الصناعات الحرفية والمهنية ، حتى أنه كان منهم النجار والدهان والنحاس والصانع والمكندح والمرخم والمزخرف والمصور[٣] ، وقد شكّل عهد السلطان المؤيد من أكثر العهود توافد للأجناس القادمة إلى اليمن لاسيما بعد أن دانت له البلاد حتى أنه قدم عليه جمع من الغرباء بعضهم باستدعائه ، وبعضهم قدم إليه بعد سماعهم بإحسانه ، فاجتمع ببابه منهم جمع كثير غالبهم من بلد حماة ومن مصر[٤] .

ومما سبق يمكن القول إن اليمن كانت مقصداً لكثير من الأجناس القادمة إليها من مختلف الأقاليم الإسلامية وغيرها ، فكان سكانها خليطاً من الشعوب التي أهمها : اليمني بمختلف قبائله ، والحبشي بمختلف قبائله : السحرتي ، والجبرتي ، والجزلي ، والأمهري ، والزيلعي ، والسوداني (النوبي) ، والزنجي ، والتركماني ، والكردي ، والهندي ، والفارسي ، والمصري ، والشامي ، والمغربي والعراقي ، وقد أدى هذا التنوع في السكان إلى حدوث تصادم بين سكان اليمن لاختلاف عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم ومعتقداتهم ، كما أدى إلى حدوث انقسام واضح في المجتمع الذي تجزأ إلى العديد من الطبقات والفئات التي تنوعت أعمالها ومهنها وصناعاتها ، وتفاوتت درجاتها ومراكزها ، وفقرها وغناها ، وأصبح لكل منها مستواه الاجتماعي الذي يميزها عن غيرها ، مما جعل السلم الاجتماعي عبارة عن طبقات وفئات تتدرج من الأعلى إلى الأسفل ، كما يبين اختلاف أشكال وأحجام وألوان أهل اليمن بين الأبيض والأسود والأسمر على أن سكان اليمن تكونوا من خليط من الناس كانوا هم الأساس في تكوين جميع فئات الطبقات التي عاشت فيه .

ومن خلال دراستنا للقبائل اليمنية والعناصر الوافدة إلى اليمن في العصر المذكور نجد أن هناك اختلاف في صفات هؤلاء وطبائعهم ومعاملاتهم وأساليبهم وعلاقاتهم . وقد يجد الباحث نفسه أمام السؤال التالي : ما الذي يحدد تلك الطبائع والصفات ؟ وما الذي يفرضها في أي مجتمع ؟

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٩ ، ٢٢٤ ، ٤٣٣ – ٤٣٤ ، ٥٦٧ – ٥٦٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٦ – ٥٧٧ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٠ – ٢٩١ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظائر ، ص٢٦٠ .

[٣] العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٧ ، ٥١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٤ – ٥٥٥ .

ثانياً – التباين السكاني للناس في اليمن :

عُرف أهالي اليمن منذ القدم باختلاف طبائعهم التي كان للبيئة الدور الأكبر في تحديدها ، وهو ما يمكن أن نلاحظه في سلوكيات سكان المدينة التي اختلفت عن سلوكيات سكان الريف والبوادي والجبال ، والتي تأثرت بعوامل مختلفة ميزت سكان المدينة عن سكان الريف .

١ – سكان المدينــة :

وسموا بسكان الحضر ، وقد عملوا في التجارة وأنواع الصناعة والحرف ، وتطلب عملهم بقاءهم في المدن[١] ، لاسيما الجاذبة للسكان منها كمدينة زبيد وتعز وعدن وصنعاء وصعدة وظفار الحبوضي ومدن حضرموت وغيرها[٢] . ومن الطبيعي أن يتكون سكان هذه المدن من خليط من أفراد القبائل المنتقلة من مناطق مختلفة ، إلى جانب سكان من العناصر الوافدة إلى اليمن واليهود وغيرهم مكونين مجتمع المدينة الذي تمتزج فيه الأصول والأنساب وتتداخل مع بعضها مكونة بذلك مجتمعاً يختلف كل الاختلاف عن مجتمع الريف ، وعلى الرغم من ذوبان أفراد هذه القبائل وامتزاجهم في المجتمع ، إلاّ أن بعضهم ظلوا محتفظين بأصولهم وجذورهم القبلية ، ومع ذلك فقد تأثر أفراد هذه القبائل بحياة المدينة وطبيعتها المريحة المتوفر فيها كل ضروريات الحياة من فرص عمل ومدارس وغيرها ، فأوجدت هذه الأوضاع تركيبة جديدة في المجتمع ، وليدة للمناخ المختلف كلياً عن مناخ الريف والبيئة القبلية ، كما كان للتعليم وتوافر أماكن العبادة والتدريس فيها دور في خلق هذه البيئة الجديدة لتلك القبائل ، فأظهر ذلك صفات جديدة قد نلاحظها في سكان المدن ، وفي هذا الصدد يصور لنا ابن المجاور[٣] مجتمع مدينة زبيد واصفاً رجالها المتأثرين بجو المدينة وترفها بقوله : " ومُعظم رجالهم يتحدّثون ويتغانجون ويتمفطعون ويتقصّفون تقصيف النساء في الحديث والحركة ". ويصفهم أيضاً بأنهم : " مائلون إلى الأكل والشراب والمَلابِس النِظاف والمركوب الوطئ وشمِّ الطيب ، وميل طباعهم إلى النساء أكثر من ميل طباعهم إلى الرجال "[٤] .

لقد سكن بعض أفراد القبائل هذه المدن لمَا تميزت به من وسائل جذب مختلفة كوفرة المياه والبساتين والمزارع والأسواق التي يعرض فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان

---

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، دمشق ، د . ن ، ص١٢٠ .

(٢) حول التركيبة السكانية لبعض المدن اليمنية المذكورة . انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ العبادي ، عبدالله قائد حسن : الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٧٩ – ٨٤ ؛ محمد أحمد محمد : عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م ، ص١٠٨ – ١٤١ ؛ الشمري : عدن ، ص٢٩٩ ؛ بيضاني : صنعاء في كتابات المؤرخين ، ص١١١ – ١٥١ .

(٣) تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٠ .

(٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

في حياته اليومية ، وتصف لنا المصادر المدن الرئيسة في عصر بني رسول ، وما تميزت به من ظواهر طبيعية جذابة وأشياء جعلت بعض أفراد القبائل يتوافدون عليها للسكن والإقامة فيها ، فمثلاً تصف بعض المصادر مدينة صنعاء بأنها أعظم مدن اليمن لكثرة مياهها وأشجارها واعتدال هوائها وتقارب ساعات شتائها وصيفها ، إضافة إلى كثرة أسواقها ومتاجرها[١] ، كما توصف المصادر مدينة تعز بكثرة مياهها وبرودة هوائها وتنوع فواكهها ، وجمال بساتينها ومزارعها[٢] ، وكذلك بقية المدن اليمنية التي توفرت فيها وسائل جذب السكان[٣].

وقد لانجد ذلك الهواء الطيب ولا المزارع الغنّاء والبساتين الخضراء والمياه المتدفقة في بعض المدن اليمنية رغم عمرانها وكثرة عدد سكانها كمدينة عدن ، لوجود عامل جذب آخر للسكان وهو مكانتها التجارية المتميزة التي ساعدت على وجود فرص عمل لمن يقيم فيها ، ولهذا دفعت التجارة والمال والأمان الناس إلى التوافد عليها والعيش فيها ، وأصبحت المدينة عبارة عن تجمع سكاني يضم خليطاً من الأجناس من عرب وبدو ووافدين من أمصار مختلفة .

لقد أجبرت العديد من الأحداث التي شهدتها اليمن القبائل أو بعض أفرادها على تغيير مواقع سكنهم ليستقروا في المدن والمناطق المأهولة بالسكان والعامرة بالحياة ، ويمكن أن نحصر أسباب زحف القبائل من الأرياف والبوادي للاستقرار في المدن أو في غيرها من المناطق الحضرية في الآتي :

أ – عدم الاستقرار الاجتماعي :

كان لاضطراب المناطق القبلية وعدم استقرارها ، وانتشار الفوضى ، واشتداد العصبيات القبلية فيها ، وكذلك الصراعات التي كانت قائمة بين القبائل وقضايا الثأر وفرض السيادة والقتل ومشكلات الأرض والمياه وغيرها من المشكلات الاجتماعية والأمور التي تودي إلى إثارة الفتن والخلافات دور كبير في نزوح العديد من القبائل أو أفراد منها إلى المدن ، وتشير المصادر إلى نزوح جميع أهالي الرَعَارِع[٤] إلى عدن وتفرق بدوها في تهائم اليمن سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م أي قبل قيام الدولة الرسولية بسنتين ، على إثر تعرضها للخراب والدمار والحرق والنهب لأملاك أهلها بعد اضطهادهم وتعذيبهم من قبل أحد ولاة بني أيوب[٥] .

---

[١] الحميري ، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط٢ ، مط : هيد لبرغ ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٣٥٩ ؛ الحجري : مجموع ، ج٢ ، ص٤٩٢ – ٤٩٧ . وانظر : ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ – ٢٦٨ ؛ القرماني ، أحمد بن يوسف : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تح : أحمد حطيط وفهمي سعد ، مج٣ ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٤٠٤ – ٤٠٥ .

[٢] انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٧ .

[٣] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٢ ، ٦٤ ، ٨٥ ، ١٤٩ ؛ ج٢ ، ١٨٥ – ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٦٥ – ٢٦٦ .

[٤] الرَعَارِع : كانت من أشهر قرى لحج وعاصمتها في عصر الزريعيين . بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص٨٨ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٥٥ .

ويذكر لنا ابن حاتم[1] عن وضع أهالي قرية التُريْبَة[2] وانتقالهم عنها بنسائهم وأولادهم وأموالهم تاركين أملاكهم غنيمة للقبائل المرافقة للسلطان المظفر الأول في أثناء زحفه على زبيد لفك الحصار الذي فرضه عليها ابن عمه الأمير فخر الدين سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، كما كان للصراعات والفتن وعدم الاستقرار والأمان دور في هجرة أهالي منطقة جِبْلَة[3] ليستقروا في مدينة إبّ[4] ، بعد معارك شديدة قامت بينهم وبين أهل التَعْكَر[5] سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م ، فكان لهزيمتهم من قبل أهل التعكر أثره السيء على نفوسهم ، مما أشعرهم بعدم الاستقرار والأمان ، فرأوا أن خروجهم عن بلدهم جبلة إلى إب سيوفر لهم الأمان الذي فقدوه[6] ، كما أدى اشتداد الصراع الذي كان دائراً بين قبائل المعازبة وقبائل الأشاعر إلى خراب قرى وادي رِمَع[7] ووادي زبيد سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م ، وأجبر الأشاعر إثر هذه الحروب على الخروج عن المخيريف[8] لخرابها ، فانتقلوا بنسائهم وأطفالهم وأموالهم إلى مناطق مختلفة من تهامة تاركين قريتهم التي عاشوا فيها للخراب والدمار[9] ، ووصل الأمر بسكان تهامة سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م إلى هجرة قراهم لخوفهم من فساد قبائل المعازبة والقبائل المناصرة لهم لتجبرهم واعتدائهم على أملاك الناس هناك ، ولم يبق في وادي زبيد سوى ثلاث أو أربع قرى عامرة ، رغم تهديدها من قبل القبائل ، فهرب بقية سكان القرى في الوادي خوفاً على أنفسهم وأموالهم[10] ، تاركين بيوتهم خاوية على عروشها . وعلى الرغم من كثرة الأمثلة في هذا الجانب ، إلاّ أننا نجد أن ما تعرض له آل كلد من قبائل يافع سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م كان أشدها ، فقد أدى الصراع بينها وبين آل أحمد في عدن إلى تشتيت شمل هذه القبيلة وانتقالها بجميع أفرادها لتستقر في الشِحر[11] ، والأشد من ذلك هو هروب أسر منهم إلى خارج اليمن ليستقروا في زيلع[12]

---

(1) السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٤ .

(2) التُرَيْبَة : بلدة كبيرة عامرة وهي من بلاد الأشاعر وملحقات مدينة زبيد ، وبها قرابة عشرين مسجداً وبيوتها من الخوص واللبن والطوب . ابن الديبع : قرة العيون ، ص١٨٤ ، ح (٣) ؛ الحجري : مجموع ، ج١ ، ص١٤٣.

(3) جِبْلَة : مدينة مشهورة شمال جبل التعكر ، تبعد عن جبل صبر (٦٠ كيلو متراً) . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٧١ .

(4) إبّ : مدينة في الجنوب من صنعاء بمسافة (١٤٠ كيلو متراً) وهي من أخصب مدن اليمن . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص١٠ – ١١ .

(5) التَعْكَر : جبل بالجنوب من إب وكان معقل الصليحيين وبه آثار قديمة وهو من الجبال المنيعة . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٦٣ .

(6) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨٧ .

(7) رِمَع : وادي مشهور بين وادي زبيد جنوباً وادي سهام شمالاً . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٣١ .

(8) المخيريف : قرية عامرة من وادي رمع . ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٦٥ ، ح (٣) للمحقق .

(9) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٩٩ أ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤١٤ .

(10) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٨ – ١٠٩ ، ١١٢ .

(11) الشِحر : ناحية بين عمان وعدن على ساحل البحر . القرماني : أخبار الدول ، مج٣ ، ص٣٩٤ . وانظر : السقاف ، عبد الرحمن بن عبيد الله : إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، دار المناهج ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م ، ص١٦١ – ١٦٣. والشحر من موانئ حضرموت ويمتد على الساحل من جبال دمج شمالاً إلى وادي المعينة غرباً . محمد الأكوع : اليمن الخضراء ، ص١٢٨ .

(12) زيلع : ميناء صغير مواجه لخليج عدن يقع على الساحل الشرقي لأفريقيا ويتبع جمهورية الصومال . العارف ، ممتاز : الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٣٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبربرة[١] وغيرها من البلاد[٢] التي كانت ملاذاً لهم ولأسرهم ، بعد فقدانهم الأمان في بلدهم .

لقد كانت الفتن وكثرة الصراعات دافعاً رئيساً في انتقال الناس من مناطقهم إلى مناطق أخرى ليستقروا فيها لاسيما المدن ، لما تميزت به من أمان وسيطرة للدولة التي انعدمت في بعض المناطق ، ولتوفر سبل العيش الضرورية من عمل وعلم في هذه المدن .

ب - قسوة البيئة والحاجة إلى المال :

أجبرت الأحوال الصعبة التي كان يعيشها عامة الناس بعض القبائل على تغيير مواقع سكنها والخروج من أراضيها إلى مناطق قد يجدون فيها لقمة العيش التي يبحثون عنها[٣] ، ويشير ابن حاتم[٤] إلى موافقة قبيلة همدان على الانتقال من أراضيها إلى منطقة صعدة للإقامة فيها للتصدي للقبائل المعادية لبني رسول والمؤيدة للأشراف هناك ، مقابل مبالغ مالية أمر بصرفها لهم السلطان المظفر الأول شهرياً ، وهذا دليل على حاجة هذه القبيلة للمال ، لوضعهم المادي الصعب في تلك المناطق ، على الرغم من أن هذه المهمة قد تكلفهم حياتهم وحياة أبنائهم ، إضافة إلى عناء السفر والترحال ومفارقة الأقارب والجيران من القبائل الأخرى .

وقد يُتساءل عن وجود قبائل يافع آل أحمد وآل كلد التي كانت مقيمة في مدينة عدن في عصر بني رسول[٥] . وعن الأسباب التي دفعتها إلى ترك أراضيها لتقيم في عدن ؟

إذا نظرنا إلى المنطقة التي تسكنها قبائل يافع والمعروفة بسَرْو حِمْيَر[٦] نجد الإجابة في طبيعتها الجبلية القاسية ، وكذا صعوبة العيش فيها ، لشحة مياهها وقلة زرعها[٧] ، فكانت هذه الأسباب وحدها هي التي جعلت قبائل يافع تشد رحالها بحثاً عن وضع مادي أفضل يوفر لها المال والعيش الرغيد ، ولم تجد ذلك إلاّ في مدينة عدن الجبلية التي لا تقل جفافاً عن بلادها ، ولكن موقع هذه المدينة وانتعاش التجارة فيها مكنها وساعدها على البقاء واستقرار فيها .

وفي الوقت نفسه ، كان للكوارث الطبيعية التي تعرض لها الناس في العصر المذكور دور في تردي أوضاعهم المعيشية[٨] ، حتى أن الكثير منهم فقدوا أملاكهم بسبب هذه

---

[١] بربرة : الميناء الثاني في الصومال بعد ميناء مقديشو وتقع على خليج عدن في الشمال . الجوهري : جغرافية العالم الإسلامي ، ص٣٥٣ .

[٢] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٩٠ .

[٣] طربوش ، قائد محمد : من أنساب عشائر محافظة تعز ، ط١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٥م ، ص١٠ - ١٢ .

[٤] السمط الغالي الثمن ، ص٣٩٨ .

[٥] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٨ - ٣٥٩٠ .

[٦] سَرْو حِمْيَر : يضم بلاد يافع العليا ويافع السفلى . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٤٩ . ويحدها شمالاً وادي حمرة من البيضاء ، وجنوباً بلاد الفضلي ، وشرقاً وادي مكيراس ، وغرباً وادي أبين . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٣٢ .

[٧] سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص٣٠ .

[٨] عن أنواع الكوارث الطبيعية وأثرها على المجتمع والناس في عصر بني رسول . انظر : ص٢٨٠ - ٢٨٧ .

الكوارث التي تسببت في تدني وضعهم المادي ، مما دفعهم إلى ترك مساكنها بحثاً عن مناطق أخرى تتوافر فيها سبل عيش أفضل .

لقد دفعت العوامل المذكورة العديد من أفراد القبائل إلى تغيير موقع سكنهم والانتقال إلى مناطق أخرى للاستقرار فيها أو الزحف إلى المدن الكبرى رغبة منهم في الحصول على الأمان وفرص العمل المختلفة ، إضافة إلى الحصول على الحماية من قبل الدولة ، والتي كثيراً ما تحرم منها بعض المناطق الريفية ذات السيادة القبلية ، فشهدت – لهذا السبب – المدن اليمنية الكبرى امتزاجاً وتداخلاً بين العديد من أفراد هذه القبائل والأجناس الأخرى من العناصر الوافدة إلى اليمن وغيرهم من سكان المدن الأصليين ، وذوبانهم في بعضهم بعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ، مكونين بذلك مجتمعاً جديداً . في حين عكست طبيعة المدينة وبيئتها ذلك على أفراد القبائل النازحة إليها ، فخفف ذلك من عصبيتهم القبلية التي تميز بها أهل الريف .

٢ – سكان الريف والبوادي :

استقرت العديد من القبائل في المناطق والقرى والبوادي التي عاش فيها أسلافهم ، راضين عن نسق الحياة التي اعتادوها واكتسبوها عن آبائهم وأجدادهم[١] ، مستمسكين بما تركوه لهم من زرع وضرع وأرض ومنازل وأملاك مختلفة ، وقد ظلت هذه القبائل محافظة على عاداتها وتقاليدها وأعرافها التي كثيراً ما تخالف نظام الدولة وتعاليم الإسلام ، وقد يصل الأمر بأفراد هذه القبائل إلى الخضوع التام للعرف القبلي[٢] ولو خالف الشرع الإسلامي ، وتفرض القبيلة على كل فرد من أفرادها احترام هذا العرف ، والعمل به دون اعتراض ، لإيمانهم القاطع بما تركه لهم من سبقهم من تعاليم سار عليها الآباء والأجداد .

لقد كان للطبيعة دور في تحديد سلوكيات وصفات سكان المناطق الريفية الذين كانت القوة والقسوة والجلافة والتحمل من صفاتهم ، غير أننا نلاحظ اختلافاً بين هؤلاء السكان الريفيين أنفسهم ، فلو نظرنا إلى سكان المناطق الريفية الجبلية الوعرة في تعز وإب وجبلة التي تميزت بغزارة أمطارها وكثرة رخائها ، نجد أنهم يختلفون عن سكان المناطق الجبلية

---

(١) القطب ، سمير عبد الرزاق : أنساب العرب ، ط٢ ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص٨٩ .

(٢) العرف كما تعرفه بعض المصادر : " ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول وهو حجة أيضاً لكنه أسرع إلى الفهم ... وما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى " . الجرجاني ، علي بن محمد : كتاب التعريفات ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص١٢٢ . والعرف القبلي هو قوانين غير مكتوبة تمثلت في العادات والتقاليد المتداولة بين الناس ، وقد تم تناقلها شفوياً عبر الأجيال ، لتضمنها لأحكام وقرارات زعماء القبائل وحكامها ، ويطلق عليه في بعض المناطق اليمنية اسم الطاغوت ، وقد وجد في اليمن ما هو مكتوب من تلك الأعراف القبلية . انظر : لقمان : تاريخ القبائل اليمنية ، ص١٠ ؛ أبو غانم ، فضل علي أحمد : البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير ، مط : الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٢٥٣ – ٢٥٨ ؛ علي محمد زيد : الثأر بين الفقه الإسلامي والعرف القبلي ، مجلة دراسات يمنية ، ع (٣٠) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص١٦٠ – ١٧٧ .

الريفية الأخرى كسكان يافع مثلاً ، فطبيعة منطقة يافع الجبلية القاسية والجافة أثرت في سكانها ، فكانوا أكثر قسوة وتحملاً من سكان الجبال في تعز وإب وغيرها من المناطق الجبلية المذكورة لطبيعة أراضي يافع القاسية والوعرة التي أثرت على ساكنيها ، وهو ما يلاحظ في أسلوب ثوراتها وتمرداتها ، والشيء نفسه بالنسبة لسكان المناطق التهامية وقبائلها[١] ، لاسيما سكان البوادي البعيدين عن المدنية ، والذين كانوا أكثر قسوة من سكان المناطق التهامية الأخرى ، وكذا سكان المناطق الصحراوية .

ويعد البدو من أهم سكان المناطق الريفية ، ومن خلال الإشارات البسيطة التي توردها لنا مصادر الدولة الرسولية نستطيع أن نكون فكرة موجزة عنهم وعن صفاتهم ومميزاتهم في العصر المذكور ، باعتبار أنهم جزء مهم من المجتمع الريفي لاحتوائه على فئة كبيرة منهم .

وبما أن البدو خلاف الحضر[٢] ، فقد اتصفوا بصفات جعلت لهم وضعاً اجتماعياً خاصاً ، كعدم الاستقرار والتنقل والترحال في البوادي[٣] بحثاً عن الماء والعشب[٤] ، فكانوا يشدون رحالهم حيثما رأوا ماءً أو كلأً ، ليستقروا مدة من الزمن ثم ينقلوا فيما بعد إلى مكان آخر وهكذا . وقد يبني هؤلاء البدو في مدة بقائهم البيوت من الشجر أو الشَعر أو حتى من الطين والحجر ليس للاستقرار والإقامة بل للاستظلال فقط ، تاركين تلك البيوت عند رحيلهم للخراب ، ليعودوا إلى حياة التنقل والترحال مرة أخرى كما يشير ابن خلدون[٥] .

وقد ظلت البداوة مرتبطة عبر العصور بالبيئة العربية القديمة المتصلة بالحيوانات والدواب المختلفة من الإبل والبقر والغنم والخيول ، ومتصلة أيضاً بالنبات والشجر والرياح والبرق والسحاب والماء[٦] .

ومن الملاحظ أن بعض رجال القبائل البدوية المتنقلة سكنوا القرى ، واستقروا فيها وارتبطوا بالأرض ، ومع ذلك وصفتهم المصادر بالبدو ، ووسمت علماءهم من الفقهاء والصالحين بها ، إذ يقول صاحب العطايا السنية[٧] عن أحد فقهاء البدو وهو الفقيه أبو العباس

---

(١) سيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ، ص٢٩ – ٣٠ .

(٢) الـرازي ، محمد بن أبـي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح ، عني بترتيبه : محمود خاطـر ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص٥٦ . وانظر : شمسان ، إيمان أحمد : اليمن في العصر العباسـي الأول (١٣٢ – ٢٠٣هـ / ٧٥٠ – ٨١٨م) ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م ، ص٨٥ – ٨٩ .

(٣) روبان ، كريستيان : انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى العاشر الميلادي ، تر : علي محمد زيد ، مجلة دراسات يمنية ، ع(٢٧) ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ، ص٩٠ ؛ المعجم الوجيز ، مط : التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، ص٤١٠ .

(٤) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤ ب .

(٥) مقدمة ابن خلدون ، ص١٢١ .

(٦) القطب : أنساب العرب ، ص٩١ ؛ السامرائي ، إبراهيم : الأصول البدوية للمصطلح الحضاري ، مجلة دراسات يمنية ، ع (٣٤) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٥٢ .

(٧) الملك الأفضل ، ص٢٣٤ . وانظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٣ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١١٧ب .

أحمد بن محمد بن إبراهيم الوزيري (ت : ٦٦١هـ / ١٢٦٢م) : " وقد نشأ نشوء البدو ولم يشتغل بشيء من العلم حتى بلغ عمره أربعين سنة " ، ويقول الجندي[1] أيضاً عن عالم آخر من علمائهم وهو الفقيه أبوبكر بن عيسى بن عمر السراج الحنفي (ت : ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) بزبيد : " كان كبير القدر سليم الصدر يغلب عليه البداوة إذ هو من أهل بادية زبيد " ، ويقول الشرجي[2] عن شيخين من شيوخهم وهما : الشيخ أبوبكر بن محمد العسلقي والفقيه الشيخ أبو السرور بن إبراهيم : " نشأ الشيخ أبوبكر بن محمد العسلقي المنسوب إلى عسلق وهي قبيلة من قبائل عك بن عدنان يقال لهم العسالق مجانباً لقومه وما هم عليه من البداوة وحمل السلاح وغير ذلك " . ويقول أيضاً عن الفقيه أبي السرور : " كان نسب الفقيه أبي السرور بن إبراهيم في عرب يقال لهم المحاولة أحوالهم البداوة واقتناء الماشية ... " .

وفضلاً عن ذلك ، فقد شغلت البادية والقرى الريفية الزراعية هؤلاء الفقهاء والصالحين البدو[3] ، وربطتهم بها ، فعشقوا جمالها وطبيعتها ، مما جعلهم يرفضون العديد من الإغراءات والعروض التي قدمت لهم للعيش خارجها ، كما أصبحوا يرفضون – وبشدة – التخلي عن حياة البادية ، ونلاحظ هذا في موقف الفقيه أبي بكر بن ناصر الذي طلبه السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من منطقة الذَنْبتَين[4] للمثول أمامه بقصره في الجند طالباً منه التدريس في مدرسة الجند ، وجاء رد الفقيه المذكور للسلطان المنصور دليلاً على تمسك البدوي بحياته وباديته ، مع ما يمكن أن يوفر له المنصور من وسائل الراحة والترف إذا ما قبل عرضه للبقاء في الجند ، إذ قال رداً على السلطان : " لا أفرغ ، وأنا رجل بدوي (ريفي) لا أقدر على المدينة "[5] ، ورغم تهديد السلطان المنصور له بطرده خارج مملكته إلاّ أنه رفض عرضاً آخر تقدم به السلطان وهو أن يبيع ما معه من الكتب[6] ، وهذا يدل على وعي فقهاء البدو ومعرفتهم لقيمة العلم ، إضافة إلى اعتزازهم ببداوتهم وتمسكهم بها .

ومن الغريب ، أن ينظر المجتمع المدني إلى سكان البادية نظرة جهل ، مع وصف المصادر لهم بذلك ، حيث يقول الشرجي[7] عن بدو المَعَاسِجة[8] : " كان المعاسجة عرباً الغالب

---

[1] السلوك ، ج٢ ، ص٥٤ .

[2] أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف : طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، دار المناهل ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٤٠٠ ، ٤٠٤ .

[3] عاش بعض بني رسول في البوادي كالملك المسعود عبدالله بن السلطان المجاهد علي ، وقد توفي في قرية السلامة في بادية حيس سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م . الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٥ أ .

[4] الذَنْبتين : قرية في الشمال الغربي من الجند بمسافة (١٥ كيلو متراً) من أعمال تعز . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص ٦٥١ .

[5] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٤ .

[6] المصدر نفسه والجزء والصفحة .

[7] طبقات الخواص ، ص٣٠٩ .

[8] المَعَاسِجة : يبدو أنهم من قبائل تهامة شديدة البداوة . انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٠٩ .

عليهم الجهل والبداوة " ، ويضيف الجندي[١] : " تميز رجال البدو بالجهل وعدم العلم وقلة المعرفة " . ويقول في موضع آخر[٢] : " كان الأقحور عرباً تغلب عليهم البداوة ، وكانوا يسكنون بلداً تعرف بحنة في أعلى موزع وهم من أجهل العرب ، كما كان في هذه المنطقة عرب يقال لهم المحاولة أحوالهم البداوة واقتناء الماشية إبل وبقر وغنم " ، ويضيف بهذا الصدد في معرض وصفه لعرب حضرموت : " كان مخلاف حضرموت يغلب على أهله البداوة الشديدة "[٣] .

وقد بلغ من جهل بعض هؤلاء البدو وتخلفهم عدم معرفتهم لتعاليم دينهم ، وجهلهم العديد من تشريعاته ، وبلغ الأمر ببعض المصادر أن وصفت بعضهم بالنجاسة وعدم الطهارة ؛ لعدم التمييز بين المحرمات ، حتى تجنب بعض الفقهاء مصافحتهم بالأيدي لاعتقادهم بقذارتهم ونجاستهم لعدم الغسل من الجنابة ، ولعل خير مثال على ذلك الفقيه أحمد بن عبدالله بن أسعد الوزيري الذي كان يتجنب معانقة أو مصافحة أو التقرب من ابن عمه أحمد بن إبراهيم بن أسعد الوزيري الذي كان يعيش في البادية ، لما كان يلاحظ عليه من قذارة وعدم طهارة ، فقال له يوماً : " لما تفعل هذا معي . فقال له : يغلب على ظني أنك لا تتحرى من النجاسة ، وأنك جاهل لا تعرف ما ينبغي لك اجتنابه "[٤] ، وقد يكون لوضعهم في البوادي دور فيما نسب إليهم من عدم النظافة ، وعدم التحرز من النجاسة لشحة المياه وندرتها في المناطق التي يستوطنونها ، ولنقص الوعي الديني الذي يحثهم على النظافة والطهارة .

على أية حال ، فقد أكثرت المصادر من ذكر صفات أخرى للبدو ، لما لهم من مواقف تدل على تخلفهم وجهلهم وسذاجتهم التي عرفوا بها ، وأصبح لها صداها بين خاصة الناس وعامتهم في اليمن كافة[٥] ، وقد بلغ ببعض هؤلاء البدو من الجهل بقضايا الزواج والنكاح وما يشترط فيهما ، قبولهم لأي شخص يقوم بعقد النكاح في حالة غياب القاضي الشرعي المختص ، كما فعل قوم من بدو الشَعْبَانية[٦] عندما ساروا للقاء قاضي الشرع في

---

[١] السلوك ، ج٢ ، ص٢٨٨ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٩٨ .

[٣] نفسه ، ص٤٦٢ .

[٤] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٣٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٣ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١١٧ب .

[٥] وممن عرفوا بذلك قبائل منطقة نقد البدوية القريبة من حصن الصانة في وُصَاب لما وصفوا به من حمق ، إذ يحكى عنهم قصص تدل على ما وصفوا به ، ويذكر الوصابي عنهم الكثير ، ويعيد ذلك إلى انطوائهم وانعزالهم وعدم مخالطتهم للناس ، وقد حيرت بلادتهم ولاة منطقة وصاب من بني أصهب الذين كثيراً ما يستعينون بهم في بعض المهام والأعمال الشاقة ، مما جعلهم في الأخير يستغنون عن خدماتهم بعدما تأكد لهم أن ما يفعلونه من أعمال هوجاء هي داء متأصل فيهم ، كما يذكر لنا الوصابي العديد من المواقف التي تسرد حكايات مختلفة عن البدو . انظر : وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي : تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص٩٥ – ٩٧ .

[٦] الشَعْبَانية : من مناطق تعز ، ومنها تموّن مدينة تعز بالمياه . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص١٢٨ ، ح (٨) للمحقق .

قرية عسق[١] ليعقد لعروسين من أبنائهم ، ولكن لعدم وجود القاضي ووجود والدته جعلهم يقبلون عرضها عليهم للقيام بهذه المهمة نيابةً عن ولدها الغائب ، بدلاً من عودتهم دون عقد نكاح ، ويبدو أنهم قبلوا منها بعدما لاحظوا عليها بعض الخبرة لاختلاطها بولدها ولمعرفتها لما يقوله في مثل هذه المواقف ، ولجهلهم وجهلها لخطورة هذه الأمور ، فعادوا إلى الشعبانية فرحين لإتمام بقية مراسم العرس والدخلة التي أوقفها قاضي الشرع بعد أن حكت له والدته ما حصل ، ليجدد هو العقد بنفسه قبل الدخلة بلحظات[٢] .

وفضلاً عن ذلك ، تميز بعض البدو بصفات جعلت المجتمع يحذر من التعامل معهم بسببها ، منها الغدر والخيانة ، ولنا فيما حدث في منطقة كور الجماجم في حَرَضَ[٣] خير دليل ، وذلك عندما طلب بدو هذه المنطقة[٤] من والي حرض من قبل بني رسول الأمير عزيز الدين الطنبغا المعونة لجمع قطيع من الإبل لهم كانوا قد فقدوها في البوادي ، فأرسل إليهم بعدد من العساكر لتحقيق هذه المهمة ، فغدر هؤلاء العرب بالعساكر وقتلوهم ونهبوا دوابهم وما معهم ، وقد غضب الوالي لذلك ، وزاد غضبه قتلهم لأحد أفضل مماليكه المعروف بالفارس[٥] .

ومع كل ما ذُكر عن هؤلاء البدو من صفات مختلفة فقد ظهر فيهم رجال عُرِفوا بالعلم والمعرفة ، كما عرفت بعض البوادي أسراً اشتهرت بالعلم والصلاح والخير مثل أسرة بني كنانة وبني الخل وبني الحضرمي الذين برزوا في بادية المهجم[٦] ، في حين كان لحضرموت التي اشتهرت قبائلها بالبداوة الشديدة دور في إخراج عدد من العلماء ، لاسيما في بوادي تَرِيم[٧] وشِبَام[٨] التي برز منها الكثير من العلماء والصالحين[٩] .

وكيفما كان الأمر ، فقد شغلت البداوة العديد من الفقهاء والصالحين الذين أثر فيهم وضع البدو وجهلهم ، فسعوا إلى توعيتهم على أمل هدايتهم وتقوية إيمانهم وتعليمهم دينهم ، وبلغ الأمر ببعض العلماء والصالحين إلى مصاهرة البدو بالزواج منهم لهذا الهدف فقط[١٠] ،

---

(١) عسق : قرية شرقي تعز . الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٥٢ .

(٢) انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٥٢ .

(٣) حَرَضَ : بلدة مشهورة من تهامة شرقي ميدي بينها وبين ساحل البحر الأحمر مسافة ست ساعات . الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة : طبقات فقهاء اليمن ، تح : فؤاد سيد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص٣١٢ – ٣١٣ .

(٤) كان هؤلاء البدو يسكنون بادية تعرف بكور الجماجم في حرض ، وهم أرباب إبل يدفعون للدولة سنوياً عنها مال معلوم مقابل الحماية . ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٣٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٣٢ – ٤٣٦ .

(٦) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٣٢ – ٣٣٦ .

(٧) تَرِيم : أشهر بلدان وادي حضرموت ، تقع في الشمال الشرقي من سيئون . السقاف : إدام القوت ، ص٨٧١ .

(٨) شِبَام : مدينة عامرة في حضرموت تميزت بمنازلها المرتفعة ارتفاعاً عالياً . إسماعيل الكوع : البلدان اليمانية ، ص١٦١ .

(٩) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٩٨ .

(١٠) انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٠٩ .

متأملين أن يكون لهذا أثر بعد الزواج ، محاولين بذل كل جهودهم لتوعيتهم وتعليمهم لإخراجهم من جو البوادي المتخلف .

وتذكر بعض المصادر مواقف لعلماء وفقهاء عانوا من جهل أهل البادية وتخلفهم ، مما دفع بعضهم إلى الخروج منها بأبنائهم ونسائهم إلى مناطق أكثر تطوراً خوفاً عليهم من تأثير جو البادية على أسلوب حياتهم ، وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل العلهي (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ممن فعل ذلك ، بعد أن خرج من بلده شرقي عدن أبين إلى بلاد الأعروق[١] ليسكن معهم في قرية الظفر ويتزوج امرأة منهم ، فوجد الجهل يغلب على أهل هذه البلدة ، فانتقل عنهم بامرأته إلى ذي أشرق[٢] واستوطن بها[٣] .

وقد نجد من بين سكان البوادي من يتصف بالعقل والدهاء والعاطفة والمحبة والتدين ، بسبب وعي بعضهم وخوفهم من الله ، ومن هؤلاء بعض عرب التهائم الممتدة بلادهم من موزع إلى أعمال أبين ، خاصة فرع من هؤلاء العرب يعرفون ببني الحارث من العقارب ، إذ كانوا يدّعون المحبة لله وفي الله ، ويذكر لنا ابن المجاور[٤] العديد من القصص عن هؤلاء البدو وما هم عليه من خير وصلاح وعاطفة ، كما يذكر لنا الوصابي[٥] مدى تدين بعض بدو منطقة وصاب[٦] ، ومدى خوفهم من الله عند سماعهم لبعض الآيات القرآنية وغير ذلك .

وإذا نظرنا إلى دور الفقهاء والصالحين بالنسبة لهؤلاء البدو نجد أنهم احتلوا مكانة كبيرة بين أوساطهم ، لاعتقادهم بقدراتهم التي كثيراً ما تصفها المصادر ، مؤمنين بما يقولون وما يفعلون ، وقد بلغ من محبتهم لهؤلاء الفقهاء الذين عرفوا بينهم بالصلاح والخير أنهم متى تدخلوا لحل بعض مشكلات البدو خضعوا لهم واستمعوا لمشورتهم ، وسامحوا خصومهم حتى في الدماء التي بينهم ، ولنا في موقفهم من الفقيه أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي الجبرتي

---

[١] الأعروق : بلدة في الحجرية يمر من غربها غيل ورزان . الحجري : مجموع ، ج١ ، ص٨٥ .

[٢] ذي أشرق : بلدة عامرة تابعة لمديرية ذي سفال على مقربة من جبلة ويشرف عليها من شمالها الغربي حصن التعكر . عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي : تاريخ اليمن ، تح : حسن سليمان محمود ، ط١ ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٢٨٢ ، ح (١) للمحقق .

[٣] الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٤٩ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٤٩أ – ب .

[٤] انظر : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٩ – ١٥٠ .

[٥] انظر : تاريخ وصاب ، ص١٧٤ .

[٦] وُصَاب : جبل معروف باليمن فوق زبيد فيه عدة بلاد وقرى وحصون . البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق : مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج٣ ، تح : علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ص١٤٣٩ ؛ بامخرمة ، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد : النسبة إلى المواضع والبلدان ، ط١ ، مركز الوثائق والبحوث ، أبوظبي ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٥٨٢ . وتنسب وصاب إلى وصاب بن مالك بن زيد بن زرعة وهو حمير الصغر بن سبأ ، وتنقسم إلى وصاب العالي ووصاب السافل ، وتقع جنوب غرب صنعاء بمسافة خمس ساعات بالسيارة . المروني : الثناء الحسن ، ص١٤٨ .

(ت : ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م) الذي كثيراً ما يتدخل للفصل في مشاكل الثأر وغيرها خير دليل على ذلك ، فقد تدخل في إحدى قضايا الثأر بين قبيلتين بلغ عدد القتلى بينهم أربعة عشر قتيلاً من جانب واحد ، وقد تنازل أولياء الدم عن قتلاهم بمجرد قدوم الفقيه المذكور إليهم ، بل أعلنوا تنازلهم قبل نزوله عن دابته[1] ، كنوع من الإجلال والاحترام والاعتقاد بمثل هؤلاء الصالحين ، وقد يوحي لنا هذا بروح التسامح التي تميزت بها بعض القبائل اليمنية في العصر الرسولي ، وكرمهم أمام الصالحين وتنازلهم عن حقهم تقديراً لهم .

وقد يكون فيما قيل عن هؤلاء الناس نوع من المبالغة في زيادة العاطفة أو السذاجة والجهل أو التسامح والعفو ، إلاّ أن هناك أموراً تعودت عليها بعض القبائل من كرم وتسامح وغيرها ، أصبحت بمثابة تقليد بينهم يتوارثه أباً عن جد جميع أفراد القبيلة ، لانغلاق المجتمع القبلي الريفي على نفسه وانعزاله وبعده عن التمدن وعدم مخالطته لغيره من الناس وتمسكه بالعادات والتقاليد المتوارثة عبر العصور والمتمثلة بالعرف القبلي الذي يعد تشريع هذه القبائل ودستورها المتعامل به بين أفرادها جميعاً .

---

[1] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٧٦ . وعن الفقيه المذكور انظر : الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١١٨أ – ب ، ١١٩أ .

الفصل الثاني

الطبـقات الاجتـماعيـة

تمهيد :

أولاً : طبقة الخاصة

ثانياً : طبقة العامة

تمهيـــد :

حظيت الطبقات الاجتماعية في اليمن في المدة السابقة على قيام الدولة الرسولية باهتمام عدد من الباحثين[١] ، وراح كلٌ منهم يقسم المجتمع بالطريقة التي يراها تتناسب والمعطيـــات التاريخية المتوافرة لديه ، مكوناً بذلك سلماً اجتماعياً تتدرج فيه الطبقات من الأعلى إلى الأسفل ، مميزاً بين كل طبقة وأخرى بأمور – سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية ودينية – كان لها الأثر الأكبر في تحديد مستواها الاجتماعي . وقد عرفت اليمن في عصر بني رسول التقســيم الاجتماعي للطبقات والتمييز فيما بينها في تلك المدة الزمنية التي هي امتداد لِمَا سبقها .

وقد أعطى بعض مؤرخي الأقطار الإسلامية[٢] التي عاصرت دولة بني رسول اهتماماً كبيراً أيضاً بمجتمعاتهم ، وقسموها كلٌ حسب وجهة نظره الخاصة ، والتي تفرضها طبيعة المجتمع نفسه ، ونوعية العلاقة التي كانت قائمة بين أفراده ، ومن الطبيعي جداً أن نجد تقارباً بين ذلك التقسيم الذي وضعه مؤرخو الأقطار الإسلامية التي كانت خاضعة لحكم السلاطين المماليك في مصر وبين التقسيم الذي عرفه المجتمع اليمني ، للتقارب الكبير بينهما في ذلك الحين ، وللتأثير الذي تركه المماليك بين أوساط الناس في داخل الأقطار التي ارتبطت بعلاقات معهم .

علماً بأن هناك إشارات يسيرة توردها المصادر التي أرّخت للدولة الرســولية عــن الترتيب الاجتماعي في ذلك العصر ، ومن هذه الإشارات ما يذكره الخزرجي[٣] من أن الناس كانوا مقسمين إلى طبقات ، إذ يقول : " وكان [السلطان الأشرف الأول] محبوباً عند النـــاس على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم " ، وَ : " أمر السلطان رحمة الله عليه [السلطان المؤيد داؤد] بعمل فرحة عظيمة جامعة حضرها أعيان الناس بل عامتهم على اخــتلاف حـــالاتهم وتنـــوع طبقاتهم "[٤] ، وَ : " وكان سائر الناس يمشون على اختلاف طبقاتهم من الحراث إلى الوزير "[٥] ، وبموجب ذلك فإن كلمة (طبقات) كانت مستخدمة في العصر الرسولي . وتعني الطبقة عند أهل اللغة : مراتب الناس[٦] أو الجيل بعد الجيل أو القوم المتشابهون في سن أو عهد أو درجات الناس

---

[١] انظر : الحمد : الأحوال الاجتماعية ، ص١٣٤ – ٢٠٢ ؛ الحديثي : أهل اليمن في صــدر الإسلام ، ص٦٥ – ٧٥ ؛ بيضانـــي ، إيمان محمد عوض : الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صــدر الإسلام ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهـــرة ، ٢٠٠٣م ، ص٢٧٧ – ٢٩٩ ؛ قائد حميد : أحوال اليمن السياسية ، ص٦٨ – ٧٧ .

[٢] السبكي ، تــاج الدين عبد الوهاب : معيد النعم ومبيد النقــم ، حققه وضبطه وعلــق عليه : محمد علــي النجار وآخرون ، ط٢ ، مكتبة الخانجــي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص١٦ وما بعدهــا ؛ القلقشنــدي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ١٤ – ٢٣ ؛ ج٥ ، ص٤١٩ – ٤٤٢ ؛ المقريزي ، تقــي الدين أحمد بن علي : إغاثة الأمــة بكشف الغمة ، تح : جمال الدين الشيال ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص٩٨ – ١٠٢ .

[٣] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٨٤ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٨ .

[٥] نفسه ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

[٦] الرازي : مختار الصحاح ، مادة (الطبق) . وانظر : الزبيدي : تاج العروس ، ج٦ ، مادة (طبق) .

ومراتبهم[١] . وهناك إشارة أخرى عند ابن بطوطة[٢] إلى نوع الطعام في اليمن في عصر الدولة الرسولية وهي : " طعام العامة وَ طعام الخاصة " ، وبناء على ذلك يمكن أن نقسم المجتمع اليمني آنذاك إلى طبقتين هما : طبقة الخاصة وَ طبقة العامة ، على أن تقسم كل طبقة إلى عدة فئات وكل فئة إلى عدة شرائح ، وتترك لنا المصادر الخيار في إدراج كلٍ من أفراد المجتمع في الفرع الذي يناسبه ، لاسيما وأن هناك تقسيماً داخلياً لِمَا يعرف بالخاصة وآخر لِمَا يعرف بالعامة .

أولاً – طبقة الخاصة :

وتكونت من أرفع الناس منزلة ، وأكبرهم مكانة ، وأكثرهم نفوذاً في المجتمع ، ويأتي السلطان الرسولي على رأسها مع جميع أفراد أسرته من أبنائه (الملوك) وأحفاده ، وأقربائه الأمراء ، والحكام من كبار السادة (الأشراف) ، ومشائخ القبائل ، وكبار الموظفين ، وكبار التجار ، وتنقسم هذه الطبقة إلى عدة فئات وشرائح هي :

١ – **فئة السلاطين وأقرباؤهم** : وتضم الشرائح التالية :

أ – **شريحة السلاطين** : ويقع هؤلاء على رأس الهرم الاجتماعي ، فهم المسؤولون عن كل فرد في المجتمع ، وأصحاب القرار ، وهم المسيطرون الوحيدون على أملاك الدولة وأموالها ، وأصحاب الحق في إقطاع أراضي الدولة لمن يشاؤون من أفراد أسرهم أو مجتمعهم ، ونزعها ممن يشاؤون منهم[٣] ، وبيدهم حق تعيين وعزل من يشاؤون من كبار رجال دولتهم وأصحاب النفوذ[٤] ، وإطلاق الألقاب عليهم[٥] ، ولهم الحق في محاسبتهم ومصادرة أموالهم وأملاكهم في حالة إدانتهم بسرقة أو استغلال النفوذ[٦] ، أو مسامحتهم في ضرائب أراضيهم[٧] ، أو صرف الأموال لهم لكسب تأييدهم[٨] ، كما كان لهم الحق في إعطاء ولاية العهد بالمُلك من بعدهم لمن يشاؤون من أبنائهم دون حصرها في الابن الأكبر[٩] ، كما حتم وضع السلاطين على رأس السلم الاجتماعي أن يرتبطوا برعيتهم ، ويتواصلوا معهم ويشاركوهم احتفالاتهم ومناسباتهم[١٠] .

---

(١) المعجم الوجيز ، ص٣٨٦ .

(٢) تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ . وانظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٨٤ ، ٤٤١ ؛ ج٢ ، ص٧٤ ، ١٢٧ ، ٢٣٥ .

(٣) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٦ ، ٢٦٢ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٠٧ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ – ١٤٧ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٨٣ – ١٨٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٧ ، ٤٢٨ ؛ ج٢ ، ص٣٦ ، ٣٧.

(٥) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٩٥ .

(٦) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٨٤ – ١٨٥ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٧ ، ٢٤٤ ، ٢٩٣ .

(٧) ديوان الخراج الديوان المالي المعمور في زمن دولة بني رسول ، مخطوط مصور بمكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، بدون رقم ، ق١٣ب – ٢١ب ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٥ .

(٨) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣١٦ .

(٩) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٩ ، ٢٧٣ – ٢٧٥ ، ٢٩٩ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٢ – ٤٠٥ .

(١٠) أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧١ – ٢٧٢ ، ٢٧٦ – ٢٧٨ .

وفي الوقت نفسه ، كان للوضع الاقتصادي لسلاطين بني رسول الدور الأكبر في زيادة مكانتهم ورفع منزلتهم وتمكين نفوذهم بين الناس ، مما جعل جميع الفئات الأخرى خاضعة لهم وتحت تصرفهم ، وتذكر لنا بعض المصادر معلومات عن مستوى الدخل لبعض هؤلاء السلاطين والمتمثل في الأموال الطائلة التي كانوا يجنونها من الضرائب ، ويشير ماركو بولو[١] إلى امتلاك سلطان عدن[٢] الكنوز الكثيرة التي يجمعها من الرسوم الجمركية التي يفرضها على التجار الواصلين ببضائعهم من بعض موانئ العالم إلى ميناء عدن[٣] ، وهو الأمر الذي يؤكده ابن فضل الله العمري[٤] ، وقد مكنت تلك الأموال سلاطين بني رسول من تسخير القوى الإجتماعية كافة لتدعيم حكمهم لليمن ، لاسيما أنهم أخذوا في صرف جزء منها لكبار الشخصيات والمشائخ ، وكذلك بعض القبائل المعارضة[٥] ، وأنشأوا المشاريع التنموية لرعيتهم بجزءٍ أخر[٦] ، مما أوجد لهم ولأفراد أسرهم مكانة مرموقة بين أبناء المجتمع .

ب – **شريحة أبناء السلاطين** : وتضم أبناء السلاطين وأحفادهم وأفراد أسرهم ، وقد عاش هؤلاء في المستوى نفسه الذي عاش فيه آباؤهم ، وعُدُّوا من أرقى الشرائح وأرفعها في المجتمع ، لما عرفوا به من رفاهية العيش ونعيمه لامتلاكهم الأموال والأملاك الطائلة ، واقتنائهم القصور والأراضي والمركوبات الخاصة بهم[٧] ، مما جعلهم يحتلون مكانة رفيعة بين غيرهم .

وقد مُيز أبناء السلاطين منذ ولادتهم بألقاب أضيفت إلى أسمائهم ، فعرفوا بها كالمظفر والأشرف والمؤيد والواثق والمسعود والمجاهد والأفضل والناصر والظاهر والمنصور ، وأصبحت تلك الألقاب محصورة فيهم فقط دون غيرهم ، لاسيما أنه يضاف إليها لقب ملك ، فعرفوا بالملوك ، ولا يُنادى أحدهم إلاّ بالملك تعظيماً وإجلالاً وتمييزاً له عن غيره من بني رسول[٨] ، وفي حالة تولي أحدهم الملك يضاف له لقب سلطان فيقال الملك

---

[١] رحالة من أصل إيطالي ولد في مدينة البندقية سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م ، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره بدأ في رحلته العجيبة برفقة أبيه وعمه ، واستمرت هذه الرحلة سنوات طويلة تنقل فيها بين جبال وسهول آسيا الشاسعة ، وقد دون ماركو بولو أخبار رحلته هذه وذكر فيها معلومات نادرة عن اليمن في عصر بني رسول . للمزيد انظر : شلحد ، يوسف : " الجزيرة العربية كما وصفها الرحالة ماركو بولو (١٢٥٤ – ١٣٢٣م) " ، مجلة دراسات يمنية ، ع (٣٤) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص٢٥٠ – ٢٥٨ ؛ محمد علي موسى : " ماركو بولو وعدن أيام الرسوليين " ، ندوة عدن في ظل حكم الزريعيين والأيوبيين والرسوليين ، جامعة عدن ، عدن ، ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص١٣ – ١٤ .

[٢] لم يذكر ماركو بولو لنا اسم السلطان الرسولي ، ولكن يبدو أنه السلطان المظفر يوسف الأول لتوافق هذه الرحلة مع فترة حكمه .

[٣] ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ترجمها إلى الإنجليزية : وليم مارسدن ، وترجمها إلى العربية : عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٩١ – ٩٢ .

[٤] مسالك الأبصار ، ص٤٩ .

[٥] هذيل : التمردات القبلية ، ص١٧٤ – ١٧٥ .

[٦] عليان : الحياة السياسية ، ص١٨٤ – ١٨٥ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٦ – ٣٩١ ، ٤٠١ – ٤٠٧ ، ٥٥٠ – ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ – ٥٥٩ .

[٨] الأكوع ، إسماعيل بن علي : الدولة الرسولية في اليمن (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص١٠ .

السلطان[١] ، بينما عرف أبناء الملوك ممن لم يتولّ آباؤهم المُلك بين الناس بالأمراء فقط ، على الرغم من تلقب آبائهم بالملوك[٢] .

وكان أبناء السلاطين يتولّون المناطق أو الولايات على شكل إقطاع ، ولهذا كانوا من أكثر الناس إقطاعاً وأقواهم نفوذاً ، وذلك بموجب القاعدة التي سار عليها معظم سلاطين بني رسول ، فبعد أن يتولى المُلك يقوم بإقطاع أهم المناطق لأبنائه[٣] ، حتى أن بعضها أصبحت أقطاعاً لهم ولأبنائهم وأحفادهم يتوارثونها من بعدهم ، كما فعل السلطان المظفر الأول عندما أقطع ابنه الواثق ظفار الحبوضي ، فأصبحت لأبنائه يتوارثونها من بعده[٤] .

وكيفما كان الأمر ، فقد عاشت هذه الشريحة محاطة برعاية السلطان الذي لم يبخل عليها بشيء من الأموال والأملاك لتكون شريحة مميزة عن غيرها بمعيشتها وحياتها[٥] ، ومع ذلك فقد عاش أفرادها بين أوساط الناس وتداخلوا معهم وشاركوهم أفراحهم[٦] وأحزانهم وساروا في جنائزهم[٧] ، ويبدو أن هذا التقرب من الرعية هو ما ميز سلاطين بني رسول وأبناءهم عن غيرهم ممن سبقهم من حكام اليمن .

ج – **شريحة أقرباء السلاطين** : وتضم إخوان السلاطين وأبناء عمومتهم وأبناءهم ممن عاشوا في مستوى لا يقل كثيراً عن المستوى الذي عاشه أبناء السلاطين أنفسهم ، على اعتبار أنهم من البيت الحاكم ، فكان لهم النصيب الأكبر في الحصول على الإقطاع من السلاطين بعد أبنائهم[٨] . وقد مُيِّز هؤلاء عن غيرهم من أفراد طبقة الخاصة ، رغم انخراط بعضهم بين أوساط الناس والعيش معهم ، حتى أنه لم يعد يُحسب لبعضهم بعض الأخطاء التي يقومون بها ؛ مُراعاة لصلة القرابة التي تربطهم بالسلطان ، مع ما تتركه تلك الأخطاء من أضرار على مصالح العامة[٩] .

---

[١] لم تعرف اليمن ذلك في المدة التي سبقت قيام الدولة الرسولية ، وهو ما ميز ملوكهم عن غيرهم من ملوك اليمن الذين سبقوهم ، فعلى سبيل المثال كان ملوك الدولتين الصليحية والزريعية يتحصلون على مثل هذه الألقاب من الخليفة الفاطمي في مصر ، فهو الذي ينعم على السلاطين وأبنائهم بمثل هذه الألقاب . للمزيد عن ذلك . انظر : بلعفير ، محمد صالح : " معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي في دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزريعية من خلال المسكوكات " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع (١) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٦م ، ص٢٥ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٩أ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٨ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ، ٣٠١ – ٣٠٣ ، ٣٠٥ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٣٣ب .

[٥] سوف يتم الحديث بالتفصيل عن هذه الامتيازات عند الحديث عن حياة الترف والنعيم التي عاشوها . انظر : ص٢٠٩ .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٥٤ ، ٥٦٥ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢١ .

[٨] انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٤٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٠أ ، ١٤١ب – ١٤٢أ .

[٩] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٩ – ٥٥٠ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٨ب ، ١١٩أ .

لم يكن من الضروري أن يكون أقرباء السلاطين من أفراد البيت الرسولي ، بل قد يكونون من الأسر اليمنية التي ارتبطت مع بني رسول بعلاقات مصاهرة كالأمير نجم الدين عمر بن يوسف الدين بن النفيس (ت : ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) أخي السلطان المظفر الأول لأمه الذي كان من أكبر الأمراء وأكثرهم قرباً منه[١] ، والأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي (ت : ٦٨١هـ / ١٢٩٢م) خال السلطان المنصور نور الدين عمر ، وقيل ابن خاله[٢] ، والذي كان له عند المنصور مكانة عظيمة ، وقد اعتمد عليه في ولاية بعض الحصون عندما أعلن قيام دولته[٣] ، وأقطعه إقطاعاً جيداً ، وميزه عن غيره وقربه منه ، وعاش معززاً مكرماً حتى صار أميراً له ما لكبار الأمراء[٤] ، للقرابة التي ربطته بالمنصور[٥] ، كما كان المشائخ بنو طاهر أصهار السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل من أكبر رجال الدولةِ منزلة ، وأكثرهم قرباً لبني رسول ، لِمَا ربط بينهم من علاقات أصبحوا بموجبها من كبار الولاة والملاك[٦] ، وقد حصل هؤلاء الأفراد وغيرهم على الكثير من الامتيازات التي لا تقل عن تلك التي حظي بها أفراد البيت الرسولي ، لِمَا ربط بينهم من علاقات أسرية وثيقة .

٢ - فئة الحكام الأشراف :

وهم من ينسبون إلى الرسول محمد (ﷺ) من جهة ابنته فاطمة ، التي كان لها من زوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) اثنان من الأبناء هما : الحسن والحسين (رضي الله عنهما)[٧] ، ويذكر لنا الملك الأشرف[٨] أن الشرف لا يطلق على كل من كان من ذرية أولاد علي بن أبي طالب ، بل على من كان من ذرية أولاده من فاطمة بنت الرسول (ﷺ) الحسن والحسين (رضي الله عنهما) ، ومن كان من غيرهم من أولاد علي يسمون عَلَويين ولا يسمون أشرافاً .

وفي اليمن أطلق الأهالي على كل من ينتمي إلى آل البيت اسم سيد ، وانفردوا بهذه التسميات عن غيرهم من الناس[٩] ، ويعتنق جزء كبير من السادة الأشراف الحسنيين

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧١.

[٢] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٦٣ - ٣٦٤ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٢ .

[٤] يقول ابن فضل الله العمري أن الإمرة في اليمن قد تطلق على من ليس بأمير ، وأما الإمرة الحقيقية فهي التي ترفع لها الأعلام وتضرب لها الكوسات . مسالك الأبصار ، ص٤٩ .

[٥] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ ابن أبي الرجال ، صفي الدين أحمد بن صالح بن محمد بن محمد بن علي : مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط ميكروفيلم رقم (١٢٣١) في معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ق٣٤٢أ .

[٦] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٦ .

[٧] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : لُب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص٨٠ ، ١٨١ ؛ رودينوف . م . أ : عادات وتقاليد حضرموت الغربية : العام والمحلي في الثقافة السلالية ، تر : علي صالح الخلاقي ، ط١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٢م ، ص٣٣ .

[٨] طرفة الأصحاب ، ص١٠٢ - ١٠٣ .

[٩] سيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤ - ١٩٤٨م) ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٢٤ .

والحسينيين في اليمن المذهب الزيدي ، بعد أن انتشر على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[١] ، ومع أن السادة الأشراف شكلوا تجمعاً كان له وزنه ومكانته في اليمن إلاّ أن الوضع المادي والعلمي والاجتماعي لهم أدى إلى أن تظهر من بينهم شخصيات تميزت بالجاه والمال والعلم ، مما مكنها إلى أن تصل إلى موقع الرئاسة (الإمامة) على غيرها من السادة الأشراف على اختلاف مراتبهم لاسيما معتنقي المذهب الزيدي الذين انتشروا في اليمن الأعلى من صنعاء إلى صعدة وما جاورها ، وقد عاش هؤلاء الحكام الأشراف من الأئمة الزيديين حياة لا تختلف من حيث المكانة والجاه عن حياة سلاطين بني رسول ، بل نافسوهم في ذلك ، فكان لهم القادة والجلساء والشعراء والعسكر والحصون والرعية والجباة والأملاك والأموال[٢] ، فضلاً عمّا حظوا به من سلطة دينية ودنيوية مكنتهم من الوصول إلى ما وصلوا إليه[٣] .

كما برز عدد من الأشراف الذين ينتمون إلى أسر كان لها دور في حكم بعض المناطق في اليمن ، لما ورثوه من مكانة عن أسرهم ، وأكثر من اشتهر منهم الأشراف الحمزيون في صعدة وما جاورها[٤] ، وهم أبناء الإمام المنصور عبدالله بن حمزة[٥] كالأمير عز الدين محمد وشمس الدين أحمد وصارم الدين داؤد[٦] ، كما ينسب إلى أسرة الحمزات الشريف الأمير جمال الدين علي بن عبدالله وابنه الأمير عماد الدين إدريس[٧] الذين أدوا دوراً كبيراً في الحياة

---

[١] هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ، قدم من الرّس إلى صعدة سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م بطلب من قبائلها ، ثم استقر فيها ، فكون دولته سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م ، ولذلك يعد مؤسس الدولة الزيدية في اليمن . للمزيد عن الإمام المذكور انظر : الكوفي ، محمد بن سليمان : سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ودخوله اليمن ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٣٤١ ، ٣٩) ، القاهرة ، ق٨أ – ١٤٢أ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٢٢هـ ، صححه ووضع حواشيه وقدم له : محمد عبدالله ماضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت ، ص٧ وما عدها ؛ أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ط١ ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٢٣٢ – ٢٣٤ ، ٢٤٢ .

[٢] للمزيد من التفاصيل انظر : العمري : مسالك الأبصار ، ص٥١ ، ٥٩ – ٦٥ ؛ الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٧٩ – ٨٨١ .

[٣] كان أبرز هؤلاء الحكام الأشراف من الأئمة الإمام الزيدي أحمد بن الحسين الذي تم الحديث عنه سابقاً انظر : ص١٩ . وللمزيد عن أسماء الأئمة الزيديين الذين عاصروا سلاطين الدولة الرسولية انظر : ص٤٥٢ .

[٤] ينتسب الأشراف الحمزيون إلى حمزة بن أبي هاشم من ذرية الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين . للمزيد عنه انظر : الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص١٠٣ – ١٠٤ .

[٥] هو الإمام المنصور عبدالله بن حمزة دعا إلى نفسه سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٦م في مدينة صعدة ، ودخل في صراع مع أمراء بني أيوب وولاتهم في صنعاء وأعمالها لوقوعها تحت حكمهم ، وقد توفي سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، بعد أن ترك العديد من المآثر في الجوف ، إضافة إلى العديد من المؤلفات والفتاوى والأشعار وكان شاعراً بليغاً . للمزيد عنه انظر : ابن دعثم ، أبو فراس ابن أبي عمر : السيرة المنصورية سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣ – ٦١٤هـ) ، مج١ ، ج٢ ، تح : عبد الغني عبد العاطي ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص١٧٦ ؛ المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد : الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، ج٢ ، مخطوط مصور ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢م ، ق١٧٦أ – ب ؛ عبدالله بن حمزة : الشافي ، تقديم : مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي ، مج١ ، ج١ ، ط١ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٦م ، ص٣ .

[٦] الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص١٠٤ – ١٠٥ .

[٧] هو مؤلف كتاب : (كنز الأخيار في السير والأخبار) .

السياسية والاجتماعية كحكام على مناطقهم وحصونهم وكولاة على بعض المناطق التي أقطعت لهم من قبل سلاطين بني رسول ، فكانوا من أبرز الشخصيات التي عرفت في ذلك العصر من الأشراف الزيديين[١] . كما انتشر الحكام الأشراف من معتنقي المذهب السني في مناطق مختلفة من اليمن كالمخلاف السليماني[٢] الذي سكنه وحكمه الأشراف بنو سليمان (السليمانيون)[٣] ، وقد اشتهر منهم في العصر المذكور الأشراف بنو علي[٤] . وفي حضرموت وجد السادة آل باعلوي الذين ينسبون إلى الإمام أحمد بن عيسى الحسني العلوي المعروف بالمهاجر الذي هاجر من البصرة إلى حضرموت سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م[٥] ، وهو جد السادة آل باعلوي السنيين[٦] الذين عرفوا بأنهم بيت علم وصلاح ، وكانوا من أكابر مناصب حضرموت ، وكان لهم بروز ظاهر في العصر المذكور لمَا عرفوا به من كرامات[٧] .

لقد كان أفراد هذه الفئة على اختلاف مذاهبهم أكثر الناس تميزاً في المجتمع اليمني ، لمَا كان لهم من مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس ، لنسبهم الشريف العائد إلى آل البيت[٨] ،

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٠٢ ؛ ابن أبي الرجال : مطلع البدور ، ق٣٨٥أ – ٣٨٧ب .

[٢] المخلاف السليماني : وينسب إلى سليمان بن الطرف ويدخل اليوم تحت النفوذ السعودي ، فهو نهاية حدود اليمن معها ، ومركز هذه المخلاف مدينة جيزان وكان قديماً مدينة عثر . محمد الأكوع : اليمن الخضراء ، ص٤١ ؛ الشامي ، فؤاد عبد الوهاب : تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات (١١٤١ – ١٢٦٤هـ / ١٧٢٧ – ١٨٤٨م) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٧ – ٢١ .

[٣] يعود نسبهم إلى سليمان بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) . الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص١١٣ – ١١٤ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣١٧ .

[٤] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٣٠ ؛ ج٢ ، ص٢٢ .

[٥] لقد كان هؤلاء السادة نواة لغيرهم ممن استوطنوا اليمن خلال مُدد زمنية متتابعة ، فانتشروا في المدن والقرى ، وقد يتبادر إلى ذهن الباحث في تاريخ هذه الفئة السؤال التالي : ماهي الدلائل التي تثبت هذا النسب ، وهل من المعقول أن يرحب الناس بكل من يدعي ذلك ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن نعرف أنه على الرغم من محبة اليمنيين للرسول (ﷺ) ولعترته الشريفة وذريته الأخيار ، إلاّ أنه لم يكن من السهل عليهم أن يتقبلوا كل من يحاول أن ينسب نفسه إلى بيت النبوة ، مع عدم تكذيبه أو صده ، ويبدو أن هذه القضية كانت كثيراً ما تثير النقاش والجدل بين من يدعون هذا النسب وبين أهالي المناطق التي ينزلون بها ، ولهذا كان على المدعي أن يثبت بالبينة أو بالشهود ، وإلاّ تكفل أهالي المنطقة بذلك ، ويذكر أنه عندما قدم السيد أحمد بن عيسى المهاجر جد آل باعلوي ومن معه من آل بيته من البصرة إلى حضرموت وادعوا النسب الشريف ، اعترف لهم أهل حضرموت بالفضل ، ولم ينكروا عليهم ذلك ، إلاّ أنهم طلبوا إقامة البينة ، وإثبات صحة ما يدعونه ، وقد تكفل بهذه المهمة عدد من علماء وفقهاء منطقة تريم ، الذين ندبوا منهم من سافر إلى البصرة موطن السيد أحمد بن عيسى ، ليأخذوا اعترافاً رسمياً من قاضيها الذي أكد صحة نسب السيد أحمد بشهادة عدد من أهل البصرة ، وعند عودتهم إلى حضرموت اجتمعوا بعلمائها وأهلها ، وأعلنوا بينهم ما جاء في شهادة الشهود بصحة نسب السيد أحمد ، وبذلك اعترف لهم الناس كافة في حضرموت بالنسب الشريف ، واقروا لهم بالفضل بعد أن أجمع علماء وفقهاء حضرموت على ذلك . انظر : الدواري : رسالة في أنساب القبائل ، ق١ب ، ٢أ .

[٦] الدواري : رسالة في أنساب القبائل ، ق١أ ، ٢أ ؛ الجرافي : المقتطف ، ص٣٨ ؛ إنجرامس ، دبليو إتش : حضرموت (١٩٣٤ – ١٩٣٥م) ، تر وتعريب : سعيد عبد الخير النوبان ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١م ، ص٤٥ ؛ باوزير ، سعيد عوض : صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، د . ت ، ص٥٦ – ٦٥ .

[٧] انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٣ .

[٨] عليان : الحياة السياسية ، ص٢٢٩ .

وقد أعطى سلاطين بني رسول لهم مكانة خاصة ، ميزوا بها عن سائر رجال فئات طبقة الخاصة بما في ذلك المقربين من السلطان نفسه ، وذلك من خلال مشاركتهم للسلاطين في المناسبات والاحتفالات والأعياد الخاصة بهم[١] ، حيث كانوا يجلسون في أثناء قيام مراسيم هذه الاحتفالات على مائدة الطعام الخاصة بالسلطان إلى جانب كبار رجال دولته ، ويذكر ابن بطوطة[٢] أن كبار الأشراف كانوا ممن يأكلون من المائدة الخاصة بالسلطان ، ويكونون على رأس الطعام الخاص ، بينما يجلس بقية رجال الدولة على مائدة الطعام العام . في حين أحب بعض سلاطين بني رسول أن يشاركهم كبار الأشراف نزهاتهم الخاصة في البحر ، مثلما كان يفعل السلطان المؤيد[٣] ، وكثيراً ما كانوا يكرمونهم بالأموال والإقطاعات ، ويقيمون الاحتفالات بقدومهم ، ويهدون لهم العبيد والجواري والغلمان[٤] ، لمعرفتهم لِمَا لأفراد هذه الفئة من تأثير كبير قد يغير عليهم من حولهم من الناس . وقد بلغ من محبة سلاطين بني رسول للأشراف ولنسبهم الشريف أنه إذا غضب السلطان على أحدهم وسجنه أو أخذه رهينة فإنه قد يفك سجنه أو رهنه إكراماً لهذا النسب ، كما فعل السلطان المظفر الأول عندما كان الشريف محمد بن الأمير صارم الدين بن الإمام عبدالله بن حمزة رهينة لديه ، فكتب الأمير صارم الدين قصيدة يمدح فيها السلطان المظفر ويعاتبه ويذكره بجده محمد (ﷺ) ، فتأثر المظفر بها وبكى لعظمة الرهينة ونسبه ، وقال : " أخلصه كرامةً لجده (ﷺ) "[٥] .

٣ – فئة مشائخ القبائل[٦] :

بدأ دور مشائخ القبائل السياسي يظهر بشكل واضح عندما ضعفت الدولة الرسولية لعدم توافر الجند الكثيف لها ، ولذلك عمل سلاطين بني رسول على الاستعانة بهم ، واسندوا إليهم الأعمال السياسية بتوليتهم مناطقهم أو مناطق قبائلهم ، وقد ازداد نفوذ هؤلاء المشائخ كلما ضعفت الدولة ، ولذلك شكّل المشائخ فئة ذات مكانة ونفوذ كبيرين في المجتمع في ذلك العصر ، وقد فرض النظام القبلي الذي عرفته اليمن وجودهم على رأس كل قبيلة ليتولوا شؤونها ، ويديروا أمورها ويمثلونها ويتحدثون باسمها ، فالشيخ هو الحاكم الفعلي لقبيلته ، والمسؤول الأول عنها وعن جميع أفرادها[٧] ، وهو من يقوم بتطبيق القوانين التي يأمر السلطان بتطبيقها على أفراد

---

[١] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٣٣أ .

[٢] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٥٥ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٥٧ب ، ١٥٨أ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١١٥ – ١١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ؛ ج٢ ، ص١٩٢ ، ٢٣٨ ، ٢٧٣ .

[٥] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٣ – ٢٥٤ .

[٦] يقول ابن منظور أن الشيخ من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ، وكان له مكانة رفيعة من علم أو فضل أو رئاسة . لسان العرب ، ج٤ ، مادة (شيخ) ؛ الباشا ، محمد خليل : الكافي ، ط١ ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٦٠٨ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٨ – ١٣٩ .

القبيلة كجباية الضرائب ومطاردة المخالفين ، كما يقوم بتطبيق الأعراف المتعارف عليها في إطار القبيلة ، ويتحمل على عاتقه مسؤوليات جسام تتعدى سلطته التشريعية إلى السلطات الأخرى كالسلطة القضائية والتنفيذية[١] ، وتعد قضية الأمن في المجتمع القبلي من أولى مهامه ، فهو الوحيد صاحب الحق في فصل جميع المنازعات التي قد تحدث بين أفراد قبيلته والحكم فيها[٢] ، وقد تطلب تنفيذ أحكامه وجود قوة خاصة به تضم عدداً من الرجال الأشداء ، ولهذا كله يُفضل أن يكون الشيخ من البيوت التي تمتاز بكثرة رجالها وقوة عصبيتها[٣] . ومن خلال المعطيات التي بين أيدينا يمكن تقسيم مشائخ القبائل في العصر المذكور إلى قسمين هما :

أ - **كبار المشائخ** : وهم من أسر حكمت أراضي ومساحات واسعة ، ضمت بين حدودها عدداً من القبائل والحصون ، وقد عرف بعضهم بالأقيال[٤] ، لمكانتهم في قومهم[٥] ، مثل الشيخ القيل علي بن محمد بن عواض بن سري الذي ورث المشيخة عن أبيه وجده فكان قيلاً كبيراً ، وقد توفي في عصر السلطان المظفر الأول ، والشيخ القيل علوان بن عبدالله الجحدري[٦] ، ويعد هؤلاء المشائخ من وجهاء القوم في مناطقهم وأكثرهم عصبية وثروة ، فهم من كبار ملاك الأراضي ، ويتوارثون المشيخة بينهم ، وتعترف الدولة بوجاهتهم كممثلين لمن يتبعونهم من الناس ، ومن أشهر الأسر التي عرفت بمشيختها في عصر بني رسول : المشائخ آل السيري وآل الحبيشي وآل ناجي وآل طاهر وآل أصهب وغيرهم[٧] .

ولاريب في أن لامتلاك هؤلاء المشائخ والأسر الأراضي الواسعة والحصون والقصور دور في إثارة الغيرة في نفوس سلاطين بني رسول ، لما كانوا يرونه ويسمعونه عنهم وعمَّا هم فيه من نفوذ وقوة ومال ، فسعوا منذ تأسيس دولتهم إلى إخضاعهم وإدخالهم بقبائلهم تحت هيمنة الدولة ، في محاولة للسيطرة على تلك الحصون والأراضي[٨] ، ولذلك ظلت العلاقة غير مستقرة بين الطرفين حتى انتهاء الدولة الرسولية .

---

[١] الرافعي : الإسلام نظام إنساني ، ص٧ .

[٢] الشرجبي ، قائد : الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ط١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص١٧٤ .

[٣] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج١ ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت ، ص١١١ .

[٤] القَيْل : دون الملك الأعلى ، وسمي قيل لأنه يقول ما شاء فينفذ . الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، تح وإشراف : محمد نعيم العرقسوس ، ط٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مادة (قيل) . والقيل موظف رسمي له أرض واسعة يديرها وأتباع يحكمهم ، وله أيضاً حصون وقصور غنية . بافقيه ، محمد عبد القادر : في العربية السعيدة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٤٥ ؛ الحمد : الأحوال الاجتماعية ؛ ص١٦٥ .

[٥] عن بعض من عرفوا بالأقيال انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢١٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٨ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص١٩٣ – ١٩٨ ؛ ج٢ ، ص٢٠٩ – ٢١٠ .

[٧] انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٠٢ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٩٦ .

[٨] الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٧ – ٦٨ ، ١٣٨ – ١٣٩ .

ب – **صغار المشائخ** : ويأتون على رأس قبائلهم المنسوبين إليها ، ولا يحكمون إلاّ في إطارها كمسؤولين عن كل فرد فيها ، وتحدد مساحة حكمهم بالمساحة التي تقع تحت ملكية قبائلهم ، ويكونون هم المتحدثون أمام الدولة التي قد تأمر بتشييخهم على جميع أفراد قبيلتهم ، والمتعهدين بتسليم ما عليهم من أموال ، وقد حظي بعض المشائخ الموالين للدولة بعناية واهتمام السلطان ، وتجلى ذلك في إكرامهم بالصدقات السلطانية[١] ، مما جعلهم يعيشون في مستوى اجتماعي متميز لا يختلف عن المستوى الذي يعيشه كبار رجال الدولة ، بل والأكثر من ذلك أن بعضهم عاش حياة لا تقل عن حياة سلاطين بني رسول أنفسهم ، لِمَا كان لهم من أملاك وأموال ونفوذ ، حتى أن بعضهم عرفوا بالملوك تقديراً وإجلالاً لهم ولمكانتهم الرفيعة بين أقوامهم[٢] . وقد مثل مشائخ القبائل جزءاً لا يتجزأ من طبقة الخاصة ، لذلك عاشوا في مستوى اجتماعي رفيع بين أفراد قبائلهم وبين رجال هذه الطبقة .

٤ – فئـة كبار موظفي الدولة :

وتكونت من أرفع الشخصيات في الدولة والمجتمع ، وعادةً ما يكونون من أقرباء السلطان أو كبار الأشراف أو الزعامات القبلية أو الشخصيات القيادية في الدولة أو كبار العلماء ، وقد احتل هؤلاء مكانة عظيمة بسبب الوضع الاجتماعي المتميز الذي عاشوه ، وانقسموا إلى شرائح عدة أهمها :

أ – **شريحة الوزراء ونواب السلطنة** : كان الوزير من أكبر الموظفين مكانة في الدولة والمجتمع ، لعظم منصبه وحساسيته ، فهو يعد المستشار الأول للسلطان ، والمتحدث باسمه عند التفاوض مع أعدائه ومنافسيه[٣] ، ويبرز دور الوزير في أوقات الأزمات والشدائد التي قد تتعرض لها الدولة ، فتكون لمشورته ونصحه للسلطان دور في شد أزره ، وثباته في مثل هذه المواقف[٤] ، ويبدو أن شخصية الوزير لابد أن تتوافر فيها صفات محددة قد لا توجد في غيره ، كالعلم والدين والصلاح والمرونة والحكمة وغيرها من الصفات الحميدة[٥] ، لذلك كانت عملية تعيين الوزير تتم بموجب مرسوم عالٍ يصدر عن السلطان ، ويعمم على رجال الدولة كافة من القضاة والعمال وسائر الجند بالباب السلطاني ، وبموجب هذا المرسوم يُؤمر

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦٢ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٦٧ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ .

[٢] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٢ب ، ٤٣أ ، ٤٩ب ، ٥٠أ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٩ .

[٤] اشتقت كلمة الوزير من الوزر ، والوزر الثقل أو العبء لأن الوزير يتحمل أثقال الحكم وأعباء الوزارة ، ويلجأ الناس إلى الوزير في أمورهم المعيشية . انظر : حسين الحاج حسن : النظم الإسلامية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م ، ص١٦٩ . وعن مهام الوزير انظر : ابن بهران ، محمد بن محمد : الرسالة اليمنية المسماة ببهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال ، مط : الجمل المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ ، ص١٠ – ١١٠ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٧أ .

المذكورون بالانصياع لأوامره ، والسير في خدمته وتحت طاعته[١] ، ومِنْ ثَمَّ يُكْتب منشور آخر باسم السلطان إلى فئات المجتمع كافة ليعمم الخبر عليهم ، وتُستغل أوقات تجمع الناس للصلاة ، وغالباً في أثناء صلاة الجمعة في المساجد ، ليعلن الخطيب الخبر بموجب ما جاء في منشور السلطان ، ويصبح الوزير بذلك المتقلد لجميع شؤون الدولة في جميع مناطق اليمن ، ويرفع بذلك جميع الرعية شكواهم وحوائجهم وطلباتهم إليه مباشرةً[٢] . وقد احتل الوزراء مكانة رفيعة بين الناس ، وأُكنُوا لهم الكثير من الاحترام والتقدير ، وكانوا يخرجون يومياً إليهم ليدعون بدعوات التوفيق لهم ، وصار بعضهم يدخلون كل صباح إلى بيوتهم للسلام عليهم[٣] ، وتورد لنا المصادر أسماء العديد من هؤلاء الوزراء[٤] .

وقد ارتقى بعض الوزراء إلى مستوى اجتماعي رفيع بتوليهم إلى جانب الوزارة منصب قضاء الأقضية ، مما زاد من مكانتهم[٥] ، لذلك ارتبط الوزراء بالرعية على اختلاف فئاتهم لاسيما الفقراء منهم ، لِمَا كان يكلف به من قبل السلطان للنظر في مظالمهم وشكاويهم[٦] .

وفي هذا الصدد ، كان سلاطين بني رسول يتشاورون مع وزرائهم في أمور رعيتهم ، وكثيراً ما يستدعونهم لحضور بعض مجالسهم التي يُناقش فيها القضايا المتعلقة بمصالح الناس للمشورة ولإبداء الرأي ، وكان الوزير هو من يتواصل مع الرعية في حضرة السلطان ، وهو من يتابع تنفيذ أوامره ، وقد يتكلم باسمه[٧] ، لذلك نجد أن موقع الوزير في الدولة جعل له مكانة اجتماعية مرموقة ورفيعة لقربه من السلطان ، ولتواصله مع العامة من الناس وارتباطه بهم .

أما نائب السلطان والذي لا يختلف في مستواه عن الوزير فإنه من أكثر رجال الدولة قرباً من السلطان ، وقد احتل مكانة رفيعة عنده ، مع أن هذا المنصب ظهر تحديداً في عصر السلطان المؤيد داؤد ، بعد أن قدم إلى اليمن الأمير علاء الدين كشدغدي[٨] من الديار المصرية ، وكان للخبرة التي عرف بها الأمير المذكور في المجال الإداري والعسكري ، واللباقة والقدرة

---

[١] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٣٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٩١ – ٩٢ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٩٧ب ، ٩٨أ .

[٤] انظر : الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٥٠٤ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ؛ ج٢ ، ص٩٦ ، ١٥١ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٦٥ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٢٣٨ ، ٢٩٥ .

[٥] عن بعض من جمعوا بين منصب الوزارة وقاضي الأقضية . انظر : الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٦٢.

[٦] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٤ .

[٧] الملك الأشرف ، إسماعيل بن العباس بن رسول : فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر الزمن ، ب٥ ، تح : علي حسن معيلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة تونس ، تونس ، ٢٠٠٥م ، ص٦٦٨ – ٦٦٩ .

[٨] قدم الأمير علاء الدين كشدغدي إلى اليمن سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م باستدعاء من السلطان المؤيد داؤد ، واحتل مكانة رفيعة عنده وأصبح من ندمائه ، لهذا فوضه المؤيد رسمياً لنيابة السلطنة وأتابكية العسكر ، وقد توفي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م . انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٧٩ – ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

على معالجة الأمور دور في أن يكون أول من يتولى منصب نائب السلطنة[١] ، وقد تولى بعده عدد من الأمراء حتى عصر السلطان المجاهد الذي ضعفت فيه النيابة أمام الوزارة ، ولم يوجد لهذا المنصب ذكر بعد عصر المجاهد[٢] ، وأصبح الوزير هو الرجل الأول في الدولة . ومن الملاحظ أن مهام نائب السلطنة كانت محصورة بأمور الحكم ، ولم ترتبط كثيراً بأمور الرعية كالوزير ، لعدم إشارة المصادر التي بين أيدينا إلى أي قضايا ربطت بين نائب السلطنة والناس في المجتمع ، عدا الأمور المتعلقة بباب السلطان وترتيب الجيوش وتنظيمها[٣] ، ومع ذلك احتل نائب السلطنة مكانة مرموقة في الدولة والمجتمع .

ب – **شريحة الأمراء** : وهم من كانت ترفع لهم الأعلام وتضرب لهم الطبلخانة تمييزاً لهم عن غيرهم[٣] من رجال الدولة ، وانقسموا إلى : أمراء مدنيين ، وأمراء عسكريين .

أما الأمراء المدنيون فيتم تعيينهم من قبل سلاطين بني رسول كولاة أو مقطعين للمناطق البعيدة عن الصراع العسكري كمدينة عدن وتعز وزبيد وغيرها[٤] ، وكان من أهم الشروط التي يضعها السلاطين عند تعيين هؤلاء الأمراء هي العدل في الرعية ، لذلك أخذوا في مراقبة ما يقومون به في مناطقهم ، وما يقدم لهم من خراج[٥] ، ومحاسبتهم في حالة زيادة الخراج أو نقصه عن وضعه المعلوم ، والذي يعني أن هناك ظلماً يحدث على رعيتهم أو تمادياً معهم ، ويتحمل المذكورون أمام الدولة المسؤولية الكاملة عند حدوث خلل أو ظلم في المنطقة المكلف بإدارتها[٦] ، وقد أعطت هذه المسؤولية لهؤلاء مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس في مناطقهم ، لِمَا تميزوا به من صلاحيات خُولت لهم من قبل السلطان . وقد عرفت الدولة الرسولية الكثير من الأمراء المدنيين الذين تميزوا بحسن سيرتهم وأفعالهم ومشاريعهم الخدماتية والدينية والتعليمية في المناطق التي كانوا مسؤولين عنها وعن أهلها[٧] .

وفضلاً عن ذلك ، برز بعض الأمراء الذين اتسموا بالصفة المدنية في مهامهم في البلاط السلطاني ، واحتلوا مكانة عالية بين أفراد طبقة الخاصة لأهمية مواقعهم وحساسيتها بالنسبة للسلطان والمجتمع ، وأهم هؤلاء الأمراء : صاحب الباب (الحاجب) الذي يحجب الناس أو يمنعهم من الدخول على السلطان إلاّ بعد أذنه ، ولذلك فهو من يقوم بتبليغ الأخبار من الرعية

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص٤٤٠ ؛ ج٢ ، ص١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٢ .

[٣] العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٩ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٥٣ .

[٥] الخـراج : ما يؤخذ من الفلاحين سنوياً من الأراضي التي تزرع حبوباً ونخلاً وعنباً وفاكهة . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٦٧ . ولمزيد عن الخراج في اليمن وفي عصر بني رسول انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٧٠ – ٢٨٠ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٢ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٧] سوف يتم الحديث لاحقاً عن أفعال هؤلاء الأمراء : انظر : ص٤٠٨ – ٤٠٩ ، ٤١٥ . ٤١٧ – ٤١٨ .

إلى السلطان ، كما يأخذ لهم الإذن منه بالدخول عليه ، وبحكم وظيفته الاجتماعية هذه التي ربطته بالمجتمع كان كثيراً ما يرافق السلطان والوزير عند لقائهم بالرعية للنظر في بعض المظالم التي يتعرضون لها ، ويبقى الحاجب إلى جانب السلطان بعد خروج الجميع للتشاور معه في الحلول والمخارج[١] ، كما كان للحاجب مهام أخرى استعراضية يشارك بها كسيره أمام السلطان في المواكب الرسمية وبيده عصا يحركها[٢] ، ومن أشهر من تولى هذا المنصب في العصر المذكور الأمير جمال الدين يوسف بن الجواد والأمير الشجاع عمر بن يوسف بن منصور الذي غلب على باب السلطان المجاهد ، وكانت تضرب له الطبلخانة كغيره من كبار الأمراء[٣] . ومن الأمراء المدنيين أيضاً أمير خازندار[٤] الذي يعد المسؤول الأول عن خزانة السلطان ، والمتحدث بأمرها إليه ، وبيده أمر صرف الأموال للأستاذ دار[٥] لتوفير ما تحتاج إليه القصور السلطانية[٦] ، ويبدو أن وظيفته الاجتماعية تظهر من خلال سرعة صرفه للأموال التي يأمر بها السلطان لتموين المشاريع الخدماتية للناس . ومن الأمراء أيضاً أمير علم[٧] الذي يشرف على الطبلخانة السلطانية أو ما يعرف ببيت الطبل والأعلام التي ترمز إلى شعار الدولة[٨] .

أما الأمراء العسكريون فهم من اتسموا بالصفة العسكرية والحربية ، ويتم تعيينهم أو إقطاعهم من قبل سلاطين بني رسول للمناطق ذات التوتر العسكري ، لاسيما المناطق الحدودية مع النفوذ الزيدي كصنعاء وصعدة مثلاً ، أو المناطق القبلية غير المستقرة[٩] ، لضبط النظام فيها وحماية ساكنيها من الإمامة الزيدية وهجمات القبائل ، ويعد الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول والأمير علم الدين سنقر الشعبي والأمير الشريف عماد الدين إدريس ابن علي الحمزي من أكثر الأمراء العسكريين الذين اشتهروا في ذلك العصر كأمراء لمناطق

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢ ، ٦٥ – ٦٦ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٢٢ – ٤٢٣ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٢ ، ٥٥ .

[٥] يعد الأستاذ دار من أرفع موظفي البلاط منزلة لإشرافه على بيوت وقصور السلطان كلها ، وتموينها بكل ما تحتاج إليه من طعام وشراب ولباس وأثاث وحطب وغيره ، كما يتولى تسديد أثمانها عند استلامها ، مع إشرافه على فئة واسعة من غلمان وعبيد السلطان . نور المعارف ، ج٢ ، ص٣ ، ٤٥ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢١ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤ – ١٥ .

[٦] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢١ ؛ ج٥ ، ص٤٣٥ . كثيراً ما يستعين السلطان به عند قيادة الجيوش لغزو منطقة أو قبيلة ، وقد يشرف على الأموال المصروفة لهذه الجيوش ، ويعمل على توفير ما تحتاجه من جنود وأسلحة . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٨ ؛ ج٢ ، ص٢٥٦ – ٢٥٧ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٢ – ٢١٣ .

[٧] يشير ابن كنان إلى أن من الشروط التي كانت توضع لاختيار شخص أمير علم أن يكون حسن الشكل والهيئة طويل القامة . حدائق الياسمين ، ص١٣٥ .

[٨] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١١ . وعن أشهر من تولى هذا المنصب في عصر بني رسول انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤١ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٢٧أ – ب ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٨٨ .

[٩] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٤٣ – ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٦٦ – ٣٦٧ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٣٣أ – ب ، ١١٩ب ، ١٣٣أ – ب ، ١٤١ب ، ١٤٧ب ، ١٩٩أ – ب .

تميزت بتوترها العسكري ، حتى أن أمر تعيين بعضهم كان يقام وسط احتفالات رسمية يحظرها كبار رجال الدولة وقادتها ، وتكون برعاية السلطان الذي يكون على رأس الحاضرين[١] .

كما وجد أيضاً بعض الأمراء العسكريين الذين عادة ما يكونون ضمن كبار رجال البلاط السلطاني والذين يكلفون عسكرياً بحماية السلطان أو قيادة الجيوش ، مثل الأستاذ دار ، الذي يحمل الصفة العسكرية لاختياره من بين أفضل أمراء الجند ، حتى أنه قد يكلف من قبل السلطان بقيادة بعض الحملات العسكرية ، وقد يكلف بوظائف رفيعة أخرى إلى جانب وظيفته كنائب السلطنة وأتابك الجيش[٢] . وأمير جندار الذي يعمل على حراسة السلطان ، ومطالعته ومراجعته في شكاوى الرعية وتوصيل الجواب إليهم[٣] وغير ذلك[٤] . وأمير السلاح الذي يتولى حمل سلاح السلطان في المجامع ، ويعرف بالسلاح دار[٥] أو مقدم السلاح دارية[٦] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد ضم البلاط السلطاني موظفين ميزوا بمكانتهم الرفيعة بين أفراد فئات طبقة الخاصة لارتباطهم المباشر بالسلطان وبحياته الاجتماعية ، ولقيامهم بمهام أساسية لها صلة بالرعية ، مع عدم تلقيبهم بالأمراء كغيرهم رغم حساسية موقعهم ووظائفهم ، ومن أشهر هؤلاء : الزمام الذي يعد أرفع خدم السلطان محلاً وأمثلهم وجاهة ، وهو المخاطب أمامه عن أمور الخدمة في قصره من حيث متعلقات الحريم وأولاد السلطان والأطفال ومعتقاته[٧] ، ويشترط في متولي هذه الوظيفة أن يكون من الخصيان المعروفين بالطواشية[٨] والذين يسمى كل منهم باسم سيده ، وفي حالة وفاة السلطان يكون الطواشية من ضمن الأشياء التي يورثها السلطان الجديد عمن سبقه ، وقد خصص الخصيان الطواشية لخدمة نساء القصر ، حتى أن الواحدة منهن أصبحت تنعت باسم خادمها والمسؤول عن بابها من الطواشية ولا تعرف إلاّ به[٩] ، وقد عاش هؤلاء الطواشية ومن تولى منهم باب السلطان حياة كريمة لِمَا كانوا يحصلون عليه من أموال كثيرة وكسوات فاخرة[١٠] ، وأدى الكثير منهم دوراً كبيراً في الحياة السياسية ، فعمل

---

[١] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٤٠ ، ١٥٥ – ١٥٩ ، ٢٠٣ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٦٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٧ ، ٤٣٢ .

[٣] كما ينظم الأمير جندار أمر الوقوف والقعود بين يدي السلطان ، ويكون على مقربة منه ، وإذا أراد السلطان من أحد الجلوس أمره بذلك ، فيقول له : " مُرْ فلاناً يقعد " ، فيتقدم الأمير جندار ذلك الشخص ويأمره بالقعود ، . ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ ، ٢٧٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢٠ – ٢١ .

[٤] ويكلف أمير جندار بقيادة بعض الحملات ضد المناوئين للدولة . مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٥ ، ٢٥٠ .

[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٤٦ .

[٦] يتبع أمير السلاح جماعة من المماليك السلطانية يكون مسؤولاً عنهم . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٩ ؛ ج٥ ، ٤٢٨ .

[٧] ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١٢٧ .

[٨] تم الحديث سابقاً عن الطواشية انظر : ص٨٤ .

[٩] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٨ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، ٣٥٣ ، ٥٤٤ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢٣٤ب ، ٢٣٥أ .

[١٠] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٣ .

بعضهم كسفراء إلى بعض الأقطار الإسلامية ، وقادوا بعض الحملات العسكرية ، وتولى بعضهم أمر بعض المدن والحصون ، كما كان لهم دور في الحياة الاجتماعية لارتباطهم بالناس[١] .

كما برز من بين رجال الدولة موظفين بلغوا درجة الأمراء على الرغم من عدم تلقيبهم بذلك ، كبعض رجال الحاشية ورؤساء الدواوين والبيوت السلطانية[٢] ، وكتَّاب ديوان الإنشاء الذين يعدوا من أعلى الكتَّاب مكانة وأرفعهم منزلة ودرجة وأوفرهم حظاً من الموظفين المذكورين ، لاتصافهم بصفة العلم ولارتباطهم المباشر بالسلطان ، إذ يتولّون تسجيل الأوامر والتعليمات الصادرة عن السلطان وكتابتها[٣] ، ويتم تعيينهم بأوامر منه ويصرف لهم جامكية يحددها السلطان نفسه ، إضافة إلى ما يعطى لهم من خيل وثياب[٤] . ويبدو أن منصب رئاسة ديوان الإنشاء ظهر في عصر السلطان المؤيد وابنه المجاهد لإشارة بعض المصادر إلى وظيفة كاتب السر في تلك المدة[٥] ، ويعد كاتب السر هو صاحب ديوان الإنشاء عند السلاطين المماليك في مصر والمتولي لكتابة أسرار الدولة وقراءة الكتابات الواردة على السلطان وكتابة الرد عليها ، وأخذ توقيع السلطان عليها وتفسيرها[٦] ، ويخضع لصاحب ديوان الإنشاء المعروف بكاتب السر عدد من الكتاب الذين انقسموا إلى قسمين : قسم منهم عرف بكتَّاب الدست[٧] ، والقسم الآخر بكتَّاب الدرج[٨] ، وكان هؤلاء يحضرون مع السلطان عند لقائه برعيته ويدونون كل ما يأمرهم به السلطان من أوامر ومنشورات ورسائل[٩] ، ويتولى أمر توصيل أوامر السلطان إليهم الوزير[١٠] . كما يحمل رسائل السلطان إلى حكام الأقطار الأخرى موظف يعرف بالدوادار وعادة ما يكون من الطواشية الخصيان[١١] .

---

[١] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٨ ، ١٠١ ، ١٢٠ - ١٢١ ، ١٦٩ - ١٧٠ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ؛ ج٢ ، ص١٧ ، ٨٣ - ٩٢ ، ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ .

[٢] على الرغم من المكانة التي احتلها هؤلاء وغيرهم من رجال الدولة إلاّ أن مكانتهم كانت أقل بين أفراد طبقة الخاصة ، في حين يأتون على رأس موظفي الدولة في طبقة العامة لوضعهم المتميز بينهم ، لذلك سوف نتحدث عنهم لاحقاً انظر : ص١١٨ - ١٣٨ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٥ - ٦٦ . وانظر : ابن كنان : حائق الياسمين ، ص١٦٧ . علماً بأنه لم يكن لكتاب الإنشاء مع بداية قيام الدولة الرسولية رئيس عليهم ، وإنما كانوا عبارة عن مجموعة من الكتاب يخضعون مباشرة للسلطان ويعملون على كتابة الأوامر التي يؤمرون بتسجيلها . انظر : ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٣ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٧ .

[٥] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٩ - ٥٠ . وانظر : ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ .

[٦] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٠ ؛ ج٥ ، ص٤٣٦ ، ٤٣٧ .

[٧] الدست : كرسي من أربعة كراسي لكتَّاب يكتبون بما يريد السلطان ، ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابة عنه وترسل للتنفيذ . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٧٥ . وكان مقر كتاباتهم في الديوان . الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٢٠ .

[٨] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٦ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص١٢٥ . وعرفوا بكتاب الدرج لأنهم يكتبون رسائلهم ومكاتباتهم ونحوها في درج الورق المستطيل المركب من عدة أوصال مدرجة إلى بعضها . انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٠ ؛ ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١٧١ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٥ - ٦٦ .

[١٠] المصدر نفسه والجزء ، ص٦٦ .

[١١] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٨ ، ص٧٢ - ٧٧ .

ج – **شريحة كبار القضاة :** وكانوا من كبار الموظفين ويأتي على رأسهم قاضي القضاة أو متولي القضاء الأكبر ، وقد حرص بنو رسول على الدقة في اختيارهم من بين كبار العلماء ممن اتصفوا بالعلم والنزاهة والعدل والورع ، حتى أنه يتم تعيينهم بموجب منشور يصدر عن السلطان بذلك[١] ، وقد كان لهؤلاء القضاة مكانة كبيرة عند سلاطين بني رسول حتى أن بعضهم كانوا يرافقون السلطان عند نزوله إلى بعض المناطق لتفقد أحوال الرعية ، ولاستشارته في بعض القضايا الكبرى المرتبطة بحياة الناس والتحاور معه لإيجاد الحلول المناسبة لها[٢] ، كما كان لقربهم من السلاطين دور في توصيل مطالب الناس ، وما هم في حاجة إليه من مشاريع خدماتية[٣] ، وهو ما أعطى لهؤلاء مكانة اجتماعية كبيرة في المجتمع ، زاد من رفعتها جمع بعضهم بين وظيفتّي قضاء الأقضية والوزارة[٤] . لذلك شكلوا شريحة من أهم شرائح طبقة الخاصة .

د – **شريحة كبار المدرسين :** وعادة ما يكونون من كبار العلماء والفقهاء الذين عرفوا بسعة علمهم وحسن خلقهم وخبرتهم في التدريس ، وانتشار صيتهم بين أفراد طبقة الخاصة الذين أخذوا في التواصل معهم لتأديب وتعليم أبنائهم ، عارضين عليهم الأموال والهدايا التي غيرت في حياتهم ونقلتهم من مجرد مدرسين لأبناء العامة في مدارس بسيطة أو مساجد إلى مدرسين لأبناء السلاطين والملوك وكبار الشخصيات في الدولة والمجتمع[٥] ، ومن الملاحظ أن ما كان يتحصل عليه هؤلاء من رواتب وانعامات ساعدتهم على جمع الأموال التي رفعت من مستواهم ونقلتهم من طبقة العامة إلى طبقة الخاصة .

ه – **فئة كبار الشخصيات الدينية :** وضمت عدداً من كبار رجال الفقه[٦] في العلوم الشرعية العقلية والطبيعية ، وغيرها من العلوم الدينية والدنيوية[٧] ومن مختلف المذاهب التي وجدت في اليمن في ذلك الحين ، وقد كان لأفراد هذه الفئة حضور كبير

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٨ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٨٨.

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٣٧ .

[٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٣٤٩ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٧٣ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٩ ، ٣١ ، ٩١ – ٩٢ .

[٦] الفقه : هو العلم المتخصص بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، والمختصة بالمعاملات وتسيير شؤون الناس ، أي معرفة أحكام الله من الكتاب والسنة . للمزيد انظر : ابن الطيب ، أبو الحسن محمد بن علي : المعتمد في أصول الفقه ، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه : محمد حميد الله وآخرون ، ج١ ، المعهد العلمي الفرنسي ، دمشق ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص٨ – ١١ ؛ أبو زهرة ، محمد : أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص٦ – ١٢ .

[٧] عن هذه العلوم وأبرز رجالها من العلماء والفقهاء انظر : الحبشي : حياة الأدب اليمني ، ص٩٧ – ١٦٤ ؛ العنسي ، حسين صالح حسين : الحياة الفكرية في اليمن في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، جامعة ذمار ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١١٨ – ١٦٠ ؛ فضل محمد صالح : الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (عصر الدولة الرسولية) ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص١١٨ – ١٥٧ .

وفاعل ومؤثر في عصر بني رسول لاسيما لكبار الفقهاء منهم الذين كان لهم دور بـارز فـي الحياة السياسية والاجتماعية لميل بعض بني رسول إليهم وإلى أفكارهم ومعتقداتهم ، وكان فقهاء الصوفية[١] أشهر هؤلاء الفقهاء ، لما كان لهم من أفعال غريبة عرفت بين الناس بالكرامـات . ومن أشهر من عرف منهم في العصر المذكور : الشيخ أحمد بـن علـوان (ت : ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)[٢] الذي كانت له مكانة رفيعة عند سلاطين بني رسول وعامة الناس ، لما كان يقدمه لهم من نصح وانتقاد لأفعالهم وسياساتهم المضرة بمصالح الفئة المعدمة من الرعية[٣] . حتـى أنهم كانوا يقفون أمامه وأمام أفراد هذه الفئة من كبار الفقهاء والعلمـاء والمشـائخ خاضـعين منكسرين لكثرة ما ينتقدون أفعالهم وسياساتهم المجحفة بحق رعيتهم[٤] ، وقد مُيز بعض أفـراد هذه الفئة بوجاهتهم وغناهم الفاحش وعلمهم الغزير ، وتورد المصادر أسماء لبعض منهم مثل الفقيه علي بن الحسين البجلي (ت : ٦٧١هـ / ١٢٧٢م) ، والفقيه إسماعيل بن إبـراهيم بـن موسى بن عجيل اللذين اشتهرا بثروتهم الواسعة وسعيهم في التفريج عن الفقراء والمحتاجين ، وتدخلهم لحل العديد من المشكلات التي تحدث بين عامة الناس والدولة[٥] . كما ضـمت هـذه الفئة كبار المدرسين الذين عرفوا بتجارتهم وغناهم الفاحش وثروتهم التي ورثوها عن أسرهم ، ومع ذلك كانوا يدرسون عامة الناس من الفقهاء وطلبة العلم في المساجد أو المدارس[٦] .

---

[١] التصوف : هو الوقوف مع آداب الشرع ظاهراً وباطناً ، وهو عبارة عن الأخلاق واجتناب الاختلاق المسيئ استعداداً لقبول تجلـي الصفات الإلهية ، ويعرف أيضاً بأنه : التخلق بالأخلاق الإلهية ، وتجريد العمل لله تعالى والزهد في الدنيا وغيرها . وللاطلاع على المزيد من هذه التعاريف انظر : عواجي ، غالب بن علي : فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، ج٢ ، ط٣ ، دار لينة ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص٧١٧ – ٧٢١ . ويختلف المؤرخون حول بداية دخول الصوفية إلى اليمن وعلى يد من تحديداً . انظر : الحبشي ، عبدالله محمد : الصوفية والفقهاء في اليمن ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص٩ ؛ العقيلي ، محمد بن أحمد : التصوف في تهامة ، ط٢ ، دار البلاد ، جدة ، د . ت ، ص٨٦ .

[٢] هو الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي ، ولد في قرية عقاقة من قرى جبل صبر ونشأ في ذي الجنان من جبل ذخر وكان والده كاتباً للملك المسعود الأيوبي ونشأ على طريقة والده من الاشتغال بالكتابة ، وكان يقال له جوزي اليمن لأنه نحى منحى ابن الجوزي ، وتوفي في قرية يفرس سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م . الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٩١ب ، ٩٢أ .

[٣] ابن علوان ، أحمد : ديوان الفتوح ، تح : عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٩٤ – ٥٠٩ .

[٤] عن دور كبار العلماء في معارضة سياسات بعض سلاطين بني رسول انظر : ص٣٣٢ – ٣٣٤ .

[٥] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ؛ ق٣أ – ب ، ٢٤ب ، ٢٥ب .

[٦] عن هؤلاء المدرسين انظر لاحقاً : ص٣٢٦ .

٦ - فئـــة كبار التجار :

وهي فئة نشطت بفعل النهوض التجاري الذي عاشته اليمن عبر تاريخها التجـــاري الطويل(١) ، وقد احتل أفرادها مكانة كبيرة في ذلك العصر ، للمستوى الاجتماعي الرفيع الذي عاشوه كأهم أفراد طبقة الخاصة ، لامتلاكهم الأموال الطائلة والأملاك(٢) والعبيد والجواري(٣) ، ونتيجة لاعتبار التجارة من أشرف الأعمال التي زاولها الإنسان العربي عبر التاريخ(٤) ، فقـــد عملت بها فئة واسعة من أفراد طبقة الخاصة ، بما فيهم بني رسول أنفسهم كالسلطان المنصور نور الدين عمر الذي عرف بعلاقاته مع تجار الكارم(٥) قبل توليه حكم اليمن ، وتمكنـــه مـــن احتكار تجارة بعض السلع الضرورية في حياة الناس اليوميـــة . كمـــا زاول التجـــارة أبنـــاء السلاطين والولاة والعلماء والقضاة والشعراء وغيرهم(٦) .

وقد تركز أفراد هذه الفئة في المدن اليمنية التي اشتهرت بانتعاش حركتها التجاريـــة كمدينة عدن وزبيد وتعز وغيرها(٧) ، وقد أدى توافد أفراد هذه الفئة على هذه المدن التجاريـــة لتصريف بضائعهم إلى أن يُنشِئ كبار تجار هذه المدن الخانات(٨) المختلفة(٩) والقيســـاريات(١٠)

---

(١) تعد اليمن من البلـــدان ذات الموانئ المتعددة لموقعها عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وقد ارتبـــط تاريخ هذه الموانئ لاسيما مينـــاء عدن بطرق المواصلات الدوليـــة بين الشرق والغرب ، وانتعشت حركة التجارة فيها ، وأصبحت موقع لتجمع كبار تجار العالم ، حتى أن الكثير من المورخين اعتبرها جبل طارق الشرق . انظر :
Water Field : Sultans of Aden , Jon Muray , London , 1968 , p . 52 .

(٢) الملك الأفضل : نزهة العيون ، ق٢٠٠أ .

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٠ .

(٤) الحمد : الأحوال الاجتماعية ، ص١٨٤ .

(٥) تجار الكـــارم : وهم فئـــة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا في التوابل وما إليها مـــن السلع الأخرى . للمزيد من التفاصيل انظر : الأشقر : تجارة التوابـــل في مصـــر ، ص٢١ وما بعدها .

(٦) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٧ – ١٤٨ . وسوف يتـــم التفصيل في ذلـــك عند الحديث عن الأوضاع الماديـــة لأفراد هذه الفئة . انظر : ص٣١١ – ٣١٣ .

(٧) انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٦٩ ؛ ماركـــو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٩١ ؛ ابن بطوطـــة : تحفـــة النظار ، ج٢ ، ص٢٥٦ ، ٢٥٧ – ٢٥٨ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٩ .

(٨) الخان : هو الفندق . السامرائي : رحلة في المعجم التاريخي ، ص٤١٩ – ٤٢٠ ؛ رزق ، عاصم محمد : معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٩١ – ٩٣ . وقد عُرفت الفنادق في عصر بني رسول في مدينـــة عدن وتعز ، إذ يذكر بامخرمة عن أحد تجار مدينة عدن وهو التاجر محمد بن أحمد باحنان الحضرمـــي أنه عنـــدما حدث الظـــلم والجور على الرعية من التجار في عصر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف هـــرب غالب الناس من عدن ولحـــج وباعوا أملاكهم بأبخس الأثمان فانتهز باحنـــان هذه الفرصة واشترى جملة من العقارات من دور وفنادق ودكاكين وغيرها بتعز وعدن ، إضافـــة إلى جملة من الأراضي المزروعة بوادي لحج ، ويذكر أنه بنا مدرسة في عدن وأوقف عليها فندقاً من فنادقه التي كان يملكها فـــي عدن ، وهذا دليل على كثرة الفنادق في عدن في المدة موضوع الدراسة . انظر : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٩ .

(٩) نور المعارف ، ج١ ، ص٤٥٢ ؛ ج٢ ، ص١٩٦ .

(١٠) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٨ب ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٤ . والقيساريـــة : مجموعة من الدكاكين متراصـــة في صفوف متقابلة ، تضمها بناية كبيرة مسقوفة لها أبواب تقفل بالليـــل . انظر : شهاب ، حسن صالح ، عدن فرضة اليمن ، ط٣ ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر ، صنعاء ، ٢٠٠٠م ، ص١٢٨ .

والسماسر[١] لإقامة التجار الوافدين إليها وحفظ أموالهم ودوابهم[٢] ، ويبدو أن هذه القيساريات احتوت على حوانيت ومحلات تجارية لبعض التجار القائمين عليها ، وأماكن لحفظ بضائع التجار الوافدين من المناطق اليمنية الأخرى ودوابهم ، ولأجل تسيير الأمور في هذه المنشآت التجارية والحفاظ عليها وعلى من ينزل بها من التجار من السرقة والنهب سعى التجار القائمون عليها إلى تعيين موظفين مهمتهم إدارة هذه المنشآت والحفاظ عليها ، ويأتي على رأسهم موظف يعرف بنقيب الخان ، ويعد المسؤول الأول عنه وعن كل من ينزل به من التجار ، ويصرف لهذا الموظف راتب يتكفل به مجموعة من التجار القائمين على الخان[٣] ، كما يعيّن إلى جانب نقيب الخان عدد من الحرس الذين يقومون بالحفاظ على الخان وحراسة حوانيته وساكنيه[٤] ، وكثيراً ما كانت أموال التجار المخزونة في القيسارية محط أنظار الطامعين ، ولذا فقد تنهب من قبل بعض رجال القبائل الذين كانوا يهاجمون هذه القيساريات لاغتنام ما فيها من أموال ودواب النزلاء من التجار ، كما حدث في سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م عندما هاجم رجال من القرشيين قرية المملاح بظاهر مدينة زبيد لنهب قيساريتها[٥] ، وقد يدبر بعض اللصوص المؤامرات والخطط لسرقة أموال التجار من خان المدينة أو قيساريتها ، مثلما حدث لخان مدينة زبيد في عصر السلطان المظفر الأول عندما سُرق من قبل بعض المترددين عليه[٦] ، في حين كان التجار أنفسهم محط أنظار اللصوص الذين لا يتوانون عن قتل التاجر مقابل الحصول على ما لديه من أموال وبضاعة[٧] ، وقد سعى بعض التجار إلى تأمين أنفسهم وأملاكهم وقوافلهم من هجمات اللصوص من رجال القبائل وقطاعين الطرق ، بنشر الحرس من العبيد والغلمان حولهم لحمايتهم في أثناء سفرهم ، وأثناء سيرهم في الأسواق وبين الناس وحماية محلاتهم وحوانيتهم[٨] ، وأخذ آخرون في حماية أنفسهم وقوافلهم وبضائعهم بترقب سير القوافل التجارية التابعة لبني رسول ومرافقتها لما كانت تلقاه من حماية وحراسة مشددة تكون برفقتها في أثناء

---

[١] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٩٦ . والسمسرات : هي سوق يضم مجموعة من المباني ذات الأسقف المنخفضة ، وتقع خلفها مجموعة من المخازن المنفردة أو العامة ، وتعرف في اليمن أيضاً بالخانات المخصصة لسكن التجار الوافدين وتخزين بضائعهم ومبيت دوابهم ، وهي تطل على الحوانيت مباشرة . انظر عن السمسرات :
Serjeant & Lewcock (ed); Sana, An Arabian Islamic city, London, 1983, p. 276 – 290.

[٢] لم تقتصر مهمة الخانات والقيساريات والفنادق التي عُرفت في مصر في عصر السلاطين المماليك بالوكالات على نزول التجار فيها والمبيت فقط بل تطور دورها لتصبح مكان لتصريف بضائعهم ، فيتم فيها عملية البيع والشراء بالجملة والتجزئة ، كما يتم فيها حفظ بضائع وأموال التجار . للمزيد من التفاصيل انظر : الأشقر : تجارة التوابل في مصر ، ص١٩٩ – ٢١٥ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٣ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٨أ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٢ – ٥٧٣ .

[٧] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢٧أ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٨٨ – ٣٥٨٩ .

[٨] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٣ب .

سيرها ، ومع ذلك لم يسلموا من النهب[١] ، كما حدث لبعض تجار عدن مثل التاجر الكمال عبد العزيز بن العسقلاني الذي نهبت أمواله وبضاعته التي كانت برفقة قافلة تابعة للسلطان المظفر الأول في البحر[٢] .

وكثيراً ما كانت قوافل التجار المحملة بأنواع البضائع التجارية تتعرض للهجوم والسرقة في أثناء تنقلها بين المدن اليمنية مما يعرض هؤلاء التجار لنكبات تفقدهم ما يملكونه من أموال تؤدي إلى إفلاسهم[٣] ، وقد دعت هذه الأمور الدولة إلى القيام بحماية مصالح التجار في محاولة لتشجيعهم على الاستمرار في مزاولة مهنتهم دون خوف على أموالهم ، لاسيما وأن الدولة كانت تكسب من ورائهم الأموال الطائلة من الضرائب والعشور التي تفرضها على بضائعهم ، فأمنت لهم الطرقات ونشرت الحراسات والمحطات على الطرق ، إلاَّ أن أكثر ما يشعر التجار بالخوف هو الاضطرابات والفتن التي تتعرض لها البلاد مما يعرض بيوتهم وحوانيتهم ومحلاتهم لهجمات اللصوص الذين يستغلون هذه الأوضاع[٤] .

وكيفما كان الأمر ، فقد حظي كبار التجار بكثير من التقدير عند سلاطين بني رسول وأخذوا في المبالغة في استقبالهم والترحيب بهم والجلوس معهم ومشاركتهم الطعام والشراب[٥] ، وتسهيل وتذليل الصعاب أمامهم ، وأمروا المختصين من رجال الدولة بإكرامهم وعدم مضايقتهم أو اضطهادهم وتخفيف أو إبطال ما يفرض عليهم من ضرائب تفوق ما هو محدد[٦] في محاولة لتشجيعهم على الاستثمار والتجارة[٧] ، وكان التجار في بعض المدن التجارية الكبرى كمدينة عدن يستغلون قدوم سلاطين بني رسول إلى مدنهم ليقدموا لهم الهدايا والأموال والتحف الثمينة ، مما زاد من مكانتهم عند هؤلاء السلاطين[٨] ، كما ارتبط كبار التجار بالمجتمع من خلال ما

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٥٠أ – ب .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٠٧ ، ٥٢٢ – ٥٢٣ .

[٣] عن بعض قوافل التجار التي تم نهبها في عصر بني رسول انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦١٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٤٦أ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٤ .

[٤] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١١٧ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٧١٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ٣٤ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٥٢ب ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ سارجنت ، ر . ب : التجار والتجارة في اليمن من القرن١٢م إلى القرن١٦م ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٦٤ – ٦٥ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢١ ؛ ج٢ ، ص١٥٤ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٧٠ .

[٧] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ٣٤ ؛ سارجنت : التجار والتجارة ، ص٦٠ .

[٨] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٦٩ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٤٢ ، ٢٤٣ . وقد سعى كبار التجار إلى تحسين علاقتهم بسلاطين بني رسول لتسهيل بعض إجراءاتهم ومتابعاتهم التي قد تعرقل في فرضة عدن لأي سبب من الأسباب عند إنزال بعض بضائعهم أو تصديرها من الفرضة ، لذلك أخذوا في تقديم الهدايا الثمينة لسلاطين بني رسول بهدف المنفعة وتسهيل أمورهم التجارية ، وكانت تلك الهدايا الغالية من كبار التجار ترسل مباشرة إلى السلطان دون فتحها في الفرضة أو تفتيشها ، إذ تحمل إلى الخزانة الخاصة بالسلطان ، ويكتب عليها معلومات تبين مصدرها وصاحبها ونوعها ، ثم ترسل إلى السلطان مع أحد أجناد عدن ويتحمل الديوان السلطاني في عدن كافة مصاريف توصيلها من إيجار وبدل سفر وغذاء . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩٨ .

كانوا يقدمونه للناس من مشاريع خيرية وأموال ساعدت على رفع المستوى المعيشي للكثير منهم[١] ، ورغم ما احتله هؤلاء التجار من مكانة إلاَّ أنهم كثيراً ما كانوا يتعرضون للظلم والجور من قبل بعض الولاة والأمراء ، وذلك لما كان يفرض عليهم من ضرائب ومكوس وعشور ، مما أرهق الكثير منهم وجعلهم يتقدمون بشكواهم إلى سلاطين بني رسول لإنصافهم والتخفيف عنهم[٢] . وقد دفع الظلم بعضهم إلى مغادرة البلاد بعد أن باعوا أملاكهم وحوانيتهم ومحلاتهم بأقل الأثمان ، كما حدث في عصر السلطان الناصر أحمد عندما خرج الكثير من التجار من اليمن بسبب الظلم والجور الذي تعرضوا له[٣] .

وكيفما كان الأمر ، فقد عُرِف التجار في العصر المذكور بخبراتهم الفائقة وإدراكهم لبعض الأمور التجارية المهمة التي تتطلب معرفتهم لها ، كمعرفتهم لحركة السوق ، وأهم البضائع المربحة التي يمكن أن تدر عليهم الأموال ؛ كتجارة الفوة المربحة ، وتجارة الخيل[٤] التي أوجد لها التجار أسواقاً خاصة لتصريفها وبيعها مثل سوق الخيل في تعز[٥] ، كما زاول العديد من التجار تجارة العطارة والتوابل التي كانت من أكثر التجارات ربحاً في ذلك الحين[٦] ، وقد أنشئت لتجارها القيساريات والخانات[٧] ، بل أن بعض التجار أصبحوا من أكبر ذوي الأموال والأملاك ومن أغنياء الناس من وراء مزاولتهم لتجارة العطارة[٨] ، كما انتشر كبار تجار العبيد والجواري في بعض المدن الرئيسة كمدينة زبيد[٩] وعدن[١٠] ، وزاول بعض التجار تجارة العقارات عن طريق بناء البيوت والفنادق والمتاجرة بها[١١] ، وعمل بعض تجار الجملة الكبار في تجارة الخضار والفواكه وغير ذلك[١٢] . وقد كان التجار يعرضون بضائعهم في الأسواق التجارية التي كانت تقام في بعض المدن والقرى بشكل مستمر[١٣] ، وكانت متاجرهم ودكاكينهم

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠٢ ، ٤٢٦ ، ٤٤١ .

[٢] سوف يتم الحديث عن أوضاع التجار المادية وما يفرض عليهم من ضرائب ومكوس لاحقاً . انظر ، ص٣٢٢ – ٣٢٣ .

[٣] انظر : بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٩ ؛ مجهول : قلائد الجمن ، ص٢١ .

[٤] يشير ماركو بولو إلى أن تجار الخيل كانوا يشترون الخيول العربية ويحملونها إلى بلاد الهند في عصر بني رسول وكانوا يكسبون من وراء تجارتها مكاسب كبيرة . رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٩٥ . وانظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٦٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٤٩٦ – ٤٩٧ ، ٥٠٤ – ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

[٥] الفرح ، محمد حسين : اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ط١ ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص٦٣٦ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٣ ، ٢٤٣ – ٢٤٥ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٠ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٥ ، ٢٠٣ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣٣ .

[٩] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٦٣ .

[١٠] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٦ .

[١١] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣٦ ، ٣٣٨ .

[١٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٠ – ٣٨١ .

[١٣] عن الأسواق التجارية في عصر بني رسول انظر : حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤٠١ – ٤١٣ .

تمتلئ بهذه البضائع ، في حين يعرض بعض تجار المناطق الساحلية بضائعهم على شاطئ البحر مكونين بذلك أسواقاً مفتوحة ، وكان سكان عدن يستغلون قيام مثل تلك الأسواق ليخرجوا للفرجة على ما يعرض فيها من بضائع[١] ، وكان أرباب الصنائع والبضائع يستغلون قيام هذه الأسواق ليخرجوا ببضائعهم وصنائعهم فيبيع من يبيع ويشتري من يشتري[٢] ، ويبدو أن تلك الأسواق شكلت متنزهاً يتجه إليه خاصة الناس وعامتهم رجالاً ونساء لشراء ما يحتاجون إليه ، إضافة إلى اعتبار تلك الأسواق وسيلة من وسائل الترفيه التي يخرج إليها الناس للتسلية عن أنفسهم بمشاهدة ما يعرض من عجائب وغرائب البضائع المحلية والمستوردة من الخارج .

زبدة القول ، أن طبقة الخاصة كانت بجميع فئاتها وشرائحها طبقة مميزة ، ضمت بين أفرادها كبار رجال السلطة والجاه والعلم والمال ، حتى أن أسلوب حياة هؤلاء ونمط معيشتهم ومكانتهم هو أكثر ما ميزهم عن غيرهم من أفراد طبقة العامة ، وهو ما أسهبت المصادر في وصفه عند إشارتها لنمط حياة كبراء اليمن من خاصة الناس ، وما ملكوه من دُور ومباني فاخرة تم فرشها بأنواع المفروشات وأغلاها ، ومدوها بالعبيد والخدم والجواري ، وطبخوا فيها أنواع المأكولات وألذها[٣] ، وهو ما يبين لنا مدى حياة الترف والنعيم التي مُيزت بها حياة هؤلاء عن غيرهم من أفراد فئات طبقة العامة الذين عاشوا حياة بسيطة ومتواضعة لتواضع مستواهم المادي والمعيشي .

---

[١] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٦ .

[٣] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٥ .

ثانياً – طبقة العامـــة :

وتكونت من السواد الأعظم من الناس ، وضمت الميسورين منهم والبسطاء والفقراء ، كعامة الموظفين في الدولة من المدنين والعسكريين (الجند) ، وعامة الأشـــراف ، والعلمـــاء وطلاب العلم ، والتجار ، والفلاحين ، والصناع ، والحرفيين ، والمهنيين ، والفقراء والمساكين والأخدام ، والعبيد ، وأهل ذمة ، ويأتي على رأس هذه الطبقة الفئات التالية :

١ – فئـــة موظفي الدولة :

وهي من الفئات الاجتماعية الواسعة الانتشار في العصر المذكور ، وتدخل ضـــمن طبقة العامة لكونها تكونت من خليط من بسطاء الناس وميسوريهم مـــن أبنـــاء الـــيمن ومـــن العناصر الوافدة إليها ، وقد ساعد اتساع رقعة الدولة الرسولية في اليمن على زيادة عدد أفراد هذه الفئة وانتشارهم حول السلطان في قصوره وبيوته وملحقاتها[١] ، وفـــي حصـــون الدولـــة وقلاعها والمدن والقرى والصحاري والجبال والموانئ والبحار وعلى الحدود ، وفي الدواوين والأسواق وبين عامة الناس ، وكلما زاد عدد مرافق العمل زادت الدولة في عدد موظفيهـــا ، ويبدو أنه كان للدولة المملوكية في مصر والشام التي احتوت على فئة واسعة من الموظفين[٢] دور في التأثير على سلاطين بني رسول فراحوا يقلدونهم من حيث زيادة عدد أفراد هذه الفئـــة مثلما يذكر ابن فضل الله العمري[٣] الذي يقول عن السلطان الرســـولي المؤيـــد داوُد : " ولـــه أرباب دولة ووظائف ينحو في أموره منحى صاحب مصر " ، ويقول أيضاً : " وباليمن أرباب وظائف من النائب والوزير والحاجب وكاتب السر وكاتب الجيش وديوان المال ، وبها وظائف الشاد والولاية على ما قدمنا ذكره من أنه يتشبه بالأحوال المصرية "[٤] .

وقد كان لهذه الفئة دورها الفاعل في المجتمع لِمَا احتلته من مكانة بين أبنائه . ونتيجة لتكونها من بين أوساط عامة الناس رأينا أن نقوم بدراسة شاملة لها محاولين حصر موظفيهـــا وتحديد مهامهم سواءً بالنسبة للدولة أو للمجتمع ، ولأهمية المنتسبين لهذه الفئة ووضعهم الاجتماعي الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من أوضاع الرعية قمنا بتقسيمها إلى الشرائح التالية :

أ – شريحة الحاشية السلطانية : وهي من أرفع الشرائح في الدولة وأحسنها حالاً بين أفراد طبقة العامة لِمَا ميزت به من عناية واهتمام ، وقد ضمت أعداداً من الموظفين الذين كانوا يحيطـــون بالسلطان في قصوره ودوره لخدمته وتوفير الراحة له ، وتعد من أكبر الحواشي في الدولـــة ،

---

[١] الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٠٧ .

[٢] البقاعي ، إبراهيم بن عمر : تاريخ البقاعي إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، دراسة وتح : محمد سالم شديد العوفي ، ط١ ، د . ن ، الرياض ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٦٨ – ٧٥ ؛ ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١٤٠ – ١٨٤ .

[٣] مسالك الأبصار ، ص٤٧ .

[٤] المصدر نفسه ، ص٤٩ – ٥٠ .

علماً بأنه توجد مثل تلك الحواشي وأن كانت أقل عدداً في قصور أبناء السلاطين وكبار رجال دولتهم ، وفي قصور ودور السلطان المتفرقة في مختلف مدن اليمن ، وقد اهتم هؤلاء بالأمور الخاصة بالسلطان مثل لبسه وزينته وطعامه ونزهاته ورحلاته ، وأهم أفراد هذه الحاشية :

• **الجَمَدارية**[١] : وهم مجموعة من موظفي وخدم الدولة الذين يتولون مسؤولية الاهتمام بالمنظر الخارجي للسلطان ، إذ يتكفلون بإلباسه أحسن الملابس[٢] ، ونتيجة لِمَا يقوم به هؤلاء من مجهود لإخراج السلطان في أفضل منظر سعى السلاطين للاهتمام بهم وصرفوا لهم المرتبات والكسوات والدواب ، مما رفع من مكانتهم بين غيرهم من الموظفين في القصور السلطانية[٣] .

• **الحكماء**[٤] (**الأطباء**) : وهم جماعة من الأطباء المختصين بالعناية الصحية للسلطان وأفراد بيته ، وكانوا يوجدون في قصره بشكل دائم ، لذلك عدّو من أهم رجال حاشيته ، وتذكر المصادر أسماء بعض هؤلاء الحكماء الذين وجدوا في قصر السلطان المظفر الأول مثل : الحكيم الإسكندراني ، والحكيم الشهاب ، والحكيم الجلال ، والحكيم العلم وغيرهم[٥] ، وقد لقي هؤلاء الأطباء عناية خاصة من قبل بني رسول ، إذ رُفعت مكانتهم ودرجتهم ، حتى أنهم أصبحوا يعاملون معاملة خاصة ككبار رجال الدولة بلبسهم ومركوبهم وعبيدهم ، كما أصبح بعضهم يسيرون في الشوارع وحولهم العبيد والغلمان وكأنهم وزراء[٦] .

• **المغنون والراقصون**[٧] : وهم من جلساء السلاطين ومطربيهم في المجالس التي كانوا يقيمونها في قصورهم ، إذ كان هؤلاء يشكلون فرقاً غنائية تضم عدداً من المطربين وضاربي العود ، ونافخي المزامير ، وضاربي الدفوف والرقاصون ، وقد ارتبط هؤلاء بالسلطان فقط ورفاهيته ، لذلك لقوا عناية واهتماماً خاصاً منه فلم يبخل عليهم بالرواتب والكسوات[٨] .

• **الشعراء** : كانوا من أهم جلساء السلاطين وأهم موظفيهم ، وقد خرجوا من بين أبناء المجتمع ، وتمكنوا بما ينظمون من شعر من الوصول إلى قلوب الناس وعلى رأسهم سلاطين بني رسول وكبار رجال دولتهم وقادتهم[٩] ، ونتيجة لما لهم من أهمية أصبح لكل سلطان من سلاطين الدولة الرسولية شاعره الخاص به الذي أطلق عليه شاعر الدولة ، بل أصبح لبعض سلاطين هذه الدولة أكثر من شاعر يحضرون مجلس السلطان في المناسبات المختلفة ، ويأخذ

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣١ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٠ ، ٥٦٣ .

[٤] مازالت كلمة الحكيم تطلق في اليمن على من يعمل في الطب ومعالجة الناس .

[٥] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٠ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٥٠ .

[٨] عن المغنين والمطربين والرقاصين ودورهم في إقامة الحفلات الخاصة بالسلاطين انظر لاحقاً : ص٢٢٦ – ٢٢٧ .

[٩] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٦ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٣٦ب ، ١٦٠ب .

كل منهم في إلقاء ما عنده على مسامع جميع الحاضرين[١] ، ويظهر أن هؤلاء الشعراء شكّلوا أداة إعلامية تروّج لمنجزات بني رسول وانتصاراتهم[٢] ، حتى أنهم حظوا باهتمام وتقدير السلاطين الذين راحوا يصرفون لهم العطايا والهبات والرواتب والغذاء والكساء تقديراً لهم ، فعاشوا حياة مميزة لامتلاك بعضهم الأموال والعقارات[٣] .

• **الفلكيون والمنجمون** : وهم جماعة من العلماء الفلاسفة المعروفين بخبراتهم في حساب الفلك والنجوم لما قرأوه في الكتب المختصة بهذا المجال ، وقد اشتغل عدد منهم في القصور السلطانية لحاجة السلطان الرسولي إليهم[٤] لتحديد مواعيد خروجه ودخوله وأسفاره[٥] .

• **النساخون** : اهتم بنو رسول بعملية نسخ الكتب لامتلاكهم العديد من الخزائن التي تحتوي على الآلاف منها ، لذلك قاموا بتعيين عدد من النُسّاخ من ذوي الخبرة في هذا المجال ، وصرفوا لهم الرواتب ، ووفّروا كل ما يحتاجونه من لوازم الحياة[٦] ، ويذكر ابن عبد المجيد أنه كان لدى السلطان المؤيد ما يزيد على عشرة نُسّاخ في قصره ينسخون الكتب[٧] .

• **المؤذنون** : وهم من العلماء الذين امتازوا بحسن الصوت وإتقان الأذان ، وقد عمل سلاطين بني رسول على تعيين عدد منهم في القصور السلطانية للأذان فيها[٨] حتى يتمكن الجميع من معرفة مواعيد الصلاة التي يبدو أنها تتم في المساجد التي قد تكون ملحقة بهذه القصور أو في المساجد القريبة منها ، وقد خصص لهؤلاء المؤذنين ما خصص لغيرهم من موظفي الدولة من رواتب وكسوات وأطعمة لما كان لهم من أهمية عند السلاطين[٩] .

• **الخياطون** : من موظفي الحاشية السلطانية ، ويتولّون الاهتمام بالمنظر الخارجي للسلطان ، من خلال قيامهم بعملية تفصيل الملابس الخاصة به لمختلف المناسبات والأعياد ، مع اختيارهم لأفضل أنواع القماش وأجوده بما يتناسب ووجاهة الشخص الذي سوف يلبسها

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٢ ، ٨٥ – ٨٦ .

[٢] عن أهم هؤلاء الشعراء ودورهم في مدح سلاطين بني رسول في مجالسهم انظر : ابن حمير ، محمد : ديوان ابن حمير ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٨١ – ٨٢ ، ٩٣ – ٩٧ ؛ ابن هتيمل ، القاسم بن علي : ديوان ابن هتيمل درر النحور ، دراسة وتح : عبد الولي الشميري اليمني ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة الإبداع للثقافة والأدب ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص٥٥٤ – ٥٥٨ ، ٥٨٩ – ٥٩٥ ، ٦٦٥ – ٦٧٠ ، ٩٦٨ – ٩٧٢ ، ١٠٠٧ – ١٠١٤ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٩ ، ١٠٥٤ – ١٠٥٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٧ – ٦٨ ، ١٢٥ ، ١٥٨ ، ١٩٥ ، ٢٨٠ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٧٥ ، ٥٨٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٩ .

[٤] الحسيني ، الحسن بن علي الشريف : ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب ، مخطوط رقم H١٣٠ ، مكتبة الأمبروزيانا ، ميلانو ، إيطاليا ، ق١٠ ب ، ١١أ .

[٥] الخزرجي : المسجد المسبوك ، ق١٧٠ أ – ب ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٤٩٣ ، ٤٩٥ .

[٦] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٢ .

[٧] بهجة الزمن ، ص١٢٨ .

[٨] انظر عن هؤلاء المؤذنين : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٣ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٢٦ .

[٩] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٢ .

والمناسبة التي سيحضرها ، وقد زاول هؤلاء عملهم في ورش وجدت في القصر السلطاني نفسه ، لذلك لقوا عناية واهتماماً خاصاً من قبل السلطان لأهمية عملهم ودقته[١] .

• **المزينون** : وهم من يتولون أعمال الحلاقة والتزيين للسلطان وأبنائه ، ومن أشهر من عرف منهم الحلاق حسن المزين الذي عرف في بلاط المظفر الأول بالريس حسن[٢] ، ويبدو أن لقب الريس من الألقاب التي أطلقت على الحلاق أو المزين .

• **المحمل دارية** : لم تعطنا المصادر معلومات كافية عن هؤلاء الموظفين سوى أنهم ممن كانوا يرافقون السلطان عند سفره وتنقله[٣] ، ويفهم من هذا اللفظ أنهم المسؤولون عن المحمل أو الهودج الخاص بالسلطان ومن يرافقه ، إذ يتولّون مهمة التأكد من صلاحيته ومنظره وتزيينه وتحليته بما يحتاج إليه من قماش ، ومن الملاحظ أن صاحب هذه الوظيفة كان يرافق السلطان في أسفاره لهذه المهمة ولإصلاح ما يخرب في اثناء السفر .

• **الطَّبَرْدَارية** : وهم من يتولّون حمل الطبر أو الفأس[٤] حول السلطان عند سيره في الاحتفالات[٥] ، وقد أدى الأمير علاء الدين كشدغدي في عصر السلطان المؤيد دوراً في تشكيل طائفة منهم لتسير في المواكب حاملة الفؤوس كسلاح لها إلى جانب السلطان ، كما اهتم بنو رسول بالطبردارية وخصصوا لهم المعلمين ممن أبدعوا في فن التعليم[٦] .

• **الدَّوَادَارية** : وهم من يقومون بحمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولّون أمرها ، كما يقومون بتبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغه عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه والمشورة على من يحضر إلى بابه وتقديم البريد[٧] ، ويعد صاحب هذه الوظيفة في عصر بني رسول من الأمراء ، ويحصل على بعض الامتيازات التي يحصل عليها الأمراء[٨] .

• **الرِّكَبْدَار** : وهو من يحمل الغاشية[٩] بين يديه أمام السلطان عند ركوبه في المواكب الحافلة في الميادين والأعياد والاحتفالات ، إذ يسير بها رافعاً يديه يلفتها يميناً وشمالاً[١٠] .

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٢ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٩ .

[٤] الفأس : ويعرف أيضاً بالبلطة وبالطبر وهو سلاح منقول عن الفرس ، ويكون فيه النصل مدبب من ناحية ورقيقاً مشحوذاً كالسكاكين من الناحية الأخرى ، ويصنع نصلها من النحاس أو الحديد أو الفولاذ أو الخشب . الدقدوقي ، وفيق : الجندية في عهد الدولة الأموية ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، ص٢٢٩ ؛ محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي ، ص٢٧٥ .

[٥] السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص٣٥ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٠ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٧ ؛ ج٢ ، ص١٧٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٦٥أ ، ١٦٦ب ، ٢٢٠ب .

[٧] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٩ – ٢٠ ؛ ج٥ ، ص٤٣٤ .

[٨] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ . وانظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٥٥ .

[٩] الغاشية : سرج من جلد أو أديم مرصعة بأنفس الجواهر والذهب . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١١٥ ؛ السامرائي ، إبراهيم : رحلة في المعجم التاريخي ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص٤٢٧ .

[١٠] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٦ .

وإلى جانب مهمته هذه كلف الركبدار بمهام أخرى مثل التوجه إلى كبار الشخصيات من العلماء ورجال الدولة وغيرهم لإحضارهم إلى قصر السلطان في حالة طلبهم على بغلة من بغال السلطان يقودها الركبدار شخصياً[١] ، ومن خلال هذه الإشارة يتبين لنا أن الركبدار قد يكون المسؤول عن البغلة أو الدابة الخاصة بالسلطان ، فيتولى تجهيزها وإعدادها والتأكد من سلامتها وتزيينها وزركشتها ، لذلك أصبح الركبدار من الشخصيات المميزة في الدولة لما لقيه من مكانة وتقدير فيها[٢] ، ويخضع على ما يبدو للركبدار جماعة من الموظفين الذين يعرفون بمفردي البغلة لقيامهم بعملية إعداد البغلة الخاصة بالسلطان تهيئة لركوبها في أي وقت[٣] ، ويظهر أن هؤلاء المفردين كانوا من الجند[٤] .

• **البُنْدُقدار** : وهو من يتولى حمل جراوة أو عدة البندق الخاص بالسلطان والسير خلفه أو خلف الأمير[٥] ، ويشير ابن حاتم[٦] إلى الأمير سيف الدين البندقداري الذي كان والياً في صعدة من قبل الأمير علم الدين الشعبي سنة ٦٦٨هـ /١٢٦٩م والذي يبدو أنه لقب بالبندقدار لعمله في هذا المجال أو عمل أبيه .

• **الجُوكَنْدار** : وقد ارتبط عمل هذا الموظف بالسلطان ، حيث كان يرافقه في أثناء تأديته لبعض الألعاب الرياضية المفضلة لديه ، فيحمل الجوكان خلفه في أثناء لعب الكرة ، والجوكان هو المحجن[٧] الذي تضرب به الكرة ويعرف أيضاً بالصولجان[٨] ، وقد لقي صاحب هذه الوظيفة كغيره من الموظفين المرافقين للسلطان عناية واهتماماً من الدولة[٩] .

• **السنجقدار** : وهو من الموظفين الذين ارتبطوا بتحرك السلطان في المواسم وفي أثناء خروجه للسفر ، إذ يسير خلفه[١٠] وهو يحمل الراية على رأسه[١١] ، وقد لقي السنجقدار عناية واهتمام سلاطين بني رسول وصرفوا له الرواتب والهبات[١٢] .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٣٩٩ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩١ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٤٨ .

[٤] للمزيد من التفاصيل عن المفردين ومهامهم انظر لاحقاً : ص١٤٥ .

[٥] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣١ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٣٨ .

[٦] السمط الغالي الثمن ، ص٣٩٧ .

[٧] المِحْجَن : وهو عود معوج الرأس . المعجم الوجيز ، ص١٣٧ .

[٨] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٠ .

[٩] نور المعارف ، ج٢، ص١٤٨ .

[١٠] يقول القلقشندي إن السنجق هو العلم أو الراية ، ويحملها السنجقدار وهي مربوطة برمح على رأس السلطان . صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٠ .

[١١] ابن كثان : حدائق الياسمين ، ص١٣٨ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٩٣ .

[١٢] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٨ .

• **الجندارية** : وهم جماعة من الحرس يعرفون بالشاوشية ، يخضعون لأمير جندار ، ويحضرون معه مجلس السلطان ويقفون على بعد منه لتنظيم قعود الحضور طبقاً لأوامره ، ومن عادتهم أنه إذا قعد السلطان في مجلسه صاحوا بصوت واحد : بسم الله ، كدليل على بدأ عمل السلطان في المجلس ، وعندما يقوم من مجلسه يصيحون بصوت واحد : بسم الله ، كدليل على انتهاء مجلس السلطان[١] ، ويتولى الجندارية مهمة حماية السلطان في قصره ، فيحيطون بالقصر وبالسلطان عند خروجه إلى حديقة القصر[٢] ، كما يقفون تحت السلطان عند جلوسه في شرفة قصره لحمايته[٣] ، ويقومون بحمايته عند خروجه من تدافع الناس إليه لمقابلته أو الحديث إليه[٤] ، كما يكلفون بإحضار المغضوب عليهم من قبل السلطان بالقوة[٥] ، ومن الملاحظ أن موقع هؤلاء بالنسبة للسلطان أعطى لهم وضعا خاصا في الدولة والمجتمع .

ب – **شريحة موظفي البيوتات السلطانية**[٦] : وتضم مجموعة كبيرة من موظفي الدولة الذين يشرف عليهم الأستاذ دار[٧] ، وهم :

• **موظفو الشراب خاناه أو الشربخاناه**[٨] : ويأتي على رأسهم شخص يعرف بمهتار الشراب خاناه ، ويحتل مكانة رفيعة بينهم ، ويكون تحت يده عدد من غلمان الشراب خاناه[٩] ، ويطلق على الواحد منهم اسم الشربدار[١٠] ، كما تضم الشراب خاناه عدداً من العبيد يعرفون بعبيد الشربخاناه[١١] ، ولم تكن بيوت الشربخاناه محددة بقصر معين في مدينة معينة بل وجدت في كل مدينة كان بها قصر من قصور سلاطين بني رسول ، مما يؤكد لنا كثرة عدد موظفيها الذين كانوا يحصلون على رواتب مكنتهم من العيش الكريم في المجتمع[١٢] .

---

[١] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ .

[٢] من خلال المعلومات التي توردها المصادر عن الجندارية نلاحظ أنهم يقومون مقام الشرطة أو الأمن الخاص بالسلطان .

[٣] وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣ب ، ٤٤أ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦١٥ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٤٦ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٣ ، ١٠٤ .

[٦] وهي البيوت التي يتم فيها حفظ كل أدوات السلطان ومستلزماته ومستلزمات مطابخه وفرشه وأدوات ركوبه وسلاحه ، وميزت هذه البيوت بأسمائها التي كان يضاف لها لفظ خاناه ، ومعناه البيت . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٨ – ٩ .

[٧] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٢١ .

[٨] ومعناها بيت الشراب ، وتحتوي على الأواني النفيسة من الصيني الفاخر ، ويحمل إليها السكر والمشروب والفواكه والبلح والبقول والحلويات . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩ ؛ نبيل محمد عبد العزيز : المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والمماليك ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر ، القاهرة ، د . ت ، ص٩٨ – ٩٩ .

[٩] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٣١ .

[١١] أدى هؤلاء العبيد دوراً كبيراً في بعض مراحل تاريخ بني رسول كدورهم في تحرير السلطان المجاهد وإخراجه من سجنه وإعادته إلى الحكم سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م . انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٩ .

[١٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ .

• **موظفو الطشت أو الطست خانة**[١] : ويأتي على رأس موظفيها شخص يعرف بمهتار الطشت خانة وهو كبير مسؤوليها ، ويقع تحت يده عدد من الموظفين (الغلمان) يعرف بعضهم بالطشت دارية والبعض الآخر بالرختوانية[٢] ، وقد لقي هؤلاء الغلمان عناية واهتماماً كبيراً من قبل بني رسول ، مما جعلهم يعيشون في وضع اجتماعي أفضل[٣] .

• **موظفو الحوائج خاناه**[٤] : ويعد المهتار المعروف بمهتار الحوائج خاناه المسؤول الأول عنها وعن جميع موظفيها ، وتضم إدارته عدداً من الغلمان والكتاب مهمتهم تدوين كل ما يتم إدخاله وصرفه من الحوائج إلى المطابخ السلطانية[٥] ، وتسجيل متطلبات بيت الحوائج التي يرسل في طلبها من مدينة عدن[٦] ، كما يتولى أمر باب الحوائج خاناه شخص يعرف بالخان يكون المسؤول عن مفاتيحها ويحافظ عليها من السرقة أو الضياع ، ويظهر أن هذا الشخص كان ذا مكانة رفيعة لإشارة المصادر إلى أنه لا يستطيع أحد أن يستدعيه لسؤاله عمّا تحتويه الحوائج خاناه وما بقي أو تلف منها ، في حين يتولى مسؤولية رأس مال الحوائج خاناه موظف يعرف بالحوائج كاش مهمته شراء مستلزمات الحوائج خاناه التابعة للمطابخ السلطانية ، ولعل تسميته بالحوائج كاش جاءت من دفعه قيمة المشتروات نقداً ، لما كان تحت يده وتصرفه من مبالغ مالية يكون مسؤولاً عنها أمام الدولة ، كما تضم الحوائج خاناه عدداً من العبيد ممن يقومون بأعمال الحمالة والتنظيف والفراشة[٧] .

• **موظفو الفراش خاناه**[٨] : ويعرف المسؤول عنهم بمهتار الفراش خاناه ، ويكون تحت يده عدد من الموظفين الغلمان يطلق عليهم اسم الفراشون[٩] ويمتازون بالخفة والمهارة والخبرة الكبيرة في نصب الخيام عند السفر ، وفي أوقات الصيد أو التنزه ، كما تكون لديهم

---

[١] ومعناها بيت الطست أو الطشت ، والطشت صحن أو وعاء كبير لحمل الطعام أو الماء ، ويحفظ في بيت الطشت الأدوات والأوعية الخاصة بغسل الأيدي وغسل القماش والمجالس والمقاعد والمخاد والسجاد التي يصلى عليها وغيرها من مستلزمات السلطان . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩ – ١٠ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٠٨ .

[٢] الرُّخْتُوانيـة : لقب لبعض رجال الطشت خاناه وتقتصر مهمتهم على العناية بالقماش ونصب الخيام والقيام بطبخ اللحم وتوزيعه وغير ذلك . القلقشندي : المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٤٤٢ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١١٩ ، ٣٩٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ .

[٤] ومعناها بيت الحوائج ومنه يصرف للمطابخ السلطانية أنواع التوابل والزيوت للوقود والحبوب واللحوم وغيرها . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٢ .

[٥] المصدر نفسه والجزء والصفحة .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٤٨ ، ٥٥٧ .

[٧] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٢ ، ١١٥ ؛ الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩ب .

[٨] معناها بيت الفراش لاحتوائها على أنواع الفرش من البسط والخيام التي تستخدم في السفر والرحل والتنزه والصيد . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٠ – ١١ .

[٩] عادة ما يكون الفراشون من عبيد السلطان ، وقد أصبحت هذه الكلمة تطلق في عصرنا على العاملين في المكاتب الحكومية بين يدي الموظفين يحملون الأوراق من مكتب إلى آخر وغير ذلك . السامرائي : رحلة في المعجم التاريخي ، ص٤٢٧ – ٤٢٨ .

خبرة في عملية شد الأحمال وربطها وتوثيقها على ظهور البغال[١] ، وكان سلاطين بني رسول يصدرون أوامرهم إليهم عند السفر ، إذ يحملون أحمال الخيام على ظهور الجمال لنصبها قبل وصول السلطان ويرتبون الموقع وينظفونه وينظمونه[٢] .

• **موظفو السّلاح خاناه**[٣] : ويكون المسؤول عنهم أحد كبار الأمراء في الدولة ويعرف باسم أمير السلاح[٤] ، ويقع تحت يده عدد من العبيد يعرفون باسم عبيد السلاح[٥] ، كما يـذكر لنا القلقشندي[٦] أن من موظفي السلاح خاناه الحمالين والصناع الذين كانوا يقيمون بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات يسمى الصانع منهم الزردكاش بمعنى صانع الزرد أو الدرع ، إضافة إلى وجود طاقم من الغلمان والفراشين لتفقد القماش والعناية به ، وقد يكون هؤلاء الصناع هم من تذكرهم المصادر الرسولية باسم أرباب الصناعات[٧] ، وقد اهتم بنو رسول بموظفي السلاح خاناه من الزردكاشية وغيرهم وصرفوا لهم المرتبات والعطايا كغيرهم من موظفي الدولة[٨] .

• **موظفو الرِّكَاب خاناه أو الركبخاناه**[٩] : ويأتي على رأسهم موظف يعـرف بمهتـار الركاب خاناه ويكون المتسلم لجميع عدتها[١٠] ، ويكون تحت يده موظفون يعرفون بالركبدارية وهم من أهم موظفي الركاب خاناه[١١] ، ويتولى مساعدتهم عدد من الموظفين[١٢] .

• **موظفو الطبلخاناه**[١٣] : ويكون المشرف عليها عند ضـربها أميـر علـم[١٤] ، أمـا المسؤول عن موظفيها ومن يضربونها فيعرف بمهتار الطبلخاناه[١٥] ، ويخضع له طاقم مكون

---

(١) ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١٨٢ .

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٣ب .

(٣) معناها بيت السـلاح ، ويقال لها الزردخاناه ومعناها بيت الـزْرد وتحتوي على الدروع الـزْرد وأنواع الأسلحـة من السيـوف والقسي العربية والنشاب والرماح والدروع وغيرها من أنواع الأسلحة . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١١ .

(٤) ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١١٥ . تم الحديث عن أمير سلاح فيما سبق انظر : ص١٠٩ .

(٥) أدى عبيد السـلاح دوراً كبيراً على مستوى الحيـاة السياسية في عصر بنـي رسول . انظر : نور المعارف ، ج٢، ص١٣٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٧٩ – ٨٠ ، ٩٦ – ٩٧ ، ١٦٨ ، ٢٤٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية، ص١٣٥ – ١٣٦ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٢٨ ، ٢٦٨ .

(٦) صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١١ .

(٧) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥١١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١١ – ٢١٢ .

(٨) عن أسماء هؤلاء الموظفين انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦١ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ ؛

(٩) وهي بيت الركاب ، وتحتوي على عدة الخيل من السروج واللجم والمراكيب . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١١ – ١٢ .

(١٠) ابن كنان : حائق الياسمين ، ص١٨٢ – ١٨٣ .

(١١) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩١ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٨٣ .

(١٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٢ .

(١٣) وهم موظفو بيت الطبل الذي يحفظ فيه (الطبول والأبواق والصنوج والأعلام الخاصة بالدولة) وهي الأدوات التي تستخدم في الموسيقى العسكرية . انظر : القلقشندي : صبح الأعشى، ج٤ ، ص٧ – ٩ ، ١٣ ؛ الخطيب : معجم المصطلحات ، ص٣٠٢ .

(١٤) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص٣٧ . تم الحديث سابقاً عن أمير علم انظر : ص١٠٨ .

(١٥) ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١٨٢ .

من مجموعة من الموظفين الموسيقيين منهم البواق نافخ البوق[1] ، ودبندار ضارب الطبل ، والكوسي الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها ببعض[2] ، والنقاراتي الذي يقوم بضرب الطبول المعروفة بالنقارة التي تدق في المناسبات والأعياد والحروب لتحميس الجنود[3] ، ويتولى مسؤولية حمل آلات الطبلخاناه رجال أشداء[4] يبدو أنهم من العبيد .

ج – شريحة موظفي المطابخ السلطانية[5] : وهي شريحة تكونت من عدد من موظفي الدولة العاملين في المطابخ السلطانية على إعداد الموائد الخاصة بالسلطان وأفراد بيته وكبار رجال دولته المقيمين في قصوره ، والأطعمة التي تجهز للقادمين من الضيوف والمقيمين في الدار السلطانية المعروفة بدار الضيف[6] ، ويتحصل العاملون في المطابخ على كل ما يحتاجون من لوازم الطبخ وأدوات وأوعية وتوابل من موظفي البيوت المكلفة بتوفير،هذه اللوازم كالشراب خاناه والطشت خاناه والحوائج خاناه والتي توفر متطلبات هذه المطابخ من بعض المدن اليمنية كمدينة عدن وزبيد وتعز وذمار[7] ، وقد عرفت تلك المطابخ بطباخيها المتخصصين في إعداد الوجبات السلطانية المتنوعة والمأكولات الشهية ، وصناع الحلوى والأشربة بأنواعها والخبازون ، وقد أنقسم هؤلاء الطباخون إلى قسمين : قسم ارتبطوا بالسلطان ومطابخه ولا يغادرون قصوره ويسمّون بالطباخين المستمرين أوالطباخين السلطانية لاختصاصهم فقط بإعداد طعام السلطان[8] ، وقسم يكون تحت تصرف السلطان وينتقل معه حيثما ذهب أو سافر ، وعرفوا بطباخين الطوارئ ، وقد يكلفون بمهام خاصة كمرافقة قوات السلطان عند غزو أي منطقة ، وقد يخرجون إلى بعض المناطق ضمن وفود السلطان التي تكلف باستقبال بعض كبار الشخصيات من الأشراف وغيرهم ، إذ يتولّون عملية الطباخة لهم في خيمة تنقل معهم تكون مخصصة لإغراض الطباخة وإعداد الأطعمة[9] . ويشرف على المطابخ السلطانية طباخ يكون المسؤول الأول عنها ، ويبدو أنه نفسه الذي كان يسميه القلقشندي[10] الإسباسلارية[11] ، وتذكر

---

[1] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٤ .

[2] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٣ .

[3] عن النقاراتي انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٣ .

[4] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٤٨ ، ١٥٢ .

[5] وهي المطابخ التي يعد فيها الأطعمة الخاصة بالسلطان وأفراد بيته وحاشيته وضيوفه في الأعياد والمناسبات وغيرها . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٣

[6] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣ ، ١٦ – ١٧ .

[7] المصدر نفسه والجزء ، ص٦ – ٧ .

[8] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٦٩ ، ٥٧٠ .

[9] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣١٢ – ٣١٣ ، ٥١١ ؛ الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص٢١١ – ٢١٢ ، ٢٦٩ – ٢٧٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٣٤أ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٤١ .

[10] كما يذكر أنه كبير الطباخين في المطابخ السلطانية ، وكان ذا مكانة كبيرة . صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٣ .

[11] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣١ .

بعض المصادر الرسولية أسماءً لأحد هؤلاء الطباخين وهو شكر الطباخ الذي كان يتولى أمر أحد تلك المطابخ التابعة للسلطان المظفر الأول[١] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد ضمت المطابخ السلطانية عدداً من الموظفين ممن لا دخل لهم بالطباخة وإعداد الطعام مثل : الكتّاب الذين يعملون على تسجيل الداخل والخارج إلى هذه المطابخ ، وتسجيل كل ما تحتاج إليه من حبوب وخضار وفواكه وخوائج وأوعيـة وأدوات . والوزانون الذين يعملون على وزن الأشياء من متطلبات المطابخ وتحديد مقاديرها بشكل يومي ، ومن أشهر من عرف منهم في عصر السلطان المظفر الأول صبح الوزان ، فضلاً عن القماط الذي يتولى شراء المواشي من الأسواق بتكليف من المسؤول الأول عن هذه المطابخ بعد إعطائه مبالغ مالية لهذا الغرض ، للحصول على لحوم طازجة بشكل يومي ومن هؤلاء شخص يعرف بأبي بكر بن مري القماط[٢] . ويتولى عملية ذبح هذه الأغنام وتنظيفها وتقطيعها عدد من الجزارين العاملين في مسالخ تابعة للمطابخ السلطانية ، وممن عرف منهم في عصر السلطان المظفر الأول شخص يعرف بمقبل الجزار ، وتضم هذه المسالخ عدد من الغلمان المعروفين بغلمان السلخانة[٣] الذين تقتصر مهمتهم على ما ويبدو على أعمال التنظيف والحمالة .

كما تورد المصادر وظائف لعدد من الطباخين المختصين بإعداد الأطعمة كالشواء والشرايحي[٤] ؛ ويظهر أن الشواء من يعد اللحم ويعمل على تحويجه وشويه ، أما الشرايحي فهو من يعمل على تجهيزه وتقطيعه إلى شرائح . في حين يشرف على إعداد المائدة الملكية موظف يعرف بالمرقدار[٥] ، وذلك بعد أن يكمل الطباخين ما يكلفون بتجهيزه من طبخات[٦] ، ويتولى الغرافين والكماخي[٧] عملية غرف الأطعمة إلى الصحون والأواني بعد أن ينتهي الطباخون من إعدادها تجهيزاً لمدها على المائدة التي تحتوي على ما لذ وطاب بما فيها المخللات التي يعدها الكماخي ، وعند تجهيز الأطعمة يأتي دور الساقي[٨] الذي يتولى بسط المائدة وتقطيع اللحم عليها ، ثم سقي المشروب بعد رفعها[٩] .

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٣٤ ، ٥٣٨ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥ ، ١٣ ، ٨١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ . وانظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٤

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٨ .

[٥] المرقدار : هو الذي يتصدى لخدمة المطابخ وحفظها ، وقد سمي بهذا الاسم لكثرة تعاطيه لمرق الطعام عند رفع الخوان ونحو ذلك . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٧٠ ؛ الظاهري: زبدة كشف الممالك ، ص١٢٥ .

[٦] عن دور المرقدار في عصر بني رسول انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١١٦ – ١١٨ .

[٧] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٢ . والكماخ نوع من المخللات المشهية . المعجم الوجيز ، ص٥٤١ . والكماخي من يعدها .

[٨] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٢ ، ١٢٣ .

[٩] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٢٦ .

وإضافة إلى ذلك ، فقد ضمت المطابخ السلطانية عدداً من الخبازين[1] ممن يصنعون أنواع الخبز الذي يحط إلى جانب الأطعمة على المائدة ، كما ضمت أيضاً هذه المطابخ بيوت احتوت على عدد من الذين يعملون في صناعة أنواع الحلوى والكعك الخاص بالسلطان ، وإلى جانبهم عمل عدد من الموظفين المتخصصين في صنع أنواع المشروبات والعصائر التي تجهز للسلطان لتقدم على مائدته الخاصة[2] ، وقد أعطى بنو رسول عناية واهتماماً خاصاً بطباخيهم الذي يبدو أنهم أخذوا في انتقائهم بعناية فائقة بعد التأكد من خبرتهم وإتقانهم للعمل ونظافتهم .

د - شريحة موظفي الاصطبلات[3] : وهم من الموظفين العاملين في اصطبلات الخيول السلطانية التي أنشئت بأعداد كبيرة في المناطق التي كانت خاضعة لحكم بني رسول ، وقد كان لتعدد هذه الاصطبلات واختلاف أماكن تعميرها دوراً في زيادة الطلب على من لهم الخبرة والمعرفة بالخيل والذين عرفوا بأهل الاصطبل[4] ، ويأتي على رأسهم موظف يعرف بالباشروش الذي يعد من الحاشية المسؤولة عن العناية بالخيل السلطانية والمشرف عليها وعلى من يقومون بخدمتها[5] ، ويبدو أن المتولي لهذا المنصب كان من أرفع الشخصيات في الدولة . كما عيّن بنو رسول أميراً للاصطبل عرف بأمير آخور[6] للتحدث في الخيل وفي مناخات الجمال الخاصة بالسلطان وما يرد إليها وما يصدر منها ، وعلى جميع عدتها من سروج وغيرها[7] ، وقد يكلف الأمير المذكور من قبل السلطان بأمور أخرى كتوصيل الهدايا من الخيول إلى ملوك الأقطار الإسلامية[8] .

ويتولى العناية المباشرة بدواب السلطان في الاصطبلات جماعة من الموظفين يعرفون بالسوّاس[9] ، ويظهر أن هناك عدداً منهم اهتموا فقط بدواب السلطان دون غيرها فعرفوا

---

(١) نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١١ - ٢١٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٢٧أ - ب .

(٢) نور المعارف ، ج٢ ، ص١ ، ٨ ، ٩ - ١٠ ، ٩٩ ، ١١١ - ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٩٤ .

(٣) يقول الرازي : " الاصطبل للدواب " . مختار الصحاح ، مادة (إصطبل) . ويفهم مما ذكره الرازي أن مفهوم الاصطبل المكان الذي يجمع فيه أنواع الدواب من خيل وجمال وحمير وغيرها ، إلاّ أنه في عصر بني رسول انحصرت تسمية الأماكن التي توجد فيها الخيول بالاصطبلات والأماكن التي تحتوي على الجمال بالمناخات . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٩ . وانظر : ابن جزي ، عبدالله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي : كتاب الخيل مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، حققه وقدم له : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص٢٦٣ .

(٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٨ - ٣٩٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٨٥ب .

(٥) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٨ ، ٣٨٩ .

(٦) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٦٢٥ ؛ الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩ ب .

(٧) ابن كنان ، حدائق الياسمين ، ص١١٥ .

(٨) ابن شاهين ، زين الدين عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل في ذيل الدول ، ج١ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص٣٨٧ .

(٩) السوّاس مفردها سائس هو قائد الخيل ومدربها . ابن جزي : مطالع اليمن ، ص٢٦٤ . ويذكر الملك المجاهد أن من مهام السائس العناية بالدواب عامة والخيل خاصة ، إذ يتولى تنظيفها من البول والوسخ ومن كل روث ويفرش تحتها الرمل الأبيض . انظر : علي بن داود بن يوسف بن رسول : الأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة ، مخطوط ميكروفيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، عدن ، رقم (١٧٤) ، ق٤١ب . وانظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٤١ .

بغلمان البغلة وبعضهم بشاوش البغلة ، وقد يكلف بعض غلمان البغلة ببعض المهام العسكرية والخاصة باستدعاء المطلوبين للسلطان[١] ، كما يتبع الاصطبلات السلطانية عدد من الحشّاشين ممن يعملون على جمع الحشائش من الأراضي الزراعية التابعة للدولة ، ويعمل معهم موظفون يعرفون بالقصّابين أو العلافين يقومون بتقطيع العلف وقصب الذرة للخيل[٢] ، ويشرف على طعام الدواب موظفون يعرفون بالحساكين[٣] ، ويتولى عملية الحفاظ على الخيول من الضياع موظف يعرف بالحرّاز[٤] . ويذكر الحسيني[٥] اسماً لموظف آخر في الاصطبل السلطاني يتولى عملية العناية بأعلاف الخيل ، ويعرف بالسّراخور ، ويتميز بخبرته في معرفة أمراض الدواب وما ينفعها ويضرها ويكون له مطالعة في كتب البيطرة والدواب ، أما عملية تنظيف وترتيب الاصطبلات فيقوم بها جماعة من الغلمان الذي عرفوا بغلمان الاصطبلات[٦] ، كما يتبع هذه الاصطبلات كاتبان ممن يقومون بتسجيل كل ما تحتاج إليه الاصطبلات من طلبات ويعرف أحدهم بالعامل والآخر بالمشارف[٧] .

هـ – **شريحة موظفي المناخات**[٨] : وهم جماعة من الموظفين العاملين في المناخات السلطانية التابعة للدولة ، وقد تعددت تلك المناخات واختلفت أماكنها في مختلف أرجاء اليمن ، مما تطلب وجود طاقم متكامل من الموظفين لإدارتها وتسيير أمورها والعناية بما فيها من جمال[٩] ، ويأتي موظف يعرف بـ : أمير آخور على رأس الجميع[١٠] ، ويقع تحت يده عدد من الموظفين أهمهم من يهتم بالجمال الخاصة بالسلطان والمعروف بصاحب الخواص ، ويتبعه عدد من الغلمان المعروفين بالقراغلامية[١١] الذين يبدو أنهم غلمان يخدمون في هذه المناخات ويقومون بأعمال التنظيف والترتيب وإطعام الجمال والاهتمام بها وبصحتها ، ويذكر الملك الأشرف[١٢] أن هناك شخصاً يعرف بالقطّاع تقتصر مهمته على القيام بتقطيع أعلاف الجمال من قصب

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٠ – ٤١ ، ٧٩ – ٨٠ ، ١٦٨ ، ٢٤٠ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٧ ، ٣٩٠ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

[٤] نفسه والجزء ، ص١٨٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ .

[٥] ملخص الفطن ، ق٩ ب .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٥٦ ، ٥٥٧ .

[٧] الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩ ب .

[٨] وهي الأماكن التي تحفظ فيها الجمال الهجين والنياق وغيرها ، وفي هذه المناخات تتوقف الجمال للراحة ، وتخزن في مخازنها البضائع المتنوعة التابعة للدولة . عن المناخات انظر : البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص٣٣١ .

[٩] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٨ .

[١٠] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٩ ؛ ج٥ ، ص٤٣٣ ؛ ابن كنان : حدائق الياسمين ، ص١١٥ .

[١١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٤ – ٣٩٥ .

[١٢] انظر : عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول : المغني في البيطرة ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، ل عربي ، رقم (٢٣٣٤٨) ، ق٨٢ب .

الذرة والدخن إلى قطع صغيرة لتقدم كعلف للجمال بعد خلطها بأشياء أخرى كالعُصَّار وغيره[١] ، ويظهر أن القطاع كان أحد أفراد القراغلامية .

وإلى جانب هؤلاء ضمت مناخات الجمال في العصر المذكور مجاميع من الهجانة[٢] الذين يعتنون بالجمال المعروفة بالهجن والمخصص معظمها للركوب فقط[٣] ، كما عرف من يقومون بقيادة الجمال والعمل عليها بالجمالة[٤] ، في حين يتبع تلك المناخات عدد من الموظفين والصناع ممن يقومون بأعمال خدماتية وإصلاحية وحرفية[٥] كالمهمرد[٦] والمبردع[٧] والخراز[٨] والسيروان ، ويذكر ابن حاتم[٩] اسم السيروان أو الساروان كأحد أخدام مناخات الجمال السلطانية والمشرف على سيرها وتوصيلها إلى السلطان في حالة طلبه إحضار جماعة منها ، ومن الملاحظ أن صنعة السيروان ارتبطت بصناعة السيور ، وعمله في المناخات يدل على أنها سيور خاصة بالجمال ، وقد عرف في ذلك العصر بعض ممن عملوا في هذه الصنعة حتى أنها أصبحت جزءاً من أسمائهم مثل ميكائيل بن أبي بكر والي الجند في عصر الدولة المنصورية والمظفرية والمعروف بالسيروان لأن عمه زوج والدته كان سيروان[١٠] ، كما عرف من يقومون بعملية تنقية وتنظيف ما تأكله الجمال من علف وطعام وغيره بالمغربلون ، ويتولى أمر حراسة هذا الطعام من الحبوب وغيرها شخص عرف بشارح الغراب لقيامه بمحاربة الغربان وعدم السماح لها بأكل الحبوب هناك ، وشخص آخر يعرف بشارح الشونة[١١] وهي أماكن حفظ وخزن الغذاء الخاص بها في المناخات ، ويعمل على حراسة أبواب مناخات الجمال السلطانية عدد من البوابين ، وتضم هذه

---

(١) العُصَّار : جمع عصارة ، والعصارة ما بقي من مخلفات الحبوب بعد عصرها . الزبيدي : تاج العروس ، ج٣ ، مادة (عصر) . ونقصد هنا ما تبقى من مخلفات السمسم بعد عصره في المعصرة ، إذ كان ومازال يستخدم علفاً لبعض الدواب كالجمال والأغنام .

(٢) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٥ . ويتولى الهجانة عملية تدريب الجمال الخاصة بالسلطان والمعروفة بالهجن والمخصصة للسفر وتوصيل الرسائل ويعرف الشخص الذي يركب عليها ويعمل في توصيل الأخبار والرسائل للسلطان باسم النجاب وهو شخص يتميز بالسرعة والخبرة في ركوب الهجن وقيادتها . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢١٦ – ٢١٧ .

(٣) يعطي لنا الملك الأشرف معلومات جيدة عن الجمال المعروفة بالهجن . انظر : المغني في البيطرة ، ق٧٢أ – ب .

(٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٢ . والجمالة أيضاً من يعملون على نقل البضائع أو الركاب على ظهور الجمال والتسمية معروفة حتى اليوم . انظر لاحقاً عن الجمالة : ص١٨١ – ١٨٢ .

(٥) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٦) المهمَرد : ومعناه بالفارسية الرجل الكبير ، ويختص بصناعة رحال الجمال . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٤٢ .

(٧) المبردع : وهو صانع القماش الذي يوضع على ظهر الدابة تحت السرج والمعروف بالبردعة . الزبيدي : تاج العروس ، ج٥ ، مادة (البردعة) . وقد عرفت بعض الأسر بالمبردعين لعملهم في صناعة البرادع . انظر : الجندي :السلوك ، ج٢ ، ص٦١ .

(٨) يبدو أن الخراز شخص يعمل في أعمال خرازة الجلود في المناخات .

(٩) السمط الغالي الثمن ، ص٤٧٣ .

(١٠) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٧١ .

(١١) تعرف الشونة عند أهل اليمن بأنها مجموعة من قصب الذرة أو الدخن أو السمسم أو غيره الذي يُشوَّن أو يجمع بكميات كبيرة في أماكن مختلفة ليس متباعدة عن بعضها قبل استخراج الحبوب منها ، فيتم تعريضها للشمس حتى تجف ليتم استخراج الحبوب منها بسهولة ، ويبدو أن تلك الشونة كانت لها أماكن خاصة في هذه المناخات لاستخدامها كأعلاف للجمال ، ويوضع عليها حارس ليحافظ عليها وعرف بشارح الشونة ، والتسمية مازالت معروفة حتى اليوم عند أبناء المناطق الريفية في اليمن .

المناخات عدداً من الكتّاب ممن يدونون بشكل دائم ما تحتويه هذه المناخات وما تحتاج إليه من طلبات ، كما تحتوي هذه المناخات السلطانية على مطاحن لطحن الحبوب يعمل بها أعداد من أبناء المجتمع رجالاً ونساء مقابل رواتب تدفعها لهم الدولة[١] .

و – **شريحة موظفي الزرائب السلطانية** : وهم من الموظفين ذوي الخبرة في التعامل مع المواشي من الأغنام والأبقار التي كانت تمتلئ بها زرائب بني رسول ، ونتيجة لما عرف عن التهائم من كثرة الزرع وخصوبة التربة ووفرة المياه ، وكذلك بالنسبة للجبال وُجِدَتْ أكثرُ هذه الزرائب وموظفوها فيها ، فكان منهم الرعاة والجشاشون والحلابون ، وقد اعتنت الدولة بهؤلاء الموظفين وراحت تصرف لهم الرواتب والهبات والطعام[٢] .

ز – **شريحة موظفي البساتين والحدائق السلطانية** : اهتم بنو رسول بمختلف وسائل ترفيههم من بساتين وحدائق ، وعينوا للاهتمام بها أعداداً من الموظفين والغلمان الذين عرفوا بغلمان البساتين[٣] ، كما أقاموا حدائق خاصة بحيواناتهم التي عملوا على امتلاكها للتسلي بها أمام ضيوفهم ورعيتهم وعينوا لذلك الموظفين كالفيال والفهاد ومروض الأسود والحمام وغيرهم[٤] .

ح – **شريحة عمال الخدمات في القصور السلطانية** : امتلأت القصور في عصر بني رسول بأعداد كبيرة من الموظفين العاملين في مجال الخدمات ، وقد تنوعت مهام هؤلاء العمال ، واختلفت أهمية عملهم من موظف إلى آخر ، فكان منهم : السقاة وأرباب الضوء أو المشاعلية والفراشون[٥] ، ويتولى السقاة مد القصور السلطانية بالماء وتوصيله إلى كل من فيها ، كما يتولى أرباب الضوء الإنارة ، والفراشون أعمال التنظيف والترتيب ، في حين عمل في الورش التابعة للقصور حرفيون وصناع كالخياطين والصاغة (صناع الحلي) والطحانين العاملين في مطاحن الحبوب التابعة للقصور ، وقد حظي هؤلاء العمال بعناية الدولة واهتمامها[٦] .

ط – **شريحة موظفي الدواوين " الشدود "**[٧] : احتوت الدواوين التي وجدت في العصر المذكور على عدد من الموظفين الذين شكلوا جزءاً لا يتجزأ من فئة موظفي الدولة ، وقد قامت بعض تلك الدواوين بدور في تنظيم العلاقة المالية بين الرعية من فلاحين وتجار وحرفيين وغيرهم وبين الدولة ، وانقسم هؤلاء الموظفون إلى موظفين إداريين وماليين ومباشرين ، وكان أهمهم :

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٩٨ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٣٦أ .

[٤] عن بساتين وحدائق بني رسول وموظفيها انظر لاحقاً : ص٢٢٧ – ٢٣٠ ، ٢٣٣ – ٢٣٤ .

[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ .

[٦] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣٣ .

[٧] وجد في عصر بني رسول عدد من الدواوين عرف بعضها بالشدود ، وهي أربعة : الديوان أو الشد الكبير والخاص والحلال والوقف . انظر : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٩٤ .

• **موظفو الديوان الكبير** : ويعرفون بموظفي ديوان الخراج أو موظفي الديوان السعيد ، وهم من يهتمون بتحصيل الأموال المقررة للدولة كأموال الخراج للأراضي الزراعية ورسوم النخل والعشور والجزية وغيرها ، كما يقومون بتوريد تلك الأموال إلى بيت المال الذي يمثل الخزانة العامة للدولة[١] ، وينقسم موظفو هذا الديوان إلى موظفين إداريين يعملون على تسيير أمور الديوان من مقره ، وموظفين مباشرين يتولون عملية جمع أموال الخراج من الجهات المختلفة ، ويُعدّون من أكثر موظفي الدولة ارتباطاً بالمجتمع[٢] .

وينقسم الموظفون الإداريون في الديوان الكبير إلى : المستوفي[٣] الذي يعد صاحب ديوان الخراج ورئيسه الأول ؛ لقيامه بتحصيل وجمع الأموال المقررة من الفلاحين في الجهات المختلفة ، والإشراف على موظفي الجهات وتوزيعهم عليها في أوقات جمع الخراج ، والمراجعة المستمرة لحسابات الديوان القادمة من مختلف الجهات ، وبعبارة موجزة فهو يشرف على الدخل والنفقات ثم يرفعها إلى السلطان[٤] . وينوب عن المستوفي في حالة غيابه موظف يعرف بمشارف الاستيفاء[٥] يشرف على جميع أعمال المستوفي ، كما يتولى موظف يعرف بمشد الديوان أو المشد الكبير أو مشد المشدين أو مشد الاستيفاء عملية إبلاغ أوامر السلطان فيما يخص الخراج الذي يفرض على الرعية ، وعملية استخراج ما يعينه له المستوفي من أموال ، وإعطاء الأوامر إلى مشد الجهات باستخراج الأموال ، حتى أنه قد يخرج بنفسه لاستخراج بعض الأموال[٦] ، وقد يكون له نائب ينوبه في ذلك يعرف بنائب مشد الاستيفاء[٧] .

وقد احتل المشدون مكانة مرموقة في عصر بني رسول لإشارة المصادر إلى كثرة مشاركتهم في الاحتفالات التي يقوم بها السلاطين إلى جانب كبار رجال دولتهم[٨] . كما يشير الحسيني[٩] إلى عدد آخر من الوظائف التي عمل أصحابها في الديوان الكبير كالعامل والشاهد ، ولم يسعفنا بمعلومات وافية عنهم سوى أنهم يتبعون الديوان المذكور ، ويبدو أن مهمة العامل هي تنظيم الحسابات وكتابتها ، أما الشاهد فكان يشهد بمتعلقات الديوان نفياً أو كتابةً[١٠] .

---

[١] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٥ – ٦٦ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص١٢٢ – ١٢٣ .

[٢] الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٦٠ ، ٢٦٤ .

[٣] نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٧ .

[٤] انظر : ابن مماتي ، أسعد : قوانين الدواوين ، طبعه وحققه : عزيز سوريال عطية ، مط : مصر ، القاهرة ، ١٩٤٣م ، ص٣٠١ ؛ الحسيني : ملخص الفطن ، ق١١ أ .

[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٧ .

[٦] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٦٩ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٠ – ٢١١ .

[٧] نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٧ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٧٣ – ٧٤ .

[٩] ملخص الفطن ، ق١٢ أ . للمزيد من التفاصيل . انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٦٣ – ٢٦٤ .

[١٠] انظر : ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٧ – ٤٣٨ .

أما الموظفون المباشرون أو الميدانيون المكلفون من قبل الديوان الكبير باستلام الأموال المقررة على الرعية في الجهات المختلفة فأهمهم : مشدوا الجهات الذين يصفهم الحسيني[١] بأنهم من أهل التصرف في الجهات ، وإن اختيارهم قد يكون من بين عوام النـــاس ، أو مـــن أحـــد الأجناد ينتدب لأجل هذه المهمة أو مهام أخرى كاستخراج حواصل أموال الجهـــات وإرســـالها دفعة أو على دفعات ويشرف بنفسه على ذلك ، كما يقوم بعمارة الأودية الموجودة في جهاتـــه وإصلاحها ، وقمع الفساد والمفسدين في جهته والقضاء عليهم ، وتفقد العسكر الموجـــودين فـــي جهته وغيرها من المهام التي تنظم عملية جباية الضرائب في جهته ، ويعد مشدو الجهات من أكثر موظفي الدولة ارتباطاً واحتكاكاً بالناس ، وكثيراً ما يختلفون معهم عند عملية جمع أموال الضرائب والخراج وقد يتعرضون للخطر بسبب ذلك ، وقد يكلفون رسمياً من قبـــل الســـلطان بالمشاركة في بعض الحملات العسكرية التي تقام ضد بعض المخالفين[٢] .

وإلى جانب مشد الجهات وجد موظف آخر يعرف بمشارف الجهة يشرف إدارياً على الأوقاف ويقوم بعملية استلام الأموال المقررة على جهته[٣] ، ويعد أمره جارياً على من هم أقل منه كالناظر مثلاً ، ويكون تحت يده المستخرج من الحاصل والمسؤول عنه[٤] ، أما ناظر الجهة الذي يعد من أهم موظفي ديوان الخراج فيقوم بالنظر في جميع الأموال التابعة للدولة ، ويتفقد مصارفها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه[٥] ، وقد تنوعت وتعددت مهامه في الجهة المسؤول عنها[٦] ، كما يدخل ضمن موظفي الديوان الكبير المباشرين موظف يعرف بملتـــزم الجهـــة ، ويقوم بضمان خراج منطقة معينة بمبلغ معلوم يتعهد بدفعه في موعد محدد[٧] ، ويقدم الملتـــزم العديد من الخدمات الجليلة للمجتمع كتوصيل الماء إلى أراضي المزارعين ، وترتيب عمليـــة سقيهم لها ، وتأديب المخالفين من الفلاحين[٨] ، ويتولى موظف يعرف بـــالبرد دار[٩] عمليـــة خدمة مباشرة الديوان في الجملة متحدثاً باسم أعوانه والمتصرفين فيه[١٠] .

كما يدخل ضمن الموظفين المباشرين في الديوان الكبير أو ديوان الخراج أعداد مـــن المسّاحين والذراعين الذين يعملون على المسح والذرع الشامل للأراضي الزراعيـــة ليـــتمكن

---

[١] ملخص الفطن ، ق١١أ – ب .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٣٠ ؛ ج٢ ، ص٢٧٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٠ – ٢١١ .

[٣] الحسيني : ملخص الفطن ، ق١١أ ؛ الخطيب ، معجم المصطلحات ، ص٣٩٧ .

[٤] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٠٢ .

[٥] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٧ ؛ دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٥٠ .

[٦] انظر : الحسيني : ملخص الفطن ، ق١١ب ، ١٢أ – ب ، ١٣أ .

[٧] عسيري : الحياة السياسية ، ص٢٤٠ .

[٨] الحسيني : ملخص الفطن ، ق١١أ . وللمزيد من التفاصيل انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٣٤أ .

[١٠] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٤٠ .

المختصون من تحديد ما يجب أخذه عليها من خراج[١] ، ويعد مشد الجهة أو ناظر الجهة المسؤول عن انتداب المسّاحين والذراعين لهذه المهمة بعد أن يصله كتاب من المستوفي بذلك[٢] ، ويرافق المسّاحين والذراعين عند نزولهم إلى أراضي الرعية أحد رجال الديوان وهو ملتزم الجهة الذي عادة ما يكون مكروه من قبل الفلاحين لاسيما إذا كان سيء الخلق معهم ، كما ينتدب مجموعة من الشهود للحضور معهم عند قيامهم بمباشرة عملية المسح للتأكد من صحة معلوماتهم[٣] ، ويلزم هؤلاء المسّاحون والذراعون عند قيامهم بعملهم أن لايأخذوا من الفلاحين إلاّ ما هو مخصص لهم منهم ، وفي حالة أخذهم أكثر من ذلك يجبروا على إعادة ما أخذوا إلى الفلاح ، ويفرض عليهم عقوبة معينة تأديباً لهم[٤] . كما يدخل ضمن موظفي الديوان المذكور موظف يعرف بالخراص وهو الذي يقوم بتخمين مقدار ما يفرض على الغلة من خراج ، وعادة ما يكون شخص غير مرغوب فيه[٥] لعمله الذي قد يظلم فيه الرعية . وعند تحديد ما على الفلاح من خراج يتولى عملية جمعه موظف يعرف بالجابي ويعد أكثر الموظفين كرهاً من قبل الفلاحين لاسيما عند قيامه بمباشرة عمله الذي قد يستخدم فيه القوة في أخذ ما هو مفروض على الرعية دون مراعاة لأوضاعهم المادية الصعبة ، مما قد يعرض حياته للخطر من قبل الناس الذين قد يثورون في وجه الدولة نتيجة لأعمال موظفي ديوان الخراج الاستفزازية[٦] .

• **موظفو ديوان الخاص** : وهم من يتولون حسابات الأملاك الخاصة بالسلطان الواردة منها والصادرة ، وقد دعت الحاجة إلى وجودهم منذ عصر السلطان المظفر الأول الذي عرف هذا الديوان في عصره[٧] ليهتم بأمواله الخاصة[٨] ، ويتولى الإشراف عليه موظف يعد من أرفع موظفي الدولة لما يعطى له من امتيازات ويعرف باسم ناظر الخاص أو مشد الخاص[٩] ، ويكون المسؤول الأول عن إدارته المكونة من عدد من الكتاب ، منهم العمال ومنهم المشارفون الذين يحصلون على ما يتحصل عليه موظفو الديوان الكبير من صلاحيات وامتيازات ، ويشترط عند تعيينهم أن يكونوا من ذوي الخبرة والمعرفة بأمور الدواوين[١٠] .

---

[١] نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٨٤ .

[٢] الحسيني : ملخص الفطن ، ق١٢ب .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٨٤ .

[٤] الحسيني : ملخص الفطن ، ق١٢ب ، ١٣أ . و انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢٦٤ – ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

[٥] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٦١ .

[٦] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٤ . وانظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٠ – ١٢١

[٧] هذا يخالف ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن ديوان الخاص عرف في اليمن منذ عصر السلطان المجاهد أو ابنه الأفضل .
انظر : عليان : الحياة السياسية ، ص١٦٢ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص١٢٣ .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢١ .

[٩] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٣٦ .

[١٠] الحسيني : ملخص الفطن ، ق٨ب .

• **موظفو ديوان الحلال أو الجلال :** وهم من يهتمون بأملاك السلطان ويشرفون عليها[١] ، ويتولى الإشراف عليهم مشد يعرف بمشد الحلال أو الجلال[٢] ، ويتصف بنفس الصفات التي يتصف بها غيره من المشدين في الدواوين الأخرى من الأمانة والإخلاص في العمل ، ويكون مسؤولاً عن موظفين أحدهما يعرف بالعامل والآخر بالمشارف ، وعادة ما يكون من أفضل الكتاب في الدولة ، ونتيجة لكثرة ما كان يجمعه هذا الديوان من أموال أصبح يعتمد عليه في دفع رواتب ومصروفات المطابخ السلطانية والعاملين فيها مع ما كانت لها من تكلفة وأموال تصرف في هذه المطابخ[٣] .

• **موظفو ديوان الوقف :** وهم من يشرفون على جميع الأموال التي يوقفها أفراد البيت الرسولي وكبار رجال دولتهم وميسوري الحال من أغنياء الناس وعامتهم من مساجد ومدارس وأراضٍ زراعية وآبار وغيرها من الأشياء التي توقف لصالح طلاب العلم والأيتام والفقراء والمساكين والمعدمين[٤] ، ويأتي على رأسهم مشد الوقف وناظر الوقف الذي يشترط في تعيينهم أن يكونا ممن عرفوا بعدلهم ودينهم ، ويخضع لهم عدد من الكتاب الذين يتولون تسجيل أموال الوقف وفيما يتم صرفها ، مع تسجيل الداخل منها والخارج ، كما يتبع ديوان الوقف موظفون يعرفون بالأعيان ، ولابد أن يكونوا من ثقات الناس ويتولون صرف النفقات ، ويجب أن يكونوا حاضرين بحسهم وذهنهم عند توزيع تلك النفقات على المعلمين والطلاب والأيتام ، لوقوع تلك الأموال تحت مسؤوليتهم ، وفي حالة ضياعها يتحملون المسؤولية الكاملة في ذلك ، وعليهم تسجيل جميع المعلومات عن الأيتام ما تحت سن البلوغ لتصرف لهم النفقات ، وتوقيفها إذا ما بلغ سن البلوغ ، وفي حالة الاستمرار في تسليمها لهم يتحملون المسؤولية أمام الدولة[٥] .

• **موظفو ديوان أو شد الاستيفاء :** ويأتي على رأس هذا الديوان الذي يتولى الإشراف على جميع الدواوين موظف يعرف بمشد الاستيفاء ، إذ يكون هو المسؤول عن جميع أعمال موظفي الدواوين أو الشدود المذكورة سابقاً[٦] ، كما يعرف أيضاً بمشد المشدين[٧] ، ويكون

---

[١] الحسيني : ملخص الفطن ، ق٨ب .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٣٦ .

[٣] الحسيني : ملخص الفطن ، ق٨ب .

[٤] لم يكن لديوان الوقف ذكر قبل عهد السلطان المؤيد لقيام حكام الشرع من القضاة بهذه المهمة ، إلاّ أن إهمال بعض هؤلاء القضاة وعدم امتلاكهم سجلات خاصة لتسجيل وتدوين المعلومات عن أموال هذه الأوقاف والداخل منها والخارج جعل السلطان المؤيد يستحدث مثل هذا الديوان . انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٨٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٢ب ؛ السنيدي : المدارس وأثرها ، ص١٨٤ – ٢١٦ . وقد هدف المؤيد من وراء ذلك التصرف إخراج صلاحية الوقف من يد حكام الشرع إلى موظفين معينين من قبل الدولة مكوناً بذلك طاقماً متكاملاً مختصاً بهذه المهمة .

[٥] ملخص الفطن ، ق٩أ – ب .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٦٦ب ، ٢٢٥ب ، ٢٤١أ .

[٧] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٠ .

صاحب هذه الوظيفة المسؤول عن جميع أموال هذه الدواوين ، وقد يكون لعدم أمانة متوليها دور في كسبه العديد من الأموال من هذه الدواوين ، حتى أنه قد يصبح من كبار الأغنياء إذا ما استمر في هذا المنصب[١] ، ولم تسعفنا المصادر بأي معلومات عن بقية الطاقم الإداري المكون لهذا الديوان ، ويغلب على الظن أن إدارة شد الاستيفاء تكون مكونة من جميع موظفي الشدود المذكورة سابقاً لإشرافه على الجميع ، ووقوع الجميع تحت تصرفه ومسؤوليته[٢] .

• **موظفو ديوان الجيش**[٣] : ويضم هذا الديوان عدداً من الموظفين ممن اتصفوا بالعلم ، ويأتي على رأسهم موظف يعرف بكاتب الجيش[٤] ، وهو من أهم الشخصيات البارزة في الدولة ، وقد ذكره ابن فضل الله العمري[٥] ضمن أصحاب الوظائف العليا في الدولة الرسولية ، ويقع تحت مسؤوليته عدد من الموظفين الكتاب من أصحاب العلم ، أهمهم : العامل والمشارف والشاهد[٦] ، وقد تنوعت مهامهم واختلفت أعمالهم في الديوان ، وأهمها إعداد كشوفات بأسماء الجند[٧] ، وما يتعلق بهم من معلومات ، والدور الذي يقومون به لخدمة الجيش والمجتمع ، وكان هؤلاء يحصلون على رواتب وامتيازات في عيدي الفطر والأضحى كأهم موظفي الدولة ، كما كان لديوان الجيش موظف يعرف بمشارف الجيش وآخر يعرف بمستوفي الجيش[٨] .

• **موظفو ديوان النظر** : وهم موظفون وجدوا في المدن التي امتازت بثقلها التجاري كمدينتي عدن[٩] وجبلة وغيرها[١٠] ، لإشراف هذا الديوان عليها ، ومن الملاحظ أن مدينة عدن كانت المقر الأساسي لديوان النظر ، ونتيجة لما كان لهذه المدينة من نشاط تجاري كبير[١١] دعت الحاجة إلى وجود طاقم متكامل من الموظفين لإدارة شؤون هذا الديوان وتسيير أموره

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٠ب .

(٢) انظر : عليان : الحياة السياسية ، ص١٦٥ – ١٦٦ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) وقد عرف هذا الديوان في اليمن منذ عصر الدولة الأيوبية . انظر : الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٣٤٨ .

(٤) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٣ ؛ الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٢٥ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٦٣ .

(٥) مسالك الأبصار ، ص٥٠ .

(٦) الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩أ .

(٧) العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٧ .

(٨) للمزيد انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٣ ؛ الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩أ .

(٩) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٥٩ .

(١٠) ظن بعض الباحثين أنه لم يكن لديوان النظر وجود في اليمن في عصر بني رسول سوى في مدينة عدن فقط ، للانتعاش التجاري الذي شهدته خلال تلك المدة . انظر : عليان : الحياة السياسية ، ص١٦٧ – ١٦٨ . إلا أن الجندي يشير إلى وجود مثل هذا الديوان في مدينة جبلة ، وذلك عند ترجمته لحياة الشيخ الجمال محمد بن أبي بكر بن عمار صاحب ديوان النظر في عهد السلطان المجاهد الذي ولي ديوان النظر في جبلة لما تميز به من حسن سيرة وتصرف ، حتى أن الرعية هناك انتفعوا به واستقرت أمورهم في مدة ولايته . للمزيد من التفاصيل انظر : السلوك ، ج٢ ، ص٥٩٩ . وقد يكون مقر جميع فروع ديوان النظر في مدينة عدن ، أي أن رئيس هذا الديوان في عدن يشرف على جميع الفروع الموجودة في المدن اليمنية الأخرى .

(١١) الأشقر ، محمد عبد الغني : تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص٢٢٩ – ٣٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسهيل الإجراءات والمعاملات للتجار ، ويأتي رئيس ديوان النظر على رأس الجميع ، وقد يكون لمتولي هذا الديوان دور في كسب صاحبه العديد من الأموال التي قد يكسبها من التجارة بالطرق غير الرسمية[١] ، وكان رئيس ديوان النظر مسؤولاً على جماعة من المختصين بإدارة شؤون النظر في عدن مثل : ناظر الفرضة[٢] الذي له النظر في أموال عدن حيث يتفقدها ، وإليه يرفع حساباتها لينظر فيها ويدقق في ذلك ليتسلم المقرر ويرد الباقي[٣] . وكان لناظر الفرضة نائب يعرف بنائب الفرضة ويقوم بأعمال الناظر في حالة غيابه ، وإلى جانبه كان شخص يعرف بضامن الفرضة أو ضامن الواجب[٤] ، إذ يقوم بتحصيل خراج أو عشور فرضة عدن لقاء مبلغ معلوم يتعهد بدفعه لخزينة الدولة سنوياً[٥] ، وقد تميز بعض الضامنين الذين تذكر المصادر أسماء بعضهم في عهد السلطان المظفر الأول كابن الجزري وابن مظفر بالجور والتعسف مع التجار في عدن ، حتى أن السلطان كثيراً ما كان يوجه إليهم العديد من النصائح بالعدل والإنصاف وإزالة الظلم والجور واتقاء الله في رعيتهم[٦] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد كان لفرضة عدن عدد من المشائخ الذي يبدو أنهم كانوا من موظفي ديوان النظر ويعرفون بمشائخ الفرضة ، ويشرف هؤلاء على عملية تفريغ البضائع وفرزها وتحديد ما عليها من عشور وضرائب ، ويتم تكليفهم بذلك بموجب مرسوم يصدر عن السلطان ، ويجلس المشائخ عند قيامهم بعملهم على دكة[٧] إلى جانب عدد من الموظفين ، كما يوجد للمشائخ نواب يقومون بعملهم في حالة انشغالهم[٨] ، في حين تضم فرضة عدن عدداً من الكتّاب الذين تختلف مهامهم ، ومنهم : كتاب الصندوق الذين يكتبون أصولات تقبيض لما يتم شرائه لبعض الدور السلطانية من خيل ودهون من سفن النقل التجارية[٩] ، وكاتب المتجر ، وكاتب التنجيل[١٠] ، وكاتب الوصولات ، ويكون كاتب المتجر المسؤول الأول عن المتاجر أو المخازن التابعة لديوان الدولة ، ويعمل على تسجيل ما يدخل إليها من بضائع أو ما يصرف

---

[١] عن ناظر مدينة عدن محمد بن عبد الله شمس الدين الجزري الذي أجار على أهالي هذه المدينة ، وأخذ أموالهم دون أي وجه حق ، ودور السلطان المظفر الأول في محاسبته . انظر لاحقاً : ص٤٠٥ .

[٢] الفُرضة : هي محط السفن على البحر . الرازي : مختار الصحاح ، مادة (فرض) . ويقصد هنا بالفرضة مدينة عدن لوقوعها على ساحل البحر ، حتى أن أسماء ووظائف العاملين فيها أصبح ينضاف إليها كلمة فرضة كناظر الفرضة وغيره .

[٣] دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٥٠ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢١ .

[٥] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٣٨٩ .

[٦] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٣ .

[٧] الدكة : بناء يرتفع عن الأرض بمسافة متر أو يزيد يجلس عليه الناس ، واللفظة ما زالت مستعملة في اليمن حتى اليوم .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥١٤ .

[٩] المصدر نفسه والجزء ، ص٥١١ ، ٥١٣ .

[١٠] يطلق عمال الموانئ حتى اليوم كلمة تنجيل بمعنى تفريغ البضائع من السفن التجارية .

منها ، ويكون هو المصدر الوحيد للمعلومات عن البضائع لمشائخ الفرضة ، ويتـولى كاتـب التنجيل تدوين أسماء البضائع التي يتم تفريغها أو شحنها إلى السفن التجارية ، ويكـون هـو المسؤول عن جميع البضائع التي يتم تفريغها ، ولا يسـمح لأحـد أن يفتحهـا إلاّ بحضـور المباشرين من مشائخ الفرضة ، ويتم التحقق عن أي بضاعة وجدت مفتوحة لمعرفة السبب في فتحها ، ويكون هو المسؤول عنها ، أما كاتب الوصولات فهو المسؤول أمام مشائخ الفرضـة شهرياً عن أسماء الرقيق الداخلين إلى عدن عبر البحر ، ويحدد في قـوائم المتـوفين مـنهم والمتغيبين ، ومن بقي في الفرضة ، ومن تم شراؤه ، ومن سلم لصاحبة أو مالكه[١] .

وكيفما كان الأمر ، فقد ضم ميناء عدن عدداً من العاملين إلى جانب من تم ذكرهم ، وعادة ما يكونون من عامة الناس ، وعلى الرغم من بساطة عملهم إلاّ أنهم أدوا دوراً كبيراً في التبشير بوصول السفن التجارية ، وتسهيل إجراءات التعامل مع التجار لاسيما القادمين مـنهم إلى اليمن ، ومن هؤلاء الموظفين : الناظرون الذين يجلسون في مواقع متفرقة في أعلى المناطق الجبلية في عدن لترقب السفن الواصلة عبر البحر ، ولابد أن يتصفوا بقوة الصوت والسمع ، إذ يطلقون أصواتهم إذا ما لاحظوا قدوم سفينة تجارية إلى ميناء عدن ، ليصل خبرها إلى والي عدن ومشائخ الفرضة ، ويتحصل الناظرون على دينار ملكي من الفرضة إذا ما صح ما جاءوا بـه من خبر ، وإن كان خبر وصول هذه السفينة غير صحيح يتم ضربه عشر عصي[٢] ، وإذا تم التأكد من صحة الخبر يُنتظر حتى ترسو السفينة في البحر ، ويركب عدد من موظفي الفرضة – المعروفين بالمبشرين – السنابيق[٣] إلى السفينة التجارية الراسية للقاء ناخوذتها[٤] ، آخـذين منه معلومات وافية عن السفينة ، ويقوم أحد موظفي الحسابات في الفرضة ويعرف بالكرانـي (الكاتب) بعملية تسجيل كل ما تحتويه السفينة ، ثم يعود الجميع إلى الفرضة ، ويتولى المبشرون عملية إخبار الناس بما تحتويه حمولة السفينة ، ويحصلون مقابل ذلك على مبالغ مالية كبشارة لهم ممن يهمهم خبر وصول مثل هذه السفن[٥] ، وبأمر من الوالي يصعد موظفـون يعرفـون بالمفتشين للقيام بعملية تفتيش جميع من في السفينة تفتيشاً دقيقاً يصل إلى العمامة والشعر وكـم القميص ، وكذلك بالنسبة للنساء ، إذ تقوم امرأة عجوز بهذه المهمة ، ثم يقومون بتحديـد مـا

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥١٢ ، ٥١٤ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٨ .

[٣] السنابيق : وهي سفن صغيرة تستخدم في نقل الأزواد والأشخاص من السفن الكبيرة إلى الشاطئ . النخيلـي ، درويش محفوظ : السفن الإسلاميـة على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندريـة ، ١٩٧٤م ، ص٧٠ – ٧١ ؛ شهـاب : تاريخ اليمن البحري ، ص٢٦٩ ، ٢٧٣ .

[٤] الناخوذة : هو صاحب السفينة أو المركب ، وما زالت هذه الكلمة تستعمل لدى ملاحي السفن الشراعية . السامرائـي : رحلة في المعجم التاريخي ، ص٤٣٧ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٨ – ١٣٩ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٥٧ .

يمكن فرضه على البضاعة من رسوم تجارية ، ويتولى جماعة من عمال الفرضة عملية نزع أشرعة السفينة ، ولا تسلم لصاحب السفينة إلاّ بدفع الرسوم المقررة على البضائع[١] .

وفي هذا الصدد ، فإنه عند إنزال البضائع إلى الفرضة يتـولى موظفـون يعرفـون بالوزانين عملية وزن هذه البضائع ، مع قيام موظف آخر يعرف بمملي البضائع بإملاء أسماء هذه البضائع وبصوت مرتفع يسمعه الجميع بعد وزن كل سلعة تجارية ، ويشترط فيه أن يعطي وجهه لجميع تجار البضائع ولموظفين الميناء تجنباً لأي تلاعب من قبله مع التجار ، وتجنبـاً أيضـاً لمنعه من عدم إعطاء معلومات غير صحيحة عن هذه البضائع تهرباً من الرسوم[٢] .

وفي الوقت نفسه ، يلتحق بالموانئ اليمنية كميناء عدن عدد من الموظفين العاملين في السفن التابعين للدولة كنواخيذ السفن والبحارة العاملين عليها ، وأهمهم الزراقون (المجدفون) والطباخون والصناع وغيرهم ممن سخرتهم الدولة للعمل في موانئها[٣] ، ويكون مسؤولاً عـن الجميع موظف يعرف بمتولي أمر المراكب اليمنية[٤] .

وعلاوة على ذلك ، فقد وضع بنو رسول على حدود ومداخل بعض المدن التجارية ، عدداً من الموظفين والحرس لمنع دخول البضائع إلاّ بعد أن يتم أخذ الضرائب أو المكـوس[٥] عليها ، ويكون على رأس الجميع موظف مهمته تحديد ما على هذه البضـائع مـن ضـرائب ويعرف بنقيب العشارين[٦] ، ويكون تحت يده جميع هؤلاء الموظفون[٧] .

صفوة القول ، أن ديوان النظر في عصر بني رسول ضم طاقماً كبيراً ومتكاملاً من الموظفين ، وقد كان لهؤلاء الموظفين حياتهم وأوضاعهم الخاصة ، كما كان لعملهم هذا دور في تحديد مستوى حياتهم المعيشية التي تباينت واختلفت بين ميسور وفقير .

• **موظفو ديوان الخزانة** : وهم الموظفون العاملون في الخزانة العامة التي تحفظ فيهـا أموال الدولة وقماشها وتحفها وأشياؤها الثمينة ، ويكون هذا الديوان وموظفوه مقراً لجميع أموال الدولة التي تصل من مختلف جهات اليمن ، كما يصرف عن طريق هذا الديوان الأمـوال مـن

---

[١] المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص ١٣٩ .
Goitein , S . D. Two Eyewitness Reports on Expedition of the king of Kish against Aden , *BSOAS*, No . 16 , 1954 , p . 248 .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٥١٢ ، ٥٢٣ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١٧٥ – ١٧٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٩ – ٢١١ .

[٤] الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص٣١٨ .

[٥] المكس هو الجباية ، كما يطلق على ما يأخذه العشار من أموال العشر على البضائع . انظر : باشا ، مرآة الجنان ، ص٦٩ .

[٦] وهو الموظف الذي يأخذ العشر من أموال التجار على بضائعهم التجارية . الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (عَشَر) . وللمزيد عن العشر وبداية ظهوره في الإسلام وتطبيقه في اليمن انظر : الشجـاع ، عبد الرحمن عبد الواحد : النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص٧٧ – ٧٨ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٣ .

المرتبات والهدايا لجميع العاملين في الدولة وغيرهم[١] ، ويتكون ديوان الخزانة من عدد من الموظفين منهم العامل والمشارف ، وهم عادة ما يكونون من أهل العلم والمعرفة ، إذ يعملون على استقبال كل ما يصل من جهات اليمن المختلفة من أموال الدولة[٢] ، وتشير بعض المصادر إلى وجود طاقم متكامل من العاملين في الخزانة العامة للدولة التي تضم : الخازندار وعامل الخزانة وكاتب الخزانة ومشارف الخزانة ومهتار الخزانة ونقاد الخزانة الذي يقوم بصرف المرتبات للعاملين في الدولة والشدادين وغلمان وعبيد الخازندار ، ويعد الخزندار المسؤول الأول عن الخزانة العامة للدولة ، ولا يخضع في الجوانب المالية إلا للملك مباشرة[٣] ، أما عامل الخزانة وهو المعروف بالمستوفي فهو الأمين على بيوت الأموال والمشرف على تفريقها عند توزيع المرتبات ، ويقع تحت مسؤوليته ندب بعض موظفي الخزانة كالمشد والناظر والعامل والمشارف وشاهد الصندوق والكاتب إلى بعض الجهات[٤] ، وقد لقي موظفو الخزانة عناية واهتماماً من سلاطين بني رسول ، وأخذوا في صرف المرتبات والعطايا لهم ، مما جعلهم يعيشون في مستوى اجتماعي أفضل من غيرهم من موظفي الدولة[٥] .

• **موظفو ديوان المَهْمَخَانَاه** : وهم موظفون يهتمون بالضيوف الواقفين على الأبواب الشريفة ، وذلك بإكرامهم وتسجيل قوائم بأسمائهم وتقديمها للسلطان الذي بدوره يأمر بزيادة إكرام من يريد ، وترك من يريد كل حسب موقعه في المجتمع ومكانته بالنسبة للسلطان[٦] ، ويتولى مسؤولية هذا الديوان موظف يعرف بالمَهْمَنْدَار وهو الذي يتكفل باستقبال الضيوف لاسيما من الرسل أو السفراء والعربان الواردين ، وينزلهم في دار الضيف ، ويتحدث في القيام بأمرهم وأمر إكرامهم حتى يلتقيهم السلطان[٧] ، في حين يكون تحت يد المَهْمَنْدَار عدد من الكتاب يعرفون بكتاب المهمخاناه يكونون تحت تصرفه ، ويقومون بتسجيل وكتابة كل ما يطلب منهم إلى السلطان[٨] .

• **موظفو ديوان العد** : لم تعطنا المصادر أي معلومات عن الموظفين العاملين في هذا الديوان ، وكل ما وصل إلينا أنه يتبع السلطان مباشرة ، وأن مهمته متابعة الشؤون المالية من إيرادات ومصروفات ، والإشراف على الجوانب المالية في بعض الدور مثل دار الديباج في

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٠ – ٥١ .

[٢] ملخص الفطن ، ق٨ب .

[٣] نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٠ – ٤١ . وانظر عن الخزندار فيما سبق : ص١٠٨ .

[٤] انظر : ملخص الفطن ، ق١١أ .

[٥] للمزيد انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٤١ .

[٦] نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٢ ، ١٤٩ .

[٧] السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص٣١ – ٣٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣١ – ٤٣٢ .

[٨] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٠ ، ١٤٢ .

زبيد ، ومتابعة العاملين فيها من الحرفين والصناع[١] ، ويبدو أن هذا الديوان ضم طاقماً متكاملاً من الموظفين الذين كان لهم وضعهم الخاص ؛ لأنهم يتبعون السلطان .

ي – **شريحة موظفي دار الضرب** : وهم من الموظفين العاملين في دار السكة[٢] ، ويأتي على رأسهم موظف يعرف بوالي دار الضرب ، ويشترط فيه أن يكون أميناً وعلى خلق ودين لدقة ما يقوم به ،حيث لا يغش في المعادن التي تصنع منها العملة أو يتلاعب بها ، وأشهر من تولى هذا المنصب في عصر بني رسول الفقيه محمد بن علي المعروف بابن الغزال الذي كان والياً لدار الضرب في زبيد ، وقد نسب إليه الدرهم الغزالي المصنوع من الفضة الخالصة ، حتى أنه احتل مكانة رفيعة عند السلطان المظفر الأول ، ولذلك قال له : " شريت بنا الناس بأموالنا " ، لما كان له من حب وتقدير عند الرعية[٣] ، وقد تعامل سلاطين بني رسول مع العاملين في مختلف دور الضرب بحزم وشدة حتى مع ولاة هذه الدور ، لاسيما إذا ثبت عليهم شيء منافي للأخلاق كالغش في المعدن الذي تسك منه العملة[٤] ، ووصل بهم الأمر إلى قطع يد متوليها إذا ما ثبت عليه شيء ، كما فعل السلطان الأشرف الثاني سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م مع ابن الرياحي نقاش السكة في تعز[٥] الذي عرف باسمه الدرهم الرياحي[٦] ، وقد كان لدور الضرب ضامن عرف بضامن دار الضرب[٧] ، ومن الطبيعي أن يكون هناك أعداد أخرى من العاملين في هذه الدور إلاّ أن المصادر لم تزودنا بأي معلومات عنهم .

ك – **شريحة موظفي الأسواق** : كان للتطور الذي شهدته الأسواق في عصر بني رسول نتيجة لانتعاش الحركة التجارية[٨] دور في ضرورة وجود من يقوم بمراقبتها وضبط الاختلالات التي تحدث فيها من تلاعب في المكاييل والموازين والتأكد من صلاحية البضاعة وغير ذلك ، وقد

---

[١] وهي من الدور التابعة للدولة والتي ينسج فيها جميع أنواع الأقمشة بما فيها كسوة الكعبة المرسلة من اليمن ، وقد عمل بها العديد من الحرفين والصناع . للمزيد انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، ٦٣ – ٧٠ .

[٢] انظر عن دور السكة في عصر بني رسول : لويك ، نيكولاس : موجز تاريخي عن دار السكة بصنعاء ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص١٢١– ١٤٣ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥ .

[٤] عن العملة في عصر بني رسول انظر :

Michael Mitchiner : The World of Islam , Hawkins publitons , London , 1977 , pp . 223 , 228 .
Nützel , Heinrich : *Münzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids* ,Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987 , p 28 .
Balafier, Mohamed : *Trésors et Collections de Monnaies islamiques des Musées du Yémen* , Thèse de Doctorat .Université de Paris-Sorbonne (Paris IV) , 1994 , tome . I , pp . 134 - 170 , 264 -27 ; tome . II , pp . 435 – 502 , 641 – 656 .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

[٦] المقرئ ، إسماعيل بن أبوبكر : عنون الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي ، تح : عبدالله إبراهيم الأنصاري ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص١٦٩ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٩٠ .

[٨] عن الأسواق والتعاملات فيها في عصر بني رسول انظر : حماد : مظاهر الحياة الإسلامية ، ص٤٠١ – ٤١٣ .

عرف صاحب هذه الوظيفة بالمحتسب وعرفت الوظيفة بالحسبة[١] ، كما كان من مهام المحتسب تفقد أوضاع الناس والبحث في أحوالهم وأموالهم ومصالحهم[٢] ، وقد عمل بعض من تولوا الحسبة في العصر المذكور على استغلال منصبهم هذا باللعب بالمكاييل والتغيير فيها مما أضرّ بمصالح الناس جميعاً[٣] ، أما أبرز من تولى هذا المنصب واشتهر بحسن الخلق والصلاح البهاء الجندي في عدن سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م[٤] ، والجمال المصري المكي محتسب زبيد سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م[٥] ، ويبدو أنه كان للمحتسب أعوان يجولون في الأسواق لترقب أحوال الناس وأفعالهم ، منهم نقيب السوق الذي مهمته ترقب أصحاب الحرف في السوق وتوصيل أخبارهم للمحتسب ، إضافة إلى وجود ضامن يعرف بصاحب السوق ، ويتولى جباية الأموال من البائعة في السوق ، ولا يمارس أحد عمله ولا يبيع ولا يشتري إلاّ بعد أن يدفع ما عليه من أموال للضامن[٦] .

ل – شريحة موظفي الأمن : أما عن مسالة ضبط الأمن في الأسواق وحماية الناس ومصالحهم من اللصوص والمجرمين فقد عمل فيها عدد من موظفين الأمن الذين عرفوا بتسميات مختلفة منها العسس[٧] ، والجنادرة[٨] ، ويسمى المتولي على هؤلاء بالشحنة[٩] ، وهو رئيس الشرطة أو المسؤول الأول عن الأمن[١٠] ، ويظهر أن المسؤول عن جميع رجال الأمن والمحرك لهم والمسؤول عن حياة الناس هو أمير البلد أو واليها[١١] ، وقد تعددت مهام الشرطة[١٢] ، وأدى القائمون عليها دوراً كبيراً في حفظ الأمن والاستقرار بين أفراد المجتمع[١٣] .

---

[١] الحسبة : وهي وظيفة دينية كانت تقدم خدمة اجتماعية واقتصادية لسكان المدن كالمحافظة على نظافة الطرق ومراقبة الأسواق والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ومنع معلمي الصبيان من ضرب الأطفال ضرباً مبرحاً ومنع الناس من شرب الخمور ، وقد حدث تطور كبير في حياة المحتسب ووظيفته نتيجة لتطور المدن . انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص٢٤٥ – ٢٥٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د.ت ، ص٢٧٧ – ٢٧٨ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٣ .

[٣] انظر عن بعض هؤلاء : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٣أ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٣١ ، وهو صاحب كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢٣ ؛ الكفاية والإعلام ، ق٢١٣أ .

[٦] انظر : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٠٢ – ١٠٣ ، ١٩٧ .

[٧] الملك الأفضل ، العباس بن علي : رسالة في القتال ، تح : علي بن سالم آل نصيف : رسالة ماجستير ، جامعة مانشستر ، لندن ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص٥٧ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ – ٢٢٨ . والعسس : من يطوفون بالليل . الرازي : مختار الصحاح ، مادة (عَسَّ) .

[٨] الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٢١٥ .

[٩] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٤ .

[١٠] البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ص١٩٣ ؛ أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٦ – ١٧ .

[١١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٤٦ ، ٢٢٧ – ٢٢٨ .

[١٢] انظر : أحمد عبد الرازق : شرطة القاهرة ، ص٢١ – ٢٤ .

[١٣] عن دور الشرطة في حفظ الأمن في عصر بني رسول انظر لاحقاً : ص٤١٧ – ٤١٨ .

وفي الوقت نفسه ، تولى حراسة القتلة والمجرمين وأصحاب الجرائم موظف تابع للشرطة يعرف بالسجان[١] أو الحباس[٢] ، ويتميز بالحنكة والدقة واليقظة الدائمة عند تأديته لواجبه ، مع حرص دائم على تفتيش كل ما يتم إدخاله إلى السجين من طعام وشراب وثياب[٣] .

م – **شريحة عمال المصانع والورش التابعة للدولة** : وهم مجموعة من الحرفيين والصناع الذين يعملون في مصانع وورش الدولة المنتشرة في المدن الرئيسة كعدن وتعز وزبيد مقابل راتب شهري تدفعه لهم ، وقد تنوعت مهامهم وتعددت أعمالهم ، علماً بأن أكثرهم كانوا من عامة الناس ، وأهم هذه الورش : ورش تصنيع وخياطة الخيام في عدن التي ضمت أعداداً كبيرة من الخياطين والصباغين والحائكين[٤] . إضافة إلى مصانع تكرير السكر في مخلاف جعفر والمهجم التي ضمت أعداداً من الموظفين والحرفيين[٥] . كما احتوت الأهراءات[٦] التابعة للدولة على أعداد كبيرة من الموظفين أهمهم : كتّاب الأهراء وضامن الأهراء لعملية البيع والشراء ، وكيالون وبوابو الأهراء[٧] . كما ضمت معاصر السمسم التابعة للدولة الرسولية العديد من العاملين بها ، إلى جانب وجود ضامن لهذه المعاصر مقابل مبلغ يدفعه للدولة نظير ضمانته لهذه المعاصر[٨] .

ن – **شريحة موظفي المدارس والمساجد** : وهي شريحة واسعة من الموظفين العاملين في الكتاتيب والمدارس والمساجد التابعة للدولة[٩] ، وقد اختلفت مهامهم وانقسمت وظائفهم إلى :

• **وظائف إدارية** : ويقوم موظفوها بتسيير العمل الإداري في المساجد والمدارس ، والحافظ على الأموال والأملاك الموقوفة عليها ، ويأتي على رأس الموظفين الإداريين : ناظر الوقف ويكون المسؤول عن المدرسة وما أوقف عليها ، وله حرية التصرف لما فيه صالح الوقف ، وينوب عنه في حالة غيابه شخص يعرف بالنائب ، وله حق التصرف في أمور الوقف عند غياب ناظر الوقف ، ويدخل ضمن الوظائف الإدارية موظف يعرف بأمين المكتبة والذي يقوم بالحفاظ على الكتب الموقوفة على طلبة العلم بالمدرسة وإعارتها لمن يريد ، ويقوم بصيانتها والحفاظ عليها[١٠] .

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٤٧ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٩ ؛ ج٢ ، ص٤٥ .

[٣] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٣٩ب .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص١٩١ – ٢٠٢ .

[٥] المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٢ – ١٠٦ .

[٦] الأهراء : هي الأماكن التي تخزن بها الغلال للطوارئ ، وكانت لا تفتح إلا للضرورة ، وتقابل اليوم صوامع الغلال والحبوب . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٢٥ . وقد انتشرت الأهراءات التابعة للدولة الرسولية في العديد من المناطق والمدن اليمنية مثل أهراء تعز والدملوة وغيرها . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ .

[٧] للمزيد عن هؤلاء الموظفين انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص١١٧ ؛ ج٢ ، ص٥٠ ، ٣٧ – ٣٨ .

[٨] المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢١ .

[٩] عن بعض العاملين في المساجد الخاضعة لإدارة بني رسول انظر : الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٨٨ .

[١٠] انظر : المصري : مدارس مدينة تعز باليمن ، ص١٤٤ – ١٤٦ ، ٣٨٣ .

• **وظائف تعليمية :** وقد ضمت عدداً من الموظفين ممن اتصف أصحابها بالعلم والمعرفة من المعلمين والمدرسين والمعيدين والمؤدبين ، وكان لهؤلاء أوضاعهم وحياتهم الخاصة التي أبرزتهم في المجتمع[١] .

• **وظائف خدماتية :** واحتوت على عدد من موظفي الخدمات كالفراشين الذين يتولـــون أمر نظافة المدرسة بكل محتوياتها ، وفرش الأماكن التي في حاجة إلى فرش ، وإضاءة قناديل المدرسة ، ويعرف هؤلاء الفراشون باسلا دار المدرسة . كما يعمل على توفير المياه للمدرسة بصورة مستمرة ، وتنظيف مجاريها ، والحفاظ على نظافتها من ترسب التربة موظف يعــرف بقيم الساقية أو سلا دار الساقية[٢] .

وفضلاً عن ذلك ، ضمت هذه المدارس والمساجد العديد من المؤذنين والأئمة والخطباء ، وكان الجميع يتسلم رواتبهم ومستحقاتهم المالية من الدولة أو من أموال الأملاك الموقوفة عليها[٣] .

س – **شريحة الجند (العسكر) :** وهي من أهم الشرائح التي اعتمدت عليها الدولة الرســولية في إقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية في ذلك الحين ، وقد تشكل أفرادها من بين أبنـــاء المجتمع وأبناء الأجناس الوافدة إليه[٤] والذين أدوا دوراً كبيراً في نشر الأمن في العديد مـــن المناطق اليمنية وحماية ساكنيها ، وكثيراً ما كانوا يستغلون أوقات الفوضـــى عنـــد نشـــوب المعارك ضد المناوئين لبني رسول ليقومون بأعمال القتل والنهب والتخريب والحرق لأمـــوال الأبرياء من الناس ومزارعهم وبيوتهم[٥] ، ولأهمية هذه الشريحة في المجتمع ســـوف نقـــوم بمحاولة لدراسة تقسيماتها وأوضاعها وحياتها لخروج أفرادها من بين أبناء طبقة العامة .

لقد عاش هؤلاء الجند حياة متواضعة لا تختلف كثيراً عن حياة بسطاء النـــاس مـــن العامة ؛ ولم يكن لهم وضع اجتماعي متميز كقادتهم لتدني مستوى دخلهم المعيشي ، لذلك كانوا كثيراً ما يغتنمون الفرص في أثناء المعارك ليحصلون على شيء من أموال النـــاس ومـــدافن طعامهم ودوابهم التي كانوا ينهبونها لسماح الدولة لهم بذلك دون أن تحاسبهم عليها لارتكابهـــا ضد المفسدين من الخارجين على بني رسول[٦] .

ويقسم الجند إلى فرق مختلفة فمنهم من يقومون بمرافقة بعض كبار الشخصيات فـــي الدولة وحراستهم ، ومنهم من يسيرون مع الجيش الرسولي كفرق في أثناء الحروب ، ومـــنهم

---

[١] عن هؤلاء من أصحاب الوظائف التعليمية انظر لاحقاً : ص١٥١ – ١٥٣ .

[٢] المصري ، مدارس مدينة تعز باليمن ، ص٦٤ ، ١٤٩ .

[٣] للمزيد من التفاصيل عن هؤلاء انظر لاحقاً : ص١٥١ – ١٥٢ .

[٤] ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٧ .

[٥] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٠ – ٢٥١ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٩٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩ ، ٣٥ ؛ العسجد المسبوك ، ق٧٧أ – ب ، ١٨١أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٠ ، ٨٦ .

[٦] مجهول : المصدر نفسه ، ص٢٣٥ – ٢٣٦ ، ٢٧٦ – ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ – ٢٩٦ .

من يقومون بحراسة أبواب القصور والحصون والمدن ، في حين يقوم بخدمة هؤلاء الجند عدد من الموظفين ممن يمتازون بالخبرة ويعدّون جزءاً من الجيش ، أما الجند المرافقون لكبار الشخصيات في الدولة فعرف بعضهم بالجند المفردين[١] ، ويبدو أنهم من العسكر الذين يسيرون أمام الأستاذ دار في مواكبه وعند تنقله وسفره لحراسته والحفاظ عليه[٢] ، ويذكر لنا ابن حاتم[٣] أن بنت جوزة زوجة السلطان المنصور كانت تحاط بالجنود المفردين لحراستها عند خروجها ، ويتولى على المفردين موظف يعرف بنقيب المفردين يكون المسؤول الأول عنهم أمام الدولة ، وقد حصل هؤلاء الجند على امتيازات من قبل الدولة كبقية موظفيها مما جعلهم يعيشون في مستوى اجتماعي جيد[٤] .

كما تشكل الجيش الرسولي من عدة فرق اختلفت مهامها العسكرية والخدماتية ، مثل فرقة الفرسان (الخيالة) ، والرجالة (المشاة) والأصبهانية[٥] والشفاليت[٦] وغيرهم[٧] . كما

---

[١] المفردون : هم الحرس الأفراد المتفرقون في نواح كثيرة لحماية بيت السلطان . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٢ .

[٢] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٣ .

[٣] السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٥ .

[٤] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٣ .

[٥] الأصبهانية : فرقة من الجنود المأجورين من المرتزقة . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٧ . وقد وجدت هذه الفرقة في الجيش الرسولي وأدت دوراً كبيراً في المحافظة على سلامة سكان بعض المدن اليمنية كمدينة زبيد ، كما شاركوا في بعض المعارك التي قامت خلال عصر بني رسول ، وكان الجندي الأصبهاني يتحصل على معاش لا يساعده على تكاليف الحياة ، لهذا يقضي عمره كله دون أن يحقق شيئاً في حياته الخاصة والأسرية ، مما جعل بعضهم يتفكرون في حياتهم وكيف قضوها دون أن يعملوا شيء لهم ولابنائهم . انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٠٧ ؛ وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٠أ . ويتولى على الأصبهانية نقيب يعرف بنقيب الأصبهانية . مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٩ ، ١١٧ ، ٢٥٧ .

[٦] الشفاليت : جمع شفلوت وهي كلمة فرنسية معرّبة (Cavalier) وتعني الفارس ، وقد عرفوا في أوروبا بمقدرتهم على مهاجمة الحصون والمدن وحفر وتسلق أسوارها لفتح أبوابها للجيوش ، وعرف الشفلوت بشهامته وإقدامه ومدافعته عن الضعيف واحترامه للمرأة ، وقد انتقلت هذه الكلمة إلى شمال بلاد العرب مع فرسان الصليبيين الذين قاتلهم صلاح الدين الأيوبي ، ثم نقلها فرسان الأيوبيين إلى اليمن عند غزوهم لها ، وبقيت صفة لسلاح الفرسان في جيش الأيوبيين ومن بعدهم الرسوليين ، وفي أواخر عصر بني رسول تحولت الفروسية والشهامة إلى قسوة متناهية فكان فرسان المماليك قساة غلاظ القلوب نهابين ينشرون الرعب بين الناس حيثما ذهبوا ، وحرفت الكلمة إلى شلفوت ، وما زالت تستعمل في اليمن حتى اليوم صفة للإنسان رديء الأخلاق . ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٣٨٩ ؛ لقمان ، محمد علي : معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٨م ، ص١٠١ . في حين يرى البعض أن الشفاليت طائفة من العرب مجتمعين من كل قبيلة يأكلون الطوفة والصدقات السلطانية ويخدمون العسكر سفراً وحضراً وكانوا يربون شعورهم . النهروالي : البرق اليماني ، ص٢٩٧ . ويقول عنهم محمد بن علي الأكوع محقق كتاب (السلوك) أنهم لصوص وقطاع طرق لا عمل لهم ، وكانوا يترقبون الفرص والغفلات للقيام بالسرقة . الجندي : ج٢ ، ص٤٠٦ ، للمحقق . وقد أدى الشفاليت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر بني رسول . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٩٥ ؛ الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٦ ، ٤٠٦ ، ٥٧٩ – ٥٨٠ ، ٦٠٧ ، ٥٠٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٣٤ ، ٣٣٥ ؛ ج٢ ، ص١٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٧– ٤٨ ، ٢٠٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٩٣ .

[٧] عن بقية فرق الجيش وما لقيته من عناية واهتمام ، وما خصص لها من مدربين ومعلمين ورواتب ونثريات من قبل سلاطين بني رسول انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١١٠ – ١١١ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٣٩٢ ، ٥٦١ ؛ ج٢ ، ص١٤٩ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٥ .

عمل بعض أفراد المجتمع جنوداً على الأسلحة الثقيلة : كالمنجنيقات وغيرها ، وأبدعوا في تسييرها في المعارك والهجوم بها ، ويذكر الملك المظفر[١] أن مثل هذه المنجنيقات التي تستخدم في قذف الحجارة تحتاج إلى أعداد من الجند ما بين خمسين إلى مئة رجل لقيادتها والرمي بها ، في حين تخصص جنود عرفوا بالحجازين والنقابين في عملية نقب الأسوار وجدران الحصون عند مهاجمتها ، وذلك باستخدام زحافة تعرف بزحافة الرجال تستخدم لغرض التكسير في الأسوار ، حتى يسهل لبقية الجنود مهاجمة المدن والحصون والقصور المحصنة عند الحروب[٢] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد عمل بعض الجنود في حراسة أبواب القصور والمواقع العسكرية[٣] ، وكلف البعض بحراسة الطرقات ومراكز مرور القوافل التجارية[٤] ، وعمل بعضهم كعيون أو جواسيس لتوصيل الأخبار الجديدة عن العدو في المعارك[٥] . وتولى عملية نقل الرسائل " البريد " بين السلطان وغيره أو بين أفراد الجيش جنود عرفوا بالنجابة ، وقد صرفت لهم الدولة مبالغ مالية خارجة عن رواتبهم لمشقة العمل الذي يقومون به وسرعتهم وقدرتهم على توصيل الرسائل بكل سرية ، ويجب أن يتميز النجاب بالسرعة والخفة والدقة في توصيل الخبر بأقصى سرعة ، ويصرف للنجابة أفضل أنواع الخيول والجمال " الهجين " لأجل هذه المهمة[٦] . كما عرف بعض الجند بالفداوية[٧] ، ويظهر أنهم كانوا من العسكر ذوي الخبرة والمقدرة على القيام بالاغتيالات السياسية لكبار الشخصيات ، وقد تميز هؤلاء بالسرعة في القتل والخبرة في العراك واستخدام أسلحة القتل الخفيفة من سكاكين وخناجر ، إضافة إلى قدرتهم على المراوغة في الكلام للنيل من الخصم المرسل لقتله ، والقدرة على الهرب بعد تأديته مهمته[٨] .

كما عمل عدد من الجنود ضمن الأسطول البحري التابع للجيش الرسولي ، وكان يأتي على رأسهم موظف يعرف بالنقيب يكون المسؤول عنهم ، إضافة إلى عدد من الجنود

---

(١) المخترع ، ص١٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٤ – ١٥٥ .

(٣) نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣١٢ . وللمزيد عن الجند وترتيبهم الإداري في الحصون انظر : الفيفي : الدولة الرسولية في اليمن ، ص٣٨٥ – ٣٨٦ .

(٤) انظر فيما سبق : ص٣٥ – ٣٦ .

(٥) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٣٨٥ ؛ الملك الأفضل : رسالة في القتال ، ص٦٨ – ٦٩ ، ٧٠ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٧٧ .

(٦) نور المعارف ، ج١ ، ص٧٢ ، ٧٣ – ٧٤ . وانظر عن النجاب : ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٢١٦ ، ٢٩٨ ، ٤٦٩ .

(٧) ويعرفون بالحشيشيين وهم من يبيعون أنفسهم ويخاطرون بها لقتل من يؤمرون بقتله وإن قتلوا بعده . الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٧٥ .

(٨) انظر : الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٦٠ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٣٨ب ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٤٢ .

البحارة وأشهرهم النفطي الذي يتولى رمي العدو بكرات النار لحرق مراكب العدو ، وكانت مهمة هؤلاء الجند حماية البحار والشواطئ اليمنية من اللصوص والقراصنة والمهربين الذين عرفوا في كتب التاريخ التي أرّخت للدولة الرسولية باسم المجورين ، وحماية المراكب التجارية من أي اعتداء قد تتعرض له سفنهم ، وإخضاع بعض المناطق اليمنية الساحلية الخارجة عن طاعة الدولة ؛ وكان هؤلاء الجند يمونون بكل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب ولباس وغيره ، وكانت السفن التي تقلهم محملة بالخبازين والطباخين وأرباب الصناعات لتقديم الخدمة لهم ولتسهيل مهمتهم[١] . أما الاهتمام بصحة الجنود أو العسكر وبلبسهم وترتيب منظرهم الخارجي فقد اهتمت به الدولة الرسولية ، فعينت لهم الموظفين الذين كانوا يرافقون هؤلاء الجند ، وأهم هؤلاء الموظفين موظف يعرف بالجراحي[٢] والذي يقوم بمعالجة جروح الجند المصابين في المعارك وخياطة المواقع التي هي في حاجة إلى ذلك والاهتمام بهم ، ويتبع الجراحي غلام يقوم بمساعدته وتسهيل مهمته[٣] . كما يوجد في الجيش الرسولي موظفون يتولون نقابة الجيوش[٤] ، ويقول القلقشندي[٥] عن أصاحب هذه الوظيفة أنهم من يهتمون بتحلية الجند في العروض العسكرية والمواكب الرسمية .

وقد سن سلاطين بني رسول القوانين المنظمة لعملية تعيين أفراد هذه الشريحة من الجنود أو العسكر ، وحددت تلك القوانين ما يصرف لهم من رواتب وأموال وسلاح ودواب ، ووضعوا قانون لتنظيم مسألة الوراثة في حالة وفاة الجندي أو قتله ، وما يخصم من كل ذلك مما يضمن لأفراد هذه الشريحة حقوقهم المالية لهم ولأبنائهم[٦] .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥١١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١١ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٦ – ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ – ٢٩١ .

[٢] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٩ .

[٣] ابن منقذ ، أسامة : الاعتبار ، تح : فيليب حتي ، ط١ ، الدار المتحدة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص٦٧ ، ٧١ ؛ محسن محمد حسين : الجيش الأيوبي ، ص١٦٣ – ١٦٦ .

[٤] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٣ .

[٥] صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٢٢ .

[٦] للمزيد من التفاصيل عمّا سنه بنو رسول من قوانين تنظم وتضمن للجند (العسكر) حقوقهم عند تعيينهم في الجيش ، وما يصرف لهم من مال وعدة ودواب ، وما يحدد لأسرهم من معاش عند موتهم انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٦ – ٤٨ .

٢ - فئـــة صغار السادة (الأشراف) :

وهم من ينتمون إلى آل البيت[١] ، ورغم نسبهم الشريف إلاّ أنهم يندرجون ضمن طبقة العامة لأحوالهم المادية المتواضعة ، ولعيشهم واستقرارهم بين عامة الناس ، ومع ذلك ظل لأفراد هذه الفئة وضعهم المتميز الذي اكتسبوه بمكانتهم الدينية والعلمية وبنسبهم الشريف ، وقد استقر أفراد هذه الفئة من السادة الأشراف في مناطق مختلفة من اليمن ، ففي وادي سهام من تهامـــة عاشت أكثر ذرية السادة بنو الأهدل ، واشتهر منهم السيد علي بن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد المعروف بعلي الأهدل[٢] ، والحسين بن عبد الرحمن الأهدل[٣] ، وقد اتجه معظم أبنـــاء هذه الأسرة إلى العلم ، وخرج منهم من أبناء السيد علي الأهدل عدد من العلمـــاء والفضـــلاء والأدباء[٤] ، كما انتشر السادة أيضاً في منطقة حضرموت كالسادة آل بـاعلوي الـــذين اتجـــه معظمهم إلى العلم والتدريس وعرف أكثرهم بين الناس بكرامتهم[٥] التي قربتهم مـــن العامـــة وجعلتهم كأفراد منهم لامتزاجهم معهم رغم دخول كبرائهم ضمن طبقة الخاصة . إلاّ أن أكثـــر وجود للأشراف كان في المناطق المرتفعة كصنعاء وصعدة وحرض وما جاورهـــا[٦] ، كمـــا عاش ضمن العامة مجاميع من بني أمية الذين استوطنوا منطقة القرشية بأسفل وادي رمـــع ، وكان لهم بطون عديدة هناك في قرية القرشية مثل بني غراب[٧] .

وقد أعطى النفوذ الروحي لهؤلاء الأشراف مكانة رفيعة المستوى بين فئات طبقة العامة لانتمائهم إلى بيت الرسول (ﷺ)[٨] ، مع أن بعضهم لم يكونوا أحسن حالاً من عامة الناس .

---

[١] انظر عن آل البيت من السادة الأشراف : ص١٠٠ – ١٠٣ .

[٢] ويعود نسبهم إلى موســـى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين سبط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . انظر : الحجري : مجموع ، ج١ ، ص٩٤ .

[٣] وهو السيد بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الحسني العلوي الشافعي المعروف بالأهـدل ، ولـد سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م ونشأ وترعرع في قرية الفخرية بتهامة ، وبرز بحبه للعلم ومطالعته ، وأخذ في التنقل من مكان إلى آخر بحثاً عنه ، وقد ألف العديد من الكتب أهمها " تحفة الزمن في تاريخ اليمن " ، ويعد الأهدل من مؤرخي الدولة الرسولية ، وقد توفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ودفن في قرية أبيات حسين . السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص١٤٧ ؛ الشوكانـي ، شيـخ الإسلام محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت ، ص٢١٨ – ٢١٩ ؛ الشمري : زهور السوسن ، ص٢٩٥ – ٣٠٢ .

[٤] الأهـدل ، عبد الرحمن بن سليمان : النفس اليماني ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص٦ ، ٨ ، ١١٨ ؛ الحجري : مجموع ، ج١ ، ص٩٤ .

[٥] انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٣ . وانظر عنهم فيما سبق : ص١٠٢ .

[٦] تم الحديث سابقاً عن هؤلاء الأشراف أنظر : ص١٠١ – ١٠٢ .

[٧] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٨٠ب .

[٨] ومما زاد من محبة الناس لهذه الفئة في المجتمع اليمني وجود الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت على لسان الرسول الكريم (ﷺ) في فضل علي وأبنائه الحسن والحسين وأمهم فاطمة بنت الرسول (ﷺ) . انظر : البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، مج٢ ، ج٤ ، حقق أصولها وأجازها : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٢٤٦ – ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، – ٢٦١ .

٣ - فئـــة صغار العلماء :

وهي من أوسع فئات طبقة العامة التي وجدت في عصر بني رسول ، وقد ضـــمت العديد من الذين نالوا حظاً وافراً من العلم والمعرفة في ذلـك العصـــر ، كالقضـــاة والفقهـــاء والكتاب والقراء والفلكيين والمدرسين ، وقد ساعدت صفة العلم التي اتصفت بها هذه الفئة من العلماء على أن يكون القسم الأكبر من وظائف الدولة من نصيبهم ، كقضاء النواحي والمدرسين والكتاب والمحاسبين ، وقد ضمت فئة صغار العلماء عدداً من الشرائح أهمها :

أ - **شريحة القضاة** : حرص بنو رسول على الدقة في اختيارهم للقضاة من بين رجال العلم ، عارضين عليهم تولّي القضاء مع رفض الكثير منهم ذلك ، لعلمهم بثقل المسؤولية ، وقد حاول بعض سلاطين بني رسول فرض ذلك عليهم بالقوة إذا ما رفضوا ، فهدد بعضهم بتـــرك اليمن إذا ما أجبر على ذلك مثل الفقيه الإمام أبي العباس أحمد بن موسى بن عجيل[١] الذي هدد بالرحيل من اليمن إلى الحبشة إذا ما أجبره السلطان المنصور على ذلك[٢] ، وكثيراً ما تـــذكر المصادر عن بعض من تولّوا هذا المنصب أنهم مُحنوا به معتبرين أن تولّيه يعد محنة كبيـــرة يقع فيها القاضي ، للمسؤوليات الكبيرة التي يتحملها أمام الله ثم الدولة ونفسه[٣] ، وظل من وافق على تولّي منصب القضاء في زهد وخوف شديد من الوقوع في الظلم أو الشبهات أو المحرمات ، لاسيما أن مهمة القاضي في ذلك العصر لم تكن محصورة في إصدار الأحكام وحل الخلافـــات بين الناس ، بل تعدت مسؤولياته إلى ما هو أكبر من ذلك مما لا دخل له بالقضـــاء كمســـؤولية أموال الأيتام ، وبعض الأمانات التي لم يجد بعض أهلها أكثر وفاءً وأمانة من القاضـــي ، لـــذلك وثقت بهم مجاميع واسعة من الناس في أملاكهم وأموالهم وأولادهم[٤] .

لقد تولّى بعض القضاة ممن شُهد لهم بالعلم الغزير والمعرفة والورع مهمة التواصل مع الناس لحل الخلافات بينهم بالشرع ، وسخّر بعضهم ما تبقى من يومهم بعد انتهاء وقت عقد مجلس القضاء في إقامة حلقات العلم التي يتسابق إليها الطلاب للاستفادة منها ، ويذكر الجندي[٥] أن حلقة تدريس القاضي أبي محمد صالح بن إبراهيم العبري (ت : ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) بلغت أكثر من مائة طالب علم ، وقد حرص بعض القضاة على عدم التساهل في عملهم مع أيٍّ كان

---

[١] هو الإمام أبو العباس أحمد بن الفقيه موسى بن علي بن عمر بن عجيل من أشهر فقهاء عصره في ذلك الحين ، تنسب إليه قريـــة بيت الفقيـــه ، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته فيقول الخزرجي أنه توفي سنـــة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، ويقول الشرجي سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م . العقـد الفاخر الحسن ، ص١٥١ – ١٥٦ ؛ طبقات الخواص ، ص٥٧ ؛ كيـــال ، محمد عبده : الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ الشيخ أحمد بن عجيل (٦٠٨ – ٦٩٠هـ) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٤١ – ٦٢ .

[٢] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٥٨ – ٥٩ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٩٨ .

[٤] انظر : الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٩٨ .

[٥] السلوك ، ج٢ ، ص٣٢٧ – ٣٢٨ .

وإن كان السلطان الرسولي نفسه مع بساطة حالهم ، كما فعل القاضي عيسى بن علي بن أبي بكر بن مفلت الذي تولى قضاء الجند مدة خمس وعشرين سنة ، حين رفض أن يعقد للسلطان المظفر الأول حتى يستكمل شروط العقد والزواج ، وقد أعجب به السلطان وقال عنه : " لو كان متساهلاً في شيء من حكمه لتساهل معنا "[١] ، فحرص الكثير منهم على تجنيب أنفسهم الوقوع في الشبهات أو المحرمات ، محاولين تجنيب من هم حولهم من كتّاب القضاء وغيرهم الوقوع في ذلك ، وقد خضع صغار القضاة في المدن والقرى لرقابة أصحاب المناصب العليا في القضاء الأعلى الذين لم يتراجعوا عن عزل كل من ثبت عليه شيء ، كما فعل القاضي أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن ميمون الحضرمي الحميري اليزني (ت : ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) متولي القضاء الأعلى في تهامة عندما دخل بيت زوج أخته وكان قاضي زبيد فوجد عنده ثياباً من الخزّ[٢] ، وكان يعرف أنه ليس معه من ذلك شيئاً ، فقال له : "من أين لك هذه ؟ . قال : من بركتك يا أبا الذبيح ، فقال : ذبحني الله إن لم أعزلك ، ثم عزله "[٣] .

لقد أدى القضاة دوراً كبيراً في العصر المذكور ، وسعى الكثير منهم إلى خدمة من حولهم من عامة الناس ، محاولين تقديم المساعدة التي يستطيعونها لهم ، مستغلين علاقاتهم الخاصة بالجهة المسؤولة في الدولة ، حتى أن بعضهم تحمل عناء وتكاليف السفر والترحال لخدمة غيره[٤] ، رغم أوضاعهم المادية الصعبة التي دفعت الكثير منهم إلى التقشف والزهد وتحمل الديون التي قد يموت القاضي دون أن يسددها[٥] ، لذلك نجد أن صغار القضاة عاشوا حياة بسيطة مقارنة مع غيرهم من أفراد فئات طبقة العامة .

ب – شريحة الفقهاء : وهي شريحة ضمت العديد من رجال الفقه من المفتين والمحدثين والمفسرين واللغويين وغيرهم الذين انتشروا في مختلف مدن وقرى وبوادي اليمن ، وقد أدى اختلاف أفكار هؤلاء الفقهاء المنتمين إلى مذاهب مختلفة إلى حدوث العديد من الخلافات والمشكلات بينهم لاسيما حول بعض القضايا الفقهية ، وحول بعض المبتدعات التي عمل بعض فقهاء المذاهب على نشرها بين عامة الناس كفقهاء الصوفية الذين شكلوا شريحة مستقلة لها وضعها وأسلوبها وأفكارها الخاصة التي أصبحت جزءاً من حياتها ، لذلك اصطدم علماؤها بفقهاء المذهب السني ،

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٩ .

[٢] الخَـزّ : ثياب تنسج من صوف وإبريسم " حرير " ، ومنه ما ينسج من الحرير فقط ، وهناك أحكام اختلف حولها الفقهاء في لبسه . انظر : الزبيدي : تاج العروس ، مج٤ ، مادة (خَـزّ) .

[٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٦٢ – ٢٦٣ .

[٤] عن دور القضاة في الحياة العامة في عصر بين رسول انظر : ص٣٣٩ – ٣٤٠ ، ٤٠٥ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ العراشي ، عبد الحكيم محمد ثابت : الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (٦٤٧ – ٦٩٤هـ) دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص١٠٥ . وانظر تفاصيل أكثر عن وضع القضاة المادي والمعيشي لاحقاً : ص٣٠٢ ، ٣١٣ – ٣١٤ .

ودخلوا معهم في صراع طويل كان له آثاره[١] ، وقد كان لأفكار الصوفية وممارساتهم الغريبة دور في انتشار معتقداتهم بين عامة الناس[٢] لاسيما البسطاء منهم ، وقد اختلفت أحوال هـؤلاء الفقهاء المعيشية رغم دخولهم جميعاً ضمن طبقة العامة إلاّ أن أكثرهم عاشوا حياة فقر[٣] .

ج – **شريحة النساخين** : وهم من العلماء والفقهاء الذين عملوا في مجال نسخ الكتب والمصاحف[٤] ، ويذكر لنا الخزرجي أسماء بعضهم كالفقيه أحمد بن محمد الشكيل بن سليمان ابن أبي السعود الطوسي (ت : ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)[٥] ، والفقيه عثمان بن أحمد (ت : ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) الذي امتهن نسخ الكتب وكان معظم قوته منه[٦] .

د – **شريحة الفلكيين** : وهم علماء عرفوا بدرايتهم بالنجوم وبمعرفتهم وخبراتهم الفائقة بتحديد أوقات الصلاة ومداخل السنين وغيرها ، وكان يستعان بهم في الأسفار التي كان يقـوم بها الناس في الصحاري الواسعة وفي البحار ، والاستماع إلى إرشاداتهم التي تقوم على تتبسع سير النجوم لتفادي الوقوع في مخاطر الطرق أو الضياع فيها[٧] .

هـ – **شريحة الأطباء** : وهم من العلماء الذين برزوا في مجال الطب ، وأجادوا تصنيع الوصفات الطبية التي استفاد منها الكثير من الناس ، وبرعوا في مجال تخصصهم وأبدعوا فيه ، مثل : محمد بن أحمد بن علي الحموي (ت . د : ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) الذي قدم إلى اليمن في عهد السلطان الأشرف الأول وأبدع في الطب وألف فيه الكتب[٨] ، والفقيه عمر بن محمد الجبلي (ت : ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م) الذي كان من أعلم أهل عصره بالطب ، وقد انتفع به كثير من الناس ، لما كان يصنعه من وصفات طبية ، حتى أنه شفي على يده الكثير من أهل زبيد[٩] .

و – **شريحة المدرسين والعاملين في المساجد والمدارس** : كان لانتشار المساجد فـي مختلف مدن وقرى اليمن دور كبير في عمل شريحة واسعة من عامة الناس فيها ، وقد اختلفت تخصصاتهم بين مؤذن وإمام وخطيب ، إضافة إلى وجود طاقم تدريسي لتعليم الصـبية فـي

---

[١] أسهب عبدالله الحبشي في وصف هذا الصراع في اليمن خلال عصر بني رسول وما قبله مبيناً لنا جذوره وأسبابه وآثاره المختلفة . للمزيد من التفاصيل عن ذلك الصراع انظر : الصوفية والفقهاء ، ص٩٥ وما بعدها .

[٢] عانت المجتمعات الإسلامية من الممارسات الخاطئة للصوفية البعيدة عن روح الإسلام ، كما عانت اليمن منها . انظر : المديرس ، عبد الرحمن مديرس : المدينة المنـورة في العصـر المملوكـي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، د . ن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص١٥٩ .

[٣] عن أوضاع فقهاء العامة ، ودورهم في مكافحة الفقر انظر : ص٣٠٣ – ٣٠٥ ، ٣١٣ – ٣١٥ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٣٠ ؛ ج٢ ، ص١٣٢ .

[٥] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٢ .

[٦] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١١٠ .

[٧] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٩٣ ؛ الحسن محمد خليل : بلاد اليمن في عهد الملك الأشرف الثاني ، ص٢٧٠ .

[٨] انظر : الحموي ، محمد بن أحمد بن علي : البيـان في كشف أسرار الطب للعيان ، مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٨٦) طب ، ميكروفيلم رقم (١٠٤٦) ، القاهرة ، ق١أ – ب .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٩٣ ، ١٠٦ .

داخلها ، وقد شهد عصر بني رسول بروز عدد من المؤذنين الذين اشتهروا بين عامة الناس لِمَا تميزوا به من إتقان للأذان ، حتى أنه اشترط فيمن يتم اختياره كمؤذن أن يكون محافظاً على وقت الأذان ، وأن يلتزم بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها ، ويرافق الإمام عند تأديتها ، وأن يكون حسن الصوت[(١)] ، وقد يكون للمسجد مئذنتان ، مما يستدعي الأمر تعيين أكثر من مؤذن[(٢)] . ويبدو أن أحد المؤذنيّن يكون هو الأساس والآخر لترديد الأذان في المأذنة الأخرى .

أما أئمّة المساجد فعادةً ما يكونون من أفضل القرّاء وأكثرهم إجادة لتلاوة القرآن وأحسنهم صوتاً ، ولابد أن يلتزم الإمام بإقامة الصلاة في أوقاتها ، إضافة إلى السنن والصلوات الأخرى كالنصف من شعبان وصلاة التراويح والقيام في رمضان وصلاتي الخسوف والكسوف ، ويشترط أن يكون حافظاً للقرآن الكريم عن ظهر قلب ، جيد الصوت ، حسن التلاوة[(٣)] ، وقد برز العديد من القراء الذين أجادوا ترتيل القرآن بالقراءات السبع[(٤)] ، وكثيراً ما يستعان بهم للقراءة على قبور الموتى[(٥)] . أما خطباء المساجد فهم من يخطبون من على المنابر في يوم الجمعة والأعياد وغيرها[(٦)] ، وكان بعض خطباء المساجد يعينون بمرسوم رسمي يصدر عن السلطان ، وقد يجمع شخص واحد بين الإمامة والخطبة في آن واحد[(٧)] .

وفي الوقت نفسه ، انتشرت الكتاتيب[(٨)] في المساجد وغيرها ، كما وجدت المدارس التعليمية في مختلف أرجاء اليمن ، وعمل فيها أعداد كبيرة من الفقهاء والعلماء معلمين

[(١)] وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، دراسة ونشر وتح : ضيف الله بن يحيى الزهراني وطلال بن جميل الرفاعي ، مط : بهادر ، مكة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص٨٥ .

[(٢)] وثائق تعليمية ، ص٨٦ ؛ المصري ، أمال حامد : مدارس مدينة تعز باليمن في عصر بني رسول (٦٢٦هـ إلى سنة ٨٥٨هـ / سنة ١٢٢٩م إلى سنة ١٤٥٤م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٢٦٣ ، ٢٨١ – ٢٨٢ .

[(٣)] وثائق تعليمية ، ص٨٦

[(٤)] القراءات السبع : تعددت نشأت القراءات القرآنية نتيجة لنقل الصحابة رضوان الله عليهم القران عن الرسول (ﷺ) ، إذ كان يقرأ كل واحدٌ منهم بما يسره الله له ، وأصبحت القراءات تتوارث رواياتها كقراءة نافع وابن كثير وعاصم وغيرهم من القراء السبعة الذين سميت القراءات السبع بأسمائهم ، كأن يقال : رواية حفص عن عاصم مثلاً . للمزيد عن القراءات السبع وقرائها . انظر : مكرم ، عبد العالم سالم وآخرون : معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات واشهر القراء ، ج١ ، ط١ ، مط : جامعة الكويت ، الكويت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص١١١ – ١١٢ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ج١٨ ، ط٢ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص١٢٨ .

[(٥)] سوف يتم الإشارة للقراء عند الحديث عن عادات الموت : ص٢٦١ .

[(٦)] الشرفي ، علي بن علي حسين أحمد : الحياة العلمية في تعز في عصر بني رسول (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص٥١٩ – ٥٢٠ .

[(٧)] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٧ .

[(٨)] الكتاتيب : جمع كتّاب وتعرف بالمعلامة ، وفي الغالب هي عبارة عن حجرة أو مكان يتسع لمجموعة من الأطفال يلحق في أكثر الأحيان بالمساجد أو بالمدارس في المدن ، أما في الأرياف فتكون في المسجد أو الشارع أو قرب شجرة ، وهي تعد بمثابة مدارس التعليم الأولى أو الأساسي أو الابتدائي . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٣٩ ؛ الأكوع ، محمد بن علي : صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي ، ج٢ ، مط : مؤسسة ١٤ أكتوبر ، عدن ، د . ت ، ص١٤٧ ؛ الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد : الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٦٣ .

ومؤدبين ومدرسين ومعُيدين[١] . وقد اشترط في تعينهم صفات لابد أن تتوافر فيهم ، فالمعلم الذي يعلم الأولاد في المساجد لابد أن يكون فقيهاً وعالماً وأديباً وحافظاً لكتاب الله والأحاديث الشريفة ، وحسن الصوت والخط ، وعلى معرفة بأصول الحساب والنحو واللغة[٢] ، ويبدو أنه كان للكتاتيب الموقوفة من قبل بعض أفراد طبقة الخاصة دور في تحديد المستوى المعيشي للمعلمين الذين ميزوا عن غيرهم ممن يعلّمون في الكتاتيب الموجودة في القرى والمناطق الريفية البعيدة لتدني المستوى المعيشي لسكان هذه المناطق وفقرهم ، مما يكون له أثره في تحديد مستوى دخل هؤلاء المعلمين .

أما المدرسون الذين يعملون في المدارس التي تأتي بعد مرحلة الكتاتيب والمساجد فإنه يتم اختيارهم بموجب عدد من المواصفات كالخبرة والإتقان والمقدرة على التوصيل إلى الطلاب والعلم الغزير في مختلف العلوم[٣] ، وقد برز في ذلك العصر العديد من المدرسين الذين أبدعوا في علوم القرآن والفقه واللغة والنحو والحساب وغيرها ، حتى أن بعضهم أصبح لا يعرف بين عامة الناس إلاّ بالمدرس لطول مدة عمله في مجال التدريس مثل الفقيه أبي العباس أحمد بن علي بن عبدالله العامري (ت : ٧٢١هـ / ١٣٢١م) الذي عمل في مجال التدريس نحواً من خمسين عاماً[٤] . وإلى جانب المدرس وجد المعيد[٥] ، وتقتصر مهمة المعيد في إعادة كل ما قاله المدرس للطلاب من معلومات في الدرس ، ليثبت ذلك في عقولهم ، بعد انصراف المدرس من الفصل ، لاسيما ما تعذر على الطلاب فهمه ، لذلك يسمى معيداً[٦] .

لقد كانت فئة صغار العلماء من أكثر الفئات الاجتماعية انتشاراً وكثرة في العصر المذكور ، حيث كان لها وجود في مختلف مناطق اليمن ، ولكن وجودها تركز بكثرة في مدن محددة عرفت بأنها مراكز للعلم والعلماء منذ القدم كمدينة زبيد[٧] ، ورغم ما احتلته هذه الفئة من تقدير واحترام بين عامة الناس إلاّ أنها عاشت حياة بساطة وفقر .

---

[١] فاروق أحمد حيدر مجاهد : التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، إصدارات جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٤٨ – ١٥٢ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ فاروق أحمد حيدر مجاهد : المرجع نفسه ، ص١٤٩ .

[٣] الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص٣٥٦ – ٣٥٩ ، ٤١١ ، ٤١٢ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٤٣٩ .

[٥] المشرقي ، رياض علي سعيد : التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (٨٥٨ – ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ – ١٥١٧م) ، ندوة المدرسة الياقوتية ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص٢٥٠ .

[٦] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٦ .

[٧] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص٢٥٦ – ٢٥٧ ؛ ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي : تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن ، تح : سيد كسروي حسن ، ط٢ ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٧٣ ؛ الدجيلي ، محمد رضاء حسن : الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، البصرة ، البصرة ، ١٩٨٥م ، ص٥٥ – ٧٨ .

٤ - فئـــة صغار التجار :

وهم من أصحاب المحلات التجارية والحوانيت الصغيرة التي انتشرت فـي منـاطق اليمن المختلفة للبيع بالتجزئة ، وقد ميزوا عن كبار التجار ببساطة حالهم وتواضـع تجـارتهم التي قامت أكثرها في الأسواق والأحياء المتواضعة والفقيرة ، وكان هؤلاء التجار من مختلف المدن والقرى يتجهون إلى مدينة عدن أو غيرها من المدن التجارية الكبرى لشراء بضائعهم[١] من تجار الجملة هناك ليبيعوها تفرقة في مناطقهم ، وقد أنشئت لهم في هذه المدن مـن قبـل الدولة وكبار التجار القيساريات والخانات[٢] للمبيت فيها حتى يشترون حاجتهم من البضـائع ، وتعد تجارة العطارة والتوابل والمواد الغذائية من أرز وغيره من أكثر التجارات ربحاً في ذلـك الحين ، حتى أنه عمل بها أكثر التجار على اختلاف حالهم لكثرة الطلب عليها من خاصة الناس عامتهم[٣] ، ونتيجة لانتشارها وكثرة أرباحها عمل الكثير من الناس على المتاجرة بها واقتات الكثير منهم من أرباحها[٤] .

لقد دفعت الأحوال الصعبة لصغار التجار وما كان يفرض عليهم من ضرائب جـائرة إلى ضرورة أن يكون لهم كبراء يتحدثون باسمهم أمام الدولة للتفاوض معها ومناقشتها حـول بعض الظلم الذي يتعرضون له ، لذلك أوجد هؤلاء التجار لأنفسهم مشائخ هم على ما يبدو من تطلق عليهم المصادر اسم مشائخ التجار[٥] ، ويكون هؤلاء المشائخ ممثلين عن غيـرهم مـن التجار والمتحدثين باسمهم أمام الدولة التي لا تتعامل ولا تتخاطب إلاّ معهم ، كما يكون هؤلاء المشائخ مسؤولين عن تصرف كل التجار أمام بني رسول ، ومما لاشك فيه أن هؤلاء المشائخ كانوا من كبار التجار الذين ربطتهم علاقات طيبة بكبار رجال الدولة ، فأصبحوا ممثلين عـن صغار التجار أمامهم .

كما سعى التجار متوسطو الحال إلى تحسين علاقتهم بالدولة ، وذلك بإتباع الأسـلوب نفسه في المجاملة الذي اتبعه كبار التجار في تقديم الهـدايا للسـلطان الرسـولي لكسـب وده ورضاه[٦] ، فأخذوا في انتقاء أنواع الهدايا الغاليـة ، إلاّ أن هداياهم كانت تفتح وتفـتش ، ولا يتم إرسالها إلى السلطان حتى يصدر أمر من المسؤولين بذلك ، ولكن الميزة التي جمعت بـين هؤلاء التجار أنه لا يفرض عشور على هذه الهدايا بغض النظر عن صاحبها[٧] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤٣ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٠ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٣ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٠ ، ١٦٨ .

[٥] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٦ .

[٦] عن هذه الهدايا انظر فيما سبق : ص١١٦ .

[٧] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩٨ .

لقد عانى التجار كثيراً من الضرائب التي كانت تفرض عليهم من قبل الدولة ، كما تأثروا من الصراعات والفتن التي كانت تتعرض لها مناطقهم ، حتى أن ذلك دفع بعضهم إلى الاستعانة برجال من قبائل المنطقة لحمايتهم بمقابل يتفقون حوله[١] ، مما يحقق لهم الحماية والاطمئنان حتى تعود الأمور إلى طبيعتها ، لهذا نجد أن فئة صغار التجار عاشت حياة جيدة مقارنة بحياة غيرها من فئات طبقة العامة .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أرتبط بفئة التجار شرائح بسيطة خرجت من بين عامة الناس لتزاول بعض الأعمال التي كانت مرتبطة بهؤلاء التجار في المدن الرئيسة الكبرى مثل :

أ – **شريحة الصرّافين** : الذين انتشروا في المدن التجارية الكبرى كمدينة عدن[٢] ، ويقوم عملهم على مبادلة مقادير العملة أو سحب الرديء منها ، ووضع حد للتعامل بها ، وتحويل العملة ، وبيع وشراء الذهب في الأسواق وغير ذلك من الأعمال[٣] .

ب – **شريحة الدلاّلين**[٤] : وقد شكلوا شريحة بسيطة عاشت في أسواق المدن التجارية الكبرى ، وتميزت بخبراتها في إرشاد التجار والمشترين لموقع البضائع الجيدة المعروضة للبيع ، ويلجأ تجار الجملة إليهم عارضين عليهم بضائعهم فيتجهون بدورهم إلى أصحاب الحوانيت والمحلات التجارية وتجار التجزئة ليعرضون عليهم نماذج من تلك البضائع وأسعارها والكميات الموجودة مع تجار الجملة ، ويتعرفون على كل ما يحتاج إليه كل تاجر من السلع ويعودون إلى تجار الجملة عارضين عليهم طلبات أصحاب الحوانيت والمحال التجارية ، وفي حالة إتمام البيعة والاتفاق يحدد المبلغ الذي يتحصل عليه الدلال من البائع والمشتري ، وقد يتفق الدلال مع صاحب الجملة على مبلغ معلوم إذا تمكن من تصريف بضاعته كلها في الأسواق[٥] ، وقد زاول بعض الدلالين مهنتهم في بعض الأسواق الكبرى كأسواق عدن دلالين لأي سلعة تجارية كانت كالدلالة في بيع الفوة والخيل والعبيد والجواري والتوابل وغيرها[٦] ، في حين تخصص بعضهم في دلالة سلعة معينة فقط دون غيرها كدلالين الكتب ودلالين القماش في سوق البز وغيرهم[٧] .

---

[١] انظر : بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٨ – ٣٥٧٩ ، ٣٥٨٩ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩٥ .

[٣] عبد المنعم ماجد : نظم دولة المماليك ، ص٨٥ .

[٤] الدّلال: هو من يرشد المشتري إلى البضاعة ، ومن يجمع بين البَيّعَين في عملية البيع والشراء ، كما ينادي على السلعة لتباع في الأسواق . المعجم الوجيز ، ص٢٣٣ .

[٥] حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤١٣ .

[٦] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ٤٠٩ ، ٤٩٦ – ٤٩٧ ، ٥١٢ ، ٥٢١ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٣٢ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٥٥أ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٢٧ .

٥ – فئة الفلاحين :

وهي فئة واسعة تشكّلت من أكثر السكان الذين كان لطبيعة أراضي اليمن الزراعية دور في مزاولتهم الزراعة والعمل فيها ، لاعتمادهم عليها في الحصول على ما يقتاتون به من طعام ، علماً بأن العمل في الزراعة في العصر المذكور لم يتقصر فقط على الفلاحين بل شمل فئة واسعة من العلماء ورجال القبائل والعبيد وغيرهم[١] ، على اعتبار أن الزراعة هي الحرفة الوحيدة إلى جانب التجارة التي عمل بها أفراد من فئات مختلفة من طبقة العامة بغض النظر عن وضع العامل بها ومكانته[٢] .

وقد اختلفت مساحة الأراضي الزراعية التي امتلكها الفلاحون وعملوا بها ، فكان أكثرها عبارة عن قطعٍ صغيرة مملوكة لأسر معينة ، وكان أصحابها يباشرون العمل فيها بأنفسهم ، وقد يستعينون بغيرهم لحراثة الأرض وقلب التربة مستخدمين الدواب كالثيران التي قد لا يملكها الفلاح مالك الأرض الصغيرة[٣] ، في حين عمل بعض الفلاحين ممن لا أرض لهم أو الذين يملكون مساحات زراعية صغيرة في أراضي وبساتين كبار ملاك المنطقة الذين يستعينون بهم للعمل في أراضيهم بأجر معين يتم الاتفاق عليه[٤] .

على أي حال ، فقد اكتسب الفلاح اليمني خبرة كبيرة في التعامل مع الأرض والطبيعة ، وأصبح لا يزرع أرضه إلاّ على النجوم والمواسم التي بلغ في معرفتها خبرة كبيرة مكنته من اغتنام الفرص المناسبة لزراعة كل ما يريد زراعته[٥] ، وعلى الرغم من قيام الفلاحين بزراعة أنواع الحبوب والفواكه والخضروات[٦] والمشمومات[٧] إلاّ أن الجميع أخذوا في البحث عن أكثر المزروعات ربحاً وكسباً فكان سوق نبات الفوة أكثر رواجاً . وأمام تهافت التجار لشراء هذا النبات لكثرة أرباحه في الأسواق العالمية أبطل الكثير من الفلاحين بعض زراعاتهم ليستبدلونها بزراعة الفوة ، ويذكر ابن المجاور[٨] أن الفلاحين أبطلوا زراعة الغلال لقلة ربحها

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٧٥ . وسوف يتم التوسع في هذا الموضوع لاحقاً انظر : ص٣١٢ – ٣١٤ .

[٢] انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٢ ؛ ج٢ ، ص٨٩ ، ٣٢٨ – ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ – ٣٩٧ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤١٨ ، ٥٠٦ – ٥٠٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٥٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ؛ ج٢ ، ص٢١٦ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٤ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٠ – ٣٧٥ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٨٩ .

[٦] عرفت الخضروات كالفجل والكراث والبقول وغيرها في عصر بني رسول بالأقشام ، وعرف من يزرعونها ويبيعونها بالقشامون . انظر : عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٨ ؛ الشرجبي ، قائد : القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ط١ ، دار التضامن ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص١٩٩ ؛ قائد حميد : أحوال اليمن السياسية ، ص١٢٧ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨١ ؛ ج٢ ، ص١٨٥ – ١٨٦ ، ٢٠٦ ، ٢٦٦ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٦ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ؛ مجهول : قلائد الجمن ، ق٦٥أ .

[٨] ابن المجاور : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٥ .

وتكاليف زراعتها وطول وقت جنيها ، علماً بأن الفلاح كان يزرع الغلال وما كان يغل عن كل جريب[١] إلا خمسة دنانير ، لذلك اتجهوا إلى زراعة الفوة فغل لهم الجريب ستين ديناراً ، وأصبح البهار[٢] منه يباع في أسواق عدن بستة وسبعين ديناراً ، فلما رأى بقية الفلاحين المكسب الذي يجنيه غيرهم من الفوة تركوا زراعة غيره واتجهوا إلى زراعته ، حتى أن عامة الناس من خدم وجواري ونساء ومشائخ وتجار وأغنياء عملوا على زراعته والمتاجرة به .

لقد كان الفلاحون اليمنيون يبذلون مجهوداً كبيراً على مدار السنة لإصلاح أراضيهم وعمارتها وتهيئتها للموسم الزراعي الجديد ، ثم زراعتها وجني محصولها وثمارها ، وقد كان لطبيعة الأرض وقربها أو بعدها من مصادر المياه دور في تسهيل العمل للفلاحين ، كما كان للوضع المادي الذي يتمتع به صاحب الأرض أو المزارع دور في استصلاح الأرض ، وتوفير كل ما تحتاج إليه من زبول[٣] وغيره ، وتوفير الأيادي العاملة لأجل العمل بها والحفاظ عليها وسرعة إصلاحها في حالة خرابها ، وكان لهذه الأيادي دور في حرث الأرض وزرعها وجنيها وتنظيفها وتحميل ثمارها وبيعها في الأسواق[٤] .

ويتبين لنا من خلال استعراض مراحل عملية الزراعة التي تمر بها الأرض منذ حرثها وحتى قطفها أن الفلاح اليمني لم يكن الوحيد من يقوم بهذه المهمة الشاقة ، بل إن هناك طاقماً متكاملاً من المزارعين يقومون بمهمة العمل في الأرض ، إضافة إلى من يستعان بهم ممن لا دخل لهم بالزراعة كالحراس وغيرهم ، لاسيما في الأراضي كبيرة المساحة والمملوكة لكبار الملاك ، وتورد لنا المصادر معلومات قيمة عن الفلاحين العاملين في الأراضي الزراعية سواء كانت ملكاً لصاحبها أو ملكاً لغيره ، ويأتي على رأسهم شخص يعرف بالحراث[٥] أو البَتُول[٦] أو المرابع مثلما يطلق عليه في التهائم[٧] ، ويقوم البتول بحراثة الأرض مستخدماً الثيران في ذلك[٨] ، ويعد البتول مزارع أجير يعمل في حراثة الأرض وخدمة الثيران عند الملوك وكبار

---

[١] الجريب : مكيال يساوي سبعة أقفزة في صدر الإسلام (٥ ، ٢٩ لتراً) ، والقفيز يساوي صاع والصاع أربعة أمداد . محمود علي عامر : المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني دراسة وثائقية ، مط : ابن حيان ، دمشق ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ص٢٩ – ٣٠ . .

[٢] البهار : اختلفت وجهات النظر حول ما يساويه وزن البهار ، على اعتبار أنه يزن ٣٠٠ رطل في جزيرة العرب ، ويختلف وزن البهار من منطقة إلى أخرى . للمزيد عن البهار انظر : محمود علي عامر : المرجع نفسه ، ص٤٣ .

[٣] الزبول : هو ما يعرف اليوم بالسماد ، ويشير الملك الأشرف إلى أن أجوده زبل الحمام والخيول والبغال والحمير والضأن والماعز والبقر . انظر : ملح الملاحة ، ص٣٠ – ٣٢ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٣ – ٣٧٦ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤١أ .

[٦] البِتَلَة هي حراثة الأرض خدمة لها قبل بذرها ، و البَتُول هو من يقوم ذلك . الإرياني ، مطهر علي : المعجم اليمني في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية ، ط١ ، مط : العلمية ، دمشق ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص٤٦ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٣ .

[٨] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٧٨ ، ٨٩ ، ٢٠٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٥٤ .

المزارعين وأصحاب الأراضي(١) ، كما يطلق اسم البتول أو الأبتال على من يتولون العمل في أراضيهم المملوكة لهم ، أما المزارعين من الأبتال العاملين عند كبار ملاك الأراضي فلا يكون البتول عندهم إلاّ أجيراً(٢) ، وكان صاحب الأرض الذي يعمل فيها البتول مسـؤولاً عنـه ، إذ يقوم بإطعامه لكي لا يتوقف عن الحراثة بسبب الطعام(٣) ، ويستعمل البتول في حرث الأرض سحوب من حديد يصنعها الحدادون في ورشهم(٤) ، ويجر هذه السحوب ثوران يعرفان باسـم الضمد ، وقد أصبح متعارف عليه بين المزارعين وبين كبار الملاك مقدار ما يصـرف لهـذا البتول من أجرة سواءً كانت مدة العمل من ساعات الصباح الأولى إلى الظهر أو إلى أوقـات العصر أو المغرب ، ويشترط في البتول أن يكون على علم بالمواعيد المناسبة لحرث التربـة التي قد يواجه البتول مشقة في حرثها لاسيما إذا كانت طينية صلبة وقوية وغير لينة(٥) .

لقد نُظر إلى الحراثين في العصر المذكور نظرة تدل على أن المجتمع كان يعدهم من أدنى الناس مستوى ، ليس لأنهم يعملون في الزراعة وحرث أراضي غيـرهم ؛ بـل لأنهـم يعيشون حياة فقيرة معدمة رغم اندماجهم بين أفراده ، فكثيراً ما كانوا يشاركون في المناسبات والاحتفالات التي يقيمها سلاطين بني رسول وكبار رجال دولتهم فـي الأعيـاد والمناسـبات الخاصة ، ولكن يكون حضورهم وجلوسهم بين الفئات المعدمة والفقيرة ، ونستدل ذلـك مـن خلال إشارة الخزرجي(٦) التي يتحدث فيها عن إحدى المناسبات التي أقامها السلطان الأشـرف الثاني إسماعيل والتي حضرها من مختلف طبقات المجتمع ، من الحراث الذي يعد من الفئات الواقعة في أدنى السلم الاجتماعي إلى الوزير الذي يعد في أعلى ذلك السلم .

ويأتي بعد البتول في ترتيب العمل الزراعي مزارع يعرف باسم الذاري ، ويباشر العمل في الأرض بعد أن يكمل البتول مهمته في قلب التربة وحرثها لمرة واحدة أو لعدة مرات ، ويتولى الذاري عملية رمي الحبوب في التربة الطينية متتبعاً الشقوق التي يتركها البتول ، ويجب أن يكون الذاري ذا خبرة في مجال عمله ، حتى أن إتقانه لرمي الحبوب يكون له دور فيما تعطيه الأرض من زرع حسب رميه وتوزيعه لها(٧) ، ويكون الزرع في حاجة إلى من يقوم بالحفاظ عليه عند نضوجه ، ويتولى هذه المهمة مالك الأرض أو شخص يُستعان به ويطلق عليه اسم الشارح(٨) ،

---

(١) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٧٤ .

(٢) للمزيد عن الحراث والبتول انظر : الإرياني : المعجم اليمني ، ص٤٦ – ٥١ .

(٣) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٤١أ .

(٤) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٥٦ – ١٥٧ .

(٥) انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٠ – ٣٧١ .

(٦) العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٧٣ب .

(٧) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٦٨ – ٣٦٩ .

(٨) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٨٨ . ويقول الإريانـي : " شرح فلان الزرع يشرحه شراحه ، فهو شارح له ، والزرع مشروح ، والشارح اسم لمن يقوم بذلك وشرح المزارعون على زروعهم ، أي حرسوه وحافظوا عليه . المعجم اليمني ، ص٤٧٤ – ٤٧٥ .

وقد يكون الشارح ممن لا دخل لهم بالأرض والزراعة ولكن يستعان بهم للحراسة والحفاظ على الزرع من اللصوص أو الحيوانات أو الطيور بمقابل مبلغ من المال أو نصيب من غلة الأرض يتم الاتفاق عليها مع مالك الأرض[١] ، ويجب على الشارح أن يبيت في الأرض لتفقدها بين الحين والآخر بالليل والنهار[٢] ، مستعملاً نوع من الحبال المعروفة بالسلب لطرد الطيور[٣] التي ممكن أن تضر بالزرع والثمار ، ويستعمل الشارح خشبات تعرف بالمشباب تكون مرتفعة عن الأرض ليقف عليها عند قيامه بمهمته ، إذ يصعد عليها ليرتفع عن مستوى الزرع ، أو يجلس عليها ليستريح من عناء الوقوف والتركيز عند الحراسة وتستمر هذه العملية حتى تنضج الثمار وتبدأ عملية الحصاد[٤] ، وعادة ما يقوم بهذه المهمة عدد من المزارعين يطلق على الواحد منهم اسم الصرَّاب[٥] ، ويستغل هؤلاء نضج الزرع والثمار ليتجهوا إلى أراضي الناس للعمل في حصد ثمارها ، ويصبحون ذات قيمة في مثل هذه المواسم ، لاسيما عند ندرتهم ، أما إذا زادت أعدادهم فإنهم يشكلون عبأ على ملاك الأراضي ، ويصبح لا قيمة لهم بسبب كثرة عددهم وانتشارهم في الحقول والمزارع ، وقد كانت أجرتهم ترتفع عند قلتهم وتنخفض عند زيادة عددهم[٦] .

وعقب ذلك تبدأ عملية الخَبِيْط لسنابل الحبوب ، ويقوم بهذه المهمة شخص يعرف باسم اللبّاج مقابل أجرة يتفق عليها مع مالك الأرض تحدد بمبلغ مالي أو نسبة من الحبوب يتم إخراجها من المحصول بعد لبجه[٧] ، ويشارك الصرابون واللباجون شخص من أهل المنطقة يعرف باسم السائق مهمته حث الجميع على العمل وتشجيعهم على السرعة في إنجازه ، وذلك عن طريق إطلاق شعارات وكلمات التشجيع المحثة على العمل ، وترديد الأغاني والأناشيد الدينية طيلة اليوم ، مما يحث جميع المزارعين على الاستمرار في العمل الذي قد يمتد إلى ساعات متأخرة من الليل ، وتظهر أهمية السائق في ذلك العصر من خلال الأجرة التي يتحصل

---

[١] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٤ب .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٥ .

[٣] يعمل المزارعون من حبال السلب ما يعرف بالمقالع أو الأوضاف التي يقذفون بها الأحجار لطرد الطيور والحيوانات من المزارع والحقول . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٤ ، ح رقم (١٩٩) للمحقق .

[٤] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٥ .

[٥] الصرَّاب : هو الحصاد ، وهي كلمة عربية يمنية قديمة وردت في عدد من النقوش وأصلها من مادة : صَرَبَ يَصْرَبُ صَرْباً ، بمعنى قطع يقطع قطعاً ، وما زالت باقية حتى اليوم ، إذ يقال اليوم ؛ صَرَبَ الناس الزرع يصربونه . للمزيد انظر : الإرياني : المعجم اليمني ، ص٥٤٢ – ٥٤٤ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٤ – ٣٧٥ .

[٧] يتم خبط هذه السنابل بمخبط من الخشب طويلة ومعقوفة الأطراف قليلاً ليقبض عليها الشخص بيديه إذ يهوي بها ضربة وراء أخرى على السنابل المرمية على الأرض الصلبة المخصصة لهذا الغرض ، ويذكر محمد عبدالرحيم جازم أن الخبيط في بعض بلاد تعز يسمى لبيج ويسمى المخبط ملبج ومن يقوم بالعمل بها لباج والجمع لباجون . نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٤ ، ح رقم (٢٧٤٩) للمحقق . وانظر : الإرياني : المعجم اليمني : ص٧٩٤ .

عليها من صاحب الأرض والتي قد تتساوى مع أجرة الصرابين[1] ، كما يشارك الجميع لاسيما عند لبج السنابل شخص يعرف باسم المدوم مهمته استخدام المكنس المصنوعة من الحشائش أو سعف النخيل لإزالة وإبعاد قشور وبقايا عيدان السنابل من موقع انصباب الحب في أثناء ذريه في الريح[2] ، في حين يتولى العمل في الأرض عدد من الرجال الأشداء الذين يطلق عليهم اسم الجعلان[3] ، ويبدو أنهم يقومون بمهام عضلية مختلفة كأعمال الحفر وشق القنوات وتجديد حدود الأرض .

كما عرف في العصر المذكور نظام : الشراكة في الأرض بعد استئجارها من مالكها[4] ، والذي بموجبه يصبح الشريك مسؤولاً عن الأرض وإصلاحها والحفاظ عليها ، ويتعهد بذلك إلى مالكها بموجب اتفاق يعقد بينهم ، ويتولى الشريك العمل في الأرض بنفسه ويحرثها مستخدماً الثيران بدلاً عن البتول ، كما يكون عليه يوم الصراب أن يوفر الطعام من الخبز والأدام لمن يعمل في الأرض من الصُرابين والوكلاء الذين يحضرون نيابة عن مالك الأرض عند الحصاد ، على أن يتم تعويضه من الحصول بعد تجهيزه ، فيعطى له من السبول ملء الإناء الذي جاء به بالخبز والإدام ، ويعوض إضافة إلى ذلك بما بقي من الحبوب في مكان الحصاد بعد لبجها ، وإذا كانت حالة الشريك المادية متحسنة يُفرض عليه تقديم ذبيحة مع لوازمها من عصيدة وسمن وغيره ، وذلك بموجب عرف كل منطقة[5] .

وفي الوقت نفسه ، وجدت شرائح من عامة الناس ارتبط عملها بالفلاحين إذ لم يكونوا قد خرجوا من بينهم ، وقد عرفوا بالحشاشين وكانت مهمتهم الخروج إلى الأماكن الخضراء لجمع الحشائش وبيعها على أصحاب المواشي[6] ، وقد أدى عمل بعض الأسر في هذا المجال إلى أن يلقب أفرادها باسم مهنتهم[7] . كما عملت شريحة واسعة من الناس في تربية المواشي[8] ، وعمل بعضهم رعاة لها عند بعض كبار ملاك الأراضي أو المزارعين مقابل أجرة زهيدة يحصلون عليها[9] ، ويشترط في الراعي الأمانة في العمل والإخلاص فيه

---

(1) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(2) المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٤ ، ح رقم (٢٧٥١) للمحقق .

(3) نفسه والجزء ، ص١٨٠ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٥ .

(4) من خلال التسمية يتبين لنا أن نظام الشراكة كان يقوم على أساس أن يقوم مزارع أو مجموعة من المزارعين باستئجار أو مشاركة أحد ملاك الأراضي في قطعة أرض محددة لزراعتها والاستفادة منها مقابل مبلغ من المال يحدد بموجب ما تعطيه الأرض من زراعة أو بموجب مبلغ مالي يتعهد الشريك بدفعه لمالك الأرض نهاية كل عام

(5) للمزيد من التفاصيل عن الشريك انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٧٢ – ٣٧٤ ؛ ج٢ ، ص١٧٩ ، ١٨١ .

(6) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٩ .

(7) انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٤٢١ .

(8) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢١٥ .

(9) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٨ – ٣٩٩ .

والمحافظة على المواشي المكلف برعيها ، حتى أنه يكون مسؤولاً مسؤولية كاملة عن كل رأس يسلم إليه ، وفي حالة حدوث مكروه لأحدها يتحمل كامل المسؤولية[١] ، كما عمل بعض الفلاحين على امتلاك المناحل في مزارعهم وأكثروا من تربية المواشي من البهائم والنحل[٢] .

وكيفما كان الأمر ، فقد أصبح الفلاحون يعتمدون في الحصول على قوتهم على هذه الأرض وفلاحتها ، وأصبح كبار ملاك الأراضي يجنون من ورائها الأموال الطائلة والثروات الهائلة إثر كل موسم للإمكانيات الكبيرة المتوفرة لديهم والتي ساعدتهم على توفير الأيادي العاملة من الفلاحين الذين يخدمون الأرض ويزرعونها ، إضافة إلى العبيد والجعلان العاملين على تنظيفها وإقامة حدودها وتوصيل المياه إليها وشق قنواتها ، ونستدل على ذلك من خلال ذكر المصادر إلى ما كان يتحصل عليه بعض كبار الملاك من خير الأرض في نهاية كل موسم زراعي[٣] . وتدل المعلومات الواردة عن ما تنتجه مزارع وبساتين كبار ملاك الأراضي أنها احتوت على عدد كبير من المزارعين الذين يقومون بفلاحتها وحصد منتوجها من الحبوب والفاكهة والخضار ، في حين كان لقلة الإمكانيات دور في عجز الفلاح عن زراعة أرضه مع توافر المياه لديه لكثرة مياه الأمطار التي قد تكون متوفرة في المنطقة التي يقيم بها[٤] ، لاسيما وأن الأرض في حاجة إلى مبالغ مالية وأيادي عاملة لعمارتها وحرثها وإصلاحها ، وهذا دليل على المستوى المتدني الذي عاشه بعض الفلاحين الذين امتلكوا أراضي كبيرة إلاّ أنهم كانوا عاجزين عن زراعتها لأوضاعهم المادية الصعبة ، كما أعجزت الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على الفلاحين من مواصلة العمل في الزراعة إذ كان الولاة يأخذونها بالقوة دون مراعاة لأوضاعهم[٥] .

خلاصة القول أنه على الرغم من العناية التي حاول سلاطين بني رسول تحقيقها للفلاحين فإنهم تعرضوا للعديد من المضايقات والظلم من قبلهم ومن قبل ولاتهم المسؤولين عن الخراج والضرائب ، لذلك عاش أكثر أفراد هذه الفئة حياة معدمة .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٧ .

[٢] تاريخ وصاب ، ص٩٨ .

[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٢ أ .

[٤] المصدر نفسه ، ق٣أ – ب .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٥ – ٦٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٨١ ، ٢٨٨ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٧٠ .

٦ – فئــة أرباب الصناعات :

وهي فئة واسعة ارتبطت بحياة الناس اليومية ، وقد برز أفرادها من خلال تــوفيرهم لجميع المستلزمات الضرورية اليومية للمجتمع والتي تبين مدى المهارة والإتقان اللذين وصل إليهما أفرادها في هذا المجال ، وقد زاد من تطور إمكانيات أفراد هذه الفئة وإبداعها ، الخبرات الخارجية التي عمل سلاطين بني رسول على استقدامها بشكل دائم للمشاركة في تقــديم الجديــد للصناع اليمنيين[١] ، وهو ما يشير إليه ابن فضل العمري[٢] بقوله : " ولا تزال ملوك الــيمن تستجلب من مصر والشام طوائف من أرباب الصناعات لقلة وجودهم باليمن " . ويقول أيضــاً عن دور سلاطين بني رسول في ترغيب أصحاب الصنــاعات في الإقامــة فــي الــيمن : " وصاحب هذه المملكة أبدا يرغب في الغرباء ويحسن تلقيهم غاية ، ويستخدمهم فيما يناسب كلاً منهم ، ويتفقدهم في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده "[٣] . وقد تنوعت الصــناعات وتعددت في العصر المذكور ، وأصبح للصنعة الواحدة أكثر من تسمية مختلفة قد يقــوم بهــا صانع واحد ، كما مارست بعض الأسر اليمنية أنواع هذه الصناعات ، وأصبحت كــل أســرة تعرف بالصنعة التي يزاولها أفرادها والتي قد يتوارثها الأبناء عن الآباء عن الأجداد ، في حين أقيمت الأسواق في مختلف المناطق ، وعرفت بعض هذه الأسواق بالصنعة التــي تــزاول أو تعرض فيها هذه الفئة أو تلك صناعاتها ، وقد كان للصناع أوضاعهم وحياتهم الخاصــة التــي ميزتهم عن غيرهم من أفراد الفئات الأخرى ، وقد انقسمت فئة الصناع في العصر المــذكور إلى شرائح متعددة يمكن حصرها في الآتي :

أ – **شريحة الحدادين** : وهي شريحة تخصص أفرادها بالعمل في الصناعات الحديديــة والمعدنية ، وقد كان لمنتجاتهم التي تعد من ضروريات حياة الناس وجود بارز في ذلك العصر[٤] ، إذ أجاد الحدادون عملية تليين الحديد وطرقه وتشكيله بمختلف الأشكال والأحجــام فــي ورش الحدادة المعروفة بالمحدادة[٥] ، وقد اشتهرت بعض المدن اليمنية بكثرة وجود الحــدادين فيهــا كمدينة صنعاء[٦] التي برز فيها كثير منهم كالأستاذ[٧] إبراهيم السكاكيني ، والحداد علــي بــن

---

(١) Dimand . M : Un Published Metalwork of The Sultans of Yemen . Metroplitan Museum . Rasulid studies , Vol , 111 , 1930 . pp. 237 – 239

(٢) انظر : مسالك الأبصار ، ص٥١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٤ .

(٣) ابن فضل الله العمري : المصدر نفسه ، ص٤٧ .

(٤) انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٩٠ – ٢٩٨ .

(٥) آل راشد ، جلال محمد عيســى : المصطلحات المتعلقــة بالحرف التقليدية في الكويت دراسة لغوية ميدانية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص١٤١ .

(٦) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٣٣ .

(٧) من الملاحــظ أن لقب أستاذ كان يطلق على كبير الصناع الذي يأتي على رأس العمال في أي ورشــة ، ويكون أستــاذ ومعلم للصناع والحرفيين المستحدثين على الصنعة والحرفة ، ومرشد لمن لهم باع طويل في أي صنعة وحرفة .

موسى ملقاط ، ويوسف بن فلفل ، وجماعة من بني شاور ، ومحمد يحيى بن أبـــي الســـهل ، وجماعة من أسرة تعرف ببني نعيش ، ومحمد بن خوان السكاكيني ، وعلي بن المأمون وغيرهم ، كما وجد في منطقة الدملوة بتعز أعداد من الجدادين منهم : حسن الحداد الدملوي الذي أبدع في صناعة العديد من الأدوات الحديدية[١] ، وبني الحداد في منطقة بعدان وأبرزهم الحاج شمس الدين علي بن داؤد الهمداني الحداد المشهور بخبرته وإتقانه في التعامل مع الحديد عند إخراجه مـــن النار[٢] ، وبالمقابل عمل مجاميع من الحدادين في عملية صقل وتلميع وجلاء الأدوات الحديدية القديمة من سيوف وطبار (فأس) وسكاكين وخناجر وغيرها[٣] وأطلق على العامل بها اســـم الصقال[٤] ، وقد وجد لهؤلاء الصقالين ورش خاصة لصقل الحديد وتلميعه[٥] .

كما تعاملت شريحة واسعة من صناع المعادن مع معدن النحاس والصفر[٦] ، وتخصصوا في تصنيع الأدوات النحاسية ، وعرف الصانع لهذه الصنعة بالنحّاس أو الصفّار[٧] ، وتـــذكر المصادر أسماء لبعض ممن اشتهروا بخبراتهم بهذه الصنعة مثل علوان الصفار[٨] ، وكثيراً ما كان سلاطين بني رسول يستعينون بأصحاب هذه الصنعة لعمل وتشكيل بعض الأدوات والصفائح النحاسية والصفرية التي تشكل بها أبواب ونوافذ وسقوف قصورهم ودورهم[٩] .

ب – **شريحة النساجين** : وكان لأفرادها حضور ظاهر في ذلك العصر في مدن يمنيـــة مختلفة كمدينة ذمار وصنعاء وعدن والشحر وأبين ولحج وزبيد[١٠] وحَجّة[١١] التي عمل أكثـــر أهلها في نسج الحرير[١٢] ، وقد أبدع هؤلاء في حياكة أنواع الأقمشـــة القطنيـــة والحريريـــة والكتانية صانعين منها ملابس تدل على المستوى الرفيع الذي وصل إليه العاملون فـــي هـــذه

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٤ ، ١٥٢، ١٥٣ ، ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٦٠ ، ٢٥٣ ، ٢٩٠ ؛ ج٢ ، ص١٦٥.

[٢] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٥٦ – ١٥٧ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٤] يطلـــق في العربية على الصقال اسم الصيقل أو شحاذ السيـــوف ، وجمعه صياقل وصياقلـــة . انظر : الزبيدي : تـــاج العروس ، مج٧ ، مادة (صقل) .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[٦] الصفر معدن يجمع النحاس واللاطـــون ويكون لونه إلى الصفرة ، أما النحاس فيكـــون لونـــه أحمر . للمزيد انظر : ابن سيـــدة ، علي بن إسماعيل الأندلسـي : المخصص ، السفر الثاني عشر ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديـــد ، د . ت ، ص٢٥ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٩٨ .

[٨] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٩٨ – ٣٠٠ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٧ – ٣٧٨ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٠ – ١٧١ ، ٢٤٥ ، ٣٥٥ ، ٤٧٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩٠ .

[١١] حَجّة : مدينة عامرة بالسكان تقع في الشمال الغربي من صنعاء وهي منطقة جبلية وجزء منها من تهامة . الويسي : اليمن الكبرى ، ص١١٧ – ١١٨ .

[١٢] الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٨٠ – ٨٨١ .

الصنعة[١] والذين عُرفوا بتسميات مختلفة بين الناس ، فمنهم من عُرف بالنساجين ، ومنهم من عرف بالحوك[٢] مثلما كان يطلق عليهم في عدن ولحج والشحر[٣] ، ومنهم من عرف بالحريريين لتخصصهم في غزل الحرير[٤] ، وأشهر من عمل في حياكة الحرير في العصر المذكور محمد بن عمر بن عنبر الحريري[٥] .

والجدير ذكره ، أن عملية نسج الأقمشة كانت تمر بمراحل مختلفة تدرج بالعمل بهـا عدد من النساجين كل في مجال عمله في معامل احتوت على مجاميع منهم ، وتـورد بعـض المصادر تخصصات أفراد هذه الشريحة ودور كل منها ، علماً بأن دور الحائـك أو النسـاج ينتهي بحياكته ونسجه للخيوط على صورة قطع من القماش تختلف ألوانها وأحجامها وجودتها . ومنْ ثَمَّ يأتي دور الخياط الذي عرف أيضاً بين الناس في عصر بني رسول بالدرزي ، لإشارة بعض المصادر إلى ذلك[٦] ، ويبدو من خلال هذه الإشارة أنه الترْزي المعروف اليوم بالخياط أو المفصل للملابس ، إذ يقوم بتقطيع القماش بموجب مقاييس محـددة وخياطتهـا ، ويـذكر الخزرجي[٧] أسماء عدد من الخياطين الذين احترفوا خياطة الثياب وتفصيلها في ذلك العصـر مثل : عبد الكريم بن إسماعيل (ت : ٧١٧هـ / ١٣١٧م) الذي كان في أول أمره نساجاً ينسج الثياب ثم ترك النساجة في آخر عمره ليشتغل بالخياطة ، وابن بَنَكِي الذي اشتهر فـي عـدن بخياطة أنواع الخيام[٨] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد برز في العصر المذكور عدد من الحرفيين الذين ارتـبط عملهـم بصناع الملبوسات وتولّوا زخرفة الملابس وتشكيلها بعد انتهاء الخياطين من إنجازها ، وعرف هؤلاء بالمطرزين ، وتكون مهمتهم زخرفة ونقش وتطريز الملابس بأشكال مختلفة ، مستعملين خيوطاً حريرية أو معدنية من الذهب أو الفضة في تطريزها ، مما يعطـي زخارفـاً جميلـة

---

[١] انظر : نور المعارف ج١ ، ص١٢٩ – ١٥٢ .

[٢] يقول الرازي : حاك الثوب نسجه ، قال وحياكة أيضاً فهو حائك وقوم حَاكَة وحوكة . مختار الصحاح ، مادة (حوك) .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٧٠ – ١٧١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦.

[٤] يطلـق لفـظ الحريري على العامل في صناعة وحياكـة الحرير أو على المواقع التي اتخذت أسواقـاً لتجارة الحرير . انظر : أبو سديـرة ، السيد طه السيد : الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ – ٥٦٧هـ / ٦٤١ – ١١٧١م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص٢٥ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص١٣٥ ؛ الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٨٠– ٨٨١ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٥ – ٣٦٦ .

[٧] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٢ ، ٤٢٩ .

[٨] أبدع صناع الخيام في خياطة أنواع وأحجام وأشكال الخيام المختلفة ، ومن خلال المعلومات الواردة في المصادر يتبين لنا مـدى الخبرة التي تميز بها أفراد هذه الشريحة الحرفية من صناع الخيام ، علماً بأن صناعة الخيام ازدهرت في العصر المذكور لزيـادة طلبها لاستخدامها من قبل فئة واسعة من الناس لاسيما البـدو منهم . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٧١ – ١٧٣ . وانظر : الملك المظفر : المخترع ، ص١٢٠ – ١٢٢ .

وجذابة لهذه الملابس ، وكان أشهر هؤلاء المطرزين يقيمون في مدينة زبيد[١] . وللحفاظ على هذه الملابس وحماية أطرافها من التمزيق وإعطائها شكلاً يزيد من جمالها يتولى صانع يعرف بالحظي عمل حظية حول كل قطعة ملابس ، وهي عبارة عن شبك أو نقش لكل طرف قطعة ملابس جاهزة ، ومن أشهر من عمل في هذه الصنعة الحظي السفري وابن الصفار[٢] .

كما عُرف أفراد من شريحة صناع الأقمشة باسم المبردعين[٣] لتخصصهم بصنع القماش الذي يوضع على ظهر الدابة تحت السرج المعروف بالبردعة[٤] ، وكانت مدينة زبيد أكثر المدن انتشاراً لأفراد هذه الشريحة ، إذ وجدت فيها شوارع عرفت بأسمائهم لاحتوائها على معاملهم[٥] ، وقد امتهنت بعض الأسر في الجند هذه الصنعة وأصبحت تلقب بها مثل أسرة ابن المبردع الذي ينسب إليهم الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن منصور بن عواض الأصبحي المعروف بابن المبردع[٦] ، كما عمل أفراد من هذه الشريحة بصنع الأزرار أو البراجم المستعملة للملابس ، وعرف الحرفي الصانع لها بالبراجمي ، وأشهر من برز في صنعها أحد غلمان السلطان المظفر الأول ويعرف بريحان البراجمي المظفري[٧] .

ج – **شريحة صاغة الذهب والفضة** : وهي شريحة اشتهر أفرادها بإنتاج العديد من القطع الذهبية والفضية التي تعد تحفاً فنية جميلة ونادرة لدقة وصف المصادر لها وتصويرها لجمالها[٨] ، وقد ضمت مدينة صنعاء أعداداً منهم[٩] ، وامتلأت أسواقها بمحلاتهم وورشهم ، وكان من أشهر الأسر العاملة في هذه الصنعة أسرة أولاد الأعجم الذين برزوا في أسواق الذهب في مدينتي صنعاء وتعز ، كما اشتهرت أسواق صنعاء بوجود عدد من اليهود العاملين في صياغة الذهب والفضة مثل سالم اليهودي الذي يبدو أنه كان من المتميزين في هذا المجال ، في حين وجد في مدينة صنعاء حرفيين ارتبط عملهم بصناع الذهب والفضة مثل ناقشي الكحال[١٠] الرفيع الذين برزوا في أعمال النقش والكتابة الدقيقة والجميلة على القطع الذهبية

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١٤٢ – ١٤٤ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٤ – ١٥٢ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٦ .

[٤] تم الحديث سابقاً عن البردعة والمبردعين انظر : ص١٣٠ .

[٥] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٠ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦١ .

[٧] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٤١ ، ح رقم (١١٣٥) للمحقق .

[٨] ومن هذه التحف التي تبين مدى عبقرية الصاغة اليمنيين في عصر بني رسول الطبق الذي عرضه السلطان المؤيد داود سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م على الأديب عبدالله بن جعفر والمصنوع من الذهب الأحمر المرصّع بالجواهر ، وكان في وسطه كلابند مرصّع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر البهرمان ومن الزمرد الزيباني والريحاني ومن اللؤلؤ الكبار المثني ما يساوي مملكة . انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٣٨ – ٢٣٩ .

[٩] الصّاغة أو الصُوّغ ومفردها صائغ وهو من صنعته صياغة الذهب والفضة وعمل الحلي منها . المعجم الوجيز ، ص٣٧٤ .

[١٠] تسمى عملية النقش والكتابة على الحلي الذهبية والفضية باسم كحال . خليفة : الفنون الزخرفية اليمنية ، ص٢٩ .

والفضية ، وأشهر من عرفوا في هذا المجال في صنعاء محمد بن خوان السكاكيني وعلي بن المأمون وأخوه محمد بن المأمون[١] .

كما ظهر في مدينة ذمار عدد من الصناع الذين برزوا في صياغة الذهب والفضة مثل محمد بن علي بن عمران ورجل يسمى منصور ، كما وجد في أسواق مدينة المهجم أفراد منهم كالصانع عبد السلام الإسرائيلي والشيخ حسن بن الآجزي ويوسف بن الإسرائيلي الواثقي الذين برزوا في أواخر سنة ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م ، وكانوا مرجعية بين أبناء صنعتهم[٢] ، ويبدو أن تلقيب بعضهم بالشيخ دليل على المكانة التي احتلوها في مجتمعهم ، في حين اشتهر بعض الصاغة بتحلية الأسلحة بالذهب والفضة مثل ابن شرف الذي تخصص بذلك[٣] .

كما كان لتوافر الأحجار الكريمة التي اشتهرت بها اليمن دور في ظهور شريحة الحكاكين الذين أجادوا التعامل مع ثقب حب اللؤلؤ وشكه ورصه على شكل عقود أو رصه على الملبوسات من الثياب مكونين بذلك أشكالاً مختلفة من وحوش وأسماك وورود وغيرها ، لهذا كانت منتجاتهم محط أنظار السلاطين والملوك وكبار التجار والملاك الأغنياء الذين تسابقوا على شراء الملابس المرصعة بالجواهر واللؤلؤ واغتنائها لهم ولنسائهم[٤] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد وجدت شريحة أخرى من الصناع الذين تخصصوا في التعامل مع نوع من الأحجار الثمينة المعروفة بالعقيق الذي أغلاه العقيق المعروف بالعقيق اليماني الشديد الحمرة الذي اشتهرت به اليمن عبر العصور[٥] ، وقد تميز صناع مدينة صنعاء[٦] بتزيين أنواع الحلي والخواتم الذهبية والفضية بالعقيق ، واشتهر منهم الصانع إبراهيم بن رهدم وعلي بن عامر وأولاده ، وأولاد جسار وهم يوسف وعمران ومحمد ، وعلي بن يحيى بن الحارث وبشر بن محمد وأسعد بن عامر ويحيى بن النجار وأبوبكر البابة وموسى الحوالي وصانع يسمى مطرة وولده وصانع يسمى العنسي وولده وسعيد بن راشد القبش[٧] .

ومن الملاحظ أن حياة هؤلاء الصناع المعيشية اختلفت من صانع إلى آخر لاختلاف رأس مال كل منهم ومستوى الدخل ما بين أصحاب المحلات والورش الكبيرة الذين عاشوا حياة طيبة عن أصحاب الورش والمحلات والصغيرة الذين عاشوا حياة متواضعة دون شك .

---

[١] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٦٥ .

[٢] المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٦١ – ١٦٥ ، ج٢ ، ص١٦٥ .

[٣] نفسه ، ج٢ ، ص١٦٠ – ١٦٥ .

[٤] نفسه ، ج١ ، ص١٦٦ – ١٦٨ . وانظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٣٨ – ٢٣٩ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ؛ الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر : التبصرة بالتجارة ، عني بتصحيحه ونشره : حسن حسني عبد الوهاب ، د . ت ، دمشق ، ١٩٣٢م ، ص٣٠ .

[٦] انفرد صناع العقيق في مدينة صنعاء بهذه الصنعة على مستوى اليمن في عصر بني رسول لعدم إشارة المصادر التي بين أيدينا إلى أي وجود لهم في المدن اليمنية الأخرى .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٥٠ – ٢٥٢ ، ٢٥٥ .

د – شريحة صانعي الجلود : وقد ساعد على وجود أفراد هذه الشريحة انتشار مدابغ الجلود في اليمن ، وانخراط عدد كبير من الناس للعمل في الصناعات المرتبطة بها كالخرازين الذين عملوا في صناعة الجلود وخياطتها[١] ، وتميزوا بخبراتهم الفائقة في مجـال صـنعتهم وقدرتهم على تحديد المقاييس المستعملة لصناعة أي قطعة جلدية من الأديـم[٢] ، وقـد تعـددت منتجاتهم المستعملة من قبل الناس وأهمها سفرات الطعام والزمازم التـي اشـتهر بصـناعتها خرازو مدينة جبلة ، وقرب المياه (الراوية) وغيرها[٣] ، كما عملت شـريحة أخـرى فـي صناعة الجلود وخرازتها وعرف أفرادها بالنساعة[٤] ، ويبدو أنهم من يقومون بصناعة السيور الجلدية المستعملة في شد بطون الجمال والخيول ، كما تشد بها الحقائب والأمتعة المحملة على ظهور الجمال في أثناء سير القوافل التجارية[٥] .

إضافة إلى ذلك ، فقد زاول عدد من الناس صناعة الرحال أو السيور التي تقـاد بهـا الجمال والخيول والحمير وغيرها ، وعرف العامل بهذه الصنعة بالسيروان أو الساروان[٦] أي صانع السيور الجلدية ، كما عرف صانع الرحال بالمهمرد[٧] ، وقد مارست أسر يمنيـة هـذه الصنعة حتى أنها عرفت بين الناس بها مثل أسرة السيروان التي ينسب إليها ميكائيل بن أبـي بكر الذي كان والي مدينة الجند في عصر السلطان المظفر الأول[٨] .

وفي الوقت نفسه ، زاولت شريحة أخرى صناعة الأحذية والنعال الجلدية وخرازتها ، واشتهر أفرادها بتسميات مختلفة فمنهم من عرف بالحذّاء[٩] ، ومنهم من عرف بالاسكافي[١٠] ، علماً بأن هناك أسراً وأفراداً تخصصوا في صناعة الأحذية حتى أن بعضهم ارتبط اسمه باسـم الصنعة نفسها ، مثل الفقيه أبو الخطاب عمر بن أحمد بن أسعد بن عمر المعروف بابن الحذّاء ، ويقول الجندي[١١] عن اسمه هذا : " وأظنه كان يصنع النعال لذلك سمي الحذّاء " . وتذكر المصادر أسماء لبعض الذين زاولوا مهنة خرازة النعال من الاسكافيين في عصر السلطان المظفر الأول

---

[١] جبران مسعود : الرائد ، ص٦١٨ .

[٢] الأديم : الجلد ما كان أحمره أو مدبوغ . الزبيدي : تاج العروس ، مج٨ ، مادة أدم .

[٣] انظر : نور المعارف، ج١ ، ص٣ ، ٨ ، ١٤ ، ٨٥ ، ١٠٣ – ١٠٥ ، ١٧٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٣٩٦ .

[٤] النسع : سير جلدي عريض وطويل تشد به الحقائب أو الرحال أو نحوه . المعجم الوجيز ، ص٦١٢ .

[٥] كثيراً ما كان بنو رسول يستعينون بالنساعـة لتأدية بعض الأعمال الخاصة بالدولة والاصطبـل السلطاني ، ويصرفون لهم مقابل كدومهم نصف دينار يومياً ، كما تصرف الدولة لهم أربعة مكاييل من الحبوب لخيولهم ، وثمن دينار لشراء حشيش أو علف لكل خيل من خيولهم . نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٨ .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٧٣ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٧ . وانظر عن السيروان والمهمرد فيما سبق : ص١٣٠ .

[٨] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٧١ .

[٩] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٩٢ . والحذّاء هو صانع الأحذية والنعال . أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص٤٨٣ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٥١ ، ٥٥٣ .

[١١] السلوك ، ج١ ، ص٣٩٢ .

مثل الأستاذ محمد بن عثمان بن مشحف[١] الذي يبدو – من خلال تسميته بالأستاذ – أنه كان يحتل مكانة كبيرة بين أبناء صنعته ، إلاّ أن أبرز ما عمله صناع الأحذية في ذلك العصر الأحذية النسائية المعروفة بالشراميز أو السراميز[٢] التي لقت قبولاً وطلباً من قبل نساء الملوك وكبار رجال الدولة ونساء الأغنياء والتجار[٣] .

ومن ناحية أخرى ، عمل بعض الناس في صنع السروج[٤] الخاصة بالدواب ، وعرف الصانع العامل بها بالسراج ، وقد تعدت مهنته صناعة السروج لتشمل معظم العدة المستعملة للدواب المصنوعة من الجلود كالأحزمة والغواشي والقيود وغيرها ، وقد ضمت قرية ذراح[٥] أعداداً من السراجين المشهورين بصناعة الغواشي الذرحاوية ، إلاّ أن أكثر السراجين انتشروا في مدينة صنعاء ، وبرز منهم في عصر السلطان المظفر الأول عدد من الصناع كأبي القاسم بن أحمد السراج المشهور بصناعته لأنواع الغواشي والسروج والأحزمة[٦] .

هـ – شريحة صانعي الحبال : لقد كان لكثرة استعمال الحبال بأنواعها وأحجامها في ربط وشد الأمتعة والرحال على ظهور الجمال المسافرة والبضائع المحملة على متن السفن التجارية[٧] دور في ظهور شريحة عملت بصناعة الحبال وعرف أفرادها بالحبالين أو المجبلين ، إلاّ أن تنوع الطلب في الحاجة إلى هذه الحبال جعل المحبلين[٨] يوجدون لهم تخصصات في صنع هذه الحبال ، مما أدى إلى ظهور بعض المحبلين الذين تسمّوا بأسماء الصنعة التي يزاولونها أو بنوعية الحبل الذي يقومون بصناعته ، فعرف منهم : النوازون الذين امتهنوا صناعة الحبال المعروفة بالنوازات التي تستعمل لربط الأمتعة أو الركاب على ظهور الجمال تجنباً لسقوطهم عند السفر أو عند تنقلهم في المهمات الرسمية التي تحتاج إلى السرعة والخفة[٩] ، وكانت أشهرها تلك التي كانت تربط بها كسوة الكعبة المرسلة من قبل سلاطين بني رسول إلى مكة[١٠] ، في حين عرف بعض المحبلين بين الناس : بالحباكين[١١] لقيامهم بحبك الحبال المصنوعة من خوص

---

[١] اشتهر ابن مشحف بعمل جميع أنواع الأحذية والنعال الرجالي والنسائي لمختلف الفئات والشرائح الغنية والفقيرة ، وكانت أكثر أنواع النعال التي تصنع في ورشته هي النعال الرخيصة الثمن وغير الغالية ، وكان أكثر زبائنه من عامة الناس لتواضع المواد المستعملة في تصنيعها ورخصها ، انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٤ .

[٢] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص١١ – ١٢ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٣ – ٢٩٤ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٧ب .

[٤] السرج : رحل الفرس وهو أشبه بالمقعد الذي يوضع على ظهر الدابة لجلوس الراكب . ابن جزي : مطلع اليمن ، ص٢٦٢ .

[٥] ذَرّاح : قرية في الأشمور من ناحية كحلان في الغرب الشمالي من صنعاء . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٢٢ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٨ – ١١ .

[٧] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢١٦ – ٢١٧ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٠ – ٢٠٠ ، ٢٣٠ .

[٩] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢١٦ – ٢١٧ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص١١٧ .

[١١] الحبك : إحكام الشيء ، ويقال حبك الثوب أجاد نسجه وحبك الحبل شد فتله . المعجم الوجيز ، ص١٣٢ .

النخيل ، وقد وجدت في مدينة زبيد أعداد كبيرة منهم وتحت إشراف مسؤول عنهم عرف بنقيب الحباكين ، وأشهر من عرف منهم في عصر السلطان المظفر الأول النقيب محمد الحيسي الحباك الذي احتل مكانة رفيعة بين أبناء صنعته(١) .

وإضافة إلى ذلك ، فقد عُرف بعض المحبلين : بالوفاعين ؛ لعملهم بصناعة الحبال المعروفة بالوفع المصنوعة من الطفي(٢) ، ثم توسعوا في عملهم هذا إلى إنتاج بعض الأدوات المنزلية كالمراوح اليدوية والأطباق والمناخل وغيرها ، وقد ضمت بعض المناطق كأبين والمهجم أعداداً من الوفاعين كالنقيب الأبيني في أبين ، وولد الشريف بالمهجم ، كما وجد أكبر تجمع للوفاعين في زبيد ، وكان عليهم نقيب يعرف بنقيب الوفاعين ، وعرف منهم في عصر السلطان المظفر الأول النقيب أبو بكر بن داؤد الوفاع الذي كان مسؤولاً عن أبناء صنعته في زبيد ، والمثمن لأسعار منتجاتهم المباعة على الناس في الأسواق(٣) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن هناك شريحة أخرى عرفت بإنتاج القفاع(٤) المعمولة من خوص النخيل أو الدوم(٥) ، وقد عرف أفرادها بالقفاعين(٦) رغم إنتاجهم لأدوات منزلية أخرى ، ومن أشهر من عمل في صنع القفاع الفقيه جمال الدين محمد بن عمر الشيباني (ت : ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م) الذي كان يعمل القفاع ويحملها على ظهره من الخوخة(٧) إلى حيس ليبيعها(٨) .

و – **شريحة صناع الفخار والخزف**(٩) : تخصص أفراد هذه الشريحة بتصنيع الأدوات المنزلية الفخارية والخزفية المستخدمة في البيوت ، وقد انتشر هؤلاء في مدينة صنعاء وزبيد والجند المشهورة بخبرة صانعيها في هذا المجال ، حتى أن بني رسول كانوا أكثر تعاملاً معهم لشراء لوازم مطابخهم السلطانية الضرورية لخبرتهم ولجودة موادهم المصنع منها هذه الأدوات ، كما اشتهر صناع منطقة المهجم بصناعاتهم الفخارية المدهونة الذي يستعمل في صناعتها الطين المعروف بالبياض الذماري ، وتعد مدينة ذمار مصدر الحصول عليه(١٠) ، كما وجدت مجاميع من صناع الخزف أيضاً في منطقة الدمينة القريبة من تعز والتي تعد من أكثر المناطق

---

(١) نور المعارف ، ج١ ، ص٩٢ ، ٩٥ ، ٢١٤ – ٢١٥ .

(٢) يقول الرازي : الطُفي هو الخوص . مختار الصحاح ، مادة (طفي) . وهو خوص شجر النخيل

(٣) نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٢ – ١٠٣ ، ٢١٦ – ٢١٧ ، ٢٢٦ – ٢٢٩ .

(٤) يقول الزبيدي : " القفعة وعاء متخذ من خوص النخيل تعبأ به البلح أو التمر " . تاج العروس ، مج٥ ، مادة (قفع) .

(٥) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٧٨ .

(٦) نور المعارف ، ج١ ، ص١٠١ ، ١٨٧ .

(٧) الخوخة : قرية على ساحل البحر الأحمر شمالي المخاء . الحجري : مجموع ، مج١ ، ص٣١٢ .

(٨) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٩) هناك فرق بين الفخار والخزف ، فالأول ما صنع من الطين الطمي فحسب دون تزجيج ، أما الخزف فهو المصنوع من الطين وقد غطي بطبقة من الزجاج بعد دهانه بماء الزجاج الذائب . أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص١١٣ .

(١٠) نور المعارف ، ج١ ، ص٥٤ – ٥٥ ، ١٠١ – ١٠٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ .

انتشاراً لأفراد هذه الشريحة وموقعاً من أهم مواقع تصنيعه[١] ، إلاّ أن تعقد حياة الناس تطلب وجود تخصصات بين أبناء هذه الشريحة لهذا انقسموا إلى قسمين : الأول عُرف أفراده بالمدارين[٢] لعملهم في صناعة الطين العادي المعروف بالمَدَر ، وكانت منطقة مودام صَبِر[٣] ومدينة زبيد من أكثر المدن انتشاراً للعاملين بالمَدَر وعرف منهم الصانع أبي بكر المدار الذي اشتهر بورشته التي تصنع أنواع الأزيار وآنية الطعام والغسيل وغيرها في زبيد[٤] .

أما القسم الثاني فعرف أفراده بالسكارجيين لإنتاجهم الفخار والخزف المدهون ، وقد انتشر هؤلاء في أسواق زبيد وصنعاء التي تميز صانعيها بخبراتهم في مزج الألوان التي يدهن بها الخزف منتجين العديد من التحف الفنية الجميلة التي تظهر مدى الدقة والإتقان في استخدام الألوان لتشكيل أنواع القطع التي كثيراً ما تصفها المصادر لنا بأنها مشعة وبراقة ومشرقة[٥] . وقد زاولت العديد من الأسر في زبيد صناعة الفخار الخزف المدهون مثل بيت السكارجي البغدادي ، كما وجد على جميع العاملين بها نقيب عرف بنقيب السكارجيين ، وكان أشهر من تولاها في زبيد النقيب يوسف القليعي[٦] ، وقد عرفت بعض المدن بأسواقها المتخصصة في بيع الخزف كسوق الخزف في عدن الذي يعد من أهم وأشهر أسواق ذلك العصر[٧] .

ز – **شريحة الحرضيين** : وعُرِفوا بتصنيع وتشكيل بعض الأدوات المنزلية الحجرية في بعض المناطق كمنطقة إتحم[٨] والمفاليس[٩] التي اشتهر الحرضيون فيها بنحت أنواع القدور والمقالي وسرج الإضاءة ، وقد برز في منطقة المفاليس عدد من الحرضيين الذين عرفوا بين أبناء صنعتهم مثل الصانع علي بن يوسف الحرضي الذي كان يعرض منتجاته في أسواق المفاليس ، كما اشتهرت بلاد رداع بوجود أعداد من العاملين في نحت وتشكيل الحجار ، وتميزوا بنحت أنواع القدور والمقالي والدسوت بأغطيتها وغيرها[١٠] .

ح – **شريحة الحصيريين (صانعي الحصير)** : وهي شريحة امتهن أفرادها صنع الحصير ، وقد وجدت لهم معامل في أسواق زبيد التي أبدع الحصيريون فيها في صنع الحصير والمطارح والسجاجيد الغالية منها والرخيصة من الكتان ، كما أبدعوا في تلوين ونقش وتشكيل

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٢] المَـدَر : قطع الطين اللزج المتماسك الذي لا رمل فيه . الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، مادة (المدر) .

[٣] مودام صبر : يبدو أنها منطقة أو قرية تقع في جبل صبر أشهر جبال تعز الواقع جنوبها . الويسي : اليمن الكبرى ، ص٥٢ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٠٨ – ٢١٣ .

[٥] المصدر نفسه والجزء ، ص٢١١ – ٢١٣ ، ٢٥٢ – ٢٥٤ .

[٦] نفسه والجزء ، ص٢١١– ٢١٢ .

[٧] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٩ .

[٨] إتحم : منطقة واقعة بين عدن ووادي نخلة من أرض شرعب ، وهي من أودية السكاسك . الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص١٣٦ .

[٩] المفاليس : من قرى الحجرية في بلاد الأثاورة . الحجري : مجموع ، مج٢ ، ج٤ ، ص٧١٥ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩ – ٥٠ ، ٢٥٦ – ٢٥٩ .

وزخرفة هذا الحصير ، ونتيجة لانتشار أفراد هذه الشريحة في هذه المدينة وضع على جميع صانعيها عدد من النقباء لتولي شؤونهم ، ويأتي على رأسهم النقيب أبوبكر بن محمد الجامعي وأبوبكر الحصيري الذي يعد من أشهر النقباء الحصيريين في زبيد في عصر السلطان المظفر الأول[١] ، في حين وجدت مجاميع من الحصيريين في تعز ، واشتهرت معاملهم بعمل الحصير البلدي المصنوع من الكتان ذات الأطوال والأشكال والألوان المختلفة[٢] .

ط – شريحة المشاعلية والشماعين (صانعي أدوات الإضاءة) : وكان لهم دور فعال في ذلك العصر لقيامهم بتصنيع أدوات الإضاءة المستخدمة من قبل جميع الناس ، وقد انقسم هؤلاء إلى قسمين هم : المشاعلية والشماعون ، وكان المشاعلية يصنعون أدوات الإضاءة من السراج الذي يقوم الحرضيون بصناعته من الحجر أو من المصابيح الزجاجية مستعملين مادة القطران[٣] المساعدة على الاشتعال ، والذبائل المصنوعة من القطن ، حيث توضع هذه الذبائل في السرج الممتلئ بمادة القطران مع بقاء طرف يسير منها خارجاً ليتم إشعاله طوال الليل ، ومن المؤسف أن المصادر لم تعطنا إلاّ معلومات قليلة جداً عن أفراد هذه الشريحة[٤] .

أما الشماعون[٥] فقد تخصصوا بتصنيع أدوات الإضاءة المعمولة من مادة الشمع[٦] لحاجة الناس الماسة إليها ولسهولة استعمالها وقلة تكلفتها ، وقد أنتج الشماعون أنواع الشمع ، إضافة إلى إنتاجهم أنواعاً من القماش المعروفة بالخرقة المطلية بالشمع والتي تستخدم لحماية الناس من مياه الأمطار[٧] ، وكان أجود ما صنعه الشماعون الشمعة المعروفة بالكافورية الموكبية السلطانية التي كانت تصنع لأفراد الأسرة الرسولية[٨] . أما عامة الناس فقد استعملوا لإضاءة بيوتهم المتواضعة نوعاً من الشموع يتم صنعه في أسواق شعبية خاصة ، وبمواد يسيرة التكلفة ، وتعد زبيد من أكثر المدن وجوداً للشماعين ، حيث تمتلئ أسواقها بمحلاتهم[٩] ،

---

(١) نور المعارف ، ج١ ، ص٨٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٢٢٥ .

(٣) القطران : دُهن شجر الشربين وهو من جنس الصنوبر الشديد السواد طيب الرائحة له فوائد طبية كثيرة ذكرها الملك المظفر ، وقد استعمل كثيراً من جميع أفراد المجتمع . المعتمد ، ص٣٠٨ . ويبدو أن المشاعلية كانوا يستعملون هذه المادة لإشعال أدوات الإضاءة بدلاً عمّا يعرف اليوم بالغاز الذي يساعد على الاشتعال .

(٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٥٣ ، ١٢٣ – ١٢٤ .

(٥) المصدر نفسه والجزء ، ص٩٠ ، ١٠٥ .

(٦) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص٤٨٤ .

(٧) نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٥ – ١٠٦ ، ٣١٥ .

(٨) كانت الشمعة الكافورية الموكبية تستخدم في المناسبات والأعياد والاحتفالات لجمال شكلها وطولها ولونها ، ولجودتها ولجودة المواد المستعملة في تصنيعها ، وكانت تصنع لنساء بني رسول هذا الشموع لاسيما النساء ذات المكانة في قصر السلطان ، كما صنع الشماعون شمعة اشتهرت في القصور السلطانية بالشمعة الفانوسية لوضعها في فانوس خاص بها . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣١٦ – ٣١٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٣٥ب .

(٩) نور المعارف ، ج١ ، ص٣١٥ – ٣٢٠ .

كما كانت عدن أيضاً مقراً لصناع الشمع ، حتى أن بعضهم سمي بالشماع نتيجة لمزاولته لهذه الصنعة ، مثل الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المغربي الأندلسي الذي اشتهر في أسواق الشمع بعدن بالشماع لتصنيعه الشمع ومتاجرته به(١) .

ي – **شريحة الزجاجيين** : لقد كان لحاجة الناس للمنتجات الزجاجية دور في ظهور شريحة عرف أفرادها بالزجاجيين(٢) لعملهم في صنع الزجاج(٣) ، وقد انتشر هؤلاء في زبيد التي احتوت أسواقها على ورش ومحلات الزجاج التي عملت على إنتاج وبيع أنواع وأشكال وألوان الأدوات الزجاجية المنزلية(٤) ، كما وجد عدد من صناع الزجاج في مدينة عدن وما حولها(٥) ، والمهجم التي اشتهر زجاجوها وعلى رأسهم الشيخ حسن الزجاج بصنع أنواع الزجاج(٦) ، ومن الملاحظ أن تلقيب حسن الزجاج بالشيخ جاء لتأكيد مكانة هذا الصانع بين أبناء صنعته .

ك – **شريحة صناع آلات الطرب** : لقد ساعد على انتشار أفراد هذه الشريحة ميل عدد من الناس إلى هذه الآلات للتسلي بها على أصوات المغنين الذين انتشروا بينهم(٧) ، وقد عمل هؤلاء الصنّاع على إنتاج أنواع الآلات الموسيقية المستعمل في صناعتها أدوات متعددة كالأخشاب والأوتار والعاج والفراء وغيره ، وكان أكثر ما أبدع في صنعه هؤلاء الصناع : العيدان المخصصة للعزف عليها عند الغناء ، ومن أشهر من عرف بصنع العيدان : محمد العيداني الذي كان خبير في صناعة وإصلاح العيدان في عصر السلطان المظفر الأول(٨) ، كما تنوعت آلات الطرب والملاهي الأخرى التي تم صنعها ، واختلفت أشكالها وأحجامها وصوت نغماتها التي تطلقها أثناء العزف ، فكان منها الرباب(٩) والدربج (الطبلة الصغيرة) وأنواع الدفوف المصنوعة في زبيد(١٠) ، ومما زاد من الاهتمام بصناعة آلات الطرب والملاهي حاجة الدولة الرسولية لشرائها واستخدامها ضمن آلات الطبلخانة التابعة لبني رسول لكثرة استخدامها من قبلهم في الموسيقى العسكرية التي كانت تضرب كل ليلة على

---

(١) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٣٨ .

(٢) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠١ .

(٣) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص٤٨٣ .

(٤) عن هذه المنتجات الزجاجية انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠٦ – ٣٠٩ .

(٥) انظر : بورتر ، فنيشيا : الزجاج ذو الزخارف المموهة بالمينا المصنوعة لسلاطين بني رسول ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، تر : نهى صادق ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، د . ت ، ص١٩٠ – ١٩١ ؛ الزجاج المزخرف المصنوع للعائلة الرسولية في اليمن تر : سعيد عبد الخير النوبان ، بحث منشور في كتاب الدولة الرسولية في اليمن للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٥٥ .

(٦) انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠١ – ٣٠٥ .

(٧) سوف يتم الحديث عن أهل الطرب والغناء والرقص في عصر بني رسول لاحقاً انظر : ص٢٢٦ .

(٨) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥ – ٤٣ ، ٩١ .

(٩) يقول الزبيدي : " الرباب آلة لهو لها أوتار يضرب بها " . تاج العروس ، مج١ ، مادة (ربب) .

(١٠) عن هذه الدفوف انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٣ – ٤٧ ، ٨٦ .

باب السلطان[١] ، وكان أهم ما يصنع للطبلخانة السلطانية الأبواق والطبول بأنواعها التي أشهرها النقارة[٢] ، والكوسات والصنوج والدفوف ، وتعد زبيد أكثر المدن وجوداً لأفراد هذه الشريحة[٣] .

ل – **شريحة الخيزرانيين** : وهي شريحة اشتهرت بصناعة أنواع مختلفة من الأدوات المستعملة في حياة الناس اليومية والمصنوعة من الخيزران[٤] كالقعائد (الأسرّة) والمشاجب[٥] ، وقد ضمت مدينة عدن أعداداً منهم ، وكثيراً ما كان يستعين بهم سلاطين بني رسول لإصلاح أو صنع بعض أدواتهم المنزلية المصنوعة من الخيزران ، وعند قدومهم من عدن إلى قصر السلطان في تعز يصدر للخيزراني مرسوم رسمي من السلطان ؛ وبموجبه يدفع للخيزراني مبلغ خمسة عشر دينار بدل سفر مقابل قدومه وعمله[٦] .

م – **شريحة صنّاع الصابون** : كان لاستعمال الصابون على نطاق واسع في تلك المدة من قبل معظم سكان اليمن[٧] دور في إيجاد أفراد هذه الشريحة الذين أقاموا معاملهم في مناطق مختلفة من اليمن كالمهجم التي اشتهرت بصناعته ، وكانت تلك المصانع تنتج نوعين من هذا الصابون ، عرف الأول بالخاص والنقي لجودة المواد التي يُصنع منها وكبر تكلفتها ، لاستخدامه من قبل الفئات ميسورة الحال والغنية ، وعرف الثاني بكثرة شوائبه وقلة تكلفة صناعته وهو ما كان يباع على عامة الناس وفقرائهم بأسعار رخيصة وغير مكلفة ، وقد ضمت مصانع الصابون أعداداً من العاملين فيها[٨] نتيجة لمروره بمراحل متعددة حتى يتم إنتاجه وتجهيزه للمستهلك[٩] .

ن – **صنّاع الخمور** : كان لانتشار شرب الخمور بين أوساط بعض الناس وزيادة الطلب عليها في عصر بني رسول[١٠] دور في ظهور جماعة من الناس مارسوا صناعة الخمور وبيعها في بيوتهم أو في معامل جهزت خصيصاً لذلك ، وقد تميز هؤلاء بسوء خلقهم

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٧ – ٨ ، ١٣ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٣ ؛ الملك الأفضل : رسالة في القتال ، ص٧٧ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٤ ، ١٠٦ – ١٠٧ .

[٤] الخيزران : القصب وكل عود لَدْن . الأرناؤوط ، شفيق : قاموس الأسماء العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص١١١ . والخيزران نبات استوائي ضخم يستخدم في أغراض تجارية عدة ، وتعد الهند مصدر زراعته والحصول عليه . الشهابي ، مصطفى محمد سعيد : معجم مصطلحات العلوم الزراعية ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص٥٦ .

[٥] سوف يتم الحديث عن المشاجب لاحقاً . انظر : ص٢٣٨ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٥١ ، ١٠٥ ، ١٧٠ ، ١٨٣ ، ٤٢٧ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٨ .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص٣١٢ – ٣١٤ .

[٩] عن هذه المراحل انظر : الملك المظفر : المخترع ، ص١٩٨ – ٢٠٠ .

[١٠] عن انتشار شرب الخمور بين أوساط الناس على اختلاف طبقاتهم في عصر بني رسول انظر : ص٢٧٢ – ٢٧٤ .

وتدني منزلتهم في المجتمع لحقارة الصنعة التي يزاولونها ، إذ كانوا يقيمون معاملهم بين بيوت الناس وبالقرب من المساجد والأماكن المقدسة ويبيعون منتجاتهم في أسواقها دون مراعاة لشعور غيرهم ، كما أخذ بعضهم في أذية من حولهم ومضايقتهم والتعدي عليهم ، وتعد مدينة عدن من المدن اليمنية التي انتشر فيها صناعة الخمور في ذلك العصر ، إذ كان بها العديد من البيوت التي يزاول أهلها صنع الخمور ، وعلى الرغم من المضايقات والاعتداءات التي كان يواجهها أفراد هذه الشريحة من قبل بعض الفقهاء والعلماء وطلاب العلم إلاّ أن بعض ولاة بني رسول كانوا يحمونهم ويدافعون عنهم ويتصدون لكل من يحاول التعدي عليهم أو مضايقتهم لمّا كان يدفعه هؤلاء من مبالغ مالية وضرائب للديوان السلطاني[١] ، حيث حددت الدولة مبالغ على كل معمل من هذه المعامل ، بل عملت الدولة على تعيين ضامن لبيوت ومعامل الخمور هذه يتكفل بتسليم مبلغ سنوي للدولة مقابل ضمانته لهذه للخمور وصانعيها[٢] .

كما وجدت في زبيد أعداد من صناع الخمور الذين اشتهروا بصناعة النبيذ المعروف بالفضيح والمصنوع من التمر والبر والشعير والرطب ، وكان هؤلاء يستغلون بعض المواسم والاحتفالات لزيادة منتوجهم لاسيما في موسم سبوت النخل الذي تكون أسواقه موقعاً لبيع نبيذهم الذي يلقى رواجاً كبيراً بين الناس في زبيد ونواحيها لكثرة تجمع الأهالي من زبيد والمناطق المجاورة لها ، فيبيع صناع الخمور ما لديهم على الحاضرين والمحتفلين من الرجال والنساء[٣] ، كما وجدت في منطقة الشحر في حضرموت عدد من العاملين في صناعة الخمور الذين كانوا لا يصنعونه من العنب وإنما يصنعونه من الأرز والسكر والبلح ويصفه لنا ماركو بولو بأنه شراب لذيذ الطعم[٤] . وعلى الرغم من المكاسب التي كان يجنيها أفراد هذه الشريحة من أموال إلاّ أنها كانت شريحة غير مرغوب فيها بين أفراد المجتمع ، لهذا كان الناس يكرهون أفعالهم المنافية لتعاليم الدين الإسلامي والدخيلة على المجتمع اليمني المحافظ .

---

(١) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٩٤ – ٣٩٥ ؛ الشرجي ، طبقات الخواص ، ص١٨٢ .

(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٩٠ .

(٣) المصدر نفسه والجزء ، ص٧٩ – ٨٠ .

(٤) رحلات ماركو بولو ، ص٩٣ .

٧ – فئـــة أرباب الحرف :

وهي من الفئات الاجتماعية المهمة التي قدمت الكثير من الخدمات للمجتمـــع ، وقـد عرف أفرادها بخبرتهم وإتقانهم للعمل الذي يقومون به ، ويمكن أن نقسم أرباب الحرف إلـــى الشرائح الحرفية التالية :

أ – **شريحة البنّائين** : تثبت الشواهد المعمارية التي ترجع إلى عصر الدولة الرسولية من قصور ومساجد ومدارس وحصون ، وما احتوته هذه الشواهد من رسوم ونقوش وزخـــارف[١] أن هناك شريحة واسعة عملت في مجال البناء ، وتميزت بالخبرة والإتقان في مجال عملها .

وقد عُرف البنّاء بأنه الحرفي الذي يقوم بتعمير المباني وتشييدها ، ويعد هذا المصطلح مصطلحاً عاماً يضم مجموعة العمل التي تقوم بالتعمير[٢] ، ويأتي البنّـــاء علـــى رأس هـــذه المجموعة ، حتى أنه يلقب بألقاب تميزه عن باقي العاملين معه ، كلقب الأستاذ أو المعمار[٣] ، أما بقية العاملين المشاركين في عملية البناء إلى جانب المعمار فهم حرفيون تخصص كل منهم في جانب معين من البناء مثل : الصانع المنور المـــتقن لأعمـــال النـــورة ، والمُقَضّـــض[٤] والدلاك[٥] والنجار وأصحاب الجوامك[٦] والجعلاء[٧] والسائق الذي يقـــوم بترديـــد الأراجيـــز والأناشيد لحث الجميع على العمل ، ويتحصل كل حرفي من هؤلاء على راتب يحدده نوعيـــة العمل الذي يقوم به ، إضافة إلى وجبة غذاء يُفرض على صاحب العمل توفيرها للعمال أو دفع مبلغ مالي لكل واحد منهم مقابل غذائه في حالة عدم توفيره من قبل صاحب العمل ، فضلاً عن أجرته التي يدفعها له[٨] ، ويشير الخزرجي[٩] إلى وجود عمال آخرين كانوا يشـــاركون فـــي أعمال البناء في ذلك العصر كالنجار والدهان والنحـــاس والصـــانع والمكنـــدح[١٠] والمـــرخم

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ ، ج٢ ، ص٦٨ – ٦٩ ؛ شيحة ، مصطفى عبد الله : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية ، ط١ ، وكالة أسكرين ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٨٣ – ٩٦ ؛ خليفة ، الفنون الزخرفية اليمنية ، ص١٨٠ – ١٨٧ ؛ الحداد : الاستحكامات الحربيّة بمدينة زبيد ، ص٣٦٦ – ٤١٤ .

[٢] آل راشد : المصطلحات المتعلقة بالحرف التقليدية ، ص١١ ، ٢٦ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١١١ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٤أ . ويعرف البناء اليوم بالمعلم والأسطى .

[٤] المُقَضّض : الذي يعمل في القضاض وهو الأسمنت . انظر : حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤١٧ .

[٥] الدلاك : ويبدو من خلال التسمية أنه من يعمل خلف المقضض إذ يدلك الجدار لينعمه وينظمه بعد المقضض .

[٦] أصحاب الجوامـــك : وهم العامليـــن في البناء بمرتبات شهرية . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٩٩ ، ح رقم (٢٩٩٨) . كما يبدو أنهم من يطلق عليهم اليوم اسم الشقاة وعلى الواحد منهم اسم الشاقي .

[٧] الجعـــلاء : وهم الرجال الأشـــداء الذين يمارسون العمل العضلي في الزراعة والبناء كالحمالة ورفع الحجار والحفر وغير ذلك ، وقد اشتهر هؤلاء الجعلاء بمشاركتهم في بناء الحصون والقلاع . انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٦٤ .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص١١١ ، ٣٣٥ ، ٣٩٩ – ٤٠٠ .

[٩] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٧ – ٣٨٠ .

[١٠] المكندح : لم نحصل على معلومات عن صاحب هذه الحرفة التي يبدو أنه من العمال المساعدين لمعلمين البناء .

والمزخرف والمصور والحمالين من العمال الذين يحملون أدوات البناء على ظهور البغال والحمير وغيرهم ممن يحملون على ظهورهم .

لقد كان البناؤون المتمرسين يحصلون على مبالغ مالية مقابل عملهم قد تصل إلى عشرين ألف دينار مقابل بناء دار من الدور السلطانية مثلما أعطي لبنائين دار النعيم في المقرانة[١] ومساعديهم[٢] ، كما أكرم هؤلاء من قبل أصحاب العمل[٣] بتوفير الأطعمة المختلفة لهم[٤] ، وبلغ الأمر بالبعض إلى تقديم اللحم بشكل يومي لهم لتشجيعهم على العمل[٥] . ومن الملاحظ أن ارتفاع أجرة البنائين جاء نتيجة لمشقة وخطورة العمل الذي يقومون به ، لاسيما عند عملهم على مستوى مرتفع عن الأرض في المباني المرتفعة أو عند بنائهم للحصون والقلاع المعلقة على رؤوس الجبال ، مما يعرض حياتهم للخطر والموت إذا ما سقط أحدهم إلى الأرض ، ويذكر الشرجي[٦] تعرض العديد من البنائين للموت عند بنائهم للمسجد الذي أمر بتعميره الفقيه أبو عبد الله محمد بن عيسى الزيلعي (ت : ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م) في قريته التي لم يذكر الشرجي اسمها ، فمنهم من مات ومنهم من انكسرت رقبته إثر سقوطه ، ورغم خطورة عملهم إلاّ أن مستوى الدخل الطيب الذي يحصلون عليه دفعهم إلى الاستمرار في أعمال البناء .

ولا ريب في أن الزخارف كانت أجمل ما عمله أفراد هذه الشريحة في أثناء تعميرهم للمباني ، إذ تبين لنا المستوى الرفيع الذي وصل إليه المزخرفون في هذا المجال[٧] ، وكان أشهر من عرف في عصر بني رسول بأعماله الزخرفية المؤرخ الشيخ أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت : ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) المعروف بالنقاش الذي كان مقدم أهل تلك الصنعة قبل انتقاله للعمل في تدوين تاريخ الدولة الرسولية[٨] وغيره[٩] .

---

[١] المقرانة : بلدة وحصن في عزلة حجّاج من مخلاف الحبيشية على مسافة (٢٠ كيلو متراً) في الغرب من جُبَن برداع . الأكوع ، إسماعيل بن علي : هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ج٤ ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٢١٠٢ – ٢١٠٣ .

[٢] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٦ ، ١٠٨ .

[٣] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٨ .

[٤] لم تكن ميزة تقديم الأطعمة للحرفيين من البنائين موجودة في اليمن فحسب بل كانت منتشرة في بعض الأقطار الإسلامية كمصر مثلاً لطبيعة عمل أفراد هذه الشريحة في الدور والمنازل . انظر : سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، د . ن ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص٧٣ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥ ب .

[٦] طبقات الخواص ، ص٢٩١ .

[٧] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٢٨ .

[٨] انظر : الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٧ب ؛ نهى صادق : المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر ، منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٢٠٨ – ٢١٠ .

[٩] للمزيد من التفاصيل عن دور المعماريين والمزخرفين في عصر بني رسول انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١١١ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٢ ؛ خليفة : الفنون الزخرفية اليمنية ، ص١٨٠ – ١٨٧ .

وفضلاً عن ذلك ، وجدت شريحة أخرى ارتبط عمل أفرادها بالبنائين ، وعرف هؤلاء بأصحاب المقالع وهي الأماكن الجبلية التي تقلع منها أحجار البناء التي يستخدمها البناؤون في عملية البناء ، وقد سخر للعمل في هذه المقالع أعداد من العبيد والجواري المملوكين لأصحاب المقالع الذين انتشروا في بعض المناطق الجبلية كالجبال المحيطة بمدينة عدن[١] .

ب – **شريحة النجارين** : وهي شريحة واسعة قدمت للمجتمع خدمات جليلة بمنتجاتها ، وتميزت بمزاولتها من قبل العديد من الناس على اختلاف مكانتهم وتفاوت مراتبهم[٢] ، لما كان لها من حاجة ماسة في حياتهم اليومية ، وقد انتشر النجارون في بعض المدن كمدينة عدن التي احتوت على مجموعة كبيرة منهم ، وكان من أبرز من اشتهر فيها في ذلك العصر الحرفي علي بن أحمد العدني النجار[٣] ، علماً بأن النجارين ميزوا بتخصصاتهم المختلفة ، فعرف منهم الخراطون الذين يعملون على نحت الأخشاب و تشكيلها في مدينة زبيد ، وأشهرهم الأستاذ يعقوب بن أحمد الخراط وعمر بن يوسف ، وقد هيأ الخراطون لأنفسهم الأجواء المناسبة للعمل إذ كانوا يجلسون في ورشهم على كراسي صنعت خصيصاً لهم ، فيمارسون عملهم وهم جالسون عليها ، ونتيجة لأهمية حرفة النجارة والخراطة وضعت الدولة القوانين المنظمة للعمل بها ، لهذا برع هؤلاء في خرط الأخشاب التي أصبحت بمثابة تحف فنية تدل على خبراتهم[٤] .

وفي الوقت نفسه ، وجدت شريحة حرفية أخرى في زبيد تعد حرفتها مكملة لما يقوم به النجارون والخراطون ، وعرف هؤلاء بالنقاشين لقيامهم بنقش الأخشاب بعد خرطها ومِنْ ثَمَّ تلوينها بألوان مختلفة وجميلة تتناسب وشكل القطعة المخروطة ، ويخضع جميع النقاشين لنقيب يكون مسؤولاً عنهم وعن أعمالهم ، ومن أبرزهم النقيب صالح بن محمد الذي عرف في عصر السلطان المظفر الأول في زبيد بنقيب النقاشين[٥] .

وكيفما كان الأمر ، فقد أوجد النجارون لأنفسهم أسواقاً خاصة ، وخصصوا أياماً محددة في الأسبوع لتلك الأسواق لعرض منتجاتهم وبضائعهم أمام الناس ، ويشير الخزرجي[٦] إلى أحد تلك الأسواق المعروف بسوق المنجارة الذي يبدو أنه كان يضم عدداً من ورش النجارة ، كما يذكر الوصابي[٧] أن نجاري بلاد بني الشعيبي في وصاب كانوا يقيمون لهم سوقاً في يوم معلوم في الأسبوع يعرضون فيه منتجاتهم الخشبية .

---

[١] عن أسماء بعض ملاك هذه المقالع في جبال عدن انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٢٦ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦٤ ، ٤١٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٩ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٠ ، ٣١ .

[٤] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٣١ ، ٢٣٢ – ٢٣٧ .

[٥] نفسه والجزء ، ص٢٣٧ – ٢٣٩ .

[٦] العقد الفاخر الحسن ، ص٧٥ .

[٧] تاريخ وصاب ، ص١٦٠ .

وقد برع النجارون في العصر المذكور في صناعة بعض المعدات العسكرية الثقيلة وإصلاحها كالمنجنيقات والزحافات التي يستظل تحتها الجنود في المعارك عند مهاجمتهم للمدن والحصون لتقيهم سهام العدو ورماحه ، ويعد نجارو مدينة صنعاء أكثر إبداعاً في صنع هذه الزحافات[١] ، كما عرف نجارو مدينة عدن بخبراتهم في صناعة السفن التي كانوا يشترون خشبها من أسواق هذه المدينة ومحلاتها[٢] ، إذ عمل بعضهم في ورش خاصة بالدولة ، وتميزوا بالسرعة والدقة في بناء مختلف أنواع السفن[٣] .

ج – شريحة دباغي الجلود : وقد وجدت في اليمن منذ مدة زمنية سابقة على قيام الدولة الرسولية[٤] ، إلاّ أن المصادر لم تورد إلينا معلومات كافية عن دورها في ذلك العصر ، سوى إشارات يسيرة نستنتج من خلالها أن هناك شريحة حرفية عملت في دباغة الجلود في مدينة تعز وتخصصت في الجلود التي يستعملها الناس لنزح مياه الآبار ، وكان هؤلاء يدبغون الجلود بالطريقة التي يدبغ بها دباغو بلاد الشام نتيجة لتأثرهم بهم[٥] .

وقد ساعد انتشار مدابغ الجلود على تطور هذه الحرفة ، وانخراط عدد كبير من الناس للعمل بها ، حتى أن الحرفيين فيها ارتبطوا بحرفيين آخرين تخصصوا في صناعة الجلود المختلفة التي عرفت في ذلك العصر[٦] .

د – شريحة الصبّاغين : وهم من يقومون بصباغة الأقمشة والثياب وتلوينها ، وقد ساعد على انتعاش حرفتهم وزيادة الطلب عليها توافر المواد المستعملة في الصباغة التي اشتهرت بها اليمن[٧] ، لذلك أوجدوا لهم مصابغ خاصة في بعض المدن كزبيد التي ضمت أعداداً منهم من ذوي الخبرة[٨] ، ونستنتج من خلال ما يذكره الملك المظفر[٩] عن مراحل عملية صباغة الأقمشة أن هناك ترتيباً متسلسلاً يخضع له جميع العاملين في هذه الحرفة التي يأتي على رأسهم حرفي يعرف بالمعلم ، ويخضع له عدد من الصباغين المساعدين له في الحرفة مثل القصّار[١٠] المعروف بأنه محوّر الثياب ومبيضها ، ويعد عمله هذا جزءاً من عمل الصباغ[١١] ، ويشاركهم العمل أيضاً

---

[١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٣٣ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص١٨٦ – ١٨٧ .

[٣] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٩ .

[٤] الحديثي : أهل اليمن في صدر الإسلام ، ص٧٥ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٦ – ٧ .

[٦] عن أصحاب الصناعات الجلدية انظر فيما سبق : ص١٦٧ – ١٦٨ .

[٧] عن هذه المواد انظر فيما سبق : ص٣٢ .

[٨] نور المعارف ، ج١ ، ص٦٨ – ٦٩ .

[٩] انظر : المخترع ، ص١٥٩ – ١٧٨ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٠ .

[١١] دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٢٤ .

حرفي آخر يقوم باستعمال المكمدة أو المدقة التي تضرب بها الثياب عند إخراجها من الماء الحار بعد صبغها لتثبيت الألوان وزيادة بريقها ولمعانها[١] ، وبعبارة موجزة فقد برع الصباغون في صبغ أنواع مختلفة من الأقمشة متميزين بقدراتهم على انتقاء الألوان المناسبة ومزجها وتنسيقها[٢] .

هـ – **شريحة المجلدين** : لقد كان لحركة التأليف والنسخ[٣] التي شهدتها الدولة الرسولية للمصاحف والكتب من مؤلفات العلماء ودواوين الشعراء والسجلات والدفاتر وغيرها دور في ظهور شريحة حرفية امتهنت عملية تجليد المصاحف والكتب وحبكها وزخرفة أغلفتها بأنواع النقوش والأشكال والألوان[٤] ، وقد عرف أفرادها بالمجلدين ، وتعد زبيد أكثر المدن انتشاراً لهؤلاء ، وتذكر المصادر اسماً لأحد هؤلاء المجلدين وهو الحرفي سفرة المجلد الذي يبدو أنه كان يتعامل مع الدولة الرسولية فيجلد لموظفيها سجلات كتاب الدرج وسجلات غيرهم من كتاب بني رسول ، إضافة إلى تجليده للمصاحف وللكتب التي كانت تمتلئ بها خزائن الكتب التابعة لبعض السلاطين مقابل أجر شهري يقدر بحوالي خمسة دنانير شهرياً[٥] .

٨ – فئة أرباب المهن :

وهي من أكثر فئات طبقة العامة انتشاراً في عصر بني رسول ، وقد انقسمت إلى عدة شرائح تفاوتت أعداد أفرادها بين الكثرة والقلة ، وكان لبعضها تأثيره في المجتمع لكثرة عدد المنتسبين إليها ، وأهم شرائح هذه الفئة : شريحة الصيادين ، والحمالين ، والعصارين ، والجمالين ، والجزارين ، والباعة الجوّالين ، والحطابين ، والسقائين ، والطحانين ، وأصحاب وعمال المطاعم والمخابز ، والحلاقين ، والمغسلين ، والحماميين ، والسراجين ، والقبارين ، والمغنين الذين كونوا شرائح بسيطة ليس لها تأثير في المجتمع ، ومع ذلك شكّل أصحاب هذه المهن جزءاً مهماً من المجتمع لا يمكن تجاوزه أو تجاهله أو غض الطرف عنه لأهمية وضع بعضهم الاجتماعي وخدماتهم التي يقدموها لغيرهم ، وتعود القاعدة الأساسية لهؤلاء إلى عامة الناس وأبسطهم وأقلهم مكانة ، لتدني المستوى المعيشي والمهني لبعضهم ، لهذا سنقوم بدراسة منفردة لكل شريحة مهنية على حدة محددين وضعها في المجتمع ودورها فيه وموقعها بالنسبة إلى غيرها :

أ – **شريحة الصيادين** : انتشر أفراد هذه الشريحة على سواحل المدن والقرى اليمنية ، وتعد سواحل مدينة عدن أكثر سواحل اليمن وجوداً لهم ، حيث كانوا يزاولون مهنتهم هناك

---

[١] الملك المظفر : المخترع ، ص١٧٣ – ١٧٤ .

[٢] عن هذه الملابس والألوان التي تعامل معها الصباغون انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٦٩ – ٧٠ .

[٣] عن النساخين انظر فيما سبق : ص١٥١ .

[٤] عن خبرة هؤلاء المجلدين في عملية تجليد الكتب والمواد المستعملة في ذلك انظر : الملك المظفر : المخترع ، ص١٠٣–١١٩ .

[٥] للمزيد انظر : نور المعارف ، ج١ ، ٢٠٨ ، ٣٢٤ – ٣٣٠ ، ٥٦٦ .

لكثرة الصيد الذي يعد مصدر رزقهم الوحيد[١] ، ويذكر ابن بطوطة[٢] الذي زار عدن في عصر بني رسول أن معظم سكان عدن من الصيادين الذين يعتمدون في أرزاقهم على صيد السمك وبيعه ، كما استقرت جماعات من الصيادين على سواحل منطقة تهامة المعروفة بوفرة أسماكها التي تزخر بها ، وأقاموا أسواقاً خاصة لبيع أنواع الأسماك في زبيد[٣] ، كما أقاموا الأسواق لبيع الأدوات الخاصة بالصيد وأهمها سوق الشباك الذي يشتري منه صيادو زبيد شباكهم ليصطادوا بها[٤] ، في حين ضمت سواحل الشحر أعداد كبيرة من صيادي السمك الذين يصفهم لنا ماركو بولو[٥] بأنهم صيادون مهرة يصيدون التونة بمقادير ضخمة ، وقد تميزوا بأنهم كانوا يمارسون إلى جانب صيد الأسماك مهناً أخرى كتربية الحيوانات من الأغنام والأبقار والخيول مع تردي أوضاعهم المعيشية ، كما امتهنت شريحة واسعة من أبناء ظفار الحبوضي صيد الأسماك ، وأخذوا في بيعها في الأسواق ، وكان أشهرها المعروف بالسردين ، حتى أن طعام دوابهم هو هذا النوع من الأسماك وهو ما أثار العجب عند ابن بطوطة[٦] ، كما عمل جزء كبير من سكان جزيرة سقطرى في صيد الأسماك ، وأخذوا يتنافسون على صيد نوع معين من الحيتان الكبيرة التي يستخرج منها العنبر[٧] الذي يعد سلعة تجارية تاجر بها صيادو الجزيرة ، علماً بأنهم تميزوا بخبرتهم وإتقانهم لعملية صيد مثل تلك الأسماك الكبيرة[٨] .

وقد عاش الصيادون على سواحل عدن وغيرها حياة متواضعة في بيوت معمولة من خوص النخيل[٩] لتدني مستواهم المعيشي وعجزهم عن العيش في حياة أفضل ، ومع ذلك وضعت الدولة عليهم ضامن يأخذ منهم ضرائب على ما يصطادونه ، كما كان هناك ضامن على قواربهم وما تحمله من الأسماك إلى الأسواق[١٠] ، مما أرهقهم وزاد من سوء حالهم .

ب – شريحة الحمالين : عاش الحمالون في المدن التجارية الكبرى كمدينة عدن التي شهد ميناؤها حركة استيراد وتصدير تجارية كبرى ، حتى أنهم شكّلوا معظم سكانها ، وقد أدى أفراد هذه الشريحة دوراً كبيراً في إنزال البضائع من السفن التجارية وتحميلها[١١] ، ويبدو أن

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٦٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٨٥ .

[٢] تحفة النظار ، ج٢ ، ص٢٦٠ .

[٣] عن تلك الأسماك التي كان يصطادها أفراد هذه الشريحة على سواحل زبيد انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

[٤] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٩ .

[٥] رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٩٤ .

[٦] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

[٧] العَنْبَر : يعرف بزبد البحر ، ويستخدم في علاج العديد من الأمراض . انظر : الملك المظفر : المعتمد ، ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

[٨] ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨٠ .

[٩] ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٤٦٦ .

[١٠] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٨٩ .

[١١] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٠ ، ٢٦١ .

الغالبية منهم كانوا يتميزون بقوة بنيتهم الجسمانية لمشقة عملهم والمجهود الذي يبذلونه ، لهـذا كان أكثر المزاولين لمهنة الحمالة من العبيد ذوي الأجسام الضخمة والقوية ، وكثيراً ما كـان الحمالون ينشطون في عدن في مواسم محددة مثل موسم بيع الفوة عند دخوله إلى عدن[١] ، إذ يتولون إنزاله من القوافل ثم يتولون نقله على ظهورهم إلى السفن الراسية في البحر .

ج - **شريحة العصارين** : وعُرفوا أيضاً بالسلاّطين[٢] ، لعملهم في عصـر الزيـت أو السليط وبيعه ، وقد برزت أهميتهم من خلال ما يقدمونه للناس من خدمات أهمها توفير أنواع السليط الحلو المذاق المستخرج من حبوب السمسم المعصور المستّخدم ضمن الوجبات الأساسية من قبل جميع اليمنيين على اختلاف مكانتهم ومراتبهم الاجتماعية[٣] ، ورغم انتشار العصارين في جميع مدن وقرى وبوادي اليمن إلاّ أن كثيراً منهم أقاموا معاصرهم في أسواق مدينة زبيد ، ومن هذه الأسواق أخذوا في تصريف السليط إلى بعض المناطق المجاورة ليباع بأسعار مختلفة حسب جودة ونوعية السمسم المعصور[٤] ، وقد أقام العصارون في زبيد سوقاً خاصاً بهم ضم جميع معاصرهم وعرف بسوق المعاصر لكثرة ما فيه منها[٥] ، إذ عدت تلك المعاصـر فـي عصر السلطان الأشرف عمر الأول سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م فبلغت ستة أو سبعة وثلاثين عوداً أو معصرة[٦] ، وهو عدد كبير بالنسبة لمدينة مثل زبيد في ذلك العصر ، مما يدل على كثـرة عدد أفراد هذه الشريحة المزاولين لهذه المهنة .

كما وجد في المهجم أعداد من العصارين الذين دعت حاجة السوق فيها إلى قيـامهم بتوفير أنواع السليط لزيادة الطلب عليه في تلك الأسواق ، مما دفع بعض أهالي المهجـم مـن ميسوري الحال إلى فتح معاصر لتوفير حاجة السوق ، وتعيين مجاميع من الناس للعمل في هذه المعاصر مقابل أجر معين يحدده مستوى ما ينتجه العصار من سليط[٧] ، وقد تميز العصارون بملابسهم التي يعرفون بها عند مزاولتهم للعمل في عصر الجلجل أو عند بيعهم دهنه[٨] .

د - **شريحة الجمالين والحمارين** : وهي شريحة عمل أفرادها على نقل البضائع والبشر على ظهور بعض الدواب كالجمال التي سخرها أصحابها للحمالة تكسباً للرزق والمعيشة ، وقد لقيت هذه الجمال عناية واهتماماً كبيراً من قبل معظم الجمالين للدور الكبير الذي تقوم بـه[٩] ،

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٩ .

[٢] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٦١ .

[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٦أ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٧١ ، ١٢١ ، ٣١٠ - ٣١٢ .

[٥] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٧ب .

[٦] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٤ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣١١ - ٣١٢ .

[٨] عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٦١ .

[٩] عن كيفية العناية التي أعطاها الجمالون لجمالهم في عصر بني رسول انظر : الملك الأشرف : المغني في البيطرة ، ق٨٦أ - ب .

وأخذوا في انتقاء أفضلها لهذه المهمة ، وقد اختلف الجمالون من حيث نوعية المهمة التي سخروها لعمل جمالهم في الأسواق ، فمنهم من سخرها لنقل الركاب بين المدن أو داخلها ، أو لنقل البضائع التجارية من قماش وخضار وفواكه وغيرها من مدينة إلى أخرى والعكس[١] .

وكان الجمالون ينشطون في بعض المواسم كموسم السبوت ، إذ ينقلون الناس فيه من مدينة زبيد إلى ساحل البحر ، ويعملون في مثل هذه المناسبات على تزيين جمالهم بالثياب المطرزة والمزركشة لجذب أنظار الزبائن إليها ، كاسبين من وراء ذلك الأموال الكثيرة لزحمة الناس وتدافعهم للركوب ، وقد بلغ الأمر بالجمالين إلى أن يُركِبون على الجمل الواحد ما يقارب أربعة أشخاص دون أن يتضايق أحدهم لزحمة الحاضرين وكثرة عددهم في مثل هذه المواسم[٢] . كما استغل بعض المشتغلين بهذه المهنة قيامهم بنقل الركاب بين المناطق والمدن البعيدة ليعملوا على ابتزاز من معهم من الركاب المستأجرين للدابة ، لاسيما عند وصولهم إلى بعض المناطق المنقطعة عن الناس ؛ إذ يقومون بنهب أموالهم وقتلهم في حالة رفضهم ذلك ، كما حدث للفقيه أبي القبائل عبد الرحمن بن حسن الحميري سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م الذي قتل على يد أحد هؤلاء الجمالين بعد أن طلب منه الفقيه المذكور توصيله إلى صنعاء ، فقتله في منتصف الطريق ونهب ما معه من مال[٣] . في حين استغل بعض الجمالين مهنتهم في تهريب بعض المطلوبين للدولة بإخفائهم بين البضائع المحملة على الجمال[٤] ، ومع ذلك كانت حياة أفراد هذه الشريحة محفوفة بالمخاطر ، لاسيما من يقومون بالسفر البعيد ونقل البضائع بين المدن والمناطق المتباعدة ، ويذكر الخزرجي[٥] عن أحد الجمالين ويعرف بسليمان الخنوق أنه تعرض للموت بما معه من جمال وغرق البضائع المحملة عليها بسبب تدفق مياه السيول عليه أثناء وجوده في أحد مضايق الجبال .

كما عمل بعض الناس على استخدام الحمير في نقل البضائع في الأسواق ، وأخذوا في كسب أرزاقهم من وراء هذا العمل ، ويبدو أن هؤلاء هم من سماهم ابن المجاور الحمارين[٦] .

هـ - شريحة الجـزارين : زاول الجزارون مهنتهم في بعض المدن الكبرى[٧] ، وأقاموا لهم أماكن لذبح المواشي وبيعها ، وقد عرفت هذه الأماكن بالمجازر ، ويشير الخزرجي[٨] إلى أحد تلك المجازر في زبيد في أثناء حديثه عن حريق وقع سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م بالقرب منها ،

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١١١ ، ١٧٠ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٩ – ٨١ .

[٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤١٠ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣١٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٥١أ ، ٢٥٢ب .

[٥] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩١ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٤٧أ .

[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٩٩ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١٧ ، ٢٣٤ .

[٨] الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ٢١٧ .

وتورد بعض المصادر معلومات قيمة عن أسعار اللحوم التي كانت تباع في أواخر عهد السلطان المظفر الأول ، ويحدد هؤلاء الجزارون أسعارها بموجب نوعية الذبيحة وسنها ومذاق لحمها ورغبة الناس فيها ، فكانوا يبيعون لحم الغنم من الضأن الرطل والنصف بربع دينار ، ويبيعون لحم الغنم من الماعز الرطلين بربع دينار ، ويبيعون اللحم البقري الثلاثة الأرطال بربع دينار[١] .

لقد كان الجزارون يستغلون بعض المناسبات التي تشهدها الدولة الرسولية ليشاركوا في جزر الذبائح من الأغنام والأبقار ، بدعوة من المختصين في المطابخ السلطانية مع وجود العديد من الجزارين فيها ، إلاّ أن كثرة المواشي التي هي معده إلى الذبح دفعت المسؤولين في تلك المطابخ إلى طلب هؤلاء الجزارين لمشاركة موظفي الدولة من الجزارين مقابل مبالغ مالية يتفقون عليها ، إضافة إلى ما قد يحصلون عليه من اللحوم المذبوحة[٢] .

كما كان أفراد هذه الشريحة يستغلون مواسم الأعياد ليرفعوا أسعار اللحم ، وأسعار ذبح المواشي للناس ممن لا يجيدون الذبح مخالفين التسعيرة المتعارف عليها في الأيام العادية[٣] ، لهذا نجد أن أسواق الجزارين في عصر بني رسول كانت تلقي رواجاً في الأعياد فقط لقلة القدرة الشرائية للناس في الأيام العادية بسبب أوضاعهم المعيشية الصعبة .

و – **شريحة الباعة الجوّالين** : وهي من أبسط الشرائح وأكثرها ارتباطاً بالسوق والناس ، وقد امتلأت بهم الأزقة والأسواق التي كانوا يسيرون إليها ببضائعهم عند سماعهم بقيامها[٤] ، كما كان يفعل أهالي المناطق الريفية المجاورة للمدن ، إذ يحملون بضائعهم ومنتجاتهم الريفية على ظهور دوابهم لبيعها في أسواق هذه المدن[٥] . وقد اختلف أسلوب هؤلاء الباعة في بيعهم وشرائهم ، فمنهم من افترش أرض الأسواق ببضاعته ، ومنهم من أخذ في حملها على ظهره وتجول بها في المدن والقرى لعرضها على الأهالي ، ومنهم من فضل الجلوس بها تحت البيوت[٦] ، ويقدم لنا الرحالة ابن بطوطة[٧] معلومات قيمة عن وضع الباعة وحالتهم في سوق ظفار الحبوضي في أثناء زيارته لها ، واصفاً السوق ومن فيه من الباعة بالقذارة والنتانة لكثرة ما كان فيه من ذباب منتشر على أجسادهم وأوساخ وقاذورات ، ويبدو أن ما ذكره ابن بطوطة يعطي لنا صورة حقيقية وفكرة واقعية عن حال الباعة في أثناء تأديتهم لعملهم في الأسواق . كما انتشر الباعة في العديد من أسواق المدن والقرى في ذلك العصر ، فوجد منهم مجاميع في

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥٦ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٣٦أ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٩٨ – ٩٩ .

[٤] عن تلك الأسواق ومواعد قيامها في عصر بني رسول انظر : حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤٠١ – ٤١١ .

[٥] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٢٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٠٣أ – ب ، ٢٠٤أ .

[٦] العسجد المسبوك ، ق١١٩أ .

[٧] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

أسواق منطقة صبر[١] ممن يبيعون الخبز والأدم[٢] ، ويقول عنهم الجندي[٣] أنهم من ضعفاء أهل صبر وبالأخص ممن لا يحملون السلاح ، وكان أكثر ما يبيعونه في أسواق مدينة تعز ومنطقة صبر الأقشام من البقول والخضار[٤] .

ويصور لنا الوصابي[٥] حياة هؤلاء الباعة الذين يجوبون الطرقات والسكك مشياً على الأقدام لبيع بضائعهم التي قد تُحمل على ظهورهم أو على ظهور دوابهم أو على عربات يجرونها بأنفسهم رافعين أصواتهم للإشهار عن نوعية البضاعة التي يحملونها ، ويصف أحد باعة الخضار في وصاب أنه كان يدور الشوارع مطلقاً صوته منادياً : " وابقلاه وابصلاه " .

وقد كان الباعة يستغلون قيام بعض الاحتفالات حيث ازدحام الناس ليعرضوا بضائعهم على الحضور ويبيعونها عليهم ، مثلما كانوا يفعلون في زبيد في موسم السبوت ونضوج النخل الذي يخرج فيه أهل السوق كباعة الفواكه والخضار والحلاوة لبيع منتجاتهم[٦] ، كما كان الباعة في عدن يستغلون قيام بعض التجار بعرض وفرش بضائعهم في أسواق عدن وعلى سواحلها ليفرشوا بضائعهم في هذه الأماكن وعلى الشواطئ لبيعها على المترددين على هذه الأسواق[٧] ، وقد عاش أكثر هؤلاء الباعة حياة متواضعة لتواضع عملهم وقلة رأس مالهم الذي تعاملوا به في السوق لهذا عُدوا من الشرائح الدنيا في المجتمع .

ز – شريحة الحطابين : وهي من أكثر الشرائح خدمة للناس في العصر المذكور ، وقد كانوا يبذلون مجهوداً كبيراً للحصول على الحطب ، إذ يخرجون ليلاً إلى خارج المدن التي يسكنونها لاسيما إلى المناطق كثيفة الأشجار ويقومون بتقطيع أخشابها وتجزئة جذوعها ومِنْ ثَمَّ تجفيفها على أشعة الشمس الحارة لأيام ، ثم ربطها على شكل حزم وينقلونها على ظهور الجمال أو الحمير إلى الأسواق[٨] لبيعها هناك على الناس بالحمل الجمل[٩] أو بالتفرقة . ومن الملاحظ أن هناك قوة شرائية كبيرة للحطب في عصر بني رسول لحاجة الناس على اختلاف مستوياتهم إليها في مطابخهم ، وقد عمل الحطابون على توفير الحطب لجميع الناس بما فيهم أصحاب المخابز والمدابغ والمصابغ والحمامات وصناع الصابون والشمع

---

[١] صَبِر : جبل مشهور يقع في سفحه الشمالي مدينة تعز بما في ذلك قلعة القاهرة . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٧٢ .

[٢] الأدم : ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان ، ومفردها إدام . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٣ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦١٧ – ٦١٨ .

[٤] عماد الدين إدريس : كنز الأخيار ، ص٢٨ .

[٥] تاريخ وصاب ، ص٢٠٥ . كما يذكر ابن المجاور أن باعة الدُبّاء (اليقطين) المشوي في التنّور كانوا ينادون عند بيعه للناس في أسواق منطقة تهامة : " دُبّاء حَب حَب كثير الماء قليل الحب " . تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٧ .

[٦] عن ما يحدث في السبوت انظر لاحقاً : ص٢٢٤ – ٢٢٥ .

[٧] العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٠٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٠٠ب ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٦٥ .

[٩] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٥ .

وغيرهم[١] ، كما أوجدوا لأنفسهم محلات أو دكاكين في الأسواق لبيع الحطب ، حتى أن أسماء بعضهم ارتبطت بهذه المهنة فعرفوا بالحطابين[٢] . لهذا شكّل العمل في حطابة الأشجار وبيعها مصدر دخل بالنسبة لهم لما كان لها من رواج في ذلك العصر[٣] .

ح – شريحة السقائين[٤] : برز دور أفراد هذه الشريحة في المدن التي تقلّ فيها المياه وتكثر فيها زحمة الناس كمدينة عدن مثلاً ، إذ يذكر ابن فضل الله العمري[٥] عن هذه المدينة أنها : " مجلوب إليها كل شيء حتى الماء يحتاج المقيم بها إلى كلفة في النفقات لارتفاع الأسعار بها في الأكل والمشرب ، ويحتاج المقيم بها إلى ماء يتبرد به في اليوم مرات أبان قوة الحر " ، وهذا دليل على أن هناك شريحة من الناس تولت عملية جلب المياه إلى عدن وتوزيعها على البيوت أو بيعها على أهل السوق من التجار وغيرهم من الوافدين على الأسواق ، ويؤكد ما ذهبنا إليه إشارة ابن بطوطة[٦] الذي زار عدن في عهد السلطان المجاهد ، إذ قال عن عدن : " وهي مدينة كبيرة لا زرع بها ولا شجر ولا ماء " . ومما يؤكد لنا وجود السقائين في ذلك العصر انتشار بيع عدتهم في الأسواق التي كانت تستخدم لنقل المياه من الآبار إلى البيوت والمساجد والمدارس ، كما تستعمل أيضاً لسقي الناس في الطرقات مقابل مبالغ يبدو أنها زهيدة يدفعونها لهم ، ومن هذه الأدوات : الراوية والقربة والدلي أو الدلو بأنواعه وغيره[٧] ، ولم تذكر لنا المصادر شيئاً عن أحوال هؤلاء السقائين وأسلوب ونسق حياتهم ، ولكن من خلال المعلومات اليسيرة التي ذكرناها عنهم يتبين لنا أنهم كانوا من الشرائح البسيطة ، إذ كانوا يخرجون منذ الصباح الباكر إلى الآبار لجلب الماء ثم السير به في الأسواق وبين بيوت الناس رافعين أصواتهم ببيع الماء ، فيروحون ويجيئون في الطرقات حاملين قرب المياه على ظهورهم أو على ظهور دوابهم من الحمير أو البغال أو الجمال مستغلين أوقات زحمة الناس في الأسواق[٨] .

ط – شريحة الطحانين : وهي شريحة كان لها وجود ظاهر رغم قلة عدد أفرادها الذين تخصصوا في عملية طحن الحبوب للناس مستعملين مطاحن مصنوعة من الحجر تُدار

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٦١ ، ١٠١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٥٣٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٥ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٦٩ ؛ الخزرج : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦٢ .

[٣] انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٨٧ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٦٥ .

[٤] السقاءون : وهم من يحترفون حمل الماء إلى المنازل ونحوها لسقي الناس . جبران مسعود : الرائد ، ص٨٢٦ .

[٥] مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٦] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٠ .

[٧] نور المعارف ج١ ، ص٨٨ .

[٨] كان هذا دائراً في الشارع المصري في عصر المماليك ، إذ يذكر أحد الرحالة الذين زاروا القاهرة في تلك المدة معلومات عن نسق حياة بعض الشرائح الاجتماعية بما فيها شريحة السقائين ، ونجد في هذه المعلومات تقارباً وتشابهاً مع نسق حياة العديد من الشرائح الاجتماعية التي كانت موجودة في اليمن في عصر بني رسول نتيجة للتأثير والتقارب الذي كان بينهم . انظر : طافور ، بيرو : رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٩٨ .

بواسطة جمل خصص لهذه المهمة[١] ، وضمت هذه المطاحن عدداً من العاملين والمساعدين للطحان المتولي طحن الحبوب ، فكان هناك المغربل الذي يتولى غربلة الحبوب وتنقيتها وتنظيفها وإخراج الشوائب منها ، كما كان هناك الدقاق الذي يبدو أنه نفسه الطحان الذي يتولى عملية طحن أو دق الحبوب بالحجر[٢] . ولم تورد لنا المصادر معلومات كافية عن هؤلاء الطحانين سوى ما استنتجناه من خلال بعض هذه الإشارات .

ي – **شريحة أصحاب وعمال المطاعم والمخابز** : لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى وجود أفراد هذه الشريحة في عصر بني رسول ، ولكننا نستنتج من خلال بعض الإشارات الواردة في المصادر أنه قد وجد في بعض المدن الرئيسة من كان يبيع الطعام والشراب في الأسواق لاسيما في المدن المزدحمة بالناس الوافدين إليها من المناطق الأخرى المجاورة لها ، ويذكر ابن فضل الله العمري[٣] أن الداخل إلى مدينة عدن يحتاج إلى عدة نفقات لارتفاع سعر الأكل والشرب بها ، وهذا دليل على أنه كانت هناك أماكن خاصة لبيع الأطعمة والأشربة وغيرها ، كما يذكر عن بعض التجار الوافدين إلى مدينة عدن يومياً لتصريف بضائعهم وشراء لوازمهم من بعض الأسواق التي كانت تقام بعد الظهر أنهم كانوا يدخلون إلى عدن صباحاً ومعهم شيء من بضائعهم ، فيقومون بتصريفها واستلام ثمنها بعد دخولهم مباشرة ، ومِنْ ثَمَّ ينتظرون حتى تقام بعض الأسواق التي تباشر عملها بعد الظهر كسوق البز مثلاً ، ويستغل هؤلاء التجار الوقت قبل قيام السوق لتأدية صلاة الظهر في المسجد ثم يخرجون منها لتناول وجبة الغذاء ويجلسون أوقات القيلولة ، ومِنْ ثَمَّ يتجهون إلى سوق البز لقضاء حوائجهم[٤] ، ويبدو أنهم كانوا يتغذون في أماكن نشطت بفعل توافد هؤلاء التجار وغيرهم من الناس الذين كانوا يزورون عدن بشكل يومي للعمل أو للتجارة ، وقد تكون هذه الأماكن عبارة عن مطاعم ومشارب يشرف عليها جماعة من الطباخين والمباشرين والمحاسبين ، كما أن إشارة بعض المصادر إلى انتشار بيع اللحم المشوي في أسواق بعض المدن كمدينة المهجم مثلاً من قبل بعض الناس الذين يبيعون الرطل منه بربع دينار وست فلوس[٥] دليل آخر على وجود الأماكن المتخصصة لبيع الأطعمة[٦] .

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٥ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٥ .

[٣] مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٨ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٥٦ .

[٦] ومما يؤكد ذلك أيضاً إشارة أخرى لابن المجاور يذكر فيها عن بعض أهالي تهامة أنهم كانوا يشترون من السوق رغيف الخبز البُر بفلس مع قطعة حلوى بأربعة فلوس كوجبة خفيفة يتعوفون بها . انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٦ . ومن الملاحظ أن تلك الوجبات الخفيفة والرخيصة كانت تباع في مطاعم أو في أماكن خاصة ببيع المأكولات .

وفي الوقت نفسه ، أُقيمت المخابز لعمل الخبز وبيعه لعامة الناس ولأصحاب المطاعم في أسواق هذه المدن المكتظة بالسكان ، وقد وجدت بعض تلك المخابز في شوارع خاصة بعمل الخبز مثل حافة الخبازين في زبيد[١] . وكان الخبازون يبيعون أقراص الخبز بالرطل ، إذ بلغت تسعيرته في عصر السلطان المظفر الأول الثلاثة الأرطال بربع دينار[٢] ، وهو ما يبين لنا مدى ارتفاع أسعار الخبز في ذلك العصر .

وفضلاً عن ذلك ، وجدت مجموعة من الناس اشتهرت بخبراتها في صنع أنواع الحلوى في بعض المدن اليمنية ، وعُرف أفرادها بالحلوانيين ، ومما يؤكد لنا وجودهم إشارة الخزرجي[٣] الذي يتحدث فيها عن مشاركتهم في الإعداد لأحد الاحتفالات التي أقامها السلطان الأشرف الثاني إسماعيل في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م ، وقد بلغ هؤلاء شهرة كبيرة وخبرة في عمل أنواع الحلوى كالمشبك والمبسوط وغيره[٤] ، وعملوا الحلوى المعروفة بالطحينية التي يدخل السمسم في تكوينها[٥] ، كما زاول بعضهم صناعة الخبز والكعك الذي يبدو أنه يدخل ضمن تخصص الحلوانيين لعملهم على تحليته وتشكيله ، ويذكر ابن بطوطة[٦] أنه عند خروجه من ظفار الحبوضي حمل معه منها خبز وكعك وقد يكون مما يباع في أسواقها .

ك – **شريحة الحلاّقيـن** : وعُرف الواحد منهم بالمزين[٧] وبالرّيس[٨] ، وقد عمل هؤلاء في تزيين وجوه الناس وحلق رؤوسهم وإظهارهم بالمنظر الجميل ، إلاّ أن من غريب ما ذكره ابن المجاور[٩] عن المزينين قيامهم بتزيين بعض نساء المدن الطالبات للزينة ، ويبدو أن اليمنيين تأثروا بالهجرات الخارجية الوافدة إليهم من مصر وغيرها في هذا الجانب[١٠] ، ويذكر السبكي[١١] أن من بين المهام التي يزاولها المزينون إلى جانب الحلاقة ختان الذكور وثقب آذان الفتيات .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦٣ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٥ .

[٣] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٥ب .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٧٢ ، ١٠٣ .

[٦] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٥ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٥ .

[٨] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٢ .

[٩] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٥ .

[١٠] قد يكون الحلاقـون في اليمن تأثروا بأسلوب حياة الحلاقيـن في المجتمع المصري في تزيين النساء ، علماً بأن هناك العديد من الأسر المصرية التي انتقلت من القاهرة المملوكية والإسكندرية بنسائهم وأطفالهم ليستقروا في عدن ، وبالتالي قد يكون هؤلاء أثروا في المجتمع اليمني في عدن في هذا الجانب ، وقد تكون النساء المصريات هن من يقوم المزينون بتزيينهن مثلما يذكر لنا ابن المجاور ، لانتشار هذه الظاهرة في مصر كما يذكر لنا الرحالة طافور الذي زار القاهرة في عصر دولة المماليك المعاصرة للدولة الرسولية . للمزيد انظر : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٥ ؛ رحلة طافور ، ص٩٧ .

[١١] معيد النعم ومبيد النقم ، ص١٣٤ .

ل – **شريحة المُغسِّلين** : وجد أفراد هذه الشريحة في بعض المدن المكتظة بالسكان كمدينة عدن التي ضمت مغاسل مختصة بغسل ثياب الناس وتنظيفها ، وقد ذكر عن قاضي عدن أبي بكر بن محمد بن أحمد الجنيد (ت : ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) أنه كان يغسل ملابسه عند بعض مُصبني أو مُغسلي الثياب في عدن[١] ، وهذا دليل على وجود عدد من أفراد هذه الشريحة في عدن وفي بعض المدن التي تميزت بكثافة عدد سكانها .

م – **شريحة الحمّامين** : انتشر أفراد هذه الشريحة في المدن التي تهيأت فيها الظروف لإقامة مثل هذه الحمامات[٢] ، وقد بذل هؤلاء مجهوداً كبيراً لتوفير سبل الراحة للمترددين على حماماتهم التي ضمت عدداً من العاملين فيها كالحمامي المسؤول عن شؤون الحمام ، ومستوقد نار الحمام الذي يهتم بإشعال النار للحصول على البخار وضخه للمغتسلين[٣] ، إضافة إلى عدد من العاملين في تأجير المآزر للمستحمين وحفظ ثيابهم والاعتناء بها[٤] ، وقد وجد أفراد هذه الشريحة في المدن الكبرى كمدينة زبيد التي وجد بها أشهر الحمامات في عصر بني رسول كالحمام الصلاحي المشهور بزبائنه والمعروف بنظافته وحسن خدماته[٥] ، كما وجد في تعز عدد من الحمامات منها الحمام البخاري[٦] ، وحمام الجنابي الشهير[٧] ، في حين انتشرت بعض الحمامات في عدن مثل حمام المعتمد وحمام حسين أشهر حمامات عدن[٨] ، ووجد في ذمار عدد من الحمامين العاملين في حماماتها الشهيرة كحمام السعيدي البخاري[٩] ، وحمام ذمار الذي اشتهر بكثرة عدد زبائنه والمترددين عليه[١٠] ، كما وجد عدد منهم في حمامات صنعاء[١١] ، ومن الملاحظ أنه كان لانتشار الحمامات أسباب أهمها : قلة مياه الاغتسال ، وصعوبة حصول الناس عليها لصعوبة وصولها إلى حمامات منازلهم ، كما كانت لها مدلولات أهمها : الوعي والتحضر الذي وصل إليه اليمنيون في ذلك العصر ، لهذا استغل عدداً من ميسوري الحال هذه الفرصة لفتح الحمامات ، وتعيين العاملين الذي يشترط فيهم أن يهتموا

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٢٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٥٢ .

[٢] أخذت كلمة حمام من الحميمة ، وهو الماء الحار الذي أعد للاغتسال . المقريزي : المواعظ ، ج٢ ، ص٧٩ .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٧ .

[٤] انظر : الباشا ، حسن : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج١ ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٤٣١ .

[٥] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٩ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١١٦ .

[٦] طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٧ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٧٣أ .

[٨] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١١٧ – ١١٨ ، ١٣٠ .

[٩] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٧ .

[١٠] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٤٠ .

[١١] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٩٦ .

بالزبائن ويوفروا لهم سبل الراحة الكافية لاسيما في الحمامات البخارية التي يؤدي الإهمال في التحكم بكمية البخار المضخوخ للمغتسلين إلى اختناق بعضهم وموتهم[١] .

لقد شكّلت الحمامات ملتقى يتجمع فيه الناس للاغتسال ولتبادل أطراف الحديث والتسلية ، وكان المترددون عليها يرتدون المآزر للتستر بها ولإخفاء عورتهم فيما بينهم ، إلاّ أن المسلمين كانوا يتضايقون كثيراً من تصرفات بعض اليهود الذين لا يستترون ولا يخفون عوراتهم في أثناء اغتسالهم ، وقد وصل الأمر ببعض الفقهاء من المسلمين إلى التدخل لضرورة وضع حد لهذه الظاهرة التي تفشت في بعض الحمامات ، والذي يبدو أنها جعلت بعض المترددين عليها من المسلمين يعرضون عن دخولها والاستحمام بها لهذا السبب ، ولم تذكر المصادر أي موقف لأصحاب وملاك هذه الحمامات من هذه الظاهرة[٢] .

ن – **شريحة السراجين**[٣] : وعرفوا بالمشاعلية أيضاً[٤] لقيامهم بإسراج الطرقات والمساجد والمدارس وغيرها ، ومتابعة تلك المشاعل طوال الليل حتى لا تنطفئ[٥] ، كما تولى بعضهم مهمة إضاءة قصور الملوك وبيوت الأغنياء وكبار الشخصيات من الفقهاء والأشراف عند قدوم كل مساء ، إذ يأتي المشاعلي إلى الدار ليفتح له صاحب البيت أو أحد نسائه أو خدمه الباب ليدخل لإشعال جميع مصابيح البيت ، ولهذا يشترط في المشاعلي أن يكون أميناً ونزيهاً وذا ثقة لكثرة دخوله إلى بيوت الناس الذين يستأمنونه على ما فيها من نساء وأموال[٦] .

س – **شريحة القبارين** : وهم من يقومون بحفر قبور الموتى ويتولون إنزالهم وتلحيدهم ودفنهم ، ثم العناية بقبورهم والحفاظ عليها[٧] ، وقد شكّل القبارون أو الحفارون شريحة صغيرة جداً لاسيما في المدن التي توجد بها المقابر الكبرى[٨] ، إذ كانوا يعملون بمقابل يدفعه لهم سكان هذه المدن من أهل الخير فيها ، في حين وجد قبارون اهتموا بالمقابر الخاصة بدفن موتى أسر معينة كموتى الأسرة الرسولية وغيرها من الأسر ذات المكانة الرفيعة في المجتمع[٩] ، كما وجد أشخاص اهتموا بقبور الأولياء و الصالحين وراحوا يحرسونها[١٠] ، وقد يعيش هؤلاء القبارين والحراس على ما يقدم من قبل المترددين على هذه القبور من نذور ، فيكون

---

(١) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٩٩ .
(٣) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٠ .
(٤) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٥أ .
(٥) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٠ .
(٦) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٥أ .
(٧) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧١ .
(٨) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٠٩ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٥٦ .
(٩) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٧ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٨٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٠ .
(١٠) الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٥٧ .

المتصرف بها ، ويستخدم منها ما يكفيه ويسخر ما تبقى منها للعناية بالقبر وترميمه وتنظيفه والاهتمام بمنظره ورائحته والقيام بالقادمين لزيارته[١] .

أما في الأرياف فقد اختلفت عاداتهم تماماً عن عادات المدينة في هذا الجانب إذ يكاد ينعدم القبارون فيها إلاّ فيما ندر لتولي مهمة الحفر والدفن والعناية بالقبر من قبل أهالي القرية أنفسهم أو من قبل أقرباء المتوفى[٢] ، ونصل هنا إلى أن أكثر أفراد هذه الشريحة الصغيرة عاشوا حياة فقيرة معتمدين على ما يقدم لهم من عطايا قد لا تساعدهم على تحمل نفقات العيش .

ع – **شريحة المغنين الجوّالين :** وهي من أدنى شرائح المجتمع ، لوقوعها في أسفل السلم الاجتماعي ، وقد نظر إليها الناس نظرة مهانة لحقارة مهنة أفرادها وأسلوب حياتهم ، فكانوا يتعاملون معهم بتعالي ولا يتوانون في الاعتداء عليهم وعلى أسرهم دون خوف أو رهبة منهم[٣] .

وقد عاش معظم أفراد هذه الشريحة حياة تنقل وترحال من مدينة إلى أخرى حاملين معهم نساءهم وأولادهم مشكّلين بهم فرقاً غنائية بالدفوف والطبول وغيرها من أدوات الغناء ، وقد يطرق بعضهم أبواب الناس باباً باباً لكي يتجمعوا من حولهم وهم يدفون ويغنون ، وقد تقوم نساؤهم بالرقص والغناء بالأغاني الغزلية على نغمات هذه الدفوف دون خجلٍ أو حياء ، وقد يشاركها الرقص بعض الحاضرين لإضفاء جو من الفرحة والبهجة على من حولهم[٤] ، وتعد زبيد أكثر المدن اليمنية انتشاراً لأفراد هذه الفئة الذين كانوا يستغلون بعض الأعياد والاحتفالات لإحياء حفلاتها التي يشارك فيها جمع كبير من الناس كالاحتفالات بقدوم السلطان[٥] ، والاحتفال بأيام سبوت النخل على البحر الذي يخرجون فيه بطبولهم ومزاميرهم ودفوفهم لمشاركة الناس فرحتهم على سواحل زبيد[٦] ، كما عمل بعضهم بشكل انفرادي مستعملين بعض الآلات الموسيقية المحببة للناس في ذلك الحين كالربابة مثلاً[٧] .

لقد نظر الناس إلى أفراد هذه الشريحة نظرة احتقار ومهانة لحياة الإذلال التي عاشوها للحصول على لقمة العيش ، وإن كان ذلك على حساب شرف نسائهم ، لهذا عدوا من قبل خاصة الناس وعامتهم بأنهم من أضعف خلق الله وأحقرهم ، ويصفهم المعلم وطيوط[٨] بأنهم : " أناس لا قدر لهم عند الناس " ، إلا أن أغرب ما ذكره المعلم وطيوط هو زواج السلطان

---

[١] الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٥٧ .
[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٢٨ .
[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٤ب ، ٣٥أ .
[٤] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٩٧ ؛ المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٤٣ب ، ٤٤أ .
[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص٩٤ .
[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٠ – ٨١ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .
[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٧٨ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢١١ ، ٢١٢ .
[٨] تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٤ب ، ٤٤أ .

المؤيد من إحدى بنات هذه الشريحة ، بعد أن رآها مع أهلها وهم يدقون الطبول أمـام بيـوت العامة ، فأعجب بها وأحبها وأمر بحجبها ثم تزوجها وهي المعروفة باسم مشطر .

كما وجد في العصر المذكور أفراد من المهرجين ممن ينتقلون بين المـدن والقـرى لعمل بعض الحركات البهلوانية وبعض الألعاب والحرف والخدع العجيبة بين النـاس الـذين يتجمعون حولهم ، وعرف هؤلاء بالزراقين ، إذ كانوا يفاجئون النـاس بحركـاتهم وألعـابهم وحرفهم كاللعب بالنار وغيرها مقابل بعض المال الذي يتصدق به الحاضرون عليهم[١] .

ونستنتج من خلال دراستنا لفئات طبقة العامة من الصناع والحرفيين والمهنيين الذين وجدوا في ذلك العصر أن معظم أفراد هذه الفئات لقوا احتراماً وتقديراً كبيرين من قبل فئـات طبقة الخاصة ، لاعتبارات مختلفة منها أنهم كانوا يشكلون قوى عاملة استفاد منها المجتمع في تلبية متطلباته ، ولم ينظر إليهم نظرة احتقار ومهانة تميزهم عن غيرهم من الفئات ، لأنهم أصحاب حرف ويعيشون حياة تواضع وبساطة ، رغم حصولنا على إشارة وحيدة عند الخزرجي[٢] لـم نجدها عند غيره ، وذلك في ترجمة الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي الجبرتي (ت : ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) والذي يقول عنه الخزرجي : " إنه كان لا يكتسب بحراثة ولا زراعة ولا دروزة ، ومتى علم بأحد من أصحابه أنه بدروز طرده وكرهه " . وقد تكون نظرة الفقيه المذكور هي تعبير عن وجهـة نظر المجتمع الذي كان ينظر للحراث الأجير الفقير المعدم والخياط والدرزي وغيرهم باحتقار لأنهم من أصحاب الحرف والمهن اليدوية ، ولكن من خلال دراستنا لهذه الفئات ووضعها وحياتها ومنتجاتها ودورها نجد أن وجهة نظر الفقيه المذكور قد تكون هي تعبير عن وجهة نظر خاصة به ، أو قد تكون وراء نظرته هذه لأصحاب المهن والحرف سبب مجهول لم يذكره الخزرجي ، ولكننا نجد أن لأفراد هذه الفئات من الصناع والحرفيين والمهنيين لقوا احتراماً وتقديراً من قبـل جميع الناس بما فيهم الأسرة الرسولية الحاكمة ورجال دولتهم والدليل على ذلك الآتي :

أ - أن سلاطين بني رسول أنفسهم اهتموا بالزراعة والحراثـة والصـناعة والحـرف والمهن ولا يستبعد أن يكونوا ممن زاولوها ولو من باب الهواية ، على الرغم من وقوعهم على رأس السلم الاجتماعي لجميع الفئات الأخرى ، حتى أن السلطان المظفر الأول[٣] قام بتـأليف الكتب المتخصصة بهذه الصناعات والحرف والتي نستنتج من خلالها أنه كان من ذوي الخبرة في هذه الصناعات والحرف ، وكذلك الأمر بالنسبة للسلطان الأشرف الأول عمر[٤] الذي كان مهتماً بالفلاحة وحراثة الأرض وزراعتها وكان من أصحاب الخبرة فيها .

---

[١] يذكر الملك المظفر العديد من هذه الحرف والخدع التي كانت تضفي جو من البهجة والسرور . انظر : المخترع ، ص٢٠٥ .

[٢] انظر : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٥ - ٣٦٦ .

[٣] المخترع ، ص٥٩ وما بعدها .

[٤] ملح الملاحة ، ص١٩ وما بعدها .

ب – أنه وإن كان هناك تمايز بين فئات وشرائح المجتمع الحرفية والمهنية لقوة النظام القبلي في عصر بني رسول والعصبية القبلية لرجال القبائل ورفض بعضهم العمل في مثل هذه الأعمال إلاّ أن سكن العديد من الأسر ذات الجذور القبلية في المدن الكبرى كان لـه دور في ذوبان عصبية رجال القبائل لاختلاطهم بالأسواق وبأصحاب الحرف والمهن ، ومِنْ ثَمَّ تكيفهم مع الوضع متناسين عصبيتهم القبلية التي لم تخلف لهم سوى الفقر والجوع والحاجة ، لهذا زاول بعضهم مثل هذه الحرف .

ج – لقد دلت لنا الألقاب التي تلقب بها بعض كبار الصناع والحرفيين والمهنيين كلقب أستاذ وشيخ ومعلم أن هؤلاء احتلوا مكانة رفيعة وكبيرة إن لم يكن في المجتمع فبين أبناء حرفتهم ومهنتهم وعند الدولة نفسها التي كانت لا تعترف إلاّ بهم على رأس أفراد فئاتهم .

د – أوجد أصحاب الصناعات والحرف لأنفسهم كيانات خاصة بهم من خلال التجمعات التي كانوا يعيشون فيها مع من يشاركونهم المهنة مكونين بتلك التجمعات نقابات مهنية تمثل كل فئة حرفية ، ويأتي أستاذ الحرفة وشيخها على رأس كل فرد مزاول لهذه الصنعة أو الحرفة ويكون المسؤول عنهم .

هـ – يتبين لنا من خلال ما ذكرناه سابقاً أن الحرفيين والصناع والمهنيين كان لهم دور كبير في المجتمع بين أفراد طبقتي الخاصة والعامة من الصعب إنكاره أو احتقاره لكثرة ما كان يستعان بهم للقيام ببعض الأعمال ، حتّى أن بنو رسول وغيرهم كانوا يستعينون بهم لقضاء حوائجهم وإصلاح ما خرب من أدواتهم ومعداتهم .

و – إن الحرفيين والصناع رغم وضعهم في المجتمع مع ضعف حالهم وفقر الكثير منهم إلاّ أنه كان لهم حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي انفردوا بها عن سائر فئات المجتمع الأخرى ، حتى أنهم – كغيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى – حصروا الزواج وتبادل الزيارات في الأعياد والمناسبات فيما بينهم ، ومع ذلك كانوا يشاركون في الاحتفالات والأعياد والمناسبات والموائد التي كان يقوم بها بنو رسول وغيرهم من كبار الشخصيات في المجتمع ، أي أن فئة الحرفيين والصناع لم تكن منغلقة على نفسها بل كانت من الفئات الاجتماعية التي ربطت علاقات طيبة مع غيرها .

ز – أن من أكثر أدلتنا على أنهُ لم يكن ينظر لأصحاب الصناعات والحرف نظرة مهانة واحتقار في عصر بني رسول اتجاه العديد من ذوي المكانة في طبقة العامة إلى مزاولة مثل هذه المهن دون أن تذكر المصادر أن أحداً من هؤلاء كان يخجل من العمل في أيٍّ منها ، لهذا نجد أن فئة واسعة من العامة كالعلماء والفقهاء وموظفي الدولة عملوا في هذه الصناعات والحرف والمهن المختلفة ، وكان لهم مكانة واحتراماً وتقديراً عند غيرهم .

٩ – فئـــة الشحاتين والمتسولين :

وهم من عامة الناس الذين لم ينالوا حظهم من التعليم ولم يحسنوا أياً من الصناعات والحرف والمهن المذكورة سابقاً وعاشوا عالة على غيرهم[١] ، يكسبون رزقهم بالسير في الطرقات وبين أزقة البيوت طالبين ما يغيثون به أنفسهم وأسرهم ، وكان الناس كثيراً ما يتصدقون عليهم فيغيثونهم ببعض المال أو بلقمة يسدون بها جوعهم ، ويبدو أن الأوضاع المادية الصعبة للناس كان لها دور في زيادة أعداد هؤلاء وتفشي ظاهرتهم في المجتمع[٢] .

١٠ – فئـــة الأخـــدام :

لم تشر المصادر بشكل واضح إلى وجود هذه الفئة في عصر بني رسول ، ولكن نستدل من خلال بعض الإشارات إلى أن شريحة المغنين المتجولين أو بعضاً منهم هم من يطلق عليهم اليمنيين اسم الأخدام الذين يعدون من أدنى الفئات في السلم الاجتماعي لعيشهم على هامش المجتمع واحتقار كل فئات وشرائح طبقة الخاصة والعامة لهم لتدني مستوى المهنة التي يعيشون عليها ويزاولونها[٣] ، ومما يجعلنا نذهب إلى الاعتقاد بأن الأخدام هم من تَصِفُهم بضربة الدفوف والمغنين المتجولين إشارة لفتت انتباهنا تطرق إليها المعلم وطيوط[٤] في أثناء حديثه عن إعجاب أحد الأشراف بواحدة من بنات هذه الفئة والتي يقول فيها : " كان معنا في الدولة المجاهدية شريف مقدم في المهجم ، وكان قد دام تقدمه فيها ، فخرج ليلة يسير فرأى خادمة من الذين يأكلون الميتة ، وهم أناس لا قدر لهم عند الناس يدفون الطبول وتولغ الكلاب في آنيتهم فأعجبته ... " ، وهذا دليل واضح يقدمه المعلم وطيوط مفاده أن فئة الأخدام المعروفة اليوم في مجتمعنا كانت موجودة في العصر المذكور ، وأن من عرفوا عبر العصور بالأخدام هم أنفسهم أو بعضهم من كانوا يمارسون الأعمال المذكورة ؛ وهو ما ينطبق على أخدام اليوم .

---

[١] سنان : الشعر اليمني ، ص١١٥ .

[٢] سوف يتم الحديث عن هذه الظاهرة وأثرها على المجتمع لاحقاً . انظر : ص٢٧٤ – ٢٧٥ .

[٣] شكّل الأخدام فئة اجتماعية مستقلة بذاتها لها عاداتها وتقاليدها ومبادؤها وحياتها الخاصة في المجتمع اليمني ، وقد اختلف المؤرخون والكتاب حول الأصول التاريخية لهذه الفئة ، وذهب كل منهم إلى اعتقاد مختلف عن الآخر ، مع اتفاق الجميع على أنهم يعودون إلى أصول أفريقية لصفاتهم البيولوجية التي يؤكدها سواد بشرتهم والتجعد الملحوظ في شعرهم الفاحم وغير ذلك ، وقد مُيّز الأخدام بمزاولتهم للأعمال الوضيعة والقذرة التي قد لا يقبل بها غيرهم من أفراد المجتمع مهما كان مستواهم الاجتماعي ؛ كأعمال النظافة وإزالة القاذورات والتسول ومزاولة الرقص والموسيقى والغناء مع نسائهم في الطرقات وغيرها ، لذلك عدو من أدنى فئات المجتمع وأحقرها . لمزيد من التفاصيل عن هذه الفئة انظر : الشرجبي : الشرائح الاجتماعية ، ص٢٥٩ – ٢٧٧ ؛ الحيمي ، عفاف أحمد : التركيبة الاجتماعية للمجتمع اليمني المعاصر دراسة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للفترة من١٩٨٠ – ٢٠٠٠م ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٢٩٧ – ٢٩٨ ؛ الحضرمي ، عبد الرحمن عبد الله أحمد : تهامة في التاريخ ، ط١ ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٥م ، ص٣٩٢ – ٣٩٥ .

[٤] تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٤ب .

١١ - فئة العبيـــد (الرقيـــق) :

كان لتجارة العبيد والجواري التي انتشرت أسواقها في الأقطار الإسلامية[١] عامة وفي اليمن خاصة في عصر بني رسول دور في انتشار العبيد في جميع تلــك الأقطــار مكــونين بأعدادهم الكبيرة شريحة مستقلة ، وقد احتوت اليمن على أسواق يباع فيها العبيد الذين كــانوا يستوردون كأي سلعة تجارية قابلة للبيع والشراء والإعادة في حالة ظهر فيها عيب أو غش أو مخالفة للمواصفات المتفق عليها بين البائع والمشتري ، وكانت أكثر الأسواق انتشاراً لبيع العبيد والجواري في عصر بني رسول في مدينة عدن التي تنوعت وانتعشت أسواقها التجارية ومــن بينها سوق العبيد الذي يعد من أشهر أسواق عدن ، وقد احتكر بعض التجــار تجــارة العبيــد والجواري وأصبحوا المتحكمين بها وبأسواقها[٢] . ويتبين لنا من خلال ما ذكره ابن المجاور[٣] عن صفة بيع العبيد والجواري في عدن أن هؤلاء كانوا يتعرضون لاسوأ المعاملات الإنســانية من مهانة وتعري وتحقير من قبل تجار العبيد والدلالين الذين يعرضون الجــواري كبضــاعة فيدور بها في الأسواق كاشفات عن مفاتنهن وعوراتهن لجذب المشترين ، وتتعــرض الجاريــة للمهانة من قبل المشترين الذين يحق لهم تفتيشها وتقليب كل جزء من جسمها وتعريتهــا أمــام أهل السوق من المارة والتجار وغيرهم دون خجل أو حياء للتأكد من صحتها وخلوهــا مــن العيوب ، وبلغ الأمر بالسيد المالك للعبد أنه يحق له أن يضرب عبده ويأخذ ماله ويطــرده دون خوف أو رحمة أو شفقة[٤] .

كان للأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي عاشتها الدولة الرسولية دور في أن تكون اليمن محط أنظار تجار العبيد الذين رأوا في أسواقها أفضل الأماكن لتصريف بضاعتهم ، فزادوا مــن عملية توريد العبيد والجواري من مختلف الأقطار ، ونتيجة لاختلاف مستوى الدخل المــادي للناس في اليمن نوّع تجار العبيد في جودتهم عند استيرادهم مما أدى إلى اختلاف أسعارهم[٥] ، وقد اهتم النخاسون بهؤلاء العبيد ، وأخذوا يغذونهم بأنواع اللحم والسمن ويختارون لهم أحسن الألبسة ليظهروا أمام المشتري بالمظهر اللائق والصحة الجيدة ، في حين أخذ تجــار العبيــد يدخلون كل التكاليف التي يخسرونها لنقل العبد وتغذيته ضمن السعر الذي يباع به في السوق ، أي يباع بسعر التكلفة من شراء ونقل وتغذية ولبس ودلالة وضرائب ، حتى أن ســعر العبــد أو الجارية المجلوب من الحبشة إلى أسواق زبيد بلغ في عهد السلطان المظفر الأول عشرة دنانير

---

[١] عن تجارة العبيد وشروطها انظر : سلطان : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ص٨٢ – ٨٦ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٥ – ١٤٦ .

[٣] للمزيد من التفاصيل التي يندى لها الجبين عن صفة بيع الجواري انظر : ابن المجاور : المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٥ .

[٤] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٠ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٦٢ – ٣٦٣ .

يدخل فيها أجور نقل وضرائب وتغذية ، لهذا دخل اليمن مختلف ألوان العبيد : الفحل والخصي والجيد والرديء والأسود والأبيض ومن مختلف الأجناس الهندي والحبشي والزنجي والعلج[١] .

ونتيجة لذلك انتشر العبيد في مواضع مختلفة من اليمن ، وتعد قصور بني رسول ودورهم وحصونهم وغيرها من أكثر الأماكن وجوداً لأفراد هذه الشريحة ، إذ خصص بنو رسول مندوبين من الديوان السلطاني لاستقبال السفن القادمة إلى الموانئ اليمنية والمحملة بالعبيد ، ويتولى هؤلاء المندوبون عملية إنزال العبيد من السفن وفرزهم واختيار المناسبين منهم للعمل في خدمة الدولة ، فيقومون بشرائهم ودفع أثمانهم ثم إلباسهم الملابس المناسبة التي تتناسب ووضعهم الجديد في خدمة السلطان أو أهل بيته ، وقد بلغ من اهتمام بني رسول بشراء العبيد إلى درجة أنهم كانوا يرسلون أناساً إلى الأسواق لترقب الأخبار عن العبيد وأوضاعهم ، ومتى ما سمعوا بخلاف بين عبد وسيده أو أن أحداً يريد أن يبيع عبده عاينوا ذلك العبد وإذا رأوه مناسباً لخدمة السلطان وقادراً على العمل قاموا بشرائه من صاحبه[٢] ، وقد وزع بنو رسول هؤلاء العبيد على قصورهم وبيوتهم وبيوت نسائهم والتي كانوا يختارون لخدمتها أفضل الجواري والعبيد والخدم من الخصيان (الطواشية) للاستئمان على نسائهم متى ما كان مع أحد منهن على انفراد في أي مكان بالقصر ، وأخذوا يصرفون لهؤلاء العبيد المرتبات والكسوات والأطعمة بشكل شهري وقد يكون سنوي ، في حين يتولون أمر كسوتهم في رمضان والأعياد ، وقد بلغت تكلفة الميزانية التي خصصها بني رسول لشراء أدوات للتدفئة من حطب وفحم وملابس ثقيلة للحفاظ عليهم من البرد مبلغ وقدره مائة وخمسون دينار سنوياً ، كما خصصوا لهم المدرسين والمؤدبين والمدربين لاسيما الصغار منهم حتى ينشؤون نشأةً صحيحة تتناسب والمكان الذي يخدمون فيه[٣] ، لهذا كان أسعد العبيد والجواري هم من يتم شراؤهم لخدمة الدولة ، لِمَا كانوا يلقونه من معاملة طيبة قد لا يجدونها في أي مكان آخر .

وفضلاً عن ذلك ، فقد امتلأت بيوت الأغنياء والتجار وميسوري الحال من الخاصة والعامة بأنواع الجواري والعبيد ، الذين أخذوا في مشاركة سادتهم في أعمالهم المختلفة الجيدة منها والسيئة ، إذ أخذ بعضهم في تسخير عبيدهم في أعمال منافية للأخلاق كالقتل والسرقة[٤] وقطع الطريق[٥] ، كما شارك بعض العبيد سادتهم في التجارة والبيع والشراء وعرض البضائع من الأقمشة وغيرها على المشترين والمارة في الأسواق واستلام النقود منهم وعدها

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٦٣ ، ٣٦٥ – ٣٦٦ ، ٤٢٩ ، ٤٧١ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٩٤ ؛ سارجنت . ر . ب : ميناني عدن والشحر في العصر الإسلامي الوسيط ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٤٦ .

[٣] عن هؤلاء العبيد وأسمائهم وما يصرف لهم انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٥ – ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٤٦ ، ٥٦٥ – ٥٧٠ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٤ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٠ .

والاحتفاظ بها[١] ، في حين سخر بعض العبيد لحماية سادتهم في الأسواق وفي أثناء وقوفهم في الحوانيت والدكاكين خوفاً عليهم من سطو اللصوص[٢] ، كما عمل العديد من ملاك الأراضي على شراء العبيد الأشداء من الزنوج والعلوج وسخروهم للعمل في الأرض والزراعة وجلب المياه من الآبار ، وكلفوا بعضهم بالبيع في الأسواق[٣] ، في حين سخرهم بعض رجال القبائل والمشائخ لرعي الأغنام والأبقار في أراضي القبيلة[٤] ، وعمل بعض تجار عدن في شراء العبيد الزنوج والجواري وسخروهم للعمل في قطع الحجار من جبال عدن ونقلها على أعناقهم إلى داخل عدن لاستخدامها في عملية البناء والتعمير[٥] .

وفي هذا الصدد ، ذهب البعض من ميسوري الحال إلى البحث عن المتعة والتسلية واتجهوا إلى شراء بعض الجواري الحسان للاستمتاع[٦] ، كما أدى امتلاك الجواري في البيوت إلى حدوث العديد من المشكلات الأسرية بسبب غيرة المرأة على زوجها منهن[٧] ، كما قام بعض الناس ممن لا يجدون من يخدمهم – لاسيما من يعانون من أمراض تقعدهم الفراش أو جنون يفقدهم الصواب – بشراء الجواري بقصد خدمتهم والعناية بهم ، إذ تصبح الجارية هي المسؤولة عنه وعن إطعامه وإشرابه وتنظيفه وتلبيسه وتطييبه[٨] .

لقد أدى انتشار تجارة الرقيق في اليمن إلى أن يُوجِد العبيد لأنفسهم تجمعات أصبحت تشكّل كيانات خاصة بهم ، حتى أن هناك قرية في تهامة عرفت ببيت العبيد[٩] يبدو أن سكانها كانوا منهم ، وقد أدى وجود مثل هذه التجمعات إلى أن يحتفظ العبيد بعاداتهم وتقاليدهم وأسلوب حياتهم ، وراحوا يمارسونها في هذه التجمعات ، فكان لها الأثر السيئ والمؤثر على المجتمع ، ويذكر الشرجي[١٠] واحداً من تلك التجمعات للعبيد على طريق زبيد ، وهم المعرفون بالسّناكم الذين وصفوا بأنهم كانوا يأكلون الميتة ويشربون المسكر ولا يعرفون الصلوات ولا شيئاً من الشرائع ، كما كانوا كثيري الشرب واللعب ، ولهم طبول لا تتوقف عن الضرب .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤٣ .

[٢] العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ .

[٣] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٧ – ٢٦٨ .

[٤] رغم نظرة المجتمع القبلي للعبيد واحتقار بعضهم لهم إلاّ أنهم شكّلوا ملكاً من أملاك القبيلة ، وأي تعدي عليهم فهو اعتداء على القبيلة . انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣١ب ، ٢٣٢أ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٠ .

[٦] المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٥ – ١٤٦ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٠٩ .

[٨] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٧٦ – ٤٧٧ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٥ .

[١٠] طبقات الخواص ، ص٢٢٢ .

ومهما يكن من أمر ، فقد ساعدت الأحوال التي هيأها بنو رسول لعبيدهم من تربية وتعليم وتدريب إلى بروز عدد منهم ، كما برز العديد منهم ممن اهتموا بتعليم أنفسهم وأولادهم ، وأصبح لبعضهم مواقف من الأحداث التي شهدتها الدولة الرسولية ، حتى أن مصير هذه الدولة في بعض الأوقات أصبح مربوطاً بهؤلاء العبيد الذين قويت شوكتهم وزادت مكانتهم ، وظهر العديد منهم على الساحة السياسية والاجتماعية وأصبحوا من كبار القيادات العسكرية وكبار القضاة والفقهاء[١] ، ومع كل ذلك نظر المجتمع إليهم نظرة احتقار ونقص لعبوديتهم ، وعوملوا معاملة تشعرهم دوماً بتدني منزلتهم بين غيرهم من الفئات مع ما حققه بعضهم وما وصلوا إليه فإنهم ظلوا في نظر خاصة الناس وعامتهم عبيداً لغيرهم وإن اعتقوا ، ووصل الأمر بالبعض إلى معايرتهم بذلك جهاراً نهاراً[٢] .

١٢ – فئة أهل الذمة :

وهم المعاهدون من أهل الكتاب ، ويدخل فيهم من أعطوا عهداً يأتمنون به على أموالهم وعرضهم ودينهم[٣] ، وقد وجد في اليمن أعداد منهم ، لإشارة ابن المجاور[٤] إلى ذلك عند حديثه عن سكان مدينة نجران الذين كانوا ينقسمون إلى ثلاث ملل : " ثلث يهود وثلث نصارى وثلث مسلمين " وهذا يدل على أنه قد وجد إلى جانب المسلمين في اليمن أقليات من اليهود والنصارى (المسيحيين) .

أ – شريحة اليهود :

عاش اليهود على أرض اليمن منذ مدة زمنية سابقة على قيام الدولة الرسولية ، ومارسوا حياتهم بين أوساط الناس بالشكل الطبيعي ، وزاولوا العديد من الأعمال التي زادت من قوة ارتباطهم بالمجتمع ، وأقاموا شعائرهم الدينية بكل أمان ، كما أقاموا لهم المحلات والحوانيت التجارية في الأسواق واحترفوا أنواع المهن والحرف اليدوية آمنين على أنفسهم وأموالهم وأسرهم بحق الذمة[٥] . وفي عصر الدولة الرسولية مرت حياة اليهود بمراحل كان أفضلها مع بداية قيام الدولة ، إذ احتلوا مكانة رفيعة وكبيرة وعوملوا معاملة تدل على ارتفاع

---

[١] عن بعض هؤلاء العبيد الذين برزوا على مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية في عصر بني رسول انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٨ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦١ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٢أ – ب ، ١٢٠أ – ب ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٢٣ .

[٢] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢٠١ب ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٢٠١ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٢١ ، ١٣٥ .

[٣] الجرجاني : التعريفات ، ص١٤٣ ؛ جبران مسعود : الرائد ، ص٦٩٨ ؛ المعجم الوجيز ، ص٢٤٦ .

[٤] تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٠٩ .

[٥] انظر : عكاشة ، محمد عبد الكريم : يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين ١٨٨١ – ١٩٥٠م ، ط١ ، د . ت ، عدن ، ١٩٩٣ ، ص٣٦ ، ٣٨ ؛ محمد عبد الخالق : يهود اليمن في أدب حاييم هزاز ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص٣ – ١٠ .

شأنهم ومكانتهم ، ويبدو أن جهل السلطان المنصور أول سلاطين بني رسول بأسلوب التعامل مع أهل الذمة من اليهود وما لهم وما عليهم جعله يتغاضى عن العديد من الأمور المنافية للعهد والذمة ، فأخذ بعضهم ممن كان لهم صلات وعلاقات به يركبون البغال بالسروج المزركشة والزنار ، وأصبحوا يسيرون في الطرقات والأزقة راكبين وحولهم العبيد والغلمان من المسلمين وهو ما جعل العديد من الفقهاء يستنكرون عليهم ذلك ، في حين حاول بعضهم إصلاح هذا الواقع المنافي لحق الذمة بالقوة والعنف وهو ما جعل السلطان المنصور ومن ثم ابنه المظفر الأول يتنبهون لهذه المسألة ويضعون لها حدوداً وضوابط أوقفت اليهود عند حدهم تاركين للعلماء والفقهاء الخيار في إصلاح هذه المسألة بالطرق التي يرونها مناسبة[١] .

لقد حاول كثير من الناس تجنب التعامل مع اليهود أو الدخول معهم في علاقات أو صداقات خوفاً من التأثر بهم ، وقد بلغ الأمر بالكثير من سكان القرى إلى امتناعهم عن مجاورة اليهود أو إسكانهم معهم في قراهم أو إجارتهم وإقامة علاقات معهم[٢] ، واتهم بعض من خالطهم وارتبط بهم بتغيير دينه ، وممن اتهم بذلك الفقيه عبدالله بن محمد الباحري (ت : ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) الذي عرف عنه كثرة مخالطته لأهل الذمة[٣] ، ومع ذلك عاش اليهود بين أوساط المجتمع اليمني المسلم الرافض لوجودهم فيه ، ومارسوا حياتهم بالشكل الطبيعي في بعض المدن ، وأقاموا لهم الكنس (المعابد) لمزاولة شعائرهم الدينية فيها ، وأرسلوا أبناءهم للتعليم والتعبد فيها ، وسكن بعضهم في أوساط المدن وخالطوا المجاورين لهم من المسلمين في العمل ، ودخلوا معهم في علاقات البيع والشراء وشاركوهم الاستحمام في الحمامات العامة ، وزاولوا العديد من الأعمال وأقاموا لهم المحلات التجارية والورش[٤] ، وبرز الكثير منهم في بعض المهن وأجادوا العمل بها كممارستهم لمهنة الطب البشري ، ويذكر أن طبيب السلطان المنصور نور الدين عمر كان يهودياً[٥] ، كما كان طبيب السلطان الأشرف الثاني إسماعيل يهودياً أيضاً وقد أُرسل له من مصر سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م[٦] .

وفضلاً عن ذلك ، عُرف اليهود بخبرتهم في مجال التجارة والمعاملات المالية وكثيراً ما كان السلاطين يستعينون بهم لسن بعض الضرائب والقوانين ، ويذكر ابن المجاور[٧] اسماً لأحد هؤلاء اليهود الذين وجدوا في عدن وهو خلف اليهودي الذي استمرت ضرائبه وقوانينه

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ – ٦٧ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٤٦ – ١٤٧ .

[٢] الشرجي : المصدر نفسه ، ص٣٦٧ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٥ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٨٣ – ١٨٤ ، ٢٢٥ ؛ البريهي : طبقات الخواص ، ص١٩٩ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٧أ – ب .

[٧] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٠ .

التي سنها سارية المفعول لمدة طويلة من الزمن ، إلا أن أكثر ما اشتهر به اليهود من أعمال هو صياغة الذهب والفضة ، وكانت أكثر المدن وجوداً للصناع والحرفيين منهم مدينة صنعاء ، وأشهر من عرف منهم في عصر السلطان المظفر الأول الحرفي سالم اليهودي الذي كان من أشهر صناع وحرفيي صنعاء في هذا المجال(١) ، كما زاول بعض اليهود العمل في التنجيم والشعوذة والسحر لكسب الرزق(٢) ، وحفر بعضهم الآبار وقاموا ببيع الماء ، ومن هؤلاء شخص يعرف باسم داؤد بن مضمون اليهودي الذي حفر ثلاثة آبار ليبيع منها الماء على سكان عدن(٣) ، في حين ادعى بعضهم معرفته للغيب والمستقبل(٤) ، وبرز منهم علماء كبار وحكماء بلغوا في علمهم أن علماء المسلمين كانوا يلجأون إليهم لتفسير بعض الظواهر والأمور التي يعجز علماء المسلمين عن تفسيرها(٥) .

لقد كان لالتزام اليهود المنتشرين في العديد من المدن والقرى كمدينة تعز وعدن وصنعاء والجند وغيرها بدفع ما عليهم من جزية للدولة – والتي لم تحدد لنا المصادر مقدارها – دور في أن يعيش جميع اليهود في ذمة الدولة الرسولية التي أصبحت مسؤولة عنهم وعن سلامتهم(٦) في ظل مجتمع ينظر إليهم نظرة كره واحتقار ، إلاّ أن تصرفات بعض اليهود الاستفزازية والمعادية للمسلمين ومعاملاتهم غير الأخلاقية كانت كثيراً ما تثير ضدهم المشكلات ، كما أنها كثيراً ما تثير حفيظة العلماء والفقهاء الذين لم يكونوا ينظرون إليهم إلاّ أنهم أهل ذمة وخروجهم عن هذه الذمة يتوجب العقاب لهم أمام تقاعس الدولة . وقد شهدت الدولة الرسولية العديد من الأعمال التي كثيراً ما تثير المسلمين ضد اليهود ومنها : وصول بعض اليهود إلى أعلى المناصب في الدولة وتعاليهم على المسلمين ، وركوبهم البغال المزينة والمزركشة ، وسير المسلمين خلفهم لخدمتهم مما يخالف الذمة ، وتصرّف بعضهم في أموال الضرائب التي بموجبها أخذت أموال التجار بغير حق ، وشغل بعضهم أهالي بعض المدن كمدينة عدن عن صلاة الجمعة بتعقيدهم للمعاملات والإجراءات التي لا يتعاملوا بها إلاّ في يوم الجمعة وعند إقامة صلاتها فقط(٧) ، وكان ذلك سبباً في تصدي العديد من الفقهاء لهم ، وإفتاء بعضهم مثل الفقيه أبي عمران موسى بن عمر بن ميسرة الجعفي (ت : ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) بضرورة

---

(١) نور المعارف ، ج١ ، ص١٦١ – ١٦٣ ؛ ج٢ ، ص١٦٥ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢٣ ؛ المجاهد ، محمد محمد : مدينة تعز غصن نضير في دوحة التاريخ العربي ، ط١ ، المعمل الفني للطباعة ، تعز ، ١٩٩٧م ، ص٣٢ .

(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣١ .

(٤) يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٧٥ .

(٥) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤٢ .

(٦) نور المعارف ، ج٢ ، ص١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ٢٠١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٩ ، ٣٤٢ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ – ٦٧ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٤٦ – ١٤٧ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٧٨ .

حربهم ، وقد لقت دعوته هذه إقبالاً وتأييداً كبيرين من عدد كبير من العلماء والعامة من الناس الذين دخلوا معهم في حرب قتل على إثرها أعداد كبيرة منهم ، وسُبيت نساؤهم وأطفالهم بينما أسلم منهم الكثير خوفاً ورهباً ، ولم تذكر المصادر أي دور حازم وصارم للدولة إثر هذه المشكلة سوى ما ذكر من خوف السلطان المظفر من استفحال هذه الحرب وتطورها وتوسعها بين المسلمين واليهود[١] .

وإضافة إلى ذلك ، فقد كان من أسباب ثورة الناس على اليهود في ذلك العصر ظهور بعض الأفعال والإساءات التي كانت تصدر عن بعض الناقمين منهم على الإسلام والرسول (ﷺ) ، مما يؤدي في أوقات كثيرة إلى ثورة المجتمع ضدهم ، ومهاجمتهم وقتل المعتدي منهم ، وقد يكون من أسباب كثرة المشكلات التي كانت تحدث بين اليهود والمسلمين في عصر بني رسول زيادة احتكاكهم ببعضهم في الأسواق والطرقات ، واستهزاء بعض اليهود بالدين الإسلامي ، وتعالي اليهود على المسلمين ، وتعدي المسلمين على اليهود وتواطؤ الدولة في مثل هذه الأمور ، وتورد بعض المصادر العديد من القصص التي تظهر لنا مدى رفض المسلمين لأي إهانة أو استهزاء للإسلام أو للرسول (ﷺ)[٢] ، في حين نستنتج من هذه الأحداث أن جميع المسلمين كانوا لا يطيقون كلام اليهود وأسلوبهم في التعامل معهم وغضبهم لأي كلمة قد تصدر عن أحد منهم ضد الدين الإسلامي وإن كانت عرضية ، كما استنكر الناس على اليهود العديد من الأمور المنافية لطبيعة المجتمع اليمني المسلم ككثرة بنائهم الكنائس المحدثة في بعض المدن كمدينة تعز مثلاً ، ومخالطتهم للمسلمين في الحمامات العامة دون تستر[٣] ، والسير في الطرقات والأسواق دون علامة تميزهم بأنهم يهود ، ورفعهم أصواتهم عند تأديتهم لشعائرهم الدينية في دور عبادتهم ، وارتفاع أصوات صبيانهم عند تعليمهم في الكنس والمدارس[٤] . ورغم محاولة سلاطين بني رسول حماية اليهود والدفاع عنهم إلاّ أن إجراءاتهم لم تكن صارمة وشديدة لاسيما إذا ارتبط الأمر بفقيه أو قاضٍ مشهور ، وأصبحت حياة اليهود مهددة بأبسط تصرف قد يصدر عن أحدهم[٥] ، وقد حاول بعض سلاطين بني رسول وولاتهم تمييزهم في الأسواق والطرقات فالزموهم لبس العمائم الصفر ولبس الزنار[٦] .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

[٢] عن بعض هذه القصص انظر : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣١ – ٣٣٣ .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٩٩ ، ٢١٩ ؛ المجاهد : مدينة تعز ، ص٣٢ .

[٤] للمزيد من التفاصيل عن دور علماء المسلمين في محاربة أفعال اليهود هذه . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

[٥] الشرجبي : طبقات الخواص ، ص١٤٦ – ١٤٧ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٧ ، ٣٣٣ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٩ ؛ البريهي : المصدر نفسه ، ص١٩٩ ، المجاهد : مدينة تعز ، ص٣٢ .

لم تولد سياسة العنف التي تعامل بها المسلمون مع اليهود سوى مزيد من التوتر والشحناء فيما بينهم ، لاسيما وأنهم يرتبطون معهم بمصالح مشتركة كثيرة كمجاورتهم لبعضهم في السكن ، والتعامل التجاري فيما بينهم في الأسواق ، مما جعل بعض الفقهاء يتجهون إلى سياسة اللين والكلمة الحسنة في التعامل معهم ، وكان أول هؤلاء العلماء الفقيه أبي عمران موسى بن مبارك الجعفي الذي أفتى سابقاً بحربهم وجواز قتلهم ، إذ دخل معهم في حوار في محاولة لإقناعهم بالتي هي أحسن لإدخالهم إلى الإسلامي ، الأمر الذي لقي استجابة من قبل العديد منهم فأسلم على يده خلائق كثيرة منهم[١] ، وقد كان لعملية إسلام اليهود صداها في عموم أرجاء الدولة الرسولية من قبل جميع الناس ، إذ كانت ترتب لذلك المراسيم والاحتفالات من قبل بعض المسؤولين وبحضور أعداد من الناس في حفل بهيج[٢] ، وقد واجه بعض أفراد هذه الشريحة ممن أعلنوا إسلامهم مشكلة تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية لاسيما للمتزوجين منهم ، إذ أجبر من أسلم من النساء على فسخ عقد نكاحها بمجرد إشهار إسلامها لأن الإسلام يحرم استمرار هذا الزواج إلاّ في حالة إسلام الطرف الأخر ، ويذكر الخزرجي[٣] حادثة من هذا النوع عندما أسلمت امرأة يهودية سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م وكان زوجها يهودياً على دينه فألزمه حاكم الشريعة بتسليم صداقها الذي تستحقه عليه فسلمه في مجلس الحكم وفرق الحاكم بينهما فرقة لا اجتماع بعدها إلى أن يسلم هو ، وبإسلام اليهودي واليهودية اللذين يعرفان بين الناس بالمسلماني والمسلمانية يصبح من حق أي منهم الزواج من المسلمين ، ويذكر الجندي[٤] زواج أحد رجال زبيد ويعرف بعمر بن محمد بن سالم الزبيدي بامرأة مسلمانية حتى أنه لقب بين أهالي زبيد بالمسلماني بعد زواجه منها .

وعلى أية حال ، فقد كوّن اليهود تجمعاً لا يستهان به في العصر المذكور ، فرضة وجودهم ووضعهم وحياتهم التي ارتبطت بالناس والذي لا يمكن إنكاره رغم كثرة الخلافات والمشكلات التي سببوها لأنفسهم بحقدهم الدفين على المسلمين وكرههم لهم .

ب - شريحة النصارى :

لم يكن لأهل الذمة من النصارى (المسيحيين) كيان مستقل كما كان لليهود ، بل انحصر وجودهم في مدن محدودة مثل نجران التي كوّنوا ثلث سكانها[٥] ، وجزيرة سقطرى التي عاش فيها جزء كبير منهم – دون إن تحدد المصادر أصولهم أكانت عربية أو غير

---

[١] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٦٤٣ – ٦٤٤ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٣٧ب .

[٣] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٦٤ .

[٤] السلوك ، ج٢ ، ص٢٢٧ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٠٩ .

عربية – مستغلين بعد هذه الجزيرة وخروجها في أحيان كثيرة عن حكم الأسرة الرسولية ، وقد حمل المسلمون الكثير من الحقد للنصارى ، وكانوا يمقتونهم أشد المقت ويكرهونهم كرهاً[١] قد يفوق كرههم لليهود المخالطين لهم ، ويبدو أن ذلك الكره كان له جذور تاريخية تناقلها الأجيال حتى وصلت إليهم ، لهذا انعزل المسيحيون في هذه الجزيرة مستغلين ما بها من طبيعة خلابة ومزارع ، وأخذوا يمارسون شعاراتهم الدينية فيها ، وميزوا أنفسهم بلبس الصليب المعلق في أعناقهم ليتدلى على صدورهم صانعين منه أحجاماً مختلفة لهم ولأطفالهم ونسائهم ، وكثيراً ما كان قراصنة السفن ينزلون ببضائعهم التي ينهبونها من سفن التجار إلى جزيرتهم هذه فيبيعون عليهم من هذه البضائع المسروقة ، ويقيمون الاحتفالات بالأكل والشرب معهم ويختلطون بنسائهم التي قد يمارسون الفاحشة معهن دون أن تكون في قلوبهم غيرة على شرفهن ، وقد أجاد مسيحيو سقطرى أعمال السحر والشعوذة وأبدعوا فيها وأكثروا من مزاولتها[٢] ، ولهذا كان لانعزالهم عن الاختلاط بالمسلمين دور في أن لا يكون لهم أي تأثير يذكر كما كان لليهود .

ومن خلال محاولتنا هذه لدراسة الطبقات الاجتماعية وأوضاعها ودورها في الحياة العامة نصل إلى عدد من الاستنتاجات أهمها : أن المجتمع في عصر الدولة الرسولية تكون من طبقتين رئيسيتين هما : طبقة الخاصة ، وطبقة العامة ، وأن كل طبقة انقسمت إلى عددٍ من الفئات والشرائح التي كان لها دور فاعل فيه ، وأن تلك الفئات والشرائح مارست أعمالاً متنوعة ، مما خلق حالة من الهدوء والاستقرار بين أفرادها ، وقد ساعد ذلك الاستقرار على زيادة النمو والتطور في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية ، رغم ما عاناه بنو رسول من صراعات وحروب كادت في أحيان كثيرة أن تودي بدولتهم ، أي أن الاستقرار الاجتماعي انعكس على جميع الجوانب المذكورة ، وهو ما أدى إلى نهوض الدولة وتطورها وازدهارها ، وبقائها مدة زمنية أطول من غيرها .

ومن هنا نلاحظ أن انشغال جميع الفئات والشرائح ذات القاعدة الاجتماعية الواسعة والكبيرة من طبقة العامة كالفلاحين والصناع والحرفيين والمهنيين وغيرهم في مزاولة أعمالهم جعلهم ينشغلون بهذه الأعمال ويبتعدون عن الأحداث السياسية التي كثيراً ما تتعرض لها الدولة الرسولية باستثناء بعض هذه الفئات التي تضررت بسبب سياسة الدولة وأفعالها وضرائبها كالفلاحين مثلاً .

---

[١] ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨٠ ، ٩١ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ .

ومن خـــلال دراستنا لفئات طبقتي الخاصة والعامة وتكوينها الداخلـــي نلاحـــظ أن هناك أمكانية لجميع أفراد تلك الفئات بالتنقل من فئة إلى أخرى صعوداً وهبوطاً باستثناء فئـــة واحدة ظلت محافظة على مستواها الاجتماعي والروحي والديني ألاّ وهي فئة السادة الأشراف في الطبقتين المذكورتين الذين تمسكوا بوضعهم ومكانتهم بين الناس ، على عكس أفراد الفئات والشرائح الأخرى التي قد يحالف بعضهم الحظ بالمال أو بالجاه أو بالعلم للصعود إلى أعلـــى السلم الاجتماعي أو بالهبوط إلى أسفله بفقدان واحدة من العوامل المذكورة ، ولنا في فئة العلماء أو الجند (العسكر) أو العبيد أو غيرهم خير دليل ، إذ وصل بعضهم إلى أرفـــع المســـتويات والمراكز في عصر بني رسول مع بساطة مستوى الفئة أو الشريحة التي خرجوا منها .

تمهيــد :

لقد كان لتنوع التركيبة العامة للسكان في عصر بني رسول وكثـرة عـدد الفئـات واختلاف مراتبها وتفرعاتها في مختلف مدن اليمن دور في تباين مظاهر الحياة الاجتماعيـة من مدينة إلى أخرى ومن طبقة إلى أخرى ، كما كان للمؤثرات الخارجية التي انتقلـت عـن طريق بعض الأفراد والجماعات الوافدة إلى اليمن في صورة عادات وتقاليد وأفكار أثرها في ظهور اختلاف واضح في حياة الناس لاسيما المؤثرات القادمة من المجتمعات القريبـة مـن المجتمع اليمني مثل المجتمع المملوكي في مصر الذي أبهر نمطه وأسلوبه سلاطين بني رسول الذين راحوا يقلدون أفعال المماليك في ترفهم ونعيمهم ولهوهم ، وحذوا حذوهم في بناء القصور والدور والحدائق ، وقربوا الندماء والخواص في مجالس الشراب واللهو والطرب والرقص كما كان يفعل سلاطين المماليك في مصر ، في حين شغل بعض سلاطين بني رسول أنفسهم باقتفاء أثر سلاطين المماليك وراحوا يتتبعون أخبارهم وأحوالهم لتقليدهم في ذلك[١] .

وفي هذا السياق كان للمؤثرات الخارجية دورها في التـأثير علـى معظـم أفـراد المجتمع بمختلف طبقاته وفئاته لكثرة احتكاكهم مع بعض العناصر الوافدة إلى اليمن ، مما أدى إلى ظهور خليط من بعض العادات والتقاليد التي انتشرت بين الناس مع حفاظ بعض اليمنيين على أسلوب حياتهم العربي الأصيل الذي لم تغير فيه موجات الهجرة المتتالية ، ويمكـن أن نحدد مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر بني رسول في الآتي :

أولاً : ترف السلاطين وكبار رجال الدولة :

نَعِم سلاطين بني رسول وكبار رجال دولتهم من أصحاب الوظائف الكبرى والمقربين منهم بحياة مترفة لم ينعم بها غيرهم من أفراد المجتمع ، وقد سخر معظم هؤلاء السـلاطين أوقاتهم لملذاتهم ولهوهم مع خاصتهم من الندماء والمغنيين والرقاصين ، وانقطعت أخبار بعضهم عن رعيتهم لأوقات طويلة لانشغالهم مع خاصتهم المذكورين[٢] ، وقد تنوعت مظاهر الترف التي عاشها سلاطين بني رسول وتعددت أشكالها ، وذهب كلٌ منهم إلى مزاولة ترفه في الحياة بالطريقة التي تشبع رغباته وغرائزه دون أن يمنعه شيء ، ويعد إنشاء وبناء القصور والدور[٣]

---

[١] العمري : مسالك الأبصار ، ص ٤٧ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٣ ؛ باوزير ، سعيد عوض : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط٢ ، مؤسسة الصبـان ، عدن ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، ص٢٠٠ .

[٣] تميز المصادر بين القصور والدور السلطانية في عصر بني رسول ، ويبدو أنه لم يكن هناك فرق كبير سوى أن القصور تكون أكثر فخامة في البناء والمعمار وتحتوي على أكثر من طابق وتفرش بالرخام وتشكل بأنواع الزخارف ، وعادة ما تنتشر في المدن الرئيسة ، في حين لا تقل الدور في عظمتها وبنائها عن القصور إلا أن الدور قد تكون من ملحقات القصور ، كما تكون الدور أكثر انتشاراً في المناطق البعيدة والقرى التي نادراً ما ينزل بها السلطان للراحة والتنزه والاستجمام لأيام قليلة ، ومما لا شك فيه أن القصور كانت عبارة عن أماكن لسكن السلاطين ، كما أن بها أجنحة خاصة تكون مقر يديروا منه شؤون الحكم ، وكذلك الحال بالنسبة للدور .

والمباني الفخمة من أكثر مظاهر الترف التي انتشرت في عصر الدولة الرسولية ، وتعكس لنا حقيقة تشييد مثل هذه القصور المبنية بالحجر والمفروش بعضها بالرخام والمزينة بالذهب والمزخرفة بالنقوش والأشكال المختلفة بسقوفها المدهونة الجميلة المستوى الرفيع الذي عاشه أفراد الأسرة الرسولية ، علماً بأن اهتمام بني رسول ببناء القصور بدأ منذ مدة زمنية سابقة على قيام دولتهم ، إذ يذكر بأن الأمير شمس الدين علي بن رسول والد السلطان المنصور نور الدين عمر أنشأ في ناحية جبلة قصراً عرف بقصر عومان عاش فيه مع أبنائه[١] الذين نشأوا وترعرعوا بين أروقته ، ويبدو أن من جاء بعده من أبنائه وأحفاده ساروا على نهجه في بناء القصور وتعميرها ، إذ يذكر أن ابنه الأمير بدر الدين الحسن بنى له في صنعاء قصراً عظيم الهيكل سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م[٢] ، كما امتلك داراً في زبيد وهي التي نزل بها عند عودته من مصر سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م[٣] .

لقد شُغِفَ بنو رسول منذ قيام دولتهم ببناء القصور وتنافسوا في تعميرها لهم ولأبنائهم بما يتناسب ووضعهم الاجتماعي كملوك وسلاطين لهذه الدولة مكونين بذلك عدداً كبيراً منها في مختلف المناطق اليمنية الخاضعة لحكمهم ، حتى أنهم أصبحوا لا ينزلون في أسفارهم إلاّ في قصور مبنية ومنازل مشيدة في داخل حدود دولتهم للاستراحة بها[٤] ، ويعد السلطان المظفر الأول أول من اهتم بهذا الجانب من جوانب الترف في عصر بني رسول[٥] ، مما كلفه مبالغ باهظة ، وقد بلغ به الأمر إلى درجة شرائه أحجار تلك القصور بمواصفات خاصة ، كما قام بشراء دور مهدمة من أهلها للاستفادة من أحجارها التي يبدو أنها تميزت بأشكالها الجميلة ، وأخذ في البحث عن ملاكها ووزع فيهم الأموال ، مع تفرقهم في مناطق مختلفة[٦] ، ويظهرَ أن المظفر أكثر من بناء القصور في عصره وبالغ في تشكيلها وزخرفتها ، لذلك واجه معارضة شديدة من قبل بعض العلماء والمشائخ الذين أنكروا عليه هذا الأمر[٧] .

وقد نهج من جاء بعد السلطان المظفر طريقه في بناء وتشييد القصور ، إلاّ أن أكثر من فاقهم في هذا الجانب من جوانب الترف ابنه السلطان المؤيد داؤد الذي ذكرت كتب التاريخ ولعه في بناء أروع أنواع القصور وأفخمها ، فكان بناء القصور من أولويات سياسته ، ويعد

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢ ، ٦٦ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٨١ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٨١ .

[٤] العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٤ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٢٠ ، ٥١٣ ؛ ج٢ ، ص٩ ، ١٦ ، ٢٣ – ٢٤ ، ١٢٤ – ١٢٥ ، ١٢٩ ؛ ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٤٠٥ – ٤٠٦ ، ٤٥٤ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ١١٧ .

[٧] عن هؤلاء المشائخ ودورهم في معارضة سلاطين بني رسول انظر : ص٣٣٤ .

قصره المعروف بالمعقلي الذي أقامه في ثعبات سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م من أشهر ما بنـاه ، إذ استمر بناؤه سبع سنوات دفع فيها الأموال الباهظة للعاملين على تشييده من البنائين والحرفيين والصناع الغرباء الوافدين إلى اليمن والذين كانوا يطلعون على ظهر سبعين بغلة يومياً خارجاً عن العمال اليمنيين[١] ، وقد أسهبت المصادر في وصف هذا القصر والذي تقول عنه أنـه لا نظير له في مصر ولا في الشام والعراق واصفة مجالسه وسقوفه المذهبة التي لا أعمدة لها ، وما به من رواشن[٢] وبرك وأشكال الإوز المصنوعة من النحاس الأصفر التي ترمي الميـاه من أفواهها ، والشذروان[٣] الذي يصب ماءه إلى البركة ، إضافة إلى ما احتواه هذا القصـر من رخام زين أروقته ، وشبابيك تفتح على بستان عجيب المنظر محاط بهذا القصر[٤] .

وتتجسد أمامنا صورة أخرى من صور الكبرياء والترف بما فعله المؤيد عند الاحتفال بافتتاح هذا القصر الذي أقامه بهذه المناسبة التي حضرها أعداد كبيرة من الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مستوياتهم من أمراء ووزراء وعلماء وفقهاء وعامة أهل تعز وأعيانهم ، وقد احتشد الناس في الحديقة المحيطة بالقصر مترقبين مشاهدة السلطان لتهنئته والذي خرج مـن شرفة القصر في الطابق الثاني للنظر إلى الحضور وهم مبهورين بعظمة ما يرون من ملكه ، وقد استغل المؤيد هذه المناسبة لإصدار أوامره بإفاضة الخلع وتوزيع الهدايا على الحاضرين من أعيان الناس وعامتهم والشعراء الذين تسابقوا على مدح المؤيد واصفين عظمة ملكه[٥] .

لقد بلغ من شغف وولع السلطان المؤيد داؤد ببناء القصور أنه بمجرد الانتهاء مـن بناء قصر المعقلي أمر ببناء قصر آخر في بستان صالة بتعز وأطلق عليه اسم قصر المنتخب وكان بديع المباني[٦] ، ثم أمر في سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م بتشييد قصر آخر في زبيد سماه قصر ظاهر بباب الشبارق في البستان الذي أمر بإنشائه هناك والمعروف بحائط البيق ، وقد كان به إيوان طوله خمسة وأربعون ذراعاً ، وفي صدره مقعد عرضه ستة اذرع ، وله دهليز متسع ،

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٥٦ب .

[٢] الروشن : هو البناء الخارج عن جدار البناء كالشرفة . انظر : محمد محمد أمين وآخرون : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص٥٨ .

[٣] الشذروان : وهو لوح من الرخام المائل الذي ينحدر عليه الماء وعادة يتكون من صحن مزخرف وفتحة يصب فيها الماء إلى حوض أسفلـه ويخرج من هذا الصحن قناة صغيرة توصل الماء إلى البركـة في وسط المكان . محمد محمد أمين : المرجـع نفسه ، ص٦٩ ؛ رزق : مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص١٥٧ – ١٥٨ .

[٤] للمزيد من الوصف عن قصر المعقلـي في ثعبات انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٥١ ؛ الحمزي : كنز الأخبار ، ص١٣٨ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٢٨ – ٥٢٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٧ – ٣٧٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٥٦ب ، ١٥٧أ ؛ الكفاية والإعلام ، ق٧٢أ ؛ إسماعيل الأكـوع : أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص٣٠ – ٣١ .

[٥] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٢٩ – ٥٣٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٧٨ – ٣٧٩ .

[٦] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٥٤ – ٢٥٥ .

وفي الدهليز قصر بأربعة أواوين والجميع بجملون[١] ، وفيه المباني القريبة المشـــرفة علـــى البستان المذكور من جميع نواحيه[٢] ، كما أقام المؤيد لنفسه ملكاً عظيماً في تعـــز ونواحيهـــا وبنى قصوراً فخمة فيها وكان أعظمها قصور ثعبات وقراضة وصهلة وصالة[٣] ، مما يظهر لنا مدى نعيم الحياة التي عاشها هذا السلطان .

لقد تأثر السلطان المجاهد بالحياة المترفة التي عاشها في قصور والده وتربى وترعرع فيها ، لهذا عمل خلال مدة حكمه على الاهتمام بهذا الجانب ، فسخر اهتمامه بثعبات ، وأقـــام فيها المخترعات الفائقة والبساتين الرائقة وبنى فيها المساكن العجيبة والقصـــور الغريبـــة[٤] ، وتصف بعض المصادر أحد تلك القصور التي ينزل بها السلطان المجاهد للتنزه والتسلية والراحة مبينةً عظمة القبة الملوكية الموجودة به ، والمقعد السلطاني المفروش بالرخام الملـــون ، ومـــا يجري فيه من مياه تطرب الأذن طرباً بصفاء صفيرها وطيب خريرها ، واصفةً حديقة هـــذا القصر وما تحتويه من أشجار قد نقلت إليه من كل مكان ، فجمعت بين فواكه الشام والهند ولا يقف ناظر على بستان أحسن منه[٥] ، أما أشهر دور السلطان المجاهد فهو دار السعادة الـــذي بناه على ساحل البحر في مدينة عدن والذي يذكر أن بناءها عجيب مثلث الشكل[٦] .

وفي هذا الصدد ، استمر سلاطين بني رسول في إنشاء القصور ، وكـــان الســـلطان الأفضل العباس وابنه الأشرف الثاني إسماعيل ممن نسبت إليهما العديد مـــن هـــذه القصـــور والدور الفارهة[٧] ، وقد بالغ من جاء بعدهما مثل السلطان الناصر في هذا الجانب من جوانب الترف فأسرف في بناء القصور وجعل معظم خشبها من شجر الصندل وأكثر فيهـــا المبـــاني المجصصة وأحاطها بالبساتين الجميلة المحتوية على مختلف أنواع الفواكه والثمـــار ، ويعـــد حصن الفص في وصاب الذي أبدع البناؤون في تعميره ، ودار النعيم التي أسسها سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م في المقرانة والتي دفع لبنائيها عشرين ألف دينار ، والدار الناصري الكبيـــر بزبيـــد وغيرها من أشهر ما بُنِيَ في عصر الناصر الذي أسرف في هذا الجانب[٨] ، علماً بأن تلـــك

---

[١] الجملون : سقف محدب على هيئة سنام الجمل . المعجم الوجيز ، ص١١٨ .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٧٠ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٤٩ – ٥٥٠ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٨٢ – ٣٨٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٥٧ب ، ١٥٨أ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦١٨ ؛ سمث ، ركس ، معلومات عن تاريخ ثعبات وكتاباتها ومسكوكاتها ؛ تر : نهى صادق : بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكـــي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٨٨ – ٩٠ .

[٥] العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٦ .

[٦] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص١٠ – ١١ .

[٧] عن هذه القصور انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ .

[٨] انظر : ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٩ ، ٣٩١ .

القصور بُنيت في وسط بساتين وجنات تبهت الناظر إليها ، في حين تحاط تلك البساتين والقصور بأسوار محصنة تضم في داخلها العراريش واصطبلات الخيول والبغال والحمير والأفيال الخاصة بالسلطان وبيوت الطبلخاناه والخزائن ومختلف أنواع البيوتات[١] .

لقد كان سلاطين بني رسول يتباهون بما هم فيه من نعيم أمام كبار ضيوفهم ، مثلما فعل السلطان المؤيد عندما زاره الشريف تاج الدين أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة لأول مرة ، إذ توجه به إلى البحر وأركبه فيلاً بينما هو راكب آخر أمام خوف ورهبة الشريف المذكور الذي لم يتعود التعامل مع هذه الحيوانات الضخمة والمخيفة ، وتباهى المؤيد أمام ضيفه بأن دخل به البحر على ظهر هذا الفيل دون خوف ، ثم سار بضيفه إلى تعز ، وهناك أخذ بالتنقل به بين قصور ثعبات وقراضة وصهلة وفي أروقتها وبساتينها وجنانها وكل ذلك أمام ذهول الشريف تاج الدين الذي رأى في ذلك ملكاً كبيراً وجنة وحريراً[٢] .

وفي الوقت نفسه ، عاش أبناء السلاطين في المستوى نفسه الذي عاش فيه آباؤهم ، فشيدت لهم القصور ، وزرعت لهم الحدائق ، وراحوا يهتمون بها كجانب من جوانب الترف في حياتهم ، وكان الملك الواثق بن السلطان المظفر الأول مثالاً لمن اهتموا بإقامة الدور للنزول بها ، وأشهر هذه الدور الدار التي أقامها في صنعاء ، وكان لا ينزل إلاّ بها[٣] .

لقد احتوت تلك القصور على حاشية كبيرة من الخدم والعبيد والجواري وأنواع المطابخ التي يحتوي كل منها على طاقم متخصص في صنع الأطعمة والحلويات والأشربة المختلفة التي تعد لمن في هذه القصور ، وقد ساعد أبناء السلاطين على العيش في هذا المستوى الرفيع المبالغ المالية التي كانت تصرف من ميزانية الدولة لهم ولأبنائهم وحاشيتهم المحيطة بهم ، خارجاً عمّا يصرف لمطابخهم من مواد غذائية ومتطلبات أخرى وكسوات لهم ولأبنائهم وزوجاتهم وعبيدهم وجواريهم وحرسهم وكل من يخدمهم[٤] ، كما كان مثل ذلك لأبناء السلاطين والوزراء والمستشارين[٥] . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل عاش بعض أفراد البيت الرسولي حياة مترفة لانتمائهم الأسري للبيت الحاكم فامتلكوا القصور والدور كالأمير أسد الدين محمد بن حسن بن رسول وأخوه فخر الدين أبو بكر ، إذ شيدت لهم القصور في بعض المدن كصنعاء ، وجهزت بالخدم والعبيد لحمايتهم والدفاع عنهم ، كما قلدوا السلاطين

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٣ – ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ – ٣٨٥ ؛ العسجد المسبوك ، ت٢٤٥أ .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٥٥ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٥٤ .

[٤] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٥٤ – ٥٥٩ ؛ ج٢ ، ص١٦ ، ١٧ ، ٢٥ – ٢٨ ، ٣٠ – ٣٦ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٩ ، ٤٦٨ ؛ ج٢ ، ص١٢٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦٩ ، ٢٩٢ ، ٣٩٢ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٠٩ ، ٦٠٠ .

في إقامة المجالس في هذه القصور[١] ، كما شيد أسد الدين في سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م داراً أخرى له في منطقة الحبول قريباً من ذي مرمر شمال صنعاء[٢] .

وقد شمل هذا الجانب من جوانب الترف حياة المشائخ من كبار الملاك وأصحاب النفوذ مثل الشيخ عبد الباقي الصهباني الذي عمَّر قصراً في هادس في منطقة صهبان[٣] ، وعرف بفخامة حظيرته التي تضاهي في بنائها حظائر سلاطين بني رسول ، وقد هدم هذا القصر على يد السلطان الأشرف الثاني سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م ، وضُمت حظيرته إلى أملاك الأشرف[٤] ، كما يذكر عن أحد مشائخ وصاب وهو الشيخ سليمان بن مسعود الفيائي (ت : ٧٨٣هـ /١٣٨١م) ولعه ببناء الدور التي كان أشهرها الدار الكبير والدار العالي التي فرغ من بنائها سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م ، ودار العرادة التي أنشأها سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م[٥] .

ومهما يكن من أمر ، فقد جارى ذوو اليسار سلاطين بني رسول والمقربين منهم في بناء الدور ، وراحوا يقلدونهم في ذلك لمقدرتهم المالية ، كما راحوا يجهزونها بما تحتاج إليه من عبيد وخدم هنود وحبوش ، ويقول ابن فضل الله العمري[٦] عنهم : " ولأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة ، وسعادات عندهم ملحوظة ، ولأكابرها حظ من رفاهية العيش والتنعُم والتفنُن في المأكل ، يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان ويُعمل فيها بالسكر والقلوب ، وتطيب أوانيها بالعطر والبخور ، وتكون له الحاشية والغاشية والحبوش ، وفي بيته العدد الصالح من الإماء ، وعلى بابه جملة من العبيد والخدم والخِصيان من الهند والحبوش . ولهم الديارات الجليلة والمباني الأنيقة ، إلاّ الرخام ودهان الذهب واللاّزَورد فإن هذه من خواص السلطان لا يشاركه فيها مشارك من الرعايا ولا من الأعيان ، وإنما فرش دورهم بالخافقي وما يجري مجراه " . وتذكر لنا المصادر بعض هذه الدور الفاخرة التي أقامها بعض أصحاب اليسار كالتجار وغيرهم ، والمحتوية على أجنحة أو بيوت ملحقة بها للضيوف القادمين من الغرباء إليهم مثل دور التاجر أبي الحسن علي بن محمد بن حجر الأزدي (ت : ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) في عدن ، والتي كانت مفتوحة لكل من قدم عدن من أهل الفضل ، وقد أقامها بالقرب من داره الأصلية[٧] لتموينها بما تحتاج إليه من طعام وغيره كما يبدو ، ومنها دار

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٨٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨١ ، ٨٦ ، ٩٧ .

[٢] عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبدالله بن الأنف : نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط ميكروفيلم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، رقم (٢٢٥٣) ، ق٧١أ – ب .

[٣] صهبان : منطقة مشهورة من أعمال ذي السفال بإب . محمد الأكوع : اليمن الخضراء ، ص٨٤ ، ١١٤ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ،ج٢ ،ص٢١٥ .

[٥] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٧ .

[٦] مسالك الأبصار ، ص٥٥ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤٣ – ٢٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصلاح وتنسب إلى صلاح بن علي الطائي أحد تجار عدن ومياسيرها في عهد السلطان الناصر أحمد[1] .

ومن جوانب الترف الأخرى التي عاشها سلاطين بني رسول ارتدائهم للملابس الغالية ذات المواصفات الملوكية المطرزة بخيوط الذهب والفضة والمرصّعة بأنواع الأحجار النفيسة كاللؤلؤ المرصوص بأحسن صورة[2] ، وقد بالغ بعض هؤلاء السلاطين في ترصيع ملابسهم بأنواع الأحجار الكريمة مثل السلطان المؤيد داؤد الذي زين ملابسه بها[3] ، كما وصل الأمر ببعض السلاطين إلى ترصيع شراميز (أحذية) نسائهم بالجواهر النفيسة مثل السلطان المنصور نور الدين عمر الذي رصّع أحذية زوجته بنت جوزة بجواهر لا قيمة لها[4] يقال إنها بخراج عدن[5] ، كما عُملت أدوات بعضهم المنزلية من الذهب الأحمر المرصّع بالجواهر النفيسة من الياقوت الأحمر ، ومن اللؤلؤ الكبار المنقى ما يساوي مملكة ، وكثيراً ما كانت مثل تلك الأطباق تعرض على ضيوف السلاطين وجلسائهم من باب التباهي والتفاخر مما يبهت الحاضرين ويثير إعجابهم لاسيما الشعراء الذين يتسابقون لوصف عظمة وعجب ما يرون مما لم يسمعوا عنه من قبل[6] ، كما يذكر أن السلطان المجاهد كان يمتلك شخوصاً[7] من الذهب ، ومع القيمة المالية لهذه الشخوص إلاّ أنه كان يهدي منها للمقربين والضيوف القادمين إليه[8] ، ووصلت بهم حياة الترف والتباهي في الاحتفالات والانتصارات إلى رمي الدنانير والدراهم المعمولة من الذهب والفضة الخالصة بين الناس في أثناء سيرهم في المواكب ليتسابقوا على أخذها من الأرض أمام سعادة السلطان أو أحد أبنائه[9] .

وفي الوقت نفسه ، أسرف سلاطين بني رسول في مد الأسمطة المحتوية على أنواع الأطعمة الشهية ، وما لذ وطاب من الحلوى والمشروبات في احتفالاتهم التي تعددت كاحتفالات عيدي الفطر والأضحى ورمضان وموائد الختان التي أسهبت المصادر في وصفها[10] .

لقد عاش المقربون للسلاطين من أفراد البيت الرسولي وكبار رجال دولتهم والأشراف والمشائخ وكبار الملاك والتجار أيضاً حياة مترفة هيأتها لهم الأحوال المحيطة بهم ،

---

[1] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص١٢ .

[2] نور المعارف ، ج١ ، ص١٦٦ – ١٦٨ ، ٢٨١ – ٢٨٢ .

[3] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٣ .

[4] المصدر نفسه ، ص٢٩٣ – ٢٩٤ .

[5] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٧ب .

[6] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٣٨ – ٢٣٩ .

[7] الشخوص : دنانير ذهبية كبيرة الحجم ثقيلة الوزن عرفت باسم شخوص المجاهد الذهبية . ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٣٨٩ .

[8] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧١٧ .

[9] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٤٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٤ ، ٢٤٧ ؛ ج٢ ، ص٢٣٧ .

[10] سوف يتم التفصيل في موضوع الأطعمة لاحقاً انظر : ص٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥٧ – ٢٥٩ .

ويعد قربهم من السلطان وتقلد بعضهم لأعلى المراكز في الدولة من أهم الأسباب التي هيأت لهم ذلك لاسيما كبار الموظفين والأشراف ، وقد مُيّز هؤلاء بأمور أظهرت مكانتهم التي احتلوها في الدولة وبين الناس ، وأصبحت تلك الامتيازات بمثابة مقياس للمستوى الرفيع الذي وصل إليه هؤلاء ، وقد بلغ الأمر ببعضهم إلى أنهم لا يسيرون إلاّ تحت خوافق الأعلام السلطانية وهم محاطون بالأمراء والأجناد والعسكر ، وامتلك بعضهم الدور الفاخرة ، وقلد بعضهم السلاطين وراحوا يمدون الأسمطة المحتوية على أشكال الأطعمة المتنوعة[١] ، كما تجسد ترف هؤلاء الرجال من وزراء وأمراء وقضاة وغيرهم بركوبهم البغال ذات الزنار التي لا يركبها إلاّ عليّة القوم في ذلك الحين للسير بها في الطرقات والأزقة وحولهم العبيد والخدام والغلمان لحمايتهم وخدمتهم وهم في أفضل زي وأحسن هيئة[٢] .

كما عاش بعض المشائخ من كبار الملاك حياة رفاهية لا تقل عن حياة السلاطين ، إذ فُتحت أبوابهم للناس كأبواب السلاطين ، ويذكر الجندي[٣] أن باب الشيخ علوان بن عبد الله الجحدري كان كأبواب الملوك محاط بالحجاب والرؤساء والعسكر ، ووصل الأمر ببعض المشائخ إلى ترقب أوضاع بني رسول وما يلبسون لتقليدهم في ذلك ، بل فاق بعض المشائخ سلاطين بني رسول في ملابسهم ونثرهم للدراهم بين الناس في الأعياد والأفراح ، وعمل بعضهم على تنويع مراكبهم من الدواب والخيل عند خروجهم وتحليتها بأنواع الزين الملوكية كالبراسيم المحلية والتجافيف الحبشية والرماح والبيارق المزينة التي لايتزين بها ولا يركبها إلاّ الملوك ، مما أدخل الحقد والبغضاء في قلوب بني رسول على بعضهم[٤] ، وقد وصل الأمر ببعض المشائخ وأصحاب اليسار وكبار الملاك إلى استخدام المحامل والهوادج الفاخرة التي تحمل على أعناق الرجال من العبيد والغلمان ، وكانت مواكبهم تعرف بما يطلق من أغاني وأناشيد تردد في أثناء سير مواكبهم من قبل العبيد كجانب من جوانب الترفيه والتسلية ، وكتنبيه للمارة من الناس بعظمة ومكانة هذا الشيخ وما يملكه من حاشية تقوم على خدمته[٥] ، وقد اهتم هؤلاء بأسلوب حياتهم ومأكلهم وملبسهم وطيبهم ، حتى أن بعضهم شغل نفسه بزينة الدنيا واللباس الفاخر الرفيع وأكل الناعم وشم الطيب ، ويذكر عن بعضهم اهتمامه بتطييب جسمه ولبسه مما يكلفه شراء الطيب فحسب ما يقارب من مئة دينار يدفعها نقداً لبائع الطيب[٦] .

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٨٢ – ٤٨٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٧أ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٩٧ب ، ٩٨أ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ ، ٣٢٦ .

[٣] السلوك ، ج٢ ، ص١٩٣ ، ١٩٦ – ١٩٧ .

[٤] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٩ب ، ٥٠أ ، ٧٧أ .

[٥] المصدر نفسه ، ق٣ب ، ٤أ .

[٦] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٧٥ .

ثانياً : الاحتفالات والأعياد والمواسم :

اعتاد اليمنيون في عصر بني رسول على إحياء عدد من المناسبات التي كانوا يحتفلون بها سنوياً أو موسمياً مظهرين في ذلك الفرحة والسرور بها ، وأهم هذه الاحتفالات :

١ – الاحتفالات الدينية :

شكلت الأعياد والمواسم الدينية المختلفة أحد أهم مظاهر الحياة الاجتماعية التي اعتاد اليمنيون إحياءها والاحتفال بها شأنهم في ذلك شأن بقية المسلمين في الأقطار الإسلامية الأخرى[١] ، وتعد الاحتفالات بقدوم شهر رمضان ولياليه وعيدي الفطر والأضحى وأول جمعة من شهر رجب وليلة السابع والعشرين من رجب وليلة النصف من شعبان وغيرها من الاحتفالات الدينية من أهم تلك المظاهر التي اهتمّ اليمنيون باستقبالها والاحتفال بها .

أ – **الاحتفال بقدوم شهر رمضان** : ويبدأ الاحتفال بشهر رمضان باستطلاع الهلال الذي قد يختلف الناس في رؤيته وتحديد ظهوره ، ويذكر الخزرجي[٢] اختلافهم في رؤيته سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م مما أدى إلى أن يصوم أهل المهجم يوم الأحد ويصوم أهل زبيد يوم الاثنين ، ومِنْ ثَمَّ صيام أهالي زبيد ٢٩ يوماً من الشهر واكتماله عند أهالي المهجم .

وقد كان الناس يتهيؤون أنفسهم مادياً ومعنوياً وروحياً لاستقبال هذا الشهر في محاولة لإعطائه حقه من صيام وفعل الخير والتصدق بتقديم وجبات إفطار الصائم والسحور للمنقطعين والأيتام والفقراء والمساكين والمحتاجين ، كما يهيئ الجميع أنفسهم للعبادة في لياليه المباركة ، واستعداداً لهذا الشهر كان سلاطين بني رسول يرصدون المبالغ المالية من ميزانية الدولة السنوية لصرفياته اليومية والتي تعمّد يومياً من قبل السلطان نفسه لشراء لوازم المطابخ السلطانية وحاجياتها من مواد غذائية ولحوم وتوابل وخضار وفواكه وأحطاب ، وتجهز لذلك المطابخ وتعد إعداداً كاملاً للالتزام يومياً بتوفير وجبتي الفطور والسحور[٣] ، وتذكر المصادر أن هناك نوعين من المطابخ التي تجهز للعمل طيلة شهر رمضان في القصور والدور السلطانية وهي : المطبخُ الخاص الذي يقوم بتجهيز الأطعمة والاشربة التي تعد للسلطان وأفراد بيته وحاشيته وكبار موظفيه وضيوفه القادمين والمقيمين في دار الضيف خلال هذا الشهر ، والمطبخ الخرجي أو العام الذي تعد فيه وجبتا الفطور والسحور للصائمين الواقفين على باب السلطان من عامة الناس المنقطعين والمحتاجين والفقراء في المساجد ودور الأيتام ، ولا يُفعّل المطبخ الخرجي إلاّ في ليالي الشهر الكريم[٤] .

---

[١] السروري : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ، ص٦٨٣ .

[٢] العسجد المسبوك ، ق٢٥١ب .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٣٧ – ٥٣٩ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٦ ، ٥٣٧ – ٥٣٩ ؛ ج٢ ، ص١٣ ، ١٦ .

وفي هذا الصدد ، كان سلاطين بني رسول عند قدوم شهر رمضان يكلفون من يبحثون لهم عن أفضل القراء تلاوة للقرآن الكريم وأفصحهم نطقاً وأحسنهم صوتاً لإحياء لياليه بإقامة صلاة التراويح والقيام ، ويأخذون في تعيينهم رسمياً بأمر من السلطان لاسيما في المساجد والجوامع الكبيرة للمدن الرئيسة(1) ، وقد أخذ الناس في هذا الشهر يعيشون الأجواء الإيمانية بتلاوة القرآن الكريم في البيوت والمساجد ، وراح سلاطين بني رسول يقيمون في ليالي رمضان مجالس عرفت بمجالس التشفيع في المساجد أو في قصورهم ودورهم ، ويذكر السلطان الأشرف الثاني إسماعيل أنه أخلى دار النصر في زبيد سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م لإحياء مجلس التشفيع بحضور فقهاء زبيد وقضاتها والأمراء والوزراء ومن يعتاد حضور مثل هذه المجالس ، ويتلو الحاضرون في هذه المجالس القرآن ، ويتحاورون في بعض الأمور الدينية والدنيوية التي تثير الجدل والنقاش العلمي طوال ليالي هذا الشهر بجو من المرح والتسلية ، وقد يضفي على هذا المجلس روح المزاح بين العلماء والفقهاء عند مناقشتهم بعض القضايا(2) ، كما سُخرت بعض الليالي لسماع الحديث الشريف من صحيح البخاري التي يتكفل بتقديمها كبار المشائخ والعلماء(3) ، وقد كان يشارك في هذه المجالس في بعض الليالي سفراء الدول ووجهاء القوم القادمون من سائر الجهات ، ثم يخرج الجميع عقب انتهائهم إلى سماط عظيم فيه ما لذ وطاب من الطعام والشراب(4) .

لقد كانت العشر الأواخر من رمضان أكثر الأيام تعبداً وزهداً وعكوفاً في المساجد والجوامع التي تتعالى فيها الأصوات القارئة للقرآن الكريم ، إذ يتوافد الناس على اختلاف مراتبهم لحضور مجالس العلم وحلقات الوعظ في ليالي هذه الأيام المباركة ، وقد أولى بنو رسول اهتمامهم بهذه العشر لاسيما ليلة السابع والعشرين منها ، وتشهد جوامع بعض المدن الرئيسة مثل جامع الجند إقبالا غير عادي من قبل العلماء والفقهاء وعامة الناس وخاصتهم لختم القرآن الكريم فيها ، وكانت العادة الجارية أن يصل جموع الناس وكبراؤهم يوم السادس والعشرين ليعتكفوا في جامع الجند ، ثم يتبعهم عالم أو فقيه مشهور ليلة السابع والعشرين لختم المصحف من على المنبر ، ويلبث في الجند حتى يصلي بالناس صلاة العيد ويخطب بهم خطبة العيد ، وكان من عادة بني رسول أن يصرفوا لهذا الفقيه ثلاثين ديناراً لعمله هذا(5) ، ويبدو أن المساجد كانت تعج بالمصلين والمعتكفين في العشر الأواخر مستغلين أوقاتهم بين

---

(1) الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٢٩ ، ٣٣٢ .

(2) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٦٣ – ٢٦٤ .

(3) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٦أ .

(4) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩٧ – ٢٩٨ .

(5) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصلاة وقراءة القرآن وتدارسه ، ويصف لنا الشرجي[١] كيفية جلوس المصلين والمعتكفين وهم محتبيون[٢] في أثناء جلوسهم وسماعهم للقرآن ، وكانت المساجد في هذه الليالي تضاء بالشموع والقناديل الخاصة المعروفة بقناديل الختمات[٣] ، في حين تفوح بين الحاضرين من مجامر أعدت لهذا الموقف روائح العود والعنبر من ابتداء القراءة وحتى انتهائها[٤] ، ويصف لنا ابن المقرئ[٥] مدى حزن الناس وأسفهم وتحسرهم على ليالي رمضان متمنين عودتها لما فيها من صيام وعبادة وعلم ووعظ وسعادة تغمر الجميع .

ب – **الاحتفال بعيد الفطر** : كان احتفال الناس بشهر رمضان يتوج بقدوم عيد الفطر ، وقد اهتم به اليمنيون اهتماماً كبيراً في العصر المذكور ، وراحوا يهيئون أنفسهم لقدومه بعد شهر الصيام ، ويبدو أن الناس كانوا يعدون ملابسهم وحاجياتهم حتى وقت متأخر من ليلة العيد لتكون جاهزة في الصباح ، لما تذكره المصادر من خروجهم باكراً من بيوتهم إلى مصلى العيد ، وخروج بعض أقارب بني رسول وقادتهم وأمرائهم وأعيان دولتهم ورعيتهم منذ الصباح الباكر إلى باب السلطان للسلام عليه والسير في موكبه إلى المصلى[٦] ، ويبدو أن تلك من العادات التي كانت معروفة بينهم والتي تبدأ من الساعات الأولى ليوم العيد ، ثمّ يبدأ السلطان بالاستعداد للخروج إلى مصلى العيد ، إذ يسير من باب قصره وهو في كامل زينته والجميع من حوله والعسكر من المشاة والفرسان يسيرون على صوت طبول وأبواق الطبلخاناه وهم يحملون السيوف والخناجر ، وفي هذه اللحظات يتسابق العامة من الناس إلى الطرقات ليصطفوا يميناً ويساراً لمشاهدة عظمة موكب السلطان متأملين مذهولين بما يرونه ويشاهدونه في ذلك الموكب المهيب الذي يبهر الناظرين[٧] ، وعند الانتهاء من صلاة العيد يتبادل الناس التهاني والتبريكات ، وكان من عادة موكب السلطان أن يتجه إلى ميدان المدينة ليقف فيه السلطان بين الأمراء والجند الذين يحتشدون في حركة استعراضية يعرضون من خلالها بعض الفرق العسكرية المحاربة وهم في أحسن لباسهم وزينتهم ، ويصدر السلطان أوامره بأن يتقدم هذه القوات أحد كبار الأمراء ويسير أمامها لاستعراضها ، هذا أمام إعجاب وتعجب من حولهم من عامة الناس[٨] ، كما يتجه

---

[١] طبقات الخواص ، ص١٧٧ .

[٢] الاحتباء : وهو أن يجلس الشخص على الأرض ضاماً ركبتيه إلى صدره بواسطة حزام مصنوع من الجلد أو من قماش دائري مغلق أو مفتوح ويتم ربطه من قبل المحتبي حول ظهره وركبتيه للحفاظ على جلسته هذه .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠٨ ؛ وثائق تعليمية ، ص٨٥ – ٨٦ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٩٧ .

[٥] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

[٦] المصدر نفسه ، ص٢٧٢ ، ٢٧٤ .

[٧] المصدر نفسه ، ص٢٧٤ . وانظر : سنان ، يحيى محمد حسان : الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص٣١٥ .

[٨] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٦٥ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٨٨ .

بعض الناس إلى استعراض قدراتهم في الرماية والقنص عن طريق وضع هدف صغير الحجم يصوب إليه الجميع سهامهم لاختبار المقدرة في قنصه وإسقاطه[1] ، وهي عادة ما زالت جارية في اليمن حتى اليوم يمارسها الناس في الأعياد والأعراس والرحلات ، وقد اعتاد سلاطين بني رسول مد سماط ملئ بما لذ وطاب من الطعام والشراب في يوم العيد يحضره جميع الناس بما فيهم أعيانهم وعامتهم ، وقد فضّل بعض السلاطين أن تمد مثل تلك الموائد على الطبيعة للاستمتاع بها كما كان يفعل السلطان المؤيد عندما كان يعيد في عدن ، إذ كان يمد سماط العيد على ساحل حقات بوجود الشعراء الذين يستغلون مثل هذه المناسبات للتعبير عنها[2] .

وقد تميزت الموائد التي تجهز في الأعياد بفخامة محتوياتها وتنوع أصنافها مثل المائدة التي كانت تعد في عيد الفطر في مدة حكم السلطان المنصور عبد الله بن أحمد التي كانت تحتوي على أنواع الأطعمة التي تبهر الناظر ، وقد يكون فيما توصفه المصادر نوع من المبالغة ، إلاّ أننا نستدل من خلال هذه الإشارات إلى مدى مبالغة بني رسول في تقديم أنواع المأكولات والأطعمة في الأعياد ، وترفهم وإسرافهم بل وتبذيرهم في ذلك[3] .

وعلاوة على ذلك ، فقد اعتاد سلاطين بني رسول إضفاء الفرحة والسرور على أنفسهم وأسرهم ورعيتهم في أيام العيد وذلك من خلال تجهيز العبيد لبعض الشموع الملوكية المعمولة خصيصاً لهذا الصباح وإيقادها باكراً والسير بها أمام السلطان في أروقة قصره منذ خروجه من مخدعه حتى خروجه إلى صلاة العيد في حفل بهيج يدخل الفرحة والسرور على قلب السلطان ومن حوله من أفراد أسرته وحاشيته ، كما تزين في هذا اليوم مركوبات السلطان ، ويتم زركشتها وتلبيسها بالثياب الفاخرة حتى أنها تخرج في أحسن زينة وأجمل لباس ، وكانوا ينعمون على من حولهم من المحتفلين بالعيد من نسائهم وأولادهم وأحفادهم وكبار رجال دولتهم وقادتهم وضيوفهم بأنواع الهدايا والإنعامات ، ويصرفون لهم من الأغنام البلدي والبربري والطيور من الدجاج والحمام والبيض والسكر والعسل وغيرها لإدخال السعادة عليهم ، بينما يفرشون لعامة الناس الأسمطة المحتوية على أنواع الأطعمة الممدودة في أواني فاخرة من الصين التي لا تستعمل إلاّ في الأعياد[4] ، في حين ميزت أيام العيد بعمل ما يسمى دبوس النفط في الفرحة والعطب المستعمل في الفرح[5] الذي يبدو من تسميته أنه عبارة عن ألعاب نارية تستعمل في هذه المناسبات لإضفاء البهجة والسرور على الناس في ليالي العيد .

---

[1] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٥ ؛ سنان : الشعر اليمني ، ص٣١٧ .

[2] نور المعارف ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٠ – ٣٢١ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٦أ – ب .

[3] عن هذه الأطعمة وأنواعها انظر لاحقاً : ص٢٤٩ – ٢٥٠ .

[4] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٠٤ ، ٣٢٠ ، ٥٧٦ – ٥٧٧ ، ٥٨٠ ؛ ج٢ ، ص٢١ – ٢٣ ، ٩٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٠ – ٣٢١ ؛ العسجد المسبوك ، ١٤٦أ – ب .

[5] نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٧ ، ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في بعض المناطق فتولى مشاركة الناس الاحتفال فيها بالعيد مُقْطِع المنطقة أو واليها الذي قد يكون من أبناء السلطان أو أحد رجاله ، فيخرج إلى الميدان ويشهد العرض ويحضر مع الناس صلاة العيد ويشاركهم فرحته ، ويمد لهم الأسمطة عقب الصلاة وينعم على الحاضرين منهم[١] ، وفي بعض المناطق كان الناس يخرجون من مصلى العيد إلى بيوت بعض من ذوي المكانة من المشائخ والفقهاء للمعايدة والتهنئة بالعيد وإن صلى معهم صلاة العيد والتقى بهم في المصلى ، وعلى المذكور أن يعد سماطاً يليق بهذه المناسبة يمده للحاضرين مثلما كان يفعل الفقيه عبد الرحمن بن يحيى بن سالم الشهابي (ت : ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) في ذي جبلة[٢] ، ويذكر ابن المجاور[٣] عن بعض أهالي غلافقة ومياسيرها في زبيد أنهم كانوا يمدون الموائد بعد صلاة العيد كما كان يفعل أحد أهاليها ويسمى عمرو بن القشيري الذي كان يأمر أهل بيته في ليلة العيد بالطبخ والشواء ، وفي صباح يوم العيد وعقب الصلاة يدعو كل من في المصلى لتناول الطعام بداره ، ويأكل جميع من في غلافقة في داره احتفالاً بمقدم العيد ، ويذكر عن أهالي عدن أنهم كانوا لا يصلون العيد في المساجد إنما كانوا يصلون في الأماكن الخالية أو في مصلى يعدونه ليلة العيد يكون على مقربة من مقبرة المدينة ويبدو أنهم يخرجون إليها عقب صلاتهم للسلام على أمواتهم وأموات المسلمين[٤] .

وكيفما كان الأمر ، فقد كان الناس ينشغلون بيوم العيد فيخرجون إلى خارج قراهم لمعايدة ذويهم وأقاربهم في المناطق المجاورة لهم أو للتنزه في بساتين النخيل أو على شاطئ البحر ، ويذكر الخزرجي[٥] عن اهتمام وانشغال الناس بالعيد أن المعازبة قاموا في سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م بمهاجمة أموال أهل وادي زبيد في ناحية الحازة ، فنهبوا منها شيئاً كثيراً من البقر وسائر المواشي والناس مشغولون بالعيد ، كما كان بعض أهل البادية يتبارزون بالسيوف ويلعبون بها كنوع من التسلية واللهو في مثل هذا اليوم[٦] .

ج – الاحتفال بعيد الأضحى : لم يكن هناك اختلاف بين عادات احتفال الناس بعيد الفطر عن عيد الأضحى سوى انشغالهم في عيد الأضحى بتوفير المال لشراء الأضحية ، وقد حاول سلاطين بني رسول التخفيف من هذه المعاناة بالنسبة للموظفين والعاملين في أجهزة الدولة المختلفة ، وراحوا في الثلاثة الأيام الأولى للعيد ينحرون النوق والأبقار وأنواع المواشي من

---

(١) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٦٥ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٨٧ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣) تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٤٠ – ٢٤١ .

(٤) الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٩٦ب .

(٥) العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٦٦ – ٢٦٧ .

(٦) انظر : الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص١٧٩ .

الأغنام كأضحية للسلطان ، ويتم توزيع لحومها على موظفين الدولة كافة[١] ، كما تنتعش مهنة الجزارة في الأعياد للإقبال الكبير عليها من قبل خاصة الناس وعامتهم في الأسواق[٢] .

د – الاحتفال بأول جمعة من رجـــب : كما اهتم اليمنيون بالاحتفال ببعض المناسبات والمواسم الأخرى مثل الاحتفال بأول جمعة من رجب والمعروفة بالرجبية التي تقام في جامع الجند من كل عام ، ويحضرها جمع غفير من الناس من الملوك والفقهاء من منـــاطق الـــيمن المختلفة لزيارة الجامع وأداء الصلاة فيه والاعتكاف[٣] ، ويعود سبب احتفالهم بهذه المناســبة إلى أن الصحابي الجليل معاذ بن جبل (ﷺ) قد نزل الجند في مثل هذا اليوم فاعتبروه عيداً يحتفلون به كل عام ، حتى أنهم اعتبروا من صلى في الجند في أول جمعة من رجب فكأنمـــا أدى عمرة وقالوا حجة[٤] ، وقد جعل هذا الاعتقاد الناس يتوافدون من مختلف المناطق إلـــى جامع الجند الذي لا يجد فيه الحاضرون موضع قدم لكثرة المصلين[٥] ، وقد اهتم سلاطين بني رسول بهذه المناسبة وراحوا يشاركون الناس في إحيائها والاحتفال بها ، ويذكر عن السلطان المنصور نور الدين عمر وابنه المظفر أنهم ممن كانوا يتجهون إلى الجند لصلاة الرجبية في جامعها ولمشاركة الناس الاحتفال بها[٦] ، حتى أن كثيراً من الناس اعتبـــروا الرجبيـــة مـــن الأعياد الدينية الواجب الاحتفال بها كل عام[٧] .

هـ – الاحتفال بليلة النصف من رجب : كما احتفل الناس في النصف من رجب بليلة عُرفت بليلة الرغائب ، وأقاموا فيها الصلاة في المساجد ، بينما أحياها بعضهم بزيارة قبـــور الصالحين والدعاء لهم[٨] .

و – الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب : وعرف هذا اليوم عند الكثير مـــن الناس بيوم الكثيب الأبيض ، إذ كانوا يتجهون إلى ناحية أبين حيث يوجد هذا الكثيب ، ويقال أن هذه المنطقة كانت مورداً للعديد من الصالحين الأخيار وأن بها قبور عـــدد مـــنهم ولهـــذا

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣٧ – ١٤٠ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص٩٧ – ٩٩ .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٣٥ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٦٦ .

[٥] المصدر نفسه والجزء والصفحة .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٣ ، ٤٩٧ .

[٧] يذكر محمد بن علي الأكوع أن أهل اليمن اتخذوا من أول جمعة من رجب يوم عيد وفرح ، حتى أنهم في اليمن الأعلى يصبغون ذلك اليوم بصبغة العيد ويتبادلون فيه الزيارات وعبارات الهناء والود والإخاء ويصلون فيه أرحامهم ويعطلون فيه أعمالهم وتكثر فيه الذبائح والصدقة ويلبسون فاخر الثياب ، كما كان الناس في اليمن الأسفل يتقاطرون من كل صوب إلى جامع الجند محملين بالازواد والنعم وكل ما يحتاجون ، وذلك قبل حلول الأجل فما تأتي أول جمعة من رجب إلاّ وهم عدد كثير وآلاف مألفة تكتظ بهم المدينة أيام ازدهارها فيقيمون في الجامـــع المذكور للصلوات ويذكرون الله كثيراً ويعقد فيه الصوفية حلق الذكر وتقام في المدينة الأسواق أعظم ما تكون وتنحر الذبائح وتكثر فيه الصدقات والإحسان . ابن الديبع : قرة العيون ، ص٥١ ، ح (٣) للمحقق .

[٨] انظر : الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٢٦٣ ؛ وثائق تعليمية ، ص٨٥ – ٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اشتهرت ، فكان الناس يجتمعون فيه من كل مناطق اليمن للصلاة والتبارك والزيارة[١] ، وقد شارك بعض السلاطين الناس الاحتفال بيوم الكثيب ، وأخذوا بالتصدق فيه على الحاضرين ، ويذكر عن السلطان المجاهد أنه في سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م سار إلى كثيب أبين لمشاركة الناس في هذه الليلة وتصدق بصدقات جزيلة على الحاضرين ، وبلغ من اختلاطه بالحضور وجلوسه معهم أنه أمر حراسته الخاصة من الجاندارية بعدم منع الناس من التواصل معه والدخول عليه للجلوس بين يديه[٢] ، وقد جرت العادة في هذا الشهر بزبيد أن يجتمع الناس في المساجد أو في البيوت مع أئمتهم لقراءة صحيح البخاري بحضور عدد كبير من المستمعين الذين يتوافدون من كل مكان لإحياء هذه المناسبة[٣] .

ز – الاحتفال بليلة النصف من شعبان : احتفل الناس بليلة النصف من شعبان من كل عام في معظم مناطق اليمن[٤] ، وراح سلاطين بني رسول يأمرون بتحضير نوع من الحلوى المعروفة بحلوى ناصفة شهر شعبان التي توزع على نسائهم وأولادهم ووزرائهم وأمرائهم وعبيدهم وجميع موظفيهم[٥] ، وقد عمل بعض الناس على تقليد السلاطين في هذه الجانب وأخذوا يستغلون هذه المناسبة لصنع حلوى الناصفة وتوزيعها على المحتاجين[٦] ، كما احتفلت بعض الفرق الدينية مثل الهادوية[٧] بهذه الليلة بطريقة أثارت المجتمع ضدهم ، لما يحدث فيها من اختلاط فاحش بين رجالهم ونسائهم في أثناء الاحتفال[٨] .

ح – الاحتفال بتوديع واستقبال الحجاج : اهتم الناس ببعض الاحتفالات التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من عاداتهم ، ومنها الاحتفال بتوديع واستقبال الحجاج لاسيما من ذوي المكانة والجاه والمقدرة الذين يحجون للمرة الأولى ، واستقبالهم بالفرحة حال رجوعهم ، وقد اتخذ موسم الحج في عصر بني رسول مظهراً اجتماعياً جُعل منه مناسبة مهمة في حياة اليمنيين ، ويبدأ هذا الموسم بتجهيز محمل الحج لاسيما في المدة التي خضعت فيها الحجاز لحكم بني رسول ، ويبدو أن تجهيز محمل الحج إلى مكة المكرمة بكسوة الكعبة ومستلزماتها كان يتم في حفل

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٧٢ ، ١٠١ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٨٤ب ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٤٦ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٣ – ٣٠٤ ؛ الأهدل : النفس اليماني ، ص٣٤ .

[٤] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٦٥ ؛ هارون : عبده علي عبدالله ، الدر النضيد في تحديد معالم وآثار مدينة زبيد ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٣٠١ .

[٥] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١١٩ – ١٥٠ .

[٦] عن بعض هؤلاء انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ١٦٥ .

[٧] الهادوية : مذهب زيدي يُنسب إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (٢٨٤ – ٢٩٨هـ / ٨٩٧ – ٩١٠م) مؤسس الدولة الزيدية في اليمن . الديلمي ، محمد بن الحسن : بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد آل محمد ، عنى بتصحيحه : شد وطمان ، مط : الدولة ، أستانبول ، ١٩٣٨م ، ص١١ ، ١١٦ .

[٨] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٣٦ .

بهيج يدور فيه المحمل في الشوارع[١] وسط جموع العلماء والفقهاء والقضاة الذين يخرجون بأمر من السلطان للمشاركة في هذا الأحتفال[٢] ، وقد اهتم سلاطين بني رسول بهذا الموسم وراحوا يهيئون أنفسهم عند عزمهم لتأديته فيخرجون بكامل عدتهم وعتادهم ومماليكهم[٣] وأدوات صيدهم[٤] ، ويذكر عن السلطان المظفر الأول أنه عندما سار لتأدية فريضة الحج سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م خرج على رأس موكب بهيج ، وصحب معه المركوبات في البحر المحملة بما يحتاج إليه من أطعمة واشربة وأدوات وعلوفات وغيرها لتسايره بحراً[٥] .

وعلى الرغم من الاحتفالات التي يبدو أنها تقام لتوديع الحجاج بخروجهم من اليمن ، إلاّ أن تلك الاحتفالات تتوج بعودتهم من الحجاز بعد تأديتهم لمناسك الحج ، إذ كان الناس يخرجون إلى خارج المدن لاستقبالهم لاسيما إذا كانوا من ذوي المكانة ، ويذكر أن الملك المظفر الأول خرج في سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م إلى خارج إقطاعه - المحالب والجثة - لاستقبال ركب خالته بنت جوزة القادم من الحجاز بعد تأديتها لفريضة الحج مرحباً ومحتفلاً بعودتها[٦] ، كما احتفل أهالي مدينة عدن وأعيانها بعودة السلطان المظفر الأول من الحج بعد نزوله بها ، وراح كل واحد من أعيانها يعمل أرجوحة[٧] احتفالاً بقدومه ، وأخذ الشعراء يلتفون حول هذه الأراجيح في حلقات حول المظفر ، في حين التف أهالي عدن لمشاهدة هذه الاحتفالات وسماع ما يقوله الشعراء الذين أُنعِم عليهم بالكثير من الكسوات الفاخرة والذهب والفضة من والي المدينة والتجار والأغنياء عقب انتهائهم من قول الشعر[٨] .

وفي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م كان خروج السلطان المجاهد لتأدية فريضة الحج وحوله من العساكر ما يزيد على حد الوصف ، ويبدو أن ذلك الموكب الذي أعد للمجاهد كان عبارة

---

[١] اهتم سلاطين المماليك في مصر بدوران المحمل الذي يضم كسوة الكعبة ، حيث توضع على جمل مزين يطوف القاهرة والفسطاط في حفل بهيج كنوع من الوجاهة الدينية لحكمهم ولكي يظهروا بمظهر حماة الحرمين الشريفين . انظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة ، ج٢ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٢٣٩ ؛ نعمة ، حسن : الأعياد – العادات – التقاليد والمعتقدات عبر التاريخ ، ط١ ، وشاد برس للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص٣٦٣ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص ٧٦٦ ، ٧٩٣ ، ٨٠٣ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٢ .

[٤] كان السلطان المظفر الأول يأخذ معه عدة وأدوات الصيد بما فيها الجوارح عند خروجه لتأدية فريضة الحج ولا يدخل بها إلى الأراضي المقدسة عند تأديته للشعائر احتراماً وتقديراً لها بل يضعها خارج مكة حتى ينتهي من المناسك ثم يخرج إلى حدود مكة لمزاولة رياضة الصيد المفضلة له . للمزيد انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣١٥ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٣ – ١٣٤ .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٤ .

[٧] الأرجوحة : هي المدروهة وجمعها أراجيح وتسمى الشجمات ، وهي شيء اعتاد أهل اليمن عمله لمن حج أول حجة . بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

[٨] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٤٤ – ٢٤٥ .

عن حفل توديع له بمناسبة ذهابه إلى أرض الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وعند عودته شهدت اليمن احتفالات بهيجة فرش فيها الحرير على الأرض وزينت الشوارع والممرات ، وكذلك البيوت بأنواع الزينة في مختلف المدن اليمنية التي خرج ولاتها وعساكرها وأهلها لاستقباله والترحيب بقدومه من مكة ، وتصف لنا المصادر مدى الفرحة والسعادة التي عمت المدن والقرى التي مر بها السلطان المجاهد في طريق عودته من الحج ، بما يعمل فيها من طلعات (مراجيح) مزينة بالذهب والفضة ، وقد كانت الفرحة تعم المدينة أو القرية طوال مدة إقامته ، لما تشهده من احتفالات يقيمها أهل المغاني والطرب الذين يعدهم والي كل مدينة ينزل بها ، وعند وصوله إلى مشارف مدينة تعز لبس أفضل ما عنده ، فكان في لقائه الملوك والفقهاء وأعيان البلد ، وخرج عامة الناس وخاصتهم للترحيب به ، وعمت الفرحة البلاد سبعة أيام احتفل فيها الناس وزينت بيوتهم وشوارعهم بأنواع الزينة احتفالاً بهذه المناسبة[١] .

وفي هذا الصدد ، تولى بعض الأمراء والمقتدرون في بعض المناطق عملية استقبال الحجاج من عامة الناس وإكرامهم[٢] عقب انتهاء موسم الحج ، كما يقومون بكسوتهم وإعطائهم ما يزيل وعثاء السفر ، وما يوصلهم إلى بلادهم ، وقد بلغ الأمر ببعض الناس إلى التشبه بالحجاج في زيهم ويأتون إلى التجار ليعطوهم ما يليق بحالهم[٣] .

ي – احتفالات دينية أخرى : كما أحيت بعض الفرق الدينية كالصوفية ليالي عُرفت بليالي السماع ، وفيها يجتمع الكثير من الفقهاء والعلماء والعامة من الناس ليرددون الأغاني والأناشيد الدينية التي يذكر فيها الرسول (ﷺ) ومآثره مما يخلق الفرحة والسرور في قلوب الحاضرين الذين يسهرون وهم يرددون تلك الأناشيد إلى طلوع الفجر[٤] ، كما شكلت الزيارات التي كان يقوم بها الناس كل عام إلى قبور الأولياء والصالحين للدعاء والتبرك والذكر مهرجانات يجتمع فيها الناس ليحتفلوا بتلك المناسبات مع ما يحدث فيها من فواحش ومعاصي[٥] .

---

[١] للمزيد من التفاصيل عن هذه الأحتفالات انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٩ – ٧٠ ، ٧٣ – ٧٥ .

[٢] دفعت تكاليف الحج الكثير من الناس إلى بيع بعض ممتلكاتهم من دواب ومواشي وغيرها في محاولة لتوفير المال للسفر وتركوا جزءاً منه لأسرهم وأولادهم ، بينما انتهز بعضهم فرصة حج السلطان أو بعض كبار الشخصيات أو العلماء أو الفقهاء أو ميسورو الحال للالتحاق بقوافلهم والاحتماء بها من قطاع الطرق واللصوص ، مما يخفف من تكاليف سفرهم لما ينعمه السلطان أو غيره من خير عليهم طوال مدة سفرهم وحتى عودتهم إلى بلادهم ، في حين اتجه البعض إلى التجار وأهل اليسار والأغنياء لكي يساعدوهم ويركبوهم في مراكيبهم التي يملكونها ويزودونهم ببعض المال الذي يعينهم على التخفيف من تكاليف السفر كما كان يفعل بعض الناس مع بعض تجار صنعاء . ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٤٦ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٥ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٩٢ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٥٣ . وكان الحجاج يلبسون المحارم المنسوجة من القطن غير المخيطة عند تأديتهم لفريضة الحج والتي تصنع في اليمن . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٨٧ .

[٤] انظر : الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٠٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ .

[٥] عن هذه الزيارات وتأثيرها على المجتمع انظر لاحقاً : ص٢٧٧ – ٢٧٩ .

٢ – الاحتفالات الرسمية :

اعتاد سلاطين بني رسول على إقامة بعض الاحتفالات الخاصة بهم وبأبنائهم وبكبار رجال دولتهم ، وبانتصاراتهم الخاصة وبالمتغيرات الإقليمية ، وأهم هذه الاحتفالات :

أ – **الاحتفال بالختان والبراءة منه**[١] .

ب – **الاحتفال بالانتهاء من تعمير وبناء القصور والدور والدخول إليها**[٢] .

ج – **الاحتفال بتنصيب ولي العهد أو السلطان** : وهي من الاحتفالات الرسمية التي ترعاها الدولة وتشرف على إعدادها وإقامتها مثل : الحفل الذي أقامه السلطان المظفر الأول بمناسبة تنصيب ابنه الملك الأشرف ولياً للعهد في قصر ثعبات بحضور ملوك الأسرة الرسولية وكبار رجال الدولة والأمراء والمشائخ والقضاة والعلماء[٣] ، والحفل البهيج الذي زف فيه السلطان الناصر أحمد سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م بمناسبة تعيينه سلطاناً بعد وفاة والده السلطان الأشرف إسماعيل الثاني والذي حضره جموع من خاصة الناس وعامتهم[٤] .

د – **الاحتفال بتعيين كبار موظفي الدولة** : اهتمت الدولة الرسولية بإقامة الاحتفالات الخاصة بمناسبة تعيين الوزراء والقضاة وكبار الموظفين مثلما حدث في سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م عندما قلد السلطان الظاهر القاضي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المحالبي الوزارة في حفل بهيج حضره الأمراء والمقطعون ، وسار معه المقدمون والعمال والكتاب عقب بروز مرسوم السلطان بتعيينه إلى بيته فدخلوا على سماط عظيم ، وقد صرف له السلطان بهذه المناسبة الهبات والإنعامات والأموال والدواب[٥] .

هـ – **الاحتفال بمنح الاقطاعات** : كان سلاطين بني رسول يقيمون الاحتفالات بمناسبة منح الاقطاعات أو إعادة توزيعها من جديد بين الملوك والأمراء وكبار قيادات الدولة ، ومنها الاحتفال الذي أقامه السلطان المؤيد في سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م بمناسبة إقطاع الأمير الشريف عماد الدين إدريس بن علي الحمزي القحمة ، وقد أنعم عليه المؤيد بعشرة أحمال طبلخاناه وأموال عديدة وملابس ومماليك وتحف وهدايا وخيول وبغال ، وفي أثناء الاحتفال فعل الأمير عماد الدين ما يفعله المقطعون في مثل هذه المناسبات وقام بتقبيل عقب العلم المنصور ، وسار إلى داره وحوله الأمراء والأجناد لتكملة ما تبقى من الاحتفال ، حيث دخلوا على سماط جليل الشأن جُمع فيه مختلف أنواع الأطعمة التي عُملت بأمر من السلطان[٦] .

---

[١] سوف يتم التفصيل عن احتفالات الختان لاحقاً . انظر : ص٢٥٧ – ٢٥٨ .

[٢] تم الحديث سابقاً عن هذه الاحتفالات انظر : ص٢٠٧ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٦٦ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٤أ .

[٥] للمزيد من عن هذه الاحتفالات انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٣٨ – ٢٣٩ ، ٢٩٥ .

[٦] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٠٣ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الاحتفالات انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥١ .

و - **الاحتفال بقدوم السلطان** : احتفل أهالي بعض المناطق بمناسبة زيارة السلطان لمناطقهم وأقاموا الفرحة لذلك ، مثلما فعل أهالي مدينة عدن عندما احتفلوا بقدوم السلطان المظفر الأول إلى مدينتهم سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، فخرجوا للقائه إلى مشارف المدينة ، وقاموا بتزيين بيوتهم وطرقاتهم ولبسوا الجديد ابتهاجاً بقدومه وحملوا المصاحف والشموع الموقدة عند لقائه[١] ، كما احتفل أهالي المهجم في سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م بقدوم السلطان الأشرف الثاني إسماعيل ، وكان أميرها بهاء الدين الشمسي في استقباله ، وشهدت المدينة العديد من الذبائح وفرش الحرير للسلطان[٢] ، وفي حالة قدوم السلطان إلى منطقة وأبناؤه ونساؤه فيها كانوا يتولون الإشراف على الاحتفالات ، ويمدون الأسمطة المختلفة ابتهاجاً بقدومه ، كما فعل أبناء السلطان المظفر الأول عند قدومه إلى مدينة زبيد ، إذ تولى ابنه الواثق وإخوته ونساؤهم مد الأسمطة المختلفة في قصره بزبيد مدة ثلاثة أيام احتفالاً بقدوم والدهم السلطان ، وكانت تلك الأسمطة تضم أنواع اللحوم من الأبقار والأغنام العربية والبربرية المشوية ، وأنواع الحلوى والمكسرات ، حتى أنهم كانوا يرسلون منها إلى مدارس زبيد مدة ثلاثة أيام ، ويقيم أهل المغاني والطرب الحفلات المختلفة احتفالاً وترحيباً بقدوم السلطان[٣] ، كما احتفلت مدينة تعز في سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م بقدوم السلطان الظاهر إليها ، وفرح أهلها بذلك اليوم الذي سار فيه الظاهر إلى الميدان بين حشود المرحبين من عامة الناس وخاصتهم ، واصطف العسكر للاستعراض في الميدان ولعبت خيولهم أمام السلطان على أصوات الطبلخاناه التي يبدو أنهما كثيراً مما تضرب في مثل هذه المناسبات ، ثم سار السلطان ومن معه من الناس على اختلاف طبقاتهم إلى سماط عظيم كان قد أعد لهذه المناسبة في دار العدل وتصدق بصدقات جليلة على الحاضرين والمحتفلين الذين راقهم تصرف السلطان هذا[٤] ، كما تقام الاحتفالات بقدوم بعض المشائخ وكبار الشخصيات من الأشراف والقيادات الكبرى في الدولة[٥] .

ز - **الاحتفال بتحقيق الانتصارات** : كان بنو رسول يعلنون الاحتفالات الرسمية عند وصول الأخبار السعيدة بتحقيق الانتصارات على الأعداء في الحروب وتسلم الحصون والقلاع ، وكان من عادة تلك الاحتفالات خروج السلطان أو أحد أبنائه في موكب بهيج بعد أن تفرش له ولحصانه الثياب الحرير المعلمة بالذهب وهو محاط بالعسكر والجنود من الفرسان والمشاة وسط فرحة الأهالي وهتافاتهم المؤيدة له وهو في كامل عزه وفخره ، ثم جلوسه وجميع الحاضرين

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٦٨ – ٢٦٩ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٩ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٩٣ – ٩٤ .

[٤] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٢٠ .

[٥] المصدر نفسه ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

على سماط عظيم أعد لهم وسط مدائح الشعراء والمهنئين ، وقد تصدر أوامر السلطان بإقامة الاحتفالات بهذه المناسبة في مختلف مناطق اليمن ، فتعم البهجة والسرور بين الناس وتكسى الجوامع بأنواع الملابس ، وتلبس الدكاكين والأسواق بأنواع الزينة ابتهاجاً بهذه الانتصارات[١] .

ح – **الاحتفال بانتصارات المسلمين** : شارك اليمنيون إخوانهم المسلمين انتصاراتهم المختلفة ضد أعدائهم من غير المسلمين ، وأعلنوا قيام الاحتفالات المناصرة لهم وتأييدهم ومؤازرتهم في حربهم ضد أعداء الإسلام ، كما حدث في سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م عندما قدم إلى اليمن سفير من الديار المصرية ليخبر عن انتصار المسلمين على عسكر التتار ، فاحتفل السلطان المؤيد بقدوم السفير ودقت البشائر وأعلنت الفرحة بهذه المناسبة[٢] .

٣ – الاحتفالات الموسمية :

شهدت اليمن العديد من الاحتفالات الشعبية التي اعتاد اليمنيون على إحيائها موسمياً ، وأهم هذه الاحتفالات :

أ – **الاحتفال بنضوج النخل** : وهو احتفال أعتاد كل أهالي اليمن إحيائه موسمياً ، إذ كان الناس يتوافدون من مختلف المدن والقرى إلى مناطق النخيل للمشاركة فيه ، ويستمر هذا الاحتفال لمدة شهرين أو ثلاثة يختلط فيه الرجال بالنساء للعب والضحك وشرب النبيذ الذي يسمى الفضيخ والمصنوع من التمر والبر والرطب لاسيما في منطقة تهامة ، وبمجرد الانتهاء من جني ثمار النخل يخرج الجميع خلال يومي الاثنين والخميس إلى موضع ساحل الفازة شمال غلافقة وهما ميناءا زبيد بالطبل والزمر بجمالهم المزينة بالأجراس والقلائد والمقانع والحلي المربوطة في رقابها ، ويسير الجميع إلى البحر ليسبحوا ثم يرجعون إلى البلدة بقية الأسبوع[٣] .

ب – **احتفالات السبوت** : كما انفرد أهالي زبيد بمناسبة أخرى لنضج النخل وهي المعروفة بسبوت النخل ، إذ كانوا يخرجون في أيام البسر والرطب في كل سبت إلى بساتين النخل برجالهم ونسائهم بكامل زينتهم ولباسهم ولا يبقى في المدينة أحد من أهلها ولا من الغرباء ، وكانوا يتجمعون في النخل استعداداً لفرجة السبوت من عشاء يوم الجمعة ويقومون في تجمعات مختلفة رجالاً ونساءً[٤] ، ويخرج معهم أهل الطرب وأهل السوق لبيع الفواكه والحلاوات وتقام الاحتفالات والمغاني وينعش البيع والشراء وسط فرحة الجميع وبهجتهم[٥] ، وقد شارك سلاطين بني رسول

---

[١] للمزيد من التفاصيل عن تسلم بني رسول لبعض الحصون والقلاع وانتصاراتهم على أعدائهم وما يتم فيها من احتفالات ومهرجانات انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٢ – ٩٣ ، ٢٤٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٣ – ٣٢٤ ، ٣٧٠ – ٣٧٢ ، ٤١٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٠٧أ – ب ، ١٣٢ب ، ١٤٧أ ، ١٦٤أ – ب .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٢٦ .

[٣] للمزيد من التفاصيل عن السبوت وأثرها على حياة الناس انظر لاحقاً : ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٩ – ٨١ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٦٨ .

[٥] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .

الناس احتفالاتهم هذه وخرجوا معهم أيام السبوت . ويعد السلطان الأشرف الأول إسماعيل أول من خرج في السبوت إلى نخل وادي زبيد ومعه ثلاثمائة محمل في كل محمل سرية[١] ، وقد بلغ الأمر بالسلطان المؤيد داؤد إلى الالتزام بالخروج في مثل هذه المواسم ، وكان يأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم[٢] ، مما كان له الأثر السيئ على الناس والمجتمع ككل لما تشهده هذه المواسم من انتشار الفواحش وسماع الطرب[٣] .

ثالثاً : وسائل الترفيه والتسلية :

اهتم سلاطين بني رسول بالجوانب الترفيهية في حياتهم ، وراحوا يبحثون عن وسائل اللهو والتسلية التي تدخل البهجة والسرور عليهم مع ولعهم بإقامة الاحتفالات والمهرجانات والتي يشاركهم فيها أبناء المجتمع كافة على اختلاف مستوياتهم ومراتبهم ، وقد تنوعت وسائل تسليتهم وتعددت أشكالها وطرقها وكان أهمها :

١ – إقامة المجالس :

شكلت المجالس أكثر وسائل التسلية التي اتجه إليها سلاطين بني رسول للترفيه عن أنفسهم[٤] ، وهناك أنواع من هذه المجالس التي واظبوا على عقدها وإقامتها مثل مجالس الحوار والنقاش ، ويُعد السلطان المنصور نور الدين عمر أول من عقد مثل تلك المجالس التي كان يشاركه بها عدد من العلماء والفقهاء والمهتمين ، وكان السلاطين يجلسون في مثل هذه المواقف جلوساً خاصاً يدل على تواضع الحاكم أمام هذا الجمع من الفقهاء والعلماء بعيداً عن التكلفة والكبر[٥] ، وقد يكون لذلك دور في رغبة السلطان للخروج عن دائرة الرسميات في التعامل مع رعيته ورغبته في الجلوس بتواضع بينهم ومناقشتهم في أمور تدخل في قلبه الفرحة والسرور من باب التسلية والمنفعة .

وفي الوقت نفسه ، أقام سلاطين بني رسول مجالس الشعر والأدب التي كان يحضرها كبار شعراء الدولة وأدبائها الذين كانوا يتبادلون أطراف الحديث والفكاهة في شعرهم لإسعاد السلطان وإدخال السرور على قلبه ، كما كان يفعل الأديب محمد بن حمير والشاعر التاج بن العطار المصري في مجالس الشعر التي كان يعقدها السلطان المنصور نور الدين عمر[٦] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١١٩ ، ٢٩١ ؛ ج٢ ، ٧٩ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٤٩٤ ؛ أنباء الزمن ، ق٤٤ب .

[٣] للمزيد من التفاصيل عن أثر عادات السبوت على المجتمع في عصر بني رسول انظر : ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

[٤] من الملاحظ أن سلاطين بني رسول تأثروا بما كان يقوم به سلاطين المماليك في مصر من إقامة مثل هذه المجالس للترفيه بها عن أنفسهم . انظر عن هذه المجالس : نصار ، لطفي أحمد : وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص٢١ – ١٧٧ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٠٩ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ – ٨٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٠٥أ – ب ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣١٣ .

إلاّ أن أهم تلك المجالس هي مجالس الشراب والغناء التي اهتم بنو رسول بعقدها بشكل دائم كجانب من جوانب التسلية والترفيه في حياتهم ، وقد أقاموا تلك المجالس في قصورهم بحضور المغنيين والمغنيات[١] والمطربين والرقاصين والندماء ، وتذكر المصادر أسماء بعضهم مثل مليح الرقاص ومجاهد المطرب وسنجر المطرب والشريف المغني والبقي العواد الذين كانوا من أهم أفراد الفرقة الغنائية الخاصة بالسلطان المظفر الأول[٢] .

لقد كان سلاطين بني رسول كثيراً ما ينفردون بندمائهم من الفنانين والمطربين والشعراء في أثناء إقامتهم مثل هذه المجالس[٣] ، ويعد السلطان نور الدين عمر أول من اهتم بإقامة مجالس الشراب والطرب ، وكان يدعو إليها رجال دولته وأعيانها والشعراء الذين يتبارون في إلقاء القصائد المختلفة[٤] ، وقد جاهر السلطان المنصور بإقامة مجالس الشراب هذه وأسرف بشرب الخمر فيها وحدد يوماً معلوماً لعقدها والاحتفال بها[٥] ، ويشير ابن حاتم[٦] إلى واحد من تلك المجالس التي بالغ المنصور ومن معه من جلسائه في الشرب فيه وذلك عند حديثه عن قدوم الأمير أسد الدين إلى صنعاء ومعه رؤوس عدد من القتلى المناوئين لبني رسول الذين انفرد بهم في إحدى المعارك ومجلس شراب السلطان المنصور منعقد ، وكان المنصور ومن معه من ندمائه في نشوة سكرهم وشرابهم ، حتى أن أحد ندمائه ويعرف بالنقيب الصالحي حين رأى الرؤوس وقع بواحد منها وأكل منه شفتيه وأنفه .

كما أقام السلطان المظفر الأول مجالس الشراب بحضور الشعراء والمطربين والمغنيين والرقاصين ، لإشارة الشرجي[٧] إلى أنه كان كثيراً ما يشدد على غلمانه أن يعلموه بوصول الفقيه أبي الفداء إسماعيل بن محمد الحضرمي خوفاً من أن يدخل عليه وعنده شيء مما ينكر عليه من شراب أو نساء ، كما كان السلطان المؤيد داؤد مولعاً بإقامة مثل هذه المجالس في متنزهاته في زبيد وتعز والتي يستمع فيها إلى المعازف والملاهي بين ندمائه وجلسائه ، وبلغ من حبه لهذه المجالس وما يحدث فيها من طرب وغناء استقدامه لبعض الأسر اليمنية المعروفة بفنها وحسن إنشادها مثل أسرة بني خونعة[٨] ، وقد شجع المؤيد على

---

[١] لم تكن ظاهرة إقامة مجالس الغناء التي تحييها الجواري بالظاهرة الجديدة في اليمن لانتشارها على مستوى واسع في أوقات سابقة على قيام الدولة الرسولية . انظر : عمارة اليمني ، نجم الدين أبي محمد : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، مط : مرسو ، شالون ، ١٨٩٧ ، ص٣٠ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٥٧ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٢ ، ٥٦٦ ؛ ج٢ ، ص١٢٧ ، ١٣٣ . وانظر : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٨ – ١٠٩ .

[٣] العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٣ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٨ ، ٨٥ – ٨٦ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٠ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق٧٠ب .

[٦] السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٠ .

[٧] طبقات الخواص ، ص٩٨ .

[٨] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمامه بحياة الطرب والملاهي قدوم الأمير علاء الدين كشدغدي الذي عرف عنـــه معرفتـــه شيئاً من الطرب والملاهي ، حتى أنه نادمه في خلواته إلى هذه المجالس وشـــاركه فيهـــا[١] ، وكان المجاهد كأبيه من الانهماك في مجالس الشراب واللهـــو والطـــرب[٢] ، وكـــان محبـــاً لاستخدام آلآت اللهو والغناء[٣] ، وقد اهتم السلطان الظاهر يحيى بعقد مجالس الغناء والطرب وما يصاحبها من الشراب في قصوره ، واشتهرت دولته باحتضان أهل الغناء والشعر حتـــى أنه كان يجيز هؤلاء الشعراء بالجوائز السنية ، كما عرف عن السلطان الناصر أحمد انهماكه في آخر عمره بشرب الخمر والانغماس في الملذات[٤] .

وكذلك شغف بعض أمراء الأسرة الرسولية بإقامة مثل هـــذه المجـــالس وبشـــرب الخمور فيها في بعض المناسبات ، مثل الأمير بدر الدين الحسن بن رسول الذي كان يعقـــدها ليلاً عقب انتهائه من الطعام ، ويظل يشرب فيها حتى الصباح[٥] .

٢ - الخروج إلى المتنزهـــات :

كان الخروج إلى المتنزهات وارتياد البساتين السلطانية من أشهر وسائل الترفيه التي اتجه إليها سلاطين وملوك بني رسول . لاسيما وأنهم أعطوا جل اهتمامهم بهذه المتنزهات التي شكلت بالنسبة لهم أماكن يقضون فيها أفضل أوقاتهم وأحسنها ، ويذكر ابن فضل الله العمري[٦] عن شغف السلطان الرسولي المؤيد داؤد بالنزول إلى البساتين التي أقامها في مناطق مختلفـــة من اليمن مثل تعز وزبيد ، وأنه كان يصيف في تعز لما تميزت به من وفرة مياهها وبـــرودة هوائها وكثرة بساتينها وما تحتويه من فواكه ورياحين وزهور ، كما كان يشتي في زبيد لمـــا احتوته من مباني ومعمار وأنهار جارية مع حرارة جوها ومياهها ، ويضيف أن لصاحب هذه المملكة البساتين والمتنزهات التي يقيم فيها للتنزه .

وقد بلغ الأمر بسلاطين بني رسول إلى تعمير قصورهم ودورهـــم وســـط هـــذه البساتين والجنان الغناء ، ويذكر عن السلطان المؤيد داؤد أنه أمر ببنـــاء قصـــره المعـــروف بحائط لبيق بزبيد في وسط بستان الراحة المشهور بخضرته وجنانه ، وشكل ذلـــك القصـــر متنزهاً ينزل إليه للراحـــة والاستجمام والتمتع بالهواء الطيب والطبيعة الخلابة حولـــــه[٧] ، كما بنى في بستان صالـــة الواقع شرقي تعز قصر المنتخب ، فكان من أحســـن متنزهاتـــــه

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٥٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤١٥ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٨ – ٥١٩ .

[٣] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ .

[٤] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩١ ، ٣٩٩ ؛ عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٦ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص١٨٣ – ١٨٤ .

[٦] مسالك الأبصار ، ص٤٦ ، ٤٨ .

[٧] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٧٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٢ .

هناك[١] . في حين أنشأ السلطان المجاهد البساتين ومدها بالمياه وكان أشهرها خضرةً وجمالاً بستان الجهملية بتعز ، الذي دفعه إلى أن يبني في وسطه قصره المعروف بقصر الجهملية[٢] ، كما أقام السلطان الأفضل العباس البساتين واهتم بها وغرس فيها غرائب الأشجار الواردة إليه من الهند كالفل الأبيض والأصفر ، وكان أشهر بساتينه بستان دار الديباج بزبيد[٣] ، وكذلك فعل السلطان الأشرف الثاني في بستانه المعروف ببستان سرياقوس الأعلى في وادي زبيد الذي احتوى أنواعاً غريبة من الأشجار[٤] ، كما كانت بساتين النخل في تهامة من أكثر المتنزهات إقبالاً بالنسبة لبني رسول فكانوا يستجمون فيها لأوقات طويلة لطبيعتها الخلابة[٥] .

وفي هذا الصدد ، لقيت منطقة ثعبات في تعز اهتماماً وعناية من قبل عدد من السلاطين مثل السلطان المؤيد الذي مد إليها المياه من جبل صبر لتنتفع به بساتينها وتزدهر[٦] لهذا ضمت أكثر متنزهات بني رسول ، ويذكر ابن فضل الله العمري[٧] أن للسلطان المجاهد بستاناً يعرف بثعبات كان يقيم فيه أيام تنزهه ، يجري الماء فيه بما يملأ العين حسناً والأذن طرباً بصفاء صفيرها وطيب خريرها ، وفيه أشجار وفواكه نقلت إليه من الشام والهند ، ولا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعاً ولا أجمع حسناً ولا أتم صورة ولا معنى .

لقد أصبحت تلك البساتين والجنان مواضع يقضي فيها السلاطين مدة نقاهة بعيداً عن مشكلات الحكم ومتاعبه ، ويذكر عن السلطان المظفر الأول أنه استقر في ثعبات بعد أن سلم مقاليد الحكم لولده وولي عهده الملك الأشرف حتى أنه توفي فيه[٨] ، وكان لنقاء هواء ثعبات وطيب نسيمه دور في أن يكون من أفضل الأماكن وأحسنها للذين يعانون من بعض الأمراض من بني رسول ، وقد لجأ إليه السلطان المؤيد عند مرضه في سنة ٧٠٤هـ / ١٢٠٤م فكان مكان للاستشفاء والنقاهة ولم يغادره إلا معافى[٩] ، كما أرسل ابنه الملك المظفر حسن إلى متنزهات ثعبات عند إصابته بمرض الحمى والسعال سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م رغبة منه في أن تخفف عنه طبيعة ثعبات وهواؤها مرضه[١٠] ، لذلك أصبحت المناطق التي عرفت بطيب هوائها وحسن مقامها وجمال طبيعتها ومتنزهاتها مقصداً للكثير من الناس ، وأصبح الأطباء

---

[١] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٥٧أ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٧٥ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٣٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٩٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٧ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥١ب .

[٦] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٣١٨ .

[٧] مسالك الأبصار ، ص٥٦ .

[٨] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٦٦ – ٥٦٧ ؛ الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٢٠ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٠ .

[١٠] الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٤٦ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٥١ .

ينصحون المرضى من عامة الناس بالاتجاه إلى تلك المناطق والمتنزهات ذات الطبيعة الخلابة والهواء الحسن للاستجمام والنقاهة من المرض ، وكان الفقيه أبو القبائل عبد الرحمن بن حسن ابن أبي القاسم الحميري (ت : ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) ممن طال به المرض ونصح من قبل الأطباء بالسفر إلى صنعاء لاعتدال هوائها وجمال أرضها[١] ، كما اهتم بعض الميسورين من عامة الناس بالجانب الترفيهي لهم ولأسرهم ، فأقاموا المتنزهات حول منازلهم والمتمثلة بالحدائق الجميلة التي تبعث السرور والسعادة لهم ولأفراد أسرهم بهوائها وطبيعتها الخلابة[٢] .

٣ - الصيد :

شغف بنو رسول بمزاولة رياضة الصيد التي كانت تعد من أفضل وسائل الترفيه والتسلية عند أكثرهم ، فراحوا يخصصون الأموال لها ولشراء أدواتها من الجوارح والحيوانات والسكاكين والسهام والحراب المخصصة للصيد ، ويعينون المدربين من ذوي الخبرة في التعامل مع حيوانات وطيور الصيد من الصقور والفهود والكلاب ، وموظفين مختصين بالصيد والقنص ومساعدين لهم ، كما خصصوا غلماناً لهذه الرياضة عرفوا بغلمان الصيد ، وأولوا اهتمامهم بما يصطادونه من حيوانات وطيور ، وصنعوا لها أنواع الأقفاص وأفضلها لتزين بها قصورهم[٣] ، وأصبحوا يخصصون أياماً لهذه الرياضة ، مثلما يذكر عن السلطان المؤيد الذي كان يحدد لها أوقاتاً فيخرج بحاشيته وغلمانه وجوارحه وكل مستلزمات الصيد إلى براري منطقة الجند وقشال وزبيد ، ومما زاد من تطور هذه الرياضة في عصر المؤيد قدوم الأمير علاء الدين كشدغدي الذي عرف بخبرته بالبزدرة[٤] والصيد ؛ كما كان خبيراً باللعب بالجوارح[٥] . وقد نوع سلاطين بني رسول مناطق الصيد ، فيذكر عن السلطان الأفضل العباس أنه كان يخرج للصيد في براري منطقة أبين لانتشار حمر الوحش فيها ، كما يخرج لوادي رمع لوفرة الصيد فيه[٦] ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السلطان الأشرف الثاني الذي فضل مزاولة هذه الرياضة في جهات وبراري منطقة حيس والأوشح وسرياقوس التهامية ليصطاد أعداداً من حمر الوحش هناك[٧] ، وتلذذ كل من السلطان الناصر أحمد والسلطان الظاهر يحيى بهذه الرياضة ، وراحوا يطاردون

---

[١] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤١٠ .

[٢] انظر : الكندي : عبدالله بن محمد بن سالم باكثير ، رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، قدمته وضبطته : أميمة الصواف ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص١١٤ - ١١٥ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١١٨ ، ١١٩ ، ٢٩٧ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ - ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ . وللمزيد عن ما يستعمل من حيوانات وجوارح وما إلى ذلك انظر : الزبيدي : تقي الدين أبي العباس حمزة الناشري : انتهاز الفرص في الصيد والقنص ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص١١٣ ، ١٨٨ .

[٤] البازدار : هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٢٩ .

[٥] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص ٥٤٩ ، ٥٥٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠١ - ٤٠٢ ، ٤١٥ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢١٤ب ، ٢١٥ب .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤١ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ .

الأسود من مكان إلى آخر ليصطادوها بشغف[1] ، وقد بلغ من حب بعض سلاطين بني رسول بهذه الرياضة أنهم كانوا يزاولونها حتى في أوقات سفرهم وترحالهم ، كما يذكر عن السلطان المظفر الأول الذي كان يحمل معه أدوات الصيد من طيور وجوارح وغيرها عند سفره لاسيما السفر الطويل فيستغل السير في البراري والصحاري ليصطاد ما يجده أمامه[2] .

لم يكن أمراء الأسرة الرسولية أقل شغفاً بمزاولة هذه الرياضة من السلاطين ، وكان الأمير بدر الدين الحسن بن رسول أكثرهم حباً لها ، إذ تذكر المصادر أنه كان يخرج للصيد إلى منطقة التربية بحاشية كبيرة من الصيادين والفهادين والجوارح والطيور وغيرها بعد عودته من مصر[3] ، في حين مارس العامة من الناس الصيد في مناطقهم المليئة بأنواع الحيوانات المفترسة ، وأصبح الصيد من الأمور الطبيعية والسهلة بالنسبة لهم ، وقد ساعدهم على ذلك السرعة والخفة والعدو السريع خلف الفريسة دون استخدام الحصان أو الجوارح أو الحراب المستعملة للصيد ، ويذكر أن الفقيه أبا الحسن على بن عمر بن إسماعيل العزيزي الشعبي (ت : ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) عندما يخرج للصيد إذ رأى ظبياً في البيداء عدا خلفه حتى يلزمه[4] .

٤ – الفروسية والرماية :

كانت الفروسية من الرياضات التي مارسها العديد من المهتمين في عصر بني رسول ، وقد شكلت جانباً مهماً من الجوانب الاستعراضية التي تقام في الأعياد والمناسبات والاحتفالات والأعراس ، وكان أمراء وعسكر بني رسول يُعرفون بقدراتهم الفروسية وركوب الخيل ويتباهون بذلك فيما بينهم في سباقات الخيل التي تقام في الميادين مظهرين مهارتهم في الثبات على ظهور الخيول عند قيام السباق[5] ، ويعد القائد الزعيم الذي كان أبرز القادة العسكريين في جيش السلطان المجاهد من أبرز من عُرف بمقدرته على الفروسية والثبات على ظهر الخيل حتى أنه لقي حتفه في أحد ألعاب الفروسية عندما اصطدم فرسه بفرس آخر في أثناء السباق[6] ، كما مثلت الرماية والقنص رياضة دأب الناس باختلاف فئاتهم على مزاولتها والتباهي بها وبإتقانها لاسيما في المهرجانات والأعراس والاحتفالات[7] .

---

[1] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٣٧ – ٢٣٨ .

[2] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٥١ .

[3] المصدر نفسه ، ص٢٨١ – ٢٨٢ .

[4] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤١٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٦ .

[5] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٩٦ ؛ الملك المجاهد ، علي بن داؤد بن رسول ، الخيول اليمنية في المملكة اليمنية ، تح : هلال ناجي ، مجلة دراسات يمنية ، ع (١٦) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، صنعاء ، يونيو ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص٣٨ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٠٩ ، ٦١٥ – ٦١٦ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٧٨ – ٢٧٩.

[6] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ المسجد المسبوك ، ق١٨٠أ .

[7] تحدثنا عن ذلك سابقاً . انظر : ص٢١٥ – ٢١٦ .

٥ - السباحة والتنزه في البحر :

شكلت الشواطئ بالنسبة لعامة الناس وخاصتهم إحدى أهم الأماكن التي يسيرون إليها للترفيه والتسلية وتقضية الأوقات الجميلة في السباحة وصيد السمك والاستمتاع بالهواء الطيب والشمس المشرقة ، وكان سلاطين بني رسول يخرجون بحاشيتهم وخدمهم إلى السواحل لاسيما ساحل الأهواب في زبيد لينعموا بهواء البحر ويزاولوا إحدى هواياتهم وهي السباحة ، فيقيمون في البحر أياماً ، ولم تترك المصادر أحداً من سلاطين بني رسول إلاّ وأشارت إلى ولعه برحلات البحر والسباحة والصيد[١] ، وقد دفع ولع بعضهم بالبحر إلى أن يقيموا قصورهم على سواحله مثل قصر دار المرسى السعيد الذي بناه السلطان الظاهر على ساحل تهامة للاستجمام والراحة عند النزول فيه[٢] ، في حين بلغ تعلق بعض السلاطين بالبحر أنهم كانوا لا يقيمون موائد طعامهم في المناسبات إلا على الشواطئ مثل السلطان المؤيد الذي كان يقيم سماط طعامه على شاطئ حقات عند نزوله إلى مدينة عدن إعجاباً بهذا الساحل[٣] ، كما شكّل البحر متنفساً زاول فيه سلاطين بني رسول هواية صيد الأسماك ، وكان السلطان المجاهد من الذين مارسوا هواية صيد السمك ، إذ كان يخرج إلى البحر هو وبعض المقربين إليه من خواصه الذين ينزلون البحر في سنابيق بالسلطان ، ويظل يومه كله في صيد ولعب مع من معه[٤] .

وفي الوقت نفسه ، أقام سلاطين بني رسول برك السباحة في حدائق قصورهم ليرموا بأنفسهم فيها في أوقات الحر وعند شوقهم للبحر ولرياضته ، حتى أن تلك البرك كانت تستعمل من قبل هؤلاء السلاطين لاختبار قدرات ومهارات خدمهم وعبيدهم وعامة الناس وخاصتهم في السباحة ، والذين يحضرون عند السلطان في بعض المناسبات والمهرجانات ، وقد كان السلطان المؤيد يختبر قدرات المذكورين على السباحة عن طريق رمي دراهم ذهبية في قعر تلك البرك ليرتمي خلفها هؤلاء في محاولة لاستخراجها . ومن هذا نستنتج أن هناك مسابقات كان يقوم بها سلاطين بني رسول يشارك فيها جموع من الناس لاختبار قدرتهم على السباحة والسرعة في الغوص[٥] ، كما كانت البحار من أفضل المتنفسات التي يخرج إليها الناس للترويح عن أنفسهم ، ويذكر ابن المجاور[٦] أن أهالي زبيد وما جاورها كانوا في موسم السبوت

---

[١] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٨٢ - ٣٨٣ ؛ ج٢ ، ص٧٩ ، ٨٢ ، ١٣٤ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤٤ .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٤ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٩٩ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٧٧ .

[٥] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٣٩ .

[٦] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٠ - ٨١ .

ونضوج النخل ينزلون إلى سواحل تهامة للسباحة والغوص والاستمتاع بهواء البحر الطيب الجميل ، وهو ما يؤكد لنا حقيقة اهتمام الناس في عصر بني رسول بهذه الرياضة والرياضات المرتبطة بها .

٦ – لعب كرة الصولجان :

كان لعب الكرة (الصولجان)[١] من الرياضات التي ذهب بعض سلاطين بني رسول إلى مزاولتها والتسلي بها ، ويذكر عن السلطان المظفر الأول أنه كان يزاول هذه الرياضة ، مما يظهر لنا أن هؤلاء السلاطين تميزوا باللياقة والخفة في أجسامهم لمزاولتهم مثل هذه الرياضات .

٧ – استعراض القوى :

ويبدو أن هذه الرياضة من الهوايات التي سعى بعض سلاطين بني رسول إلى مزاولتها لإظهار مدى قواهم العضلية والجسمانية في مواجهة بعض المواقف التي تفرض عليهم ، مستعرضين مهارتهم القتالية أمام رعيتهم ، وهو ما يؤكد لنا أن استعراض القوى كانت من الرياضات التي انتشرت في عصر بني رسول ، ويعد السلطان المؤيد داؤد ممن زاول هذه الرياضة لما تميز به من قوة ، ويذكر أنه كان يبارز الأسود دون خوف فيقتلها أمام اندهاش وإعجاب الحضور من رجال دولته ورعيته وهو غير آبه لهذه الأسود[٢] .

كما عُرف عن السلطان المجاهد قدرته على منازلة الوحوش واصطيادها بالسهام مما يظهر مهارته في القنص ، وقد ساعده ذلك على حماية بعض المحاط التي كان يقيمها عند سفره ورحلاته الخاصة ، كما حدث في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م عندما هاجم وحش محطته وهو في طريقه إلى الحج مما أثار الرعب والخوف بين أفراد المحطة ، فتركوا هذا الأمر للسلطان الذي قتله بسهم دون أن يخطئه[٣] ، في حين عرف بعض أمراء بني رسول بقوتهم الجسمانية ولياقتهم البدنية التي أصبحت مضرب الأمثال ، كالأمير أسد الدين محمد بن رسول الذي بلغ من استعراضه لقواه أنه كان يقبض على الركاب الحديد (القضيب الحديد) فيضم بعضه إلى بعض ، وبلغ من دقته في الرماية أنه رمى الهلال الذي على منارة صنعاء بدبوس من حديد فأسقطه عن مستقره[٤] ، ويبدو أن تلك المهارات والقوى جاءت نتيجة لمزاولة بني رسول لأنواع الرياضة واستعراضها أمام رعيتهم وكبار رجال دولتهم .

---

[١] عن رياضة الصولجان ومزاولة سلاطين بني رسول لها انظر سابقاً : ص١٢٢ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٦٦ – ٤٦٧ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣ب .

[٣] الملك الأشرف : المصدر نفسه والباب ، ص٦٧٣ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٤ – ٢٠٥ .

٨ - الشطرنج والنرد :

وهي من أكثر وسائل الترفيه والتسلية التي عرفها العرب منذ القدم[١] ، وقد عُرفت في اليمن في مدة سابقة على قيام الدولة الرسولية[٢] ، وتعد من وسائل التسلية التي لعبها الملوك في أوقات فراغهم وعند راحتهم ، وقد اعتبر بعض بني رسول الشطرنج والنرد[٣] من الأمور التي تشغل الملوك وتُضيع أوقاتهم لكثرة لعبهم لها[٤] ، ويذكر ابن المجاور[٥] الشطرنج عند ذكره لحصون المهجم التي شبهها بقطع الشطرنج ، وكان أهالي زبيد من أكثر من لعب الشطرنج الذي عرف بينهم بالرقعة[٦] ، لهذا يبدو أن لعبتي الشطرنج والنرد من الألعاب التي كانت شائعة بين خاصة الناس وعامتهم في العصر المذكور .

٩ - امتلاك الحيوانات والطيور والتسلي بها :

كانت عملية امتلاك الحيوانات والطيور بأنواعها من ضمن الهوايات التي زاولها الناس في عصر بني رسول ، وقد دل ذلك على المستوى الحضاري الذي وصلوا إليه ، وتعد الحمام من أكثر ما اهتم به الناس من الطيور ، حتى أن سلاطين بني رسول أقاموا الأبراج لتربيتها ، وعينوا الموظفين للحفاظ عليها وتغذيتها ونظافتها[٧] ، وكان السلطان المظفر الأول من سلاطين بني رسول الذين عُرف عنهم حبهم للطيور واقتنائهم لها ، ويذكر عن أحد أمرائه وهو الأمير عز الدين أبو عبد الله بن أبي الفهم أنه حضر يوماً مقام المظفر وعنده طائر قد علم أنه إذا أشير إليه باليد غرد وطرب فأشار إليه المظفر ففعل ما يعتاد من ذلك ، فقال الأمير عز الدين في ذلك :

أ يوسف الدهر أنت سلطان	عندك فيما يراه حيوان
أجابك الطير إذا أشرت له	أ يوسف أنت أم سليمان[٨]

---

[١] أحمد عبد الرازق : وسائل التسلية عند المسلمين ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، مج١ ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٤٧ - ٦٠ .

[٢] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق ٢٣٨أ

[٣] النرد : وهي من ألعاب الفرس وتسمى بالفارسية (نرد شير) أي أكبر نرد وتنسب إلى أرد شيرين بابك الذي وضعها وهي عبارة عن رقعة مقسمة مثل الشطرنج ، وقد انتشرت في عصر المماليك وكان يلعبها الخاصة والعامة من الناس . انظر : نصار : وسائل الترفية ، ص٣٠٩ - ٣١٠ .

[٤] الملك الأفضل ، العباس بن علي بن داود بن رسول : نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، دراسة وتح : نبيلة عبد المنعم داود ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٤٦ .

[٥] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٥٨ .

[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٠ .

[٧] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٤٨ .

[٨] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢٣٤أ - ب .

وكان سلاطين وأمراء بني رسول يسعدون كثيراً بامتلاكهم للطيور والحيوانات ، ويكافئون من يهدونها إليهم بأفضل المكافآت والكسوات الحسنة ، كما يتسلون بتربيتها وتغذيتها يومياً[١] ، لهذا ضمت حدائقهم العديد من الحيوانات كالفيلة والزرافات والنعام والجمال والخيول والبغال والمهاة (البقر الوحشي) وكلاب الصيد والحراسة والسباع والطيور ونحوها من الحيوانات التي كانوا يحصلون عليها كهدايا من ملوك الأقطار المجاورة أو البعيدة أو من التجار أو يصطادونها ، حتى أنهم بنوا لها الحدائق الخاصة وعينوا لها الموظفين المختصين بتربيتها ومعالجتها في حالة مرضها[٢] .

إلاّ أن أكثر ما اهتم باقتنائه سلاطين بني رسول الخيول العربية الأصيلة[٣] التي أخذوا بالتفاخر بامتلاكها وأطلقوا عليها التسميات المختلفة[٤] ، في حين فضل بعض الأمراء امتلاك أنواع الجمال [٥] ، كما اهتم عامة الناس بتربية أنواع الحيوانات الأليفة التي يمكن أن تربى في البيوت كالطيور بأنواعها ، والقطط وكلاب الحراسة والصيد وغيرها ، وأطلقوا عليها التسميات ، وتكفلوا بإطعامها والعناية بها[٦] كدليل على حبهم لهذه الطيور أو تلك الحيوانات والمستوى المتطور الذي وصلوا إليه في التعامل معها في عصر بني رسول .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٠٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥٤ ، ٣٨٨ – ٣٩١ ، ٣٩٤ – ٣٩٩ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٠ ، ٨٠ – ٨١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٢٢٧ .

[٣] عن هذه الخيول ومميزاتها . انظر : عبدالله بن حمزة : تاريخ الخيول العربية أو شرح أرجوزة في صفات الخيل وألوانها ومايحمد منها وما يذم ، شرح ابنه أحمد بن عبدالله بن حمزة ، ط١ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص١٥٣ .

[٤] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٧٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٨ ؛ ج٢ ، ص١٨٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٣أ – ب ، ٢٢٧ب ، ٢٣٨ب ، ٢٤١أ ؛ الملك المجاهد : الخيول اليمنية ، ص٣٥ – ٥٤ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٦أ – ب .

[٦] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٠ – ٤٧١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٣٨ب ؛ المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٤ب ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٩٧ .

رابعاً : العادات والتقاليد :

عُرف المجتمع في عصر بني رسول بتباين عاداته وتقاليده المنتشرة بين أفراده ، إذ كان لكل أفراد فئة اجتماعية عاداتهم التي ميزوا بها عن غيرهم ، مع وجود بعض العادات المشتركة التي فرضها أسلوب حياتهم ، وسوف نقوم هنا بدراسة بعض هذه العادات التي عرفت بين الناس في ذلك العصر ، كعادات الزواج وبناء وترتيب البيوت واللباس والزينة والطعام والشراب والتعاون والتكافل وعادات الختان وعادات الموت وغيرها .

١- الزواج والمصاهرة :

يُعد الزواج الأساس الأول في بناء الأسرة في أي مجتمع ، وقد اهتم اليمنيون بأمر اختيار الزيجة لبناء أسرهم ، وأصبحوا لا يعطونها إلا من يستحق ، ولا يأخذونها إلا ممن يستحق ، علماً بأن الزواج في اليمن كثيراً ما ينحصر بين أفراد الفئة الواحدة دون غيرها إلا فيما ندر ، وإذا نظرنا إلى فئة السلاطين وأقربائهم – رأس السلم الاجتماعي – نجد أن الزواج انحصر في داخلها وداخل إطار طبقة الخاصة[١] ، إذ تزاوج بنو رسول فيما بينهم لأسباب قد يكون منها ما هو سياسي لكسب معارضيهم من الأسرة الرسولية أو أسري لاستمرار تناسلهم وتماسكهم الأسري ، كما صاهروا كبار رجال دولتهم وقادتهم التركمان والغز ، وبعض المشائخ والقبائل ، والسادة الأشراف الذين تزوجوا من بنات بني رسول دون أن يتزوجوا منهم ، كما تزوج بعض بني رسول من بنات كبار العلماء والفقهاء لاسيما القادمون منهم إلى اليمن[٢] ، وخرج بعضهم عن القاعدة فتزوجوا من بنات بعض الفئات البسيطة كالسلطان المؤيد[٣] .

وإذا نظرنا إلى فئة العلماء ومن ارتبط بهم من طلبة العلم نلاحظ أن الزواج انحصر في داخلها ، وكثيراً ما تذكر المصادر عن زواج الطالب من بنت شيخه أو أستاذه لإعجابه بهذا الطالب وبحبه للعلم[٤] ، وهو ما يمكن تطبيقه على زواج أفراد بقية الفئات الأخرى التي أقامت صهارتها فيما بينها كالتجار[٥] والمشائخ وغيرهم[٦] ، وقد كان المجال أمام جميع الفئات

---

[١] عن طبقة الخاصة انظر فيما سبق : ص٩٧ – ١١٧ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٧٩ ، ٣٠٤ – ٣٠٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٧ – ٤٨ ، ٨٣ – ٨٤ ، ٣٩٩ ؛ ج٢ ، ص٥٢ ، ٢٣٢ ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٦٢ – ٣٦٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٦ ؛ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : نخبة الرشاف من خطبة الكشاف ، دراسة وتح : عمر علوي بن شهاب ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م ، ص٩ .

[٣] انظر فيما سبق عن هذه الصهارة ، ص١٩٠ – ١٩١ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٠ – ٥١ ، ٥٥ – ٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٩٩ – ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٣٢٥ ، ٣٦٤ ، ٤٣٨ ؛ ج٢ ، ص٩٨ .

[٥] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٤ – ٢٤٥ .

[٦] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٦١ .

مفتوحاً للارتباط بأسر قد تكون أرفع أو أقل منها ، باستثناء السادة الأشراف الذين حصروا أنفسهم بالزواج فيما بينهم ، وسمحوا لأبنائهم بالزواج من بقية الشرائح بما فيها شريحة الحكام ، دون أن يسمحوا لأحد بالزواج منهم وإن كان من الحكام ، للاعتقاد السائد بينهم بعدم إعطاء بناتهم لغيرهم[١] ، وقد شكلت هذه القاعدة عقبة أمام بعض الأشراف الذين عجزوا عن الوصول إلى الإمامة رغم كفاءتهم وتوافر كل شروط الإمامة فيهم تقريباً ، مع عدم توافر شرط أن يكون نقي السلالة ، كما حدث للشريف عماد الدين إدريس بن علي الحمزي الذي رغم ما تميز به من صفات العلم والشجاعة والجود والكرم على أهل مذهبه إلاّ أن ذلك لم يمكنه من الوصول إلى الإمامة ، لأن أمه لم تكن شريفة مما أسقط حقه في الإمامة[٢] .

لقد كانت عملية الزواج تمر بمراحل تبدأ باختيار العريس للمرأة التي يريد الارتباط بها بعد اقتناعه واقتناع أسرته التام بها وبأسرتها ومستواهم الذي لابد أن يتساوى والمستوى الاجتماعي الرفيع أو الوضيع ، وتعد الخطبة هي البداية الأولى نحو الزواج ، وبموجبها يتم تحديد ما يوضع على الزوج من مهر الذي إن تم الاتفاق عليه تبدأ عملية التجهيز للزواج ثم التهيئة لمراسيمه وما يحصل فيه من فرح وولائم وغير ذلك .

أ - الخطبة :

وصلت الخطبة في عصر بني رسول إلى مرحلة من التطور قد لا نجدها في وقتنا الحاضر ، إذ كانت العروس تستشار في أمر خطبتها قبل التقدم لها لإبداء رأيها ووجهة نظرها في الشخص المتقدم لها ، وللعروس الحق في الموافقة إذا وجدت في المتقدم الشخص المناسب ، كما كان لها الحق في الرفض إذا وجدت فيه ما يعيب[٣] ، وقد رأى بعض الرجال بأنه لابد أن تتوافر في المرأة التي سيتقدم لخطبتها عدد من الشروط التي تتوافق ووضعه الذي يعيش فيه من جلادة وصبر ومقدرة على العمل الشاق ، إضافة إلى ما يجب أن يتوافر فيها من جمال وحسن الحال والأخلاق ، ويذكر أن الرجل من أهل ذمار إذا أراد أن يخطب فتاة ذهب إلى والدها أو عائلها فيقول له : " أريد أن أشاهد جمال كريمتك ، فيرد عليه : أقدم إلى السوق الفلاني فإنها تتوعد به ، شاهدها في بيعها وشرائها وجمالها " . فيتقدم العريس إلى السوق الذي دله عليه والدها لمراقبتها ، فإذا أعجبه حالها وجمالها وشيلها وبيعها وشرائها وقوة صبرها على شيل الثقيل فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها وتبقى على شغلها ذلك إلى الممات[٤] ، في حين مثلت الخطبة في بعض المناطق كالزريبة والعنبرة والهرمة والقرشية

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٣ - ٨٤ ؛ المعلم وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٤ب .

(٢) الملك الأفضل ، العطايا السنية ، ص٤٥٩ .

(٣) أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٦٨ .

(٤) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٩١ - ١٩٢ .

في البلاد الشامية من تهامة منعطفاً مهماً في حياة بنات هذه المناطق لما كان يفرض عليهن من قيود لا يتحررن منها إلا بإعلان خطبتهن وعقد قرانهن ، علماً بأن أهالي هذه المناطق عدا زبيد لا يظهرون بناتهم في هذه القرى إلاّ إذا عقد نكاحها وقطع مهرها وسلم دفعها ، وبعد ذلك تظهر بطبل وزمار على رؤوس الأشهاد وتقام لها الولائم والطرح ، وقد سُئلوا عن سبب ذلك ، فقيل أنهم يخافون أن تكبر هذه البنت ويظهر معها جمالها وأنوثتها كاملة فتخرج عن الطريق الصحيح بعد أن ترى نضوج وجمال جسمها ، لذلك كانوا يخفون بناتهم حتى يأتيها نصيبها وهنا لا مانع من خروجها أمام أعين الجميع ، كما يعتقدون أنها إذا ظهرت في هذه القرى تخمد نارها ، ويقل طلابها لذلك يخفونها حتى تخطب وتزف لبعلها[١] .

ب – المهـر :

يعد المهر شرطاً أساسياً من شروط الزواج لابد أن يتم الاتفاق عليه بين العريس وأهل العروس ، ويلعب الوضع المادي للعريس دوراً كبيراً في تحديد ما يفرض عليه من مهر قد يرتفع وقد ينخفض ، وقد نلاحظ المغالاة في المهور بين أفراد فئات طبقة الخاصة ، لما كان يشتري للعروس من ملابس وأدوات وحلي من ذهب وفضة وغيرها[٢] ، وقد ظهرت المغالاة في المهور أيضاً بين الفئات البسيطة في المجتمع ، حتى أن العريس يعجز عن دفع ما يفرض عليه من أهل العروس ، مما يضطره إلى الهجرة للحصول على المال أو البحث عن عمل يمكنه من تجميع ما هو مفروض عليه من مهر ، وقد يتمكن العريس من ذلك ولكن بعد فوات الأوان ، وبعد أن تكون فيه العروس قد خطبت لغيره[٣] ، لهذا شكلت أموال التجار مجالاً تمكنوا من خلاله من الزواج بمن شاؤوا من النساء لإمكانيتهم الكبيرة في دفع المهر الذي يحدده الأهل لبنتهم[٤] .

ومهما يكن من أمر ، فإن ظاهرة المغالاة في المهور لم تكن منتشرة بين جميع الفئات ، إذ نلاحظ الزهد فيها بين أفراد فئة العلماء والفقهاء الذين لم يكونوا يبحثون لبناتهم عن من يدفعون الأموال الكثيرة بقدر ما يبحثون لهن عن الرجل الصالح الخيّر الذي يُعرف بدينه وعلمه غاضين الطرف عن حالته ووضعه المادي ، فعندما تقدم الشيخ أبو علي يحيى بن إبراهيم بن العمك (ت : ٦٧٠هـ / ١٢٧١م) خاطباً ابنة الفقيه أبي بكر بن الخطاب رُفض من قبل والدها ، مع أنه كان سيد قومه ومعه من المال والجاه والمقدرة ما يمكنه من الزواج بأفضل منها ، إذ

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٣٩ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٥ – ٢٣٦ ، ٢٣٩ .

[٣] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢أ ؛ المقالح : عبد العزيز : شعر العامية في اليمن ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٣٦٢ – ٣٦٣ .

[٤] المعلم وطيوط ، المصدر نفسه ، ق٣٠أ – ب .

رأى والدها بأنهُ غير كفء لها ، حتى أنه قال له : " لا أزوجك أنت رجل جاهل "[١] ، كما يذكر عن الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إسماعيل المازني (ت : ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) أنه تقدم للزواج من ابنة قاضي مشهور يعرف بمسعود وهو فقير معدم لايملك شيء فزوجه ، فقيل للقاضي مسعود : " كيف تزوج المازني وهو رجل فقير ؟ " . فقال : " أرجو ببركة العلم أن يكون كافياً لي ولأولادي "[٢] ، وهذا دليل على أن المهور لم تكن مقياساً عند بعض الفئات في اختيار العريس ، لاسيما الشرائح التي اتصفت بالعلم والزهد في الدنيا .

لقد اختلفت عادة أخذ المهور من منطقة إلى أخرى ، ففي منطقة زبيد وبعض تهامة عرفت النساء هناك بعدم أخذهن للمهور من العريس مقدماً ، بل يحبذن تأجيله ، ويعد أخذ المهر بأكمله مقدماً عيب على اعتقاد أن المرأة في هذه الحالة تريد الطلاق من زوجها ، ويذكر ابن المجاور ذلك[٣] ، إذ يقول : " ونساء هذه البلدة (تهامة) لا يأخذن من أزواجهن المهر ، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم ، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمّونها مفروكة أي أن زوجها أعطاها مهرها وفركها أي طلّقها ، فإذا رجع الأمر إلى ذلك تقل رغبة الرجال فيها ، لأن الزوج الآتي يقول : أخاف أن تأخذ مني المهر كما أخذت من غيري " .

ج – تجهيزات الزواج ومراسيمه :

بعد الاتفاق حول المهر تبدأ عملية التجهيز لمراسيم الزواج تهيئة ليوم الدخلة ، إذ يقوم العريس بتأثيث بيت الزوجية بما يحتاج إليه من أثاث وفرش كسرير أو تخت النوم العرائسي ولوازمه من ملايات ومطارح وغيرها ، إضافة إلى ما يحتاج إليه بيت الزوجية من أدوات نحاسية والصينية وأطباق وملابس[٤] ، بينما تبدأ العروس بتجهيز نفسها وحاجياتها وأدواتها الضرورية التي ستأخذها معها إلى بيت زوجها ، ويبدو أن ما يحدد من مهر هو الذي يساعد العروس على شراء لوازم دخلتها ، فإذا كان المهر كبيراً خرجت العروس مع والدتها وأحد إخوتها إلى السوق لشراء لوازمها من ملابس وفرش وقماش[٥] ، ومجامر بخور ومشاجب[٦]

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦١ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٦ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣١٥ . وانظر عن بعض القصص المماثلة : الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٧٥ ، ١٧٩ .

[٣] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٥ – ٨٦ .

[٤] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٣ ، ٢٢٩ ، ٣٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٨ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٣ ، ٢٣٥ – ٢٣٦ ، ٢٣٩ .

[٦] مازالت المشاجب معروفة حتى يومنا هذا في بعض البيوت اليمنية لكثرة استعمالها ، إلاّ أنها لم تعد تصنع من الخيزران بل تصنع من جريد النخيل أو من صفائح حديدية تقطع خصيصاً لذلك ، وتتخذ هذه المشاجب اليوم شكل منارة بطول متر أو أقل قليلاً وهي مجوفة من الداخل مع وجود طابق أو طابقين في داخلها بشكل شبوك لوضع الملابس عليها ليسمح بدخول البخور إليها ، ويقوم المستخدم بوضع المجمرة المحملة بالجمر والبخور أو العود المصنوعة اليوم من الطين أو الخشب في وسط هذا المشجب من الأسفل الذي يكون مغطى بالملابس التي تحفظ الروائح الطيبة المنبعثة من المجمرة .

ومزابد لحفظ الزباد والمساحيق ذات الروائح الطيبة ، كما يقومون بشراء أنــواع العطــور ووضعها في قناني زجاجية تعرف بالمضارب ، وأشهرها القناني العطرية المعروفة بالرمانة ، وتستعمل المرأة أدوات مختلفة لحفظ ما تشتريه لعرسها من طيب وبخور وعود وغيره ، كما تستعمل المكاحل الزجاجية التي تكحل بها عيونها في مدة الزواج وما بعــدها ، وعــادة مـا توضع جميع هذه الأدوات الملابس والعطور والطيب في صناديق خاصة تعرف بالصــناديق العرائسية ، وكانت تلك الصناديق تحمل في موكب العرس على بغال تزين لهذه المناسبة[١] ، وتجهيزاً ليوم الدخلة تطلي العروس وجهها بمادة تعرف بالشاب وهي خليط من الأصبغة يبدو أنها ترطب البشرة وتقيها حر الشمس[٢] كالهرد والغسل والحسن الذي يستعمل من قبل النساء اليوم ، كما تقوم المرأة بتخضيب وجهها ويديها ورجليها بنقشات الحناء[٣] مستعملة كاســات يوضع فيها الخضاب أو الحناء وتعرف بكاسات الخضاب[٤] ، وقد تبالغ بعض النســاء فــي شراء الملابس وأفخر أنواع الحلي والمجوهرات الغالية والنفيسة التي تغطي بها أجزاء مــن جسدها عند الزواج ، وبلغ الأمر ببعض الأزواج إلى أن يطمعوا في مال ومجوهرات وحلي زوجاتهم وسرقتها يوم الدخلة ، لفخامة ما رأوه ، وما دخلت به عليه[٥] ، فــي حــين يهــتم العريس بتزين نفسه وشكله مستعملاً الحناء لتنظيف جميع جسمه تهيئة ليوم الدخلة[٦] .

د – عقــد الزواج واستشارة العروس :

كان العقد يسبق الدخلة بأيام أو بساعات ، ويبدو أنه لا يتم قبل ذلك[٧] ، كما لا يتم العقد إلاّ بتوافر شروط الزواج من استكمال دفع المهر واستشارة العروس وأخذ موافقتهــا ، وقــد شدد قضاة الشرع في هذه المسألة ولم يتساهلوا فيها بغض النظر عن مركز العريس ووضعه الاجتماعي ، ويذكر عن القاضي عيسى بن علي بن مفلــت (ت : ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) أنــه رفض أن يعقد للسلطان المظفر الأول من الحرة مريم ابنة العفيف إلاّ باستكمال شروط العقد والزواج[٨] ، كما يذكر عن الفقيه يعقوب بن محمد الترابي أنه كان يدخل علــى نســاء وادي زبيد للشهادة في النكاح ، ولا يقبل بالعقد إلاّ باستماع موافقة العروس شخصياً على الزواج[٩] ،

---

(١) نور المعارف ، ج١ ، ص١٧ ، ٢٣ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٥١ ، ٤٥١ ، ٥٦١ ، ٥٨٠ .

(٢) انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٦٣ .

(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧ ، ٨٦ .

(٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

(٦) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧ ، ٨٦ .

(٧) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٥١ – ١٥٢ .

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٩ .

(٩) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٩١ .

إلا في حالات أن تفوض العروس والدها أو أحد المقربين منها ليعقد لها أمام القاضي وهي ظاهرة كثيرة الانتشار في عصر بني رسول لاسيما بين الفئات العليا في المجتمع لانشغال العريس أو لبعده عن العروس فيتكفل أحد أفراد أسرتها وأسرته بهذه المهمة(١) .

لقد كان للوضع المادي للعريس دور في تحديد مستوى إطار مساحة العرس الذي يقيمه ، فكلما كانت الحالة المادية جيدة للعريس كلما وسع في إطار الفرح والمدعوين والوليمة التي يعدها للزواج ، وتذكر المصادر الفخامة التي شهدها عرس الأمير الكبير بدر الدين محمد بن زياد الكاملي على ابنة الأمير علم الدين سنجر صاحب القحمة سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م والذي حضره الوزراء وسائر المقطعين والأمراء ووجوه العرب(٢) ، لهذا تشهد حفلات زواج الشخصيات البارزة في المجتمع من ذوي اليسار حضوراً عظيماً للناس من مناطق مختلفة ، كما تشهد هذه الاحتفالات الأناشيد والمغاني والطرب الذي يشارك فيه جميع الحاضرين من الرجال ، وكانت قصائد الشاعر محمد بن حمير من أكثر القصائد التي ينشد بها الناس في حفلات الزواج ، إضافة إلى قصائد الشعراء الذين يشاركون في هذا العرس والفرح(٣) .

أما العروس فكانت في ليلة زفافها تقعد على منصة مرتفعة عن الأرض(٤) ، وقد تكون عبارة عن دكة تزين وتفرش بأنواع الزينة ، ويبدو أنه من على هذه المنصة تستطيع جميع نساء الحي مشاهدة العروس وبكل وضوح وهي في كامل زينتها ، وكانت نساء الحي في ليلة العرس والدخلة يتجمعن ويسمرن ويرقصن وهن يرددن الأغاني والأهازيج(٥) .

لقد كانت الوليمة من الأمور المهمة التي تُعد في مدة العرس ، إذ يتكفل بها العريس في يوم معلوم ويحضرها الأهل والأصدقاء والجيران ، ولا يشترط في وليمة الزواج أن تكون على مستوى من الفخامة والبذخ ، إذ يحدد ذلك الوضع المادي للعريس ، فقد تكون تلك الوليمة عبارة عن وجبة بسيطة خفيفة يدعى إليها المقربون من العريس ، كالوليمة التي تكفل بها وأقامها الفقيه الشيخ أبو عمر عيسى بن إقبال بن عيسى الهتار (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) في زواج أحد طلابه الفقراء ودعا إليها جمعاً من الأهل والأصدقاء وكانت عبارة عن عصيدة فقط(٦) ، في حين نلاحظ الإسراف والبذخ والذبائح في الولائم التي يقيمها ميسورو الحال من المشائخ والأغنياء والتي يحضرها العرب على اختلاف مستوياتهم(٧) .

---

(١) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٤ ، ٢٧٩ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٤ ، ٣٩٦ .

(٢) عن هذا العرس انظر : الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٩٦ – ٧٩٧ .

(٣) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٩ب .

(٤) المصدر نفسه ، ق٤٠ب .

(٥) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٨٤ .

(٦) الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٥٠ .

(٧) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٠أ .

و - الطــرح :

انتشرت ظاهرة الطرح أو النقوط في عصر بني رسول في الأفراح والمناسبات ، وتقوم هذه الظاهرة على مساهمة المدعوين من الأهل والأصدقاء والجيــران بمبــالغ ماليــة للعريس ، إذ يحضرون وقت الطرح ومعهم قراطيس (ظــروف) لوضــع المــال فيهــا ، ويكتبون أسماءهم عليها ، ويدوّن أمام كل اسم المبلغ الذي يقدمه للعريس كل على قدر وسعة ماله ، وبتسلم العريس لذلك المال يصبح بمثابة دين يتوجب عليه تســديده فــي المناســبات المماثلة لها ، وإن استعار ذلك من غيره لتسديده[١] ، وقد كان الناس فــي أوقــات الطــرح يترقبون إلى ما يطرحه الميسورون من مال للعريس والذي قد يبلغ آلاف الدراهم ، مما قــد يعجز العريس عن ردها في المناسبات المماثلة لها[٢] ، لذلك ذهب بعضهم إلى الاستفادة من هذه الأموال في التجارة ففتحوا الحوانيت والدكاكين[٣] لاستثمار ذلك المال والعــيش منــه ، وإعادته إلى صاحبه متى ما وقعت معه مناسبة مماثلة .

وفي الوقت نفسه ، انتشرت النقوط بين النساء في الأعراس وعند الختان والولادة ، ولا ترد المرأة النقط أو الطرح إلا في مناسبة مماثلة ، فإذا أعطيت في عرس رد إليها فــي عرس مثله ، وإن كان في ختان رد إليها في ختان ، وإن كان في ولادة رد إليها فــي ولادة مثلها ، ويذكر أن المرأة في اليمن لم تفسد إلاّ بسبب الطرح ، لأنه كان بمثابة دين أو ســلف وجب عليها تسديده في مناسبة مماثلة ، وإذا لم تجد تخرج على وجهها فتهيم في الطرقات ، وقد تسلك طريق الفاحشة لتسدد ما عليها خوفاً من أن تقع في اللوم[٤] .

لقد كان للوضع المادي دور كبير في مساعدة العريس على التمتع بأيام عرسه وما بعدها ، حتى أن بعضهم استغل هذه المناسبة ليأخذ عروسه في رحلة عقب الزواج لمدة شهر زمان يقضيانها في التنزه بين الحدائق والبساتين ، كما فعل السلطان الأشرف الثــاني ســنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م بعد زواجه من جهة الطواشي جمال الدين مرجان الأشرفي ، إذ سار بهــا إلى زبيد بعد الدخلة للتنزه بين قصوره وجنانها لمدة شهر كامل[٥] .

إلا أن أكثر ما لاحظناه خلال دراستنا لعادات الزواج ومراحله أن هناك ظــاهرتين في الزواج كانتا منتشرتين في عصر بني رسول هما : ظاهرة عدم التكافؤ فــي الــزواج ، وظاهرة تعدد الزوجات ، ويظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن للحالة المادية للرجل دور فــي

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧ .

(٢) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٠أ .

(٣) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧ .

(٤) المصدر نفسه والجزء ، ص٨٦ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٤٠ب .

الزواج بمن يشاء من النساء ، كما كان للوضع المادي الصعب لبعض الأسر دور في موافقة الأهالي على تزويج بناتهم ممن يكبرونهن في السن ، وقد يتسبب صغر سن الفتاة عند الزواج في ظهور المشكلات والخلافات بينها وبين زوجها لعدم التكافؤ الفكري والعقلي بسبب فارق السن ، وإذا كان قد سبق له الزواج تسبب ذلك في زيادة الخلاف بينها وبين أبنائه وزوجته الأولى[١] ، مما قد يؤدي إلى زيادة التفكك الأسري بين الأب وأبنائه لمناصرة الأب لزوجته الجديدة ضد أبنائه . أما ظاهرة تعدد الزوجات فقد انتشرت في هذه المدة بصورة ملفتة للنظر بين جميع أفراد الفئات لاسيما الميسورون منهم ، ويعد سلاطين بني رسول أكثر من عاش هذه الظاهرة ، إذ يتبين لنا خلال ما تذكره المصادر عن عدد أبناء السلاطين أنهم قد تأهلوا بأكثر من امرأة في وقت واحد[٢] ، ويبدو أن ما ساعدهم على ذلك أوضاعهم المادية التي لم تقف عائقاً أمام زواجهم ممن يريدون ، كما عُرف أفراد فئة العلماء والفقهاء لاسيما الميسورون منهم بكثرة الزواج ، وممن اشتهر بذلك الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي (ت : ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) حتى أنه كان يقول لأولاده : " لا تتزوجوا من نساء زبيد إلاّ بكراً فإني أخشى أن تقعوا مع بعض من قد تزوجت بها ، فتقعوا في المحارم " . ويروى أنه كان يقول : " كل شيء قدرت على الزهد فيه إلاّ المرأة الحسناء والدابة النفيسة "[٣] ، وقد يكون لتنقل بعض العلماء والفقهاء في طلب العلم أو بعض التجار للتجارة دور في أن يتزوج هذا الشخص من بنات بعض المناطق التي ينزلون بها لأسباب قد يكون من بينها الخوف من الوقوع في المحرم[٤].

لقد كان لتعدد الزوجات أثره الواضح على الأزواج وعلى الزوجات أنفسهن لما يتولد بينهن من حقد وغيره ومشاكل ، مثلما يذكر عن الفقيه أبي محمد عبد العزيز بن صفي الدين أحمد الحبيشي (ت : ٨٢٥هـ / ١٤٢١م) الذي أصبح مضرباً للمثل في وصاب لكل من تزوج بأكثر من واحدة لما واجهه من مشكلات كانت تحدث بين زوجاته[٥] ، كما يؤدي تعدد الزوجات إلى كثرة الولد وعجز الأب عن توفير لقمة العيش لأبنائه من جميع زوجاته مثلما ذكر عن الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الربيعي الحميري السلفي (ت : ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) الذي عرف بكثرة الزواج وكثرة عدد الأولاد والبنات ، مما كلفه العديد من الديون التي بلغت آلاف الدنانير حتى أنه عجز عن سدادها[٦] .

---

[١] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٨ب ، ٩أ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٥٢ ، ٤٥٣ ، ٦٥٨ ، ٧٨٥ – ٧٨٦ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٤ ، ٣٩٦ .

[٣] الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٩٧ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٠١ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٧٨ ، ٤١٩ .

[٥] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣١ ، ٣٢ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٣٤٢ – ٣٤٣ .

[٦] البريهي : المصدر نفسه ، ص٢١٢ – ٢١٤ ؛ الوصابي : المصدر نفسه ، ص٢١٧ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٢٨أ . وانظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٧ب ، ١٨أ ، ٣٩أ .

٢ - البيوت ومحتوياتها :

اهتم الناس في عصر بني رسول ببناء المساكن والبيوت وراحوا يعمرونها بأشكال ومساحات مختلفة كل ووضعه المادي والمعيشي ، مما جعلهم يتفاوتون في بناء مساكنهم بين القصور والدور والبيوت والخيم والعشش والديم أو الغرف المتواضعة والصغيرة[1] ، وقد شكلت المباني من القصور والدور التي أقامها بنو رسول والمقربون منهم أفخم ما بني في ذلك العصر ، لذلك أسهبت المصادر في وصف جمال معظمها[2] ، وجعل هذا الأمر بني رسول يقيمون مساكنهم في شوارع خاصة بعيدة عن مساكن العامة وأهل السوق ، الأمر الذي جعل هناك شوارع راقية سكن فيها أفراد الأسرة الرسولية والمقربين منهم من الأمراء والولاة وكبار رجال الدولة ، وشوارع متواضعة سكن فيها عامة الناس بين الأسواق التجارية والحوانيت أي أقاموا مساكنهم في الأسواق ، ويُقَسم ابن بطوطة[3] سكن الناس في تعز إلى أحياء ثلاثة إحداها سكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته ، والثانية سكنها الأمراء والأجناد ، وسكن الحي الثالث عامة الناس وبها السوق العظمى ، وقد اهتم الناس في عصر بني رسول بتخطيط شوارعهم واختيار المواد المستعملة في إقامة مبانيهم ، ففي مدينة صنعاء بنى الأهالي بيوتهم من الطين واللبن وسقفوها بعيدان من جذوع الشجر التي يتم دفنها بالطين لتكون دفيئة في أيام الشتاء وباردة في أيام الصيف ، ويبدو أن هذه البيوت تكونت من طابقين إلى ثلاثة طوابق[4] ، كما بنى بعض أهالي صنعاء بيوتهم بالأجر والجص مكونين العديد من الشوارع والأزقة المفروشة أرضيتها بالحجارة ، حتى أنه إذا نزل بها المطر غسل جميع تلك الأزقة ونظفها ، لهذه كانت صنعاء في عصر بني رسول من أكبر مدن اليمن التي تميزت بحسن العمارة والبناء فيها[5] . وتأتي مدينة زبيد من ناحية المساحة والمعمار بعد صنعاء ، إذ تعد من أكبر وأوسع مدن اليمن لكثرة العمارة فيها[6] ، ومن الملاحظ أن أكثر بيوت أهالي مدينة زبيد بُنيت من الحجر والطين واللبن ، في حين بنيت بعضها من الأخشاب أو من سعف النخيل أو الخوص والقش لكثرة ما تذكره المصادر عن اشتعال النيران فيها وسرعة انتشارها الذي قد يبلغ مساحات وشوارع تلتهما النيران في لحظات يسيرة[7] ، كما كان أهالي بعض المناطق التهامية يبنون بيوتهم من الخشب لوفرة الأخشاب فيها ولتعدد الأودية التي توجد فيها

---

[1] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٠ .

[2] عن هذه القصور والدور انظر سابقاً : ص٢٠٧ - ٢٠٩ .

[3] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٨ .

[4] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٢٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٣٠ب ، ١٣١أ .

[5] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٨٦ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٩ ، ٢٦٠ .

[6] ابن بطوطة : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٦ .

[7] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٨ .

الأشجار التي تقطع لعمارة البيوت[١] ، وكانت بيوتهم هذه عرضة للكوارث البيئية الطبيعية من أمطار وحرارة ورياح وسيول وغيرها ، وقد فرضت الأوضاع المادية للناس عليهم اقتناء مثل هذه البيوت المبنية من الأدوات المتواضعة المذكورة[٢] ، وعادة ما تتكون تلك البيوت من عدد من الغرف أطلق عليها سكان تهامة اسم ديم (مفردها ديمة) وهي غرفة صغيرة[٣] ، بالإضافة إلى سطح يحيط بالدار أطلق عليه سكان تهامة اسم جب ، وكان الناس يستعملونه للسمر أو للنوم لحرارة جو مناطقهم[٤] . أما مدينة عدن فقد شهدت تطوراً ونهوضاً عمرانياً كبيراً في ذلك العصر ، إذ امتد العمران فيها من داخل المدينة إلى باب عدن ، وقد بنى الأهالي بيوتهم من الحجر الذي كانوا يجلبونه من أبين ومن بعض المقالع في الجبال المحيطة بعدن ، وقد خطط أهالي عدن بيوتهم على أساس طابقين خصص الأسفل منها كمخازن والأعلى للسكن والمجلس ، واتخذت بيوتهم هذه شكل مربع ، واستعمل بعضهم في البناء إلى جانب الحجارة الجص والخشب في تعميرهم لهذه البيوت[٥] ، وفي الوقت نفسه بنى أهالي ذمار بيوتهم بالحجر القديم إذ كانوا يحفرون الأساسات القديمة ويستخرجون منها ألواح من الحجارة يصل طول اللوح منها أربعة أذرع في عرض مثله وتكسر تلك الحجارة ويُبنى بها[٦] ، كما بنى الناس في منطقة ظفار الحبوضي بيوتهم من الحجر واللبن والطين ، ويبدو أن هذه البيوت كانت تفتقر لحمامات الاغتسال لشحة وجود المياه ، لهذا كثرت في ظفار الحبوضي المساجد ، كما كثرة المطاهر المعدة للاغتسال في هذه المساجد[٧] ، في حين افتقرت معظم بيوت اليمن لحمامات قضاء الحاجة لعدم توافر المياه وصعوبة وصولها إلى بيوت العامة من الناس ، لهذا كانوا يقضون حاجتهم خارج بيوتهم في الخلاء[٨] .

لقد تميزت بعض الشرائح ببنائها المتواضع للبيوت مما يدل على المستوى المعيشي المتدني لأفرادها كالصيادين الذين بنوا بيوتهم على السواحل من خوص النخيل[٩] ، كما عملت بيوت البدو الرحل من خيام اختلفت أحجامها ومساحتها ، ويظهر أن تلك الخيام كانت متواضعة في جودة قماشها[١٠] ، بعكس الخيام الكبرى التي كانت تصنع في عدن للسلاطين

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٣ .

[٢] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١١ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦١٠ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٥ – ١٧٦ ؛ عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٧ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٥٩ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢٦ ، ١٣٧ ، ١٤٧ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩٢ .

[٧] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

[٨] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٥ب .

[٩] ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص٤٦٦ .

[١٠] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤ب .

والملوك والخاصة من القوم الذين كانوا يستخدمونها في الرحلات والسفر وعند الخروج إلى الصيد والتنزه في المناطق البعيدة التي كانت معدة بخزائنها ومطابخها وحماماتها[١] .

أما محتويات هذه البيوت فقد اختلفت كل حسب مستواه المادي ، فإذا نظرنا إلى قصور وبيوت علية القوم فقد احتوت على أفخر الأثاث المنزلي المصنوع من الزجاج الصيني المزخرف والذهب والفضة والنحاس وأنواع الصحون والقدور والمعاجن والمراكن والأزيار والملحدان والشمعدان والمزابد والسجاجيد التي تفرش على الأرض وسجاجيد الصلاة[٢] ، كما احتوت غرف نومهم على أسرّة للنوم وبعض الأثاث وشمعدان للإضاءة[٣] ، في حين احتوت بيوت العامة على أثاث يسير لا يتعدى عدد من القطع من أسرّة متواضعة وأدوات إضاءة من الحجر ، إضافة إلى أدوات مطبخ بسيطة ورحى من الحجر لطحن الحبوب وآنية رخيصة لحفظ الطعام[٤] .

٣ - الملابس والزينة :

لقد كان لتنوع المناخ بين مناطق اليمن المختلفة الحارة والباردة والمعتدلة دور في تحديد نوعية الملابس التي ارتداها الناس ، كما كان للحالة المادية أثرها في اختلاف ملابسهم وتنوع جودتها ، وقد نلاحظ ذلك الاختلاف في الملابس حتى بين أفراد الفئة الواحدة ، فإذا نظرنا إلى فئة الحكام نجد أن ملابس السلاطين اختلفت من حيث الفخامة عن ملابس المقربين منهم الذين قد تختلف ملابسهم عن الموظفين الأقل منهم في البلاط السلطاني ، وهو ما يدلنا على تفاوت نوعية الملابس والزينة التي يرتديها أفراد الفئة الواحدة :

أ - ملابس السلاطين والأمراء والمشائخ : يصف القلقشندي[٥] ما كان يلبسه سلطان اليمن (المجاهد) وجنده بقوله : " فأما زي ملكهم وعامة الجند بها فأقبية[٦] إسلامية ضيقة الأكمام مزندة على اليد ، وفي أوساطهم مناطق (أحزمة) مشدودة ، وعلى رؤوسهم تخافيف لانسي[٧] ، وفي أرجلهم الدلاكسات وهي أخفاف (أحذية) من القماش الحرير الأطلس والعتابي وغير ذلك " . ويتبين من خلال هذا الوصف أن هناك لباساً موحداً للسلطان وجنده يلبسونه في مناسبات معينة مع اختلاف جودة القماش ونوعية المواد المصنوع منها اللباس الخاص

---

[١] عن هذه الخيام وأنواعها . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٩١ – ٢٠٢ .

[٢] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص١ ، ٢٤ ، ٤٩ – ٥٥ ، ٧٨ – ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٠ – ٢٣٧ ، ٢٥٦ – ٢٥٩ ، ٢٩٩ – ٣٠٣ ، ٤٣٩ – ٤٤٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٤أ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٧ .

[٥] صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٢ . وانظر : العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٢ .

[٦] القباء : رداء طويل ، مفتوح عند الرقبة وأكمامه ضيقة يلبس فوق الثياب ، وتعد من الملابس الرسمية لرجال الدولة . انظر : ماير ، ل . أ : الملابس المملوكية ، تر : صالح الشيتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٤٢ ؛ العبيدي ، صلاح حسين : الملابس العربية في العصر العباسي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص٢٨٠ ، ٢٨٣ .

[٧] تخافيف : وهي أغطية الرأس ، ويصفها البعض بأنها الطاقية ، وآخرون بأنها من العمائم . العبيدي : المصدر نفسه ، ص٩١ – ٩٢ .

بالسلطان ، وقلة جودة قماش جنده ، ويبدو أنه كان لكل مناسبة يحضرها السلطان لباسها وثيابها الخاصة بها ، فكان أشهرها ما كان يلبس في بعض الاحتفالات والمصنوع من الحرير أو القطن الخالص(١) ، كما لبس سلاطين بني رسول ما يعرف بالدراعة(٢) وغيرها من الملابس التي رصع بعضها بفصوص اللؤلؤ واليشم والمرجان(٣) وغيرها من الأحجار الكريمة والجواهر النفيسة كما فعل بعض السلاطين(٤) ، كما لبس سلاطين بني رسول البذلة المعروفة بالصيفية الملوكية التي تعد من أفخر ما يلبسه السلاطين في المناسبات ، وكانت من أغلى الهدايا التي يمكن أن يقدمها السلطان لمن يحب من كبار رجال دولته(٥) ، كما لف بعض بني رسول رؤوسهم بمناديل من القماش الثمين عند خروجهم من الحمام وأماكن الاغتسال إذ كانوا ينشفون شعورهم وأجسامهم بها من الماء(٦) للحفاظ على أنفسهم من ضربات الهواء البارد تقريباً ، كما زين سلاطين بني رسول وغيرهم أصابعهم بالخواتم المصنوعة من المعادن الثمينة وزينت بالفصوص من الأحجار الكريمة والعقيق(٧) . وارتداء مشائخ القبائل من كبار الملاك ملابس لا تختلف عن ملابس السلاطين بل نافسوهم في ذلك(٨) . أما الأمراء وكبار الموظفين فكان لباسهم بذلة تعرف بالملوطة(٩) يبدو أنها كانت لبسهم الأساسي في العمل وفي حياتهم اليومية(١٠) ، كما لبس بعضهم كالأمير الشجاع الزعيم بن افتخار في عصر السلطان المجاهد الفوط الغالية الثمن بقيمة أربعين ديناراً(١١) .

ب - **ملابس السادة الأشراف والعلماء والفقهاء والتجار** : لبس السادة الأشراف في المناطق الجبلية زي العرب من عمامة وحنك أو ثوب(١٢) ، ولبس الفقهاء والقضاء ملابس فضفاضة خاصة بهم أرادوا بلبسها تعظيم العلم ، فميزتهم عن غيرهم من الناس وأعطت لهم نوعاً من الوجاهة والمكانة والاحترام بين غيرهم(١٣) ، وقد عرفت تلك الملابس بالفرجية(١٤) ،

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥ .

(٢) الدراعة : هي ما يعرف بالجبة . الرازي : مختار الصحاح ، مادة (دروع) . وهي قميص من صوف . المعجم الوجيز ، ص٢٢٦ .

(٣) نور المعارف ، ج١ ، ص١٦٦ – ١٦٨ ، ٢٨٠ – ٢٨١ ، ٢٨٢ – ٢٨٤ .

(٤) انظر عن بعض هؤلاء السلاطين فيما سبق : ص٢١١ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٤٣أ – ب .

(٦) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٣٠ .

(٧) ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٣٣١ ، ٥١٠ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٤أ .

(٨) المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٤٩ب ، ٥٠أ .

(٩) الملوطـة : هي عبارة عن رداء فوقاني له ياقة ، وهي غير مزررة كان يلبسها الأمراء . ماير : الملابس المملوكية ، ص٤٥ .

(١٠) نور المعارف ، ج١ ، ص٢٧٧ – ٢٧٨ .

(١١) الجندي ، السلوك ، ج٢ ، ص٦٠٧ .

(١٢) العمري : مسالك الأبصار ، ص٦٥ .

(١٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٦ .

(١٤) نور المعارف ، ج١ ، ص٢٠٤ ، ٥١٥ – ٥١٦ ، ٥٧٣ . الفرجية : لباس فوقاني يعرف بالجبة ، وسميت فرجية لأنها مفرجة أي مفتوحة من الأمام من أعلاها إلى أسفلها وتكون مزودة بصف من الأزرار . انظر : ماير : الملابس المملوكية ، ص٩١ .

ويذكر القلقشندي[١] بأنها من ملابس القضاة والعلماء وأصحاب الوظائف الديوانية والـوزراء وكبار الموظفين من رجال العلم ، كما لبس بعض العلماء سوسية (ثياب حرير) وعليها عمامـة وملحفة ، إلاّ أن لبس عامة الفقهاء عبارة عن قميص بجيب ونعلين عربيين وطاقية (كوفية) توضع على الرأس ، وهي أكثر الملابس انتشاراً بين أفراد هذه الفئة[٢] ، بينما تجنب العلماء والفقهاء لبس ثياب الشهرة أي ذات الألوان الفاقعة المزركشة[٣] . ولبس بعض الشعراء العمائم المعقودة لطولها مثل الشاعر ابن العطار شاعر السلطان المنصور الأول عمر[٤] ، وكان لفقهاء الصوفية لباسهم الخاص الملون بعضه كالمدرعة والجبة الصوف[٥] ، وفضل البسطاء منهم لبس القمصان المرقعة الخشنة ووضعوا على رؤوسهم الطواقي أو الكوافي[٦] . وقد تميز التجـار والأغنياء بكبر عمائمهم وبطول أكمام قمصانهم وبثيابهم الفخمة والفضفاضة الغالية ، ويستطيع من يراهم بهذه الثياب أن يعرفهم أنهم من التجار وأصحاب الأموال[٧] .

ج – ملابس عامة الناس : اختلفت الملابس التي ارتدتها الفئات البسيطة من عامة الناس لاختلاف وظيفة ومهنة كلٍ منهم ، فإذا نظرنا إلى موظفي الدولة من العسكر فنجد أنه كان لهم لباسهم الخاص وكذلك كان لقيادتهم ، إذ كانوا يلبسون الدروع[٨] ويضعون الخوذات على رؤوسهم لتحميهم من ضربات السيوف عند الحروب[٩] ، أما لبس العسكر فيبدو أنه كان موحداً لإشارة أوردها ابن حاتم[١٠] عند وصفه لعسكر السلطان المظفر الأول عند حربهم للأشـراف سـنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م إذ يقول فيها : " ثم أطل مولانا السلطان فوق الجبل الأسود هنالك ، حتـى أن سواد الجبل أشتمل من مفرديه ومماليكه ثوباً أبيض غطى جوانبه ... " ، ونستنتج هنا أن عسكر بني رسول كانوا يلبسون زياً موحداً هو الأبيض .

وفي هذا الصدد ، لبس غالب البدو (أهل الأرياف) من رجال القبائل القمصان ذات الجيوب ونعالاً عربية ووضعوا على رؤوسهم وفرة أو عمامة[١١] . وعرف بعض أصحاب الحرف والمهن بلبسهم الذي كانوا يرتدونه عند مزاولتهم لمهنتهم ، فكان للعصارين أو السلاّطين لبسهم

---

[١] صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٢ ، ٤٣ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٨ ، ١٠٦ ، ٢٢٨ ،

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١١٠ – ١١١ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ – ٨٦ .

[٥] الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص٣٠ ، ٥٣ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٥٤ – ٥٥ ، ٧٨ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٩ ؛ البريهي : المصدر نفسه ، ص٦٤ ، ٦٥ .

[٧] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٨٢ .

[٨] الدروع : ملابس واقية تستعمل لحماية الفارس من ضربات السيوف . الدقدوقي : الجندية في عهد الدولة الأموية ، ص٢٣٧ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٩٦ .

[١٠] السمط الغالي الثمن ، ص٤٩٣ .

[١١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٢٨ .

الخاص الذي يرتدونه عند عصرهم للجلجل[١] ، وكذلك بالنسبة للباعة في الأسواق أو الباعة الجوالين الذي تميزوا بلبس السواد وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن[٢] .

لقد فرضت طبيعة اليمن المناخية المتنوعة على عامة الناس لبس ثياب تتناسب ومناخ مناطقهم ، فمثلاً لبس أهالي المناطق الحارة مثل عدن وأبين ولحج وظفار الحبوضي والشحر الفوط والملاحف المزخرفة الخفيفة التي كانت تصنع في بعض هذه المناطق التي تغطي الجزء الأسفل من الجسم وشدوا تلك الفوط بأنواع مختلفة من الأحزمة[٣] ، كما تميز سكان بعض المناطق بخاصية في اللبس كأهالي مدينة تعز الدين لبسوا الفراء لبرودة بلادهم[٤] ، وأهالي مدينة صنعاء الدين لبسوا الخام لبرودة أرضهم ، في حين لبس شبابهم الفتوحي[٥] الذي فضل لبسه التركمان والأكراد ونساء العرب ، كما لبس أهالي البادية في ثمار الخام الثقيل نتيجة لبرودة أجواءهم ، وفضل أهالي تهامة وضع قلنسوات من خوص النخيل على رؤوسهم[٦] لتقيهم حرارة الشمس ، أما أهالي ظفار الحبوضي فكان لبسهم القطن الذي يجلب لهم من بلاد الهند ، وكانوا يستخدمون الفوط ، إذ يشدونها في أوساطهم عوضاً عن السراويل وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ويغتسلون مرات في اليوم ، كما كانوا يصنعون بعض ثيابهم من الحرير والقطن والكتان ، وقد تميز أهالي ظفار الحبوضي بأن رؤوسهم كانت مكشوفة لا يجعلون عليها العمائم[٧] ، ولبس أهالي صعدة الحرير والقطن لأن بلادهم ظاهرها حار بالمرة وباطنها حار لين[٨] ، كما كان لباس أهالي مدينة حجة الثياب والفوط الحرير لشهرتهم في حياكتها[٩] ، أما أهالي حضرموت فكان لباسهم الثياب ذات اللون الأزرق ، وفضل بعضهم لبس الثياب ذات الألوان العجيبة بين الأخضر والأزرق ، وكانوا يمشون حفاة مكشوفي الرؤوس[١٠] ، وعُرف أهالي منطقة الذنبتين بأنهم كانوا يقصرون ثيابهم[١١] ، وعاش سكان جزيرة سقطرى – النصارى من غير المسلمين – رجالاً ونساءً عراة تقريباً لا يستر أجسادهم إلاّ غطاء ضئيل من الأمام والخلف وعلق كل منهم صليب على عنقه كل على قدره[١٢] . ونصل إلى أن

---

(١) عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٦١ .

(٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ .

(٣) انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ .

(٤) العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٦ .

(٥) الفتوحي : قمصان واسعة يتم ضمها في الوسط بحزام . حماد : مظاهر الحضارة ، ص٥٣٥ .

(٦) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٨ ؛ ج٢ ، ص١٨٨ – ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٧) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٨) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٠٦ .

(٩) الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٨٠ – ٨٨١ .

(١٠) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

(١١) الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٩٧ .

(١٢) ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨٠ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٦٦ ، ٢٦٨ .

ملابس الناس في عصر بني رسول اختلفت جودتها ونوعية قماشها فكان لغناء الناس وفقرهم دور في تحديد نوعية هذه الملابس ، كما كان للمناخ الذي تميزت به المناطق الجبلية المرتفعة عن المناطق التهامية الحارة دور أيضاً في تحديد ملابس كل منطقة لهذا لم تعرف اليمن زي موحد لسكانها نتيجة لتنوع مناخها واختلاف المستوى المعيشي لهم ، وتنوع وظائفهم وحرفهم .

٤ – الطعام والشراب :

عمل اليمنيون في عصر بني رسول على تنويع وجباتهم الغذائية ، وتفننوا في تشكيلها وتلوينها لاسيما ذوي المكانة منهم وأهل اليسار ، وتعد موائد بني رسول من أكثر الموائد التي ضمت أنواعاً مختلفة من الأطعمة لوجود مطابخ متخصصة تحتوي على طباخين من أصحاب الخبرة والمعرفة بطبخ أنواع المأكولات الشهية[١] ، وقد أجاد هؤلاء الطباخون تقديم الموائد المحتوية على أنواع اللحوم المشوية لاسيما لحوم الأغنام العربية كالماعز والبربري التي تقسم إلى شرائح بعد إنزال العظم عنها وتحليتها بالتوابل والخضار المختلفة ، ولحوم الطيور المطبوخة بأنواعها كالدجاج والفراريج والحمام وغيرها ، وسمك الطرناك (الديرك) والصيد المالح ، وطبخوا من البيض وجبة كانت تقدم ضمن المائدة السلطانية عرفت بالعجة[٢] ، كما صنعوا من اللحم وجبات مختلفة مثل وجبة الهريس المكونة من اللحم المطبوخ مع القمح المجروش الممزوج بالسمن[٣] ، في حين نوّع بنو رسول في موائدهم لتضم وجبات اتخذت تسميات مختلفة كالفتيت والبوارد والقطائف والرقائق والزلابي والخفوش واللحوح وغيرها[٤] .

وفي الوقت نفسه ، شدد سلاطين بني رسول على أن تحتوي موائدهم أنواع الحلوى التي تصنع من النشا والسليط والسكر الأبيض أو الأحمر والعسل والفستق واللوز والجوز ، فتطبخ مع بعضها بمقادير محددة ، ويعمل منها الحلوى المعروفة بالسنبوسك والمسفوح والحلوى الصابوني والفانيذ والمشبك والقرعية والمضروب والقاهرية وغيرها ، كما صنع طباخو بني رسول الحلوى باللحم وعرفت الطبخة بالهريس وسنبوسك[٥] ، أما الكعك فكان يُحلّى به بعد الطعام ويقدم على الموائد ، ويعد بموجب مقادير محددة[٦] ، بينما ضمت هذه الموائد إضافة إلى الحلويات والكعك شراباً مختلف الطعم واللون يشرب عقب الانتهاء من الطعام ومنه شراب الليمون المصنوع من الليمون والسكر ومنه المعروف بالسقاء والسوبيا

---

[١] انظر عن هؤلاء الطباخين فيما سبق ، ص١٢٦ – ١٢٨ .

[٢] العجة : طعام يتخذ من بيض ، يضرب وتضاف إليه بعض الأخلاط ، ويقلى بالسمن والزيت . المعجم الوجيز ، ص٤٠٦ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٨١ ، ٨٢ ، ١٢٣ ، ٢٢٢ ، ٤٤٠ ؛ ج٢ ، ص١ ، ٢ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٧ .

[٤] سوف نقوم بوضع جدول يضم تفاصيل هذه الطبخات ومقاديرها . انظر ، ص٤٥٨ – ٤٦٠ .

[٥] عن هذه الحلويات ومقاديرها . انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١ ، ٤ ، ٢٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ – ١٠١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٣ . ولمزيد من التفاصيل عن أنواع هذه الحلويات انظر : ص٤٦٠ .

[٦] نور المعارف ، ج٢ ، ص١١١ – ١١٢ .

والفقاع وغيره[١] ، إضافة إلى أنواع الفاكهة من العنب والزبيب والمكسرات من الجوز واللوز والفستق والبندق وما شبه ذلك ، ولإضفاء الأجواء الطيبة والجميلة قدم على موائد طعامهم أنواع المشمومات ذات الروائح الطيبة من البخور والمسك وماء الورد وغيرها من الروائح التي تزيد من شهية السلطان وضيوفه[٢] .

لم يكن ميسورو الحال في المجتمع اليمني من كبار رجال الدولة ومشائخها وتجارها أقل حالاً بموائدهم عن السلاطين والملوك ، إذ عاشوا حياة رفاهية مثل التي عاشها غيرهم فتنعموا وتفننوا في المأكل والمشرب ، حتى أنه أصبح يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان من الطعام ويعمل فيها بالسكر والقلوب وتطيب أوانيهم بالعطور والبخور[٣] ، كما حرص بعض رجال السلطان وغلمانه على أن تحتوي موائدهم على ما لذ وطاب من الطعام والشراب[٤] .

أما عامة الناس فقد اعتمدوا في طعامهم وشرابهم على ما تنتجه مناطقهم من ثروات زراعية وحيوانية ، وأخذوا يطبخون طعامهم من هذه المنتجات ، حيث طبخ أهالي زبيد الملوخية التي تعد من وجباتهم الأساسية ، وعملوا من الدخن والذرة ؛ الخفوش واللحوح والفطير الذي يأكلونه باللبن والسمك ويسمونه المُلتح ، وعملوا من الدخن فطائر يأكلونها مع القطيب أو الحليب ، كما أكلوا المُلتح مع سليط الجلجل ، وأكل بعضهم أرغفة الخبز على قطع الحلوى ، أما فواكههم فأهمها البطيخ ويسمونه البرطيخ والموز والعنب والقثاء والخيار والدباء الذي يأكلونه مشوي في التنور ، ويذكر عن أهالي زبيد أنه ليس لهم حديث سوى الأكل[٥] ، في حين كانت الوجبات الأساسية لأهالي منطقة ذمار الحنطة والحلبة واللحم والشراب الذي يقدم على كل وجبة حتى أنه لا يقطع لا صيفاً وشتاءاً[٦] ، وقد أكثر أهالي مدينة صنعاء من أكل أنواع الفواكه والخضار الطازجة التي تزرع هناك كالتفاح والمشمش والخوخ والأجاص والسفرجل والعنب والتين والكمثرى والبقول[٧] ، واعتمد أهالي منطقة فشال التهامية في طعامهم على الدخن والذرة والحنطة والشعير ، وفضل بعضهم أكل الأرز ، وعمل أهل صعدة طعامهم من خبز الحنطة والشعير ، وكان مأكول أهالي المنصورة السمك والذرة وكانوا يخلطون الهريسة بلحم السمك فقط ، كما كانوا يكثرون من أكل الفواكه بأنواعها ،

---

[١] نور المعارف ، ج٢ ، ص٩ – ١٠ ، ١٤ ، ١٠١ ، ١٤٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٤ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٦أ .

[٣] العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٥ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤٥ – ٣٤٦ .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٦ – ٨٧ ؛ ج٢ ، ص٢٤٣ .

[٦] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩٢ .

[٧] المصدر نفسه والجزء ، ص١٨٥ .

واعتمد أهالي جزيرة سقطرى في طعامهم على الذرة والحنطة وأكلوها على لحم البقر والضأن[١] ، وفضل بعضهم أكل السمك والأرز كوجبة أساسية أو اللحم واللبن[٢] .

أما أهالي ظفار الحبوضي فكان طعامهم الأرز المطبوخ (المحمس أو المسلوق المجفف) الذي يأتي إليهم من الهند ، كما أكلوا الذرة التي يعملون منها أرغفة الخبز ، ونتيجة لكثرة الأسماك في بحارهم عُد السمك من الوجبات الأساسية التي تقدم على موائدهم[٣] ، بينما اعتمد أهالي حضرموت في طعامهم على السمك لاسيما الصغار منه المعروف بالعيد الذي يخلط مع اللبن فيصبح لونه شبيه بالخردل[٤] .

إلاّ أننا يمكن أن نستنتج أن معظم طعام أهل اليمن في تلك المدة كان اللحوح والخفوش والزوم ، وهو طعام يعمل من الخبز البر المسحوق والمخلوط باللبن المغلي وبعض البهارات[٥] ، أو خبز بركانة مثرود باللحم[٦] ، أو عيش الذرة مثرود بماء الحمر (شراب التمر الهندي) ، وميز بعض الفقهاء موائدهم عند قدوم الضيف إليهم ، فنوعوا في طعامهم الذي اعتادوا عليه ليضيفوا أرزاً حاراً وسمناً وعسلاً وزنجبيلاً أخضر[٧] ، وفضل بعض الميسورين من العلماء أكل الهريس المصنوع من اللحم والخبز على أن تكون بالسمن لطيب طعمها به[٨] ، وأكتفى بعضهم بأبسط الطعام وهو خفوشة يتم شراؤها من السوق وسليط يتم شراؤه من العصار وعركهما ببعضهما[٩] ، وأكل بعضهم الحلاوة مع الكعك وطعام السويق المكون من الحنطة والشعير المدقوق[١٠] ، وفضل بعضهم التمر الذي كان من الوجبات التي اعتاد أكلها جميع الناس على اختلاف مكانتهم ومراتبهم[١١] ، أما أفضل الطبخات المفضلة عند قبائل البدو فكانت العصيدة (المعصوب) ، وهي من أسرع الوجبات التي يمكن أن تعد للضيف عند قدومه على وجه السرعة ، حتى أن بعض القبائل لا تعرف طعاماً إلاّ العصيدة ، مثلما يذكر الشيخ الحسام بن الفضل شيخ سنحان في عهد السلطان المظفر الأول ، إذ قال : " نحن قوم لا نحسن إلاّ العصيدة "[١٢] ، كما اعتمد بعض الأهالي والمسافرون على أطعمة

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٦٤ ؛ ج٢ ، ص٢٠٦ ، ٦٦٥ – ٦٦٦ .

[٢] ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨٠ .

[٣] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٧ . وانظر : الارياني : المعجم اليمني ، ص٤٠٦ ، ٧٩٨ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤٦ .

[٧] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٠٤ ، ٢٢١ .

[٨] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٣٥ .

[٩] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٣٦أ .

[١٠] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٥٩أ – ب .

[١١] عن أنواع التمر التي عرفتها اليمن انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٩ .

[١٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٨٢ .

يمكن أن تبقى لفترات طويلة دون أن تتلف كالخبز الناشف والكعك[١] ، والصيد المالح الذي استعمل كثيراً في المناطق البعيدة التي ينعدم فيها السمك[٢] .

٥ - التحية والمصافحة :

أدخل بنو رسول إلى اليمن عادات جديدة في المصافحة وتبادل التحية ، حتى أنها أصبحت من العادات المتبعة في التعامل ، وقد اختلفت هذه العادات التي كانت تتم بين السلطان وأفراد أسرته وكبار رجال دولته في أسلوبها عن أسلوب العادات التي كانت تتم بين السلطان وعامة الناس ، وقد أعطى السلاطين لأفراد أسرهم من الملوك والأمراء ميزة خاصة في المصافحة لاسيما عند اللقاء بعد طول الفراق[٣] . بينما ميز سلاطين بني رسول بين ضيوفهم في أداء التحية ، حيث فرضوا على عامة الناس عند دخولهم على السلطان أن يؤدوا التحية ثم يومئ إليهم ليبركوا على الأرض ويقبلوها كناية عن التعظيم والهيبة ، والسلطان جالس على سرير الحكم لا يحرك ساكناً أمام هذه التحية[٤] ، ويبدو أن أسلوب التحية المهين هذا كان من العادات الدخيلة على المجتمع اليمني التي نقلها بنو رسول من البلاد التي قدموا منها ، أما كبار رجال الدولة من الوزراء والقضاء فيؤدون التحية والسلام دون أن يومئ إليهم بتقبيل الأرض ، ولكن يفرض عليهم أن يظلوا واقفين مطأطئي رؤوسهم أمام السلطان[٥] ، ويذكر عن السلطان المجاهد أنه متى ما دخل عليه أحد من عامة الناس أدى له التحية ثم يمس الأرض بسبابته ، ثم يرفعها إلى رأسه ، ويقول : " أدام الله عزك "[٦] ولا يجلس حتى يومي إليه السلطان إيماءً ضعيفاً برأسه دليل الإذن بالجلوس[٧] .

أما إذا قدم السلطان على قوم لاسيما من العلماء وطلبة العلم وهم في أحد مجالس العلم فيقوم الجميع له بعد أن يطرح عليهم السلام ليردوا عليه ثم يرفع كبير المجلس من الفقهاء يديه ليدعو للسلطان ، ويرفع الجميع أيديهم بالمثل بما فيهم السلطان نفسه ، فإذا مسح الفقيه وجهه مسح السلطان وجهه ثم مسح الجميع كناية عن انتهاء الدعاء وابتداء مجلس العلم[٨] .

وفي هذا الصدد ، عُرفت بعض المناطق بعاداتها الغريبة في المصافحة كأهالي منطقة ظفار الحبوضي الذين اعتادوا المصافحة في المساجد إثر كل صلاة لاسيما صلاة الصبح

---

[١] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٥ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٤٠ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٨٤ .

[٤] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٢ - ٢٧٣ .

[٥] انظر : المصدر نفسه ، ص٢٧٣ .

[٦] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٨ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٤٦أ .

[٧] ابن بطوطة : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٧ .

والعصر ، إذ يستند أهل الصف الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم ، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعين وهي من العادات الحسنة[١] .

وفضلاً عن ذلك ، كان من عادة المجالس أنه عند قدوم الغريب أو الضيف إليها وهي مليئة بالحضور من الناس أن يقوم الجميع لمصافحته والتسليم عليه ، لاسيما إذا كان من علية القوم أو الفقهاء أو العلماء أو ذا منصب أو جاه ، بينما يتخلفون عن الوقوف والقيام لمن لا قدر لهم في المجتمع من بسطاء الناس أو جهلتهم ممن لا يجيدون القراءة والكتابة[٢] .

٦ - كرم الضيافة :

وهي ظاهرة انتشرت بصورة واسعة في اليمن بين الناس الذين تنافسوا على اختلاف مراتبهم لإكرام الضيف ، ويعد بنو رسول أكثر من تمسك بظاهرة الكرم وحسن الضيافة ، ويبدو أن لأوضاعهم المادية دوراً في ذلك ، وقد بلغ من حبهم لإكرام الضيوف أن أقاموا الدور المخصصة لاستقبالهم والتي عُرفت بدار المضيف أو دار الضيافة ، وهي أماكن يتجمع فيها ضيوف بني رسول وزوارهم والوافدون إليهم من مناطق مختلفة ، وكان لهذه الأماكن نصيب من ميزانية الدولة ، إذ رصد سلاطين بني رسول مبالغ مالية سنوية لهذه الدور تصرف بشكل يومي لإطعام وإشراب الضيوف ، كما جهزت مطابخ خاصة اقتصرت مهمتها على إعداد الثلاث الوجبات للمقيمين في هذه الدور بما يليق بهم وبمكانتهم[٣] ، ويعد السلطان المظفر الأول أكثر من عرف بالكرم من بني رسول ، وقد بلغ من كرمه أنه لا يتوانى عن إعطاء ما في خزانته لضيوفه من أمراء بني رسول أو بعض رجال دولته ، حتى أن ذلك كان موقع إعجاب بعض ممن تنعموا بكرمه ، ويقول الأمير أسد الدين بعد أن بالغ المظفر في أكرامه في إحدى المرات : " ليت شعري هل أبقى السلطان في خزانته شيئاً "[٤] ، كما عُرف بقية سلاطين بني رسول بكرمهم وجودهم مع ضيوفهم القادمين إليهم من رعيتهم[٥] ، علماً بأن الكرم لم يكن مقصوراً على بني رسول فحسب بل تميز بهذه الصفة بعض كبار رجال الدولة كالأمير الزعيم بن افتخار أتابك عسكر السلطان المجاهد الذي كانت مائدته لا تنقطع صباحاً ولا مساء[٦] ، كما انتشرت هذه الظاهرة بين العامة من الناس لاسيما العلماء والفقهاء ، ويذكر عن الفقيه محمد بن علي بن إسماعيل الحضرمي (ت : ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) أنه ما سأله سائل شيئاً من الدنيا فرده ، وربما لقيه السائل في الطريق فأعطاه بعض ثيابه ، ويأتي عليه وقت يعجز عن

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٩ .

(٢) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٢٢أ .

(٣) نور المعارف ، ج٢ ، ص١٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٠٠ .

(٤) انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٧ ، ١١٨ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٨٣أ .

(٥) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٤٥أ ، ١٢٣٤أ ، ١٢٣٧أ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٥٨ .

الخروج لعدم وجود ما يلبسه ، ويروى أنه سأله سائل شيئاً فدخل منزله فلم يجد إلاّ الطعام الذي تطبخه الخادمة له ولأهله فأخذه بإنائه وذهب به إلى السائل فأعطاه إياه[١] ، كما يذكر من كرم الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي بكر الرداد البكري الصوفي (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أنه يقيم مائدة كل صباح ومساء يحضرها ما يقرب من ثلاثمائة ضيف لا يرى منه تضجر ولا عبوس ، ولو كان في غاية الفقر ، فشبهه فقهاء ومشائخ وعلماء عصره في كرمه بحاتم الطائي[٢] ، كما تنافس بعض التجار في إكرام الفقراء ، ويذكر عن تجار عدن أنهم مع غنائهم وترفهم فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق ، إذ كانوا يحسنون إلى الغريب ويؤثرون الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ويفرشون موائد الطعام لغيرهم من التجار وعامة الناس ، كما عرف بذلك تجار مدينة صنعاء مثل التجار أولاد الهلبي الذين كان لهم فضل وكرم وإطعام لأبناء السبيل ، وكانوا يعينون الحجاج ويكرمونهم ويركبونهم في مراكبهم ويزودونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهروا به[٣] .

لقد بلغ من كرم أهالي منطقة ظفار الحبوضي وحبهم للضيف أنه بعد انتهائه من أكل الطعام يقدم له وعاء ليغسل يده ، ثم يؤخذ ذلك الوعاء بمائه ليشرب منه راعي البيت وجميع أهله وأولاده ، وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيهم الخير من الواردين إليهم[٤] ، كما بلغ من كرم وأخلاق أهل منطقة وصاب في التعامل مع الضيف أنهم كانوا يقتدون بسيرة الرسول محمد (ﷺ) وبما وصل من أنباء كرمه للضيف ، فأصبح إكرام الضيف عادة انتشرت بين الأهالي في وصاب جميعهم وإن كانوا في غاية الفقر والحاجة[٥] ، وقد يوصل الأمر ببعضهم إلى أن يرهن من عقاره أو يبيع من ماله ليكرم ضيفه ، وتميزوا بأن الواحد منهم كان يأنف من تقريب القليل ويأنس الضيف بكثرة الترحيب والتسهيل والتأهيل ، ويظهر للضيف أنه بقدومه قدم الخير كله ، كما يقدم له كلمات الشكر لاختياره دون غيره لنزوله ضيفاً عليه ، إذ يرى في ذلك شرفاً كبيراً لا يوصف وكان أشهر من عرف في وصاب بالكرم الشيخ محمد بن أبي بكر بن حسن بن عمر بن حمير بن أصهب الحميري الذي كان لا يرد سائلاً قط ، وكان السلطان المؤيد يمده شهرياً بألف دينار فيصبها على الحصير ثم يفرقها على طلبة العلم ، حتى أنهم كانوا يلقبونه بملك وصاب ومُغْني الطلاب[٦] ، ويذكر من كرم الأشراف في

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٩٨ – ١٩٩ .

[٢] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٨٩ ، ٣٣٢ – ٣٣٣ .

[٣] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٥ ، ٢٦٠ – ٢٦١ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٧٠ .

[٥] يقول الوصابي أن أهل وصاب كانوا يقتدون بحديث الرسول (ﷺ) الذي يقول فيه عن إكرام الضيف : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " . تاريخ وصاب ، ص٨٤ ، ١٤٥ .

[٦] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٤ ، ١٤٥ .

المناطق الجبلية المرتفعة كصنعاء وغيرها أنهم يقرون كل من يمر بهم ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم ، وإذا جاءهم الضيف ذبحوا له شاة وقدموا له جميع رأسها وكراعها وكرشها وكبدها وقلبها ، ويأكل ما يأكل ويحمل ما يحمل[1] .

لقد واجه بعض ممن عرفوا بكرمهم وجودهم انتقاداً كبير من ذوي المكانة في المجتمع لإسرافهم في إكرام ضيوفهم والقادمين إليهم وإن كان ذلك على حساب قوتهم وقوت أبنائهم ، لاسيما وأن الكرم المفرط كان سبباً في تعرض الكثير للفقر والحاجة وتحمل الديون التي يعجز الكثير منهم عن سدادها لصعوبة توقفهم عن استقبال الضيوف[2] .

٧ – التعاون والتكافل الاجتماعي :

كان التعاون والتكافل الاجتماعي من أبرز الصفات التي اتصف بها المجتمع الذي عرف بقوة تماسك أفراده في عصر بني رسول ، لاسيما في أوقات المحن والأزمات وعند نزول المصائب ، وقد كان للأوضاع المادية الصعبة للناس أثرها في انتشار هذه الظاهرة بين الفقراء والميسورين الذين تكفلوا بإعانة وتوفير كل ما يحتاج إليه أصحاب الحاجات والمعدمين من الأيتام وطلبة العلم وغيرهم ، مما خلق حالة من المحبة والتماسك بين الناس في ذلك العصر ، ومنها ما يذكر عن المحبة والتماسك الذي عُرفت به حلقة الفقيه علي بن مسعود السباعي (ت : ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) التي كانت تجمع ثمانين متفقه ، وقيل مائتي متفقه أكثرهم ذو فقر وحاجة[3] .

لقد دفعت الأوضاع المادية الصعبة بعض ميسوري الحال إلى استغلال هذه الفرصة لعمل الخير مع الفقراء والمحتاجين ، ووصل الأمر ببعضهم إلى التكفل بقوت ولباس أُسر بأكملها بصورة تظهر لنا مدى قوة التكافل الاجتماعي الذي عرف في عصر بني رسول ، ويذكر أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الهرمل عندما توفي سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م بُكي عليه في أربعين بيتاً فسئلوا عن سبب ذلك ، فقالوا : " كان يقوم بكفايتنا ولا يعلم أحد "[4] ، كما شكلت أوقات القحط والجفاف أكثر الفترات التي يشهد فيها المجتمع حدوث حركة تكافل اجتماعي غير عادية لما تمر به بعض الأسر من حالات جوع وحاجة لانعدام الطعام وارتفاع سعره وعجز الناس عن شرائه ، وقد بلغ الأمر بالفقيه عبد الرحمن بن إبراهيم بن موسى بن عجيل (ت : ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) أن يتكفل بإطعام نحو ثلاثة آلاف

---

(1) العمري : مسالك الأبصار : ص٦٤ .

(2) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٨ – ١٨٩ ؛ ج٢ ، ص٢٥٠ .

(3) الخزرجي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٠٣ – ١٠٤ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٠ .

(4) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦٩ – ٣٧٠ . وانظر : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢١٩ – ٢٢٠ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٢٢ – ٣٢٣ .

نفس في كل ليلة عند حدوث جدب سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م[١] ، وقد أدى بعض الفقهاء من ذوي المقدرة دوراً كبيراً في حل بعض الأزمات التي يمر بها الفقراء والمحتاجين من فئة الفلاحين وغيرهم من العامة رغبة منهم في التفريج عنهم ، كما عمدوا إلى تسليف بعضهم في أوقات القحط والمجاعة وقلة الأمطار ، إلى أن تأتي الأمطار وتجنى الثمار ، وهو ما يبين لنا مدى قوة تماسك أفراد المجتمع[٢] .

ومهما يكن من أمر ، فقد بلغ مستوى التعاون في بعض المناطق ذروته حتى أن ذلك التعاون أصبح من العادات الحسنة والعوائد المستحسنة ، كما كان في مجتمع منطقة وصاب الذي يعطي لنا صورة طيبة عن سكان هذه المنطقة وتعاونهم عند الشدة والفرج ، ويذكر من تعاونهم أنه إذا كان مع أحدهم عمل أو شغل ككتابة بصيرة أو وثيقة أو مستند ، أو أراد أحدهم إصلاح ضيعة أو إعمار دار أو أرض مثلاً استعان بشخص أو جماعة من جيرانه وأقربائه ليعينوه محبة فيه ، وإذ كان المطلوب المساعدة من ذوي الأقدار يأمر خدمه وعبيده بمساعدة الطالب ، أو يستأجر جعلاء أشداء لمساعدته إذا لم يأتِ هو شخصياً بنفسه للمساعدة ، ولا يعد ما يقوم به المطلوب مساعدة للطالب بل يعد ذلك حق واجب عليه لابد أن يقدمه لمن يستعين به من أهله أو جيرانه أو أهل قريته[٣] ، في حين بلغ من تكاتف وتعاون الناس في وصاب في أوقات الشدائد والأزمات أنه متى فقد أحد أفراد القبيلة أو القرية شيئاً عظيماً من الولد أو الماشية عظم ذلك على الناس وخرج الجميع للبحث ، فيشعلون النيران في جميع الحصون والقرى ، وقد يمتد الخبر إلى القرى المجاورة فيشارك سكانها في عملية البحث حتى يجدوا ضالتهم[٤] .

٨ - عادات الولادة والختان :

مثّل قدوم الأطفال على مر العصور فرحة كبرى في حياة الناس لاسيما إذا كان ذكراً ، وفي العصر المذكور اهتم الناس بإقامة الاحتفالات العظيمة بقدوم الولد وأعلنوا الفرحة بذلك ، كما فعل السلطان المؤيد داؤد عندما رزق بولده الملك السعيد من زوجته المصونة ابنة أسد الدين محمد بن حسن بن رسول سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م[٥] ، وكان الناس يستغلون مثل هذه المناسبات لتقديم التهاني والتبريكات لاسيما الشعراء ، كالأديب محمد بن حمير عندما هنّأ السلطان المظفر الأول بارتزاقه بالملك الأشرف بقصيدة قال فيها :

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٥٠ .

[٢] المعلم وطيوط : تاريخ وطيوط ، ق٣أ – ب ، ١٧ب ، ٢٣ب ، ٢٤ب ، ٢٥ب ، ٣٣ب ، ٣٤ب ، ٥٢أ . وسوف يتم الحديث بالتفصيل لاحقاً عن دور بعض الفئات في الحياة الاجتماعية . انظر : ص٣٣٢ – ٣٤٣ .

[٣] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٥ – ٨٦ .

[٤] المصدر نفسه ، ص٢٠٥ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣١٨ .

هنيت بالوالد الميمون والولد ولا برحت سعيداً مرت الأبد[١]

وفي هذا الصدد ، خصص بعض من ذوي المقدرة كالسلاطين أماكن أو مجالس خاصة في القصر لولادة نسائهم وأطلقوا عليها اسم مجلس الولادة ، كالمجلس الذي ولد فيه الملك المجاهد علي سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م[٢] ، وعلى الزوج في مثل هذه المناسبات إقامة فرحة بقدوم المولود الجديد ، كما كان عليه تحمل مصاريف هذه الفرحة[٣] الذي يبدو أنها من العادات التي تدعى إليها نساء الحي أو القرية للمشاركة فيها بعد الولادة ، وكان من عادة النساء في مثل هذه المناسبات تبادل الزيارات للمباركة بالمولود الجديد ووضع النقوط تحت رأس الطفل فرحة بقدومه وعلى الأم الالتزام بإعادة هذه النقوط في مثل هذه المناسبة[٤] .

أما الختان فكان من الظواهر التي اهتم بها الناس وسعوا إلى جعلها مناسبة يحتفل بها ، وتميز في عصر بني رسول بأنه لا يتم في وقت مبكر للولادة ، بل يترك الطفل حتى يبلغ سن متأخر من الطفولة ، والدليل على ذلك أن بعض السلاطين تولوا الحكم صغاراً لم يختتنوا بعد كالسلطان الأشرف إسماعيل الثالث بن أحمد الناصر[٥] ، ويبدو أن عملية الختان كانت تتم بصورة جماعية لأبناء الأسرة الرسولية بغض النظر عن سن بعضهم الذي لم تحدده المصادر[٦] ، وقد بالغ السلاطين في تفخيم الاحتفال بالختان الذي يعد له مسبقاً بتوجه دعوات إلى ملوك وأمراء بني رسول وكبار الشخصيات في دولتهم للمشاركة فيه[٧] ، كما كانوا في مثل هذه المناسبات يبالغون في مد الأسمطة المحتوية على أنواع الذبائح من المواشي والطيور والحنطة والسمون والعسل والأرز وغيرها ، ويستعينون بصناع الحلوى الذين يبدعون في صناعة أشهرها ، كما تمد في مثل هذه المناسبات الأطعمة الشهية على الصحون الصينية التي لم تستعمل قط والفخار الزبيدي ، وقد استغل بعض رجال الدولة مثل هذه المناسبات لتقديم الهدايا للسلطان ، إذ يصل كل واحد منهم وأمامه رأسان من البقر كبيران على أتم ما يكون من الحسن وعليهما ثوبان من الحرير الملون وذلك وسط زفة من المغاني والبواقين والمغنيين الذين يزفون كل حمل إلى باب قصر السلطان ، كما تضرب الطبلخاناه في مثل هذه المناسبات ثلاثة أيام متتابعة قبل الختان ، وفي يوم الختان يحضر الناس على اختلاف مستوياتهم من الوزراء والأمراء والمقطعين والكتاب والقضاة والفقهاء وعامة الناس إلى

---

[١] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٣٧ب .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٢٢ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣١٨ .

[٤] انظر عن هذه الظاهر فيما سبق : ص٢٤١ .

[٥] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٣ .

[٦] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٢ – ٢٣٧ ، ٢٣٩ – ٢٤٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٧٨ .

[٧] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٣٤ – ٥٣٥ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٣ .

سماط قد أتقنه طهاته ، ثم يخرج الجميع إلى مجلس قد مد فيه أنــواع الحلوى وألذها ، ثــم يخرجون إلى سماط مد فيه أنواع الجوز واللوز والزبيب والفستق والبندق والعنب وشــراب السوبيا والفقاع وما شبه ذلك ، ثم يستقروا في مجلس تفوح منه روائح الطيوب من البخــور والمسك وماء الورد وغيره مما يفضي على المجلس أجواءً طيبة وجميلة[١] ، ويبدأ الشــعراء في وصف هذه المجالس ومدح السلطان وأبنائه وأحفاده بعد ختانهم ، ويســتغل الســلطان هــذه المناسبة لتقديم الهدايا والكسوات الفاخرة والثمينة للحاضرين والشعراء ، وينثر علــى عامــة الناس الذهب والفضة بهذه المناسبــة ، وكان الشعراء أكثر من يعبــرون عن فرحتهم بهــذه المناسبة حيث يلقون قصائدهم مادحين فيها السلطان وأبناءه وقوتهم على تحمل ألــم الختــان ومتاعبه[٢] ، ويصف لنا إسماعيل المقري في إحدى قصائده الآلة التي تستعمل في الختــان ، والتي تصنع من الحديد ، إذ يتم شحذها وسنها لتصبح صالحة دون أن تأذي المختون[٣] .

لم يكن يوم الختان وما يفرش فيه من موائد هو نهاية الاحتفال ، إنما تكون احتفالات أخرى بمناسبة شفاء المختونين من الألم ، وتبدأ هذه الاحتفالات بإدخالهم إلى أشهر حمامات المدينة ، ليخرجوا منها في أحسن هيئة وزي وسط زفة كبيرة يحضرها جموع العسكر ونقباؤهم وكبار رجال الدولة والأمراء والولاة والمقطعين الذين يرقصون على ظهور خيولهم مبتهجين بأصوات الطبلخاناه التي تضرب لمدة سبعة أيام وسط غناء المغنيين ورقصــات الرقاصــين والحاضرين ، ثم يوضع المختونين في طلعات أو مراجيح تسير على أربع عجلات ، ثم يتم وضعهم في مراجيح أخرى تدور كما تدور المعصرة وحولهم المغنون والرقاصون والشعراء الذين يضفون جواً من البهجة والسرور على الحضور والمشــاركين مــن فئــات المجتمــع وشرائحه كافة الذين تمتلئ بهم مجالس بني رسول ، وينتهي هذا اليوم بإقامة ســماط يضــم أنواع الأطعمة غير المعروفة عند الكثيــر ، إضــافة إلــى موائــد الحلــوى والمكســرات والمشمومات والأشربة[٤] .

لقد كانت عادات الاحتفال بيوم الختان منتشرة بــين النــاس كافــة علــى اخــتلاف مستوياتهم ومراتبهم مع فارق ما يقدم من أسمطة للحاضرين ، إذ تكون موائدهم متواضــعة لظروفهم المادية الصعبة ، إلاّ أن عادة مشاركة جميع الأهل والأصدقاء والجيران فــي هــذا اليوم كانت منتشرة بين عامة الناس على اختلافهم[٥] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٢ – ٢٣٦ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٧٨ – ٢٧٩ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٦أ – ب ، ٢٣٧ب .

[٣] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٨ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٧٩ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢٣أ .

٩ – عـــادات المـــآتم :

شكلت المآتم في عصر بني رسول عادة اجتماعية اختلف الناس في التعامل معهـــا ، إلاّ أن أجمل ما جمع بينهم في مثل هذه المواقف هو التكاتف والتكافل عند حدوث الوفاة ، ومشاركة الأصدقاء والجيران لأهالي المتوفى أحزانهم منذ اللحظة الأولى للوفاة ، علماً بأن من عادات اليمنيين زيارة المريض ومشاركة أهله معاناتهم ، وإذا كان في حالة احتضار يتوافد الجميـــع للجلوس معه وتلقينه الشهادة حتى إذا مات مات عليها ، وعند الوفاة يتحرك الجميع للتخفيف عن أهل الميت ، فمنهم من يذهب لإخبار الناس ، ومنهم من يذهب لحفر القبر وتجهيـــزه ، ومنهم من يأمر أهل بيته بإعداد الطعام من لحوح وزوم للضيوف الذين قد يبيتون في قريـــة المتوفى مدة القراءة عليه ثلاثة أيام فيتكفل الجيران بطعامهم وشرابهم[١] .

وقد حاول بنو رسول تمييز أنفسهم بتعظيم لحظات الوفاة وإعطائها خاصية تليق بمكانة المتوفى لاسيما إذا كان سلطان البلاد أو أحد أبنائه أو إحدى نسائه ، إذ يتم الإعـــداد الكامـــل لمراسيم غسله وجنازته ودفنه ، ويتولى عملية الغسل أحد الأقارب أو عالم جليل ، وقد يوصي الميت بأن يغسل من قبل شخص معين يتم إحضاره لتنفيذ الوصية ، كما فعل السلطان الأشرف الثاني عندما أوصى بأن يغسله الفقيه موفق الدين علي بن أبي بكر الناشري[٢] ، وقد لقيـــت مراسيم تشييع جثامين بني رسول وذويهم عناية خاصة ، فكانت جنائزهم تقام فـــي مواكـــب عظيمة وسط حشود كبيرة يتقدمها ملوك وأمراء الأسرة الرسولية وأعيان دولتهم ، وعادة ما يخرج الموكب من قصر السلطان إلى المكان الذي سيدفن فيه سواءً كان مقبرة أو مدرسة أو مسجد ، وتتم القراءة على تربته في جميع أرجاء المملكة[٣] لمدة سبعة أيام دون انقطـــاع[٤] ، وإذا كان المتوفى من بني رسول غائباً تقام عليه نفس المراسيم التي تقام على الميت الحاضر كصلاة الميت الغائب على ما يبدو ، وتتم القراءة عليه في جميع أرجاء المملكة لمدة سبعة أيام بحضور ملوك بني رسول وأعيان الدولة ووجهاء الناس ، على أن ينصرفوا في كل يوم عقب القراءة إلى سماط نفيس يعد يومياً لروح المتوفى ، كما فعل السلطان المؤيد عندما وصل إليه خبر وفاة أخيه الواثق إبراهيم سنة ٧١١هـ / ١٣١١م في ظفار الحبوضي[٥] .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥١ ، ٨٠ ، ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٧ – ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٦ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٠٩ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٩ .

[٤] ميز بنورسول أنفسهم في مثل هذه المواقف فحددوا موعد القراءة على الميت إذا كان من الأسرة الرسولية بسبعة أيام بينما حدد لغيرهم بما فيهم أقاربهم وأصهارهم وكبار رجال دولتهم وعامة الناس بثلاثة أيام فقط يتم القراءة فيها في المساجد أو على قبر المتوفى . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٤ ، ٨٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣١٨ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ؛ ج٢ ، ص١٢٧ ، ٢٥٢ ، ٣١٦ .

[٥] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٩٨ .

وفي هذا الصدد ، كان من عادات الناس أن يتم إدخال الميت إلى أهله قبل الخروج به إلى المقبرة لتوديعه ، مثلما فُعل عندما تم إدخال السلطان المنصور نور الدين عمر لتشاهده زوجته وأولاده ولتوديعه الوداع الأخير قبل أن يتم دفنه[١] ، وعند خروج نعش أو جنازة الميت يرتفع صياح الناس وأصواتهم عليه ، وتقوم بعض النسوة بشق الثياب ، كما تلقى الجنازة عناية واهتمام من أهل الميت وأقاربه ، خاصة إذا كان الميت من علية القوم فيتم التفنن في اختيار التابوت (المجنز) الذي يحمل فيه على أعناق الرجال ، ويغطى النعش بثوب من القماش الغالي أو الحرير أو القطن المزركش أو المنقوش عليه على ما يبدو بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الخاصة بالموت مع بعض الرسوم والأشكال ، ويذبح على الميت خواص خيله وأفضلها ، ونتيجة لاعتبار البعض هذه المراسيم من الجاهلية أوصى البعض بأن لا يعمل عليه شيء مما ذكر إذا مات ، كما فعل الملك المظفر حسن بن السلطان المؤيد عندما حضرته الوفاة سنة (ت : ٧١٢هـ / ١٣١٢م) ، إذ أوصى أن لا يصاح عليه ولا يشق عليه ثوب ولا يغطى نعشه إلاّ بثوب قطن وأن لا يعقر على قبره شيء من خيله وأن يدفن في مقابر المسلمين[٢] ، علماً بأن المؤيد كان أكثر سلاطين بني رسول اهتماماً بتطبيق هذه العادات الجاهلية ، إذ يعمل بها إذا مات أحد أبنائه ، فيأمر بأن تذبح خيله الخواص لئلا يمتطي صهواتها غيره ، ثم يتصدق بلحمها حال حُمل على الرقاب سريره[٣] ، ويبدو أن مبالغة المؤيد في إحياء بعض العادات قد خف مع قرب أجله حتى أنه أوصى أن يغسله جماعة من الفقهاء ، وأن تكون آلة غسله مدر يشترى من السوق ، وأن يشترى كفنه أيضاً من السوق[٤] ، كما شهد عصر بني رسول عادات جاهلية أخرى تم إحياؤها بين الناس كخروج النساء خلف الجنائز وهن يَنحنَ ويصحْنَ رافعات أصواتهن[٥] ، بما يبدو أنه ذكر للميت وأفعاله ودوره في عمل الخير وما سيسببه موته من فراغ لا يمكن سده وغير ذلك ، في حين كانت هناك العديد من العادات الغريبة التي ظهرت في عصر بني رسول عند الموت وعند السير بالجنازة ، كسير الناس خلف الجنائز وهم يرددون بعض القصائد لشعراء مشهورين كالشاعر إسماعيل المقرئ ، إذ ينشدون هذه القصائد على طريقة السماع الصوفي بعد الجنائز وقت تشييع الميت إلى مثواه ، وتكون ذات لحن شجي يبكي السامع لما تحمله من المعاني الوعظية التي زادها التلحين حلاوة[٦] .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٠ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٥١ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٢٢ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٤٠ – ٤٤١ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥١ب .

[٦] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٣٢٦ .

وعلاوة على ذلك ، فقد أسرف بعض بني رسول وغيرهم في مثل هذه المواقف وبالغوا في إظهار حزنهم على أمواتهم ، كما فعل السلطان الأشرف الثاني عندما توفيت زوجته جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفي أم أولاده سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م ، إذ أمر بالقراءة عليها سبعة أيام ، " فلما انقضت رتب على قبرها مائة قارئ يقرؤون ليلاً ونهاراً ، فأقاموا شهراً على ذلك وكساهم جميعاً وأجازهم ورتب عشرين قارئاً منهم مؤبدين ، وبنى لهم عشرين بيتاً هنالك يسكنونها ، وقد حزن عليها حزناً عظيماً وعقر على قبرها يوم وفاتها عدة رؤوس من الإبل والبقر وأتلف كثيراً من البهائم[١] ، إلا أن وفاة الدار السعيدة جهة حافظ ابنة السلطان المجاهد عمه الأشرف زاد من حزنه ، حتى أنه أقام بعد وفاتها شهراً كاملاً في قصره بزبيد لا يدخل ولا يخرج إلاّ في جوف الليل إلى تربتها يقرأ ما تيسر من القرآن ويرجع[٢] ، كما وصل الأمر ببعض التجار إلى المبالغة أيضاً في تجهيز موتاهم وراحوا يشترون لهم الأكفان باهظة الثمن حتى أن تلك الأكفان أصبحت عرضة للسرقة من قبل بعض اللصوص[٣] .

ومهما يكن الأمر ، فقد دفن بنو رسول موتاهم في مقابر خاصة ومساجد ومدارس بنوها ، وأرادوا بذلك تمييز أنفسهم عن غيرهم من الناس متمنعين عن دفن موتاهم في مقابر العامة ، وهو ما جعل الملك المظفر حسن بن السلطان المؤيد داؤد يوصي قبل موته بأن يدفن في مقابر عامة المسلمين ، وهو ما عز على والده السلطان المؤيد تنفيذه فكانت هذه الوصية الوحيدة التي لم ينفذها والده ، حيث أمر بدفنه عند أخيه الظافر في المدرسة المؤيدية في مغربة تعز[٤] ، وقد عبر الناس في العصر المذكور عن حزنهم بلبس الثياب السوداء في أيام الموت ، ويذكر ابن حاتم أن بنت جوزة ووليديها المفضل والفائز لبسا السواد ، كما لبسه المظفر يوسف الأول عند وفاة والدهم السلطان المنصور نور الدين عمر ، وشاركهم في لبسه المقربون من الأهل والأصدقاء تعبيراً عن حزنهم وأسفهم على السلطان[٥] .

وفضلاً عن ذلك ، أعطى بنو رسول اهتماماً كبيراً بجثث موتاهم الذين يموتون منهم في أماكن بعيدة ، وراحوا يحافظون عليها من التعفن حتى يتم نقلها إلى عاصمة دولتهم والذي قد يستغرق أياماً للوصول بها ، لهذا استعملوا في ذلك مواد ممسكة يتم طلاء الجثة بها للحفاظ عليها ، ووضعوا الجثمان في تابوت صُنع خصيصاً لذلك ، مثلما فعل السلطان الأفضل الثاني عندما نقل جثمان والده السلطان المجاهد من عدن إلى تعز بعد أن سار به سبعة أيام[٦] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٨٦ . وانظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤١أ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٨٩ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٥أ .

[٤] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٧ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٨٣ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٣ ، ٢٥٨ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٥ب .

لقد كان لعملية دفن الأموات أساليبها المختلفة لاسيما بين أصحاب المذاهب والفرق التي عرفتها اليمن ، وهو ما أثار الجدل والخلاف بين فقهاء وعلماء هذه الفرق ، ومن هذه العادات الغريبة الأذان في أذن الميت قبل أن يسد عليه لحده ، ويعد الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين الأصابي (ت : ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) أول من سن هذا الأذان ، وعندما سئل عن ذلك رد بأنه أخذ ذلك من سنة الأذان في أذن المولود عند قدومه إلى الدنيا ، لهذا لابد أن يؤذن في أذن الميت لأنه أول خروجه إلى الآخرة[١] ؛ كما كان من العادات الغريبة التي اتبعها بعض الإسماعيلية عند دفن موتاهم هي وضع مصاحف إلى جانبهم عند دفنهم ، وقد أشارت هذه الطريقة الخلافات بين علماء السنة والإسماعيلية ، مما اضطر بعض الفقهاء مثل الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مضمون (ت : ٧١٥هـ / ١٣١٥م) إلى نبش قبور الإسماعيلية لإخراج المصاحف منها[٢] ، كما اتبع الصوفية أسلوب بناء القبور وإقامة المشاهد عليها مثل قبر الشيخ الصوفي تقي الدين طلحة بن عيسى بن إبراهيم الهتار (ت : ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) المدفون في زبيد ، وقد أخذت هذه القبور مشاهد وهيئات مختلفة كهيئة مسجد أو قبة أو غير ذلك وقد عملت بعض تلك القبور بالحجارة وبعضها من عريش من الخوص[٣] ، كما عمل بعض الناس على دفن موتاهم في المساجد رغم المعارضة الشديدة من قبل بعض الفقهاء في ذلك لعدم جواز ذلك شرعاً[٤] ، ومن العادات الغريبة التي انتشرت عند وفاة كبار رجال الدولة الرسولية أنه إذا دفن يتم نصب خيمة إلى جانب قبره ، يبيت فيها المقربون منه لأغراض اعتقادية منها مؤانسة الميت والقراءة على قبره بشكل متواصل[٥] ، ومن أعجب ما تذكره المصادر من عادات الموت ما فعل مع الفقيه عفيف الدين عبد الله بن عمر البريهي (ت : ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م) عند الانتهاء من غسله وتكفينه إذ أجلس بين الحاضرين الذين أخذوا في القراءة عليه سورة يس وتبارك ثم تم دفنه[٦] .

أما عن طريقة غسل الموتى ودفنهم فقد سارت بموجب خطوات تبدأ بوضع الميت على المغسل ، وقد يكون ذلك المغسل دكة مرتفعة أو سرير ليرتفع جسمه عن الأرض عند غسله ، وتبدأ عملية الغسل بصب الماء على الميت لتنظيفه مع استعمال بعض المواد المنظفة للجسم ، وبعد تطهيره واكتمال غسله يمشط شعره ويرتب ثم يوضع في كفن أبيض ويرش

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٨٦ – ١٨٧ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٦٣ – ٤٦٤ . وانظر : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٩٩ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤١٧ .

[٣] انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢١٨ب ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٩٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .

[٤] البريهي : المصدر نفسه ، ص٧٨ – ٧٩ .

[٥] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٣٨ .

[٦] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٦ .

جسمه بالطيب والمسك والكافور ، وقد كفن الميسورون من الحكام والأغنياء موتاهم بأكفان باهظة الثمن ، في حين كفن الفقراء والمعدمون موتاهم بما تيسر من الأكفان وإن كان ذات قماش رديء ، وعند وضع الميت في قبره يلحد في اتجاه القبلة ويفك عن وجه الكفن ويوضع خده على التراب ، ثم يسد لحده بالحجارة أو باللبن ويدفن[1] ، وقد عمد الناس بعد الانتهاء من بناء القبر إلى كتابة معلومات معينة عن الميت كاسمه كاملاً وتاريخ وفاته بالتقويمين الهجري والميلادي ، واسم الخطاط الذي خط هذه السطور[2] .

١٠ - عادات اجتماعية أخرى :

أسهبت المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية في وصف نمط حياة العديد من سكان اليمن في ذلك العصر ، كما أعطت لنا هذه المصادر فكرة عن طبائع الناس في بعض المناطق وعاداتهم وتقاليدهم المختلفة ، ومن هذه الطبائع والسلوكيات ما ذكر عن سكان مدينة تعز بأنهم أهل تكبر وتجبر وفظاظة[3] ، كما وصف أهل منطقة صبر بأنهم أهل خلاف وخرق للعرض والشتم الشنيع للدولة والعسكر[4] ، في حين عُرف أهل مدينة زبيد بأنهم يتميزون باللطافة وحسن الخُلق وجمال الصور وأن لنسائهم الحسن الفائق[5] ، ويصف ابن المجاور[6] أهل زبيد بأنهم : " سمر كحل كواسج ضعاف التركيب محلقين " ، كما يذكر عن فقهائهم وعلمائهم بأنهم أهل صلاح ودين وأمانة وحسن خلق[7] ، أما أهل مدينة عدن فوصفوا بأنهم أهل تجارة ، وعرفوا بحسن الخلق وكثرة الصدقة وفعل المعروف للأكابر والأصاغر عموماً ، ولا يبالون بما يصرفون لما كانوا يكسبونه من التجارة والبيع والشراء ، وهم خليط من الأجناس[8] ، ويذكر ابن بطوطة[9] عن أهالي ظفار الحبوضي أنهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ، وهم أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم ، إذ كانوا يسمون جواريهم بأسماء جواري وخدم المغرب كبخيتة وزاد المال ، وفي كل دار من دورهم سجادة من الخوص معلقة في جدار البيت يصلي عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب ،

---

(1) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ، ٣٨٩ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٦٦٢ ، ٦٨٣ ؛ الملك الأشرف ، فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٠٩ ؛ البريهي : المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ، ١٨٦ .

(2) انظر : شيحة ، مصطفى عبدالله : شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، ج١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص٥٨ - ٥٩ .

(3) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٨ .

(4) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٥٥ . وانظر عن أهل تعز : عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٨ .

(5) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص٢٥٦ .

(6) تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٥ .

(7) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .

(8) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٣ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٢٦ .

(9) تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

ويعيد ابن بطوطة ذلك إلى أن قبائل صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير ، كما يوصف أهل مدينة صعدة بأنهم قوم أخيار يدعون الحكمة ومعرفة مختلف العلوم[1] ، وقد عُرف أهل المناطق الجبلية من الأشراف بأنهم أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها يعضون على دينهم بالنواجذ[2] ، أما صفات أهل وصاب فقد تعددت فعرفوا بحسن تصرفهم وتلطفهم وحبهم للعلماء والصالحين والقيام لهم والنظر إليهم بعين التوقير والاحترام الذي كان متبادلاً بين الصغير والكبير والقوي والضعيف ، ويذكر عن أهل منطقة جعر في وصاب أنهم رقاق القلوب حتى أن من أقام بها من غير أهلها وجد في قلبه حالة لم يعهدها من قبل إقامته فيها من الخشوع ورقة القلب ومحبة العلم والعلماء وكثرة العبادة ، ووصف أهل عتمة بأنهم أذكى من أهل وصاب وأفصح منهم وأكثرهم اعتناء بالضيف[3] ، كما وصف سكان جزيرة سقطرى بأنهم قوم جبالية عصاه ومعظمهم من المهرة ، ويمتازون بأنهم طوال حسان لهم لغة منهم وفيهم لا يفهمها إلاّ هم ويسمونهم بالسحرة لأنهم جهلة قليلو العقل[4] ، في حين وصف أهل حضرموت بأنهم قوم بسطاء في حياتهم ولبسهم ، وأن أسامي رجالهم بالكنى فمنهم : أبا لالكة وأبا هالكة وأبا مداس وأبا فارس وأبا رأس وغيره ، ومهما جرى على ألسنتهم يكنونه به ، ولم يأنفوا من تلك الاسامي[5] .

وفي هذا الصدد ، عرف الناس العديد من الظواهر التي انتشرت بينهم ، وقد شكلت معظم تلك الظواهر أساس عادات المجتمع وتقاليده ، ويعد التواضع من أهم الظواهر والصفات التي عُرف بها الناس على اختلاف مراتبهم ومستوياتهم ، ولم يكن ذلك على مستوى الفئات الدنيا بل على مستوى عليّة القوم بما فيهم سلاطين بني رسول ، إذ يذكر من تواضع السلطان المظفر الأول أنه كان كثير الزيارة لبعض الفقهاء والصالحين إلى منازلهم رغم فقرهم وقلة حيلتهم[6] ، كما كان السلطان المظفر الأول وهو سلطان اليمن وحاكمها في أيام حجه لمكة المكرمة يحمل المكشحة التي يُمسح وينظف بها ويتأبط القربة ليغسل الكعبة بيديه مع أنه كان بإمكانه أن يكلف غيره بهذه المهمة[7] ، وقد وصل التواضع ببعض السلاطين وأبنائهم إلى مشاركة أبسط الناس من العامة أحزانهم وأفراحهم[8] ، كما بلغ من

---

[1] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٠٦ .
[2] العمري : مسالك الأبصار ، ص٦٤ .
[3] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٦ ، ٩٢ ، ٩٤ .
[4] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٦٦ ، ٢٦٧ .
[5] ابن المجاور : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٦٨ .
[6] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٣٩ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١١٩ب ، ١٢٠أ .
[7] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٥٠ .
[8] ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٥٥٤ ، ٥٦٥ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢١ .

تواضع رجال العلم والفقه في عصر بني رسول إلى أن بعضهم كان يقف في الطرقات والأسواق لحل المسائل الفقهية المستعصية للناس دون تكبر وتعالي[1] ، وقد مثلت ظاهرة تواضع السلاطين الرسوليين سمة من أهم سمات ذلك العصر .

وعلاوة على ذلك ، عُرف بعض الناس بالحياء وغض الطرف أمام النساء ، وأمام بعض المواقف التي تستدعي ذلك ، وممن عرف بالحياء القاضي أبو العزيز داؤد بن المكين الذي كان له مكانه عظيمة عند السلطان المنصور نور الدين عمر حتى أنه متى ما دخل على المنصور مخدعه ليلاً أطرق برأسه غاضاً طرفه عمّا حول السلطان ، ويذكر أن المنصور استدعاه في احدى الليالي فدخل عليه فوجده على فراش النوم ، فقال : " فغضضت طرفي خوفاً من أن يكون معه حرمه ، فجعل يحدثني وأحدثه وأنا مطرق إذ بشيء تحرك في الفراش ، فازددت إطراقاً وتحفظاً من رفع رأسي ، فقال : يا مكين أرفع رأسك فإنما هو الولد أبو بكر ، ولو كانت أمه ما حجبناها عنك لعلمنا بك ، فلم يزدني قوله إلاّ تحفظاً "[2] .

وقد كان الحياء والاعتراف بالجميل والمعروف من الصفات التي اتصف بها أهالي منطقة وصاب ، كما كان العار عندهم كالقتل ، بل كان القتل أهون عندهم من العار ، ووصلت عزة النفس ببعضهم إلى تفضيل الموت على أن يضرب أو يهان على باب أمير أو والي ، واختار بعضهم أن يبذل جميع ماله وأرضه على أن يعاير بأنه ضرب من قبل الوالي ، لهذا فرضت عليهم عزتهم بأنفسهم إلى تسليم ما يفرض عليهم من الوالي على أن يهانوا أمام الناس ، وإذا حصل أن تعرض أحدهم لإهانة الوالي أخذ ملابسه ورحل عن منطقته تاركاً أهله ووطنه وماله وأرضه مقابل عدم معايرته لذلك طوال عمره[3] .

كما عظمت الخيانة عند أهل وصاب فصارت بمثابة عار عند من وقع فيها ، وشكل الكذب والنكث بالوعود والعهود حول ما تم الاتفاق عليه بين الناس خيانة عظمى يقع فيها البعض ، ومن وقع فيها سموه (أعيب) ويفضح في الأسواق وتتناقل الناس أخباره ويركبه العار كما يركب أقاربه وأصحابه وأصهاره وجيرانه ، وقد يتخلون ويتبرؤون عنه لفعلته التي لا يمحوها إلاّ اعترافه بخطئه ، ثم يأتي هو وأصحابه ومن له صلة به ومعهم عدد من المواشي (أبقار وأغنام) إلى الخصم لمراضاته وأخذ العفو منه ، وقد يقومون بذبح هذه المواشي بأنفسهم على عتبة دار الخصم تعبيراً عن ندمهم وعفوهم ويسمى ذلك إنصافاً ، وإذا فعلوا ذلك يفرض على الخصم قبول عفوهم وندمهم ، فيصاح بذلك في الأسواق[4] ، ويكبر

---

(١) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٧ – ٦٨ .

(٢) المصدر نفسه والجزء ، ص٥٦٤ .

(٣) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٤ – ٨٥ .

الخصمان في نظر الناس لاعتراف صاحب المشكلة بخطئه ، ولعفو الخصم وسعة قلبه أمام خصمه ، في حين كان أعظم الخيانة عند أهل وصاب الخيانة في البيع والشراء ، إذ ينظر بعين الازدراء والاحتقار لكل من يخالف شروط البيع المتفق عليها ، لوجود أنظمة وقوانين لابد على الجميع الالتزام بها[١] .

وكيفما كان الأمر ، فقد وجدت في العصر المذكور العديد من العادات التي عبر بعضها عن طبيعة المجتمع في ذلك الحين ، كعادة الدخول في الذمة التي انتشرت بين الناس بشكل ملحوظ ، وتقوم هذه العادة على أساس أن يلجأ شخص مطلوب من الدولة أو غيرها إلى رجل ذي مكانة بين الناس أو إلى قبيلة قوية فيدخل في ذمتها ، وبتلك الذمة يقع المطلوب تحت الحماية ، ويعد الاعتداء أو القبض عليه عار في حق حاميه[٢] ، كما عرف المجتمع عادة غريبة من عادات الذمة عرفت بعادة الاستجارة – مع اختلاف بسيط – أن يستجير الشخص المطلوب أو صاحب الحاجة بقبر أو زاوية أحد الأولياء الصالحين أو مدرسة أو مسجد من إنشاء السلطان أو أحد أفراد بيته ، ويعد الاعتداء عليها تعدي على حرمة أصحابها ، كما يلقى الاعتداء عليها حالة من الاستنكار والرفض من قبل أفراد المجتمع كافة لما تعنيه هذه الأماكن من قداسه واحترام بالنسبة لهم ، وقد يبقى المستجير في حرمة ذلك القبر لمدة زمنية طويلة دون أن يمسه أحد احتراماً للموقع المستجار به[٣] ، وقد احترم الناس نظام الذمة والاستجارة ولم يحاولوا الاعتداء عليها أو الاستهانة بها أو إنهائها لما كان لها من قدسية خاصة عند الناس والدولة .

إلا أن أكثر العادات انتشاراً في عصر بني رسول كانت التفاخر بالأنساب والانتماء إلى القبيلة ذات البأس الشديد بين الناس ، إذ أخذ الكثير يتفاخرون بنسب قبائلهم وأفعالها وبطولاتها وتاريخها وانتصاراتها ومواقفها ، ويعد بنو رسول أكثر من تفاخر بنسبهم الذي يعيدونه إلى غسان ، وقد أصبحت تلك العادة ظاهرة تبارى فيها الشعراء في المجالس بنوع من الكبرياء والتفاخر[٤] ، كما ظهرت عادات فرضتها الظروف المحيطة بالناس ، كقيامهم رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً عند الشدائد والمحن والحروب بإحياء لياليهم في الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله للتفريج عنهم ، وقد يعمدون إلى المساجد لإقامة الليل فيها للصلاة والدعاء حتى الفجر ، وقد يعقرون على باب هذه المساجد المواشي من البقر لتقربهم إلى الله راجين

---

[١] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٥ .

[٢] للمزيد من التفاصيل عن ما ذكر عن الذمة وكيفية التعامل معها انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٦٢ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤١ ، ٣٩٥ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٨٢أ، ٢٨٤ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٠٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٠ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٤ – ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٦١ – ١٦٢ ، ٢٤٢ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٦٣ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٣٧١ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٢٠ – ٣٢٢ .

منه حله وفرجه[١] ، ولكن أفضل الظواهر والعادات انتشاراً بين الناس والتي تبين لنا مدى قوة الروابط الاجتماعية كان تبادل الزيارات بين الأقارب والأصدقاء والجيران ومساندة بعضهم عند الشدائد والمحن ، وكثيراً ما كانوا يتجهون لزيارة العلماء والصالحين طالبين منهم الدعاء لهم تبركاً بهم[٢] .

كما تبادل الجيران والأقارب الهدايا فيما بينهم ، وأصبح على المسافر عند قدومه من السفر أن يقدم الهدايا لأهله وجيرانه[٣] ، مما خلق بينهم مودة ورحمة ومحبة وتواصل مستمر ، كما اعتاد الناس عند قسمهم أن يحلفوا برأس السلطان ، وبطلاق زوجاتهم بالثلاث ، أو بالكفر بالله والإسلام أن ما يقولونه صحيح[٤] .

خامساً : الظواهر المؤثرة في المجتمع :

شهد المجتمع في عصر الدولة الرسولية العديد من الظواهر الاجتماعية والبيئية التي أثرت فيه وتركت بصماتها عليه ، وكان لتلك الظواهر أسبابها التي أدت إلى انتشارها بين الناس ، كما كان لها نتائجها التي أثرت على المجتمع بصورة سلبية أو ايجابية وهو ما سوف نحدده من خلال دراستنا لهذه الظواهر .

١- الظواهر الاجتماعية :

وهي ظواهر انتشرت بين الناس بصورة فردية أو جماعية ، ولتأثيرها على المجتمع أصبح من الصعب علينا تجاوزها أو غض الطرف عنها ، لمّا كان لها من تأثير واضح على حياة الناس وسلامتهم ومعيشتهم ومعتقداتهم وقيمهم وأفكارهم ، وأهم هذه الظواهر :

أ - الجريمة :

تعد من الظواهر الاجتماعية المؤثرة في المجتمع ، وقد انتشر بعضها بصورة فردية بين الناس ، وتعددت تسمياتها وأسبابها وأساليبها ونطاقها وتأثيرها عليهم ، ومنها :

- **جريمة القتل :**

وهي من أبرز الجرائم التي يتضرر منها أي مجتمع من المجتمعات ، وقد كان لها وجود في عصر بني رسول ، ولكن إذا ما نظرنا إلى التاريخ الطويل للدولة الرسولية نجد أن هذه الجريمة كانت محدودة ولم تنتشر بشكل واسع بين الناس لمحدودية ذكر المصادر لها وقلتها - من وجهة نظرنا - إذا ما قورنت مع عمر هذه الدولة ، وقد اختلفت الأسباب التي دفعت بعض الناس إلى القتل ، ويعد القتل بدافع السرقة من أهم الأسباب التي دفعت بعض

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٩٢ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٢ ، ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٧٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٥ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٣ ، ٢٥٠ .

[٤] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٧٨ ؛ نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٥ .

الناس إلى ارتكاب هذه الجريمة لاسيما إذا تهيأت الأحوال لذلك ، مثلما حدث للفقيه أبي القبائل عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن أبي القاسم الحميري الذي أراد السفر إلى صنعاء فاكترى دابة للسفر عليها ، فطمع في ماله صاحب الدابة واستغل وقوفهم في منطقة خالية ليقوم بابتزازه وسرقة ماله ثم قتله[١] ، وقد كان لقلة جرائم القتل في عصر بني رسول دور في أن يكون للجريمة صداها عند حدوثها لغرابتها على الناس ، ولنا في جريمة المرأة التي قتلت سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م في قرية النويدرة على يد رجلين من أهل المملاح – مع إغفال المصادر عن ذكر السبب – ومِنْ ثَمَّ رميها في بئر بين القبور واكتشاف الجريمة بعد ثلاثة أيام إثر تعفن جثتها وخروج راحتها من البئر خير دليل على ندرة الجريمة في ذلك العصر ، لمَا شهدته هذه الجريمة من استنكار تام من قبل سكان المنطقة ومسؤوليها الذين سخروا أوقاتهم للبحث عن المذنبين حتى تم القبض عليهم واعترفوا بجريمتهم[٢] ، في حين أدت المشكلات بين الناس حول بعض الأمور الحياتية إلى تفاقم الخلاف بينهم والذي قد يؤدي إلى حدوث جريمة القتل وهو ما تؤكده بعض المصادر[٣] ، إلا أن أكثر جرائم القتل كانت منتشرة بين رجال القبائل[٤] الذين حصدت منهم هذه الجريمة الكثير ، مع محاولات بني رسول المتعددة محاربتها والقضاء عليها[٥] .

لقد عكست جريمة القتل نفسها على المجتمع ، وتركت آثارها الواضحة على من فيه ، فكان أبرز هذه الآثار انتشار الخوف والفزع بين الناس عند حدوث مثل هذه الجرائم ، فضلاً عن عدم الأمان والاستقرار الاجتماعي ، ولكن أكثر الآثار السلبية التي تركتها جريمة القتل هو انتشار ظاهرة الثأر التي أقلقت حياة المتورطين فيها ومن حولهم من الناس ، وقد كان لغياب دور الدولة في بعض الأحيان أثره في اشتعال الفتنة في العديد من المناطق لاسيما القبلية منها لكثرة الصراعات فيما بينها بسبب انتشار ظاهرة الثأر بين أفرادها[٦] .

- **جريمة السرقة :**

كانت ظاهرة السرقة من الظواهر التي انتشرت بشكل ملحوظ في ذلك العصر ، ويبدو أنه كان للأوضاع المادية والمعيشية للناس دور في قيام بعضهم بارتكاب هذه الجريمة ، إذ رأى بعض الناس فيها مصدراً من مصادر الدخل المربحة فراحوا يتسللون إلى بيوت الناس ليلاً أو يهاجمونهم في الطرق والأماكن الخالية والبعيدة لابتزازهم ونهب ما معهم ، وقد

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٦٤ .

[٢] الخزرجي : المسجد ، ق٢٤٦ب . وانظر عن بعض الجرائم وموقف الناس منها : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٣ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩٥ – ٢٩٦ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٨٤ ، ٧٧٦ .

[٥] سوف يتم الحديث عن دور بني رسول في محاربة الجريمة لاحقاً . انظر : ص٤١٦ – ٤٢٢ .

[٦] عن هذه الظاهرة وأثرها انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢١٧ ، ٢٦٠ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٤٦ب .

تميزت هذه الظاهرة بأنها كانت تنفذ في كثير من الأحيان بصورة فردية غير منظمة أو مخطط لها فيهاجم منفذها بعض البيوت دون العلم بحالة صاحبها ووضعه المادي مثلما حدث للفقيه أبي عبد الله محمد بن ينال (ت : ٦٩١هـ / ١٢٩١م) حين أحس بدخول سارق إلى بيته بعد أن ثقب ناحية منه ، ويبدو أن بيته كان من الخشب أو سعف النخيل ، وكان الفقيه المذكور رجلاً فقيراً لا يملك شيئاً ، فراح يخاطب السارق دون أن يراه ، ويقول له : " يا هذا إن كان غرضك أخذ شيء تنتفع به فنحن فقراء والله ما معنا شيء ، وقد نقبت غلطاً ، وإن كنت تظن معنا شخصاً جميل الخلق يصلح للعشرة فما معنا أحد وأحسن من في البيت أنا ؛ وأنا محمد بن ينال ربما أنك تعرفني والله ما كذبت ، فلما سمع السارق ذلك ضحك وولى "[1] ، وقد بلغ بعشوائية بعض اللصوص إلى السطو على المساجد ليلاً لسرقتها دون احترام لقدسيتها ، ووصل الأمر ببعضهم إلى نهب من يجدونه فيها ، فيسرقون ما معهم وإن كانت ملابسهم ، كما حدث للفقيه أبي الحسن علي بن موسى الجبرتي الفشلي (ت : ٧٩١هـ / ١٣٨٨م) عندما وثب لص ليلاً على أحد المساجد لسرقة محتوياته فوجد الفقيه المذكور فيه فهم بسرقته فلم يجد معه شيئاً للسرقة سوى ما فوقه من ثياب فقام بانتزاعها منه وتركه عرياناً دون ملابس ثم هرب[2] ، كما وصل الأمر بعشوائية بعض شباب زبيد ممن امتهنوا اللصوصية وسرقة الناس إلى مراقبة من يدفن في المقابر ، فإذا علموا أنه من أبناء الأغنياء حفروا القبر ليلاً وانتزعوا ما كفن به الميت ، وباعوه بثمن كبير لجودة هذا الكفن وارتفاع سعره[3] ، في حين اتجه بعض لصوص زبيد إلى الحوانيت والمحلات التجارية لسرقة ما فيها[4] ، ومع ذلك كانت معظم أساليب هؤلاء الأفراد عشوائية وغير منظمة أو مخطط لها حتى أنه سريعاً ما يقبض عليهم .

إلا أن أخطر عمليات السرقة والسطو التي شهدتها الدولة الرسولية كانت تتم من قبل جماعات تعمل عمل العصابات في تحركاتها ومهاجمتها للناس ، فكان عملها المنظم تدخل فيه الحيلة والخدع لتمويه الناس ، وقد انتشرت مثل هذه الجماعات في زبيد سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م وعند القبض عليهم ظهرت مكائدهم ، وأنهم كانوا يعيشون بين الناس في لبس الفقراء وأهل الفاقة والحاجة ويمدون أيديهم لغيرهم ، وعندما يجن الليل ينتشرون في مواضع متفرقة ، فمنهم من يقصد السرقة ومنهم من يقصد الطرق للنهب حتى أنهم عندما قبض عليهم وجد في مساكنهم الثياب الفاخرة ، وأنواع الطعام ، رغم لبسهم الفقير ومد أيديهم للناس لإبعاد

---

[1] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٧٧ .

[2] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

[3] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢١٥أ .

[4] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٣ .

العين عن أفعالهم[١] ، كما كان هؤلاء يهاجمون الناس في بيوتهم ، وإذا لم يجدوا ما يأخذونه أخذوا طعام أهل البيت الذي يسطون عليه وإن قدموه للأكل[٢] ، وممن اشتهر في عصر بني رسول باللصوصية وسرقة الناس شخص عرف باسم عثمان مطير كان يسرق الناس ليلاً في منطقة حيس ، وقد انتشر صيته بين الناس وزرع الخوف بينهم وأصبح يهابه الجميع ، ولم تنعم المنطقة بالهدوء حتى قبض عليه سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م[٣] ، وقد عمل سلاطين بني رسول على معالجة هذه الظاهرة في محاولة للقضاء عليها أو التخفيف منها بأساليب مختلفة ، لما كان لها من آثار سلبية على أمان المجتمع ، واستقرار من فيه ، ومع ذلك ظلت السرقة من أكثر الظواهر انتشاراً في ذلك العصر[٤] .

- **جريمة قطع الطريق :**

وهي من أكثر الجرائم التي تضرر منها الناس ، وعادة ما يقوم بها بعض رجال القبائل الذين كانوا يخرجون في جماعات فيقطعون الطريق على المسافرين وقوافل التجار ، مما أدى إلى تعرض الكثير من أصحاب هذه القوافل لنكبات أفلس على إثرها العديد منهم ، وكانت القبائل التي سكنت في المناطق القريبة من المدن التجارية أكثر من عمل على قطع الطريق على القوافل ، لحاجتها إلى المال نتيجة لأوضاعها المادية الصعبة ، وقد كان لهذه الجريمة آثارها الواضحة التي تضرر منها اقتصاد الدولة الرسولية ، وتضرر منها الناس ؛ لانتشار الخوف وعدم الأمان بينهم وفي الطرقات ، وقد وصل الأمر بتلك القبائل إلى قطع الطرق بين المدن لانتشار رجالها على قارعتها لنهب القوافل المارة فيها[٥] .

وعلاوة على ذلك ، انتشر قطاع الطرق بين المدن والقرى المختلفة ، وأخذوا في مهاجمة الناس ونهب ما معهم ، وممن يذكر أنه تعرض للنهب من قبل قطاع الطرق رجل يقال له أبو القاسم المدني في عصر السلطان المجاهد في أثناء سفره إلى أبيات حسين ، إذ هجم عليه جماعة من قطاع الطرق ونهبوا دراهمه وكل ما معه حتى نزعوا ثوبه الذي يلبسه فدخل القرية التي يريدها وهو عريان لا لباس عليه ، ورغم ذلك تعجب الناس من سلامته كونه منفرداً ولم يكن معه أحد ، وقد دفع هذا الأمر الناس إلى السفر بشكل جماعات لحماية أنفسهم ، وقد كان قطاع الطرق يهاجمون الناس ويأخذون أموالهم ومواشيهم وملابسهم دون مراعاة لأوضاع بعضهم المعيشية والمادية[٦] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٨٦ .

[٢] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢٦أ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٥ .

[٤] عن دور بني رسول في محاربة مثل هذه الجرائم انظر لاحقاً : ص٤١٦ – ٤١٨ .

[٥] عن القبائل وقطعها لطرق القوافل وأثر ذلك انظر : : طويل : التمردات القبلية ، ص١٩٢ – ١٩٤ .

[٦] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٩ب ، ٢٥ب .

- **جريمة الرشوة :**

وهي من الظواهر التي انتشرت في الجهاز الإداري والمالي للدولة ، ولم تذكر لنا المصادر التي بين أيدينا أي دور لبني رسول أو ولاتهم أو أمرائهم لمحاربتها والقضاء عليها ، لاسيما أنهم هم أنفسهم تعاملوا بها لتسيير بعض أمورهم ، مع أنها من الجرائم التي تعطي لنا صورة غير جيدة عن سياسة الدولة الرسولية في هذا الجانب ، لِمَا كان لها من تأثير سلبي على حياة الناس عامة ، وقد كان السلطان المنصور نور الدين عمر ممن دفعوا الرشوة لكسب بعض القيادات المناصرة لبعض المناوئين له ، فتمكن بها من كسب هذه القيادات والقضاء على منافسيه[١] ، كما دفعها السلطان المظفر الأول لتسيير أموره عند صراعه مع إخوته المفضل والفائز في أثناء حصاره لهم في حصن الدملوة[٢] ، وفي أثناء الصراع بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر سنة ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م أدت الرشوة دور كبير في تسيير بعض أمور الظاهر ، وذلك عند تعرضه لحصار شديد في منطقة جبأ من أرض المعافر من قبل عسكر المجاهد بقيادة الشيخ عمر بن أبي بكر المغلسي ، وعندما طال ذلك الحصار لجأ إلى دفع الرشوة للشيخ المذكور على أن ينسحب دون علم العسكر الذين فروا تاركين المحطة بما فيها غنيمة للظاهر وجنوده عندما علموا بهروب قائدهم[٣] .

كما انتشرت الرشوة بشكل ملحوظ بين التجار ، وراحوا يدفعونها لموظفي الدولة لتسيير معاملاتهم التجارية ، حتى أنها كانت تسجل في سجلات الدولة وكأنها واجب أو ضريبة رسمية مفروض على التاجر دفعها وتسليمها للمعاملين والدلالين وبعض الموظفين ، كما انتشرت الرشوة في عملية التوظيف في الدولة لاسيما في السلك العسكري ، وذهب الناس لتسليمها مقابل توظيف أبنائهم كعسكر في الدولة مجبرين على ذلك ليحصل أبناؤهم على وظيفة[٤] ، ولا ريب في أن انتشار الرشوة بين رجال القضاء ومن بأيديهم مصائر الناس كان أشدّ المشكلات التي واجهتها الدولة الرسولية وتضرر منها عامة الناس ، رغم المحاربة التي واجهها هؤلاء الحكام والقضاة بعد أن ملك بعضهم الأموال الطائلة[٥] ، في حين برز العديد من القضاة الذين تميزوا بالنزاهة والرفعة أمام الرشوة وحاربوا كل من يأخذها أو يتعامل مع آخذيها[٦] .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢١١ – ٢١٢ .

[٢] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٥ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٠٨أ – ب .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٥٣ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص١٧٧ ، ١٨٩ ، ٣٨٠ – ٣٨١ ؛ ج٢ ، ص٥٤ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٧ ، ٤٦٢ . لم تكن اليمن الوحيدة من عانت من انتشار الرشوة بين القضاة وكبار رجال الدولة فقد عانت منها مصر في عهد المماليك ، وعرفت بين الناس بالبذل والبرطلة انظر : أحمد عبد الرازق أحمد : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص١١ – ٢١ .

[٦] الملك الأشرف : العطايا السنية ، ص١٩٩ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٠٥أ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص١٥٧ – ١٥٨ .

- **جريمة التزوير :**

وقد انتشرت بين بعض كبار رجال الدولة بما فيهم السلاطين الذين تساهلوا في التعامل مع مثل هذه الظاهرة ، وقد وجد بين الناس من زاول التزوير وتقليد الخطوط ، ويذكر عن السلطان المظفر الأول استعانته ببعضهم عندما أراد تزوير خط أخيه الملك المفضل المرسل إلى بعض مناصريه[١] ، وقد أدى ذلك إلى أن ينتشر التزوير على مستوى كبار رجال الدولة الذين أخذ كل منهم بالتخلص من الآخر بتزوير خطه للسلطان أو لغيره بهدف إثارة الفتنة ، وبلغ من جرأة وخبرة هؤلاء إلى تزوير خط وختم السلطان للحصول على الاقطاعات أو الأموال[٢] ، وقد كان لعملية التزوير آثارها الخطيرة على أمن واستقرار الدولة ، إذ أثرت على حياة الناس لِمَا خلقته من صراع أدى إلى فتن في البلاد .

- **جريمة التهريب :**

عمل بعض العامة من الناس في العصر المذكور على تهريب بعض المجرمين من القتلة واللصوص المحكوم عليهم من خلال استغلال مهنهم التي يزاولونها ومعرفتهم للطرق والمسالك المختلفة وخبرتهم في إخفاء المطلوب وتهريبه ، ويعد الجمالون من أكثر من زاول هذه الجريمة ، إذ عملوا على تهريب بعض المجرمين بإخراجهم من بوابات المدن الكبرى دون علم الحراس ، وذلك بإخفائهم بين البضائع المحملة على الجمال ، وقد شدد جند بني رسول في هذا الجانب وراحوا يفتشون الداخل والخارج في محاولة لمنع هذه الظاهرة الخطيرة[٣] .

ب – شرب الخمر :

وهي ظاهرة انتشرت على نطاق واسع ، ولم تنحصر بين أفراد فئة أو جماعة معينة ، وإنما وجدت بين أفراد جميع الفئات ، ويبدو أنه كان لانتشار الخمر بهذه الصورة أسباب نستطيع أن نحصي بعضها في المؤثرات الخارجية المتمثلة في كثرة تعاطيه من قبل بعض الجماعات الوافدة إلى اليمن كالمماليك والأكراد وغيرهم ، الذين عرفوا بشربهم للخمور والمجاهرة بها بين الناس دون خوف من الله أو الدولة أو حياء من الناس[٤] ، إضافة إلى تساهل الدولة والتغاضي عن محاسبة شاربيه وصانعيه وبائعيه لما كانت تجنيه منهم من ضرائب تعود إلى خزانة الدولة ، مع المعارضة الشديدة التي كان يقوم بها العلماء والفقهاء[٥] ، كما كان من أكثر أسباب انتشار شرب الخمر وجود قاعدة واسعة من شاربيه من خاصة الناس

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٥ .

[٢] انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٨٧أ – ب ، ١٨٨أ – ب .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣١٢ .

[٤] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٠ ، ٢٨٢ ، ٤٦٣ ، ٥٠١ – ٥٠٢ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤١١ ، ٥٩٩ – ٦٠٠ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣ب ، ٤٤أ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٧ .

وعامتهم بما فيهم بعض السلاطين والأمراء الذين اشتهروا بشربه في المجالس والاحتفالات والانتصارات والأعياد[١] ، وبعض مشائخ ورجال القبائل وأعيان الناس كالشيخ عبد الوهاب بن يوسف بن عزان العرنقي (ت : ٦٧٢هـ / ١٢٨٣م) الذي كان كثيراً ما يشرب الخمر في الأعياد ، والشيخ أبي بكر بن غراب القرشي المعروف بالهبل شيخ القرشيين الذي لم يعد يؤثر فيه المخدر لكثرة شربه للخمر[٢] ، ويذكر الخزرجي عن عسكر السلطان المظفر الأول أنهم عند مهاجمتهم للأشراف في بيت حنبص[٣] وجدوا لدى الأشراف أوعية مليئة بالخمور فأراقوها[٤] ، وهذا ما يدلنا على أن بعض الأشراف كانوا يشربون الخمور أيضاً ، في حين انتشرت الخمور بين العامة من الناس الذين كانوا يشربونها في بعض المناسبات والأعياد[٥] ، وقد بلغ من أمر انتشار الخمور قيام بعض الولاة بمد المحاط بما يحتاجه الجند من خمر ، وقد مد الأمير عزيز الدين الطنبقا أمير حرض عسكر بني رسول بما يحتاجونه من خمر في أثناء حصارهم لبعض قبائل حرض بعدما طلبوا منه ذلك سنة ٦٧٢هـ / ١٢٨٣م[٦] .

لقد كان لشرب الخمور آثاره الواضحة على المجتمع ، ومنها تخلي شاربيه عن جميع قيمهم وأخلاقياتهم ومبادئهم الدينية التي عرف بها أبناء اليمن منذ القدم ، إضافة إلى ذهاب عقل وذهن شاربه ، ومِنْ ثَمَّ القيام بتصرفات بعيدة عن الأخلاق والعقلانية والصواب كموقف النقيب الصالحي الذي كان في مجلس شراب السلطان المنصور فقام بأكل شفتي وأنف أحد رؤوس القتلى التي وضعها الأمير أسد الدين بين يدي عمه المنصور سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م[٧] ، في حين لعبت الخمرة بعقول بعض المتنفذين في الدولة الذين أخذوا بالتعدي على بيوت بعض العامة والاعتداء على حرمتها[٨] ، كما كان لشرب الخمر دوره في إشعال الفتن بين الناس ومنها الفتنة التي أشعلها الأمير مبارز الدين بن برطاس بعد أن سكر وأفشى بخطة السلطان المظفر الأول للقبض على عميه الأميرين بدر الدين الحسن وفخر الدين أبي بكر ولولا تقبل الأمير بدر الدين أن ابن برطاس كان سكراناً ولا يعي ما يقول لقامت فتنة راح ضحيتها الكثير من الأبرياء[٩] ، كما أدى شرب الخمر إلى انتشار جريمة القتل بين متعاطيه للخلاف الذي قد ينشأ في مجالسه دون وعي ، ومِنْ ثَمَّ اشتعال الفتن التي تؤدي إلى

---

[١] انظر فيما سبق : ص٢٢٦ – ٢٢٧ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٧ ؛ ج٢ ، ص١٠٩ .

[٣] بيت حنبص : بلدة غربي صنعاء في ظاهر جبل عيبان فوق حدة . المقحفي : معجم ، ج١ ، ص٥١٨ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٢٣أ – ب .

[٥] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٠ – ٨١ .

[٦] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٤٥ .

[٧] عن ذلك انظر سابقاً : ص٢٢٦ .

[٨] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٦أ .

[٩] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٨٢ .

فقدان الأمان والاستقرار بين الخصوم مما يترك أثره على الناس والمنطقة[1] ، ومع ذلك عرفت بعض مناطق اليمن بخلوها من هذه الآفة وانعدام الحانات والخمارات التي تتعاطى فيها الخمور مثل منطقة وصاب[2] .

ج – الفقـــر :

كان الفقر من أكثر الظواهر الاجتماعية التي أثرت على وضع الناس ؛ لانتشاره بين أوساط فئة واسعة منهم ، علماً بأن من أسباب انتشار الفقر بين العامة فقدانهم للعديد من المؤهلات التي تهيئهم لمزاولة العمل كالتعليم والمال ، إضافة إلى عجزهم عن مزاولة بعض الحرف والصناعات والمهن ، كما كان لكثرة الديون وتراكمها دور في زيادة نسبة الفقر بين الكثير من الناس[3] ، فضلاً عن الكرم الزائد المبالغ فيه الذي أدى إلى إفلاس العديد منهم[4] ، وكثرة الكوارث البيئية التي تؤدي إلى حدوث القحط والجفاف وانتشار الآفات التي تصيب الزرع وتتلفه ، ومِنْ ثَمَّ تعكس نفسها على ارتفاع الأسعار التي تؤثر على العديد من الناس وتزيد من نسبة فقرهم وحاجتهم إلى المال[5] .

لقد أدى الفقر إلى انتشار عدد من الظواهر السيئة في المجتمع كزيادة عدد من يسألون الناس من المساكين ، وتفرقهم على قارعة الطريق والأزقة لترقب المارة وسؤالهم أو طرق البيوت لسؤال أهلها ما تجود به أنفسهم ، مما قد يدفع ببعض الكرماء إلى أخذ طعام أبنائهم وإخراجه إليهم أو خلع ما يلبس من ثياب لإعطائهم إذا لم يجد غيرها لهم ، تقديراً لحالتهم وأوضاعهم الصعبة[6] ، كما دفع الفقر بعض المحتاجين لاسيما النساء إلى بيع أنفسهن لبعض الميسورين الذين راحوا يستغلون فقرهن وحاجتهن إلى المال لكي يساومونهن على شرفهن رغم عفتهن[7] ، وتعد هذه الأمور من أخطر الآثار التي خلفها الفقر بين الناس .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أدى الفقر إلى حرمان العديد من الأسر للقمة العيش لأيام ، فأبكى الجوع أطفال بعض هذه الأسر ونساءها وآباءها الذين كانوا يبكون لبكاء أطفالهم دون أن يمدوا أيديهم لغيرهم[8] ، كما دفع الفقر بعضهم ممن تراكمت عليهم الديون وكثرت حولهم الأقاويل والإهانات وشتم الديانة إلى تفضيل الموت على الحياة ، فعمد بعضهم إلى شنق نفسه

---

[1] انظر عن أثر الخمر في المجتمع : الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤١١ .

[2] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٦ .

[3] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

[4] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠١ – ٤٠٢ ؛ الملك الأشرف : العطايا السنية ، ص٢٢٥ .

[5] سوف يتم الحديث عن الكوارث البيئية وتأثيرها على المجتمع لاحقاً انظر : ص٢٨٠ – ٢٨٧ .

[6] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٣ ، ١٩٩ .

[7] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٧١ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٣٧ .

[8] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٣ب ، ٣٩ب .

راحة من هذا الواقع المرير والمهين لعجزه عن تسديد ما عليه[١] ، بينما قبع آخرون في السجون سنين عديدة لِمَا عليهم من ديون تخلفوا عن تسديدها[٢] تاركين أبناءهم ونساءهم يصارعون مشكلات الحياة دون معين ، وفضل البعض الأخر الهروب إلى الجبال لكثرة مطالبة أصحاب الديون وتهديداتهم[٣] ، ودفع الفقر والحاجة آخرين إلى الهجرة إلى خارج اليمن علهم يجدون ما يغيثون به أنفسهم وأسرهم[٤] ، وقد بلغ الأمر بالفقراء المعدمين إلى أن يموت الشخص منهم ولا يجد ما يكفن به ، فيدفن دون كفن يضمه لأحواله المادية الصعبة ، وأحوال من حوله من أهله وجيرانه الذين لا يمكنهم فقرهم من شراء هذا الكفن[٥] ، وهو ما يؤكد لنا أن هناك فئة واسعة من الناس عانت من هذه الظاهرة التي تعد من أهم الظواهر المؤثرة في المجتمع في العصر المذكور ، رغم الإجراءات التي كان يقوم بها بنو رسول وبعض ميسوري الحال من الأغنياء للتقليل من انتشارها وتفشيها على مستوى واسع[٦] .

د – سبوت النخل :

شكلت عادة نضوج النخل والسبوت ظاهرة اجتماعية وجد فيها بعض اليمنيين متنفساً للترويح عن أنفسهم ، لِمَا تشهده من احتفالات وتنزه في بساتين النخيل وعلى شاطئ البحر ، ونتيجة لما تمثله السبوت من أهمية في حياة الناس شجع سلاطين بني رسول إحياءها وإقامتها والاحتفال بها ، وأجبروا الجميع على الخروج بنسائهم للمشاركة فيها ، إلاّ أن هذه الظاهرة خرجت عن طبيعتها الترفيهية لعدة أسباب أهمها : خروج نساء زبيد وهن في كامل زينتهن ولباسهن دون حياء أو خجل[٧] ، ومعهن جواري بني رسول للمشاركة في هذه الاحتفالات[٨] ، والاختلاط الفاحش الذي يحدث بين الرجال والنساء في مثل هذه المواسم التي تقام فيها الاحتفالات الراقصة التي يشارك فيها الجميع على صوت أهل الغناء والطرب وسط لعب ورقص وشرب الحاضرين ، ومِنْ ثَمّ تفشي المفاسد بينهم لإقامة الجميع في مكان واحد ، ولنومهم بين أشجار النخيل أو على ساحل البحر ، ودخولهم إليه عرايا دون لباس للسباحة ، مما يسهل حدوث الفاحشة التي أدت إلى طلاق العديد من النساء ، وهو ما يؤكده ابن المجاور بقوله : " وكم من امرأة تطلق من جهة النخل وكم تنكح امرأة من جهة النخل "[٩] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤٤ – ٢٤٥

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٢٤ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٤١ .

[٤] ابن بطوطة : تحفة النظار ج١ ، ص٢٦٦ – ٢٦٧

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٥ .

[٦] عن هذه الإجراءات انظر : ص٣٤٠ – ٣٤١ ، ٤٠٩ – ٤١٦ .

[٧] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .

[٨] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩١ .

[٩] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٩ – ٨١ ؛ شايف عبده سعيد : الحياة الاجتماعية ، ص٥٨ .

لقد كان لظاهرة السبوت آثارها السلبية التي تفشت بين الناس ، لاسيما في المناطق التهامية التي كان أهلها أكثر المشاركين فيها ، لذلك انتشرت بينهم الفاحشة والشراب والتمادي في المعاصي وتحلل الأخلاق ، وقد قوبلت هذه العادة السيئة برد فعل شديد من قبل العديد من الفقهاء الذين رأوا في هذه التصرفات ما يسيء لسمعة المنطقة ونسائها وجميع أهلهـــا ، لِمَـا يحدث فيها من أمور منافية لتعاليم الدين الإسلامي حتى أن بعضهم شبهها بسبت اليهــود[١] ، ومع ذلك لقيت هذه المواسم العناية والاهتمام من قبل سلاطين بني رسول الذين شجعوا على قيام مثل هذه المواسم وراحوا يشاركون فيها أو يرسلون من ينوب عنهم على رأس قوة مــن العسكر لحماية المحتفلين من اللصوص أو هجمات رجال القبائل التي يحدث فيها العديد مــن السلب والنهب للموجودين في النخل وقد تبقى تلك القوة حتى انقضاء موسم النخيل[٢] .

هـ - ظاهرة العيّارين[٣] (السوقة) :

وهي ظاهرة جاءت نتيجة لانتشار البطالة بين عدد من الرجال العاطلين عن العمل ، والذين دفعتهم أوضاعهم إلى أن يسلكوا طريق اللصوصية وقطع الطريق على الناس ، مع ما اتصفوا به من شجاعة وبأسٍ شديد[٤] ، وقد تكونت هذه الجماعات في مدينة زبيد دون غيرها من أبناء المدينة العاطلين عن العمل ، لعدم إشارة المصادر التي تطلق عليهم اسم ســوقة[٥] زبيد[٦] إلى وجودهم في أيٍّ من المدن اليمنية الأخرى ، إذ كانوا يســيرون فــي شــوارعها مستغلين أوقات الفوضى التي يغيب فيها دور الدولة فيأخذون في إخافة الناس وقطع الطريق على المارة في الشوارع وابتزازهم ونهب ما معهم ، وكثيراً ما يقف أهل زبيد لهم بالمرصاد ويدخلون معهم في صراع قوي في محاولة لإخافتهم وقمعهم[٧] .

كما دفعت ظاهرة البطالة هؤلاء إلى مهاجمة بيوت الناس وكبــار رجــال الدولــة المقيمين فيها ، مستخدمين أسلحتهم التي لا تفارقهم ولا يسيرون إلا بها في الشوارع والسكك وهي العصي والحجارة ، حتى أن هؤلاء العاطلين شكّلوا في أوقات معينة قوة لايستهان بها ، لها مكانتها وأعيانها ومشائخها والمسؤولون عنها وعن كل فرد فيها[٨] ، ونتيجة لانتشار هذه

---

[١] عن دور بعض الفقهاء والعلماء في محاربة مثل هذه العادات السيئة في المجتمع انظر : ص٣٣٧ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٧أ .

[٣] العيــار لغة الكثير التجول والطــواف الذي يتردد بلا عمل يخلــي نفسه وهواهــا . انظر : النجار ، رجب : حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١م ، ص٨ .

[٤] المصري ، حسن مجيب : في الأدب الشعبي المقارن ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص١٧٣ .

[٥] السُّوقــة ، هم الرعية من أوساط الناس . الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، مادة (سوق) ؛ المعجم الوجيز ، ص٣٣٠ .

[٦] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧١ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ص٤٢ – ٤٣ .

[٨] للمزيد عن هؤلاء العيارين ودورهم في عصر بني رسول انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٨٦ – ٥٨٧ ، ٥٩١ ــ ٥٩٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧ – ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٢ – ٤٣ ، ١٤٢ – ١٤٥ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٨ .

الظاهرة التي تضرر منها الناس في زبيد مارست الدولة للقضاء عليها أساليب مختلفة منها السجن والقتل لأفرادها في محاولة للحد من انتشارها[١] ، حتى أنها استطاعت إخضاعهم والتخفيف من انتشارهم لأوقات بسيطة يعودون بعدها لنشر الفوضى ، وقد كانت ظاهرة انتشار البطالة والعيارين من الظواهر التي تفشت في العديد من الأقطار الإسلامية في ذلك الوقت مع اختلاف تسميات أفرادها من قطر إلى آخر ، إلا أنهم أدوا دوراً كبيراً وسلبياً في المجتمع العربي في العديد من هذه الأقطار[٢] .

و – زيارة القبور والاحتماء بها :

شكلت قبور وزوايا الأولياء والصالحين في عصر بني رسول ملاذاً آمناً يلجأ إليها الناس عند الحاجة ويقيمون حولها لتحقيق مطالبهم ، مع ما شهدته الدولة الرسولية من نهضة علمية وشرعية تحرم مثل هذه الأمور المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي ، وقد راح الكثير من الناس يتوهمون أشياء من وحي خيالهم ومعتقداتهم كاعتقادهم بأن الخير والشر والعافية والملجأ بيد أصحاب هذه القبور ، واعتقادهم ببعض الأمور الخيالية التي تحدث حولها كشمهم لرائحة المسك عندها أو سماع القرآن الكريم يخرج من داخلها أو غير ذلك[٣] ، لهذا تسابق الناس من حكام ورجال دولة ومشائخ وعلماء وعامة وغيرهم لزيارة هذه القبور احتراماً وتقديراً لها ؛ ولقدسيتها لجأ إليها أصحاب الجرائم والمشتبه بهم الذين استغلوا هذه الظاهرة ليحتموا بهذه القبور من عسكر بني رسول رغم بعض التجاوزات التي قد تحدث من قبل بعض العسكر والتي ووجهت باستنكار ورفض من قبل الناس عامة ، وقد يستمر هذا المطلوب في حماية وذمة هذا القبر لمدة دون أن يُمس من قبل الدولة[٤] ، في حين أصبحت قبور الأولياء مكاناً يسير إليه المرضى وأصحاب العاهات الذين يرتمون عليها ويتمسحون بها أو يأكلون من ثمر شجرة مزروعة بجانبها أو يأخذون خيط من خرقة موضوعة عليها ليكون فيها الشفاء والخير كما يظنون ويهل على الزائر الخير ما دامت في حوزته ، وإذا ما فقدها فقد الخير كله[٥] ، كما أصبحت القبور ملجأ للمدينين الذين يقفون عليها للدعاء ليحقق الله مطالبهم ويقضي دينهم إكراماً لصاحب القبر[٦] ، في حين لجأ إليها الناس في أيام القحط للدعاء بالتفريج عنهم[٧] ،

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٢ – ٤٣ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

[٢] المصري : في الأدب الشعبي ، ص١٧٣ ؛ النجار : حكايات الشطار والعيارين ، ص٧ ، ٨ ؛ أبو طالب ، محمد نجيب : الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية ، دار المعارف ، تونس ، د . ت ، ص٢١٣ – ٢٣١ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٢ ، ٣٠٨ .

[٤] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٣٦٩ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٦٣ ، ٧٦ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٨٣ ، ٢٤٢ .

[٦] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٠٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٨ .

[٧] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٩٢ .

ومن غريب ما نلاحظه أن تلك القبور شكلت أداة ضغط على الدولة ، إذ صارت ملجأ لبعض الموظفين يسيرون إليها للاعتصام حولها إذا ما تأخرت رواتبهم أو قطعت ، مما يؤدي إلى سرعة الدولة في صرفها إرضاءً لصاحب القبر[١] ، ونتيجة لإدراك عامة الناس لما تمثله هذه القبور من قداسة بالنسبة لسلاطين بني رسول أخذوا يترقبون لحظات زيارتهم لقبور بعض الأولياء والصالحين لكي يتقدموا. بمطالبهم وشكاويهم ومظالمهم إليهم لعلمهم بأنهم لن يردوا لهم طلباً وهم في هذا المكان المقدس إكراماً وتقديراً لصاحبه[٢] .

وفي هذا الصدد ، لقيت قبور الأنبياء والأولياء عناية كبيرة من قبل عامة الناس ، وأقاموا لها الزيارات والاحتفالات وتوافدوا إليها من كل حدب وصوب وقطعوا المسافات والطرق وتكلفوا الأموال للوقوف عليها والتمسح بها للاعتقاد السائد بين الجهلة منهم باستجابة الدعاء بجانبها إكراماً لأصحابها ، وقد اشتهرت بعض القبور بكثرة الزيارة إليها في هذا العصر مثل قبر النبي هود (عليه السلام) في حضرموت الذي بالغ الناس في زيارته في كل عام[٣] ، مما جعلها عادة يتوارثونها بما يتبعها من خرافات لا أساس لها شرعاً ، كما كان من أشهر الزيارات التي كانت تقام في ذلك الحين زيارة قبر الشيخ أحمد بن علوان في يفرس والتي يتوافد إليها ما يقارب من عشرة آلاف زائر في كل عام يأتون بنذورهم وعطاياهم إلى شيخ الزاوية والمسؤول عنها والذي بدوره يقوم بأخذها وذبح نحو ثلاثين ثوراً للزوار وتقديمها لهم ، إذ يبيت الجميع في الزاوية وحولها في سماع وغناء ولهو مع اختلاط الرجال بالنساء الليل كله وحدوث المعاصي والفواحش ، كما أقام بنو الجبرتي وأتباعهم لموتاهم زيارات مماثلة في ليلة عرفت بليلة المحيا في زبيد وهي لا تقل بما يحدث فيها عمّا يحدث في يفرس[٤] ، وكان لما يُحدث في هذه الزيارات من خرافات وخزعبلات دور في انتشار التخلف بين الناس والمفاسد التي تشهدها ليالي هذه الزيارات البعيدة عن الشرع والدين والعقل .

لقد كان لهذه الظاهرة آثارها الواضحة على المجتمع ، ومنها زيادة التخلف بين الناس بزيادة اعتقادهم بهذه القبور التي لا تضر ولا تنفع ، وهروبهم إليها عند المشاكل والمحن لاعتقادهم بأن التمسح بها أو الارتماء عليها هو الحل لما بهم ، كما شجع الاحتماء بالقبور من قبل المجرمين من اللصوص والقتلة على استسهال الجريمة لإيمانهم بالحماية التي ستتوفر لهم عند التجائهم بقبر هذا الولي أو ذاك إذا ما حاولت الدولة القبض عليه ، كما أدى الاعتقاد بالقبور إلى زيادة الأمراض بين الناس لاتجاههم إليها بدلاً من الاتجاه إلى أهل الطب

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٠ .

(٢) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٣) الشرجي : طبقات الخواص ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، ١٦٥ ، ١٧٦ – ١٧٧ .

(٤) الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٥٧ .

والمعرفة ، إضافة إلى قلة الإيمان عند كثير من الناس وهو ما يؤكده اتجاه معظمهم إلى قبور الأولياء والصالحين للتقرب منها في أوقات الشدة والقحط والجفاف بدلاً من الاتجاه إلى الله والدعاء إليه بفك الكربة والغم عنهم بإقامة صلاة الاستسقاء وغيرها ، وهو ما يبين لنا مستوى الوعي المتدني والمتخلف الذي انتشر بين أفراد فئات واسعة من الناس .

ي – الخرافات والشعوذة :

لقد كان للتخلف الذي عُرفت به عقلية فئة واسعة من الناس في عصر بني رسول دور في انتشار الشعوذة والسحر والخرافات التي اعتاد الناس سماعها والإيمان بها دون تمحيص أو تدقيق في مصداقية صحتها ، وتمتلئ المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية بالعديد من الخرافات والقصص الخيالية التي كان للأوضاع السياسية دور في نشرها بين الناس لتحقيق أهداف معينة ، كالاعتقاد بأحقية بني رسول في حكم اليمن وما بنيت على هذه الفكرة من قصص لا تمت إلى الواقع بصلة ، كقصص تبشير الجن للمنصور بحكم اليمن بدلاً من الأيوبيين وغيرها[١] ، وقد انتشرت قصص التعامل مع الجن بين الناس معتقدين بقدرات الشخص المتعامل معها على تحقيق العديد من الأمور ، مع ما فيها من خرافات كقصة الجني الذي خرج من الحائط لإنقاذ السلطان المجاهد من حجر المنجنيق التي كادت أن تودي بحياته عندما كان مُحاصراً في حصن تعز من قبل ابن عمه الظاهر عبدالله[٢] .

وفضلاً عن ذلك ، انتشرت العديد من القصص التي كان الهدف منها تمجيد بعض الشخصيات وإظهار مكانتهم وقدراتهم لرفع منزلتهم بين الناس ، وقد صدقت فئة واسعة من الناس كل ما قيل عنهم وتهافتوا عليهم للتقرب منهم والتبرك بهم ، ومن هؤلاء الشيخ أبو الغيث بن جميل الذي كان يزوره الناس فقط لأجل أن يمسح على صدورهم ثم يبصق في فيهم قبل انصرافهم تبركاً به[٣] ، كما اتجه بعض الناس إلى الأمير علم الدين سنقر الشعبي (ت : ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) الذي عرف بصلاحه للاستعانة به عند المرض لاسيما عند تعسر الولادة لما نشر بين الناس من اعتقاد بأن سراويله إذا وضعت على المعسر تضع وليدها فوراً[٤] ، إلاّ أن من أغرب ما عرف بين الناس من خرافات هو تقبيل أقدام الصالحين تقرباً منهم فاشتهر بين الناس أنه من قبّل قدم الفقيه أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن الحضرمي دخل الجنة ، فأصبح جلة من علماء الصوفية يأتون إليه لتقبيل قدمه[٥] .

---

[١] الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٢٠ – ٣٢١ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٧٢ب ، ١٧٣أ . وانظر عن بعض من تعاملوا مع الجن : طراز أعلام الزمن ، ق١٦٨أ – ب .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٩ – ١٥٠ .

[٤] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٢٩ .

[٥] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٧٠ ؛ الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٩٤ – ١٩٦ .

ومن الخرافات تقديم الناس النذور للأولياء والصالحين للتقرب منهم آملين في قدراتهم تحقيق أمنياتهم في الحياة ، وأصبحوا يدفعون الأموال لذلك[١] ، واستغل بعض الدجالين هذه المسألة في كسب المال بكتابة الرقي والتمائم للجهلة من الناس[٢] .

وفي الوقت نفسه ، عانى المجتمع كثيراً من السحرة والمشعوذين الذين انتشروا بين الناس واكتسبوا خبرات كبيرة مكنتهم من أن يكون لهم وضع متميز بينهم لاعتقادهم بهم وبقدراتهم المختلفة في شفاء وتحقيق المطالب وغيرها[٣] ، وكانت أكثر المناطق انتشاراً لهؤلاء المنطقة الممتدة ما بين الرعارع وأبين[٤] ، وجزيرة سقطرى التي مارس معظم أهلها السحر فكانت بمثابة وكر لأكثر سحرة اليمن ومشعوذيها[٥] ، لذلك أثر هؤلاء السحرة كثيراً في حياة الناس ، ونشروا بين أوساطهم الخرافات والشعوذة .

٢ - الظواهر الطبيعية :

تأثر الناس كثيراً بالظواهر والكوارث الطبيعية التي كانت تحل بهم بين الحين والآخر ، وقد زاد من معاناتهم تتابع بعض هذه الكوارث خلال العام الواحد ، مما يؤدي إلى زيادة نسبة فقرهم ومرضهم . ونتيجة لتنوع طبيعية اليمن المناخية والتضاريسية تنوعت الظواهر البيئية فيها وتعددت أسماؤها ، لذلك سوف نقوم هنا بدراسة شاملة لهذه الظواهر وتأثيرها على حياة الناس ، ومدى قدراتهم على التعامل معها ، وأهم هذه الكوارث هي :

أ - الجفاف والقحط :

كان للجفاف والقحط من أكثر الكوارث البيئية التي عانى منها الناس كثيراً ، لاسيما المزارعين الذين يؤدي الجفاف إلى موت زرعهم وجفاف أراضيهم وآبارهم ، وبالتالي عجزهم عن توفير مستلزماتهم الأسرية ، وما هو مفروض عليهم من خراج للدولة ، وقد انعكست قلة الزراعة على أسعار البضائع في الأسواق وارتفاعها ، نتيجة لشحة المنتجات الزراعية ، وإن وجدت ارتفع سعرها أضعافاً مضاعفة ، مثلما حدث في غلاء سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م ، وسنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م الذي استمر عامين عجز فيهما الناس عن شراء ضروريات الحياة من حبوب الذرة والدخن والسمن[٦] ، وقد مرت الدولة الرسولية خلال تاريخها الطويل بأوقات شدة أكل الناس فيها الأشجار والحمير والكلاب ومات الكثير منهم[٧] ، وكان أشد هذه

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٥ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠٥ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٧٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٢ ؛ أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٣٨٧ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٤٩ .

[٥] ابن المجاور : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٦٦ ، ٢٧١ ؛ ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨١ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٠ ، ٣٠٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٤٩أ ، ٢٥٠أ .

[٧] حاول الباحث رصد سنوات الجفاف والقحط التي تعرضت لها الدولة الرسولية . انظر : ص٤٦٣ – ٤٦٧ .

الأوقات سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م عندما تعرضت حضرموت لقحط شديد مات على أثره العديد من أهلها[١] ، وقد كان لأوقات القحط التي تعرضت لها اليمن عبر تاريخها آثاره على حياة الناس ، وأهم هذه الآثار : هجرة العديد منهم[٢] وانتقالهم من وموضع إلى آخر بحثاً عن الطعام والشراب ، كما حصد الموت أرواح العديد من الناس جوعاً ووباءً بعد أكلهم للأشجار والحيوانات المحرم أكلها ، وماتت البهائم جوعاً بعد أن عجزت وعجز أصحابها عن توفير ما تأكله للاستمرار في العيش والحياة[٣] ، لذلك مثلت مدة الجفاف والقحط أشد المُدد التي يتضرر الناس منها .

ب – الفيضانات والسيول :

شكلت الأمطار الصيفية التي تتساقط على اليمن مصدر خير وسعادة للأهالي فيها ، لاسيما إذا جاءت بعد مدة جفاف ومجاعة وارتفاع في الأسعار ، إلاّ أن هطول الأمطار المتواصل قد يؤدي إلى خراب المحصول وإتلاف الزرع[٤] وجرف أراضي ومزارع وبيوت الناس وخرابها إذا ما تحولت تلك الأمطار إلى فيضانات وسيول جارفة ، ومِنْ ثَمّ تحول تلك النعمة إلى نقمة تحل بسكان المناطق التي تسقط عليها الأمطار ، وترصد لنا المصادر العديد من الحوادث التي تعرضت لها بلاد اليمن بسبب سقوط الأمطار والسيول الجارفة[٥] .

وفضلاً عن ذلك ، كان للصواعق التي تكون مصاحبة لسقوط الأمطار آثرها على الناس الذين قد تسقط عليهم وتؤدي بحياتهم ، كما حدث في تعز سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م عندما حدث مطر فيه رعد وبرق أدى إلى موت أربعة في وقت واحد[٦] ، كما تأثر الناس لاسيما المزارعين من تساقط قطع البرد والثلج على أراضيهم ، وما تؤديه من تكسير للزرع وإتلافه وقتل المواشي بسبب البرودة والصقيع ، وبالتالي التأثير على حياة الناس وأوضاعهم[٧] .

لقد أدى استمرار هطول الأمطار وتدفق السيول في عصر الدولة الرسولية إلى تعرض الناس للعديد من المشكلات منها : تجريف السيول للأراضي والبشر والدواب ، وتهدم البيوت وسقوطها على أهلها ، وإتلاف محاصيل الناس وتخريب زرعهم ، وانتشار الأمراض والأوبئة بينهم لانتشار المياه الراكدة والمستنقعات وغيرها .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٠٥ – ٥٠٦ .

[٢] ابن أبي الرجال : مطلع البدور ، ق٢٢٢أ . وانظر عن هذه الهجرة فيما سبق : ص٥١ – ٥٢ .

[٣] بن فيروز ، أحمد بن يوسف بن محمد : مطلع النيران رسالة في تاريخ اليمن ، دراسة وتح : محمد عيسى صالحية ، د . ن ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص٩٠ – ٩١

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٢١ ، ٣٨٢ – ٣٨٣ .

[٥] عن تلك الحوادث التي تعرضت لها اليمن خلال تاريخ بني رسول انظر : ص٤٦٣ – ٤٦٧ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٦٦ ، ٢٨٧ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٢ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٣ ، ٩٦ .

ج – الزلازل والبراكين:

شهدت اليمن في العصر المذكور حدوث هزات أرضية متفرقة ، كان أشهرها الهزة التي تعرضت لها صنعاء وما جاورها سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م والتي خربت على إثرها العديد من الجبال والمواضع[١] ، والهزات الشديدة المتتابعة التي شهدتها عدن سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م لعدة أيام ، فتسببت في سقوط بعض دور عدن ، ونشرت الخوف والرعب في نفوس أهلها الذين لجأوا إلى المساجد للصلاة وقراءة القرآن وصحيح البخاري[٢] ، في حين تعرضت مناطق يمنية أخرى لهزات شديدة تضرر منها الناس وانتشر الخوف بينهم[٣] ، وقد بلغ الفزع ببعضهم إلى ترك مدنهم والخروج إلى خارجها إذا ما شعروا بأن هناك هزات أرضية أو فيضانات أو شيء سيحدث في مناطقهم ، ودفن بعضهم أموالهم وما يعز عليهم خوفاً عليها من السرقة إذا ما حدث مكروه[٤] .

وفي الوقت نفسه ، تعجب الناس من بعض الظواهر البيئية ، وراحوا يظهرون استغرابهم منها لندرة حدوثها في بلاد اليمن مثل ظاهرة البراكين التي عبرت المصادر عن تعجب الناس التام لحدوثها في جزيرة كمران ، معتبرين أنها نار تأكل الحجر حتى تذيبها[٥] ، وذهب الخزرجي[٦] إلى القول عنها أنهُ لم يعهد حدوث ذلك وكأنه شيء من الخيال ، كما تبين المصادر جهل الناس في عصر بني رسول للعديد من الظواهر الأخرى كظاهرة قوس قزح ، وما يظهر على الشمس من هالات[٧] قد تسبق حدوث بعض الظواهر كالأمطار وغيرها .

د – الرياح والأعاصير :

عانت فئة واسعة من الناس من الرياح الشديدة التي كانت تضرب المناطق التي يعيشون فيها[٨] ، إذ كانت تخرب الزرع وتهدم البيوت وتقتلعها من أساسها بالأخص المبنية من الخشب وسعف النخيل والشعر أو الخيام ، وقد تضرر الناس كافة من الرياح لاسيما عند حدوث الحرائق ، إذ تساعدها على الاشتعال والانتقال بشررها من شارع إلى آخر مثلما حدث في سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م في زبيد[٩] ، كما تضرر التجار وأصحاب السفن والحجاج

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق١١٧ب .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٧٢ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢١٦ ، ٢٦٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٨٨ب ، ٢٣١ب ، ٢٤١ب ، ٢٥١أ–ب .

[٤] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٦٥ .

[٥] عن وصف هذه النار وصوتها وتطايرها في السماء إلى البحر في جزيرة كمران انظر : مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٦١ – ٢٦٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٩ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣١٥ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣١ب .

[٨] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٨٢

[٩] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٩أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٩ – ١٠٠ ، ١١٨ .

المسافرين بحراً من الرياح والأعاصير الشديدة التي تدفع بعض السفن وتجبرها على تغيير اتجاه سيرها أو تؤدي إلى غرقها في عرض البحر[١] ، كما تأذى أهالي بعض المناطق التهامية من بعض الرياح الحارة والملتهبة كأنها نار من شدة حرارتها[٢] .

هـ - الحرائق :

اختلفت الأسباب التي أدت إلى نشوب النيران وانتشارها في عصر بني رسول ، ويعد إهمال الناس وبعض العوامل الطبيعية من رعد وصواعق ورياح وغيرها من أهم أسباب حدوثها[٣] ، كما كان لنوعية المواد التي تبنى بها بيوت الناس من الخشب وغيره دور في سرعة اندلاعها وانتقالها من بيت إلى آخر ، وقد أثرت هذه الحرائق على أرواح الناس وأموالهم وأملاكهم [٤] ، كما كان لصعوبة الحصول على وسائل الإطفاء وبساطتها وعدم وجود الطاقم المؤهل لذلك أثره في توسيع حدوث الحرائق وفقدان سيطرة الأهالي عليها ، وتذكر المصادر العديد من الحرائق التي تعرض لها عدد من المدن والقرى اليمنية وأهمها : حريق سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م في زبيد والذي التهمت فيه النيران سوق المدينة كله ببيوته ودكاكينه وما وراءه شرقاً وشمالاً ، كما حُرقت على إثره عدد من بيوت أهالي زبيد[٥] ، ويعد حريق سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م في عدن من أشد الحرائق أيضاً التي حدثت في ذلك العصر لما أحدثته من دمار في بيوت الناس وأموالهم وأملاكهم ، وهو ما أثار عجب سكان عدن الذين عجزوا عن تحديد أسباب اندلاعه[٦] ، لهذا أفقدت النيران الناس في عصر بني رسول بيوتهم ومواشيهم وأملاكهم ومزارعهم ، وأثرت على أوضاعهم وشردت العديد منهم .

و - الحشرات والحيوانات :

عرف الناس أنواعاً من الحشرات والحيوانات التي أضرت بأراضيهم ومزارعهم ، وأثرت على حياتهم وأوضاعهم المادية التي تدهورت في أوقات انتشارها ، وقد عانوا كثيراً منها وتكبدوا الخسائر بسببها ، ويعد الجراد أخطر تلك الحشرات وأكثرها إتلافاً للزرع والثمار ، وقد اشتهرت اليمن بكثرة انتشار الجراد فيها ومهاجمته لمزارعها وأكلها[٧] ، وكانت أشهر

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٠٧ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٨٨ .

[٢] الملك الأشرف : المصدر نفسه والباب ، ص٧٩٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩٨ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٧٨أ .

[٣] انظر : يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٥٥١ .

[٤] انظر عن أشد هذه الحرائق وما خلفته من أضرار في الأرواح والأملاك : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٢ ؛ ج٢ ، ص٢٩ ، ٩٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢١٩أ ، ٢٢٠أ .

[٦] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٧١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨٦ .

[٧] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن : رفع شأن الحبشان ، دراسة وتح : محمد عبد الوهاب فضل ، مط : كويك حمادة ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص٣٧٨ ؛ بن فيروز : مطالع النيران ، ص٩١ - ٩٢ .

حوادث الجراد التي تضرر منها الناس في عصر السلطان الأشرف الأول ، إذ أدت إلـــى أن يفقد معظم الفلاحين مزارعهم[١] ، لهذا أثارت هذه الحشرات الرعب في نفوس الناس لاسيما في أوقات تكاثرها لإدراكهم للآثار العكسية التي ستتركها على أوضاعهم[٢] .

وبالإضافة إلى الجراد تضررت الناس في وادي زبيد من بعض الديدان الصغيرة التي كانت تتغذى على بعض الأشجار والمحاصيل الزراعية كالبلح والبقول وغيرها ، مما أدى إلى إتلاف هذه المحاصيل والأشجار وذهاب موسمها وانعكاس ذلك على مزارعيها[٣] ، كما انتشر في منطقة تهامة بعض الحشرات كالناموس الذي اشتهر منه ذات اللون الأصفر المعروف بالبرة الناقل للأمراض المختلفة ، ويبدو أن لكثرة المياه الراكدة وكثافة الأشجار التي يختبئ فيهـــا دور في زيادة أعداد الناموس وانتشاره ، في حين ظهرت في تهامة العديد مـــن الحشـــرات الزاحفة كالوزغ التي تخرج صيفاً من مخابئها بسبب حرارة الجو ، وقد عانى الناس كثيـــراً منها لما تسببه لهم من أمراض تنقلها إليهم عن طريق لُعابها الذي تتركه على طعامهم[٤] .

وعلاوة على ذلك ، شكل انتشار الفئران ظاهرة غريبة تضرر منها الفلاحون ، وقد انفرد الملك الأشرف الثاني[٥] عن سائر مؤرخي الدولة الرسولية بذكرها ، إذ يقول : " وفـــي سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ظهر في سائر الجهات الشامية جُرذان كثيرة وهو الذي يسمونه أهـــل اليمن الفأر وكان معظمه في وادي مور وسُرْدُد وسَهَام يخرج من الأرض فـــي مـــزارعهم فيأكل الطعام ويترك العجور فأتلف على الناس من غلاتهم شيئاً كثيراً ، ولقد أذكر إنَّا كُنَّا في دار المَحَالِب فكان يأتي منه أفواج يشربون من البركة ويعودون ونحن قعـــود ننتظـــرهم ولا يخشون منا شيئاً ولم نعرف مثل هذا ولا سمعنا به قط والله أعلم " .

كما تضرر الفلاحون أيضاً من بعض الحيوانات التي كانت تهاجم مزارعهم وتتلف محاصيلها ، كالقرود التي انتشرت في بعض الأودية التهامية والمناطق الجبلية ، لهذا كـــان الناس يخرجون ليلاً لحماية مزارعهم منها[٦] ، كما قلق الناس من انتشار بعض الزواحـــف كالثعابين في مناطقهم وخافوا منها ، حتى أن الكثير منهم انقطعوا عن أعمالهم لخوفهم مـــن الخروج من بيوتهم ، وفضل بعضهم الانتقال بأسرهم إلى مناطق أخرى أكثر أمانـــاً مثلمـــا حدث للأهالي في نواحي مخلاف جعفر الذين ابتلوا بالثعابين السامة المفزعة[٧] ، ويذكر ابن

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٨ .

[٢] سوف يتم رصد سنوات مهاجمة الجراد لمزارع الناس في عصر بني رسول لاحقاً انظر : ص٤٦٣ – ٤٦٧ .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٢ ، ٤٠٦ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٩٠ – ٩١ .

[٥] فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٩١ .

[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٣٣ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٦٣ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٨٣ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٦١ .

المجاور[١] معاناة أهالي عدن من انتشار بعض الحيوانات التي أثارت الخوف بينهم كالكلاب ، لذلك نجد أن الناس وبخاصة المزارعين منهم عانوا كثيراً من أضرار الكائنات المذكورة التي أثرت على أوضاعهم المادية والصحية وزادت من فقرهم ومرضهم ، وحملت العديد منهم الديون للدولة وغيرها ، لعدم التزامهم بدفع خراج أراضيهم لإتلاف مزارعهم وخرابها .

ي – الأوبئة والأمراض :

مر المجتمع في العصر المذكور بأوقات عصيبة تفشت فيها الأوبئة ، وانتشرت الأمراض بين الناس بسرعة فائقة ، ونتيجة لعدم توفر وسائل الوقاية والحماية من قبل الدولة لحصر الأوبئة وسرعة انتقالها بين المناطق مات العديد من الناس ، وكان وباء الطاعون من أخطر هذه الأوبئة وأكثرها فتكاً بالناس ، ويعد طاعون سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م ، وطاعون سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م أشهرها[٢] ، إذ فقدت فيهما اليمن العديد من علمائها وفقهائها وأفضل رجالها الذين ماتوا بهذا الوباء[٣] ، ويؤرخ العوام أحداثهم بهذه السنة[٤] .

ومن الأمراض المعدية التي انتشرت بين الناس مرض الجذام الذي تفشى وانتشر بشكل كبير في ذلك العصر ، وللوقاية منه عُزل المصابون في مناطق بعيدة عن الناس كالكهوف والجبال لكي لا يعدوا غيرهم ، وقد تسبب هذا المرض في فقدان المصاب لإطرافه وأجزاء من أجسامه ، ولهذا تجنب الناس الاتصال بهم أو الجلوس معهم خوفاً من العدوى ، واشمئزازاً لمّا كان يخرج منهم من صديد تنبعث منه روائح كريهة ونتنة أجبرت أهلهم على عزلهم وإبعادهم عن الأعين إلى أن يستعيدون عافيتهم[٥] ، كما عرف الناس أمراضاً أخرى كمرض الجدري الذي أصاب عدداً منهم بما فيهم السلطان المجاهد سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م[٦] ، وأمراض العيون كالرمد والعمى الذي قد يكون من أسبابها عدم العناية بالعيون وتعرضها للأوساخ[٧] ، كما أصيب الناس في بعض المناطق بأمراض مختلفة شائعة كمرض النقرس[٨] ،

---

[١] تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٧ .

[٢] عن تفاصيل تفشي هذا الطاعون وغيره انظر : ص٤٦٧ .

[٣] عن أشهر من مات بهذا الطاعون في اليمن انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٣٠٢ – ٣٠٣ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢١ ، ٢٣ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٩ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .

[٤] أرّخ الناس في عصر بني رسول سنواتهم بأحداث تعرضوا كأن يقال سنة الجفلة أو سنة الجوع أو سنة أحمد أو سنة قميع وغيرها . انظر : الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق٢٦٠ب ؛ ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص١١٩ .

[٥] انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٥١ ؛ ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ الملك الأفضل : بغية الفلاحين ، ق٢٢٠ب ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٩ ، ٣٠٨ ؛ البريهي : المصدر نفسه ، ص٢٩٨ ؛ يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق١٧٣ .

[٦] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٤٨ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٥ ، ٢١٣ – ٢١٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ .

[٨] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٥٧٠ . والنقرس : مرض مؤلم يصيب مفاصل الأقدام ، ويعرف بداء الملوك الرازي : مختار الصحاح ، مادة (نقرس) ؛ المعجم الوجيز ، ص٦٣٠

وداء الفيل الذي انتشر بين رجال ونساء ظفار الحبوضي ، ويقول ابن بطوطة[١] أنه مرض انتفاخ القدمين ، كما أصيب عدد من الناس ببعض الأمراض الجلدية كالبرص[٢] لاسيما أهالي منطقة تهامة[٣] ، والخرج[٤] والجرب[٥] ، وكان الشاعر عبدالله بن جعفر ممن أصيبوا بالجرب وهو صغير[٦] ، وبلي رجال ظفار الحبوضي بمرض الأدر الذي يؤدي إلى انتفاخ الخصيتين[٧] ، وأصيب بعضهم ببعض الأمراض الصدرية كمرض السل[٨] ، وظهرت حالات من الجنون بين الناس لاسيما العلماء والفقهاء الذين تعمقوا في قضايا الجن وغيرها ، وتركوا مخالطة الناس ليعيشوا في المناطق المنعزلة البعيدة والموحشة للتعبد فيها ليلاً ونهاراً[٩] ، وممن أصيب بمرض الجنون من بني رسول الملك محمد بن السلطان الناصر أحمد[١٠] .

وكيفما كان الأمر ، فقد عرف الناس أيضاً عدداً من الأمراض الشائعة بينهم كالزكام والسعال ، وقد شكلا في بعض الأوقات وباءً خطيراً حصد أرواح الكثير ، كما حدث في تعز وزبيد ونواحيهم سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م عندما انتشر بين الناس زكام وسعال شديد ونواغز (أوجاع) في الجنوب فهلك منه خلق كثير[١١] ، في حين أصيب البعض بأمراض المسالك البولية كحصر البول[١٢] ، ويبدو أن لشربهم من مياه الآبار غير الصالحة للشرب كان السبب في ذلك ، كما عانى الكثير من الناس من الحمى والإسهال الذي أدى استمراره إلى موت العديد منهم[١٣] .

لقد كان لانتشار الأمراض المعدية أسباب مختلفة أهمها : عدم وجود العناية حال حدوث الوباء للوقاية منه ، لاسيما في أماكن احتكاك وتجمع الناس التي سريعاً ما يتفشى فيها المرض[١٤] ، وسقوط الأمطار المتواصل وركود مياهها الناقلة للأوبئة والأمراض[١٥] .

---

[١] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٩ .

[٢] البرص : مرض جلدي وهو عبارة عن بياض يقع على الجسد لعلة في صاحبه . المعجم الوجيز ، ص٤٥ .

[٣] يعلل ابن المجاور ذلك لأكلهم اللبن والسمك ، ويضع سبب آخر لجعلهم الخبز والأدم مكشوف لحرارة الجو في تهامة وأكل الوزغ منه فتترك لعابها على الطعام في الإناء فمن أكل منه ظهر به البرص . تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٩٠ – ٩١ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٥٣ . والخرج : قروح تصيب البدن تتجمع فيها الأوساخ والصديد . المعجم الوجيز ، ص١٩٠.

[٥] الملك الأفضل : بغية الفلاحين ، ق١٠٥ب .

[٦] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٨أ .

[٧] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٩ .

[٨] الملك الأفضل : بغية الفلاحين ، ق١٠٥ب ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٦٠ .

[٩] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٩٦ ، ٢٥٠ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٦ .

[١٠] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٦٦ – ٢٦٧ .

[١١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٥٤ – ٦٥٥ ، ٧٧٩ .

[١٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠ .

[١٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٥٠ – ٤٥١ ، ٤٥٧ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٨٦ .

[١٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٩٨ – ٣٩٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ .

[١٥] ابن أبي الرجال : مطلع البدور ، ق٢٢٢أ .

لقد دفعت الأمراض الناس إلى البحث عن وسائل العلاج المختلفة للشفاء منها ، فاتجه بعضهم إلى العلماء من أهل الطب للحصول على وصفات علاجية شافية لعلتهم[١] ، كما اتجهوا إلى مشائخ الدين لقراءة القرآن الكريم عليهم أو للدعاء لهم بالشفاء[٢] ونُصح بعضهم بالسير إلى المناطق ذات الطبيعة والهواء الطيب والنقي لعلاج ما فيهم من علة ومرض[٣] ، وسار بعضهم إلى مناطق المياه الحارة الموصوفة بعلاج بعض الأمراض كمنطقة ذمار وغيرها[٤] ، وفضل بعضهم الكي بالنار للتخلص من المرض[٥] ، واستعان بعض المرضى بالسحرة والمشعوذين ليحصلون على العزائم أو الرقي أو الحروز التي تشفي من المرض من وجهة نظرهم[٦] ، وفضل بعضهم السير إلى قبور الأولياء عسى أن تنفعهم وتقيهم شر المرض[٧] ، وعالج بعضهم أنفسهم بالوصفات الشعبية التي تبين لنا مدى العقلية المتخلفة التي ابتليت بها فئة من الناس ؛ إذ استعملوا الماء الذي يغسل به الميت[٨] ، وسراويل بعض الخيرين لعلاج أمراضهم[٩] ، وهو ما يظهر لنا مدى التخلف والخرافات التي يتناقلها الناس حول علاج بعض الأمراض ، وأثرها على صحتهم وزيادة نسبة المرض بينهم في ذلك العصر .

وفي الوقت نفسه ، هددت الأوبئة والأمراض حياة بعض الدواب والمواشي ، عندما تفشت بينها ، كالمرض الذي أصاب الجمال سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م ، والمرض الذي أصاب الخيل سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م والمعروف بامشفرا وقيل مشيفي ، إذ مات بسببه في مدة يسيرة أعداد من الخيول لاسيما خيل السلطان المجاهد الذي كادت أن تهلك جميعها[١٠] ، وقد سعى الناس إلى البحث عن العلاج الشافي لها من هذه الأمراض ، فأوجدوا لها الوصفات المختلفة التي ساعدت على شفائها من هذه العاهات[١١] .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٥٣ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٦٢أ – ب .

[٢] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٨٣ ، ١٨٤ – ١٨٥ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٣٧ ، ٢٢٠ ، ٢٦٦ – ٢٦٧ .

[٣] تم الحديث عن ذلك سابقاً انظر : ص٢٢٨ – ٢٢٩ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٩١ .

[٥] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٧٣ .

[٦] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص١٦٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٢ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٥١ – ٢٥٢ .

[٧] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٧٦ .

[٨] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٨٨ .

[٩] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٩ .

[١٠] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧ ، ٤٧ ، ١١١ .

[١١] انظر : الملك المجاهد : الأقوال الكافية ، ق٢٠أ ، ٢٣ب .

الفصل الرابع

الروابط الاجتماعية بين الناس وأوضاعهم المادية والعلمية

تمهيد :

أولاً : الأسرة والروابط الاجتماعية

ثانياً : الأوضاع المادية للناس والعوامل المؤثرة عليها

ثالثاً : الأوضاع العلمية للناس ودور العلماء في الحياة العامة

تمهيـــد :

تميز الناس في اليمن عامة وفي عصر الدولة الرسولية خاصة من الناحية الاجتماعية بقوة روابطهم الأسرية بغض النظر عن مستواهم وترتيبهم الطبقي ، وقد كان للأسرة الـدور الأكبر في ترسيخ مبادئ هذه الروابط بين أبنائها والتي كانت الأساس الأول لعلاقات اجتماعية أكبر بين الناس ، على الرغم من التفاوت الاجتماعي الذي كان قائماً بينها ، وكان سببه الأول المال والتعليم الذي جعل الناس يعيشون حياة تباين واختلاف ، لذلك سوف نتناول هنـا دور الأسرة في التربية والتنشئة الاجتماعية لأبنائها في إطارها الداخلي ، ونوعية العلاقـة التـي كانت قائمة بينهم والتي تعد أساساً للترابط الأسري ومن ثم الاجتماعي ، مع إجراء دراسـة لأوضاع الناس المادية لإعطاء فكرة عن كيفية سير حياتهم المعيشية ومصادر دخلهم وخرجهم للأموال ، وما يؤثر في زيادة أو نقصان هذه المصادر أو انعدامها ، ومِنْ ثَمَّ التأثير في أسلوب حياتهم المعيشي للعيش في مستوى أعلى أو أدنى بين غيرهم من الناس ، فضلاً عن القيـام بدراسة الوضع التعليمي لهم ، لما شهده المجتمع بجميع فئاته من اهتمام بالتعليم والذي يعود الفضل فيه إلى الآباء وتشجيعهم لأبنائهم ، نتيجة لما يمثله التعليم من دافع معنـوي وفـرح للأسرة التي تسخر إمكانياتها كافة لتعليم أبنائها بتوفير كل ما يحتـاجون إليـه مـن أدوات تساعدهم وتشجعهم على الدراسة ، مع البحث عن المراحل التعليمية التي يمر بهـا الطفـل والمواعيد التي لابد أن يلتزم بها للدراسة ، والإجازات الرسمية والطارئة المسموحة لهـم ، فضلاً عن إجراء دراسة لدور الفئات الغنية والمتعلمة وغيرها في الحياة العامة ، لما كان لهن من تأثير فاعل في المجتمع .

أولاً : الأسرة والروابط الاجتماعية :

شكلت العلاقات الاجتماعية في العصر المذكور مظهراً مهماً من مظـاهر الحيـاة العامة التي انتشرت بين الناس في ذلك الحين ، وقد شهد المجتمع تماسكاً قوياً في العلاقـات بين أفراده ، ويعود أساس ذلك التماسك إلى الأسرة والتربية الصحيحة فيها لجميع أبنائهـا ، لهذا سندرس في هذا المحور دور الأسرة في تربية أبنائها ، ومدى قوة الروابط الأسرية التي تُعد الأساس الأول في العلاقات بين جميع أفراد الفئات والشرائح المختلفة .

١ – الأسرة ودورها في تربية أبنائها :

اهتمت الأسرة اليمنية عبر العصور بأبنائها ، وراحت منذ مرحلة الطفولـة تـولي عناية كبيرة بتربيتهم وتوفير سبل الراحة والرفاهية لهم ليعيشوا حياة هادئة ومستقرة تسـاعد على تنشئتهم تنشئة صحيحة ، وقد هيأت معظم الأسر لأبنائها الأجواء المناسبة ليهنئوا بطفولة بعيدة عن التعاسة والبؤس ، فذهب من لديه القدرة من ميسوري الحال إلى البحث عن كل ما

يوفر الراحة لأبنائهم في المهد كتوفير الأسِرَّة والسجاجيد التي ينام عليها الطفل[١] والمهـود التي تتحرك وتساعد الأم على هز طفلها عند صحوته من النوم[٢] ، كما حاول بعض الأهالي الحفاظ على صغارهم من العين والحسد والسحر والشياطين ، فراحوا يعلقون على صدورهم بعض القطع الصغيرة المصنوعة من الذهب والفضة والمعروفة بالتمائم التي تأخـذ أشـكالاً مختلفة كشكل المصحف المعروفة بحلية المصحف[٣] ، في حين أخذ بعض الأهالي صغارهم إلى بعض الصالحين من الفقهاء طالبين منهم بركتهم والدعاء لهم ، ويذكر عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عمر بن حشيبر (ت : ٧١٨هـ / ١٣١٨م) أن والده أخذه وهو صبي إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل لتلمس الدعاء والبركة منه[٤] ، كما فعل ذلك بنو رسول لأبنائهم[٥] .

وفي الوقت نفسه ، شدد بعض الآباء في تربية أبنائهم ولم يتوانوا في ضربهم إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك عند الخطأ والكذب ومخالفة تعاليم الوالدين في محاولة لتعويدهم علـى قول الصدق والتربية الصحيحة ، ويقول الفقيه عمر بن أبي الحسن علي بن عمر بن محمـد الأهدل عن ذلك : " جاء والدي وأنا أأكل التراب ، فقال لي تأكل التراب ؟ . فقلت : لا والله . فقال : تحلف بسيدي على الكذب "[٦] ، وهو ما يؤكد لنا مدى خوف الأهالي على أبنائهم من الكذب الذي يسبب لهم عدم الفلاح في الدنيا والآخرة ، وقد بلغ من اهتمام بعض أهالي البلاد الشامية في زبيد ببناتهم إلى عدم السماح لهن بالخروج من البيوت منذ سن الطفولة لخـوفهم الشديد عليهن[٧] ، في حين حاول بعض الأهالي زرع الثقة في نفوس أبنائهم ، فأخـذوا فـي تشجيعهم على الخروج في رحلات مع زملائهم والسفر ، ويذكر عن الفقيـه أبـي إسـحاق إبراهيم بن محمد بن عمر بن حشيبر أنه كان يرسل ابنه الصغير محمد إلى نخل وادي زبيد وهو لا يزال صغيراً لتعويده على السفر والترحال وتحمل مشقة العطش والجـوع[٨] ، كمـا أخذوا في تشجيعهم على مزاولة رياضة الوثوب أو القفز والعدو والجري مع زملائهم وتحت إشرافهم[٩] .

وقد شكل التعليم محوراً أساسياً لفئة واسعة من الناس الذين أخذوا في إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب (المعلامة) والمدارس ليكون لهم مستقبل أفضل ، لاسيما البسطاء منهم الـذين

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٢٠ .
[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧١ .
[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١٦ ، ١٦١ .
[٤] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٧٠ . وانظر : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٤٢ – ٢٤٣ .
[٥] انظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١١٢ .
[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٩٧ .
[٧] عن سبب ذلك انظر فيما سبق : ص٢٣٦ – ٢٣٧ .
[٨] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٥٢ .
[٩] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٣٩٩ – ٤٠٠ .

حرمتهم أحوالهم المعيشية من التعليم[١] ، لذلك لم تكن التربية بالأمر السهل لبعض الأهـــالي لاسيما الفقراء منهم ، إذ كان توفير لقمة العيش للأبناء من الأمور الصعبة التي أرّقت أعـــين الكثير من الآباء الذين راحوا يفكرون في كيفية توفير متطلبات أبنائهم الضرورية وحاجاتهم ، حتى أن بعضهم كان يسير شارد الذهن بسبب هذا الأمر ، وقد ينشغل بعضهم في أمور عياله وأمواله عن أداء الصلاة كما يجب أن تؤدى[٢] .

٢ - العلاقات الأسرية بين الآباء وأبنائهم :

لقد مثلت التربية الصحيحة للأبناء الأساس الحقيقي في الترابط الأسري والعلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة بين جميع أفراد الأسرة في العصـــر المـــذكور ، وتـــورد لنـــا المصادر العديد من المواقف التي نستطيع من خلالها أن نحدد نمط العلاقات التي كانت قائمة في الأسرة اليمنية في ذلك الحين ، لاسيما التي كانت قائمة بين الآباء وأبنائهم ، ولكن أقوى تلك العلاقات يوردها لنا ابن حاتم[٣] عن السلطان المظفر الأول الذي بلغ برّهُ بأمه وهي امرأة مسنة أنه كان يحملها على ظهره في موسم الحج ليطوف بها حول الكعبة دون ملل أو ضيق وهو سلطان وملك بلاد اليمن ولديه من الإمكانية والمال والعبيد والخدم من يستطيع أن يحمل السلطان نفسه مع والدته للطواف بهم ، إلا أن بره بأمه وعرفانه بالجميل لها دفعه إلى ذلك ، كما عُرِفَ برُّ الوالدين بين العامة من الناس لاسيما الأم التي كان لها الفضـــل الأكبـــر فـــي التربية والشقاء والسهر ، وقد بلغ من رد الجميل عند بعضهم مثل الحاج صفي الدين أحمد بن عبدالله بن مسعود بن أسعد أنه كان يقوم بإكرامها وتوفير متطلباتها وحاجاتها ، وكان لا يصلي القيام بالليل إلا وهي خلفه محبة فيها[٤] ، وقد عبر بعضهم عن حبهم لأبائهم بمجاملتهم بأبيات الشعر الجميلة التي تبين الصلة الوثيقة التي تربط بينهما ، وتفاخر الابن بالانتماء إلى أبيه ، ونستدل على ذلك من القصيدة التي كتبها الملك الواثق أبو المظفر نور الدين إبـــراهيم بـــن السلطان المظفر الأول لأبيه يمدحه فيها ويقول :

وما أنت إلاّ دوحة وأنا غصنها   وأحسن ما في الدوح غصن مثمر[٥]

وكثيراً ما كانت العلاقة بين الآباء والأبناء تشوبها بعض المشكلات والخلافات التي تؤدي إلى قسوة الأب على ابنه ، إلا أن ذلك يكون عرضياً أو نادراً أمام المحبة التي تكـــون راسخة من الطفولة ، ونستدل ذلك من خلال ما حدث بين السلطان المؤيد داؤد وولده الملـــك

---

[١] سوف يتم الحديث عن التعليم لاحقاً انظر : ص٣٢٥ - ٣٣٠ .

[٢] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٠٢ - ١٠٣ .

[٣] السمط الغالي الثمن ، ص٣٥٠ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٥٧ . وسوف يتم الحديث عن دور الأم في تربية أبنائها لاحقاً . انظر : ص٣٦٥ - ٣٦٦ .

[٥] الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص٧٦ .

المظفر حسن الذي كان مقطع صنعاء وعزله والده فجأة عنها لخلاف بينهما ، مما أصاب الملك المظفر بحالة مرضية أقعدته الفراش ، وقد آلم هذا الأمر والده الذي كتب إليه بإقطاع ما شاء من بلاد اليمن عله يشفى من علته ، فرد على والده السلطان ببيتين من الشعر :

فلما أحست بالفراق تعطفت ... علي وعندي من تعطفها شغل

وحالت حياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل

وقد أحزن البيتان المؤيد وأبكياه على ولده الذي مات وترك والده في حزنه وأسفه عليه[١] ، وقد كان موت الأبناء وفراقهم من أشد ما يحزن الوالدين ويتعس حياتهم ، وهو ما عبَّر عنه الشاعر إسماعيل المقرئ الذي فقد ابنته ، ومما زاد حزنه وبكاءه عليها أبناؤها الذين تركتهم في عنقه ، فكان يبكي كلما رآهم يكبرون أمامه[٢] .

وفي هذا الصدد ، فقد كان للتربية الصحيحة للأبناء دورها في أن يصبح الولد مشاركاً لأبيه في مشكلاته وهمومه ، كما يتحمل معه المصائب والمآسي التي يتعرض لها الأب ، ونستدل ذلك من خلال القصيدة التي كتبها الأمير أبوبكر بن الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول لأبيه وهو في سجنه ، إذ قال فيها :

إذا لم أقاسمك المسرة والأسى ... ولم أجد الوجد الذي أنت واجد

ولم أسهر الليل الطويل كآبة ... فما أنا مولود ولا أنت والد[٣]

لقد دفعت الخلافات الأسرية بين الأباء والأبناء بعض الأباء إلى الدعاء على أبنائهم ، وقراءة ما تيسر من القرآن لاسيما سورة يٰس تقرباً إلى الله لتحقيق دعاءهم ، إلا أن ما يربط بينهما من دم قد يدفع الأب إلى التراجع عن هذا الدعاء ليدعوا له بالهداية وحسن الحال[٤] ، لهذا كان للتربية الصحيحة وما يزرعه الآباء من قيم وأخلاق في نفوس أبنائهم دور في أن تكون تلك القيم رادعاً أمام تصرفات الأبناء وأخطائهم في حق آبائهم ، وقد نلاحظ ذلك الرادع والتربية الصحيحة في موقف الشاعر إسماعيل المقرئ من والده الذي أرسله إلى زبيد لدراسة العلوم الشرعية فحاد عنها بقول الشعر على أبواب السلاطين والملوك والأمراء مقابل ما يدفع له من الأموال ، كما شغله ذلك عن والديه وابتعد عنهم وقلّ تواصله بهم ، مما أغضب والده عند وصول خبره إليه ، فكتب إليه ينهاه عن الاشتغال بغير علم الشرع وعاتبه على هجره له ، وقد أثر ذلك في ابن المقرئ فامتثل أمر والده وترك الاشتغال بقول الشعر ووصل والديه ووقف عندهم ، واجتهد بطلب العلم الشريف إرضاءً لهما[٥] .

---

(١) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١١٨ .

(٢) أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٣) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٥ .

(٤) الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢١٨ .

(٥) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٠٢ – ٣٠٣ .

وفي الوقت نفسه ، سعى العديد من الآباء إلى البحث عن وسائل يضمنون من خلالها مستقبل أبنائهم مما يغنيهم عن الحاجة لغيرهم أو مد أيديهم إليهم ، لهذا سعوا إلى تدريب أبنائهم وتأهيلهم للإمساك بحرفة أو مهنة أو صنعة أو منصب يساعدهم مستقبلاً على العمل والاعتماد على النفس ، وإذا نظرنا إلى سلاطين بني رسول نلاحظ تركيزهم على هذه النقطة واهتمامهم بها حتى أنهم كانوا يؤهلون أبنائهم منذ الصغر على مهام الحكم والولاية ويشركونهم في الأمور السياسية والعسكرية للدولة لينخرطوا في الحياة ومشاغلها السياسية دون أن يواجهوا صعوبات تعيقهم عن قيادة الدولة إذا ما تهيأت لهم الأحوال للوصول إلى الحكم ، وكذلك فعل معظم أفراد الفئات والشرائح الاجتماعية الأخرى ، حيث ذهبوا إلى تعليم أبنائهم مهنهم لمزاولتها مستقبلاً فورث الكثير منهم مهن آبائهم[١] .

٣ – الترابط الأسري بين أفراد المجتمع :

شهد المجتمع في العصر الرسولي العديد من الخلافات الأسرية التي قامت بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولقد كان لتلك الخلافات دورها في إقامة هوّة كبيرة بينهم ، ومِنْ ثَمَّ زيادة التباعد والتنافر ، مع وجود صلة الدم والترابط التي كثيراً ما تعمل على إذابة تلك الخلافات وإنهائها والقضاء عليها .

وإذا نظرنا إلى العلاقة الأسرية التي كانت قائمة بين أفراد البيت الرسولي فقد واجهتها العديد من المشكلات سببها كثرة الصراعات حول السلطة والحكم ، وهو ما دفع سلاطين بني رسول إلى اتخاذ العديد من الإجراءات الصارمة والشديدة ضد منافسيهم من إخوانهم وأعمامهم وأبناء أعمامهم ، ومع ذلك بقيت الروابط الأسرية الداخلية متماسكة ومتينة ، ولم تزعزعها كثرة الخلافات التي كانت تنشب لأجل الوصول إلى سدة الحكم ، ونلاحظ ذلك من خلال العديد من المواقف العفوية التي تظهر لنا مدى قوة الصلة التي ربطت بين أفراد الأسرة الرسولية رغم خلافاتهم وكثرة صراعاتهم ، ومن هذه المواقف موقف الملك المفضل بن السلطان المنصور نور الدين عمر من أحد الهنود الجرخية[٢] التابعين لجنده ، والذي حاول قتل أخيه السلطان المظفر الأول بحربة جرخ كادت أن تقتل المظفر في أثناء حصاره لأخيه المفضل ووالدته بنت جوزة في حصن الدملوة ، ومع وجود الخلاف والصراع الشديد الذي كان بين المفضل والمظفر حول الحكم إلاّ أن هذا الأمر أغضب المفضل وأثاره ضد الهندي الجرخي بعدما رأى صنيعه

---

[١] هناك العديد من الأمثلة التي تثبت أن بني رسول كانوا يؤهلون أبناءهم بتوليتهم المناصب والاقطاعات وكذلك فعل كبار رجال الدولة والأشراف والمشائخ والعلماء والقضاة والحرفيين وأصحاب المهن . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٣ ؛ نور المعارف ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ج٢ ، ص١٦٥ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٣٠ ؛ ج٢ ، ص٨٧ ، ١٢٢ ، ٥٦٦ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٤٧ ، ٤٤٠ – ٤٤٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ .

[٢] وهم جنود ينتسبون إلى الجرخ وهي آلة حربية تستعمل لرمي السهام والنفط والحجارة . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٥٢ .

وأنكر عليه فعلته ، وقال له : " قد كان لك في العسكر المجال "[١] ، فاعتذر الجرخي للمفضل مبرراً موقفه أنه لم يكن على علم بأنه السلطان المظفر ، وإلاّ لِمَا حاول قتله[٢] ، وهذا يظهر لنا مدى خوف الملك المفضل على أخيه المظفر مع ما بينهما من صراع ، كذلك نلاحظ مدى قوة الترابط الأسري في موقف السلطان الأشرف الأول عمر من اعتقال أخيه الملك المؤيد داؤد وولديه المظفر والظافر ، وذلك بعد حروب مريرة أدت إلى انتصار السلطان الأشرف على أخيه المؤيد وتقييده بالحديد هو وولديه ، فقد تأثر الأشرف وبكى بكاءً شديداً وهو يرى أخاه وولديه مكبلين بالأغلال حتى أنه أمر بوضعهم في حصن تعز وإكرامهم وتوفير كل ما يحتاجون إليه من طعام وشراب دون أن يمنع عليهم شيء ، في حين بكى المؤيد بكاءً شديداً على أخيه الأشرف عندما سمع بموته وتأسف على ما كان بينهما وأمر بتجهيز جنازة تليق به وبمكانته بوصفه سلطاناً مع ما بينهما من صراع[٣] .

لقد دفعت الروابط الأسرية سلاطين بني رسول إلى تمييز معاملة المخالفين منهم في حالة القبض عليهم عن معاملة قادتهم والموالين لهم ، فأقاموا للمنافسين لهم من إخوانهم وأبناء عمومتهم معتقلات خاصة عُرِفَت بدار الأدب ، وهي بمثابة دار إقامة جبرية يقضي فيها المعتقل مدة زمنية ثُمَّ يتم إطلاق سراحه ليعيش تحت رقابة السلطان ، أو يأمر السلطان أن يعيش في منطقة تُحَددُ له مع أسرته ، على أن يوفر له كل ما يحتاج إليه من جامكية له ولأفراد أسرته وحاشيته وخدمه ، كما فعل السلطان المجاهد عند ما قبض على منافسيه من أبناء عمومته وهم الناصر محمد بن الملك الأشرف الأول عمر والأشرف بن الواثق إبراهيم وأبرز قادتهم ابن طرنطاي ودخل بهم تعز مقيدين ، وجعل الناصر والأشرف في برج الرماد بتعز ، وأرسل ابن طرنطاي إلى سجن العامة ، حتى أنه بعد مدة يسيرة من الزمن أمر بإطلاق سراحهما ، وفرض عليهما السكن في مناطق متفرقة ، وبقي مصير ابن طرنطاي مجهولاً في سجن العامة[٤] ، وقد بلغ من اهتمام سلاطين بني رسول بأقربائهم المحجوزين في تلك المعتقلات وغيرهم من الشخصيات ذات المكانة في المجتمع أنهم كانوا يوفرون لهم كل ما يحتاجون إليه من مستلزمات الحياة الضرورية التي تصلهم شهرياً إلى المعتقل ، كما يصرف لهم راتب شهري لصرفياتهم الخاصة في السجن ، ويصرف لأسرهم كل ما يحتاجون إليه ليقيهم عن الحاجة لغيرهم حتى يحافظوا على مكانتهم بين الناس[٥] .

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٠ – ٢٩١ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٩١ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٦٢ ، ٤٦٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٩ ؛ ج٢ ، ص٣١ ؛ العسجد المسبوك ، ق١٤٣أ ، ١٧١ب ، ١٧٢ب ، ١٧٧ب ، ١٧٨ب ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٦

[٥] عن الوضع المادي لأفراد الأسرة الرسولية المعتقلين في سجون بني رسول وما يصرف لهم انظر لاحقاً : ص٢٩٩ – ٣٠٠ .

وفضلاً عن ذلك ، حاول بعض السلاطين الحفاظ على مكانة بني رسول بين الناس بعدم السماح لأحد بمحاسبتهم ، وهو ما يبين لنا قوة الترابط الذي كان قائماً بين أفراد البيت الرسولي ، ومن ذلك ما يذكر عن موقف السلطان المظفر الأول من تصرفات بعضهم الذين استغلوا قربهم من السلطان وانتمائهم إلى الأسرة الحاكمة ليقوموا بالسطو على بيوت الناس ونهبها حتى أن شكاوى الناس وولاة المناطق المتضررة الذين طالبوا من السلطان معاقبتهم لأفعالهم قوبلت برد قاسٍ من المظفر الذي عاد جوابه إليهم ببيت شعر قال فيه :

وإن كنت أكالاً لحوم بني أبي فلست بمهديها إلى كل جازر[١]

وزيادة على ذلك ، نلاحظ مدى قوة وترابط العلاقة بين أفراد الأسرة الرسولية في رد السلطان المجاهد لوالي مدينة زبيد محمد بن أحمد الجرتبرني الذي كتب إليه يشكو من تصرف أحد أمراء بني رسول ، وهو الأمير شرف الدين محمد بن الأمير صلاح الدين أبي بكر بن السلطان الأشرف عمر بن رسول الذي كان يتصرف في قرية النويدرة في زبيد لإقامته فيها وكأنه الوالي والمتنفذ حتى أنه كان يعامل السوقة والمجرمين ومن لا إنسانية لهم بما يليق بهم فيستعمل العنف والقوة معهم ولا يتوانى عن البطش بمن يحاول الاعتداء على أحد من عامة الناس الذين تداخل معهم واختلط بهم وصار أحداً منهم دون أن يعطي لوالي المدينة مجالاً للتصرف مع هؤلاء الذين تضرروا منه ، فتقدموا بشكواهم إلى الوالي طالبين منه وقف تصرفات الأمير شرف الدين الذي وصل به الأمر إلى أن يأمر غلمانه باحتكار تجارة الحناء دون العودة لضامن الحناء في المنطقة ، وقد جاء رد المجاهد لوالي زبيد صارماً حاداً مظهراً موقفه من أي تصرف قد يصدر من أي فرد من الأسرة الرسولية ، إذ قال في رده : " يا محمد أما رضيتم ببعض بني رسول أن يبيع عندكم الحناء فلا وسعه الموضع ، إذا قدرت أن تقصره فاقصره ، وأما نحن فلا نمنعه عن شيء من ذلك " فامتنع الأمير وغيره عن معارضته[٢] ، وهو ما أعطى لجميع بني رسول هيبة ومكانة بين خاصة الناس وعامتهم مع وجود الصراع المرير والدامي الذي كان قائماً بينهم .

لقد كانت الحمية والنصرة داخل الأسرة اليمنية دافعاً جعل الكثير من الناس يتغاضون عن المشكلات التي كانت قائمة بينهم إذا ما لاحظ بعضهم أن هناك ما يضر أخاه أو قريبه مع ما بينهم من خلاف ، وهو ما التمسناه من خلال موقف الأمير أسد الدين المتحالف مع الأشراف ضد ابن عمه السلطان المظفر الأول حين دخل معه في صراع مرير ؛ فقد بلغه في إحدى المعارك أن الأشراف كثفوا من عساكرهم للقضاء على عسكر المظفر مما أثار حميته مع ابن عمه مع خلافه معه ومناصرته للأشراف ، ووصل به الأمر إلى الاجتماع مع قائد

---

(١) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٩ – ٥٥٠ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٨ب ، ١١٩أ .

(٢) الخزرجي : المصدر نفسه ، ق١١٩أ .

عسكر المظفر ليخبره بخطة الأشراف الهادفة إلى هزيمة جيش ابن عمه[١] ، في حين كانت كلمات أسد الدين التي أعلنها عندما قرر العودة إلى طاعة ابن عمه المظفر – مع ما نصح به من عقاب السلطان الذي قد يؤدي إلى حبسه – دليل على قوة الروابط الأسرية بين بني رسول والتي قال فيها : " يأكلني ولا يأكلني غيره ، ولأن يقال : أعتاب بي السلطان خير من أن يعتابني بعض البدو أما بقتل أو بأسر "[٢] ، في حين شهدت الروابط الأسرية بين بقية فئات المجتمع قوة وتماسكاً ، وبلغت قوة الترابط بين الإخوة إلى قيام بعضهم ممن وصلوا إلى مناصب عليا في الدولة بتقريب بعض أفراد أسرهم ، لاسيما إخوانهم ليكون لهم نصيب في وظائف الدولة ، وليكونوا سنداً لهم عند المحن ، مثلما فعل القاضي البهاء محمد بن أسعد بن محمد بن موسى بن عمران عندما أراد تقريب أخاه حسان فرشحه أمام السلطان المظفر الأول ليكون وزيراً لولده الملك الأشرف عمر بعد أن استخلفه في الحكم سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م[٣] ، ومما يزيد من قوة العلاقات الأسرية بين عامة الناس المصائب والمحن والمشكلات التي قد يتعرض لها أحدهم فتثير من حوله من أفراد أسرته أو قبيلته الذين يلتفون لنجدته وحمايته أو مساعدته متى ما تعرض لمصيبة ما أو مشكلة مفاجئة[٤] .

٤ – العلاقات الاجتماعية بين الناس في المجتمع :

عُرفت العلاقات الاجتماعية التي نشأت بين الناس في عصر بني رسول بمتانتها وقوة ترابطها ، لِمَا كان بينها من تقدير وتبادل احترام ، وتحتوي المصادر التي أرَّخت للدولة الرسولية على العديد من الأمثلة التي تنطبق على مختلف فئات المجتمع دون استثناء ، وإذا نظرنا إلى علاقة سلاطين بني رسول بكبار موظفيهم نجد فيها الكثير من التقدير والاحترام الذي تثبته المواقف المختلفة ، كالمبالغة في الاستقبال وصرف الرواتب والهبات والهدايا[٥] حتى مع صغار الموظفين وأقلهم مكانة ، وقد بلغ من احترام سلاطين بني رسول لهم أنهم عملوا على توفير كل ما يحتاجونه بما في ذلك أيسر الأمور[٦] ، وبلغ من حلم وحكمة بعض السلاطين إلى أن يتغاضوا عن بعض الأمور غير المقصودة التي قد تصدر عن بعض غلمانهم وعبيدهم وصغار موظفيهم محاولين العفو عنهم ومسامحتهم[٧] .

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٦٩ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٣ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٤٢٦ .

[٤] للمزيد من التفاصيل عن قوة العلاقات الأسرية بين عامة الناس في داخل القبيلة وغيرها انظر فيما سبق : ص٤٤ – ٤٦ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٤٢ – ٢٤٣ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٥ – ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٤٦ ، ٥٦٥ – ٥٧٠ .

[٧] عن عقل وحكمة السلطان المجاهد مع مماليكه في بعض المواقف انظر : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٣٠٠ – ٣٠١ .

وفضلاً عن ذلك ، فقد ارتبط بنو رسول بعلاقات طيبة مع بقية أفراد الفئات الاجتماعية الأخرى من خاصة الناس وعامتهم ، وراحوا يكرمونهم ويتعاملون معهم ويتصدقون عليهم ويجالسونهم ويتبادلون معهم الهدايا والزيارات ، ويشاركونهم في مناسباتهم المختلفة مع فقر بعضهم وبساطة حالهم[١] ، كما تداخل الناس على اختلاف مراتبهم ومستوياتهم بعلاقات متينة وطيبة مع بعضهم ، وراحوا يتبادلون الزيارات والهدايا ويشاركون بعضهم في المصائب والمحن[٢] .

ثانياً : الأوضاع المادية للناس والعوامل المؤثرة عليها :

مما لاشك فيه أن للمال دوراً كبيراً في تصنيف الناس في المجتمع ، وتحديد مستوياتهم ومراتبهم الاجتماعية ، حيث ساعد كثرة المال على وضع الناس في الموقع أو الترتيب الذي يتناسب ومستوى ما يملكونه ، وقد أدى التفاوت في امتلاك الأموال والأملاك إلى التباين بين أفراد الفئة الواحدة ، كما أدى ذلك إلى حدوث تداخل بين أفراد بعض الفئات ، وهو ما يمكن أن نلاحظه على أفراد فئة التجار الذين تفاوتت أوضاعهم المادية ، مما جعل بعضهم يدخل ضمن طبقة الخاصة ، والبعض الآخر ضمن طبقة العامة لمحدودية رأس المال الذي يمتلكونه ومحدودية علاقاتهم التي لم تؤهلهم لبلوغ ما بلغه غيرهم من أصحاب رؤوس الأموال .

١ - الوضع المادي والمعيشي للناس في المجتمع :

اختلف الوضع المادي والمعيشي للناس في العصر المذكور باختلاف مستوى دخلهم ، فكان لكل أفراد فئة معينة أحوالهم الخاصة التي تختلف عن أحوال غيرهم من أفراد الفئات الأخرى ، فإذا نظرنا إلى أفراد طبقة الخاصة نجد أنهم كانوا من أكثر الناس اكتساباً للأموال والأملاك ، مما ميزهم عن غيرهم من أفراد طبقة العامة ، في حين تميز بنو رسول وأبناؤهم وأقرباؤهم في وضعهم المادي عن غيرهم من أفراد طبقة الخاصة ، الأمر الذي جعلهم في أعلى السلم الاجتماعي ، وهو ما يشير إليه الرحالة ماركو بولو[٣] في أثناء حديثه عن أملاك سلطان عدن – السلطان المظفر الأول – الذي يقول عنه أنه كان يملك الكنوز الطائلة والأموال التي كان يحصل عليها من مصادر مختلفة منها الضرائب والمكوس ، ويتضح لنا من خلال حياة الترف التي عاشها بقية سلاطين بني رسول أن الأوضاع المالية لهؤلاء كانت جيدة لتنوع مصادر الحصول عليها ، مما جعلهم يعيشون في أفضل مستوى بين خاصة الناس وعامتهم[٤] ، إذ

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ ، ١٢١ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ؛ ج٢ ، ص١٣٩ ، ١٥٧ ، ٢٣٠، ٢٣٢ – ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٨ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٤٨ ، ٣٢١ .

[٢] انظر عن هذه العلاقات فيما سبق : ص٢٦٧ .

[٣] رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٩١ – ٩٢ .

[٤] عن هذا المستوى الرفيع انظر فيما سبق : ص٢٠٥ – ٢١٢ .

ساعد على انتعاش وضعهم المادي امتلاكهم لمساحات شاسعة وواسعة من الأراضي الزراعية وبساتين النخيل ، وقد لقيت هذه الأملاك عناية واهتماماً من قبل السلاطين الذين راحوا يتفقدونها بين الحين والآخر ، كما سعى بعض هؤلاء السلاطين إلى توسيع أملاكهم بشراء أراض زراعية وبساتين نخيل واسعة وذات مردود ، مثلما فعل السلطان الأشرف الثاني عندما اشترى أراضي زراعية من ورثة الفقية جمال الدين الريمي وغيرهم في ناحية التحيتا وهـي التـي تعـرف بسرياقوس الأسفل ، وقد كان ينزل إليها بنفسه لتفقدها والإشراف عليها[١] .

وفي الوقت نفسه ، عاش أبناء السلاطين وأحفادهم في أوضاع مادية جيدة ، وامتلكوا الإقطاع والضياع ، ومدوا في مساحة أملاكهم بشراء الأراضي الزراعية التي وسعت مـن ممتلكاتهم الخاصة ، وممن يذكر بكثرة أملاكه من أبناء سلاطين بني رسول الملك الأشـرف الأول عمر الذي كان يملك قبل توليه العرش المساحات الواسعة من الأراضـي والبسـاتين المليئة بأنواع النخيل وأفضلها وأجودها وأطيبها في زبيد وغيرها ، وتذكر المصادر أمـلاك الأشرف التي بلغ بعضها قرى وحصون تضم مساحات واسعة جداً ، وقـد أصـبحت تلـك الأراضي مصدر دخل للأموال خاصة للأشرف وغيره من أبناء السلاطين[٢] ، وقد كانت تلك الأموال دافعاً جعل أبناء السلاطين يعملون على إظهار ما تدره هذه الأراضي مـن أمـوال عليهم من خلال التنعم بها وتوفير وسائل الراحة والبذخ التي تظهر أن هناك أمـوالاً كبيـرة كان هؤلاء يحصلون عليها سواءً من هذه الأراضي أو من غيرها[٣] ، وتكشف لنا دواويـن الخراج عن مدى حجم الأملاك التي حظي بامتلاكها أبناء السلاطين الذين زاد من تضـاعف ثرواتهم خضوعهم لنظام المسامحات والإعفاءات في خراج أراضيهم الذي طبق على أملاكهم وأملاك أبنائهم وأقربائهم ، مما أدى إلى تزايد ثروتهم وأملاكهم التي انتشرت ووزعت على مساحة واسعة من أرض اليمن لاسيما منطقة تهامة التي عرفت بخصوبة تربتهـا الصـالحة للزراعة وببساتينها ومزارعها المتنوعة[٤] .

أما أمراء الأسرة الرسولية من أقرباء السلطان فقد ميزوا بأوضاعهم المادية الجيـدة التي رفع من شأنها ما كان يصرف لهم من قبل الدولة من جوامك أو رواتب مغرية خارجـاً عن العطايا والهبات والهدايا وغيرها من المواد الغذائية والكسوات التي كانت تسلم شهرياً أو سنوياً لهم ولأسرهم ، وإذا نظرنا إلى ما كان يدفع للأمير أسد الدين محمد بن الحسـن مقطـع صنعاء من جامكية لوجدنا أن بني رسول ميزوا أقرباءهم وأبناء عمومتهم في الجوامك عـن

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٢ ، ٢٨٣ .

[٢] عن أسماء هذه الأملاك انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠١ – ٤٠٦ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص٥٥٤ – ٥٥٥ ، ٥٥٦ – ٥٥٩ ؛ ج ٢ ، ص٢٥ – ٢٧ .

[٤] الديون المالي المعمور ، ق١٧ب ، ١٨أ ، ١٩أ .

غيرهم من كبار موظفي الدولة ، إذ كان السلطان المظفر الأول يصرف لأسد الدين سنوياً ستين ألف دينار ، حساباً عن كل شهر خمسة آلاف دينار خارجاً عن الهدايا والعطايا ، وما كان يتحصل عليه من أموال في أثناء إقطاعه صنعاء[١] ، وقد ساعدت هذه الرواتب المرتفعة وما يضاف إليها من هبات وعطايا إلى أن يمتلك أفراد الأسرة المالكة وأمراؤها مثل الأمير أسد الدين محمد بن الحسن وأخيه فخر الدين والشيخ علي بن يحيى العنسي ومحمد بن أحمد بن خضير وأخيه فخر الدين أبي بكر بن أحمد بن خضير وغيرهم ممن ينسبون إلى البيت الرسولي الأملاك من الأراضي الزراعية الشاسعة وبساتين النخيل[٢] التي كانت تنتشر في مختلف مدن اليمن[٣] ، ومن الملاحظ أن امتلاك أمراء بني رسول للإقطاع والأراضي والجوامك المرتفعة لم يستمر حتى انتهاء دولتهم لأسباب أهمها : كثرة الخلافات التي كانت تقوم بينهم ، وما ترتب عليها من قيام بعض السلاطين بالتوقف عن صرف الرواتب والعطايا والهبات لبعضهم ومصادرة أملاكهم ، فضلاً عن توسع أفراد الأسرة الرسولية وزيادة عددهم وتفرعاتهم ، ومِنْ ثَمَّ اتجاه العديد منهم في أواخر دولتهم للعيش بين العامة من الناس ، ومزاولة بعض أعمالهم التي تبين لنا مدى الوضع المادي المتدهور الذي وصل إليه بعض بني رسول قبل انتهاء دولتهم ، مما دفع بعضهم للعمل جمالين على الجمال ينقلون البضائع والبشر من مكان إلى آخر للحصول على ما يسد جوعهم وجوع أطفالهم[٤] ، كما دفعت الأوضاع المادية الصعبة بعض أقرباء بني رسول إلى السطو على أموال الناس[٥] ، وهو ما يظهر لنا الفرق الواضح بين أحوالهم المادية والمالية في مدة قوة دولتهم وعزها ، وأوضاعهم المادية الصعبة في أواخر عصر دولتهم عند ضعفها[٦] .

وإذا نظرنا إلى الأوضاع المادية والمعيشية للسجناء السياسيين من ملوك بني رسول وأمرائهم وكبار الشخصيات في دولتهم القابعين في دور الأدب لمواقفهم المعارضة للدولة نجد أنها كانت جيدة ، إذ كانوا يعيشون وأسرهم في مستوى معيشي أفضل مع وجودهم خلف أسوار السجون ، بعد أن استمر سلاطين بني رسول في صرف جميع المستحقات المالية التي

---

(١) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٣٥ .

(٢) الديوان المالي المعمور ، ق١٦٨ب ، ١٦٩أ– ب ، ١٧٠أ– ب ، ١٧١أ . وانظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٢٤ .

(٣) يذكر الوصابي أن الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول اشترى من ماله الخاص أراضي وقرى كاملة منها الناصرة بالسحول والحجانتين قبليها والحبالي وعكار في الجند وغيرها . انظر : تاريخ وصاب ، ص١١٢ .

(٤) عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٦ .

(٥) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٩ .

(٦) يرى بعض الباحثين أن مرحلة الضعف في جسم الدولة الرسولية ابتدأت منذ عصر السلطان الناصر سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م وما بعده . شكري ، محمد سعيد : في التاريخ السياسي للدولة الرسولية (٦٢٨ – ٨٥٨هـ / ١٢٣٠ – ١٤٥٤م) ، بحث منشور في كتاب المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٣٤ – ٣٥ .

كان يستلمها هؤلاء وهم في مناصبهم ، فيذكر أن أولاد الأمير علي بن يحيى العنسي كانوا يستلمون سنوياً خمسة آلاف دينار نقداً ، إضافة إلى ما يصرف إليهم من حبوب الذرة وغيرها ، أما ما يصرف له وهو في السجن فكانت مائتين دينار يستلمها نقداً في آخر كل شهر ، كما يستلم أولاده كل أربعة أشهر مواداً غذائية وبهارات ومكسرات وتوابل ومشروبات وغيرها ترسل لهم من عدن وزبيد وجبلة ، وهو ما كان يطبق أيضاً على بقية السجناء السياسيين منهم الأمير أسد الدين محمد بن الحسن ومحمد بن أحمد بن خضير وغيرهم[١] .

وفضلاً عن ذلك ، مُيز أفراد فئة السادة الأشراف بأوضاع مادية واجتماعية خاصة لاسيما الحكام الأشراف من الحمزيين المقيمين في الأجزاء الشمالية من اليمن ، وقد كان أبناء الإمام عبدالله بن حمزة من أكبر ملاك الأراضي في هذه الأجزاء ، إذ امتدت أملاكهم من منطقة صعدة وحتى أراضي زهران[٢] ، وهي أراضي شاسعة تعود ملكيتها إليهم بعد أن قاموا بشرائها من ملاكها الأصليين الأقشور رأس الركب من الأشاعر بيعاً وشراءً[٣] ، كما امتلك بعض الأشراف أراضي زراعية واسعة وحصوناً في صنعاء وما جاورها جنوباً وشمالاً ، ومن الملاحظ أن تلك الأراضي كانت تجني لهم الأموال الطائلة ، إلاّ أن ما رفع من شأن بعضهم وحسن من وضعهم المادي والمعيشي دخولهم في خدمة بني رسول الذين أنعموا عليهم بالأموال والكسوات والإنعامات ، حتى أنهم بتلك الأموال كونوا الجيوش التي كانوا كثيراً ما يجابهون بها الدولة الرسولية عندما يختلفون مع سلاطينها[٤] .

ومهما يكن الأمر ، فقد عاش هؤلاء الأشراف الزيديون حياتهم بخلاف ما عاشه أكثر السادة الأشراف من أصحاب المذهب السني في بعض المناطق اليمنية منها تهامة وحضرموت وغيرها ؛ لاتجاه معظم هؤلاء إلى حياة العلم والفقه وعملهم في التدريس والقضاء والتأليف وغيره ، لذلك كانت أوضاع أكثرهم المادية بسيطة لبساطة ما كانوا يتحصلون عليه من أجر يكفيهم لعيش حياة متواضعة بين الناس ، فضلاً عن امتلاك بعضهم أراضي زراعية يبدو أنها كانت تأتي لهم بالخير والأموال ، لِمَا تشير إليه بعض المصادر من تكفل بعضهم ببناء مساجد وتحمل مصاريفها والقيام بها وبالعاملين فيها[٥] ، في حين برز من بين بعض كبار ملاك تهامة أشراف عرفوا بغناهم الفاحش منهم الأشراف بني المهنا من بني زكريا الساكنين بجهة وادي مور الذين كانت لديهم دنيا واسعة يأكل منها الوارد والصادر ولا ينقطع عنهم الوافد ساعة واحدة ، حتى أن الطواحين في بيوت بعضهم منها بيوت الشريف أبي عبدالله محمد بن مهنا

---

[١] للمزيد من التفاصيل عن هؤلاء وما يصرف لهم من ملابس وكسوات وغذاء انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٧١ – ٥٧٤ .

[٢] زهران : من قبائل عسير في شمال اليمن . الحجري : مجموع ، مج١ ، ج٢ ، ص٣٩٦ .

[٣] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

[٤] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٨ ، ٢٧٣ .

[٥] انظر : الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣١٧ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٩٥ – ١٩٨ ، ٢٢٣ ، ٣٨١ .

بلغت أكثر من عشرين طاحونة لا تتوقف لكثرة ضيوفه ، وقد ملك من المواشي (الإبل والبقر والغنم) ما يملكه كبار ملاك تهامة[١] ، لذلك عد الأشراف من أكثر الناس تميزاً لانتمائهم إلى آل البيت ، ولوضعهم المادي الجيد ، ولاتجاههم إلى طلب العلم وفعل الخير .

أما مشائخ القبائل فقد حدث تفاوت كبير في مستواهم المادي والمعيشي لاختلاف مصادر الدخل بالنسبة لكلّ منهم ، علماً بأن معظمهم نُصّبُوا في مواقعهم هذه داخل قبائلهم بالوراثة بعد آبائهم بغض النظر عن الوضع المادي لهم ، ومع ذلك تمتع هؤلاء بنفوذ واسع وكبير في داخل قبائلهم ، ونتيجة لأوضاع بعضهم الصعبة ربط معظمهم علاقاته مع سلاطين بني رسول بالولاء والطاعة ، وكانوا يسيرون بين الحين والآخر إليهم طالبين منهم الصدقات السلطانية التي لم يتوانَ السلاطين عن دفعها أو إرسالها لهم بين الفينة والأخرى[٢] ، في حين عاش فرع آخر من المشائخ لاسيما كبار الملاك منهم الذين تخضع لهم مناطق واسعة بقبائلها وحصونها وأراضيها ومزارعها حياة جيدة لوقوع هذه القبائل بأفرادها تحت حكمهم ، وبذلك يكون هؤلاء المشائخ مسؤولين عن جميع أفراد هذه القبائل ويتولون جبايتهم ، وأخذ الضرائب والخراج منهم نيابة عن الدولة التي تفوض الشيخ في هذه المسألة ، وبالمقابل يتعهد الشيخ دفع مبالغ مالية سنوية للدولة يتفق في تحديدها مع السلطان ، وقد ساعد هذا الأمر هؤلاء المشائخ على امتلاك الأراضي والعقارات والمزارع والبساتين والأموال وغيرها ، لما كانوا يأخذونه من رعاياهم ، حتى أن ذلك الأمر جعلهم لا يختلفون في نمط حياتهم المادية عن نمط حياة السلاطين والملوك ، بل قد يفوقونهم ؛ لما يدخل عليهم من أموال تجنيها أراضيهم ومزارعهم فقط ناهيك عمّا يستفيدونه من جباية الناس[٣] ، ودفع هذا الأمر بعض سلاطين بني رسول إلى إرسال بعض رجالهم إلى هؤلاء المشائخ للتحقق مما يملكونه من أموال وأراضي وعقارات ، كما فعل السلطان المظفر الأول عندما أرسل أحد طواشيه إلى الشيخ الزنين بن سهل شيخ الزنيين في تهامة للتحقق من أملاكه ، فكان يسير معه بين أراضيه عند جنيه لبعض الثمار ، فشاهد العجب يوم جنا الشيخ المذكور القطن (العطب) من أراضيه في جهة الرماة من تهامة ، إذ يأتي المشتري ليأخذ يومياً بعشرة آلاف دينار زيادة عمّا يوهبه له هدية ، وما يشتري للعاملين في أرضه من طعام ، وما يسرق منها تحت علمه ومعرفته ، وعندما عاد الطواشي بهذا التقرير عن أملاك وأراضي هذا الشيخ وما تجنيه تعجب السلطان لما يملكه من دنيا واسعة[٤] .

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٩٢ – ٢٩٣ .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٦٧ ، ١٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٣٢٩ – ٣٣١ .

[٣] عن بعض هؤلاء المشائخ انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٩٣ – ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٤٠٨ – ٤٠٩ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٢ب ، ٤٣أ ، ٤٩ب ، ٥٠أ .

[٤] المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٤٢ب ، ٤٣أ .

وإذا نظرنا إلى الأوضاع المادية لكبار الموظفين في الدولة من الوزراء والقضاة والأمراء العسكريين والمدنيين ورجال البلاط السلطاني لوجدنا أنها تميزت بالراحة التامة مع عدم وصولهم إلى ما وصل إليه بنو رسول من الأملاك والأموال ورغد العيش ، ولم تشر المصادر إلى ما كان يتقاضاه هؤلاء من جوامك ، علماً بأن رواتبهم لم تكن تخضع للضريبة والخصم كبقية الموظفين في الدولة[١] ، لذلك يبدو أنهم كانوا يحصلون على أرزاق ورواتب شهرية مرتفعة تقوم بكفايتهم ، حتى أنها مكنتهم من العيش في مستوى اجتماعي رفيع لاكتسابهم الأموال من وراء عملهم الذي قربهم من السلطان ، مما ساعد بعضهم على امتلاك الأراضي والأملاك ومناخات الجمال مثل الزعيم شجاع الدين بن افتخار ملتزم وادي مور ووالي منطقة المحالب في عصر السلطان المجاهد الذي بلغت جمال مناخه خمسمائة جمل خارجاً عن أرضه وأملاكه[٢] ، فضلاً عمّا كان يصرف لهم من أراضٍ وعطايا وهبات وكسوات ودواب زادت من تحسن أوضاعهم المادية والمعيشية ومكنتهم من أن يصبحوا من كبار الملاك للأراضي والعقارات[٣] ، من دون الأموال التي كان يتحصل عليها بعضهم عن طريق استغلال منصبه وموقعه ونفوذه ، الأمر الذي دفع بعض سلاطين بني رسول إلى مصادرة أموالهم وممتلكاتهم في حالة اشتبه في مصادر دخلهم[٤] .

كما عاش بقية كبار الموظفين المقربين من السلطان الرسولي على ما كان يصرف لهم من جوامك رفعت من مكانتهم وميزتهم عن غيرهم وهو ما قد نلاحظه في الراتب الكبير الذي كان يُدفع لأبي المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد كاتب الدرج في عصر السلطان المؤيد داؤد[٥] ، ومما زاد من تحسين أوضاع هؤلاء ما كان يوهب لبعضهم من أموال وذهب من السلطان ، ويذكر أن السلطان المؤيد دفع للقاضي صفي الدين عبدالله بن عبد الرزاق الواسطي حال تعيينه رئيساً لشد الاستيفاء المسؤول عن جميع الشدود ألفين مثقال من الذهب العين[٦] ، الأمر الذي قد ينقل وضعه المادي والمعيشي ليصبح من أغنى الأغنياء .

---

[١] نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٨ .

[٢] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٦أ – ب .

[٣] عن بعض هؤلاء الأمراء والإقطاعيين والخواص وما يعطى لهم انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٢٦ – ٣٦ ؛ ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٥٤ ، ٣٠٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٤١٥ ؛ ج٢ ، ٢١٨ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٩٨أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٧ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ٢٥١ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥ .

[٤] ابن عبد المجيد : المصدر نفسه ، ص٢٨٣ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٧٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٢ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٦٠أ ؛ مجهول : المصدر نفسه ، ص١٤٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٦ – ٥٧٧ .

[٦] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨١ .

أما الأوضاع المادية للعلماء من القضاة والفقهاء والمدرسين والقـراء والمـؤذنين وغيرهم نجد أنها اختلفت من شخص إلى آخر ، فكان لقرب هذا العالم أو الفقيه من السلطان أو أحد المقربين منه والعمل بين يديه دور في تميز مستواه المادي والمعيشي عن غيره مـن أفراد هذه الفئة ، لِمَا كان يصرف لهم من رواتب وهبات وعطايا جعلتهم يعيشون في مستوى اجتماعي رفيع[١] بين فئات طبقة الخاصة ، أما بقية أفراد هذه الفئة الذين يدخلون ضمن طبقة العامة ، فكانوا يعملون بعيداً عن أصحاب النفوذ ، ولم تربطهم بهم صلات أو علاقات ، وعاشوا حياة بسيطة لمستوى دخلهم المادي المتواضع ، فمثلاً كان القضاة يتحصلون على رواتبهم من جزية اليهود مع أن المصادر لم تحدد ذلك الراتب الذي قد يكون خمسة عشر ديناراً وهو ما يؤخذ من يهود منطقة الجند ويصرف للقضاة مقابل عملهم[٢] ، بينما نجد إشارة أخرى تذكر أن القضاة في مدينة عدن كانوا يتقاضون ما بين ثلاثين إلى أربعين ديناراً شهرياً ، مما جعلهم يعيشون حياة متواضعة ، لاسيما من تميزوا منهم بالنزاهة والزهد وقنعوا بما كان يوهب لهم ، ولم يمدوا أيديهم لأموال غيرهم منهم القاضي أبي بكر بن محمد بن أحمد الجنيد قاضي عدن الذي بلغ من زهده أنه كان يملك بذلة واحدة لا غير ، مما دفع السلطان المظفر الأول إلى أن يزيد راتبه من ثلاثين إلى أربعين ديناراً[٣] .

وقد دفع الفقر والحاجة بعض ممن كانوا يتولّون منصب القضاء منهم القاضي جمال الدين محمد بن عمر الحريري (ت : ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) إلى بيع ما يملكونه من كتب نفيسة لاسيما في أواخر عصر الدولة الرسولية في عهد السلطان المسـعود ، لِمَـا وصـلت إليـه أوضاعهم من تدهور[٤] ، في حين اختلفت أحوال الفقهاء من الأئمة في المساجد وخطبائهـا ومؤذنيها ومدرسيها ومن قام مقامهم في المدارس أيضاً ؛ إذ كان للوقـف الـذي يخصـص للمسجد والمدرسة دوره في تحديد المستوى المعيشي لهؤلاء ، فكلما كان الوقف كبيـراً زاد ذلك في الراتب الذي يصرف لهم والعكس إذا كان الوقف يسيراً ، ومن الملاحظ أن أوضاع المذكورين في المدينة اختلفت عنها في الريف ، إذ إن أوضاعهم في المدينة عادة ما تكـون أفضل لسعة وقـف المساجد والمدارس ومِنْ ثَمَّ سعة ما يؤخذ منه من مال ، لاسيما إذا كان الوقف أرضاً زراعية واسعة ومثمرة ومنتجة أو حوانيت أو محلات أو فنادق أو غيرهـا[٥] ، وتشير الوثائق والوقفيات التابعة لأملاك سلاطين بني رسول إلى ما كان يصرف للعاملين فـي هذه المدارس والمساجد من رواتب شهرية وإكراميات سنوية تدفع إلـيهم نقديـة أو عينيـة

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٩٥ .

[٢] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٨ ، ٥٢ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٧٥ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٥٢ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٢٧ .

[٥] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٩ .

بالزبدي[١] الذي يعد المكيال الرسمي الذي تكال به الحبوب لهؤلاء الموظفين . ومن خلال ما تورده هذه الوقفيات نستنتج أن أئمة المساجد ومِنْ ثَمَّ المدرسين منهم مدرس الفقه والنحو والحديث والمقرئ والمعيد كانوا يتحصلون على راتب مقداره عشرون ديناراً ، إضافة إلى واحد وأربعين زبدي من الحبوب شهرياً ، باستثناء مدرس الفقه الذي كان يصرف له ثلاثة وثمانون وثلث زبدي من الحبوب وخمسون ديناراً شهرياً دون أن تحدد هذه الوقفيات السبب ، كما يصرف لكل هؤلاء سنوياً كسوة عبارة عن مقطع بياض (قطعة قماش بيضاء) أو ثوب خام ، في حين يصرف للمؤذن عشرون زبدياً وعشرون ديناراً شهرياً وكسوة سنوية مثلما يصرف لغيره ، كما يدفع لمعلم الصبيان واحد وأربعون زبدياً ويحرم من الراتب والكسوة السنوية دون تحديد السبب[٢] ، في حين عاش غيرهم في الأرياف حياة يسيرة فقيرة لاعتمادهم على ما يقدم لهم من وقف هذه المساجد أو المدارس التي عادة ما يكون يسيراً وقليلاً ، لقلة ما تقدمه الأرض الموقوفة على المدرسة أو المسجد لوقوعها في مناطق ريفية بعيدة قد تكون قليلة الماء أو الزرع ومِنْ ثَمَّ قلة مردودها .

وفي هذا الصدد ، لم تزد بعض الأعمال التي اشتغل بها بعض العلماء حالهم إلاّ سوءاً للمردود القليل الذي كانوا يحصلون عليه من ورائها مثل نسخ الكتب والطب والشعر وغيره ، إذ تذكر بعض المصادر أن بعض العلماء من الفقهاء كانوا يقتاتون من العمل بنسخ الكتب للاستعفاف بها من الفقر مع أن العمل بها لم يكن مجزياً لدى الفقهاء غير المشهورين عند الناس ، لهذا عاشوا حياة فقيرة لم تمكنهم حتى من إيجاد ما يفطرون به صومهم[٣] ، في حين تهافت الناس على ما ينسخه بعض الفقهاء المشهورين بالعلم والصلاح والمعروفين بالدين والزهد حتى أنهم كانوا يبالغون في أثمان ما ينسخه هؤلاء تبركاً بهم منهم الشيخ جمال الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن عمر الحرازي المشهور بالرعياني (ت : ٨٥١ هـ / ١٤٤٧م) والفقيه أبي بكر علي بن محمد الحداد (ت : ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) الذي كان لا يخرج الكتاب من بين يديه إلاّ مصححاً منقحاً[٤] ، أما الأطباء فمع الدور الذي يؤدونه في المجتمع إلاّ أننا لم نجد أية إشارة لأوضاعهم المادية والمعيشية التي يبدو أنها كانت أفضل من

---

(١) الزبدي : هو مكيال يستعمل لكيل الحبوب على اختلافها ، بما فيها الدقيق وأنواع أخرى من الأطعمة ، ويختلف في عياره من منطقة إلى أخرى ، وقد وجد في اليمن في عصر الدولة الرسولية مكيالين أساسيين يعاير بهما بقية المكاييل الأخرى ، أحدهما يستعمل في مدينة زبيد وأعمالها ويعرف بالزبدي السنقري الذي ينسب إلى الأمير سيف الدين سنقر بن عبدالله الأتابك ، والآخر يستعمل في مدينة تعز وعرف بالزبدي التعزي . للمزيد من التفاصيل عن الزبدي انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٤٠ – ٣٤٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨٠ – ١٨١ . وعن مقاس هذا المكيال انظر لاحقاً : ص٣٢١ .

(٢) انظر : الوثائق التعليمية ، ص١٣ ، ١٦ .

(٣) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١١٠ .

(٤) البريهي : المصدر نفسه ، ص٢٣٣ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٩٢ .

غيرها لمَا كانوا يحصلون عليه من وراء معالجتهم للناس ، في حين عـاش الفقهـاء الـذين تخصصوا في قول الشعر على ما كان يعطى لهم من وراء مدحهم لكبار الشخصـيات فـي المجتمع من كبار رجال الدولة والمشائخ والأغنياء وغيرهم ، ومع ذلك كانـت أوضـاعهم المادية والمعيشية متواضعة[١] .

ويغلب على الظن أن أوفر الفقهاء من الخطباء والمؤذنين والمدرسـين والمـؤدبين حظاً هم الذين ارتبطوا بعلاقات مع سلاطين بني رسول لاعتقادهم بصلاحهم وببركتهم وحسن عملهم ، حتى أنهم استعانوا بهم لتأديب وتدريس أبنائهم[٢] ، فميزوهم في المعاملة ومـدوهم بالأموال والعطايا والهبات وسامحوا العديد منهم منْ خراج أراضيهم مما زاد مـن تحسـين أوضاعهم المادية والمعيشية وإن لم يكونوا من موظفي الدولة ، وبلغ الأمر ببعض السلاطين إلى أن يسامح الفقيه وذريته ومن جاء بعدهم مسامحة كاملة منْ خراج أراضيهم ، مع تجديد تلك المسامحة عند تولي كل سلطان لحكم اليمن إكراماً لمن سبقهم ، ووقفت المسامحة عنـد تخلي ذرية المذكور عن العمل بالفقه والدين للانصراف في مزاولة الأعمال التي يقوم بهـا العامة[٣] ، وقد ساعدت تلك المسامحات والأموال والأراضي التي تصرف للعلماء من الفقهاء والمدرسين على العيش الرغد إذا ما استغنت الدولة عن خدماتهم لما تجنيه تلك الأراضي من أموال[٤] ، لذلك نجد تفاوتاً واضحاً بين أوضاع أفراد هذه الفئة الذي عاش بعضهم بين أغنياء طبقة الخاصة وعاش بعضهم بين فقراء طبقة العامة .

وفي الوقت نفسه ، لم تكن أوضاع الموظفين في الدولة الذين يدخلون ضمن طبقـة العامة على مستوى مادي ومعيشي واحد لاختلاف دخـل ورواتـب كـل مـنهم ومهمـتهم ومسؤوليتهم في العمل ، مع أن المصادر التي أرّخت للدولة الرسولية لم تعط لنا حداً أعلى أو أدنى للرواتب التي كان يتقاضاها هؤلاء الموظفون ، ولكن يمكـن أن نسـتنتج أن مـوظفي الحاشية المحيطة بالسلطان ورؤساء البيوتات وغيرهم[٥] كانوا من أفضل الموظفين حالاً لمَا ميزوا به من رواتب وعطايا وهبات كانت تسلم إليهم من الدولة ، ومع ما يتقاضـاه هـؤلاء الموظفون من رواتب ونثريات رفعت من مكانتهم بين عامة الناس إلاّ أن هناك اختلافاً فـي هذه الرواتب مما جعل هؤلاء يعيشون في مستوى معيشي واجتماعي متفاوت ، فـإذا أخـذنا عينة من الحاشية السلطانية نستطيع أن نحدد من خلال ما يصرف لها الاختلاف الذي ميز به بنو رسول بين أفراد هذه الشريحة ، فالشعراء مثلاً عاشوا حياة منعمة لمَا كان يصرف لهـم

---

(١) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٣٥ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٦٤ب ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٨١ .

(٢) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٥٠ – ٢٥١ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٩٢أ – ب .

(٣) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٢٩ ، ١٨١ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٨ ، ٣٥٥ ، ٤٠٠ .

(٤) الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٧٢أ – ب ، ١٢٦ب ، ١٢٧أ .

(٥) عن أصحاب هذه الوظائف انظر فيما سبق : ص١١٨ – ١٢٦ ، .

من رواتب شهرية وسنوية ، فضلاً عمّا يقدم لهم من مواد غذائية مختلفة (أغنام وسكر وعسل وأرز وسمن وغيرها) ، زيادة عمّا يصرف لهم من نثريات أخرى وأطعمة كل أربعة أيام ، وما تتكفل به الدولة في حالة زواج أحد أبنائهم أو بناتهم من حاجيات وأدوات وطعام وملابس وغيرها[١] ، ويذكر أن السلطان المؤيد كان يعطي الشاعر عفيف الدين عبدالله بن جعفر في كل عيد فقط ألف دينار[٢] ، ويبدو أن ذلك زيادة عمّا كان يأخذه من راتب شهري أو سنوي ، ويذكر إسماعيل المقرئ أن ما كان يأخذه من راتب شهري من السلطان الظاهر يقدر بثلاثمائة دينار ، زيادة عمّا صرف له من بيت للسكن بخدمه وحشمه ، وتكفله بإعادة بناء أو ترميم هذه البيت إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك ، فضلاً عمّا يقدمه له من أموال إثر كل قصيدة تنال إعجاب ورضا السلطان منها مكافأة قد تصل إلى ثلاثمائة ألف دينار دفعة واحدة[٣] ، زيادة عمّا كانوا يحصلون عليه من السلطان الرسولي بطرق مختلفة[٤] .

ومهما يكن الأمر ، فإن بني رسول لم يكتفوا بما كانوا يصرفونه لموظفيهم من رواتب ، بل راحوا يمدونهم سنوياً أو شهرياً بأنواع العطايا منها الخيل والبغال والثياب الفاخرة والمواد الغذائية والخضار والفواكه والحلوى كلاً حسب موقعه ومنصبه ، كما أخذت الدولة في تحمل مصاريف بعض المناسبات التي تقام لدى بعض الشخصيات من زواج أو موت[٥] وهو ما ساعد هؤلاء على العيش في مستوى اجتماعي جيد لتحمل الدولة معظم تكاليف حياتهم المعيشية اليومية وغيرها ، بينما صرف لبعض أفراد الحاشية من الموظفين العاديين رواتب يسيرة جداً كالمؤذنين الذين كانوا يتقاضون راتباً يقدر بخمسة عشر ديناراً ، والرقاصون الذين يتقاضون راتب عشرين ديناراً شهرياً ، وهو ما يبين الاختلاف الواضح فيما كان يتقاضاه أفراد الحاشية السلطانية المقربة من السلطان[٦] .

أما أصحاب الوظائف الأخرى من غير الحاشية السلطانية فقد اختلفت أوضاعهم المادية والمعيشية اختلافاً كاملاً عن أوضاع موظفي الحاشية للاختلاف الواضح فيما كان يصرف لهم من رواتب يسيرة قد لا تفي بالتزامات هذا الموظف الأسرية ، ويبدو أن بني

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦١ ، ٥٧٥ ، ٥٨٠ .

[٢] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٧ب ، ٣٨أ .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٠٢ ؛ أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٥٥ – ٥٦ .

[٤] ومن هذه الطرق استغلال لحظات سكر السلطان وخروجه عن الوعي في مجالس الشراب ، لإلقاء القصائد عليه بما فيها من مدح وتعظيم ، مما يدفع السلطان بدافع النشوة إلى إجازة هذا الشاعر بالأموال الطائلة ، كما كان يفعل الشاعر ابن المقرئ مع السلطان الأشرف الثاني لدرجة أنه في إحدى المرات منح ابن المقرئ أربعة وعشرين ألف دفعة واحدة على قصيدة واحدة وهو في حالة سكر تام حتى أن الطواشي المكلف بدفع هذا المال رفض تسليمها لابن المقرئ متعللاً بحالة السلطان . المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٨أ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦١ ، ٥٨٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٢ – ٣٠٣ .

[٦] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٢ .

رسول كانوا يميزون رواتب صغار الموظفين في الأشهر التي كانت تشهد قدوم بعض المناسبات منها شهر رمضان مثلاً الذي تكثر فيه صرفيات الناس اليومية ، وهو ما يمكن أن نحدده من خلال الميزانية التي أقرت للموظفين في سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م والتي من خلالها نستطيع أن نحدد أن أعلى مرتب لهؤلاء كان خمسة وعشرين ديناراً وأدناها ثلاثة دنانير ، وهو ما يظهر مدى قلة رواتب بعضهم من صغار الموظفين ، إلاّ أن ما يخفف أعباء الحياة وتكاليفها على هؤلاء الموظفين ما كان يصرف لبعضهم من قبل الدولة من مبالغ إضافية منها نثريات لغذائهم وعلاجهم وعلف لدوابهم من خيول أو بغال ، إذ كان يتحصل من يملك دابة شهرياً على عشرة دنانير إضافية فوق الراتب لشراء لوازم الدابة وعلفها اليومي[١] .

وفي هذا الصدد ، لقي الجند (العسكر) على اختلاف مراتبهم اهتماماً كبيراً من قبل السلاطين ، لمَا لهم من أهمية ودور فاعل في تثبيت دعائم الدولة ، فأخذوا في صرف المرتبات لهم ، وتعطي لنا بعض المصادر فكرة عمّا كان يأخذ الجنود من رواتب تتفاوت من جندي إلى آخر منذ بداية تعيينهم ، وما كان يخصم من هذه الرواتب للضرائب ، إذ كان الحد الأدنى لراتب الجندي من سبعين إلى ثمانين ديناراً شهرياً ، ويبدو أن هذا كان في أول الأمر لوجود إشارة بأن منهم من يأخذ أيضاً مائة دينار وغيرهم استلم مئة وخمسين إلى مائتي دينار ، وهو الحد الأعلى لراتب الجندي ، وقد يرتفع راتبه إلى ثلاثمائة دينار إذا ما صدر في ذلك أمر من السلطان نفسه ، علماً بأن هؤلاء الجنود لم يكونوا يأخذون إلاّ راتب عشرة أشهر فقط ، أما الشهران الباقيان فهي ضرائب تسلم لخزانة الدولة وصرفيات غذاء للجندي ودوابه ولباسه[٢] ، ومع إشارة المصادر إلى أن ذلك المبلغ يسلم شهرياً بوصفه راتب للجندي إلا أننا نعتقد أن هناك خطأً أو تصحيفاً في المعلومات التي وردت في هذه المصادر لكبر ذلك المبلغ إذ ما قورن بما يأخذ غيرهم من موظفي الدولة مثل القضاة ، الذين لا تتعدى رواتبهم العشرين ديناراً ، بما معناه أنه يأخذ في السنة مائتين وأربعين ديناراً ، وإذا خضعت لخصم شهرين تصل إلى مائتي دينار فقط وهو ما يذكر أن الجندي يأخذها في شهر واحد ، لهذا نجد أن ما هو مذكور عن راتب الجندي والذي يحدد ما بين السبعين إلى ثلاثمائة دينار هو راتب يسلم إليه خلال سنة كاملة ، لأنه بقسمة ذلك المبلغ على اثني عشر شهراً يصبح لدينا المبلغ الذي يأخذه أقل الموظفين ، وهو ما يتناسب وراتب الجندي الجديد في الخدمة .

ومما يُدلل لنا على تدني رواتب الجند أنهم عند غزوهم ومهاجمتهم لبعض المناطق كانوا يجدونها فرصة لاغتنام ما يمكن اغتنامه من أموال الناس ومحاصيلهم ومواشيهم وغيرها[٣]

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ – ٥٧٠ .

[٢] نور المعارف ، ج٢ ، ص٤٦ – ٤٨ . وانظر : ح المحقق رقم (٢) ، ص٤٨

[٣] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٣ .

ليحسنوا بها أوضاعهم ، ومع ذلك عاش الجند المحيطون بالسلطان حياة أفضل من غيرهم لِمَا كانوا يحصلون عليه من أموال توهب لهم من السلطان أو من أحد أبنائه عند تحقيقهم انتصارات ضد المناوئين لهم أو عند الخروج مع السلطان أو مشاركته في بعض المناسبات والاحتفالات أو عند زيارته لبعض المناطق أو عودته من عمرة أو حج أو غيره ؛ إذ يقوم السلطان بنثر الدنانير والدراهم الذهبية والفضية عليهم أو يأمر بصرف راتب أربعة أشهر كمكافأة لهم ، كما فعل السلطان المجاهد عند عودته من الحج سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م[١] ، فضلاً عن المبالغ التي كانت تدفع لهم بوصفها بدل سفر عند تكليفهم بالسفر في المهمات الرسمية إلى بعض المناطق[٢] ، وقد أعطاء بعض سلاطين بني رسول عناية خاصة بالجند خلال مدة حكمهم مثل السلطان المظفر الأول الذي كان يرسل جامكية الجند إلى محاطهم[٣] وإن كان مشغولاً في أمور أهم أو في أحلك الأحوال وأصعبها ، إذ كان يأمر بإرسال خزينة الرواتب الخاصة بالعسكر إلى محاطهم تقديراً لأوضاعهم ، وتحسباً لِمَا قد يقومون به من عصيان في حال تأخر رواتبهم ، وقد حدث في عصر السلطان المجاهد أن تأخر تسليم العسكر رواتبهم في منطقة ظفار الحبوضي فامتنعوا جميعاً عن الخدمة واستجاروا بإحدى الترب المشهورة هناك ، حتى أن الدولة عجلت في دفع رواتبهم تقديراً لحاجتهم وحاجة أسرهم ، وخوفاً من تفاقم أمرهم وعصيانهم[٤] ، ومع ذلك فإن أوضاع العسكر المادية والمعيشية ساءت في أواخر الدولة الرسولية بسبب تقاعس بعض السلاطين عن تسليمهم مستحقاتهم من رواتب وغيرها ، مما تسبب في تعرض الدولة للعديد من المشكلات التي أشعلها هؤلاء العسكر[٥] لتدهور حالتهم وحالة أبنائهم وأسرهم المادية والمعيشية ، ومع ما كان يأخذ بعض الموظفين الإداريين والعسكريين من رواتب يسيرة جداً والتي قد تصل إلى ثلاثة دنانير في الشهر إلاّ أن أوضاعهم كانت تشكل حالة أفضل من بعض الأفراد في بعض فئات طبقة العامة الذين لم يجدوا ما يغيثون به أنفسهم وأسرهم لصعوبة أوضاعهم المادية والمعيشية .

لقد كان للانتعاش التجاري الذي شهدته اليمن في عصر بني رسول دور في ازدهار الأوضاع المادية لأفراد فئة التجار الذين كسبوا الأموال الطائلة والأملاك الواسعة من تجارة بعض السلع التي شهد سوقها رواجاً كبيراً ، وتمكنوا بهذه الأموال من أن يقيموا لأنفسهم حياة مترفة لا تقل عن حياة كبار الشخصيات في الدولة الرسولية[٦] ، ويتبين لنا حجم الثروة التي

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٩٧ ؛ ج٢ ، ص٧٥ ، ١٦٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٩ .

[٢] انظر عن بدل السفر هذه : نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٨ – ١١٥ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤١٤ ، ٤١٥ .

[٤] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٧٠ .

[٥] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٣ .

[٦] عن السلع التي شهد سوقها رواجاً في عصر بني رسول ، وحياة الترف التي عاشها التجار انظر فيما سبق : ص١١٦ – ١١٧ .

امتلكها بعض التجار من خلال ما كانت تأخذه الدولة من أموال – عشور وضرائب – على بضائعهم ، مما يظهر لنا حجم المبالغ التي كانوا يتاجرون بها في السوق[١] ، إضافة إلى ما كانوا يقدمونه من مشاريع خيرية يستفيد منها المجتمع ، وما يدفعونه من أموال نقداً وعيناً للناس بهدف فعل الخير بوصفها مساعدة لأوضاعهم الصعبة[٢] ، فضلاً عمّا كان يقدمه التجار على اختلاف ثرواتهم للسلاطين من هدايا[٣] ، ومع ذلك تفاوتت نسبة الثراء بين أفراد هذه الفئة فظهر منهم أغنياء ساعدتهم أموالهم على مجالسة السلطان والتعامل معه ككبار رجال طبقة الخاصة ، وظهر منهم بسطاء عاشوا في مستوى متوسط بين عامة الناس .

وإذا نظرنا إلى الأوضاع المادية للفلاحين نجد أنها اتسمت بالتعاسة والفقر ، مع امتلاك بعضهم للأراضي وبساتين النخيل والخبرة ، إلاّ أن معاناة الفلاحين في العصر المذكور جاءت نتيجة لما كان يفرض عليهم من ضرائب تعددت أسماؤها واختلفت أسبابها من قبل الدولة دون مراعاة لِمَا هم فيه من فقر وحاجة ، وقد كانت تلك الضرائب من أكثر الأمور التي أثرت في حياة الفلاحين المادية والمعيشية[٤] ، فضلاً عمّا كانت تتعرض له أراضيهم من كوارث طبيعية وبيئية زادت من سوء أوضاعهم[٥] ، وقد دفعت هذه الأوضاع العديد منهم إلى الهروب من أراضيهم وتركها دون زراعتها ، والبحث عن مصدر دخل آخر في المدينة لعيش حياة أفضل ، ويصف المعلم وطيوط[٦] مدى معاناة هؤلاء الفلاحين وفقرهم عند نزول الأمطار ، وتأسفهم على ما هم فيه من أوضاع حالت دون قيامهم بحرث أراضيهم وتوفير البذور والأيادي العاملة لها ، مع توافر الأرض والخبرة وكثرة الماء .

وفضلاً عن ذلك ، فقد عاش عامة الناس من الحرفيين والصناع والمهنيين حياة متواضعة اعتمدوا في معاشهم فيها على ما تصنعه أيديهم من منتجات أخذوا في بيعها في الأسواق بأسعار يسيرة قد تغطي متطلبات حياتهم اليومية[٧] ، علماً بأن تلك المبالغ اليسيرة التي كانوا يتقاضونها أغنتهم عن السؤال والحاجة التي عاش عليها الفقراء والمحتاجون ، في حين عاشت فئة كبيرة من طبقة العامة في المجتمع على ما يتحصلون عليه من دخل يومي من بعض الأعمال التي زاولوها منها البناء والتشييد مثلاً ، وكان العاملون فيها يعملون بالأجر اليومي (مياومة) أو قطاع ، وتورد لنا بعض المصادر أجرة ما يتحصل عليه أفراد

---

[١] الملك الأفضل : نزهة العيون ، ق١٠٠أ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٤٠ – ٤٤١ ، ٤٥٥ ؛ ج٢ ، ص٤٠٢ ، ٤٢٦ .

[٣] عن هذه الهدايا انظر : ص١١٥ ، ٣١٢ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٦٨ – ٦٦٩ .

[٥] عن هذه الكوارث انظر فيما سبق : ص٢٨٠ – ٢٨٥ .

[٦] تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣أ – ب . وانظر : الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٦٩ .

[٧] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ .

هذه الفئة كالأستاذ المعلم الذي يتحصل على عشرة دنانير مقابل عمله في التخطيط والبناء ، والمعمار الذي كان يتحصل على خمسة دنانير ، والصانع المنور الذي يتحصل على دينارين ، والغلام الذي كان يتحصل على دينار[١] ، بينما تورد مصادر أخرى نسبة ما يتحصل عليه بعض البسطاء من الرعية العاملين في المدارس والمساجد وغيرها ، منهم القيِّم في المدرسة أو المسجد الذي كان يتقاضى شهرياً عشرين زبدياً من الحبوب وعشرين ديناراً ، إضافة إلى ثوب خام يقدَّم كسوة آخر كل عام ، كما كان شيخ الخانقاه[٢] يتحصل على واحد وأربعين وثلثي زبدي وعشرين ديناراً شهرياً ومقطع بياض تقدم كسوة سنوية ، وهو ما يتحصل عليه النائب على المدرسة أو المسجد ، في حين يتحصل النائب على الوقف على عشرين زبدياً وخمسة وعشرين ديناراً شهرياً فقط[٣] ، واستغل بعض أصحاب المهن مواسم معينة منها مواسم العيد لمضاعفة عملهم كالجزارين الذين يستغلون موسم الأعياد لرفع أسعار الذّبيحة من البقر والغنم لاسيما في اليومين الأول والثاني من العيد[٤] ، في حين عمل بعض الناس في بعض الأعمال التي لا يتجاوز دخلها الثلاثة دراهم يومياً ، مما لم يساعدهم على الوفاء بكل متطلبات العيش ، فعاشوا حياة فقر وفاقة ، في حين عاشت فئة واسعة في المجتمع عاطلة عن العمل ، فاعتمد أفرادها في معاشهم على ما يملكون من مواشي كالأبقار والأغنام ، عن طريق بيع ما تنتجه من لبنها وجبنها[٥] ، وإذا ما فُقد هذا المصدر ساءت حالته وتدهورت ، كما عاشت فئة واسعة لا تجد ما تغيث به نفسها ، فأغلق الكثير منهم على أنفسهم أبواب بيوتهم دون أن يمدوا أيديهم للناس ، ولولا بكاء الأطفال والنساء الذي يسمعه جميع من حولهم لمّا علم بحالهم أحد[٦] ، ووصل الحال ببعض الغرباء ممَّنْ لا مال لهم إلى أن يموت الواحد منهم فلا يجد أهالي المنطقة التي يقيم فيها ثمن ما يكفنونه به لعدم وجود المال الذي يشترون به الكفن ، فضلاً عن عدم وجود أقرباء له يتكفلون بهذه المهمة ، وبلغ الأمر إلى أن يكفن أحدهم بحشر الموز وينزل إلى قبره ملفوفاً به[٧] ؛ وهو دليل على الوضع المادي الصعب الذي عاشته فئة واسعة من فقراء الناس ومعدميهم .

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص١١١ .

[٢] الخانقاه : كلمة فارسية تعني محلاً للتعبد والتزهد والبعد عن الناس ، وقد عُرفت عند العرب منذ انتشر التصوف لأنها من الأماكن التي يتعبدون فيها ، وهي تشبه الدير في النصرانية . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٦٦ ؛ رزق : معجم مصطلحات العمارة ، ص٩٢ – ٩٤ ؛ الباشا ، حسن : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت ، ص١٧٣ – ١٧٤ ؛ شيحة : مدخل إلى العمارة ، ص١٧ ، ح (١) .

[٣] الوثائق التعليمية ، ص١٢ ، ١٦ .

[٤] انظر عن ذلك : نور المعارف ، ج٢ ، ص٩٧ – ٩٨ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٨٠ – ٣٨١ ؛ المعلم وطيوط ؛ تاريخ المعلم وطيوط ، ق١٨ب ، ٣٩ب .

[٦] المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٣٣ب .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٥ .

زبدة القول ، إن نسبة ما كان يتقاضاه عامة الناس في عصر بني رسول من أجر يومي أو سنوي يكاد يكون متساوياً بين العاملين في الدولة وأصحاب القطاع الخاص ، وهو ما جعل معظم الناس يعيشون في مستوى اجتماعي متقارب بعض الشيء ، باستثناء بعض أصحاب النفوذ والأملاك الذي عاشوا في مستوى مالي رفيع ؛ الأمر الذي أدى إلى أن يقسم المجتمع إلى طبقات وفئات وشرائح كان منها الغنية الميسورة والفقيرة المعدمة .

٢ – مصادر الدخل المادي للناس ومصاريفها :

لقد دفعت الأوضاع المادية الصعبة الناس بمختلف فئاتهم وشرائحهم إلى أن ينوعوا في مصادر دخلهم المادي ، علماً بأن هناك نوعين من هذه المصادر : أساسية كالجوامك أو الرواتب التي يحصلون عليها من عملهم في الدولة أو غيرها ، وثانوية كالمبالغ التي كانوا يحصلون عليها من العمل الإضافي والإكراميات وغيرها ، وقد كان للمصادر الثانوية دور في تحسين أوضاع الناس المادية واستكمال النقص والقصور الذي لم تملؤه الرواتب ، ومثلما هو معروف أن المصدر الأساس لجميع من في المجتمع في العصر المذكور كان الرواتب التي تدفعها الدولة لموظفيها من أعلاهم في الهيكل الإداري حتى أدناهم ، والشيء نفسه بالنسبة للعاملين في الأعمال الخاصة مثل التجار والفلاحين والصناع والحرفيين والمهنيين وغيرهم ، إذ إن ما يتقاضاه هؤلاء من دخل يعد المصدر الأساس في معيشتهم ، ومع ذلك اتجه الكثير منهم إلى مزاولة أعمال أخرى إلى جانب أعمالهم الأساسية بهدف زيادة ثروتهم وأموالهم أو بهدف تحسين أوضاعهم المادية والمعيشية الصعبة التي دفعتهم إلى البحث عن أعمال أخرى تساعدهم على تكاليف الحياة ومتاعبها .

فإذا نظرنا إلى أفراد الأسرة الرسولية لوجدنا أنه على الرغم مما كانوا يحصلون عليه من أموال تنوعت مواردها من العشور التجارية وخراج الأراضي الزراعية والضرائب التي تؤخذ على الحرفيين والصناع المهنيين إلاّ أنهم اتجهوا إلى البحث عن مصادر دخل أخرى للثروة والمال ، وممَّنْ يذكر بذلك نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي عمل في التجارة في عصر الأيوبيين قبل أن يقيم دولته ، مع موقعه بوصفه أميراً مفوضاً على اليمن من قبل الملك المسعود الأيوبي ، وما كان يدره عليه هذا المنصب من مال يغنيه عن العمل في التجارة وغيرها ، إلا أن حبّه لجمع المال دفعه إلى هذا ، وذلك عندما دخل عدن سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م واحتكر تجارة نبات الفوة على جميع التجار المتعاملين بتجارة هذه السلعة حتى أن ذلك تسبب في حدوث أزمة شديدة في الأسواق[١] ، ويبدو أن هذا النوع من التجارة قد راق له ؛ لأنه في السنة التي تلتها سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م اشترى جميع ما مع

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٧ .

التجار من فلفل ونحاس وصفر وحبوب وغيره واحتكره لصالحه ، حتى أنه كان يأخذ البهار الفلفل بأربعين ديناراً ويبيعه على تجار الكارم بستين ديناراً ، وعمل الشيء نفسه مع جميع البضائع الموجودة في عدن من عطب (قطن) وسليط وغيره ؛ مما اكسبه أموالاً طائلة من وراء احتكاره للتجارة الصادرة أو الواردة إلى عدن[١] .

ونتيجة لِمَا تشكله التجارة من مصدر دخل قوي فقد عمل بها معظم من جاء بعد المنصور من بني رسول مع ما كان لهم من أموال وأراضي وعقارات تغنيهم عن مزاولة أي أعمال أخرى للحصول على المال ، ومن هؤلاء الملك المظفر الأول الذي عمل في تجارة الطعام (الحبوب) إلى مكة المكرمة في حياة والده المنصور على يد شخص يعرف بالمجد بن أبي القاسم[٢] ، وقد استمر في مزاولة التجارة حتى بعد توليه حكم اليمن ، إذ يذكر القلقشندي[٣] احتكاره لتجارة خشب الصندل والمتاجرة به وتصديره إلى الخارج عن طريق ميناء عدن ، وهو ما تؤكده بعض المصادر من أن أموال السلطان المظفر هي من البضائع القادمة والصادرة إلى ميناء عدن ، والتي كان يتسلم عشورها أو يتاجر بها[٤] .

وعلاوة على ذلك ، كانت الهدايا التي يتحصل عليها سلاطين بني رسول مصدر دخل آخر لثروتهم ، إذ لم تكن تلك الهدايا مجرد أشياء عادية يتقدم بها ملوك وسلاطين الدول المجاورة والبعيدة وكبار التجار وغيرهم لربط علاقاتهم بالسلطان ؛ بل شكلت ثروة يصعب تحديد ثمنها لِمَا لها من قيمة مالية كبيرة ، ويعد السلطان المؤيد من أكثر سلاطين بني رسول جمعاً للثروة عن طريق الهدايا ، ومن هذه الهدايا الثمينة هدية تحصل عليها في سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م من القاضي محي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي القادم من الديار المصرية ، وكانت تضم جواهر نفيسة من الزمرد واللآلئ[٥] ، وقد مثلت التحف الثمينة من أكثر ما ضمته ثروة سلاطين بني رسول لاستمرار حصولهم عليها من غيرهم[٦] .

وفي هذا الصدد ، شكلت التجارة مصدر دخل ثانوي مهم لبعض أفراد الأسرة الرسولية ، مع ما كانوا يحصلون عليه من الدولة ، إلاّ أنهم تاجروا ببعض السلع الضرورية وأن كانت بسيطة منهم الأمير شرف الدين محمد بن الأمير صلاح الدين أبي بكر بن السلطان الأشرف عمر الذي كان يتاجر بالحناء في قرية النويدرة[٧] ، ونتيجة لما تدره التجارة من

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٧ – ١٤٨ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٤٠ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٠١ب .

[٣] صبح الأعشى : ج٢ ، ص١٠٣ .

[٤] ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٩١ – ٩٢ .

[٥] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٣ – ٢٨٤ .

[٦] انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٠٦ ، ١٧٢ ، ١٩٠ – ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٢٩٢ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١٩أ .

ربح كبير اتجه بعض أمراء الدولة الرسولية إلى مزاولتها والعمل بها لزيادة أموالهم وثروتهم مع وجود الأموال التي تصرف لهم من قبل سلاطين بني رسول ، ومن هؤلاء الأمير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل التغلبي (ت : ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) الذي كان أميراً على زبيد وعدن ويعمل في التجارة ، فامتلك مالاً جزيلاً وجاهاً عريضاً لما كان يكسبه من التجارة[١] ، في حين لم يكتفِ بعض كبار مشائخ القبائل بما كانوا يجمعونه من أراضيهم وبما كانوا يأخذونه من الدولة من رواتب وهبات وهدايا فراحوا يجبون الضرائب من التجار المسافرين عبر أراضيهم ، ومن أهالي مناطقهم والمناطق المجاورة حتى عجز الكثير منهم عن دفعها[٢] ، وقد أكسبت تلك الجبايات هؤلاء المشائخ الأموال الطائلة وجعلتهم يعيشون حياة مترفة مع عدم شرعية أكثر ما كانوا يأخذونه من الناس .

كما راح بعض أفراد فئة العلماء من القضاة والفقهاء والأدباء والشعراء والمدرسين وغيرهم ممن أتعبتهم تكاليف الحياة يبحثون عن أعمال أخرى إلى جانب أعمالهم التي يزاولونها لتحسين أوضاعهم المعيشية المتدنية ، فاتجه بعضهم إلى مزاولة العمل في التجارة والزراعة والصناعة والمهن المختلفة ، على اعتبار أن هذه من أفضل وأسهل الأعمال التي يمكن أن يعمل بها هؤلاء للحصول على المال ، وتذكر المصادر أسماء للعديد من أفراد هذه الفئة الذين اتجهوا للعمل في الحرف المذكورة وغيرها ومنهم القاضي منصور بن علي بن عمر العزيزي الشعبي (ت : ٧١٨هـ / ١٣١٨م) قاضي الدملوة في عصر السلطان المؤيد الذي عرف بخبرته ومزاولته لبعض المهن والصناعات منها التجارة والخياطة والنجارة ، والقاضي عيسى بن علي بن مفلت (ت : ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) قاضي الجند مدة خمس وأربعين سنة ، والذي كان راتبه من جزية اليهود خمسة عشر ديناراً لم تكن تساعده على مواجهة متطلبات الحياة وتسديد الديون التي تزايدت عليه ؛ لهذا اتجه إلى فلاحة أرض له عمل في زراعتها واستفاد مما تجنيه من ثمار ، والقاضي أبي عبدالله محمد بن علي بن مياس الواقدي (ت : ٧١٠هـ / ١٣١٠م) قاضي عدن الذي مارس إلى جانب عمله في القضاء التجارة مع المسافرين في البحر عبر ميناء عدن والزراعة في لحج[٣] ، ومن الفقهاء الذين عملوا في مثل هذه المهن الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن حجر بن الأزدي (ت : ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) الذي عمل في التجارة إلى جانب عمله بالفقه ، وأصبح من كبار تجار عدن ، حتى أن الفرض الزكوي من ماله بلغ أربعين ألفاً وقيل ستين ألفاً ، والفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مصباح الأحولي العنسي (ت : ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م) الذي تاجر بالعطر

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٥٣ .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٢٢ .

[٣] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤١٣ – ٤١٤ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٩ ، ٣٠٦ ، ٤٠٠ ، ٤٢٩ .

وكان يبيعه في جبلة إلى جانب عمله في التدريس وغيرهم[١] ، كما عمل أكثر الفقهاء في الزراعة مستفيدين مما تغله أراضيهم وتدره عليهم من أموال تساعدهم على تكاليف الحياة ، إضافة إلى ما يصرف لهم من رواتب من الدولة مقابل عملهم في التدريس منهم الفقيه يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل (ت : ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)[٢] ، كما عمل بعض الفقهاء في حياكة ونساجة الثياب وخياطتها منهم الفقيه المقرئ عبد الكريم بن إسماعيل (ت : ٧١٧هـ / ١٣١٧م) الذي كان معتمداً في أكثر قوته على صنعته المذكورة[٣] ، إلاّ أن أكثر ما دفع بعض العلماء للعمل في الزراعة وفلاحة الأرض وغيرها الإعفاءات والمسامحات التي شملتها أراضيهم ؛ مما شجعهم على الاستمرار في العمل في الزراعة وتوارث هذه الحرفة بين الآباء والأبناء والأحفاد ومسامحة الدولة لهم ما دام العلم والفقه فيهم وفي ذريتهم[٤] .

وفي الوقت نفسه ، دفعت الأوضاع الصعبة بعض القضاة إلى البحث عن مصادر أخرى للحصول على المال وإن كانت غير شرعية فأخذ بعضهم في ابتزاز أصحاب القضايا من الرعية لتغطية النقص الذي لا تسدُّهُ الرواتب التي تدفعها لهم الدولة ، في حين جوبهت هذه العادة السيئة بالرفض من قبل العديد من القضاة ممن عرفوا بالنزاهة والعفة مثل القاضي أبي العتيق أبو بكر بن محمد الجنيد[٥] ، وأصبحت ثروة القضاة تشوبها دائماً الشبهة والشكوك وتحوم حولها التساؤلات وإن كان مصدرها التجارة أو الزراعة أو غير ذلك ، وقد تسبب ذلك في قيام بني رسول بمصادرة أموال بعض القضاة المشكوك في ثروتهم لاسيما إذا حصل القاضي على تلك الثروة بعد توليه لمنصب القضاء ، وعادة تتم المصادرة بعد انتهاء خدمة القاضي[٦] .

أما الشعراء فلم يقنع أكثرهم بما كان يدفع لهم من قبل بني رسول فراحوا يبحثون عن مصادر أخرى للدخل لزيادة أموالهم وثروتهم فاتجه بعضهم للعمل في الزراعة مثل الشاعر الفقيه صفي الدين محمد بن عيسى الهرمي (ت : ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)[٧] ، وتنقل بعضهم بين مجالس كبار رجال الدولة والمشائخ وأصحاب الثروة لمدحهم والتنعم بأموالهم التي يدفعونها لهم كمكافأة لهم عمّا يقولونه ، ويعد الشاعر محمد بن حمير أكثر من ذهب إلى هذه المجالس للبحث عن المال لعدم اقتناعه بما كان يعطى له من جامكية من السلطان المظفر الأول[٨] ،

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٣٥ ، ٢٠٣ ، ٢٤٤ .

(٢) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٦٩ – ٤٧٠ ؛ الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٤٨ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩ ، ج٢ ، ص١٠ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٩٣ب ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص١٨٩ – ١٩٠ .

(٣) الملك الأفضل : المصدر نفسه ، ص٤٢٤ – ٤٢٥ .

(٤) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٨١ .

(٥) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص١٩٩ .

(٦) الخزرجي : طراز أعلام الزمن ق١٥٨أ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٥٨ .

(٨) انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢١أ ، ٤٢أ .

كما اتجه الشاعر ابن هتيمل لإلقاء القصائد على بعض كبار الشخصيات في المجتمع مثل الإمام أحمد بن الحسين الذي كان يجازيه عن كل قصيدة يقدمها له بثلاثة آلاف درهم وثلاث خيول ومائتي فردة ثياب ، حتى أن قيمة كل ذلك يقدر بعشرة آلاف درهم[١] وهو مبلغ كبير جداً إذا ما قورن بما يأخذه هؤلاء من الدولة ، ومن الملاحظ أن هذه القضية أثارت غضب بعض السلاطين منهم السلطان المظفر الأول الذي انتقد ابن حمير بذهابه إلى بعض المشائخ لمدحهم بقصائد تفوق القصائد التي يقولها له ، إلاّ أن ابن حمير برر موقفه هذا بسبب قلة ما تدفعه له الدولة من جامكية تقدر بألف دينار يدخل فيها أجرة مواصلاته وأدوات كتابته ومصاريف طريقه ومصاريف أبنائه التي يتركها لهم عند غيابه لأيام مع السلطان ، ومع هذا يبذل مجهوداً في تقديم أحسن القصائد للسلطان ووزيره وزمام بابه وأستاذ داره وغيرهم ولا يتحصل إلاّ على ألف دينار فقط ، في حين يتحصل على أربعمائة دينار على كل قصيدة يلقيها أو يقدمها لأي شيخ أو قد يكتبها في بيته ويرسلها إلى الشيخ مقابل هذا المبلغ ، ويبدو أن السلطان المظفر اقتنع بوجهة نظر ابن حمير هذه وسامحه[٢] .

وفضلاً عن ذلك ، شكل العمل الإضافي وما يدخل فيه من بدل سفر وتنقل وعلاوة غذاء وغيرها من مصادر الدخل الثانوية التي كان يتحصل عليها بعض موظفي الدولة لقيامهم بخدمات إضافية يتحصلون فيها على علاوة تضاف إلى رواتبهم الأساسية التي تسلم لهم ؛ مما يساعدهم على تغطية بعض مصاريف حياتهم[٣] .

وقد اعتمد عامة الناس من الصناع والحرفيين على ما يحصلون عليه من أجرة إزاء ما يقومون به من عمل قد يزيد أو ينقص حسب حركة ونشاط السوق ، وراحوا يقتاتون منها[٤] ، دون أن يكون لأكثرهم أي عمل إضافي ثانوي كبقية الفئات التي ذكرناها سابقاً ، باستثناء بعض الحرفيين والصناع الذين عادة ما تستعين بهم الدولة للعمل اليومي المعروف بالمياومة لإصلاح ما تخرب من أدوات القصور السلطانية مقابل مبلغ من المال يسلم إليهم نهاية كل يوم أو بعد انتهائهم من العمل[٥] ، ومن هنا نجد أن الغالبية العظمى من الرعية لم يعتمدوا على الأجرة التي تصرف لهم من وراء أعمالهم ، لمحدوديتها في تغطية مصاريفهم اليومية وهو ما دفع الكثير منهم إلى البحث عن مصادر أخرى للدخل لتغطية العجز الذي يعانون منه في آخر كل شهر أو تخفيفه .

---

[١] الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص٨٧٩ – ٨٨٠ .

[٢] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٢أ – ب .

[٣] نور المعارف ، ج١ ، ص١٠٨ – ١١٥ ، ١٧١ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٢ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٨ ، ١٧٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٥٢ .

أما المخارج التي صرف فيها الناس رواتبهم وأموالهم فقد اختلفت من طبقة إلى أخرى نتيجة لاختلاف نسبة دخل هذه الأموال بين الكثرة والقلة ؛ لذلك ذهب بعض أفراد طبقة الخاصة كالسلاطين وأبنائهم والمقربين منهم إلى صرف أموالهم على وسائل ترفهم المختلفة ، فبنوا بها القصور والدور وشكلوها وزخرفوها بالذهب وفرشوها بأغلى أنواع الرخام ، كما شيد بعضهم المتنزهات والحدائق بتلك الأموال[١] ، وصرفها بعضهم في شراء أغلى وأفخم الملابس والاخفاف والتحف المذهبة والطيوب والمراكيب والعبيد والجواري[٢] ، وسخرها بعضهم لإكرام الضيف والتصدق على الناس ، وهو ما كلفهم الأموال الطائلة[٣] ، كما أخذت المشاريع الخيرية من مساجد ومدارس ودور أيتام وحفر آبار وخزانات مياه وغيرها مع ما يوقف عليها نصيب كبير من أموال الناس ، إذ عملت فئة واسعة في المجتمع من مختلف الشرائح على تسخير أموالهم في المشاريع الخيرية المذكورة[٤] ، في حين صرف العامة من الناس أموالهم لتغطية متطلبات حياتهم وحياة أسرهم اليومية من أكل وشرب ولبس وغيرها ، نتيجة لمحدودية دخلهم وقلته[٥] بما لا يسمح لهم بالإسراف في الصرف والبناء والتعمير كأفراد طبقة الخاصة .

٣ – العوامل المؤثرة في استقرار حياة الناس :

عانى الناس في عصر بني رسول من عوامل عديدة أثرت فيهم وفي حياتهم ، وتُعد كثرة الصراعات وسوء سياسة السلاطين في التعامل معها من أهم تلك العوامل التي عكست نفسها على معيشتهم ، علماً بأن اليمن شهدت العديد من الصراعات والفتن بين المتنافسين على كرسي الحكم من بني رسول ، وجاءت تلك الصراعات بالأثر السلبي الذي انعكس على حياة الناس وأوضاعهم ومدنهم وقراهم التي خربت وانتهكت في مدة الصراع دون مراعاة لحرمتها وحرمة من فيها من نساء وأطفال وشيوخ ، وقد كان سكان المناطق القريبة من مسرح الصراع من أكثر الناس تضرراً ، بسبب سوء سياسة السلاطين ومنافسيهم في التعامل معهم في مثل هذه المواقف ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر أول من اتبع سياسة التخريب والتدمير للمدن والقرى والمزارع واستباحة كل ما فيها لإخضاع معارضيه في بعض المناطق دون مراعاة لحالة ساكنيها وأوضاعهم ، كما حدث في سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م

---

[١] انظر : عن ذلك فيما سبق : ص٢٠٥ – ٢١٠ .

[٢] انظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٧٥ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢أ – ب ، ٣ب ، ٤أ ، ٤٧ب ، ٤٩ب ، ٥٠أ ، ٧٧أ .

[٣] انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥ ؛ ج٢ ، ص٤٠ ، ٧٠ ، ٣٦٩ ، ٥٧٨ ، ٦٠٣ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٦ – ٢٧٧ ، ٤٠٨ ؛ ج٢ ، ١٦٩ ، ٢٥٣ – ٢٥٥ ، ٣١٧ – ٣١٨ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٩ب .

لسكان مغربة تعز عندما دخلها رجال قبيلة مذحج الموالية للمنصور بقيادة الشيخ علوان بن عبدالله بن سعيد الجحدري ، فقاموا بمهاجمة بيوت الناس هناك ونهبوها نهباً متناهياً[1] ، كما تعرض أهالي مدينة تعز أيضاً للاستباحة في عصر السلطان المظفر الأول على يد الشيخ علوان الذي نهب جميع أهلها ومساكنهم بأمر من المظفر نفسه الذي عدّها مكافأة للشيخ علوان ورجال مذحج كافة على مواقفهم المؤيدة له ضد منافسيه في الحكم ، فنهبوا الزرع واعتدوا على النساء ونقلوا ما في تعز من أموال وما استطاعوا حمله إلى بلدهم ، كما سمح المظفر لعلوان ورجاله باستباحة جميع المناطق التي مروا بها في طريق عودتهم دون مراعاة لحرمة أهالي هذه المناطق[2] ، في حين عانى أهالي منطقة صعدة من سياسة السلطان المظفر الأول الهادفة إلى القضاء على معارضيه بمهاجمة المدن التي يتحصنون فيها وتدميرها ومعاقبة أهلها دون أي وجه حق ، ويعد الهجوم الذي تعرضت له صعدة في سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م من قبل قوات السلطان المظفر بقيادة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن للقضاء على الإمام أحمد بن الحسين المتحصن فيها من أشد ما تعرضت له المدينة التي كانت تكتظ بأهلها فنهبت أموالهم ، وأخذت الغنائم من الحبوب والمواشي من الخيول وغيرها ، ومع ذلك أجار الأمير أسد الدين أكثر أهالي صعدة وستر حرمتهم وأسر العديد من رجالهم[3] ، كما كان لتحصن الإمام أحمد بن الحسين في مدينة صنعاء أثره في خرابها وخراب المناطق المحيطة بها من قبل السلطان المظفر سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م الذي أمر بتخريب أراضي ومزارع أهالي المناطق التي دخلوها ونهبها ، وذلك بعد أن أخرب عسكره منطقة الجوف وصعدة وما جاورها ونهبوا أموال الناس وأراضيهم فيها[4] ، كما فقد الناس مصادر مياه الشرب لِمَا تعرضت له الآبار من عمليات تخريب ودفن لها عند حدوث الصراعات بين قوات بني رسول ومنافسيهم[5] .

إلاّ أن أكثر المُدَد التي عانى منها الناس في العصر المذكور كانت مدة حكم السلطان المجاهد ، لما شهدته اليمن من فقدان للأمن والاستقرار بسبب الصراع الشديد الذي كان قائماً بينه وبين المناوئين له على الحكم ، وفي ظل هذا الصراع والاختلال الأمني وجد عسكر بني رسول وبعض رجال القبائل وغيرهم من المخربين فرصة للقيام بأعمال السلب والنهب والتخريب لبيوت ومزارع الناس وحوانيتهم ، في حين اشتعلت الفتنة بين رعية بني رسول لتباين مواقفهم المؤيدة للسلطان أو المعارضة له ، وهو ما جعل أهالي بعض المناطق

---

[1] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠١ – ٢٠٢ .

[2] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص١٩٦ – ١٩٧ .

[3] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٨٠ .

[4] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٢٨ ، ٤٣١ ؛ ماد لونج . و . ف : أصول الهجرة اليمنية ؛ تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص١٢ – ٤٠ .

[5] ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٣٩٥ .

يدخلون في صراع فيما بينهم ؛ مما أثر في حياتهم الخاصة وأحـوالهم الماديـة والمعيشـية لانشغالهم بتلك الفتنة[١] .

أما أشد مُدَدَ الفوضى التي عانى منها الناس فكانت في أواخر عصر بني رسول عندما احتدم الصراع بين بني رسول حول حكم اليمن ، وأصبح المماليك والعبيد هم المتنفذون فـي الدولة والمتصرفون في شؤونها ، الأمر الذي أدى إلى تعرض بعض المدن والقرى والأراضي الزراعية المملوكة للناس لعمليات نهب وتخريب من قبل بعض المتنفذين ورجال القبائل منها قبائل القرشيين والمعازبة الذين استغلوا هذه الفرصة لمهاجمة بعض المناطق ومصادرة أموال الناس ومزارعهم بالقوة وطردهم منها وامتلاكها ، فضلاً عن مهاجمة بيوت بعض الأغنيـاء والتجار ونهب ما فيها من أموال ، وتُعد هذه المرحلة من أشد مراحل الصراع التي أثرت في الناس وأفقدتهم أموالهم وأملاكهم لانشغال بني رسول عن أمور رعيتهم بصراعاتهم الداخلية ، وغياب دورهم في تحقيق الأمن والاستقرار لرعيتهم[٢] .

لقد كان أهالي مدينة تعز من أكثر الناس تضرراً من ذلك الصراع الذي قام بـين السلطان المسعود آخر سلاطين بني رسول ومنافسيه ، ونتيجـة لاشـتداد هـذا الصـراع وانحصاره في تعز تأثرت معالم المدينة وتدهور حال ساكنيها ، وأخربت الكثير من محاسنها وهدمت فنادق تجارها ، وفُقد الأمن فيها ، وامتد الصراع إلى منطقة ثعبات فخربت بساتينها وأشجارها بعدما كانت بهجة للناظرين وفرحة للمقيمين ، وهدم وخرب ونهب كل مـا فـي ثعبات من أنواع الفرش والعجائب ، وأصبحت آلات السـلطان المسـعود وكتبـه وأدواتـه المصنوعة من الصفر الصيني وغيرها من الأشياء الثمينة تباع بأبخس الأثمـان ، واضـطر الكثير من سكان المدينة إلى الهروب والتفرق بين أقاليم اليمن ، وهو ما دفع العديد من سكان اليمن أيضاً إلى النزوح عن مناطقهم[٣] .

وزيادة على ذلك ، كان لرد فعل سلاطين بني رسول في التعامل مع الخارجين عن طاعتهم أثره السلبي في حياة الرعية المادية والمعيشية والأمنية ، لما مارسه بعض هـؤلاء السلاطين من أعمال تخريب لمزارع الناس بقطعها وإحراق محاصيلها دون تمييز بين المذنب والبريء ، مما أدى إلى شحة المحصول وارتفاع الأسعار لانعدام الطعام في الأسواق ، وبالتالي تفشى الغلاء الذي عانت منه فئة واسعة في المجتمع ، ومِنْ ثَمَّ تدهور حالتهم المعيشية وانتشار الجوع والمجاعات بينهم[٤] ، كما عانى الناس في معظم مناطق اليمن من الصراعات الشديدة

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤ ، ٦ ، ١٨ - ١٩ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٥١ - ٥٢ ، ٥٦ .

[٢] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٢ - ٤٠٤ .

[٣] عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٩ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٦ ، ١٠٦ ، ١٨٦ ؛ ج٢ ، ص٣٥ ، ٢٦٠ .

التي كانت تنشب بين قبائل بعض المناطق ، وما ينتج عنها من تدمير للمدن والقرى ، وحرق لمزارعها ، ومصادرة أراضي سكانها بالقوة ، ونزوح العديد من الناس عن هـذه المناطق تجنباً لشر رجال تلك القبائل الذين يقتلون ويسلبون ويحرقون عند غياب دور الدولة[١] .

لقد دفع استمرار الصراع بين سلاطين بني رسول ومنافسيهم بعض هؤلاء السلاطين إلى تعريض الرعية للمعاناة والشقاء بسبب عدم حكمتهم في حل الأزمات بالطرق السلمية ، مثلما فعل السلطان المجاهد الذي تعد مدة حكمه من أحرج المُدَد وأشدها فوضى[٢] عندما استعان بقوة من مماليك مصر سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م للتخلص من منافسيه ، ولمساعدته على إقرار الأوضاع في البلاد ، وقد جاءت هذه الحملة بنتائج عكسية ، بعد أن عاث المماليك في مناطق اليمن المختلفة فساداً ، لاسيما في تعز التي نهبوا بيوت أهلها عند دخولهم إليها ، ومِنْ ثَمَّ تنقلهم وانتشارهم في المناطق المجاورة لها ، وكانوا لا يجدون طعاماً للناس إلاّ أخذوه من أصحابه بثمن بخس غالباً ، كما نهبوا بيوتاً كثيرة في نواحي تعز ، الأمر الذي أدى إلى انعدام الطعام الذي أصبح يستورد من مناطق بعيدة وبأسعار مرتفعة ، كما قام بعض هؤلاء المماليك بالتعدي على عامة الناس ، وقتلوا الكثير منهم تحت التعذيب ، كما نهبوا بعض القرى واعتدوا على حريمها ، وقطعوا جميع زرع تعز والمناطق المجاورة لها ، إلاّ أن أكثر تخريبهم كان للمناطق التي مروا بها في طريق عودتهم ، وتعد مناطق تهامة من أكثر المناطق التي تعرضت للنهب الشديد من قبل المماليك الذين عاثوا فساداً في مناطق اليمن دون أن يكون للسلطان المجاهد دور رادع ضدهم ، إذ ظل متخفياً عنهم والخوف يملأ قلبه بعدما سمع بأفعالهم التي طالت أهالي مدينة تعز والمناطق التي مروا بها[٣] .

ومهما يكن الأمر ، فقد تأثر بعض أفراد الفئات الاجتماعية بسياسة بعض السلاطين التعسفية ضدهم منهم أفراد فئة صغار التجار الذين هرب العديد منهم في عصر الناصر أحمد إلى جدة والهند وغيرها بعد أن باعوا ممتلكاتهم بأقل الأثمان ؛ لِمَا تعرضوا له من جور الناصر وظلمه لهم[٤] ، كما تضرر العلماء والفقهاء وغيرهم من سوء سياسة سلاطين بني رسول وجورهم لاسيما في أواخر دولتهم بعدما رفعوا أيدي الفقهاء من معظم الوقف ، وأصبح بنو رسول والمتنفذون منهم هم المتصرفون فيه ، ولم يلقَ أفراد هذه الفئة الاهتمام والعناية التي كانوا يلقونها سابقاً من حيث صرف الرواتب والهبات والعطايا والمسامحات في أراضيهم ،

---

[١] انظر : هُديل : التمردات القبلية ، ص ١٩٦ – ٢٠٠ .

[٢] Playfair ; *AHistory Arabia Felix or Yemen* , p 92 .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦١٦ – ٦٢٠ .

[٤] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص١٢ ؛ قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٧٨ .

لانشغال رجال البيت الرسولي بصراعاتهم وخروج بعض الأمور من تحت أيديهم ، حتى أن زوال الدولة الرسولية أصبح من أكثر أمنيات بعض أفراد هذه الفئة[١] .

كما كان لسوء سياسة العمال والولاة في التعامل مع الأهالي أثره في تدهور أحوالهم المعيشية للأسلوب التعسفي والاستفزازي الذي تعامل به هؤلاء مع الرعية سواءً في طريقة التعامل الشخصي ، أو في طريقة أخذ الضرائب والعشور الذي لا يُراعى فيها أوضاع الناس الصعبة ، مما أدى إلى حدوث ثورات وتمردات اجتماعية ضد الدولة وولاتها في مناطق مختلفة من اليمن بعدما رأى الناس منهم ما رأوا من جور وظلم وقبيح أعمال ، وذهاب الكثير منهم وراء الملاهي والملذات وشرب الخمور وسماع الغواني ، وانشغالهم عن هموم ومشكلات الناس ، مما أشعل نار الفتنة والخلاف في العديد من المناطق والمدن التي دُمرت وأُحرقت ونُهبت خيراتها من قبل القبائل بسبب سياسة هؤلاء الولاة التعسفية ضدهم[٢] .

ويغلب على الظن أن أكثر ما تأثرت به أوضاع الناس المعيشية كانت الضرائب المختلفة التي فرضها بنو رسول على رعيتهم ، ومن هذه الضرائب الضريبة التي سنها السلطان المنصور نور الدين عمر عند توليه حكم اليمن على سكان بعض المناطق الواقعة تحت نفوذه مثل ضريبة خرص الثمار[٣] التي فرضها في سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م على أهالي منطقة صبر وذخر وغيرها من البلاد ، ولم تكن معروفة قبل ذلك عندهم ، حتى أنه طالب رعيته بزيادة على ما جرت به العادة ، فجوبه المنصور بثورة عارمة من قبل بعض المشائخ منهم الشيخ أحمد بن علوان الصوفي الذي وجه إلى المنصور رسالة بليغة زجره فيها ووعظه على ما أحدث من ضرائب[٤] ، كما فرض المنصور على الناس ضريبة عرفت بالمعونة[٥] أجبر الناس على تسليمها له[٦] ، فضلاً عن ضريبة أخرى عرفت بضريبة مبلغ الدينار التي ظلت حتى عهد ولده المظفر تؤخذ من المزارعين في جهة تعز ونواحيها[٧] ، ويبدو أن هذه الضريبة خارجة عن ضريبة العشر الشرعية التي تؤخذ على الثمار .

كما فرض بنو رسول على الفلاحين ضرائب أخرى أرهقتهم وتسببت في تدني أحوالهم كان أشهرها ضريبة مصالحة العطب (القطن) التي فرضت في عصر السلطان

---

[١] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٨ ، ٢٤٧ – ٢٤٨ ، ٣٣٥ .

[٢] انظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٩٨ ، ١٥٥ – ١٥٦ ، ٢٤٩ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦١ ، ٥٦٩ . وانظر : فديل : التمردات القبلية ، ص٨٣ – ٨٧ .

[٣] الخرص : تخمين قيمة الشيء وتقديره . جبران مسعود : الرائد ، مج١ ، ص٦١٩ .

[٤] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق٧٠أ .

[٥] المعونة : مال معلوم غير الخراج يفرض سنوياً على الناس لاسيما المشائخ في جميع جهات اليمن يطلبه السلطان عند خروجه في الحروب أو عند إعداد الجيوش أو عند عودته من الحروب وانتصاره فيها . الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٤٦ب .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠٩ ، ٥٤٥ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣أ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٨٢ – ٤٨٩ ؛ ابن علوان : ديوان الفتوح ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

الأفضل بن المجاهد[١] ، وتقوم على أساس اتفاق يتمُّ بين عمال الخراج ومزارعي القطن في أمرين : إما قبول المزارعين بدفع ضريبة جني العطب مع كونه معفياً من الضرائب أصلاً لقلة ما كان يزرع منه في ذلك الوقت لتشجيع زراعته ، وإما قبولهم دفع أكثر مما كان مقرراً عليهم من العطب نفسه[٢] ، كما فرضوا على الفلاحين ضريبة أخرى عرفت بضريبة قبال النخل[٣] ، وهي مبالغ مالية يجبر المزارعون على دفعها سنوياً للدولة سواءً غلّت الأرض أم لم تغل بوصفها ضماناً أو إيجاراً عن بساتين النخيل المجاورة للأراضي المملوكة للسلطان[٤] ، إضافة إلى ضريبة أو جباية أخرى فرضت على مزارعي النخيل في عصر السلطان المظفر الأول عرفت باسم قطيعة[٥] وقد تضرروا منها[٦] .

وغني عن القول أن هذه الضرائب تعد من أعجب ما فرضه نواب وعمال بني رسول على الفلاحين ، في حين كانت الزيادة التي تحدث في الزبدي السنقري ، وهو مكيال ينسب إلى الأتابك سنقر منذ عهد بني أيوب قد أرهقت الرعيّة ، إذ أن معيار هذا المكيال في الأصل مائتين وأربعين درهماً ، ثم استقر في نهاية عهد المجاهد على ثلاثمائة وعشرين درهماً ، وأخذ في الزيادة ، وزاد أربعين درهماً ، حتى أن المحتسبين في زبيد استمروا يزيدون فيه زيادة فاحشة أثقلت كاهل الفلاحين وزادت من معاناتهم[٧] . كما تضررت الرعية أيضاً من نوعية الدراهم الجديدة التي كانت تفرضها الدولة في الأسواق عليهم ، ولا تأخذ الضريبة إلاّ بهذه الدراهم التي تنعدم عند أكثرهم ، منها الدرهم الرياحي الذي ظهر سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م بمرسوم فرض به السلطان المجاهد على عماله وولاته أن لا يأخذوا من الفلاحين والتجار في جمع أموال الخراج إلاّ هذا الدرهم الجديد ، إذ كانت العادة في الدولة المنصورية والمظفرية والمؤيدية أن يطلب من الرعية ما يتوجب عليهم من الخراج في الغلة على حكم السعر في ذي الحجة الماضي ، وكان السعر في تلك السنة قد ارتفع في ذي الحجة ارتفاعاً عظيماً وانحط في أيام الصراب انحطاطاً كلياً مع ظهور الدرهم الجديد الرياحي ، فتضررت به الرعية تضرراً عظيماً ، وانكشفت أحوالهم وهربت طائفة منهم ، وأدى ذلك إلى خراب المزارع لتدهور أوضاع الناس وعجزهم عن حراثة الأرض وتسديد ما عليهم للدولة[٨] ،

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٠أ .

(٢) عليان : الحياة السياسية ، ص١٠٧ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٢ . وعن أول من جار على ملاك النخل انظر لاحقاً : ص٤١١ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ، مادة (غلل) ؛ عليان : الحياة السياسية ، ص١٧١ .

(٥) عن المقصود بكلمة القطيعة انظر لاحقاً : ص٤١٣ .

(٦) نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٦ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨٠ – ١٨١ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٣أ .

(٨) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٦ .

كما فُرضت على الرعية جباية أخرى عرفت بضمان الحسبة والمحناط[١] ، التي يبدو أنها فرضت على الناس في الأسواق ويكون المحتسب المسؤول عنها ، ويذكر المعلم وطيوط[٢] ضريبة أو جباية يقول بأنها لم تظهر إلاّ في عصر السلطان المجاهد ومَنْ جاء بعده وعرفت بالمساحة وهي أيضاً خارجة عن العشر الذي يؤخذ على الفلاحين ، إلاّ أن ما أتعب الرعية وأرهقهم مضاعفة الولاة والعمال لهذه الجباية والزيادة فيها مع مرور الزمن .

وعلاوة على ذلك ، فقد أرهقت الضرائب التي فرضها بنو رسول أفراد فئة التجار ، منها ضريبة العشور التي تعد من أهم هذه الضرائب التي تؤخذ على التجار الواصلين إلى موانئ اليمن لاسيما ميناء عدن ، حتى أن الدولة الرسولية لكثرة ما تأخذه من أموال هذه الضريبة أصبحت أكثر مالاً من مملكة الأشراف الزيديين في صنعاء وما والاها ، وقد أطلق على هذه العشور اسم مال الفرضة[٣] ، كما فرض بنو رسول على التجار ضرائب أخرى عُرِفتَ بالمكوس ، وكان أهمها مايعرف بمال الشواني[٤] ، وهي ضريبة أو مكوس تؤخذ على التجار مقابل حماية سفنهم التجارية من الأخطار التي تتعرض لها أحياناً ، وقد ورث بنو رسول هذه الضريبة عن الأيوبيين ، وكان مقدار هذه الضريبة يساوي عشر المتحصل من ضريبة العشور[٥] . ومن المكوس أيضاً التي فرضها بنو رسول على التجار الوافدين إلى عدن ضريبتا دار الوكالة التي تحسب على أساس ١/٤٠ من الثمن الذي يقدر للبضاعة الواردة ، وضريبة دار الزكاة التي تؤخذ على أية سلعة مستوردة دون إعفاء حتى ولو كانت ضرورية للاستهلاك المحلي ، وقد استحدثت هاتان الضريبتان في عدن قبل قيام الدولة الرسولية بسنة واحدة أي سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م[٦] . إضافة إلى جباية أو ضريبة العُمَالة والتي تؤخذ من التجار بعد أخذ العشور إلى جانب ضريبة الشواني[٧] ، كما فرض السلطان المنصور نور الدين عمر مكوساً أخرى على البضائع المعروضة في الأسواق ، وأخذ في جمع الأموال من جميع السلع التي تباع هناك ، ولم يدع سلعة إلاّ وأخذ عليها ضريبة باستثناء الماء والسمك ، والأكثر من ذلك أنه أخذ في احتكار الأسواق عن طريق شراء جميع البضائع الواردة إليها ثمّ تحكمه بسعرها واحتكاره تجارتها ، مما أثر على التجار الذين عجزوا عن شراء بعض

---

[١] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٩٨ .

[٢] تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣أ .

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٣٤ ؛ عليان : الحياة السياسية ، ص١٧٩ .

[٤] الشواني : سفن حربية كبيرة . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ج٢ ، تح : أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥م ، ص٢٩٣ .

[٥] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٦١ – ٦٢ .

[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٧ – ١٤٨ ؛ بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٦٣ – ٦٤ .

[٧] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٦٢ – ٢٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البضائع التجارية لارتفاع سعرها وعدم استقراره، ومِنْ ثَمَّ تضرر عامة الناس من عدم استقرار الأسعار هذه، وهو ما أثر في معيشتهم وزاد من فقرهم[١]، كما عانت الرعية من بعض الجبايات التي كانت تفرض على جميع الناس دون تمييز بين غني وفقير بما فيهم الأرامل والأيتام الذين يُفرض عليهم دفع مبالغ مالية عند الشدة والضرورة، مثلما حدث لسكان المناطق الممتدة من ذمار إلى صعدة عندما اشترى الإمام المهدي أحمد بن الحسين حصن براش من الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن رسول بمبلغ خمسمائة ألف درهم وفرض عليهم تسديد هذا المبلغ، وجعله عاماً على الجميع بما فيهم الأرامل والأيتام[٢].

وفضلاً عن ذلك، فرض بنو رسول الضرائب على عامة الناس من الصناع والحرفيين والمهنيين مقدرين ذلك بما ينتجه الحرفي من أدوات يدخل بها إلى السوق خلال السنة الواحدة، وغالباً ما تؤخذ هذه الضريبة عيناً من المنتجات التي يقوم بصناعتها، فمثلاً كان الحداد الأستاذ إبراهيم السكاكيني يؤدي ضريبة سنوية عمّا ينتجه لديوان الدولة ثلاثة وعشرين قطعة من منتجاته الحديدية[٣].

لقد أثرت الضرائب والجبايات المختلفة على أوضاع الناس المادية والمعيشية في العصر المذكور، للأسلوب العنيف الذي تؤخذ به دون مراعاة لمستوى دخل الفرد، ووضعه المادي الذي لا يسمح له بدفع ما هو مقرر عليه من الأموال، مما خلق حالة من الاستياء والتذمر التام بين أوساط العامة، وقد جوبهت سياسة فرض الضرائب والجبايات المختلفة التي مُحِنَ بها معظم الناس في ذلك العصر بالرفض التام من قبلهم، ورفض بعضهم دفعها للمختصين جملة وتفصيلاً، في حين تهرب بعضهم من تسليمها، مما دفع الدولة إلى استعمال القوة لأخذها، كما أثارت هذه الضرائب حفيظة القبائل وأشعلت نار الفتنة ضد بني رسول الذين أخذوا في مواجهة تلك الثورات التي كانت تفتح عليهم من جبهات مختلفة عند جباية هذه الضرائب[٤]، وفضلاً عن ذلك تضرر الرعية من بعض العقوبات التي فرضها بنو رسول على بعض الذين رفضوا دفع ما عليهم من الواجبات والضرائب، منها عقوبة المِحَاط أو الخِطَاط التي تعد من أشد العقوبات التي فرضتها الدولة على الخارجين عن طاعتها[٥]، ويقوم هذا النظام على أساس أن يدفع السلطان بقوة عسكرية أو قبلية تابعة له للقضاء على الجماعة الخارجة عن الطاعة، أو إرسال القوة نفسها إلى جيران الجماعة المتمردة، وإن

---

[١] بامخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج١، ص٦٨ – ٦٩.

[٢] يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج١، ص٤٣٦.

[٣] نور المعارف، ج١، ص١٢٤.

[٤] الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج٢، ص٢٦٨، ٢٧٥ – ٢٧٧؛ مجهول: تاريخ الدولة الرسولية، ص٢٣٥ – ٢٣٦، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩؛ الشرجي: طبقات الخواص، ص١١٥.

[٥] الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٤١.

كانوا مسالمين بوصفه نوع من العقاب لمجاورتهم للمتمردين ، وتبقـى هذه القوات المهاجمة مقيمة إقامة كاملـة مُدة معينة ، وعلى الأهالي (المحط) تقديم المأوى والمأكل والمشـرب وغيرها من الأشياء طوال مُدة الإقامة ، وقد يقوم العسكر بالسكن في بيوت مَنْ ينزلون عليهم وبين نسائها كأي فرد منهم ، بهدف إذلالهم ليكونوا عبرة لغيرهم ، ويعد الخطاط من أبشـع الأساليب التي عوقب بها الناس لما فيه من اضطهاد وانتهاك للحرمات[1] .

غير أن هذه المعاناة التي تعرض لها عامة الناس في ذلك العصـر لقـت عطـف واهتمام بعض سلاطين بني رسول الذين انتقدوا التصرفات الخاطئة لسلفهم ، والقائمين على شؤون رعيتهم في فرض الضرائب ، وأخذها بالقوة دون مراعاة لأحوالهم وظروفهم ، لذلك أصدر هؤلاء السلاطين مثل السلطان المظفـر الأول والأشـرف الأول والثـاني وغيـرهم أوامرهم بإسقاط بعض هذه الضرائب الجائرة أو تخفيفها بهدف تحسين المسـتوى المعيشـي لرعيتهم ، وانتشال الكثير منهم من حالة الفقر والبؤس التي يعيشونها[2] .

---

[1] انظر : مجهول : صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، ص ٤٧ ، ح رقم (١٢١) للمحقـق ؛ سلطان ناجي : التاريخ العسكـري لليمن ، ص ١٢٣ ؛ الشرجبي : القرية والدولة ، ص١٧٨ .

[2] سوف يتم الحديث عن دور الدولة في تحسين المستوى المعيشي للناس لاحقاً انظر : ص٤٠٩ – ٤١٦ .

ثالثاً : الأوضاع العلمية للناس ودور العلماء في الحياة العامة :

شكّل التعليم جانباً مهماً من جوانب الحياة الاجتماعية في حياة العديد من النـــاس ، وقد أعطت فئة واسعة منهم جل اهتمامها به ، لما كان له من دور فاعل فـــي نقـــل بعـــض الأفراد من فئات وشرائح أقل إلى فئات وشرائح أرفع ، إذ إنه بالعلم استطاع الكثير من الناس مجالسة السلطان وكبار رجال دولته ، كما تمكن الكثير منهم من امتلاك الأموال والأمـــلاك والعقارات والأراضي ، لارتقائهم إلى أعلى المراكز .

١ - اهتمام الناس بالتعليم :

لقي التعليم في العصر المذكور قبولاً كبيراً من مختلف أفراد المجتمع الذين وجدوا فيه خير طريق لتغيير واقعهم وتحسين وضعهم ، علماً بأن التعليم لم يقتصر علـــى فئـــة أو شريحة اجتماعية معينة ، بل كان مجاله مفتوحاً أمام الجميع ، بغض النظر عن سن المـــتعلم أو وضعه الاجتماعـــي ، لهذا اهتم معظم النـــاس - كباراً وصغاراً ، أغنياء وفقراء - بتلقي العلم ، وراحوا يبحثون عنه وعن علمائه مع وصول بعضهم إلى مستوى اجتمـــاعي رفيـــع يغنيهم ويشغلهم عن التعليم ، وبلوغ بعضهم سناً قد يمنعهم عن التفكير به والبحـــث عنـــه ، وكان سلاطين بني رسول أكثر من اهتم بتلقي العلم مع ما هم فيه من انشغال بأمور الحكـــم ومتاعبه ، إذ واصل معظمهم مسيرة العلم واختلطوا بأهله واهتموا بهم وبأوضاعهم ، وهيأوا لهم الأجواء المناسبة والجيدة لمواصلة رسالة التعليم والعطاء لأبناء مجتمعهم ، وهـــي صـــفة جميلة قد لا نجدها بين أكثر الحكام الذين تولوا ملك اليمن سواءً قبل قيام الدولة الرســـولية أو بعد زوالها ، ويعد السلطان نور الدين عمر ممَّن ظلوا يبحثون عن العلم مع ما هو فيه مـــن مشاغل الحكم ومتاعبه ، ونتيجة لانشغاله بأمور رعيته ودولته التي تلازمت مع صفة حبـــه للعلم ورغبته في تلقيه فإنه كان يستدعي بعض العلماء والفقهاء إلى قصره ليسمعوا منه ويتعلم منهم كالفقيه محمد بن مضمون بن أبي عمران (ت : ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م)[١] ، كما سلك السلطان المظفر الأول طريق والده المنصور من حيث الاهتمام بالعلم ، إذ يذكر أنه كـــان يســـتدعي الفقيه عبدالله بن يحيى بن أحمد بن لبيب (ت : ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) ليتعلم منه بحضرة بعض العلماء والقضاة وغيرهم ، كما كان يلتقي بالفقيه أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن إســـماعيل ابن ميمون الحضرمي الحميري اليزني (ت : ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) ليســـمع عليـــه صـــحيح البخاري[٢] ، وقد نهج بقية سلاطين بني رسول طريق سلفهم في طلب العلم والتعلم[٣] ، كما

---

(١) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الوضع العلمي للسلطان المظفر انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٤ ، ٢٠١ ، ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٣) عن اهتمام هؤلاء السلاطين بالعلم والتعليم والتأليف واقتنائهم أمهات الكتب انظر : علي بن علي حسين : الحياة العلمية في تعز ، ص١٢١ - ١٤٠ ، ٢٠٧ - ٢١١ .

اهتم أيضاً بالعلم بعض أمراء الأسرة الرسولية وراحوا يبحثون عنه ، ويستدعون الفقهاء والمدرسين ليتعلموا على أيديهم ، وممن عُرف بذلك الأمير أسد الدين محمد بن حسن بن رسول الذي كان محباً للعلم والعلماء ، وعلى الرغم من سجنه من قبل ابن عمه السلطان المظفر الأول إلاّ أنه كان يستدعي الفقيه أحمد بن علي السرددي رأس المحدّثين يومئذ في مدينة تعز وغيره من العلماء إلى السجن ليسمع عليهم ، وكان يستغل أوقاته في السجن بنسخ المصاحف والمقدمات والكتب ثم يوقفها على عدة أماكن[1] ، كما اهتم أعيان الدولة الرسولية ووزراؤها بالتعليم وراحوا يبحثون عن أفضل العلماء والفقهاء ليسمعوا عليهم بعض ما تعلموه من الكتب ، حتى أن تلك الصفة عرف بها كبار رجال الدولة الرسولية[2] ، وفي الوقت نفسه اهتم أفراد شريحة التجار بالعلم وتدارسوه مع غيرهم من العلماء ، ويعد التاجر الشهاب صقر التكريتي في عدن من أكثر من عرف بالعلم في عصر السلطان المؤيد مع عمله في التجارة التي اشتهر بها ، فكان العلماء والفقهاء يأتون إليه ليتعلموا على يده مع عمله في التجارة وانشغاله بها[3] ، كما اهتم أفراد الفئات الاجتماعية الأخرى من فلاحين وحرفيين وصناع وغيرهم بالعلم حتى أن الكثير منهم كانوا يتعلمون في أثناء مزاولتهم لحرفهم التي يعملون بها ، وقد يأتي طلاب العلم ليستمعوا منهم في ورشهم وهم يزاولون عملهم[4] ، في حين ضم العلم قاعدة واسعة من أبناء اليمن الذين برزوا في مختلف العلوم ومن مختلف الفئات والشرائح ، وبلغ اهتمام بعضهم بالعلم صرفهم معظم أموالهم في شراء الكتب في مختلف أنواع العلوم التي امتلأت بها خزائنهم الغنية بأنواع المصادر العلمية ، مما سهل عليهم وعلى الكثير من المهتمين طلب العلم وتلقيه[5] ، وقد عكس اهتمام الناس بالتعليم نفسه على أبنائهم فراحوا يعلمونهم ويشجعونهم على ذلك .

٢ – تشجيع الآباء لأبنائهم على التعليم :

لقد دفعت حياة العلم والعلماء ، وما وصلوا إليه من مكانة وجاه بين أبناء مجتمعهم ، وما ميزوا به من قبل بني رسول عن غيرهم من أفراد الفئات الاجتماعية الأخرى العديد من الآباء إلى حث أبنائهم على تلقي العلم والالتحاق بمراكزه ومصاحبة أهله ، وكرس الكثير من الآباء جهودهم وإمكانياتهم لتعليم أبنائهم وتوفير الظروف المناسبة لذلك ، وعملوا على تشجيعهم عليه ، وقد بلغ من اهتمام بني رسول بهذا الجانب أنهم كانوا يهيئون لأبنائهم الظروف

---

[1] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١١١ب .

[2] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٧٦أ – ب .

[3] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢٧ ؛ ج٢ ، ص١٥ .

[4] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٢٢ .

[5] نفسه ، ص٢٢٠ ، ٣٥٧ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٥١أ .

المناسبة لذلك ، ويبدو أنهم ركزوا على قضية التربية لأبنائهم ثم التعليم ، فكانوا يعينون المؤدبين لأبنائهم ليؤدبوهم ويرشدوهم ويعلموهم ، وكان السلطان المنصور من أوائل سلاطين بني رسول اهتماماً بهذه المسألة ، فيذكر أنه كلف الأستاذ الطواشي نظام الدين مختص بن عبدالله المظفري (ت : ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) ليكون مربياً لابنه الملك المظفر وهو صغير فأحسن تربيته وتأديبه ، حتى أن المظفر كافأه على صنيعه بأن حمل له طبلخانة وأقطعه إقطاعاً كبيراً عندما آل إليه حكم اليمن بعد مقتل والده المنصور[١] ، ويبدو أن المظفر الأول اهتم بتعليم أبنائه ليكونوا أعلم الناس إذا ما آل الحكم لأحدهم من بعده ، حتى أنه كان يقول لولده وخليفته في الحكم الملك الأشرف : " لا بارك الله في وال في رعيته من هو أعلم منه "[٢] ، مما دفع الأشرف إلى طلب العلم ، فكان أعلم الناس[٣] ، وقد ساعد على بروز نجم الأشرف العلمي قيام والده السلطان المظفر الأول بتعيين الفقيه أبي محمد سعيد بن أسعد الحرازي (ت : ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) معلماً ومؤدباً له ، وعندما تُوفّي ترحم عليه الأشرف وقال : " لقد كان يرُدنا عمّا لا يليق بنا "[٤] ، وقد بالغ السلطان المظفر الأول في البحث عن هؤلاء المربين والمؤدبين عندما أراد أن يعين لابنه المؤيد أحدهم ، فاستغرق ذلك منه زمناً طويلاً حتى دُل على الفقيه جمال الدين محمد بن حسين الحضرمي (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، فاستدعاه وأمره بتربية المؤيد وتعليمه ، فأجاد تربيته وتعليمه ، وكان المؤيد ببركة تعليمه من أعيان الملوك وعقلائهم[٥] ، وقد رأى بعض الآباء من بني رسول أن تعيين المربين والمؤدبين هي أفضل طريقة لتشجيع أبنائهم على التعليم ، وكان السلطان المؤيد ممّن رأوا ذلك فعين الفقيه شهاب الدين عبد الرحمن الظفاري مؤدباً ومعلماً خاصاً بابنه المجاهد[٦] ، ولم يكن ذلك الأمر على مستوى بني رسول فقط بل امتد إلى كبار الأشراف والأمراء الذين أخذوا في البحث عن المربين لأبنائهم ومنهم الأمير الشريف علي بن عبدالله الحمزي الذي كلف الفقيه أبي محمد عبدالله بن محمد بن أبي الخير العودري السكسكي (ت : ٧١٠هـ / ١٣١٠م) ليكون معلماً ومؤدباً لأبنائه : داؤد وعماد الدين إدريس ، وقد انتفع به أولاد الشريف المذكور وقرأوا على يده القرآن وكتباً كثيرة في الأدب وغيره[٧] ، ومن الملاحظ أن المتنفذين من ذوي المكانة في الدولة هيأوا لأبنائهم الظروف الجيدة ليعيشوا حياة جيدة ويتعلموا على يد

---

(١) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٣ – ٤٤ .

(٢) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١١٧ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢١٦ – ٢١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

(٦) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٦٩ب ، ١٧٠أ .

(٧) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٩٩ – ٤٠٠ .

كبار المعلمين المعروفين في ذلك العصر ، حتى أن هؤلاء الأبناء عرفوا بخبرتهم في العلوم المختلفة نظراً لمَا توافر لهم من ظروف ساعدتهم على تلقي العلم[1] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد كان للمال والترف ووسائل الراحة والرفاهية التي حاول بعض الآباء من أصحاب السلطة والنفوذ والميسورين توفيرها لأبنائهم من أهم الدوافع التي جعلت الأبناء يهتمون بتعليمهم وتفوقهم ، إلاّ أن ما أحزن الكثير من الآباء هو عدول بعض الأبناء عن التعليم وعزوفهم عنه مع ما توافر لهم من ظروف مواتيه لتلقي العلم[2] ، ولذلك اختلفت أساليب الآباء في التعامل مع أبنائهم بين الترغيب والترهيب ، فاتجه بعضهم إلى ترغيب أبنائهم في التعليم بتقديم المكافآت والهدايا لهم ، إذ يذكر الفقيه عفيف الدين عبدالله بن علي السراج الحنفي (ت : ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م) أن والده كان يعطيه على كل سورة يحفظها من القرآن ثمان أواقي فضة حتى حفظ القرآن كله[3] ، وهي من أفضل الطرائق التي اتبعها الكثير من الآباء لترغيب أبنائهم في التعليم ، في حين أرهقت هذه المسألة بعض الآباء الذين لم ينفع مع أبنائهم كل وسائل الترغيب والنصائح والتوجيه ، فاتجه بعضهم إلى استعمال الترهيب في تعليم أبنائهم ، وهو الأسلوب الذي اتبعه إسماعيل المقرئ مع ابنه علي الذي لم يرغب في التعليم ، وكان كثير الانقطاع عن حلقات الدرس ، مما أحزن والده ودفعه إلى قطع النفقة عنه بعد أن أخفق في نصحه له ، ومع ذلك استمر ابن المقرئ في إرشاد ابنه ونصحه بمجالسة العلماء والصالحين وترك مجالسة رفقاء السوء الذين كانوا سبباً في تركه للتعليم[4] ، في حين نقل بعض الآباء أبناءهم إلى أماكن ذات أجواء تعليمية مناسبة ، مثلما فعل الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي عندما نقل ولده علي بن صلاح من مدينة ذمار إلى ظفار لينشأ فيها على يد كبار المؤدبين والمربين والمعلمين حتى أنه حفظ القرآن الكريم كاملاً هناك[5] .

٣ – فرحة الأسرة بتعليم أبنائها :

حظيت الأيام الأولى من ذهاب الأطفال إلى المعلامة أو الكُتّاب بعناية واهتمام معظم الأسر اليمنية ، إذ تعد من أفضل اللحظات التي يسعد بها أفراد أي أسرة في أي عصر أو زمان ، وقد جعل الأهل في عصر بني رسول لهذه المناسبة أجواءها الخاصة ، فأخذوا يتمتعون بالنظر إلى أطفالهم وهم يتوجهون إلى الكُتّاب في الأيام الأولى التي كان لها صداها

---

(1) الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٣٩٤ .

(2) أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ٢٦٩ – ٢٧١ .

(3) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٨٤ .

(4) أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٠ – ٢٧١ .

(5) يحيى بن الحسن : أنباء الزمن ، ق٤٢ب .

عند جميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم ومراتبهم ، وهو ما يؤكده لنا إسماعيل المقرئ الذي يشير إلى فرحة الناس بهذه المناسبة الاجتماعية التي تُسر بها الأسر ويفرح بها الأطفال في أيامهم الأولى ، ويصور لنا ابن المقرئ ذلك في فرحة الملك محمد بن السلطان الناصر أحمد لذهابه في اليوم الأول إلى الكُتّاب للدراسة في قصيدة هنأ فيها ابن المقرئ السلطان الناصر بهذه المناسبة مصوراً فرحة الصبي بدخوله الكُتّاب[١] ، وقد بلغت الفرحة ببعض الأمهات إلى الخوف على أبنائهن من العين والحسد فيقوم بعضهن برقية أطفالهن والقراءة على رؤوسهم ما تيسر من سور القرآن الكريم ليحفظهم الله من أعين الناس وهم في طريقهم إلى الكُتّاب[٢] ، ومن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال كانوا يلقون عناية واهتمام من قبل الأهل في لباسهم ومنظرهم ونظافتهم عند ذهابهم إلى المعلامة أو الكُتّاب لاسيما أطفال الأغنياء والميسورين مثل أطفال بني الأهدل الذين وصفوا بالكمال وعنوان الجمال في منظرهم وترتيبهم في المعلامة[٣] ، وكجزء من العناية بالطفل وطعامه في مدة وجوده في المعلامة كان بعض الأهل يعطون أطفالهم عند خروجهم إلى الكُتّاب قطعة من الخبز ليتزودوا بها في أثناء وجودهم فيه إذا ما جاعوا ، وقد يستغل بعضهم الوقت ليأكلوا جزءاً منها في الطريق ويدخروا الباقي إلى وقت آخر[٤] .

لقد كانت المصاحف وأدوات الكتابة التي يستعملها الأطفال عند تعلمهم كالأقلام والألواح الخشبية والمماحي وقطع القماش والمقالم من الضروريات التي يتوجب على الأهل توفيرها لأطفالهم عند ذهابهم إلى المعلامة التي يبدأ فيها الطفل بتعلم حروف الهجاء والنطق بها أولاً ثم يبدأ بكتابة هذه الحروف على لوح من الخشب يكون معد لذلك[٥] ، وقد كانت الأماكن التي يتعلم فيها الأطفال سواءً كانت معلامة أو مدرسة أو مسجداً أو بيتاً أو حتى تحت شجرة[٦] متنفساً يزاول فيه الطلاب هواياتهم المفضلة بين زملائهم مثل ممارسة الرياضة بأنواعها منها رياضة العدو والجري ورياضة الوثوب والقفز لمسافات ، وكان المدرسون أنفسهم يتولون إجراء المسابقات بين طلابهم في الجري والقفز ، وكانت هذه المسابقات تتم بعد انتهاء دوام المدرسة لاسيما من بعد صلاة العصر إلى وقت صلاة المغرب[٧] ، كما أرسل بعض الآباء

---

[١] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٩ .

[٢] المصدر نفسه والصفحة .

[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٢٤ب .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٣٩ .

[٥] ابن جرير ، إسحاق بن يحيى : تاريخ صنعاء ، تح : عبدالله الحبشي ، مكتبة السنحاني ، صنعاء ، د . ت ، ص١٨٨ ؛ أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٩ .

[٦] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢١٦ ؛ الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٧١أ – ب .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٩٩ – ٤٠٠ .

أطفالهم في رحلات مع زملائهم في المدرسة إلى الأودية ذات المزارع وبساتين النخيل لتكون متنفساً لهم من عناء الدراسة وليتعودوا على السفر ومتاعبه ومشاقه[١] ، في حين أخذ بعض الطلاب يتسلون في المدارس مع زملائهم ويلعبون معهم لعبة الحذف أو الرمي بالحجارة الصغيرة ليختبروا قدراتهم على إصابة الهدف ، فراحوا يرمون بعضهم بها ، فشكلت هذه اللعبة خطراً على حياتهم وصحتهم ، حتى أن بعضهم فقد إحدى عينيه بعد حذفه بحصى من أحد زملائه في الدرس[٢] ، ومع ذلك ظلت الكتاتيب والمدارس مكاناً يتعلم فيه الطلاب مختلف العلوم ، ويتربوا فيه على مكارم الأخلاق وبر وحب الوالدين لما لهما من فضل في التربية والعناية وهو ما كان يتعلمه السلطان المظفر الأول في المعلامة[٣] ، كما أنها مكان يتعود فيه الطفل على ربط علاقات وصداقات تُنمي من مداركه ، وتوسع من علاقاته التي تُخرجه من جو بيئة الأسرة إلى جو بيئة المجتمع والعلاقات الواسعة التي تُبنى فيها شخصيته .

وكيفما كان الأمر ، فقد شكل النجاح في الكُتّاب أو المدرسة فرحة لا تساويها فرحة لأسرة الطفل المتفوق ، حتى أن هذا النجاح كان يكلل باحتفالات تقام يفرح فيها جميع أفراد الأسرة ومن هم حولهم من الجيران والأقارب والأصدقاء ، فضلاً عَنْ مَنْ تولوا القيام بعملية التدريس من المدرسين والمؤدبين ، وتذكر بعض المصادر أن هناك قناديل وجدت في عصر بني رسول واستخدمت لمناسبات معينة عرفت بقناديل الختمات[٤] ، وهي قناديل يبدو أنها استعملت للاحتفالات التي كانت تقام في المدارس أو المساجد بمناسبة تفوق بعض الطلاب وختمهم القرآن الكريم إما قراءة وإما حفظاً ، ومن الملاحظ أن هذه القناديل المصنوعة خصيصاً لهذا الغرض كانت تحمل بأيدي الطلاب لإضاءة المكان الذي سيقام فيه الاحتفال سواءً كان كتّاباً أو مسجداً أو مدرسة ، وقد كان ذلك دافعاً قوياً لزيادة تشجيع طلبة العلم على المثابرة والاجتهاد والتنافس رغبة في التفوق والنجاح ، في حين أسعد نجاح بعض الطلاب مدرسيهم الذين دفعتهم نشوة النجاح إلى إقامة الاحتفالات بنجاح طلابهم المتفوقين وسط فرحة الأهل والأقارب والزملاء ، ويذكر عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت : ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) أنه عندما تفوق في حفظ القرآن على زملائه وهو طفل احتفل به مدرسه الفقيه محمد بن أحمد البصّال المعروف بالذهيبي بأن أقام له وليمة كبيرة حضرها جماعة من الناس[٥] ، ويبدو أنها كانت من العادات المتبعة في مثل هذه المناسبات .

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٥٠ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٦٩ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص٤٧٦ –٤٧٧ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٠٨ .

[٥] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص١٠٩ – ١١٠

٤ – مراحل تعليم الأطفال وأوقات الدوام والعطل :

مرّت عملية تعليم الأطفال في عصر بني رسول بمراحل مختلفة منظمة تدرج فيها الطلاب من مرحلة إلى أخرى حتى وصل بعضهم إلى أعلى المراحل التعليمية ، وتبدأ هــذه العملية بالتحاق الطفل أولاً بالكُتّاب أو المعلامة التي تعد المرحلة التعليمية الأولى ، وعادة ما يكون الكُتّاب ملحقاً بالمسجد أو المدرسة أو في بيت المعلم أو تحت شجرة أو فــي الخــلاء لاسيما في المناطق الريفية التي لا يوجد فيها مكان لتعليم الصبية ، وقد انتشرت الكتاتيب في مختلف أرجاء الدولة الرسولية لعدم خضوعها لشروط أو مقاييس محددة بعدد طلاب أو سن أو مستوى معين أو غير ذلك من الأمور المقيدة للعملية التعليمية ، كما لم تنحصر في أفــراد فئة معينة بل التحق بها الناس من مختلف الفئات بما فيهم أبناء السلاطين ، وكان المظفر الأول ممن تعلم في المعلامة عندما كان طفلاً ، علماً بأن الطلاب في الكتاتيب كانوا يتعلمون الأساسيات الأولى للتعليم كحروف الهجاء والقرآن الكريم وكيفية الوضوء وأداء الصلاة والعد والحساب والشعر[١] تمهيداً لانتقالهم إلى مرحلة أعلى وهي مرحلة الدراسة في المساجد التي تُعد مــن أهم المراكز العلمية لكثرة الملتحقين بها من طلاب العلم على اختلاف أعمارهم ، ووضــعهم الاجتماعي ، وقد أعطى الناس في جل اهتمامهم بإنشاء هذه المساجد التي لم تنحصر وظيفتها بالعبادة والصلاة فقط بل امتدت لتكون مكاناً يتلقى فيه الناس العلوم الدينية والشرعية وغيرها ، إلاّ أن أعلى المراحل التعليمية التي ينتقل إليها الطلاب بعد مرحلة المساجد هي مرحلة المدارس التي كانت العملية التعليمية فيها تسير بشكل منظم ومخطط له من حيث اختيار المدرســين ، ونسبة عدد الطلاب ، والقاعات التي يتلقون فيها علومهم[٢] .

أما الأوقات المخصصة للدرس فغالباً ما تكون في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر مباشرة وحتى صلاة العصر وهو ما أثار استياء الكثير من المدرسين لتعارض ذلك الوقــت مع صلاة الظهر التي قد تفوتهم[٣] ، في حين حدد بنو رسول العطل الرسمية للمدارس فــي العطل الأسبوعية المحددة بانتهاء يوم الخميس إلى مساء الجمعة التي تعدُّ يوم عطلة رســمية ينتهي بصباحية يوم السبت ، إضافة إلى الأعياد الرسمية والمناسبات الخاصة ببني رســول

---

[١] انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٦ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢١٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٧ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٧١أ – ب ؛ الأهدل : تحفة الزمن ، ص٣٤٨ ؛ أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٩ – ٢٨٠ ؛ محمد الأكوع : صفحة من تاريخ اليمن ، ج٢ ، ص٤٨، ٤٩ .

[٢] فاروق أحمد حيدر مجاهد : التعليم في اليمن ، ص١١٢ – ١٢٠ ؛ الشجاع ، عبدالرحمن عبدالواحد : " ملامح الحركة العلمية في ثغر عدن إبان عصر بني رسول " ، مجلة اليمن ، ع (٢٢) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، دار جامعــة عدن ، عدن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص٤٠ – ٤٢ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣١١ ؛ الحبشي ، عبدالله محمد : " تاريخ التربية والتعليم في عصر بني رسول (٦٢٦ – ٨٥٨هـ) " ، مجلة اليمن الجديدة ، صنعاء ، أبريل ١٩٧٧م ، ص٥٨ ؛ إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص١٧ .

منها احتفالات الزواج والختان وغيرها ، كما تتوقف الدراسة في شهر شعبان ورمضان إلى آخر أيام العيد ثم تستأنف إلى نهاية شهر ذي القعدة وتتوقف إلى بداية العام[١] .

٥ – دور العلماء وغيرهم من أفراد المجتمع في الحياة العامة :

لقد ساعد التعليم في عصر بني رسول على وجود فئة واسعة تميزت بمكانتها ووضعها الاجتماعي والعلمي الكبير ، إذ كان لأفرادها دور فاعل في خدمة المجتمع ، ونشر التعليم ، ومواجهة أصحاب السلطة والمال ، والاعتراض على سياساتهم ، ومحاربة بعض العادات السيئة التي كانت متفشية بين الناس ، فضلاً عن دورهم في الحياة العامة ومشاركتهم في بعض الأعمال الخيرية التي استفاد منها جميع مَنْ في المجتمع .

ويغلب علي الظن أن أكثر ما أثار أفراد هذه الفئة من العلماء كان سياسة بعض سلاطين بني رسول المجحفة في حق الرعية ، لِمَا في هذه السياسة من أمور لا يراعى فيها حقوق هؤلاء الناس التي تسلب وتنهب تحت مسميات ضرائب وجبايات مختلفة ، وتورد المصادر مواقف للعديد من العلماء والفقهاء الذين تصدوا لسياسة بني رسول الظالمة في فرض الضرائب معبرين عن الواقع المرير والصعب الذي كان يعاني منه عامة الناس ، وما كان لهذا الواقع من انعكاسات جاءت على أحوالهم في مختلف مناطق اليمن ، وكان من أوائل هؤلاء العلماء وأبرزهم الشيخ الصوفي أحمد بن علوان الذي أثارته سياسة السلطان المنصور نور الدين عمر في فرض الضرائب على أهالي جبل ذَخِر وصَبِر ، فوجه إليه رسالة بليغة وقاسية وصريحة ينتقده فيها على سياسته وسياسة عماله وولاته في جباية الضرائب الجائرة التي أطلق عليها في رسالته مسمى غرس الشيطان[٢] ، وقد شغلت أوضاع الفلاحين الشيخ أحمد ابن علوان لما كان يرى فيها من ظلم وجور بكثرة الضرائب والجبايات التي كانت تؤخذ عليهم ، فعبر ابن علوان عن معاناة هؤلاء من أهالي منطقة تهامة والجبال وغيرها في قصيدة يطلب فيها من السلطان المنصور إسقاط الضرائب والجبايات التي أرهق بها عامة الناس وأفقرتهم منها ضريبة أو جباية الدينار ، ويقول في هذه القصيدة :

هـذه تهامة لا دينار عندهم	ولحج و أبين بل صنعاء بل عدن
فما ذنوب مساكين الجبال وهم	جيران بيتك والإخلاف و السكن
والأضعفون وما يقتات أجزلهم	إلاّ بما جَرَّت المِسْحَاه والحِجَـن[٣]

---

[١] وثائق تعليمية ، ص٨٨ ؛ إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص٤١١ السنيدي ، عبد العزيز بن راشد : المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٢٥٢ .

[٢] ابن علوان : كتاب الفتوح ، ص٤٩٨ – ٥٠٠ .

[٣] المصدر نفسه ، ص٥٠٦ – ٥٠٧ .

وفضلاً عن ذلك ، ظلت قضية فرض الجبايات على الرعية من الأمور التي شغلت العديد من فقهاء وعلماء وأدباء اليمن الذين خرجوا من بين أوساط الناس فراحوا يعبرون عن معاناتهم ، ويعد الشاعر والأديب إسماعيل المقرئ أكثر من عبر في شعره عن هذه المعاناة لسلاطين بني رسول في محاولة لإدخال الرحمة والرأفة إلى قلوبهم ، وجعل من مديحه للسلاطين هدفاً اجتماعياً دافع به عن حقوق هؤلاء الرعايا ، وندد فيه بسياسة الولاة والعمال الظالمة ، منها القصيدة التي كتبها يمدح فيها السلطان الناصر أحمد واستغلها ليعرض شكوى سكان بعض المناطق ، فقال فيها :

إذا مررت بأرض أو نـزلت بها　　وأن ترحلت عدل منك يحييها

عودت نفسك تفريج الكروب وهل　　شيء كتفريجها عمن يقاسيها[١]

وفي الوقت نفسه ، يبرز دور ابن المقرئ في الدفاع عن أهالي مدينة زبيد وما جاورها من خلال قصيدة أرسلها إلى السلطان الناصر أحمد يشكو إليه ما حل بأهل هذه المدينة من جور واليها وما فرضه وشدد على أخذه من جبايات ، فقال :

هم الرعايا العبيد الطائعون هم　　وأنت أنت المطاع السيد الملك

فلا تكلهم إلى من ليس يرحمهم　　ولا يرى هلكهم أمراً به درك[٢]

كما تظلم أهالي لحج في عصر السلطان الناصر أحمد من بعض العمال والكتاب ، وعندما بلغ ذلك الشاعر إسماعيل المقرئ ، كتب قصيدة إلى الناصر يستعطفه لأهل لحج ويرجوه أن يكشف عنهم الظلم ، فقال فيها :

رعيـة لك في لحج بصرة بهم　　لهم وجوه تقاها ظاهر فيها

تندى حياءً وتحميها سكينتـها　　عن التكلم فيما ليس يعنيها

يشكون من كاتب يفري بسببهم　　نعماء أنت بحمد الله كاسيها[٣]

وفي عصر السلطان الأشرف بن الناصر عانى أهالي زبيد من زكاة النخل فاستغل ابن المقرئ زيارة الأشرف لهذه المدينة سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م فعرض عليه قضايا وهموم أهلها وما حل بهم ، طالباً منه رفع الظلم عنهم فقال :

لـو كنت تعلم ما بأهل زبيد　　وزبيد من شوق إليك شديد[٤]

لقد دفعت المخالفات التي ارتكبها سلاطين بني رسول في حق رعيتهم إلى تعالي الأصوات الرافضة ، والمطالبة بالرأفة والاعتدال والمراعاة لما يعانيه غيرهم ، فكان من بين

---

[١] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص١٦٣ .

[٢] سنان : الشعر اليمني ، ص١١٢ .

[٣] العبدلي : هدية الزمن ، ص٨٥ – ٨٦ .

[٤] أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٨١ – ٢٨٢ .

هذه الأصوات من وجه رسائل التهديد والوعيد لسلاطين بني رسول مثل الفقيه أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن ميمون الحضرمي الذي كتب إلى السلطان المظفر الأول على قطعة من خزف رسالة يهدده فيها بعزله إذا لم يعدل عن سياسته ضد رعيته ، فقال فيها : " يا يوسف كثر شاكوك وقل شاكروك ، فأما عدلت وأما انفصلت "[١] ، في حين أشارت حياة سلاطين بني رسول المترفة وإسرافهم في بناء القصور والدور الفاخرة والفارهة هذه الأصوات التي زاد في تنديدها وهي ترى البؤس والفقر على بيوت الرعية من البسطاء وترى البذخ والنعيم على بيوت سادتهم ، ويعد صوت الشيخ أحمد بن علوان من أرفع هذه الأصوات التي انتقدت تبذير السلطان المظفر الأول في بناء القصور الفاخرة لاسيما عند مقارنتها ببيوت ومساكن الفقراء المتواضعة ، فوجه له قصيدة ينتقده فيها ويعاتبه على إسرافه وترفه فقال :

يا ثالث العمرين أفعل كفعلهما	وليتفق فيه منك أسر والعلن
واستبد عدلاً يقول الناظرون له	نعم المليك ونعم البلدة اليمن
عار عليك قصورات مشيدة	وللرعية دور كلها دمن[٢]

ومن خلال ذلك يمكن أن نلاحظ أنه كان لهؤلاء العلماء والفقهاء من المكانة ما جعلهم يدافعون عن حقوق من حولهم من الناس ، ويهددون السلطان بهذه الطريقة وذلك الأسلوب دون خوف أو رهبة من عقابه ، وقد بلغ من جرأة بعض الفقهاء في عهد المظفر الأول ممن أرادوا إيصال وجهة نظرهم وموقفهم الرافض لجور السلاطين وبعض ولاتهم إلى درجة اتباع طريقة استفزازية أغضبت الكثير من الظلمة ، مثلما كان يفعل الفقيه أبو إسحاق يعقوب بن الكميت الذي كان متى ما مرَّ بباب ظالم منهم أو رآه غطى وجهه ووجه دابته[٣] رافضاً النظر إلى وجوههم التي لا يتشرف حتى بالنظر إليها .

وفي الوقت نفسه ، أخذ بعض المضطهدين من العامة بتعصيب من حولهم من الناس مكونين بذلك جبهات معارضة لسياسة السلاطين وولاتهم ، فاتحين أمام الدولة حركات تمرد كان سببها الأول والرئيس جور الولاة والجُباة[٤] ، وهو ما دفع معظم رجال القبائل اليمنية الذين تعرضوا للظلم والجور للخروج عن طاعة الدولة الرسولية وإعلان الثورة والتمرد ضدها وضد سياستها الجابية للضرائب التي أصبحت تؤخذ بالقوة دون مراعاة لأوضاع الناس المادية ، مما تسبب في خراب العديد من المدن والقرى على يد رجال تلك القبائل الثائرة والرافضة لِمَا

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٩٧ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦١ .

[٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٦٨٢ .

[٤] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٥٥ – ١٥٦ .

فرضه بنو رسول عليها[١] ، إلا أن أكبر الأدوار التي أداها بعض أفراد المجتمع تبلورت في محاربتهم لبعض العادات السيئة التي كانت منتشرة بين خاصة الناس وعامتهم في ذلك العصر منها عادة شرب الخمور[٢] التي وقفوا منها موقف المعارض ، وشددوا على محاربتها ومعاقبة شاربيها أياً كانوا ، ولم يتساهلوا فيها حتى مع سلاطين بني رسول أنفسهم ، وقد عبر علماء الدين عن موقفهم من هذه العادة السيئة التي تفشت بشكل كبير كلٌ بطريقته الخاصة فمنهم من توجه بذلك رسمياً إلى السلطان طالباً منه إبطاله ومحاربة متعاطيه مثل الفقيه أبي الفداء إسماعيل بن محمد الحضرمي الحميري الذي طلب من السلطان المظفر الأول إبطال الخمر ومنعه عارضاً عليه بعض الآيات القرآنية التي تحرم شربه ، ورغم حماس المظفر لمحاربته ومعاقبة شاربيه أو مستعمليه إلاّ أن ما تجنيه خزينة الدولة من ضرائب دفعت بعض جلسائه إلى نصحه بعدم منعه أو تحريمه لِمَا سيكون لذلك من تأثير في الخزينة بانقطاع الوارد إليها من ضريبة وجباية الخمور[٣] ، كذلك أثارت عملية صنع الخمور وشربها حفيظة بعض العلماء والفقهاء لما يتعرض له الأهالي من أذى لاسيما المقيمين في المناطق والشوارع التي يُعمل فيها ، إضافة إلى الأذى الذي يتعرض له المصلون في المساجد القريبة من أماكن صنع الخمر ، وقد دفع ذلك الأمر الفقيه أبا محمد عبدالله بن محمد الشعبي المعروف بابن الخطيب (ت : ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) في مدينة عدن إلى تعصيب وتجميع الناس من حوله لمحاربة أصحاب البيوت التي يُصنع فيها الخمر بعدن ، والتي كانت قريبة من المسجد الذي كانوا يصلون فيه ، حيث هاجموا هذه البيوت وكسروا ما وجدوا فيها من آنية وخمور وأراقوها جميعاً ، أمام رفض وممانعة من قبل والي المدينة محمد بن ميكائيل لما كان لأصحاب هذه البيوت من أموال يدفعونها لخزينة الدولة[٤] ، كما يذكر عن الفقيه أبي المظفر منصور بن جعدار (ت : ٧٥٣هـ / ١٣٥٢) أنه كان من أشد الناس عداوة وحرب لمن يشربون الخمور ، حتى أنه دخل مرة على أمير حرض وهو يشرب الخمر فأنكر عليه ذلك وكسر الآنية عنده[٥] ، كما يذكر أن الفقيه أبا العتيق أبا بكر بن محمد بن القاضي عمر الهزاز (ت : ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) كان ناهياً عن المنكر ومبطلاً لشرب الخمر وما شابهه في تعز ، وكان يعاقب مَنْ أظهر شيئاً منه بدعم من السلطان المؤيد الذي كان يؤيده في ذلك

---

[١] عن هذه التمردات التي شهدتها الدولة الرسولية وأسبابها وآثارها في المجتمع والدولة التي يبدو أنه كان لسياستها في فرض الضرائب الدور الأكبر في حدوثها انظر : هديل : التمردات القبلية ، ص٧٥ – ١٠٥ ، ١٠٧ – ١٦٨ ، ١٨٣ – ٢٠٠ .

[٢] عن انتشار شرب الخمور في عصر بني رسول انظر فيما سبق : ص٢٧٢ – ٢٧٤ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٧ ؛ الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص١٩١ – ١٩٨ .

[٤] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٨٢ .

[٥] المصدر نفسه ، ص٣٤٩ – ٣٥٠ .

ويدعمه[١] ، كما أدى مشائخ بعض المناطق دوراً كبيراً في محاربة شرب الخمور وذهبوا إلى معاقبة كل من يخالف ذلك منهم الشيخ عبد الوهاب بن يوسف بن عزان العرنقي (ت : ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) الذي أمر صائحاً يصيح في بلده الواقعة تحت حكمه وهي العوادر بتحريم شرب الخمر ، بعد أن تاب ، وشدد في محاسبة شاربها تشديداً عظيماً[٢] .

وفي الوقت نفسه ، حارب عدد من الفقهاء المغاني واستعمال آلات اللهو والطرب لما فيها من أمور منافية لتعاليم الدين الإسلامي ، وأظهروا ذلك جهاراً نهاراً أمام سلاطين بني رسول أنفسهم مثلما فعل الفقيه أبو الحسن علي بن صالح الحضرمي عندما وجد خادماً للسلطان المجاهد وبيده آلات لهو (العود) يحملها وقد لفها بثوب حرير قاصداً بها السلطان ، فأخذها من يد الخادم وضرب بها الجدار حتى كسرها ، فذهب الخادم يبكي خوفاً من السلطان ، فلما علم المجاهد بذلك سجد شكراً لله تعالى وقال : " الحمد لله الذي جعل في زماني من ينكر المنكر على الملوك ولا يبالي "[٣] .

وفضلاً عن ذلك ، لقيت الرشوة من يحاربها من بين أبناء فئة العلماء منهم القاضي أبي العتيق أبو بكر بن محمد بن أحمد بن الجنيد قاضي عدن الذي تولى القضاء بعد قاضي عرف بالعنسي اشتهر عنه وعن مَنْ حوله من الكتّاب والوكلاء وغيرهم أخذ مبالغ مالية (رشاوى) من أصحاب القضايا ، حتى أن كتّابه عندما أرادوا دفع مثل تلك المبالغ إلى القاضي ابن الجنيد كعادة مَنْ سبقه قال : " لا حاجة لي بشيء من ذلك ، وأحذرك أن تأخذ أنت أو أحد من أصحابك شيئاً يزيد عن الواجب من الأجرة ، فإن فعلتم أخرجكم من البلاد صاغرين ، ومتى عدتم لي بمثل ذلك نكلت بكم ، وأعلم أصحابك بذلك ، واتقوا الله تعالى بنفوسكم وبالناس "[٤] ، والشيء نفسه فعله أيضاً القاضي أبو الفداء إسماعيل بن علي الحضرمي قاضي القضاة مع من يأخذون الرشوة من القضاة في زبيد[٥] ، كما حاول بعضهم إصلاح المجتمع بمحاربة الفسق والفجور ونصح كل من يمشوا في طريقه ، ويعد الشيخ أبو محمد عيسى بن إقبال بن علي بن عمر بن عيسى الهتار ممن فعلوا ذلك ، حتى أنه عندما جاءت إليه امرأة مغنية مشهورة بالفجور والفسق للزيارة والتبرّك به ، أخذ بالنظر إليها والدعاء لها ونصحها وراجعها عمّا تفعله فتابت إلى الله ، فزوجها بأحد طلابه وعمل لهم وليمة على نفقته الخاصة تشجيعاً لها[٦] .

---

[١] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٢٠٣ – ٢٠٤ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٧ .

[٣] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ .

[٤] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص١٩٩ .

[٥] عن دور القاضي المذكور في محاربة من يأخذون الرشوة انظر فيما سبق : ص١٥٠ .

[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن العادات السيئة التي لقيت رفضاً واستنكاراً من قبل المجتمع عادة السبوت ونضج النخل لما يحدث فيها من منكرات ومعاصي وفسق[1] دفعت العديد من الناس من ذوي الحمية إلى ترك زبيد لما تشهده في أيام السبوت من مفاسد كانت تشجع من قبل سلاطين بني رسول أنفسهم ، وقد شبه بعضهم ما يحدث فيها بسبت اليهود[2] ، وتذكر المصادر أنه بسبب عادة سبوت النخل رحل عن زبيد قدر سبعمائة بيت من الفقهاء وأهل النجدة والحمية منهم ، والتجأ الكثير منهم إلى الجبال وهاجر بعضهم إلى الحبشة منكرين على من تخلف منهم عن الخروج ، حتى أن بعض الفقهاء كتب إلى بعض أقاربه – وقد تخلفوا عن الخروج – بيتين من الشعر قال فيهما :

تجنب عن زبيد ولا تطأها	ولا تغررك يا ابن أخي زبيد
ففي يوم السبوت ترى مساوى	أتتها يوم سبتهم اليهود[3]

كما سعى العديد من العلماء إلى محاربة بعض العادات السيئة الأخرى التي انتشرت بين الناس لإبعادهم عمّا يعيشون فيه من جهل وضلال لاسيما ما كان يعيش فيه رجال بعض الفرق الدينية مثل الصوفية وغيرهم الذين اتبعوا أنواع المبتدعات في مآتمهم واحتفالاتهم ومغانيهم ورقصهم ناسبين بعضها كذباً إلى الرسول (ﷺ) ، مما دفع بعض الفقهاء إلى التدخل لتغيير واقع أفراد تلك الفرق وإعادتهم إلى الطريق الصحيح[4] ، كما ثار بعض الفقهاء على أهالي بعض المناطق بعدما رأوا منهم أموراً منافية للدين منها ابتعادهم عن المساجد وعدم الاهتمام بها وبترميمها ، وكان القاضي صارم الدين داؤد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الهمداني المقروضي (ت : ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) قاضي المنصورة من الذين أمروا أهالي منطقة المنصورة بالمعروف ونهوهم عن المنكر بعد أن لاحظ إهمالهم لإعمار المساجد وتجديدها والابتعاد عن الصلاة فيها ، لهذا أمرهم بتعمير ما تشعث منها بتلك الجهات لاسيما جامع الجوة ، والزمهم بإقامة صلاة الجماعة لجميع الصلوات فيه ، وإحياء الأذان بعد أن كان قد أهمله معظمهم أو بعضهم[5] .

وفي الوقت نفسه ، سعى العديد من الميسورين والأغنياء إلى مساعدة بعض أفراد الفئات والشرائح الفقيرة والمعدمة للتخفيف عنهم بدعمهم بالمال عند الشدائد والمحن ، كما تكفل بعضهم بالأنفاق على بعض الأسر وأعالتها لِمَا يربط بينهم من علاقات قرابة أو نسب أو جيرة أو غير ذلك ، منهم الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الفرساني (ت :

---

[1] عن هذه العادة وما يحدث فيها من منكرات انظر فيما سبق : ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

[2] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج١ ، ص٤٩٥ .

[3] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٠ ؛ يحيى بن الحسين : المصدر نفسه والجزء ، ص٤٩٤ – ٤٩٥ .

[4] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٩ ، ٤١٧ .

[5] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٦٦ – ١٦٧ .

٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) الذي كان يعول الكثير من أقاربه وأهله[١] ، كما راح بعضهم يتصدقون على الفقراء والمساكين ، مثل الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن علي الهرمل[٢] ، والفقيه علي بن الحسن البجلي الذي أمتلك ثروة طائلة وأموال وأملاك واسعة ، وكان في أوقات الأزمات والشدائد يقرض المزارعين ويمدهم بالأموال ليتمكنوا من زراعة أراضيهم وإصلاحها وعمارتها ، وبلغ من حبّه لفعل الخير لأبناء مجتمعه أنه متى جاء الغَيْث وزرع الناس وحصدوا وباعوا محصولهم ثم جاءوا إليه ليسددوا ما عليهم من قروض وديون يقول لهم : " أنتم في حل مما كان لي في ذمتكم ، والله ما صرفته إليكم إلاّ صدقة لوجه الله تعالى "[٣] ، وهو ما كان يفعله أيضاً الفقيه عثمان بن محمد بن علي بن أحمد الحساني الحميري المعروف بابن جعام (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) الذي كان يقرض أهالي جبلة بالأموال ليتاجروا بها في عدن ويستفيدوا من أرباحها[٤] .

وفي هذا الصدد ، شغلت الديون التي بُلي بها العديد من الناس أصحاب الأموال من أهل الخير فراحوا يتقصون ويبحثون عن هؤلاء ليسددوا عنهم ديونهم ويتكفلون بما عليهم من التزامات ومديونيات سواءً كانت للدولة أو لغيرها ، كما بحثوا عن أصحاب الحاجات ممّن يعرفون بكثرة الأولاد لاسيما الذين يغلقون على أنفسهم أبواب دورهم دون أن يعلم بحالهم أحد ، فكانوا يرسلون إليهم الحبوب والزيوت وبعض المال وغير ذلك دون أن يفصحوا عن هويتهم أو يتباهون بما يقدمونه ، كما كانوا يستغلون سفرهم ليسألون عن أصحاب الحاجات في المناطق التي ينزلون بها ليدفعون لهم ما يسد حاجتهم[٥].

إلاّ أن أكثر أعمال الخير التي سعى إليها بعضهم كانت تدخلهم لحل المنازعات والمشكلات التي كانت تحدث بين الناس حول الأراضي والأملاك ، كما تدخل بعضهم لفض المنازعات التي كانت تحدث بين القبائل ، وممّن عرفوا بذلك الفقيه أبو بكر بن أحمد ابن عمر الزيلعي الذي كانت له من الوجاهة والجاه عند العرب ما جعل بعض المتنازعين يتنازلون عن حقوقهم احتراماً وتقديراً له إذا ما حضر لفض النزاع[٦] ، والأمر نفسه عرف أيضاً عن الفقيه أبي عبدالله محمد بن علي بن أبي القاسم الرياحي (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) الذي كان الناس يلجئون إليه لحل منازعاتهم الخاصة في أمور الوراثة

---

[١] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٧ .

[٣] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣أ – ب .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٤ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ص٣ب ، ١٤أ ، ١٧اب ، ١٨أ ، ٢٤ب ، ٢٥أ ، ٣٣ب ، ٣٤أ .

[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٧٦ .

والوصايــة وغيرها[١] ، والشيخ تقي الدين عمر بن سليمان البراق المتوفّى آخر المائة الثامنة ، الذي عرف عنه إصلاحه بين الناس وفضه لمنازعات الأراضي والمشكلات الشخصـيـة[٢] ، كما سعى البعض من أهل الخير من الفقهاء والمشائخ وكبار الشخصيات في المجتمع إلى التدخل لفض المنازعات التي كانت تحدث بين أفراد المجتمع والدولة ، ويعد الفقيه عمر بن أبي حزية وغيره مِن أشهر مَنْ عرفوا بفضهم لمثل هذه المنازعات حتى أن القبائل ومشائخها إذا ما أرادوا التواصل مع بني رسول أرسلوا إليه ليكون وسيط خير بينهم لمكانته التي احتلها عند سلاطين بني رسول وعند مشائخ ورجال القبائل وهو ما عرف أيضاً عن العديد من ذوي المكانة والجاه[٣] الذين كان البسطاء من العامة يلجئون إليهم لحل مشكلاتهم وما تواجههم من مصـائب عنـد الحاجة[٤] ، وشكلت هذه الشخصيات خير وسيط لقضاء حوائجهم ، حتى أن بعضهم أصـبح يغيب عن بيته وأسرته الشهر والشهرين وهو في خدمة غيره مـن المظلـومين وأصـحاب الحاجات مثل الفقيه محمد بن الحسين البجلي[٥] ، والقاضي أبي عبدالله محمد بن علي الرياحي الذي عُرف بسعيه لقضاء حوائج من حوله ، وخروجه من بيته حافياً مسرعاً متى ما استعان به أحد من عامة الناس[٦] ، كما عرف عن الفقيه أبي العباس أحمد بن أبي بكر الرداد البكري (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م) سعيه أيضاً في قضاء مصالح ومطالب المحتاجين ، ويقال أنه كان يجتمع في بيته في بعض الأيام نحو مئة نفس من نواحٍ شتى كل منهم متعلـق بحاجـة مـن السلطان الناصر أحمد ، فيأخذ درجاً من الورق ويكتب فيه حتى يمتلئ ويواصل في غيـره حتى يمتلئ ويستمر على ذلك حتى يكتب في بعض المرات أكثر من مئة فصـل يـذكر فيـه حوائج الناس المذكورين ثم يتقدم بها إلى السلطان ، فلا يعود إلاّ والجواب معه على جميـع تلك الفصول بما فيها من أوامر لقضاء حوائج أصحاب الحاجات[٧] .

لقد ساعدت صفة الأمانة والإقدام والشجاعة والسعي لقضاء الحوائج التي اتصـف بها بعضهم من الفقهاء والعلماء والقضاة وكبار الشخصيات من التجار والأغنياء عامة الناس إلى الاعتماد على هؤلاء في بعض أمورهم الخاصة منها أمور الوصاية والوارثة ، ونتيجـة لأمانة هؤلاء أصبحت بيوتهم أماكن لحفظ الأمانات والأشياء الثمينة التي لـم يـأمنوا علـى وضعها إلاّ عندهم لما اتصفوا وتميزوا به ، ويعد الشيخ أبو العباس أحمد بن زيد الشـاوري

---

(١) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٧٩ – ٥٨٠ .

(٢) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٦٠ .

(٣) انظر عن بعض هؤلاء أيضاً : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٦١ – ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ .

(٤) المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٧ب .

(٥) المعلم وطيوط : المصدر نفسه ، ق٢ب . وانظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٩٦ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣١ – ٢٣٢ .

(٧) الشرجي : طبقات الخواص ، ص٨٩ – ٩٠ .

من أبـــرز من عرفوا بأمانتهم ، حتى أن الأهالي كانوا لا يأمنون على أمـــوالهم وأشـــيائهم الثمينـــة إلاّ عنده[١] ، وكذلك كان الفقيه يوسف بن أبي بكـــر بن عبد الله بن محمد بن يحيى (ت : ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) معروفاً بالأمانة ، وكان أغلب ودائع أهل ناحيتـــه إنمـــا تكـــون عنده[٢] .

غير أن أبرز الأدوار التي أداها ذوو المقدرة واليسار في العصر المذكور هو سعيهم في مساعدة ذوي الحاجة من الأيتام والأرامل وطلبة العلم والمنقطعـــين للعبـــادة ، وتـــورد المصادر أسماء للعديد من الذين أدوا دوراً كبيراً في هذا الجانب الإنساني الذي يثبت لنا مـــدى قوة وتماسك الناس ومساندتهم للمحتاجين من المذكورين ، وقد لقي الأيتام اهتماماً كبيراً مـــن ذوي الحاجة لما في القيام بهم من أجرٍ كبير عند الله (ﷻ) ، فسعى الكثير من الناس إلـــى مدهم بالأموال ودعمهم لما يحتاجون إليه للتخفيف عنهم ، وممن عرف بفعل الخير للأيتام في عصر بني رسول الشيخ علوان بن عبدالله بن سيعد الجحدري[٣] ، والقاضي أبو محمد صالح بن إبراهيم العبري الذي كان من أكثر الناس حباً وشفقة على الأيتام حتى أنه كان يعمـــل فـــي النصف من شعبان من الحلوى شيئاً كثيراً يفرقه عليهم وعلى الضعفاء[٤] ، وقد بلـــغ الأمـــر بالفقيه أبي بكر يوسف بن مكدش أنه كان يسعى دائماً للتفريج عن الأيتام والأرامل في أوقات الأزمات والشدائد وعند الجدب والجوع والفاقة ، فيقوم بالبحث عنهم ومدهم بما يحتاجون إليه في الأوقات الصعبة[٥] ، كما خصص بعضاً من ذوي المقدرة مبالغ مالية أو حبوباً من وقف المدارس التي قاموا ببنائها لتسلم للأيتام من طلبة العلم شهرياً ضـــمن رواتـــب المدرســـين والعاملين في المدارس[٦] .

وفي هذا الصدد ، لقي طلبة العلم من الفقراء وذوي الحاجة عناية واهتمامـــاً مـــن المجتمع ، وسعى بعض الميسورين للتخفيف عنهم وتوفير سبل الراحـــة لدراســـتهم ومـــدهم بالطعام واللباس والسكن في أثناء إقامتهم في المدارس حتى يتفرغـــوا للعلـــم والـــدرس[٧] ، ويذكر الوصابـــي[٨] أنه بلغ من عناية أهل اليسار والمقدرة بطلبة العلم والمنقطعين للعبادة في

---

[١] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٦٨أ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٤ .

[٣] عن بعض أعمال الشيخ علوان بن عبد الله الجحدري الخيرية التي أراد بها التخفيف عن بعض الأيتام لاسيما من الفتيات اليتيمات ممن لا أهل لهن انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٩٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦٥ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٩أ .

[٦] وثائق تعليمية ، ص١٣ ، ١٦ ، ٨٧ .

[٧] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق١٢١ب .

[٨] تاريخ وصاب ، ص١٤٥ ، ١٨٥ ، ١٨٧ – ١٨٨ .

منطقة وصاب إلى درجة أنهم كانوا يرسلون لهم الطعام إلى مدارسهم بشكل يـومي ، كمـا وصل الأمر بهم إلى بناء المساكن والبيوت لهؤلاء الطلبة ،رغبة منهم في تهيئة الظـروف المناسبة لهم ، وتخفيف أزمة السكن التي قد تمنع الكثير من أهل الريف من إرسال أبنـائهم للدراسة في المدن والمناطق البعيدة . كما اهتم مشائخ الصوفية أيضاً بالطلاب المقيمين فـي الأربطة وراحوا يوفرون لهم الطعام بوصفه مخصصاً يصرف لهم بشكل دائم ، ويعد الشيخ أبو الغيث بن جميل أشهر مشائخ الصوفية المعروفين بمواظبتهم على توفير الأطعمة لطلبـة العلم في أربطة الصوفية[١] .

وعلى ضوء ذلك ، سعى العديد من الناس لتقديم الخدمات المختلفة التـي يمكـن أن يستفيد منها المقربون منهم من الأهل والجيران والأصدقاء ، قاصدين من وراء ذلك خدمـة أبناء مجتمعهم ومساعدتهم على العيش في حياة أفضل ، حتى أنهم تكفلوا بإقامـة مشـاريع مختلفة لهم لاسيما للساكنين منهم في القرى والبوادي البعيدة التي غضت الدولة الطرف عن إقامتها ، ومن هذه المشاريع إنشاء المباني التعليمية ودور العبادة ودور الأيتـام وغيرهـا ، قاصدين الأجر والثواب من الله (ﷻ) ، وتقديم خدمات لغيرهم من باب فعل الخير للمستحقين من أبناء المناطق المحتاجة إلى المساعدة ، وممن عرفوا بفعل الخير وكثرة بناء دور العبادة في عصر بني رسول الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن باعلوي الحضـرمي (ت : ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) الذي ابتنى في حضرموت ما يقارب من ثمانية عشر مسجداً في مناطق متفرقة[٢] ، في حين كرس العديد من الناس مجهودهم وأموالهم لبناء المدارس وأوقفوا بكل سخاء عليهـا الأراضي والعقارات للإنفاق عليها وعلى من يعملون فيها ويدرسون بها[٣] ، كما دفعت أوضاع الناس الصعبة من حيث شحة المياه وقلتها وصعوبة وصولها إلى مناطقهم وقراهم عدداً مـن الأمراء والتجار والفقهاء إلى بناء السدود لحفظ المياه والاستفادة منها في ري الأراضي فـي المناطق الزراعية الريفية ، وبناء القنوات لتوصيل هذه المياه من السدود إلى بعض المناطق ، واتجه بعضهم إلى بناء وعمل الأحواض الكبيرة وجروا إليها المياه لينتفع بها غيرهم[٤] .

ومن الأدوار المهمة التي أداها بعض الناس في عصر بني رسول قيـامَهُم بحمايـة مدنهم والدفاع عنها عند الحروب ، وعند اشتداد الحصار والغزو بهدف الحفاظ على أموالهم وأمـلاكهم من النهب والسرقة في مـدة انتشار الفوضى والاضطراب ، ولم يقتصـر هـذا الـدور على أفراد فئة اجتماعية معينة ، بل قـد يقوم به أفراد من فئـات مختلفة ، ويـذكر

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٩ .

[٢] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٣ . وانظر : البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٦١ ، ٢٠١.

[٣] عن أسماء هذه المدارس التي بنيت في عموم اليمن في عصر بني رسول وأسماء من بنوها انظر . الملك الأشـرف : فاكهـة الزمن ، ب٥ ، ص٨٢١ – ٨٢٨ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠٥ ، ٢١٧ .

لنا ابن حاتم[١] أن من دافع عن مدينة المنصورة في الدملوة عند مهاجمة المماليك لهـا بعـد مقتل السلطان المنصور من نهب بيوتها ومحلاتها وسبي نسائها كانا شخصان من عامة الناس أحدهما جزار ويعرف بحميد الجزار والآخر حداد ويعرف بسليمان الحداد ، إذ قـادا أهـالي المنصورة وكسرا قفل حصن المدينة على حين غفلة مـن المماليـك وهـاجموهم بالسـيف وأمسكوا العديد منهم وسجنوهم ، وأمنت المدينة وأسواقها وعادت الحياة إلى طبيعتها واستمر الناس على البيع والشراء دون خوف أو رهبة بفضل قيادة هذين الرجلين وتكاتف العامة من الناس الذين وقفوا في وجه المماليك لحماية مدينتهم من النهب والتخريب ، ويبرز دور هؤلاء في حماية مدنهم بشكل كبير عند غياب الدولة وانشغالها بما هي فيه من صراعات على الحكم ، حتى أن هذا الأمر دفع سكان بعض المناطق إلى تشكيل مجلس دفاع يتـولى قيـادة أهـالي المدينة وتوزيعهم على أبوابها وأسوارها لصد أي هجوم قد تتعرض له في أية لحظـة عنـد شعورهم بأن هناك خطراً سوف تشهده مدينتهم بهدف تخريبها وتدميرها ، ولنا في دور أهالي منطقة الجند في حماية مدينتهم في أثناء حصار الشيخ علوان الجحدري في عصر السـلطان المظفر الأول خير دليل على ذلك[٢] ، ويعد أهالي مدينة زبيد من أكثر سكان اليمن دفاعاً عن مدينتهم لمَا شهدته من أحداث خلال تاريخ الدولة الرسولية ، حتى أنهـم كـانوا يتحركـون بأنفسهم عند حدوث أي صراع ويقومون بحماية المدينة وتأمين أسوارها وأبوابهـا والـدفاع عنها ومنع أية قوة عسكرية من الدخول إليها حفاظاً عليها من النهب ، وقد أصبحت عمليـة دفاع كل أهالي مدينة عن مدينتهم سمة تبرز عند غياب دور الدولة ، مثلما فعل أهالي بعض المدن التي تضررت من الصراع الذي شهدته الدولة الرسولية كأهالي مدن زبيد وتعز والجند وعدن وفشال وبعدان[٣] .

كما دفعت كثرة الصراعات ونزوح السكان بسببها عن مـدنهم بعـض الفقهـاء والصالحين إلى تفقد بيوت الناس وحمايتها من السرقة والنهب في أثناء غيابهم عن مـدنهم ، وممن عرف بذلك الفقيه أبو الحسن علي بن موسى الجبرتي الفشلي (ت : ٧٩١هـ / ١٣٨٨م) الذي كان في أثناء الصراعات القبلية في وادي زبيد يتفقد بيوت النازحين من سكان الوادي ، إذ يُذكر أنه كان يدور في كل يوم دورة حول مدينة زبيد أشد المدن نزوحاً من خارج سـور المدينة وربما دار عليها أيضاً من الداخل لتفقد بيوتها وحمايتها من النهب والسرقة في أثنـاء غياب أهلها ، ويظل على ذلك يومياً حتى يعود أصحاب الحق لحقهم وأملاكهم[٤] .

---

[١] السمط الغالي الثمن ، ص٢٤١ – ٢٤٢ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٩٦ .

[٣] انظر عن دور هؤلاء الأهالي في حماية مدنهم : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٨ – ٢٩ ، ١٢٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ .

[٤] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٨ .

وهكذا ، يتضح مما سبق إن المجتمع في العصر المذكور شهد وجود روابط اجتماعية متعمقة كان للأسرة دور فاعل في ترسيخها ، الأمر الذي خلق حالة من التماسك والتكاتف ليس على مستوى الأسرة فقط بل على مستوى المجتمع نفسه الذي ظل متماسكاً مع اختلاف أوضاع الناس المادية والتفاوت الاجتماعي الذي كان للمال دورٌ كبيرٌ فيه لاختلاف مصادر دخل الناس ومصادر خرجهم ، والعوامل التي أثرت في مستواهم المعيشي والمادي التي كانت من أكثر الأسباب التي ميزت بين أفراده ، في حين كان للتعليم دورٌ كبيرٌ في التمييز بين الناس لِمَا احتله العلماء من مكانة ساعدت بعضهم على الوصول إلى أرفع المناصب والمراكز في الدولة لِمَا ميزوا به من رواتب وهبات ومسامحات رفعت من مستواهم ، وهو ما دفع العديد من الناس إلى إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب والمدارس للتعليم ، مما ساعدهم على أن يكون لهم دور فاعل وكبير أيضاً إلى جانب غيرهم من أفراد الفئات الأخرى لمطالبتهم بحقوق غيرهم ، والدفاع عنهم وحماية مدنهم والدفاع عنها ، والسعي في خدمة مجتمعهم بتقديم المساعدات والأموال لبناء كل ما يحتاجون إليه من مساجد ومدارس ودور أيتام وحفر آبار وغيرها ، فضلاً عن محاربتهم لبعض العادات والتقاليد والمفاسد التي كانت منتشرة على مستوى واسع بين الناس في ذلك الحين .

تمهيـــد :

شكّل انخراط المرأة في مجالات العمل والعلم إحدى الظواهر التي اتسم بها المجتمع في عصر بني رسول ، وذلك بعد أن حظيت بمكانة اجتماعية رفيعة لا تقل أهمية عن المكانة التي احتلها الرجل ، لما كان لها من دور فاعل تم تجسيده من خلال الآثار التي تركتها علــى مستوى حياتها الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية .

أولاً : وضعها الاجتماعي :

لقيت المرأة في العصر المذكور من التقدير والاحترام ما لم تلقه غيرها من نساء اليمن عبر تاريخها الطويل – من وجهة نظري الخاصة – ، لِمَا تبوأته من مكانة رفيعة بين أبناء مجتمعها ، وما تميزت به من معاملات ، وكرمت به من ألقاب احتراماً وتفخيماً وغير ذلك من الأمور التي تعطي لنا صورة واضحة عن وضعها الاجتماعي الذي يمكن أن نتعرف عليه من خلال :

١ – مكانتها بين الناس :

نظر المجتمع في العصر المذكور إلى المرأة نظرة إجلال وتقدير لوضعها الاجتماعي المتميز الذي أثبتت فيه وجودها بين غيرها من الناس ، إذ كان للأخلاق القويمة التــي قامــت بعض الأسر بغرسها في نفوس أبنائها دور في صلاح العديد من نساء ذلك العصر ، مما أعطى لها مكانة وتقديراً فيما بعد ، علماً بأن التربية الصحيحة للفتيات كانت من الأمور الأساسية التي شغلت العديد من الأسر التي سعت إلى البحث عن الطرق والأساليب التي تمكنها مــن تربيــة بناتها والحفاظ عليهن وعلى سمعتهن تجنباً من الوقوع في المزلات والمنكرات التي تسيء لها وإلى مستقبلها وأسرتها ،.وقد اختلفت الأساليب التي اتبعها هؤلاء للحفاظ على بناتهم ، فمــنهم من منعها عن الخروج من البيت وأخفاها عن الناس منذ طفولتها خوفاً عليها من الفتنة والوقوع في المحرم ، ولم تكن تلك القيود إلاّ إجراء مؤقتاً ينتهي بخطبتها ومنْ ثَمَّ الدخول إلــى بيــت زوجها ، وبالتالي خروجها بين الناس والعيش معهم بصورة طبيعية[١] ، في حين شغل العديــد من الآباء بناتهم بتلقي العلم والمثابرة عليه منذ الصغر والمحافظة على تحصــيله حتــى بعــد بلوغها وزواجها[٢] ، ومع ذلك ظل معظمهن محبوبات عند أهلهن مع زواجهــن واســتقلالهن بأنفسهن ، حتى أن هذه المكانة دفعت الكثير من الأهالي إلى مساعدة أزواجهن في بناء أنفسهم وتأمين مستقبلهم وتعمير بيت زوجيتهم ، وتقديم النصح والمشورة للزوج ودعمه للمكانة التــي كانت في قلوب الأهالي لبناتهم[٣] ، لهذا نجد أنهُ كان للقيم والمبادئ والأخلاق الحميــدة التــي

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٣٩ . وعن سكان بعض هذه المناطق انظر فيما سبق : ص٢٣٦ – ٢٣٧ .

[٢] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٢٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ص١٨٦ – ١٨٧ .

تركتها التربية الصحيحة على الفتيات في العصر المذكور دور في أن يتجه الخطّاب والطالبون للزواج إلى البحث عن نساء يمتازين بهذه الصفات وكانت بنات العلماء والفقهاء والصالحين من أكثر من تميز بذلك ، فكن كثيرا ما يُطلبن للزواج[١] ، في حين أدى ذلك إلى احتلال العديد منهن مكانة رفيعة بين غيرهن من نساء عصرهن ، وقد فرضت تلك المكانة على جميع من في المجتمع – لاسيما الرجال – أن يقدروا هذه المرأة ويحترموا منزلتها ومكانتها ، وقد بلغت تلك المنزلة ذروتها في ذلك العصر لاسيما نساء الأسرة الرسولية اللاتي بلغن أرفعها حتى أن بعضهن كن لا يخرجن من قصورهن إلاّ وحولهن العسكر مثل بنت جوزة ابنة الأتابك سنقر زوجة السلطان المنصور الأول ، بينما بلغ من مكانة بعضهن أن تحاط بيوتهن وقصورهن بالحرس من العسكر مثل الدار الشمسي ابنة السلطان المنصور الأول[٢].وغيرها[٣] ، وتورد لنا المصادر أسماء العديد من النساء ذوات المكانة اللاتي بلغن من الاحترام والتقدير مكانة رفيعة جعلتهن يتدخلن في أمور الملك والسياسة وتولية السلطان[٤] ، وحماية الناس عند الخوف ، والشفاعة لهم عند السلطان وغير ذلك ، وممن عرفن بذلك من نساء بني رسول الحرة لؤلؤة ابنة أسد الدين زوجة السلطان المظفر الأول وأم الملك الواثق ، والحرة ماء السماء ابنة السلطان المظفر الأول وكريمة السلطان المؤيد ، إذ كان لهن مكانة عظيمة بين الناس ، وفي الأوساط السياسية داخل البلاط السلطاني ، وكانتا تتوسطان لخاصة الناس وعامتهم بشفاعتهما عند السلطان لِمَا كان لهما من تقدير[٥] ، كما بلغ من مكانة نساء بني رسول أن تصبح المدارس والمساجد التي أنشئت من قِبَلِهن وقبورهن ملاذاً للخائف والضعيف والمطلوب ، بحيث يصعب على أحد التعدي عليها أو مهاجمتها أو انتهاك حرمتها متى ما لجئوا إليها[٦] .

وتظهر لنا المآتم التي شهدتها بعض المناطق عند وفاة بعض نساء الأسرة الرسولية المكانة التي حظين بها ، لِمَا كان لهن من أعمال خيرية دفعت العديد من الناس إلى الخروج من مدن مختلفة وبعيدة لحضور عزائهن ، وقد فاقت جنائز بعضهن جنائز بعض ملوك وأمراء بني رسول لمكانتهن وتقدير الناس لهن ، ويذكر أن موكب الحاجة ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول زوج السلطان المؤيد المتوفية سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م كان عظيماً ، حتى أنها حملت من رأس حصن تعز على الفرش الحرير وأمامها أمراء وملوك بني رسول في موكب

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٧٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٩ ، ٢٩٥ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٤ – ١٢٥ .

[٤] انظر عن ذلك لاحقاً : ص٣٧٧ – ٣٩٣ .

[٥] انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٢٨ – ٤٢٩ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٠٣ – ٣٠٤ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٢٥٤ب – ٢٥٧ب .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٦ب ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٠ .

جنائزي مهيب ، وتكريماً لها أمر المؤيد بالقراءة عليها في سائر جوامع مملكته[1] ، كما بلغ من مكانة جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفي زوجة السلطان الأشرف الثاني أنه عندما توفيت سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م أمر بالقراءة عليها سبعة أيام ، فلما انقضت السبع رتب على قبرها مئة قارئ للقراءة ليلاً ونهاراً لمدة شهر وكساهم جميعاً ، ورتب عشرين قارئاً منهم مؤبدون ، وبنى لهم عشرين بيتاً هناك يسكنونها ، وقد عقر على قبرها يوم وفاتها عدة رؤوس من الإبل والبقر والغنم[2] ، وفي أول رمضان من وفاتها أمر الأشرف أن يعمل في كل ليلة من الشهر سماط نفيس يحضر عليه القراء والمرتبون على التربة المذكورة ، وكانوا أربعة وعشرين قارئاً ، وأعطى لكل واحد منهم نصف مقطع بياض وثوب خام ، وأمر لكل واحد منهم بأربعين درهماً وربع مد طعام وربع مد من تمر وترك ثلاثين رأساً من البقر يكون ما تحصل من لبنها للمذكورين[3] ، في حين تثبت لنا القباب العظيمة والمشاهد البارزة التي كانت تقام على قبور نساء بني رسول ونساء بعض أمرائهم وكبار رجال دولتهم المكانة التي احتلتها المرأة ، لما أصبح لهذه الأماكن والزوايا من قدسية للخائف والمظلوم وصاحب الحاجة من الخاصة والعامة من الناس[4] ، كما تبرز مكانة المرأة في الحروب والمعارك لما تلقاه من احترام إذا ما وقعت في الأسر ، ونستدل ذلك من خلال موقف الأمير علم الدين الشعبي عندما دخل أحد الحصون المنيعة التابعة لبني شهاب بالسيف سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ووجد فيها حريماً للأشراف ، فأسرهن وأركبهن البغال وألبسهن الجوخ والطراطير ، ووكل بهن الخدم ليحفظوهن حتى دخل بهن صنعاء ، فأخلى لهن موضعاً من داره وبالغ في إكرامهن[5] .

وفضلاً عن ذلك ، لقيت معظم نساء الفئات الاجتماعية الأخرى من المكانة والتقدير ما جعل الكثير من الناس يقدرون منزلتهن ويرفعون من شأنهن ، مع أن معظمهن كن من بين عامة الناس وأقلهم شأناً ، وقد بلغ من شأن بعضهن أن تُشَيَّخ على قومها ، وتستشار في أمر تولية شيخ لقبيلتها ، وتشارك في الحروب وجمع الغنائم وغير ذلك من الأمور التي تؤكد لنا أنه كان للمرأة في ذلك العصر مكانة كبيرة[6] ، كما عرفت بعض النساء بأمانتهن وصدقهن وحسن خلقهن بين الناس ، مما جعل الكثير منهم يقدمون على وضع أموالهم وأشيائهم الثمينة ووصاياهم لديهن عند السفر ثقة فيهن وفي قدرتهن على حفظ الأمانة[7] ، إلا أن من غريب ما

---

[1] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٣ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٥ .

[2] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٩أ .

[3] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٦٥ .

[4] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠٥ – ٢٠٦ ، ٢٥٥ ؛ ابن الديبع :الفضل المزيد ، ص١١٠ .

[5] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤١٦ – ٤١٨ . وانظر : عن الجوخ والطراطير لاحقاً : ص٣٥١ .

[6] سوف يتم التفصيل في ذلك لاحقاً . انظر : ص٣٩٦ – ٣٩٨ .

[7] انظر عن هؤلاء النسوة : الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٠٣ .

نلاحظه في تاريخ المرأة في عصر بني رسول أن يكون لها من المكانة ما يجعل الفقهاء والصالحين يعقدون السفر إليها لزيارتها ابتغاء البركة والدعاء[١] ، حتى أن بعض الصالحين أخذوا في مساواة أنفسهم ببعض نساء عصرهم من حيث الصلاح والإخلاص والبركة ، وممن عرف بذلك الشيخ محمد بن عمر النهاري الذي إذا قصده بعض من أهل زبيد للزيارة يقول لهم : " لما أتعبتم أنفسكم إلى هنا ، وعندكم الحاجة مريم بنت الشيخ أبي عبدالله محمد بن حسن بن مرزوق[٢] " ، لما عرف عن هذه المرأة من خير وصلاح وكثرة عبادة ومجاهدة ، إذ كانت كثيرة الحج والزيارة ، وزاد من تقدير الناس لها ما عرف عنها من زهد وورع تام في الدنيا ، مما جعل للناس فيها معتقداً عظيم السلطان[٣] .

وفي الوقت نفسه ، بلغ احترام المرأة بين أفراد أسرتها ومجتمعها إلى أن يقف القريب منها وهو في غاية الحياء والأدب وإنزال العين حياءً وتقديراً لها أياً كان مستواها أو مستوى أسرتها[٤] ، كما تظهر لنا مكانة بعض نساء العامة من خلال تسمية بعض المناطق المشهورة بحرمتها ومنزلتها بهن مثل قرية شجينة[٥] ، وحبيل حملة[٦] ، وحوطة سلطانة[٧] ، بينما عُرف في ذلك العصر العديد من النساء اللاتي عرفن بمكانتهن لِمَا وصفن به من خير وصلاح وكرم وزهد وعبادة وصدقة شهد بها الكثير من أبناء عصرهن ، وقد أسهبت المصادر في ذكر عدد منهن واصفة دور بعضهن الذي يعجز عنه الرجال[٨] .

---

[١] انظر : بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، ص٢٣ .

[٢] كانت الحاجة مريم ابنة الشيخ أبي عبد الله محمد بن حسن بن مرزوق (ت : ٧٢١هـ / ١٣٢١م) من أخير نساء عصرها ، فعرفت بشعوانة الوقت ، لماكان للناس فيها من معتقد ، وقد توفيت سنة ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م بعد أن عمرت طويلاً حتى أناخت على المائة . الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٠٥ .

[٣] الشرجي : المصدر نفسه والصفحة .

[٤] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٤٥ .

[٥] تقع شجينة في كثيب يمني قرية عواجة وتنسب إلى شجينة زوجة الفقيه محمد بن حسين بن عبدالله المعلم البجلي (ت : ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) وكانت من الصالحات العابدات لما توفي زوجها قالت : " أحب أخرج عن عواجة وأعتزل الناس في بعض الأماكن " ثم ابتنت مسكناً في الكثيب المذكور وسكنت فيه مع ولدها إبراهيم والتف الناس من حولهم وبنوا لهم بيوتاً وسموا الكثيب على اسمها ، ولم يعرف إلا بها . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

[٦] وينسب إلى حملة بنت أحمد من ذرية الشيخ عبدالله الأسري ، وقد كانت من الصالحات كثيرة الصيام والقيام ، وكانت لها زاوية بقرية الحبيل التي سميت باسمها حبيل حملة ، وقد توفيت سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م . الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٤٣ .

[٧] تنسب هذه الحوطة إلى الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية من قبيلة بني حارثة الكندية ، وقيل من مذحج ، وقد ولدت ببادية العرّ الممتدة شرقي قرية مريمة إلى نهاية الحوطة المعروفة باسمها التي تبعد اليوم عن سيئون بنحو ثلاثة أميال . المشهور ، أبو بكر لبن علي العدني : الشيخة سلطانة الزبيدية (ت : ٨٤٢هـ) ، ط١ ، مركز الدراسات وخدمة التراث ، عدن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص١٣ ، ٣٣ .

[٨] عن بعض هؤلاء النسوة انظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ – ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٣٣ – ٢٣٤ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٠٥ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٢٠ ، ٢٧٣ .

٢ – ألقابها التي عرفت بها :

حظيت المرأة في العصر الرسولي بألقاب مختلفة أصبحت لا تعرف إلا بها ، وكان أكثر من حظين بهذه الألقاب هن نساء الأسرة الحاكمة ، ونساء أصحاب الوجاهات في الدولة والمجتمع ، حتى أن معظم المصادر التي أرّخت لبني رسول كانت تتجنب ذكر أسمائهن مباشرة دون لقب أو ذكر اللقب الذي تعرف به دون ذكر الاسم لأسباب قد يكون منها :

أ – تجنب ذكر اسم زوجة السلطان أو أخته أو ابنته علناً في المصادر لما في ذلك من حرج أو عيب وتقليل من قدرها وهو ما نستبعده .

ب – تجنب ذكر أسمائهن دون لقب لمكانتهن القريبة من السلطان التي تفرض عليه عدم ذكر أسمائهن مباشرة دون لقب تعظيم وتفخيم يسبق الاسم الذي عرفت به .

ج – لأن الألقاب التي أطلقت عليهن كانت قد أطلقت على أسمائهن الأصلية ، ومِنْ ثَمَّ لم يعرفن إلاّ بهذه الألقاب التي أصبحت لا تطلق إلا على نساء ذوي المكانة والجاه .

علماً بأن معظم نساء بني رسول لم يعرفن بأسمائهن الأصلية بل عرفت كل واحدة منهن باسم زمامها الذي كان يعين رسمياً من قبل السلطان ليكون مربياً لها ومسؤولاً عن بابها ، ويشترط في الزمام أن يكون من الطواشية الخصيان ممن لا يشكل خطراً عليها إذا ما عاشت معه أو انفردت به ، لهذا لم تعرف معظم نساء بني رسول إلا بأسماء طواشيهن من الزمام[١] ، ومن الملاحظ أن هذه كانت من الأمور التي ابتدعها بنو رسول ونقلوها معهم من البلاد التي جاؤوا منها فاعتمدوها في اليمن ، وقد يكون ذلك تأسياً بنساء المماليك[٢] ، وتذكر المصادر العديد من الألقاب التي سبقت أسماء نساء الأسرة الرسولية وحتم على الناس من مختلف الفئات ألا يذكروا اسم زوجة السلطان أو ابنته أو أخته أو احدى قريباته المقربات إلا وينعتوها به تقديراً واحتراماً وتفخيماً أو تجنباً لذكر اسمها أمام الغير تأدباً ، مما أعطى لهن وجاهة بين خاصة الناس وعامتهم في المجتمع ، ومن ألقاب التفخيم هذه :

• **الجهة**[٣] : من الألقاب التي سبقت أسماء العديد من نساء بني رسول للتفخيم والرفعة تمييزاً عن غيرها من النساء ، وممن عرفن بذلك جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبد الله الأشرفي زوجة السلطان الأشرف الثاني[٤] وغيرهن[٥] .

---

[١] تم الحديث سابقاً عن الزمام من الطواشية . انظر : ص٨٤ ، ١٠٩ .

[٢] العلس ، أسمهان عقلان : صورة المرأة الرسولية في الكتابات التاريخية ، ندوة عدن في عصر الزريعيين والأيوبيين والرسوليين ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، جامعة عدن ، عدن ، ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص٣ – ١٥ .

[٣] الجهة : لفظ سلجوقي – تركي أطلق على زوجة الخليفة ويراد به المرأة الجليلة القدر . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٥٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

[٥] للمزيد عن نساء بني رسول ممن تلقبن بالجهة . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٨ ، ٥٢٥ – ٥٢٩ .

- **الدار أو الآدر السعيدة :** من ألقاب التعظيم التي ميزت بها الكثير من نساء بني رسول مثل الدار الشمسي (ت : ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) أخت السلطان المظفر الأول ودار الدملوة (ت : ٧١٨هـ / ١٣١٨م) ابنته وغيرهن[١] .
- **الخاتون**[٢] : وكانت من الألقاب التي عرفت بها بعض بنات سلاطين بني رسول مثل ماء السماء (ت : ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م) ابنة السلطان المظفر الأول وأختها دار الدملوة[٣] .
- **الملكة :** لقب أطلق على نساء وبنات السلطان الرسولي فقط[٤] .
- **الستر الرفيع والحجاب العالي المنيع :** وهي ألقاب سبقت أسماء العديد من نساء بني رسول[٥] .
- **الست :** وممن عرفت بذلك الست رشيدة إحدى نساء بني رسول في عصر السلطان المؤيد[٦] .
- **الحرة :** وهو لقب عرفت به نساء بني رسول ونساء الأمراء والعامة من غير الجواري[٧] ، كما عرفت بعض نساء العامة بالحرة الطاهرة المصونة[٨] .
- **الحجة المصونة :** وقد أطلق على من حجت من نساء بني رسول ونساء غيرهن من العامة مثل الحجة المصونة بنت الأمير أسد الدين محمد المتوفية سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م[٩] .
- **العيال**[١٠] : وقد تطلق على الزوجة تجنباً لذكر اسمها أمام الغرباء من أصدقاء الزوج وغيرهم ، ومازالت هذه اللفظة مستعملة حتى اليوم .
- **الشريفة**[١١] : لقب أطلق على نساء وبنات الأشراف تمييزاً لهن عن غيرهن من النساء[١٢] .

---

[١] الديوان المالي المعمور ، ق٢٠ب ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤ ، ٤١ ، ٩٠ ، ١٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٣٨٩ . وقد يسبق الآدر لقب الجهة كأن يقال الآدر السعيدة . انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٥ .

[٢] الخاتون : كلمة تركية تعني المرأة الشريفة ، وقد لقب بها العرب نساء الملوك . إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ج١ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت ، ص٢١٣ ؛ لويس معروف : المنجد في اللغة ، ط١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت ، ص١٦٩ ؛ الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص٢٦٤ – ٢٩٥ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٥ ؛ ج٢ ، ص١٣٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٨٩ .

[٤] الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٥٣٨ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٨٧ .

[٥] انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٦ ؛ الديوان المالي المعمور ، ق١٧أ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٥٣ ، ٢٥٤ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ١٦٩أ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ؛ ج٢ ، ص٤٦ ، ٦٦ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٢٣ – ٢٣٤ . ولقب الحرة من الألقاب التي عرفت في اليمن في أيام الدولتين النجاحية والصليحية . انظر : عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص٦١ ، ٧٥ ، ٨٣ .

[٨] شيحة : شواهد قبور إسلامية ، ص٤٨ – ٥٠ .

[٩] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٣ .

[١٠] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٥ .

[١١] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ٥٨٢ – ٥٨٣ .

[١٢] رودينوف : عادات وتقاليد حضرموت ، ص٣٣ .

٣ - لباسها وزينتها :

تفننت المرأة في العصر المذكور في لباسها وزينتها الخارجية ، وأخذت في اقتناء أنواع الملابس وأشكال الزينة المصنوعة من الذهب والفضة ، ومن المسلّم به أن تلك الملابس خضعت لِمَا خضع له المجتمع من تقسيم فكان لنساء الأغنياء لباسهن الذي اختلف عن لباس نساء الفقراء ، إذ تميزت نساء السلاطين والملوك وكبار الأمراء والأشراف والأغنياء بلباسهن وزينتهن عن لباس نساء العامة من الناس من حيث جودة القماش وفخامة تفصيله وتشكيله وسعره ، في حين كان لموقع سكن المرأة دور أيضاً في تحديد نوعية الملابس التي ترتديها فنساء المدينة اختلفن في نوعية ملابسهن وحشمتهن عن نساء الريف ، كما فرض المناخ على نساء المناطق الجبلية المرتفعة الباردة ارتداء الملابس الثقيلة المصنوعة من الصوف ، وحتمت الأجواء على نساء المناطق التهامية ارتداء الملابس الخفيفة التي تناسب جو هذه المناطق الحارة ، ومع ذلك فرض التفاوت الاجتماعي على نساء بعض هذه المناطق سواءً كانت باردة أو حارة ارتداء الملابس التي تتساوى مع مستوى الفئة التي تعود إليها ، فلباس نساء السلاطين والملوك ومن في مستواهم الذين يعيشون في المناطق الباردة أو الحارة في الريف أو المدينة يختلف بثقله وجودة قماشه عمّا تلبسه نساء عامة الناس وأن كانت مثلها من حيث الثقل والتدفئة من البرودة القارسة ، وكذلك بالنسبة للملابس الخفيفة التي ترتديها النساء في المناطق الحارة ، ومع ذلك تميزت ملابس النساء التي صنعت في ذلك العصر بإتقانها وجودة تفصيلها وتعدد أسمائها[١] ، وتورد بعض المصادر أنواع هذه الملابس التي كانت ترتديها نساء السلاطين وكبار الشخصيات في الدولة وكبار الأشراف والأغنياء مثل الجوخة[٢] وطراطور ، وكانت بنت جوزة زوجة السلطان المنصور أشهر من عرفت بلباسهن ، فضلاً عن نساء بعض الأشراف[٣] .

كما اشتهرت النساء بلبس ما يعرف بسمقشة التي تحتوي على طاقم ثيابي مكون من قميص واحد وسراويل قد تكون متعددة لذكرها بصفة الجمع ، وكانت تصنع لجميع الأعمار لاختلاف مقاساتها ، ويبدو أن صدرية سمقشة كانت تزين بأشكال كشكل المحراب[٤] ، كما لبست النساء ملابس عرفت باسم بغلطاق وتميزت بأكمامها الضيقة[٥] ، في حين انفردت نساء

---

[١] نور المعارف ، ج١ ، ص٢٨٤ – ٢٨٥ .

[٢] الجوخ : نسيج من الصوف الناعم كانت هذه الجوخة تعمل منه . المعجم الوسيط ، ص١٢٥ .

[٣] يبدو أن الطراطير من الملابس النسائية التي تغطي بها المرأة رأسها وكانت توضع على الرأس بعد لبس الجوخ وتلبس على ما يبدو عند الخروج أو السفر قبل ارتداء العباءة أو الملاءة لأن هذه الملابس ارتدتها بنت جوزة عندما أرادت الخروج لمقابلة ابن زوجها السلطان المظفر الأول ، وكذلك لبستها نساء الأشراف بعد أسرهن وترحيلهن من بلاد بني شهاب إلى صنعاء من قبل الأمير علم الدين الشعبي . انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٥ ، ٤١٦ .

[٤] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٨٤ .

[٥] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٨٤ – ٢٨٥ .

بعض المناطق بلبسهن الخاص مثل نساء صنعاء وحضرموت اللاتي عرفن بلبس الفتوحي[١] ، وفي بعض المناطق الحارة كمنطقة وصاب لبست النساء قمصان بلا سراويل[٢] ، أما في جزيرة سقطرى فإن الرجال والنساء كانوا يلبسون غطاءً ضئيلاً من الأمام والخلف ، وتظل بقية أجسامهم بلا غطاء[٣] ، وذلك لعدم وجود الملابس في الجزيرة ، وقد شدت النساء في اليمن لاسيما ذوات المكانة وسطهن ببريما كالنطاق وهي خيطان أحمر وأبيض تشد به وسطها وعضدها ، وكان هذان الخيطان أو الزناران يرصعان بألوان وأصناف الجواهر[٤] ، كما شدت بعض النساء أيضاً وسطهن لاسيما الجواري بمئزر[٥] .

وفضلاً عن ذلك ، تفننت النساء في تزيين رؤوسهن بالعصائب التي تلف حول الرأس[٦] ، وعادة ما تكون هذه العصائب مذهبة ، كما لبسن المصاون المطرزة ببعض خيوط الحرير اللماعة الجميلة وكانت نساء العلماء والفقهاء من أكثر من لبسن مثل هذه المصاون التي كن يغطين بهن رؤوسهن ، وقد عرفت المصاون التي تغطي بها المرأة رأسها أيضاً في عموم اليمن باسم الخمار[٧] والمقنع أو المقانع وأشهرها المقانع البيض الحرير التي كانت تجلب من مصر ، كما عرفت أيضاً بالأميال وكانت تغطي الجزء الأسفل من الوجه أيضاً ، كما غطت وجهها ورأسها بنوع آخر عرف بالحجوب (الحجاب)[٨] ، وكن نساء المدينة على ما يبدو أكثر استخداماً للأنقبة المذهبة وللحجاب بأشكاله وأنواعه للستر من الناس عند نزولهن إلى الأسواق المزدحمة ، كما عرف النقاب باسم القناع أو البرقع أو الخنة التي يذكر المعلم وطيوط[٩] أن المرأة كانت تحطها على وجهها من الغرباء ، في حين سارت النساء في القرى والمناطق الريفية مكشوفات الوجوه ، لصغر مجتمع الريف وتعارف أهله وقوة صلاتهم الأسرية وتداخلهم ، فضلاً عن كثر استعمال النساء في الأرياف للشاب[١٠] الذي يطلين به وجوههن في معظم الأوقات[١١] ، ومِنْ ثَمَّ صعوبة استعمالهن للنقاب ، كما استعملت النساء الجلابيب التي كانت تلف بها جسمها عند خروجها إلى الشارع والتي عرفت باسم الملاءة ،

---

(١) انظر : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٨٩ ، ٢٥٣ . وانظر عن الفتوحي فيما سبق : ص٢٤٨ .

(٢) الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٥٨ .

(٣) ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، ص٨٠ .

(٤) ابن الديبع : قرة العيون ، ص٢٥٥ .

(٥) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٥ .

(٦) نور المعارف ، ج١ ، ص٤٨٤ .

(٧) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢١٧ – ٢١٨ .

(٨) نور المعارف ، ج١ ، ص٦٥ ، ١٤٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ .

(٩) تاريخ المعلم وطيوط ، ق٨أ .

(١٠) انظر عن الشاب فيما سبق : ص٢٣٩ .

(١١) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٦٣ .

وكانت بنت جوزة ممن يتجلببن بملاءة عند خروجهن[١] ، كما اهتمت النساء في ذلك العصر بنوعية الأحذية والأخفاف التي عرفت باسم الشراميز ، وقد لبست مثل هذه الأحذية نساء بني رسول حتى أن بعضهن رصعت شراميزها بأنواع الجواهر والأحجار النفيسة[٢] ، كما لبسن أيضاً نوعاً آخر من الأحذية النسائية الراقية المعروفة باسم الدلكش المعمولة من القماش الحرير الأطلس[٣] .

وإضافة إلى ذلك ، زينت المرأة أجزاء من جسمها بأنواع الحلي المصنوعة من الذهب والفضة ، وراحت تلبس أفضلها وأجملها وأكثرها جودة لاسيما في الاحتفالات والمناسبات[٤] ، وتورد المصادر أسماء العديد من المصوغات والمجوهرات الذهبية والفضية التي تزينت بها النساء على اختلاف مستوياتهن ومراتبهن في عصر بني رسول لاسيما نساء السلاطين والملوك والأغنياء ومن في مستواهم ، ومن أهم هذه المجوهرات التي صنعت من الذهب : العصائب ، وقبلة اللأزم ، ولازم الحلق ، والسلوس ، والسوار ، والخلاخيل أو الأحجال[٥] ، والأخراص ، والخواتم ، وحلية زين الخد ، وحلية المصحف وغيرها ، في حين صنع من الفضة : الحجل بثعبان أو بدون ثعبان ، والأساور ، والأخراص المسلسلة ، والمكاحل وغيرها[٦] ، وقد اشتهرت نساء اليمن بامتلاك مثل تلك المجوهرات منذ مدة سابقة على قيام الدولة الرسولية[٧] .

وفضلاً عن ذلك ، اهتمت النساء بزينة وجوههن واستعملن الكحل والعطر لتطييب أجسادهن[٨] ، كما اعتنين بتسريحة شعورهن ، ويذكر أن نساء حضرموت كن يقمن بتظفير شعورهن في وسط الرأس حتى أن شكل رأس الواحدة منهن يصبح كالهدهد ، وقد عرفت هذه التسريحة في حضرموت بتسميات مختلفة بين النساء كالطرطر وسحاب وهكياب وغيره[٩] ، وكذلك استعملت النساء في عصر بني رسول بعض الأشياء المطيبة لرائحة الفم مثل

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ؛ ص٦٩٥ .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٩٣ – ٢٩٤ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٧ب .

[٣] ابن علوان : ديوان الفتوح ، ص١٤٠ . وانظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٣ ؛ العمري : مسالك الأبصار ، ص٥٢ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

[٥] تلبس الخلاخيل والأحجال في قدم المرأة مما يعطي صوت عند تحركها أو رقصها .

[٦] للمزيد من التفاصيل عن أنواع هذه المصوغات الذهبية والفضية انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٥٣ – ١٦٥ .

[٧] انظر : عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله الأنف : عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار وصحبه وآله الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار وما أظلم ليل وأشرق نهار ، ج٧ ، مخطوط في المكتبة الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، ق٨٧أ – ٨٩ب . وعن تفسير تسميات بعض هذه المجوهرات انظر : المقطري : إيمان ناجي ، الملكة سيدة بنت أحمد (٤٤٠ – ٥٣٢هـ) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص١٧٨ – ١٨٠ .

[٨] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٦ .

[٩] انظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

الفوفل[١] ، وأشهره الممزوج بالمسك والزعفران ، ويظهر أن أكثر من استعمل الفوفل هن نساء الخاصة والأغنياء لارتفاع أسعاره[٢] .

٤ – خروجها ومشاركتها في الاحتفالات والمواسم :

شاركت المرأة في معظم الاحتفالات التي كانت تقام في المناسبات الخاصة والعامة مثلها مثل الرجل دون حاجز أو مانع بينهما ، وقد شكلت تلك الاحتفالات متنفساً وجدت فيه المرأة مجالاً للترفيه عن نفسها وإسعادها ، وقد كانت النساء يهيئن أنفسهن لمثل هذه المناسبات بشراء ولبس الجديد للاعتناء بمنظرهن وجمالهن لكي يظهرهن بين الناس على أجمل ما يكون ، ويبدو أن المرأة في مثل هذه الاحتفالات تعطى الحرية الكاملة من أهلها في الخروج والدخول واللعب والرقص دون خجل أو حياءً أو خوف[٣] ، في حين لقيت احتفالات بني رسول أهمية كبيرة من نساء الخاصة والعامة ، فكن من أوائل المشاركات فيها وفي عملية الطبخ والتجهيز للاحتفال بها[٤] ، كما كانت النساء من أوائل الحضور لمشاهدة بعض الأمور والظواهر الغريبة التي قد تحدث في المجتمع المحيط بهن ، إذ يقفن إلى جانب الرجال للمشاهدة والتأمل في هذه الظواهر[٥] ، كما كانت بعض النساء من أوائل المشاركات في ليالي السماع التي كان يقيمها مشائخ وفقهاء الصوفية ، حيث كن يجتمعن من كل حدب وصوب لمشاركة هذا الشيخ أو ذاك هذه الليالي التي يختلط فيها الرجال بالنساء[٦] اختلاطاً فاحشاً .

وفي الوقت نفسه ، شاركت بعض النساء ممن يقلن الشعر في الاحتفالات والمجالس التي كان يقيمها مشائخ وزعماء القبائل شأنهن في ذلك شأن كبار الشعراء ، ومن أشهر الشاعرات اللاتي برزن في ذلك العصر الشاعرة بنت السوددي التي عاصرت كبار شعراء الدولة الرسولية مثل محمد بن حمير ، وكثيراً ما تمدح بشعرها الرائق الجميل كبار المشائخ وزعماء القبائل ، وكان الشيخ محمد بن زكري القرابلي يجيزها الأموال لفصاحتها وإجادتها لقول الشعر ويكرمها كغيرها من شعراء عصرها ، ومن شعرها :

ما بال أهلك يا سعاد   قد غيروا عهد الوداد

تحميهم جرد الجهاد   والسمهريات الحداد[٧]

---

[١] نبات الفوفل : نخلة مثل نخلة النارجيل تحمل كبائس فيها الفوفل أمثال التمر وهو نبات لا يـزرع في أرض العرب ومنه الأسود والأحمر يؤتى به من الهند ويطيب نكهة الفم . الملك المظفر : المعتمد ، ص٢٩٣ . وقد أفادني الدكتور محمد صالح بلعفير بأن الفوفل يزرع اليوم في حضرموت في منطقة المعدي وهو أطيب بكثير من الفوفل الهندي وأرفع سعراً منه .

[٢] نور المعارف : ج١ ، ص١٨٤ .

[٣] تم الحديث سابقاً عن مشاركة المرأة في الأعياد الاحتفالات والمزارات . انظر : ص٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٥] عن بعض هذه الظواهر انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٠٥ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٩٦ .

[٦] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٣٧٧ – ٣٧٨ .

[٧] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤١أ ، ٤٢ ب .

٥ - كـــرمها وجودها :

كانت ظاهرة إكرام الضيف والقيام بالغريب وإغاثة الملهوف والمحتاج من الصــفات الجميلة التي عرفت بها معظم نساء اليمن في ذلك العصر ، علماً بأن هذه الظاهرة لم تقتصــر على النساء من ذوات المكانة والجاه والمال فقط بل امتدت لتشمل بعض نساء العامة ، ويبــدو أن نساء بني رسول بالغن في صرف الأموال على المحتاجين وغير المحتــاجين لهــذا أثــار كرمهن الزائد السلاطين الذين لم يرضهم حال بعضهن وكرمهن والتبذير الزائد فيه كالســلطان الناصر أحمد بن إسماعيل الذي غضب على والدته جهة الطواشي فرحــان لكرمهــا الزائــد والمبالغ فيه ولإنفاقها على المحتاج وغير المحتاج من الناس[١] ، كما برز من بين نساء العامة من كانت تترقب قدوم الضيوف إلى مناطقهن لاستضافتهم وإكرامهم ، وممن عرفت بذلك ابنــة الشيخ علي بن كحيل أم الفقيه أبي عبدالله محمد بن سفيان بــن أبــي القبائــل (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) التي اشتهرت بصلاحها وعلمها ومروءتها واستضافتها للغريب بعد ترقبها قدومه ، بل كانت هي من تذهب إليه وتعزم عليه بنفسها وتسير به حتى تدخله بيتها لتكرمه[٢] ، ومــن الملاحظ أن استضافة المرأة للغريب في بيتها أغضب أفراد من أهلها لِمَا فيه من مخالفة لتعاليم الشرع ، ولِمَا لذلك من تأثير على سمعتها ، مع أن ذلك كان بدافع الكرم الذي يعد صفة يصعب على المرء التخلص منها ، وكانت أخت الشيخ عفيف الدين عبدالله بن محمد البريهي التي توفيت سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م ممن واجهن مثل هذه المشكلة ، إذ كان استقبالها للضيوف سبباً في وقوف بعض أهلها في وجهها ومعارضتها ومعاندتها ، مع ما اتصفت به من عبادة وزهد ، لذلك أيدها وعضدها متولي القضاء الأكبر يومئذ الشيخ مجد الدين الشيرازي وغيره من علمــاء وأكــابر زبيد ، مما شجعها على التصدق بصدقات كثيرة ، وأحسنت التدبير والتصــرف فــي كرمهــا كأكمل الرجال[٣] .

إلا أن أكثر المجالات التي ظهر فيها كرم المرأة هي تقديمها الأموال الطائلة وبكــل سخاء وجود لبناء المدارس والمساجد ودور الأيتام وغيرها ، وتقــديمهن الصــدقات للفقــراء والمحتاجين وأصحاب الحاجات من الأيتام والأرامل وعابري السبيل[٤] ، لما عرف عن وضع بعضهن المادي المتميز وكثرة أموالهن وأملاكهن .

---

[١] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢١٨ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٧٤ .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٤٣ .

[٤] سوف يتم الحديث عن ذلك لاحقاً . انظر : ص٣٦٧ - ٣٧٦ .

٦ – وضعها المادي والمعيشي :

خضع الوضع المادي للمرأة في العصر المذكور لِمَا خضع له المجتمع من تمييز فرضه الثراء الفاحش الذي عاشته بعض نساء ذلك العصر أو الفقر الذي عاشته نساء فئة واسعة من المجتمع ، وقد كانت نساء بني رسول أكثر نساء عصرهن امتلاك للثروة ، لِمَا ملكنه من أموال وعقارات وأملاك وضياع متفرقة في مناطق اليمن المختلفة ، وتعد بنت جوزة أكثرهن ثراءً لِمَا كان لها من مكانة ونفوذ مكناها من امتلاك هذه الأموال التي ورثت بعضها عن والدها الأتابك سنقر وبعضها الآخر عن زوجها الأول الملك المسعود الأيوبي[١] ، ويذكر ابن المجاور[٢] أن من الأموال التي دخلت في رصيد بنت جوزة الخاص عشرين ألف دينار قيمة أحد الحصون التي باعتها على أحد الفرسان في دولة زوجها المسعود ، وتؤكد لنا دواوين المال التي كانت تسجل فيها أملاك الأسرة الرسولية (رجال ونساء) أن نساء بني رسول كن من أصحاب الأملاك والأراضي والبساتين ، وزاد من نسبة أملاكهن مردود هذه الأملاك لاسيما الأراضي الزراعية وخضوعها لنظام المسامحات الذي يعفيهن من أية مسؤولية مالية للدولة من خراج أو غيره[٣] ، وقد وصل الأمر ببعض نساء بني رسول إلى مشاركة الملوك بالمناصفة في بعض الأراضي والأملاك ، وممن عرفن بذلك إحدى نساء القصر في عصر السلطان المظفر الأول وتسمى بالدار تخت موفق التي كانت تمتلك أراضي زراعية في تهامة بالمناصفة مع الملك الأشرف الأول عمر[٤] ويبدو أنها من المقربات له (أخته أو عمته) ، كما كانت الدار الشمسي ابنة السلطان المنصور من أكثر نساء بني رسول أملاكاً ، لما أثارته وصيتها من مشكلات بين ورثتها[٥] ، في حين يذكر أن الحرة جهة دينار الشهابي عائشة بنت محمد بن علي بن رسول زوج السلطان المظفر الأول وأم ولده المؤيد كانت تمتلك أراضي كثيرة في وادي ظبا من ذي سفال ، وقد ابتنت عليها قصراً لها[٦] .

وفي هذا الصدد ، امتلكت بعض نساء العامة الأملاك والأموال في ذلك العصر مثل والدة الشيخ جمال الدين محمد بن علي بن المسن (المتوفى في أول المائة الثامنة) والتي تنسب إلى قوم يسمون بني العماد من أهل مدينة تعز ، وقد تركت لولدها من الأموال ما مكنه من شراء أرض واسعة في منطقة الصلولة[٧] وفي غيرها من المناطق ، وأصبح بها من أصحاب

---

[١] سوف يتم الحديث لاحقاً عن حياة بنت جوزة وأزواجها الذين ارتبطت بهم . انظر : ص٣٧٧ – ٣٨٥ .

[٢] تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٥٤ .

[٣] انظر : للديوان العالي المعمور ، ق١٨أ ، ١٩أ – ب ، ١١٩أ ، ١٢٠أ ، ١٢١ب ، ١٢٢أ ، ١٧٠أ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٥ .

[٥] عن هذه الوصية انظر لاحقاً : ص٣٨٩ .

[٦] إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية في اليمن ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص١٦٨ .

[٧] الصلولة : عزلة من مخلاف بني سليم من وصاب العالي . الحجري : مجموع ، مج٣ ، ج٢ ، ص٤٨١ .

الأملاك[١] ، كما كانت والدة الفقيه حسن بن وجيه الدين عبد الرحمن بن الإمام صفي الدين أحمد بن سالم صاحبة أملاك حتى أن ولدها المذكور ورث عنها العديد من الأراضي والبيوت والأموال التي استثمرها في شراء أراضي جليلة وواسعة[٢] .

لقد عاشت نساء بني رسول حياة ترف لِمَا ملكنه من أموال وعقارات وأراضي مكنتهن من العيش في مستوى اجتماعي رفيع بين غيرهن من نساء عصرهن ، إضافة إلى ما كان يصرف لهن من رواتب من الديوان السلطاني في صورة مبالغ مالية أو نثريات شخصية يصرف بعضها بشكل يومي أو شهري من الديوان خارجاً عن كسوتهن الشخصية ومستلزمات مطابخهن من خضروات وفواكه ولحوم وحبوب وسكر وجوز وسمن وسليط وزنجبيل وصابون وغيره ، كما حظيت نساء بني رسول باهتمام السلطان في الأعياد والمناسبات لما كان يصرف لهن في هذه المناسبات من أبقار وأغنام وأبل ، وأعطى لهن حق التصرف بامتلاكها أو تربيتها أو بيعها أو ذبحها أو توزيع لحمها[٣] ، وقد ساعدت تلك الأموال والعقارات نساء بني رسول على العيش حياة راقية منعمة ، وأصبح للواحدة منهن الجواري من الوصيفات والماشطات وغيرهن[٤] ، وأصبحت قصورهن مليئة بالعبيد والخدم الذين قد يصل عددهم إلى العشرين وما فوق للواحدة منهن ، ومحاطة بالعسكر الذين يسهرون على حراستها ، كما خصصت لهن الدولة موظفين منهم الخياطين والطباخين والخبازين والمعلمين والكتاب وغيرهم ، علماً بأن الدولة هي التي كانت تنفق على هؤلاء وتتكفل برواتبهم ونثرياتهم ومستلزماتهم ، لذلك بالغت نساء بني رسول في امتلاك العبيد والجواري والخدم[٥] ، في حين عاشت نساء العامة حياة متواضعة فرضتها أوضاعهن الأسرية التي عاشها أزواجهن دون أن نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى أي مظهر من مظاهر الترف والنعيم في حياتهن ، عدا إشارة يسيرة لبعض النسوة من ذوات المكانة وما يلبسنه من حلي وحلل وما حولهن من جواري يعملن على خدمتهن والترفيه عنهن[٦] ، وقد دفعت هذه الأوضاع الصعبة بعض النسوة إلى اتجاه مزاولة الأعمال المختلفة للكسب منها ، والاستفادة مما تدخله هذه الأعمال من دراهم تصرفها على أولادها وبيتها .

---

[١] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٥٨ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٦٩ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٤٠٥ ، ٤٠٧ – ٤٠٨ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ؛ ٥٢٩ ، ٥٣١ – ٥٣٣ ؛ ٥٤٠ – ٥٤٨ ، ٥٥٠ – ٥٥٣ ، ٥٧٦ – ٥٧٧ ، ٥٨٠ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٥ – ٦٦ ، ٢٥٣ .

[٥] نور المعارف ، ج١ ، ص٥٢٥ – ٥٢٩ ، ٥٤٦ ؛ ج٢ ، ص ١٢٥ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٧٧ .

٧ – أهم الأعمال التي زاولتها :

زاولت المرأة في العصر موضوع الدراسة العديد من الأعمال التي ساعدتها على مواجهة الأحوال المعيشية الصعبة ، وقد فرضت بعض هذه الأعمال على النساء الخروج إلى الأسواق والوقوف إلى جانب الرجل والاختلاط به لسد حاجتها وحاجة أولادها دون أن يمنعها من ذلك شيء ، إلا أن من غريب ما نلاحظه في تاريخ الدولة الرسولية أن تتولى المرأة أعلى الوظائف الحكومية وأرفعها وتتساوى في هذه الوظائف مع الرجل من حيث المكانة والجاه والمنزلة ، وتصبح آمرة ناهية في أمور سياسية وإدارية وغيرها قد لا يفصل فيها الرجل ، ومن أهم هذه الوظائف الحكومية والأعمال المدنية التي عملت بها المرأة في ذلك العصر :

أ – الوظائف الحكومية : وفقت بعض النساء في العصر المذكور ببعض المناصب الحكومية والوظائف الكبرى التي ارتفع شأن المرأة بتوليها ، ومن أهم هذه الوظائف :

- **الولاية والإقطاع :** وكانت من أكبر المناصب التي حصلت عليها المرأة ، وذلك بموجب مرسوم يصدر عن السلطان تصبح بموجبه هي الآمرة والناهية في شؤون وأمور بعض الأقاليم بما فيها من مشائخ وقبائل ورعية ، ونستدل على ذلك من خلال الإشارة التي ذكر فيها ابن حاتم[١] من أن السلطان المنصور نور الدين عمر عندما قسم الإقطاع قبل موته كان من بين المقطعين امرأة أقطعها إب تعرف بأم الأمير بدر الدين بن فتح الدين .
- **مشيخة القبائل :** وهي من أرفع المراكز التي تولتها بعض النساء ، بأمر يصدره السلطان وتصبح بموجبه احدى نساء القبيلة مسؤولة عن كل فرد من أفراد قبيلتها أمام الدولة ، كما تصبح هي المتحدث بلسان القبيلة ، وبموجب ذلك يفرض على بني رسول معاملتها كالمشائخ من الرجال[٢] .
- **حراسة السجون :** تولت بعض النساء أعمال الحراسة لاسيما لبعض السجناء السياسيين كابن الأشرف بن الناصر الذي وضع على باب سجنه امرأة سوداء من الإماء لحراسته[٣] .
- **مرافقة السلطان والسفر معه :** عمل في مرافق الدولة الرسولية عدد من الموظفات اللاتي اختلفت مهامهن ودورهن في الخدمة ، فكان من بينهن من يتم تكليفهن بمرافقة السلطان والسير معه في حله وترحاله لاسيما عند السفر في المهام الرسمية والتفقدية إلى بعض المناطق ، ويبقين ضمن الحاشية المحيطة بالسلطان في خدمته وخدمة نسائه المرافقات له في أثناء الزيارة ،

---

(١) السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٣ .

(٢) سوف يتم التفصيل عن هذا الموضوع لاحقاً انظر : ص٣٩٧ .

(٣) تم سجن ابن السلطان الأشرف بن الناصر من قبل عمه السلطان الظاهر لأسباب سياسية . انظر عن ذلك لاحقاً : ص٣٩٣ .

وقـد خصص بنو رسول لهن الرواتب والنثريات كغيرهن من موظفي الدولة ، علماً بأن مثل هذه الزيارات كان يشارك فيها بعض من نساء القصر المقربات من السلطان[١] .

- **خدمة نساء السلطان** : عملت بعض النساء مرافقات ووصيفات لبعض نساء بني رسـول ، واقتصر عمل بعضهن على الاهتمام بالمنظر الخارجي لزوجة السلطان أو بنته أو أختـه أو غيرهن ، فتتولى ترتيبها وتسريحها وتمشيط شعرها إعداداً للخروج ، وتعد بنت جوزة زوجة السلطان المنصور من أهم النساء اهتماماً بهذه المسألة لذلك كانت لها ماشطة (مسرِّحة) أو مصففة شعر خاصة بها[٢] .
- **الغنـاء** : امتلأت قصور بني رسول بالمغنيات اللاتـي يتولين إحياء الحفـلات في مجالس الطرب والرقص التي يقيمها بعض السلاطين ، ويبدو أن هؤلاء المغنيات كـن من الموظفات لدى الدولة براتب معلوم يسلم إليهن ، لسكنهن خارج قصور بني رسول وقدومهن بين الحين والآخر للغناء والطرب أمام السلطان وضيوفه[٣] .
- **العمل في المطاحن** : ضمت المناخات السلطانية عدد من العاملات المتخصصات في عمـل معين كالقيام بطحن الحبوب في المطاحن الموجودة في هذه المناخات[٤] ، وتنظيـف وترتيب هذه المناخات على ما يبدو .
- **العمل في المطابخ السلطانية** : احتوت المطابخ السلطانية الخاصة بقصور وحصون بني رسول على أعداد من الحريم والجواري والخبازات العاملات في إعداد الطعام والخبز الخاص بالسلطان وأفراد أسرته بالمشاركة مع طاقم من الطباخين المتخصصين في إعداد أنواع وأشكال الأطعمة والمشروبات ، وقد كان بنو رسول يصرفـون لهن الرواتب والهبـات المختلفة[٥] لمساعدتهن على مواجهة ظروف الحياة الصعبة .
- **العمل في الموانئ** : كما عملت المرأة في الموانئ اليمنية ، وتخصصت في تفتيش النسـاء اللاتي يقدمن في السفن القادمة إلى ميناء عدن[٦] .

ب – الأعمال الحرفية (الخاصة) : دفعت الأوضاع المادية الصعبة في عصر بني رسول الكثير من نساء العامة إلى الخروج من بيوتهن للعمل في الأسواق ، فـرحن يـزاولن أنواع الحرف والمهن التي زاولها الرجال للحصول على المال ، وكان أهم هذه الأعمال :

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٣٥ – ٥٣٦ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٥ – ٦٦ .

[٣] سعى بعض السلاطين إلى محاربة العاملات في هذه المهنة بمنعهن من دخول قصورهم . انظر لاحقاً : ص٤٢٥ .

[٤] نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٥ .

[٥] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٨ ، ٩٢ .

[٦] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٩ .

- **التجارة** : كانت من أربح الأعمال التي زاولتها بعض النساء اللاتي كن يسافرن إلى خارج اليمن ببضائعهن المختلفة لبيعها هناك ، ثم يقدمن ببضائع جديدة لها طلب في الأسواق ، ومن أشهر تاجرات ذلك العصر السيدة عائشة بنت العجمية (ت : ٨٠١هـ / ١٣٩٨م) التي كانت تقيم في عدن وتتردد بينها وبين مكة للتجارة[١] ، كما شكلت الأسواق اليومية والأسبوعية والموسمية المقامة في بعض المناطق مكاناً لتجمع النساء العاملات في البيع والشراء في ذلك العصر ، وقد تميزت هؤلاء النسوة بالنشاط والحركة لاسيما نساء المناطق الريفية التي يصل النشاط ببعضهن إلى القيام باكراً والخروج من قريتها إلى السوق وهي محملة بالبضائع المراد بيعها على ظهرها قاطعة الجبال والشعاب والأودية والسهول لكي تفرش بضاعتها مع بداية قيام البيع في السوق ، ولا تقوم من موضعها إلا بعد أن تبيع ما معها لتقوم بشراء متطلباتها ومستلزمات بيتها وأسرتها ، وتضع كارتها على ظهرها لتعود من الطريق نفسه ، وتظل على ذلك ما عاشت[٢] ، وتعد أسواق ظفار الحبوضي من أكثر الأسواق انتشاراً للنساء العاملات في البيع والشراء من الخدم بثيابهن السوداء[٣] .

وفي الوقت نفسه ، عملت بعض النساء بأعمال كان لها ارتباط بالتجارة كالدلالة التي عرفت العاملة بها بالدلاّلة[٤] ، وتعد الدلالة من المهن المربحة بالنسبة للنساء في ذلك العصر ، إذ تقوم الدلالة بشراء بضائع مختلفة أو تأخذ هذه البضائع من التاجر على أن تسدد له ثمنها بعد البيع ، وعادة ما تكون تلك البضائع خاصة بالنساء (أقمشة ومصاغ) ، ثم تقوم ببيعها على نساء جيرانها والمعروفين لديها واللاتي يشترين حاجتهن وبسعر مضاعف على أقساط لعدة أشهر ، ويتطلب عمل النساء في الدلالة الأمانة والصدق والوفاء لكثرة معاملتهن مع التجار وأصحاب المحلات والحوانيت ، كما تميزت مهنتهن بالخطر لنظرة الناس إلى ما يكسبنه من أموال تجنى من وراء عملهن هذا[٥] ، وتعد الدلالة من المهن التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا بين النساء .

- **الزراعة** : كانت الزراعة من بين المهن التي عملت بها النساء في ذلك العصر ، ويذكر ابن المجاور[٦] أن النساء شاركن الرجال في العمل بالزراعة لاسيما في بعض المواسم التي يزيد فيها الزرع والخير ، ويعد موسم نبات الفوة الذي ازدهرت زراعته وارتفعت أثمانه في ذلك

---

[١] الفاسي : العقد الثمين ، ج٨ ، ص٢٧٣ .

[٢] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص١٩١ – ١٩٢ .

[٣] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٠٣ .

[٥] انظر : الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٠٣ – ١٠٤ .

[٦] كانت الجواري هن من يعملن في الزراعة ، كما عمل بعضهن في أعمال البناء ونقل الحجار من أماكن قطع الأحجار في الجبال إلى داخل المدن . انظر : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٢٦ ؛ ج٢ ، ص١٧٥ .

الحين من أكثر المواسم التـي دفعت المرأة وشجعتها على العمل فـي الأرض لما كان لهذا النبات من أسعار مرتفعة ساعدت على أن تكسب العاملات فيه الأموال .

- **مزاولة الصناعـات والحرف اليدويـة** : استغلت العديد من النساء أوقاتهن بمزاولة بعـض الصناعات والحرف اليدويـة الخفيفة في بيوتهن للحصول على المال ، وكـان من أهم تلك الحرف غزل القطن وصناعة الملابس ، وقد مارست هذه الحرف معظم نساء اليمن بما فيهن نساء بنـي رسول ، إذ يذكر الوصابـي[١] أن زوجة الأمير شمس الدين علـي بن رسول أم السلطان المنصـور أثناء إقامتها في وصاب مع زوجها شمس الدين والي جعر كانت تشغل وقتها بشراء القطن ثم غزله وبيعه في السوق ، وهو ما عملت فيه أكثر نساء العامة وعلـى رأسهن نساء العلماء والفقهاء لحاجتهـن إلى المال[٢] ، كما عملت المرأة في صناعة القفـاع (شبيهة بالزنابيل) من خوص النخيل[٣] ، ويبدو أن تلك الحرف ما هي إلاّ نماذج لعدد مـن الصناعات التي عملت بها نساء ذلك العصر .
- **العمل كخاطبة للراغبين في الزواج** : زاولت بعض النساء في ذلك العصر مهمة البحث لبعض الشباب الراغبين في الزواج عن زوجات لهم من بنات حيهم أو قبيلتهم ، ويبدو أن مهنة الخاطبة كانت من الأعمال التي اشتهرت بها عـدد من النساء اللاتي عادة مايكنّ على صلة وعلاقـة بنساء حيهن ، إذ يضع الخطيب الشروط التي يجب أن تتوافر في المرأة التي يحب الارتبـاط بها ومستوى أسرتها ، فتتولى الخاطبة البحث عن صاحبة الأوصاف المذكورة ، وكانت الخاطبة تتحصل على مبلغ مالي وكسوات وأطياب من الخطيب إذا ما وفقت في إيجاد صاحبة المواصفات كمكافأة لها على مجهودها وبحثها في إيجاد طلبه[٤] .
- **الخدمة في البيوت** : فرضت الأوضاع المادية الصعبة التي عاشتها العديـد من الأسـر في عصر بني رسول على النساء الخدمة في البيوت[٥] ، وذلك مقابل أجر تتفق فيه مع صاحب البيت مما يساعدها على كفاية نفسها وأسرتها .
- **خدمة الترب والمزارات** : سخـرت عدد من النساء أنفسهـن لخدمة بعض زوايـا وتـرب الصالحين ، مقابل ما يحصلـن عليه مما كان يأتـي به الزوار القادمـون إلى هذه الترب ، وتتولى هؤلاء النسوة ترتيب وتنظيف هذه الترب واستقبال الزوار وإكرامهم[٦] ، ومن الملاحظ

---

[١] تاريخ وصاب ، ص١١٢ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٧٨ . وانظر : المشهور : الشيخة سلطانة الزبيدية : ص١٨ .

[٣] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص ١٣٧ .

[٤] انظر : الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٧٠أ – ب ، ١٧١أ – ب .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٩٨ – ١٩٩ .

[٦] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٦٣ .

أن عملهن في خدمة هذه الترب ساعدهن على العيش مما كان يقدم من نذور تصرف في صالح الزاوية ، ويعطى لها جزء منه .

- **الغناء والرقص :** كان الغناء من بين المهن التي زاولتها عدد من النساء لاسيما في بعض المدن كزبيد[١] ، وقد قامت هؤلاء النسوة المغنيات بالتنقل بين المناطق لإحياء الحفلات الغنائية الراقصة التي يحضرها بعض الرجال ، فيرقصن ويغنين بكلمات غزلية تثير من حولهن وتطربهم بصوتهن وتمايلهن ورقصهن بينهم[٢] ، وعادة ما تمارس بعض هؤلاء النسوة غير المسلمات الفجور للحصول على المال ، لذلك جمع بعضهن بين الغناء والفجور واشتهرن بذلك بين الناس خاصة بين كبار الشخصيات في الدولة والميسورين في المجتمع الذين كثيراً ما كانوا يترددون عليهن إلى بيوتهن للتمتع بهن وبغنائهن[٣] .
- **ممارسة البغاء :** كان البغاء من بين الأعمال التي مارستها بعض النساء في بعض المدن مثل عدن ، وتعد الجواري من أكثر من مارسن البغاء علناً فيها[٤] ، كما مارست عدد من نساء جزيرة سقطرى البغاء مع بعض المترددين على الجزيرة من السراق (القراصنة) مقابل ما يدفع إليهن وإلى بعض الرجال والعجائز ممن يدلون على هؤلاء النسوة ، مما ساعد على تسهيل انتشار الفاحشة بين عدد من نساء الجزيرة[٥] ، ويبدو أن الأموال التي كانت تجنيها الفاجرات من النساء دفعت العديد منهن إلى اعتبار هذا العمل عملاً للكسب والعيش ، وقد ناقش بعض الباحثين هذه المسألة التي يظهر من خلالها أن معظم من مارسن مثل هذه الأعمال هن أصلاً من نساء غير المسلمين الذين قدموا إلى عدن وغيرها للاستفادة من انتعاشها التجاري[٦] .
- **مزاولة السحر والتنجيم :** عملت عدد من النساء على استغلال بعض الجهلة من الناس فمارسن السحر لكسب الأموال منهم ، وقد انتشرت ظاهرة السحر بين نساء العديد من المناطق ، وأخذ بعضهن في تعلمه وممارسته[٧] ، كما عملت بعض النساء في التنجيم بضرب الرمل مدعيات معرفتهن للغيب ، وكان بعض نساء الأسرة الرسولية يسألنهن لمعرفة بعض أمورهن الغيبية[٨] .

---

[١] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٩٨ .

[٢] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٩٧ . وانظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٣٤ب ، ٤٤أ .

[٣] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٥٠ .

[٤] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٣٤ – ١٣٧ ؛ السروري : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ، ص٦٨٨ .

[٥] ابن المجاور : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

[٦] انظر : السروري : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ، ص٦٨٨ .

[٧] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٤٨ – ٢٤٩ .

[٨] انظر : المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٧ب .

٨ - توريثها :

نظراً لانتشار الجهل في الأمور الدينية بين فئة من الناس في العصر المذكور فقد رأى بعض الجهلاء عدم توريث المرأة ، ومن هؤلاء أهالي قرية الدوم في جبل ملحان ، الذين رأوا بأنه ليس للمرأة أي حق في الوراثة ، مما أثار بعض فقهاء المنطقة مثل الفقيه أبـــي إســـحاق إبراهيم بن محمد الملحاني الذي سعى لمحاربة تلك الظاهرة والقضاء عليها ؛ وراح ينهي أهالي منطقته عن حرمان النساء حقهن وأمرهم بإخراج حصة كل واحدة من ورثها في أهلها ، وقـد لقي صوته استجابة عند بعضهم ، فصاروا يورثون النساء واستمروا على ذلك حتى توفي الفقيه المذكور فعادوا إلى حالتهم الأولى[١] .

ومن هذا المنطلق دفعت هذه القضية سكان بعض المناطق إلى وضع أعراف في نظام الوراثة لا تخضع للشرع ، ويعد أهالـــي منطقة وصاب أكثر من سن مثـل هـذه الأعــراف وعملوا بها والتزموا بتنفيذها مع أنها مخالفـــة للدين ، وأصبحت من بين عـــادات وتقاليـــد المنطقة ، وفرض على جميع الأهالي قبولها ، ومن لم يلتـــزم بها نظر إليه النـــاس نظـــرة الخائن أو المخالف لعرف المنطقة أو القبيلة ، وقد كان للمرأة نصيب من هذه الأعراف لاسيما في ورثها الذي تركه لها والديها ، وينص هذا العرف على أنه : " إذا مات صاحب عقـار أو مال كان لكل وارث قدر إرثه بما فيه بنات الميت ، فمن أراد من الورثة أن يبيع نصيبه علـــى أجنبي منعه العديل (المسؤول عن تسجيل عقد البيع) ، وفي حالـــة أنكحت أحد بنات الميـت بعد أن حصلت على ورثـــها واستغنت بزوجها كان نصيبها من العقار لإخوتها وعليهم لـــها البر والشفقة على عرف البلاد ، خصوصاً وقت الولادة ووقت الأعياد ، وإن مات زوجهـــا أو طلقها رجع لها نصيبها فيعمل العديل بمقتضى ما شرطه المعدل ولو مات العديل قـام وارثـه بمقامه "[٢] .

ومن الملاحظ أن قضية توريث المرأة كانت تسير بصورة طبيعية وبموجب ما حدده الشرع لها بين كثير من الأسر مثل الأسرة الرسولية التي التزم أفرادها بإعطاء كـل ذي حقـاً حقه بما فيهم نساؤهم[٣] ، وكذلك بالنسبة للعديد من الأسر اليمنية في بعض المناطق التـــي لـم تحرم المرأة نصيبها من الورث حتى أن بعضهن صرن مـــن أصـــحاب الأمـــلاك والأمـــوال لحصولهن على نصيبهن مما ترك آباؤهن وأمهاتهن[٤] .

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص١٧٠ .

[٢] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٨٤ – ٨٥ .

[٣] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٧٩ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٥٨ ، ٦٩ .

٩ - علاقتها الأسرية بزوجها ودورها في تربية أبنائها :

أعطت المرأة في عصر بني رسول جل اهتمامها وعنايتها ببيتها وأفراد أسـرتها ، وراحت تبحث عن السبل المختلفة لتوفير الراحة لهم ولاسيما زوجها ، وكان لحسـن العشـرة وطيب العلاقة بين الزوجين الدور الأكبر في زيادة الاستقرار والتماسك الأسري ، وقد زاد من ترسيخ العلاقة الأسرية بين الزوجين قيام المرأة بواجباتها تجاه زوجهـا واهتمامهـا بلبسـها وزينتها وطيبها وحسن استقبالها له عند عودته إلى البيت ، وتخفيفها عنه مشقة وتعب العمـل خلال اليوم بتدليك (تكبيس) رجليه ويديه وظهره لراحته[١] ، ومسامرته إلى وقت متأخر من الليل لتبادل أطراف الحديث والتسلية على سطوح منازلهم[٢] ، كما زاد من مكانة المـرأة عنـد زوجها صلاحها ومواظبتها على صلاتها وسعيها لإصلاح زوجها بنصحـه للمحافظـة علـى الصلاة وإيقاظه إذا ما نام عنها[٣] ، وإخلاصها في القيام بواجباتها المنزلية المعروفة من طبخ وتنظيف وغسل وتربية للأولاد والسهر عليهم إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك لبكـاء أحـدهم أو مرضه ، والعمل على هزه وتحريكه في المهد إذا ما تطلب الأمر ذلك حتى ينام[٤] .

إلا أن أكثر ما يعكر صفو العلاقات الزوجية رفض الزوجة القيام بواجباتهـا تجـاه زوجها ، مما قد يدفع الزوج إلى الاعتداء عليها وضربها حتى تمتثل لأوامره ، وهو ما فعلـه الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالله (ت : ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) عندما طلب من زوجته أن تعد له ولضيفه طعام فاعتذرت ، وعندما حاول إكراهها أصرت فأخذ لها عوداً ضربها به حتى شـج رأسها ثم تركها ليصنع الطعام بنفسه[٥] .

كما كان لكثرة طلبات الزوجة وعجز الزوج وقلة مقدرته على تنفيذها دور أيضاً في توتر العلاقات بين الزوجين ، وهو ما شكا منه كثيراً المقرئ عفيف الدين عبد الله بـن عمـر الصراري الشنيني (ت : ٨٠٤هـ / ١٤٠١م) الذي قهرته زوجته بطلبات يستحيل تحقيقها لها ، كطلبها بعض فواكه الشتاء في فصل الصيف وإصرارها على ذلك ، فكان كثيراً ما يغيب عـن بيته لكثرة طلباتها وقلة مقدرته على تحقيقها وتجنباً للدخول معها في مشاكل تزيد مـن سـوء العلاقة بينهما[٦] ، ومع ذلك كان على الزوج أن يوفر لزوجته كل ما تحتاج إليه مـن لـوازم الحياة الضرورية ، كما أنه مسؤول عن لبسها وكسوتها في الأعياد أو في أي من المناسـبات التي تتطلب حضورها ، وعلى الزوج أن يتدبر نفسه ويتصرف ليـوفر المـال لشـراء هـذه

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٢ .
[٢] الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١٥ -٢١٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧٥ – ١٧٦ .
[٣] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٣٣ .
[٤] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧١ . وانظر : المشهور : الشيخة سلطانة ، ص١٨ .
[٥] الجندي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢١٥ – ٢١٦ .
[٦] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٩١ .

المتطلبات[1] ، مع أن معظم نساء اليمن لاسيما نساء زبيد كن يقنعن بقليل النفقة والكسوة من أزواجهن[2] .

لقد أدت المشكلات الزوجية وإعراض بعض الأزواج عن توفير لوازم زوجاتهم والقيام ببيوتهم وأولادهم إلى أن تتصرف بعض الزوجات بتصرفات ترى فيها أداة ضغط على الزوج لإجباره على القيام بواجبه تجاهها وتجاه بيتها فقامت بعضهن بالاتصال بأهلهن طالبات منهم التدخل لإيجاد حل لِمّا هن فيه ، وعادت بعضهن إلى بيوت أهلهن حتى ينفذ الزوج مطالبهن[3] ، وحكّمَن بعضهن القضاء ليفصل بينهما ، وتجرأ بعضهن على الوقوف أمام القاضي في دار القضاء لعرض مشاكلهن وما هن فيه من تقصير وإهمال وسوء عشرة طالبات تدخل الشرع للفصل بينهما وتفريقهما بالطلاق ، ودفعت بعضهن الرشوة للقاضي ليأمر بطلاقها[4] .

ورغم ذلك كان للعلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين أكثر الأزواج وحسن العشرة التي ترسخت عبر الزمن أثرها في أن تتمسك معظم النساء بأزواجهن رغم بعض العراقيل والمشكلات التي كانت تواجه الحياة الزوجية ، وهو ما نلاحظه في موقف ابنة الشيخ علي بن قاسم الحكمي زوجة الفقيه أبي عبدالله بن أبي بكر بن الحسين الزوقري الركبي المعروف بابن الخطيب التي أراد أهلها تزويجها بالقوة بعد أن تم تطليقها من زوجها رغماً عنها لأصابته بمرض يفقده الوعي ولتدهور حالته الصحية بسبب المرض ، وعندما حاولوا إكراهها على الزواج بغيره ، قالت لهم : " لا أريد به بدلاً حياً أو ميتاً "[5] ، لحبها الشديد له وتمسكها بعشرته رغم ما حل به من عجز ، كما نلاحظ حسن العشرة ووفاء المرأة لزوجها في موقف زوجة سفيان بن أبي القبائل أم الفقيه أبي عبدالله محمد بن سفيان بن أبي القبائل (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) التي خطبها الفقيه سفيان الأبيني بعد وفاة زوجها لإعجابه بحالها وكرمها وجودها ، فقالت له : " لا أتزوج بعد أبي القبائل أحداً ولا أغير صحبته لغيره "[6] .

لقد كان من أبرز الأدوار التي أدتها المرأة في إطار أسرتها توليها مسؤولية الاعتناء بأولادها وتربيتهم وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية الجيدة وتهيئتهم للانخراط في المجتمع والعمل فيه ، إلا أن ما يزيد من ثقل العبء على المرأة تحملها المسؤولية الكاملة في التربية في ظل غياب زوجها أو موته ، وقد أدت العديد من النساء دوراً كبيراً في جانب العناية بأبنائهن والقيام

---

[1] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٦٣ .

[2] ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .

[3] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٨٥ .

[4] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٠٢ ، ٤٣٧ .

[5] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦٣ – ١٦٤ .

[6] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ،ص١٧٤ ، ٢٦١ – ٢٦٣؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٦٣ – ١٦٤ ، ٢٣٣ – ٢٣٤ .

بهم والصرف عليهم وعلى غذائهم ولبسهم لاسيما في حالة غياب الزوج ، وهو ما يذكره ابن بطوطة[١] عن نساء زبيد أنه في حالة سفر زوجها فهي تتكفل بتربية أبنائها وتقوم بواجبها تجاههم إلى أن يعود والدهم ولا تطالبه بنفقة ولا كسوة ولا سواها في مدة غيابه ، كما دفع غياب القاضي حسان بن أسعد العمراني زوجته – وكانت امرأة من الطبرانيين أهل مكة – إلى الهروب بابنها الوحيد إلى أهلها في مكة خوفاً عليه من أن يحل به ما حل بوالده من سجن وتعذيب ، وفي مكة تولت هي العناية به وبتربيته وتنشئته تنشئة حسنة وعلمته الفقه ، فذكر بالفضل عندما كبر وتولى قضاء زبيد سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م بعد عودته إليها[٢] . وقد برز في عصر بني رسول عدد من النساء اللاتي اشتهرن بحسن تربيتهن لأبنائهن وتحملهن المسؤولية في أسرهن بعد وفاة عائلهن مثل الحرة منيرة ابنة الفقيه عبدالله بن سالم الأصبحي زوجة الفقية يحيى بن فضل المليكي (ت : ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) التي عرفت بالصلاح والعناية بتربية أبنائها وتعليمهم حتى خرج منهم الفقهاء والعلماء[٣] ، وكذلك فعلت الحرة ابنة الشيخ عمران الصوفي (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) التي اهتمت بتربية أبنائها بعد وفاة زوجها وعلمتهم القرآن الكريم ونشأتهم التنشئة الصحيحة على الخير والصلاح[٤] ، كما عملت زوجة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد العراقي التي عرفت بخيرها وصلاحها بعد وفاة زوجها على العناية بابنها إبراهيم (ت : ٨٦٦هـ / ١٤٦١م) وربته تربية حسنة وهو ما يزال صغيراً ، والزمته مجالسة أهل العلم ليتربى ويتعلم على أيديهم فكان من خيار علماء الصوفية[٥] .

وفي الوقت نفسه ، أدت العديد من الأمهات من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية دوراً كبيراً في مساندة ومساعدة أبنائهن عند الشدائد والمحن ووقفن إلى جانبهم مقدمات لهم النصح والمشورة في بعض الأمور[٦] ، الأمر الذي جعل هؤلاء الأولاد أكثر براً بهن عند الكبر[٧] .

١٠ – دورها في الحياة الاجتماعية وأهم أعمالها :

أظهرت الأعمال التي شاركت بها المرأة في الحياة الاجتماعية دور نساء ذلك العصر في بناء وتعمير المجتمع ، وذلك من خلال ما قدمنه من مشاريع استفاد منها الناس كافة ، فضلاً عن سعيها لمساعدة أصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين والأيتام والمحتاجين ، وقد

---

[١] تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٥٦ .

[٢] عن سبب سجن القاضي المذكور وتعذيبه انظر : الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٧٠ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٥٠ – ٥١ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٠٠ – ٢٠١ .

[٥] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٥٤ .

[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٧١ .

[٧] انظر فيما سبق : ص٢٩١ .

كان للأحوال المادية لبعض النساء دور في عظم وفخامة هذه الأعمال والمشاريع والمساعدات التي كانت تقدمها لغيرها ، فكلما كانت ذات مال وأملاك زادت مشاريعها الخيرية وكبر وقفها وكثر ما يدره هذا الوقف على القائمين عليه والطلاب الفقراء والأيتام ، في حين ساهمت العديد من نساء العامة في هذه المشاريع ، وقدمت كل منهن مقدرتها دعماً لأصحاب الحاجات وإن كانت بعض هذه الأعمال متواضعة ، إلاّ أن الهدف الاجتماعي منها كان تخفيف معاناة بعض الفئات الفقيرة في المجتمع ومساعدتها على تكاليف الحياة الصعبة والمتعبة ، ويعد بناء المدارس[١] والمساجد ودعم الفقراء والمحتاجين بالأموال والطعام والتخفيف على الأيتام والأرامل من أهم الأعمال التي سعت المرأة إلى القيام بها في ذلك العصر .

أ - بناؤها المساجد :

شهدت الدولة الرسولية تنافساً كبيراً بين نساء ذلك العصر حول إقامة بعض المنشآت المعمارية الدينية كالمساجد والخانقاوات ، باذلات في ذلك الأموال لتشييدها أو لترميم القديمة منها ، أو تكملة ما بها من نقص كالمطاهر أو الملاحق التابعة لها ، وقد كان للنساء من فئات المجتمع كافة دور ملموس في هذا الجانب ، إلاّ أن نساء بني رسول وجواريهن يأتين على رأس من قمن بهذا الدور مثل : الدار النجمي ابنة علي بن رسول التي شيدت مسجداً في ذي جبلة ، ورتبت فيه مدرسين ودارسين ، كما كان لها دور في ترميم بعض المساجد كمسجد ابن عراف في تعز الذي قامت ببناء مطاهيره ، وأخذت بالبحث عن المساجد التي هي في حاجة إلى إصلاحات ، ويذكر أنه عندما بنى أخوها فخر الدين أبوبكر بن حسن بن رسول مطاهير جامع جبلة شق عليها ذلك ، وقالت : " لو علمت لم يسبقني إليه "[٢] .

كما شيدت الدار الشمسي مسجداً في جنوبي سوق المعاصر بمدينة زبيد وهو المعروف بمسجد الدار الشمسي وأوقفت عليه وعلى القائمين به أوقافاً جيدة[٣] ، وابتنت دار الدملوة نبيلة ابنة السلطان المظفر الأول مسجدين أحدهما في مغربة تعز ، والآخر في جبل صبر ، وأوقفت عليهما وقفاً كاملاً يقوم بهما ، وكان لها دور في ترميم وتجديد مسجد في مدينة زبيد[٤] ، كما ابتنت أختها الحرة ماء السماء عدداً من المساجد ، منها المسجد الذي بنته في حدبة تعز[٥] ، وجعلت عليه وقفاً يقوم بإمام ومؤذن وأيتام ومعلم ، وقامت بترميم وتجديد مسجد في زبيد كان

---

[١] سوف يتم الحديث بالتفصيل عن هذه المدارس لاحقاً ، انظر : ص٣٩٤ – ٣٩٩ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

[٣] الديوان المالي المعمور ، ق٢٠ب ؛ الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٤١ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٣٠ ، ٤٤١ .

[٥] الحدب : ما ارتفع وغلظ من الأرض . الرازي : مختار الصحاح ، مادة (حدب) . ويبدو أن هذا المسجد بني على منطقة مرتفعة في تعز عرفت بالحدبة .

لجدها بدر الدين وذلك بعد أن خرب فأعادت ترميمه وبنائه وأوقفت عليه وقفاً جيداً ، كما جددت مسجداً آخر بزبيد كان قد بناه الأمير أبو بكر حسن بن رسول[١] .

أما الحرة جهة صلاح والدة السلطان المجاهد فقد كان لها مشاركة كبيرة في هذا الجانب ، إذ بنت مسجداً في قرية التربية من وادي زبيد ورتبت فيه إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً ودارسين يقرؤون القرآن وألحقت به سبيلاً لشرب الدواب ، وابتنت مسجداً آخر في مدينة تعز في الناحية المجلية[٢] ، وابتنت مسجداً صغيراً في قرية المملاح بزبيد وخانقاه للزهاد من الصوفية[٣] ، وابتنت الحرة جهة فاتن ابنة السلطان المؤيد المسماة ماء السماء أخت المجاهد عدداً من المساجد أهمها : مسجد الربدة في طريق النخل بوادي زبيد وألحقت به سبيلاً للشرب وأوقفت عليه وقفاً يقوم بكفايته ، ولها مسجد صغير بزبيد بين باب الشبارق وبين المرباع وأوقفت عليه مثلما أوقفت على غيره[٤] ، في حين ابتنت جهة طي زوجة السلطان الأفضل الأول ووالدة السلطان الأشرف الثاني مسجد على باب دارها (دار الأمان) في مدينة تعز ، وقد وصف بأنه مسجد حسن واسع ، وجعلت فيه بركة ومطاهر وجرت إليه ساقية الماء لينتفع به الناس نفعاً عاماً[٥] ، وقامت أم الملوك جهة فرحان زوجة السلطان الأشرف الثاني وأم ولده السلطان الظاهر بإنشاء بركة مسجد الاشاعر سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م ، وكان عدد المصلين في المسجد قبل إنشائها له قليل فكثر جمع المسجد المذكور بسبب إنشائها[٦] .

أما أبرز نساء الأشراف اللاتي كان لهن دور في إنشاء وتعمير المساجد فهي فاطمة بنت الأمير أسد الدين بن إبراهيم الكردي زوجة الإمام صلاح الدين محمد بن المهدي علي (ت : ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) وأم ولده الإمام المنصور بالله علي بن صلاح الدين (ت : ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) التي عرفت بأنها كانت من الصالحات الحكيمات المحبات لبناء المساجد وترميمها حتى أنها قامت في سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م بالعناية التامة بمسجد الأبهر في صنعاء وعمرته فكان من أحسن مساجد صنعاء وأكبرها[٧] .

وفي الوقت نفسه ، اقتدت بعض جواري نساء بني رسول بأعمال سيداتهن في تعمير مثل هذه المنشآت الدينية ، فكان أشهر من عرفن بذلك ثلاث من جواري جهة صلاح أم السلطان المجاهد التي وهبت لهن أراضي في زبيد أوقفتها على المساجد ، وهن الحاجة سمح

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٥ ، ٤٧٦ .
[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٠٢ب .
[٣] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٩ .
[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٥أ .
[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٤ – ١٧٥ . وانظر عن جهة طي لاحقاً : ص٣٩٢ – ٣٩٣ .
[٦] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٨ .
[٧] الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص١٥٢ .

التي ابتنت مسجداً عند سوق الشباك بزبيد ، والحاجّة قنديل التي بنت مسجداً في شمال باب القرتب ، والحاجّة غصون التي ابتنت مسجدها جنوبي دار السلطان بزبيد ، وقد أوقفن على جميع هذه المساجد أوقافاً جيدة[١] .

وفضلاً عن ذلك ، كان لنساء العامة نصيب في بناء المساجد في ذلك العصر ، وتورد لنا المصادر أسماء العديد من النساء اللاتي سخّرن أموالهن لبناء هذه المنشآت الدينية مثل : الحرة حسنة بنت محمد المصري (ت : ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) التي ينسب إليها مسجد الحرة في قرية أرضة من بلد ظفران بوصاب[٢] ، كما يذكر أن احدى نساء الفرسانيين أوقفت أرضاً لها في منطقة موزع وبنت عليها مسجداً وطلبت من القاضي أبي محمد الحسن الشرعبي (ت : ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) أن يكون مدرساً فيه وله غلة الأرض الموقوفة ، فأجابها إلى ذلك[٣] ، في حين بنت زوجة الشيخ سليمان بن مسعود الغياثي في سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م جامع مغدورة في بلاد نعمان بوصاب ، وكان مجمعاً للمصلين في يوم الجمعة[٤] ، وفي منطقة وصاب أيضاً اشترك الشيخ هود بن داؤد الكردي وزوجته رحمة بنت أحمد بن داؤد الكردي في بناء جامع هناك عرف بجامع العسادي ، وقد انفقوا عليه مالاً كثيراً[٥] .

ب - اهتمامها بالأيتام والمحتاجين :

شغلت قضايا وهموم الفئة المستضعفة في المجتمع العديد من نساء ذلك العصر اللاتي سعى معظمهن للتصدق وفعل الخير للمحتاجين ، دافعات في ذلك أفضل أملاكهن وأموالهن بعد مشاهدتهن للمعاناة التي يعيشها هؤلاء ، فراح بعضهن ينشئن المشاريع الخيرية ويقدمن التبرعات التي يمكن أن يستفيد منها المجتمع ، وقد كانت قضية الأيتام والمحتاجين من أكثر ما شغل بعض من ذوي المكانة من النساء لاسيما وأن أكثرهن اعتقدن أن في ذلك واجب ديني يقربهن إلى الله (ﷻ) ، فبنت بعضهن المدارس للأيتام ليتعلموا فيها وأوقفن عليها الأراضي والأطيان والعقارات ليقتاتوا من دخلها ، وقد كانت نساء بني رسول من أبرز من عرفن بفعل الخير لوضعهن المالي والمادي المتميز الذي ساعدهن على الإكثار من فعل المعروف لمن ليس لديهم المقدرة على تحمل أعباء وتكاليف الحياة الصعبة ، ومن أشهر من عرفن من نساء بني رسول بصدقتهن ومعروفهن الدار النجمي ابنة الأمير شمس الدين علي بن رسول التي كانت تأمر من يخبر الناس أنه من كان مريضاً لا يقدر على تكاليف العلاج فليأت بابها فكان الناس

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧١٢ .

[٢] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢١٧ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٤٧ .

[٤] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٧ .

[٥] المصدر نفسه ، ص٢٢٧ .

يفعلون ذلك[١] ، والدار الشمسي ابنة المنصور التي كانت تقدم الدعم والمعونة للراغبين في الزواج وتمدهم بما يحتاجون إليه من مواد غذائية ولوازم الفرح[٢] رغبة منها في التخفيف عنهم أعباء يوم العرس ، كما كانت ماء السماء ابنة السلطان المظفر الأول كثيرة الصدقة والإحسان على الفقراء والمساكين والأيتام ، وكانت كثيرة الاهتمام بهم ، وأنشأت لهم المدارس ليتعلموا و يسكنوا بها ، وتكفلت بطعامهم وشرابهم ولباسهم من مردود الوقف الذي أوقفته على هذه المدارس[٣] ، وكانت جهة صلاح والدة السلطان المجاهد تقضي حوائج المحتاجين وتحل مشكلاتهم التي يتعرضون لها ، وكانت تقوم بالوافدين والمنقطعين وتدور على بيوت الفقراء تتفقدهم بالعطايا الوافرة[٤] ، في حين أوقفت جهة فاتن المسماة ماء السماء ابنة السلطان المؤيد في وادي زبيد وقفاً جيداً على الفقراء والمساكين ، وقد عرف وقفها بالبر المؤيدي ، فضلاً عن أفعالها الخيرية الأخرى[٥] ، كما كانت جهة طي والدة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل كثيرة فعل الخير ، إذ أعتقت عند موتها كثيراً من الجواري والخدام وأوصت بصدقة مستكثرة على الفقراء والمساكين وعلى جملة من أناس معينين[٦] ، وقد بلغ من فعل الخير والمعروف والبر عند جهة معتب زوجة السلطان الأشرف الثاني أن تقيم السبل في مقاطع الطرق ليستقي ويشرب منها السائح والرائح ، وكانت تأمر من يقوم بإصلاح الطرق والمدرجات والعقبات وما يتضرر به المارون من الشجر والحجر[٧] ، كما عرفت زوجة السلطان الظاهر يحيى ابنة الشيخ محمد بن أبي القاسم المزجاجي الصوفي (ت : ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) بفعل الخير حتى أنها كانت تبحث عن أصدقاء أبيها من أصحاب الحاجات لتصلهم وتحسن إليهم[٨] براً بوالدها وحباً في عمل الخير .

لقد بلغ البر والإحسان وفعل المعروف بالحرة حُلل بنت عبدالله الحسيني حظيّة الأمير علي بن يحيى العنسي إلى أن تكلف من يبحث ويفتش لها عن الأيتام ، ويأتي لها بهم فتكسوهم وتحسن إليهم ، وتأمر بتطهير من لم يكن مطهراً منهم[٩] ، في حين قدمت العديد من نساء العامة الصدقات للمحتاجين من الفقراء ، وممن ذكرن بذلك زوجة الفقيه صالح بن عمر السوادي التي اشتهرت بالصلاح والفضل والورع ، ويقال أنها كانت تكيل في كل سبعة أيام

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ .

[٢] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٥٦١ ، ٥٨٠ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٦ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٨ .

[٥] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٠ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٥ .

[٧] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٩أ ، ٢٤٠ب .

[٨] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٩٣ .

[٩] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٦ ، ٤٤٧ .

طعام تتصدق به ، حيث تتركه وحده للسائلين وأصحاب الحاجات بعد أن تخبر بــه زوجهـا ، وإذا جاء السائل وقد فرغ ذلك الطعام ولم تتمكن من أن توفر له طعاماً غيره تعده إلــى وقـت آخر حتى تستأذن زوجها أو تهب له درهماً[1] ، كما كانت زوجة الشيخ عثمان بن عبدالله بــن محمد الشعيبي تحب عمل الخير ، وبلغ من حبها للخير أنها عندما تسلمت صداقها (المهـر) من زوجها المذكور أخذت تشتري به الطعام وتعمله خبزاً وتطعمه الفقراء والمساكين وأبنـاء السبيل حتى أتت على جميع صداقها[2] ، في حين شاركت عدد من النساء في التخفيـف مـن معاناة الناس في أيام المجاعات والقحط من خلال تكفلهن بإطعام بعـض المتضـررين مـن المعدمين ، وهو ما فعلته الحرة فاطمة بنت عبدالله الناشري عندما أطعمت وأهلها نحو أربعـين حياً من أهل الناشري بعدما قدموا عليهم مع من تعلّق بهم من أتباعهم ، وبقوا عندهم مدّة طويلة إلى أن أخصبت بلدهم فرجعوا[3] . ونتيجة للحالة الصعبة التي مر بها عدد من أفراد المجتمـع لاسيما الفقراء من الأيتام سخرت بعض نساء العامة حياتهن لخدمتهم وخدمة من لم يجدوا مـن يعيلهم ، فرحن يتكفلن بتربيتهم والصرف عليهم وعلى طعامهم ولبسهم وعلاجهم[4] .

صفوة القول ، أن المرأة في العصر المذكور شاركت بشـكل واسـع فـي الحيـاة الاجتماعية لثقلها ومكانتها الرفيعة فيه ، حتى أن دورها في هذا الجانب جـاء منافسـاً لـدور الرجل ، لما ملكته من أموال وأراضي ساعدتها على تحمل مثل هذه المسؤولية التـي كلفتهـا الأموال الطائلة ، ولما أعطيت من حرية التصرف والخروج والتعامل بثقة كاملـة ، لنظـرة المجتمع إليها وإلى مقدرتها على وزن الأمور وإدراكها والتصرف الصحيح دون مجابهـة أو اعتراض على خروجها أو مشاركتها في بعض الأمور والمسائل التي كان ينظر إليها النـاس على أنها من اختصاصات الرجل دون غيره .

---

[1] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٠٢ .

[2] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

[3] الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص١٤٩ .

[4] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٦٥ .

ثانياً : دورها السياسي :

لقد كان للأحداث السياسية التي شهدتها اليمن في مدة حكم الدولة الرسولية دور في بروز عدد من النساء اللاتي شاركن بصورة فاعلة في إدارة أمور هذه الأحداث وإصدار القرارات بصددها والأمر بتنفيذها ، ولم تكن مساهمة المرأة في الحياة السياسية مقصورة على نساء البيت الرسولي فقط ، بل امتدت لتشمل بعض نساء الأشراف والمشائخ والقبائل اللاتي وصلن إلى أعلى درجات الزعامة والقيادة ، مما يؤكد لنا أن المرأة في العصر المذكور شقت طريقها للمشاركة في الحياة السياسية .

١ – مشاركة نساء بني رسول في الحياة السياسية :

كانت مشاركة المرأة الرسولية في الحياة السياسية من أبرز الظواهر التي اتسمت بها اليمن في ذلك العصر ، لما أدته من دور فاعل جعل منها في أحيان كثيرة جزءًا من تلك الحياة وفرعاً أساسياً فيها لرغبتها في المشاركة فيها عند الحاجة للحفاظ على ملك أبنائها من الغاصبين والمعتدين ، ومن غريب ما نلاحظه في العصر المذكور قوة شخصية النساء فيه وقدرتهن على إدارة الأمور والتأثير المباشر على رجالهن بما فيهم السلاطين ، رغم قوتهم وجبروتهم أمام القوى المناوئة لهم ، لذلك أفرز الصراع السياسي في اليمن عدداً من نساء بني رسول اللاتي شهد لهن التاريخ بحنكتهن في إدارة حلقات الصراع التي شهدتها اليمن خلال تلك المدة التاريخية ، ومن أبرزهن وأكثرهن تأثيراً في أحداث هذه الدولة :

أ – بنت جوزة[١] :

وهي الزوجة الثانية للسلطان المنصور نور الدين عمر ، تزوجها على زوجته الأولى أم ولده الملك المظفر الأول وأبنته الدار الشمسي ، فأنجبت له من الأولاد الملك المفضل أبا بكر (قطب الدين) والفائز أحمد[٢] ، وقد احتلت بنت جوزة مكانة كبيرة في قلب المنصور ، وأكن لها ولده المظفر الأول الكثير من التقدير حتى أنها عندما حجت في سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م كان من أوائل مستقبليها ، وهو يومئذ مقطع المحالب والجثة ، وظلت في ضيافته مدة[٣] .

وقد بدأت بنت جوزة تقحم نفسها في الحياة السياسية عندما بدأت تفكر في طريقة تشرك من خلالها أبناءها في إدارة حكم بعض المناطق المهمة في اليمن إلى جانب والدهم

---

(١) كانت تكنى بأم قطب الدين الملكة بنت جوزة ابنة الأتابك سنقر ، تزوجها الملك المسعود الأيوبي سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م ، ويبدو أنها كانت على قدر كبير من الجمال لحب المسعود الشديد لها وشغفه بها ، وبعد وفاته عقد عليها المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول سنة ٦٢٨هـ /١٢٣٠م ، وكان الزمام على بابها يومئذ الطواشي نظام الدين مختص المشهور الذي عرف بأنه كان لبيباً عاقلاً في خدمة الملوك . ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٢ ، ٢٢٣ – ٢٢٤ ؛ الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٠٠ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٦ .

(٢) الجندي : المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٣) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٣ .

السلطان المنصور ليكتسبوا خبرة يستطيعون من خلالها التحكم بأمور الدولة وتسييرها إذا ما حصل لوالدهم مكروه ، لاسيما وأنها بدأت ترى المكانة التي وصل إليها ابن زوجها الملك المظفر الأول عند أبيه بعد أن أقطعه المحالب والجثة ، فخافت أن يؤول الملك إليه بعد أبيه ويضيع حق ابنيها في ملك أبيهم ، على الرغم من أحقية المظفر بالملك بعد أبيه ، لذلك طلبت في سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م من زوجها المنصور أن يقطع ولدها المفضل (قطب الدين) صنعاء ، مما تسبب في حدوث أزمة حادة في الدولة ، بعد أن رفض مقطع صنعاء الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول طلب عمه السلطان المنصور بالتخلي عن إقطاعه للملك المفضل ، وقد استاء الأمير أسد الدين من تصرف عمه هذا بعد أن علم أن زوجته بنت جوزة هي العقل المدبر لهذه الفكرة والساعي الأساسي لتحقيقها ، ورغم الإغراءات التي تقدم بها المنصور لابن أخيه أسد الدين لكي يتخلى عن صنعاء إلاّ أن ذلك زاد من إصراره ورفضه وغضبه لمعرفته أن هدف عمه الأول هو إرضاء وتحقيق مطالب زوجته بنت جوزة ، وقد دفع إخفاق المنصور في إقصاء أسد الدين عن صنعاء إلى أن يقوم بإقطاع ابنه الملك المفضل المحالب التي كانت بيد ابنه الملك المظفر الأول[١] ، مما زاد من حدة التوتر في داخل الأسرة ليس فقط بين السلطان المنصور وابن أخيه أسد الدين ولكن بين السلطان المنصور وابنه الأكبر المظفر .

لم تكن المحالب هي الهدف التي كانت بنت جوزة تسعى إلى تحقيقه لابنها المفضل ، بل كانت تطمح إلى ما هو أكبر من ذلك ليكون له ، كولاية العهد بعد أبيه السلطان المنصور ، وهو ما أدخل اليمن في صراع طويل كان له ضرره على حياة الناس العامة ، وقد جاء طموحها هذا معارضاً للواقع المتعارف عليه بين الناس في ذلك الحين ، وهو أن الملك المظفر الأول كان أكبر أبناء السلطان المنصور والوريث الشرعي للحكم ، وصاحب الحق في ولاية العهد بعد أبيه ، وهو ما كانت تعيه بنت جوزة جيداً ، لذلك أخذت في تقريب ولديها المفضل والفائز من أبيهم حتى يكون راضياً عنهما ثم طلبت منه أن يستحلف العسكر لابنها المفضل كولي للعهد بدلاً من ابنه المظفر ، وكالعادة لم يكن ليرد لها طلباً ، فأبعد ابنه المظفر وقدم عليه أخويه المفضل والفائز إرضاءً لها[٢] .

ومن غريب ما نلاحظه في شخصية السلطان المنصور نور الدين عمر الخضوع لأفكار زوجته بنت جوزة التي ما أن تضع عليه فكرة أو تطلب منه شيئاً حتى ينقاد لها ، مما يثبت لنا مدى ضعف شخصيته أمام رغباتها وطلباتها ، حتى أن هذا الضعف برز بصورة أكبر

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٣ – ٢٢٤ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٥ .

على مستوى حياتهم الأسرية الخاصة[١] ، وقد تسببت سياسته الموجهة هذه من قبل بنت جوزة إلى أن ينشق أبناؤه إلى حلفين ، حلف ضم زوجته الأولى وأبناءها المظفر الأول والدار الشمسي وحلف ضم زوجته الثانية وأبناءها المفضل والفائز وعازبة[٢] .

لم تكن بنت جوزة عند زوجها المنصور عندما قتل في الجند من قبل مماليكه سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، بل كانت وأبناءها في تعز ، وكان ابنه المظفر الأول في المهجم وهو غير طيب النفس من أبيه لميله إلى أبنائه من زوجته الثانية ، لذلك كان وصول خبر مقتل المنصور إلى بنت جوزة وأبنائها مع طلوع شمس اليوم التالي لقتله ، فطلب ابنه الملك المفضل من الجميع الطلوع إلى حصن تعز وسبقهم هو إلى الحصن ثم لحقه أخوه الملك الفائز ولحقتهم والدتهم وكريمتهم بما معهم من حاشية وخدم وجواري[٣] ، كإجراء أمني احترازي ، ثم انتقلت بنت جوزة إلى حصن الدملوة وبدأت بالتجهيزات والاستعدادات لاستقبال جثمان زوجها الذي حمل من الجند إلى تعز ، وبعد أن ألقى أولاده وزوجته النظرة الأخيرة عليه تم دفنه في المدرسة الأتابكية بذي هزيم بتعز[٤] ، ويظهر أن فكرة دفنه في هذه المدرسة كانت بأمر من زوجته بنت جوزة التي رأت أن يدفن في مدرسة أبيها وهو ما نفذ مباشرة .

وقد كان لمقتل السلطان المنصور أثره البالغ في نفس زوجته بنت جوزة التي افقدها حزنها الشديد وأسفها العميق على زوجها التدبير والحكمة على امتصاص الأزمة وحلها ، وأصبحت عاجزة عن التعامل مع القتلة من المماليك الذين ساروا من الجند إلى تعز ووقفوا في الميدان ، ثم أرسلوا إلى زمامها الطواشي نظام الدين مختص للتفاوض معه على مبايعة ابنها الملك المفضل ، وتعهدوا بأنهم سيكونون معه كما كانوا مع والده مقابل حصولهم على الذمة والعفو ، ولم يكن الطواشي مختص ليرد عليهم حتى يستشير صاحبة الأمر بنت جوزة التي

---

[١] نستدل على ذلك من خلال بعض المواقف الأسرية التي تظهر مدى قوة شخصية بنت جوزة وضعف شخصية السلطان المنصور أمامها كإصرارها وإلحاحها عليه بأن يوافق على زواج ابنته عازبة من أحد أشراف مكة وهو الشريف علي بن قتادة، حتى أنه عقد لها به وهو غير راض ولا مقتنع بهذا الزواج ، ويذكر ابن حاتم أن المنصور أضمر في خاطره أن لا يدخل الشريف المذكور بابنته ، وهذا دليل واضح على أنه لم يوافق على هذا الزواج إلا مرغما ، لاسيما وأنه عقد لها لإرضاء زوجته وهو ينوي في داخله أن لا يستمر هذا الزواج ، ومع ذلك تظهر قوة شخصية بنت جوزة وضعف شخصية المنصور أمامها من خلال إشارة بعض المصادر إلى استمرار الترتيبات التي كانت تعدها هي وأبناؤها المفضل والفائز لزواج أختهم عازبة على الشريف المذكور ، مما يدل على إصرارها على هذا الزواج ، وعجز المنصور عن إفشاله ، حتى أن المنصور قتل والجميع مشغول بالإعداد له . انظر : السمط الغالي الثمن ، ص٢٢٤ – ٢٢٥؛ الخزرجي: العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٣ .

[٢] من الممكن أن نلاحظ بدء التخاصم بين أبناء السلطان المنصور من خلال الإشارات التي أوردتها المصادر حول انشغال بنت جوزة وأبنائها المفضل والفائز بالتجهيز لزواج أختهم عازبة في قصر السعيدة بتعز ، وعزوف الملك المظفر الأول عنهم واتجاهه إلى زبيد بصحبة كريمته الدار الشمسي دون أن يشارك خالته بنت جوزة وأولادها فرحة التجهيز لعرس أخته من أبيه . ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٤ – ٢٣٦ .

[٣] ابن حاتم : المصدر نفسه ، ص٢٣٩ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٣ – ٨٤ .

ردت باندفاع وتهور ودون تفكير قائلة : " اشنقوهم مالهم معنا ذمة " ، وكان ردها بالنزول إليهم وشنقهم من الأمور التي أُخذت عليها وعلى سياستها ، وقد انتقد رأيها هذا واستضعفه الجميع لما فيه من تهور ، حتى أن الطواشي مختص لم يخبر المماليك بإجابتها هذه ، لذلك استشار أهم رجال الدولة في أمر النزول إلى المماليك ، وكان رأي الجميع مخالفاً لرأي بنت جوزة ، إذ رأوا عدم النزول أو التفاوض مع هؤلاء القتلة[1] ، ويبدو أن سبب رفضهم التفاوض مع المماليك أو معاقبتهم في مثل هذه الظروف يعود إلى أسباب منها أن التفاوض يعني العفو عنهم وحصولهم على الذمة ، مما يزيد من تمادي المماليك وقوتهم في الدولة ، ومِنْ ثَمَّ قيامهم بأعمال أشد من سابقتها ، كما أن قرار بنت جوزة معاقبة هؤلاء المماليك وشنقهم على ما صدر منهم قد يُثيرهم ضد الدولة فيواصلون مسلسل الدم الذي ابتدأوه مع السلطان المنصور ، لاسيما وأن هؤلاء المماليك وجدوا بأعداد كبيرة في الدولة ولديهم من الخبرة الفائقة في فنون الحرب والقتال واستعمل السلاح بأنواعه[2] ما قد يمكنهم من الإطاحة بمن يريدون ، ولذلك ظل الطواشي مختص متحفظاً برأي بنت جوزة وظل المماليك ينتظرون رجوع جوابه فلم يرجع إليهم ، فساروا جميعاً إلى زبيد[3] .

ومهما يكن من أمر ، فقد أدركت بنت جوزة خطورة الوضع في اليمن وتدهوره بعد دفن زوجها المنصور[4] ، حتى أنها لم تكن مطمئنة للجميع بما فيهم أنصارها ومؤيديها من أهل مدينة تعز لذلك صعدت هي وأبناؤها إلى حصن تعز ، وأخذت بالبحث عن طريقة تستطيع من خلالها كسب أهالي هذه المدينة لتتقي شرهم من أي تمرد ، وليكونوا لها قوة تستطيع بها صد أي هجوم قد تتعرض له هي وأبناؤها ، لذلك أخذت تمد بعضهم بالجامكية سراً ، كما قامت بجمع أبرز رجال الدولة وقادتها وأخذت رأيهم في الإجراء الذي عليها أن تتخذه في ظل هذه الأوضاع الصعبة والحرجة ، فأشاروا عليها جميعاً أن تقدم ابنها الملك المفضل أبا بكر للناس ليروه ويتعرفوا عليه وتطمئن قلوبهم بخروجه إليهم ، لهذا سار الملك المفضل راكباً فرسه لابساً السواد على أبيه وحوله أبرز رجاله وعدد كبير من العسكر والخدم ووقف في الميدان بعض الوقت ولم يسر إلى مكان غيره ثم عاد مباشرة إلى الحصن ، وبعد مرور عدة أيام فكرت بنت جوزة في الطلوع إلى حصن الدملوة فأرسلت إلى الطواشي مختص ، وقالت له : " قد رأيت أن أتقدم إلى الدملوة ، فقال لها : ليس هذا برأي بل تقفين حتى تتبين الأمور "[5] ، ويبدو أنها هدفت من وراء ذلك أن تظهر للرعية أن الأمور مستقرة وأنها متحكمة بالموقف ،

---

[1] ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٠ .

[2] انظر عن هؤلاء المماليك فيما سبق : ص٧٧ – ٨٠ .

[3] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٠ .

[4] عن هذا الوضع المتدهور وما نتج عنه من تكتلات انظر فيما سبق : ص١٧ – ١٩ .

[5] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٤ .

والدليل على ذلك تحركها وبحرية من مكان إلى آخر ، لذلك فرضت رأيها على الطواشي نظام الدين ، وأمرته بتجهيز الدواب والرجال ، ففعل ما أمرته به ، وخرجت من حصن تعز هي ومن معها يوم الجمعة والناس منشغلون بالصلاة ، ودخلت الدملوة وبقيت هناك[١] ، وقد يستغرب المرء من تصرفها هذا الذي أرادت به أن توهم الناس أن الأمور تحت سيطرتها ، إلا أن اختيارها لوقت صلاة الجمعة والناس في المساجد دليل آخر على أنها كانت خائفة حتى من أهالي المنطقة الوحيدة التي كانت تحت يدها ويد أبنائها وهي تعز ، لاسيما بعد أن فقدوا سيطرتهم على جزء كبير من اليمن بعد خضوعه للملك المظفر الأول والقوة القبلية المؤيدة له التي أخذت في إسقاط المدن والحصون الواحد تلو الآخر[٢] .

وقد عانت بنت جوزة وأبناؤها من حرب نفسية فتحها عليهم الملك المظفر الأول لإحباط هممهم وكسر شوكتهم ونيتهم في مواصلة حلم حكم اليمن ، فصار كلما سيطر أو دخل منطقة أو حصن خاضع لهم كتب مباشرة إليهم يخبرهم بذلك ليحبطهم[٣] ، لهذا رأى بعد أن سيطر على معظم اليمن وأخضع منافسيه ولم يبق له إلاّ حصنان هما : حصن تعز وكان فيه اثنان من رجال الملك المفضل وهما الأمير علم الدين الشعبي وزمام يقال له الطواشي عنتر وحصن الدملوة وكان فيه خالته بنت جوزة وأبناءها المفضل والفائز ، رأى أن يسقط أولاً حصن تعز فأمر بمحاصرته ونصب المنجنيق لضربه ، وعندما طال الحصار رأى أن يستخدم الحيلة والخديعة لإسقاطه ، مع علمه أن خالته بنت جوزة كانت على اتصال مستمر مع مؤيديها من أمراء الحصون ، لهذا أخذ في ترقب البريد الذي كانت ترسله بنت جوزة من الدملوة إلى حصن تعز ، وعندما قبض على صاحب البريد أخذ ما معه وأمر من يقوم بتزوير وإتقان خط خالته وابنها المفضل ، وأرسل بالكتاب إلى الأمير علم الدين الشعبي وحثه على القبض على الزمام الطواشي عنتر وسجنه ، وكتب إلى الزمام بمثل ذلك بهدف زرع الفتنة بينهم حتى يضرب كلاً منهم بالآخر مما يسهل سيطرته على الحصن ، فلما أطلع الأمير والزمام على ما كُتب إليهم هم كل واحد منهم بصاحبه وسلموا الحصن للمظفر لخوف كل منهما من الآخر[٤] ، ويقال أن أمير الحصن والزمام عندما طال بهم الحصار وضاق أهل الحصن كتبوا إلى الملك المفضل وأمه بنت جوزة ليستأذنوهم في النزول إلى السلطان ومراجعته بعدما شرحوا لهم ما هم فيه من حصار وضيق فأذنوا لهم[٥] ، وقيل أيضاً أن المظفر أقام محاصراً للحصن نحو ستة

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٤ .

[٢] الحمزي : كنز الأخيار ، ص١٠٠ – ١٠١ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٧٢ .

[٤] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٦١ .

[٥] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٧٣ .

أشهر ، فلما طال مقامه كتب إلى خالته بنت جوزة يسألها أن تسلم إليه حصن تعز ، ويكون ولده الأشرف وأخوه وأمهم رهائن عندها وأرسل بهم إليها ، فكتبت إلى الأمير علم الدين الشعبي بتسليم الحصن إليه فتسلمه منه[١] ، وبسيطرة السلطان المظفر الأول على حصن تعز يكون قد أخضع كل المناطق والحصون لحكمه باستثناء حصن الدملوة الذي كان تحت سيطرة خالته وابنها المفضل ، لذلك بدأ يفكر ويخطط لإخضاع وإسقاط هذا الحصن فقام بمراسلة أهله والمقيمين به من المؤيدين لخالته ، وزجرهم ووعظهم ودعاهم إلى الدخول في طاعته ، وحذرهم من الإصرار في الخلاف ، كما كتب إليهم رسالة أخرى طويلة وصف فيها بنت جوزة بأنها من حبائل إبليس الذي يضل الناس عن الحق ، وقال في خطابه لهم : " قادتكم امرأة وليست كبلقيس ، وملكت أمركم بالباطل والتدليس ، فعلت عليكم وما هي إلاّ من حبائل إبليس ... "[٢] ، وكانت رسالة طويلة وبليغة أراد بها المظفر إثارة الناس ضد بنت جوزة بعد ما هدد بالويل للذين يساندونها ويؤيدونها ، وتمكن بهذه الرسالة من كسب تأييد سبعة من رجال بنت جوزة في حصن الدملوة ؛ إذ كتبوا له أنهم مع من لا رأي له من الخدم والنساء والصبيان وأخبروه أنهم من جملته ، ولم ييأس المظفر الأول من الحصار حتى يئست منه بنت جوزة التي رأت أنه لابد من التفاوض ، ففتحت باب المراسلة وطلبت مقابلته فوافقها على ذلك ، وشرطت عليه أن يجعل في الحصن رهينة عند نزولها لمقابلته ضمان لها من القدر فرهن لها ثلاثة من خواصه بقوا في حصن الدملوة لحين عودتها ، وخرجت راكبة بغلة ، وصحبت معها جماعة من رجالها ليقوموا بخدمتها ، وعند وصولها إلى مخيم السلطان المظفر الأول حصلت بينه وبينها معاتبات ، وقالت له : " سبحان الله أما هؤلاء إخوتك فكيف تحاصرهم ، فقال لها : أنتِ التي أردتِ هذا الأمر ، وطلبتِ الاستيلاء على المال ، ولم يُخلّفه الوالد [أي السلطان المنصور] لنقتتل عليه ، بل نستعين به على خارجي يخرج علينا ونُنفقه على من يحمي عنّا . فقالت : قد جرى ما جرى ، ونعود إلى ما يُعاد إليه . فقال : ذلك إليك ، ولا خلاف مني . فقالت : يُقْطع ولدي (قطب الدّين) أبين ، وابني أحمد حيس وموزع وترهن عندي وتوثق لي وتحلف لنا جميعاً ، فقال : أفعل "[٣] ، فرهن معها كريمته الدار الشمسي وابنه الملك الأشرف بشرط أن يبقى معهم من يريده السلطان ، فترك معهم الطواشي ياقوت ، ورجعت بنت جوزة إلى حصن الدملوة ، ونزل الثلاثة الذين كانوا رهائن عوضها ، وأمر السلطان المظفر برفع المحطة ، ونزل إليه إخوته المفضل والفائز فأكرمهم وأقطعهم الإقطاع الذي كان عليه الشرط[٤] ، وهم لا يعلمون أن

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٥ .

[٢] لمزيد من التفاصيل عن تلك الرسالة انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩١ – ٢٩٤ .

[٣] المصدر نفسه ، ص٢٩٥ – ٢٩٦ .

[٤] نفسه ، ص٢٩٦ .

ذلك الاتفاق ما هو إلا خطة وضعها المظفر الأول لطرد بنت جوزة من الحصن المذكور ، لذلك كان الرهائن الذين قدمهم لخالته بنت جوزة هم المجموعة التي قامت بعملية إسقاط حصن الدملوة ، إذ يشير الخزرجي[١] إلى أن الدار الشمسي وبمساعدة رجال أخيها الرهائن معها في الحصن هم الذين قاموا بالاستيلاء على الحصن ، أما ابن حاتم[٢] فيشير إلى أن إسقاط الحصن تم بعدما نزلت بنت جوزة منه لتتنزه في أحد البساتين ، علماً بأنها كانت لا تتحرك إلا وأبناؤها معها ، لذلك تركت الحصن خالياً إلا من بعض رجالها وخدمها ورهائن المظفر ، وقد أدى الطواشي ياقوت وأبناء المظفر الرهائن الدور الأكبر في شراء ذمم رجال بنت جوزة الذين تركتهم لحماية الحصن والذين استسلموا خوفاً من السلطان ، أما بنت جوزة فقد فقدت صوابها عندما وصلها خبر استسلام رجالها دون أن تعرف الجهة التي استسلموا لها ؛ لأن السلطان المظفر كان بعيداً عن الشبهة بعدما تعهد لها بعدم المساس بها وبالحصن ، لذلك كان أول إجراء لها أن ركبت حصاناً وركضت به على وجه السرعة ومعها أبناؤها إلى الحصن ، وحاولت مع الطواشية أن يفتحوا لها الباب ، وأنكرت عليهم ما فعلوا ، إلا أنهم لم يهتموا بكلامها ، فاتجهت إلى السلطان المظفر لتخبره بما فعله رجالها في الحصن وهي لا تتوقع أن يكون وراء ذلك ، وعندما لقيته أخذت تبكي بحرارة ، فقال لها : " ما يُبكيك وأنتِ خلصت بنفسك وأولادك ، وها ابنّي قد صارت مع الخدّام ما أدري ما يكون منهم إليها ؟ وأنا متقدّم لأنظر ما يكون "[٣] ، وبعد أن اطمأن المظفر لبقاء بنت جوزة وابنها سار هو إلى الدملوة وتمكن من دخولها ، وعندما تأكد من سيطرته على الموقف في الحصن أرسل لها بألف دينار ، بالإضافة إلى عدد من الدواب وأمرها أن تتقدم إلى ذي هزيم ، وقام بمكافأة كل الذين شاركوا في إسقاط الحصن[٤] .

كانت سيطرة السلطان المظفر على حصن الدملوة هي القشة التي قصمت ظهر البعير ، إذ أنه بسقوطه لم يعد هناك أي ذكر لبنت جوزة ، ويبدو أنها اقتنعت بنتيجة الصراع ، واكتفت بما كان يصرف من قبل السلطان كراتب لها ولأبنائها ، لإهمال المصادر التي بين أيدينا ذكرها ، وهذا وضع يبعث على الحيرة في معرفة ما تبقى من حياتها وتاريخ وفاتها وما تركت من مآثر كبقية نساء بني رسول ، إذ أن كل ما نعرفه عمّا تبقى من حياتها هو ما ذكره الجندي عن نزولها بأمر المظفر الأول إلى حيس هي وأولادها وبقائهم هناك حتى وفاتهم ، علماً بأن وفاة ابنها المفضل أبوبكر كانت في سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م بينما أغفلت المصادر تاريخ وفاتها[٥] .

---

[١] عن كيفية إسقاط حصن الدملوة انظر : ص٣٨٧ – ٣٨٨ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٩٧ – ٣٠١ .

[٣] المصدر نفسه والصفحة .

[٤] نفسه والصفحة

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٦ .

تميزت بنت جوزة بأنها كانت امرأة حازمة عفيفة فارسة لبراعتها في ركوب الخيل والعدو به ، وقد أوجدت لها مكانة كبيرة بزواجها من السلطان المســعود الأيــوبي حتــى أن السلطان المنصور نور الدين عمر عندما تقدم لخطبتها لم توافق عليه مباشرة إلاّ بعد أن تحقق لها أنه قد غلب على ملك اليمن[1] ، ومن الملاحظ أنها عُرفت بين جميع الناس بقوة شخصيتها ، لذلك كان يهابها الجميع بما فيهم السلطان المنصور الذي تقدم لخطبتها والخوف يملأ قلبه مــن أن تصده ، وظل خائفاً منها حتى بعد عقد نكاحه بها ، وقيل حتى قبل دخوله عليها بلحظات ، لما ذكره الخزرجي[2] عن استدعائه لزمام بابها وأعلم الناس بها وبطبائعها وأسلوبها الطواشــي نظام الدين مختص ، ليقول له : " أي رأي ترى فإن هذه المرأة لا أعلم ما في ضميرها ومــا هي منطوية عليه من حسن أو قبيح من خفيان الأمور . فقال له الطواشي : قــد أدركــت مــا حرزت ولكني قد حبرت ما لم تحبر فتقدم وأدخل عليها على اسم الله تعالى " ، فلما دخل عليها لم ير إلا خيراً ، ورأى من القبول والإقبال ما لم يكن في ظنه .

وقد فرضت بنت جوزة بزواجها من السلطان المنصور نفسها على الجميع بما فــيهم السلطان نفسه الذي أصبح لا يرد لها طلباً لدرجة تخليه عن زوجته الأولى أم المظفر وأولادها إرضاءً لها ، ومع ذلك أخفقت في السيطرة على دفة الحكم ، ولم تستطع تحقيق أهدافها التــي ظلت تخطط لها منذ زواجها من المنصور وهي أن يكون أبناؤها هم الورثة للحكم بعد أبــيهم ، ويمكن أن نجمل أسباب أخفاق سياستها في إيصال ابنها المفضل إلى الحكم في الآتي :

- نظرة الناس إلى شخصيتها التسلطية التي كانت كثيراً ما تفرضها على سلطانهم المنصور .
- استغلالها لشخصية المنصور لتحقيق أطماعها في بعض القضايا تحت مرأى ومسمع جميــع الناس في الدولة والمجتمع ، مثل قضية ولاية العهد التي أرادت أن تخرجها من صاحب الحق الشرعي لها الملك المظفر الأول إلى ابنها المفضل عن طريق والده السلطان .
- كره بني رسول لها بسبب شقها لوحدة الأسرة الرسولية في حياة زوجها المنصور .
- ســوء علاقاتها وخلافها مع بعض كبار رجال الدولــة ومحاولتها التخلص منهم بسجنهم أو إبعادهم وتهميش دورهم مثل : خلافها مع الطواشي تاج الدين بدر الملقب بالصغير أحد أكبر قادة الدولة وسجنها له في زبيــد في حياة زوجها المنصور ، ومِنْ ثَمَّ خلافها مع الطواشــي جوهر الألفي أحد قادتها ومناصريها ، وإسقاطها لمنزلته في أثناء صراعها مع المظفر حــول الدملوة[3] ، وكسب المظفر الأول لهؤلاء الرجال إلى جانبه وتسخيرهم لحربه ضدها .

---

[1] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤١ .

[2] العسجد المسبوك ، ق١٩٧ - ب .

[3] عن سبب الخلاف انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٨ ، ٢٩٧ .

- تهميشها لشخصيـــة ابنها المفضل (قطب الدين) الـــذي سعت لتنصيبه سلطانــاً بعد والده ، بتصدرها لجميع المفاوضات والقرارات في وجوده ، حتى أن الجميع أصبحوا لا يتفاهمـــون ولا يتفاوضون ولا يتواصلون إلاّ معها ، لدرجـــة أن المؤرخين لأحداث هذه المدة التاريخية مثل ابن حاتم وعماد الدين إدريس وغيرهما – وهم رجـــال عاشوا هذه الأحداث – وصفـــوا الصراع بأنه بين المظفر الأول وخالته بنت جوزة .
- ضعف شخصية ابنها الملك المفضل وقلة خبرته في أمور السياسة ، وعدم كفاءته ، لدرجـــة تخليه عن إقطاعه في أبين بحجة عدم تكيفه هناك ، وعودته إلى أحضان أمه التي أصبحت لا تدخل ولا تخرج إلا وهو بين يديها لخوفها عليه .
- على الرغم من الحنكـــة والدهاء والمكر الذي تميزت به بنت جـــوزة إلاّ أنها كانت ضعيفـــة السياسة قليلة الخبرة ، حصرت نفسها وأبناؤها ولم تحاول الخروج لتـــكسب ود من حولها ، فضلاً عن بعدها عن الحكمة بالبحث عن أنصار ومؤيدين لها ، حتى أنها ظلت في الدملـــوة هي وأبناؤها لا تحكم إلا من فيها من العبيد والخدام ، ولم يتعد حكمها ذلك الحصن ، لـــذلك أخفقت في مخططها الهادف إلى إيصال ابنها المفضل إلى الحكم .

ب – الدار النجمـــي :

لقد كان للأحداث السياسية والمتغيرات التي شهدتها اليمن بعد القضاء على الوجـــود الأيوبي فيها دور في تغيير حياة الدار النجمي ابنة الأمير علي بن رســـول وأخـــت الســـلطان المنصور نور الدين عمر لزواجها من الأمير نجم الدين بن أبي زكريا أحـــد كبـــار القيـــادات والشخصيات الأيوبية المتبقية في اليمن سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م وانتســـابها لـــه[١] ، وقـــد أراد السلطان المنصور بهذه المصاهرة توثيق علاقته بهذا القائد وكسبه إلى صفه لإدخال ما تبقى من القوات الأيوبية الخاضعة له تحت حكم دولة المنصور الناشئة ، وعلى الـــرغم مـــن الهـــدف السياسي لهذا الزواج إلا أنه كان ناجحاً وموفقاً ، لما نشأ بينهما من محبة أكـــدتها المشـــاريع والأعمال الخيرية التي قامت بها الدار النجمي ونسبتها إليه تخليداً لذكراه بعد مقتله في إحـــدى الحملات التي أرسلها المنصور للسيطرة على حضرموت سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م[٢] .

وقد عاشت الدار النجمي بعد مقتل زوجها تحت رعاية أخيها السلطان المنصور مـــع احتفاظها بممتلكاتها وأراضيها وأموالها كافة ، ثم ابنه السلطان المظفر الأول الذي ارتبطت معه بعلاقات طيبة حتى قدوم أخويها بدر الدين الحسن وفخر الدين أبي بكر من مصر سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م ، فكانت من أسعد الناس بقدومهما وأسرعهم لاستقبالهما ولقائهما بعد طول غياب امتد

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٠٣ – ٢٠٥ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

لسنوات طويلة[1] حدثت فيها العديد من التغيرات في حياتها ، وكان السلطان المظفر الأول أول من أخبرها بقدوم أخويها وجهزها لاستقبالهم بما تحتاج إليه[2] ، إلاّ أن خبر قيام المظفر بالقبض على عميه في حيس من قبل أن تراهم وقع على رأسها وقع الصاعقة عند وصولها إلى حيس ، إذ خرجت من دارها في شدة النهار تمشي قاصدة دار ابن أخيها السلطان المظفر وهي تصرخ ، وطلبت الدخول عليه فأغلق عليها الباب واحتجب عنها ، فركبت من فورها هي وخدمها وجواريها للحاق بأخويها ، فأمر السلطان الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي أن يعيدها طائعة أو كارهة ، ونتيجة لخوف الأمير شمس الدين على نفسه من أن يقبض عليه المظفر كما قبض على عميه ، لحقها وأمرها بالعودة فرفضت فأعادها بالقوة وبمساعدة بعض خدمها[3] .

ويظهر أنه كان للدار النجمي نفوذ على بعض الحصون المهمة وعلى من فيها ، ولا يستبعد إدارتها وحكمها لها ، لأنه بمجرد دخولها على ابن أخيها السلطان المظفر الأول أجبرها على أن تكتب بخطها لنوابها بتسليم تلك الحصون فكتبت مجبرة ، ثم وضعها تحت الإقامة الجبرية حتى تم تسليم ما كتبت به ، فأنزل مالها في هذه الحصون ثم أطلقها[4] ، وقد عاشت الدار النجمي ما تبقى من حياتها في جبلة ، فلما توفيت حضر السلطان المظفر الأول دفنها والصلاة عليها ، وذكر أنه أوقف الحاضرين على قبرها ساعة قبل الصلاة عليها بحجة أنه لا يريد أن يؤم الناس في الصلاة عليها إلاّ الفقيه عمر بن سعيد ، على الرغم من الحضور الكبير الذي شهدته جنازتها من كبار المشهورين بالفقه والعلم من كبار السن ، فما زالوا منتظرين حتى قدم الفقيه عمر فصلى بالناس[5] .

ج – الدار الشمسي :

وهي المعروفة بالشمسية ابنة السلطان المنصور نور الدين عمر وأخت المظفر الأول ، وقد عاشت المعاناة نفسها التي عاشها أخوها المظفر من أبيها السلطان المنصور ، لاسيما بعد زواجه من بنت جوزة وميله إليها وإلى أبنائها ، وعرفت بأنها كانت من أعيان نساء عصرها وأخيارهن ، نبيهة عاقلة حازمة عفيفة[6] ، وقفت مع أخيها المظفر بعد أن أعطى والدهما ولاية العهد لابنه المفضل ، وخرجت معه من تعز مع والدتها وبقية أفراد أسرتها إلى زبيد

---

[1] قبض الملك المسعود بن الكامل الأيوبي على الأمراء بدر الدين الحسن وفخر الدين أبي بكر وشرف الدين موسى وأرسلهم مقيدين إلى مصر سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م ، وقد اختلفت الآراء حول سبب قيامه بذلك . انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤١ .

[2] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٦٤ – ٣٦٥ .

[3] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٨٥ – ٢٨٦ .

[4] المصدر نفسه ، ص٢٨٦ .

[5] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٤١ – ٢٤٢ .

[6] المصدر نفسه والجزء ، ص٤١ .

قبل مقتل والدها المنصور سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، حتى أنها علمت بمقتل أبيها من قبل مماليكه وهي في زبيد[١] .

لقد تميزت الدار الشمسي بالحنكة والتدبير وحسن السياسة لدرجة أنها عند سماعها بمقتل أبيها وخروج المماليك إلى تعز ومنها إلى زبيد للسيطرة عليها بمساعدة ابن عمها الأمير فخر الدين أبي بكر بن الحسن بن رسول الذي نصبه المماليك سلطاناً عليهم قامت بحفظ المدينة لأخيها المظفر الأول الموجود في المهجم وأغلقت أبوابها ومنافذها ، كما قامت بمساعدة والدتها بإخراج الطواشي بدر الدين الملقب بالصغير الذي كان على قدر كبير من الحنكة في إدارة الأمور وتسييرها من سجنه الذي وضع فيه من قبل خالتها بنت جوزة لميله وحبه الشديد للمظفر ، ومدته بأموال عظيمة لصد المماليك وسلطانهم المزعوم فخر الدين عن مدينة زبيد ، وقد أحسن الطواشي بدر الدين التصرف في تلك الأموال ، ولم يكتفِ بما قدم له بل بذل من ماله لكسر شوكة المماليك وهزيمتهم وهيأ نفسه وقواته للقتال ، وأصبح هو الرجل الأول في زبيد والآمر والناهي فيها ، رغم وجود الأمير شمس الدين قايماز والي المدينة ، إلا أن الدار الشمسي أعطت ثقتها كاملة للطواشي المذكور وعلى كره من الوالي[٢] ، وقد قام الطواشي بدر الدين بصرف الأموال للرجال والعسكر حتى أن الجميع وقفوا معه ، فضُبطت المدينة بحكمة الدار الشمسي رغم الحصار الذي فرضه الأمير فخر الدين عليها بالمنجنيق لمدة ثلاثة عشر يوماً ، وأمام ذلك أخذت في الكتابة لأخيها المظفر الأول طالبة منه الإسراع لفك الحصار عن زبيد ، فأثارت تلك الرسائل أخاها الذي سار بقواته إليها باذلاً الأموال ، فتمكن من فك الحصار عنها بعد القبض على الأمير فخر الدين وبقية المماليك ، فكانت زبيد أول المدن اليمنية التي ظهر حكمه فيها[٣] .

ومهما يكن من أمر ، فأن دور الدار الشمسي لم ينتهِ عند هذا الحد بل كان لها الدور الأكبر في إسقاط أهم الحصون التي استعصت على أخيها المظفر وهو حصن الدملوة سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م والذي كانت تسيطر عليه خالتها بنت جوزة وأبناؤها بخطة وضعتها بتأييد من أخيها المظفر ، حيث طلعت الحصن بحجة أنها على خلاف معه ، شاكية بذلك لخالتها بنت جوزة وأخويها المفضل والفائز ، وبعد أن اطمأنوا لما قالته بقيت عندهم أياماً عملت فيها على استمالة الخدم ووعدتهم بإصلاح أحوالهم ومدهم بالأموال لشراء ذممهم حتى أصبحوا تحت تصرفها ، وأصبحت الأوضاع في الحصن تحت يدها ، وذلك بمساعدة الطواشي ياقوت وابن أخيها الأشرف وأمه والذين كانوا رهينة عند بنت جوزة من قبل المظفر الأول ، ولكي تتمكن

---

[١] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٣٤ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤١ .

[٣] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٤٦ – ٢٥٤ .

الدار الشمسي من إبعاد خالتها وأبنائها عن الحصن حتى يسهل السيطرة عليه نشرت الإشاعة القائلة : بـ " أن البقرة الفلانية ولدت عجلاً برأسين "[١] فأرادت بنت جوزة وأولادها النزول عن الحصن للنظر إلى تلك البقرة ، وطلبت من الدار الشمسي النزول معها ، فاعتذرت بحجة أنها مريضة وعاجزة عن النزول من الحصن ، وبعد خروج بنت جوزة وأبنائها من الحصن تم تنفيذ خطة الهجوم وسيطرت الدار الشمسي على الحصن وبكل سهولة لاسيما وأنها رتبت الأمور قبل ذلك[٢] .

لقد احتلت الدار الشمسي مكانة عظيمة عند أخيها المظفر الأول لحبها الشديد له ، ولمواقفها المؤيدة والمناصرة له عند الشدائد ، حتى أنه كان يقتدي بها وبسياستها ويحترم رأيها ويستشيرها في أمور عديدة ، كما كان يبرها ولا يمنع عنها شيئاً من الطعام والقماش وغيره من الأشياء التي كانت تصرف لكبار نساء بني رسول بشكل شهري أو سنوي[٣] ، كما كان لا يخالف لها رأياً ولا طلباً حتى أنها عندما سمعت بالقبض على ابن عمها الأمير فخر الدين وتقييده بالحديد وتسليمه إلى الأمير مبارز الدين بن برطاس الذي عرف بشدته وجبروته تشفعت له عند أخيها ليُسلمه لغيره رحمة فيه ففعل المظفر ذلك احتراماً وتقديراً لها[٤] .

ومما لا يدع مجالاً للشك ، أن الدار الشمسي لم تتزوج لما أوردته المصادر من أنها تولت كفالة ورعاية ابن أخيها المظفر الأول (المؤيد داؤد) فأحبته حباً شديداً ، وفضلت السفر معه إلى الشحر وحضرموت بعد أن أقطعت له من أبيه ، وعندما مات أخوها السلطان المظفر الأول سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م رجعت مع ولده المؤيد ، وشهدت الصراع الذي قام بين السلطان الأشرف بن المظفر وأخيه المؤيد ، واشتد ألمها وحزنها عندما قبض الأشرف على أخيه المؤيد وقيده بالحديد وزج به في السجن ، فسارت إلى تعز وطلبت من السلطان الأشرف أن يفرج عن أخيه المؤيد ، إلا أن وساطتها رفضت ، فمرضت إثر ذلك الصراع ، وأقامت في مدرسة أخيها المظفر الأول أياماً وعندما اشتد بها المرض انتقلت إلى دار المؤيد ، ولم تزل باقية فيه حتى توفيت سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٥] .

لم تكن الدار الشمسي كأي من نساء بني رسول لما شهده تاريخها السياسي من دور فاعل سجلت فيه أسمى آيات التضحية وأروع صفات المحبة لأخيها السلطان المظفر الأول وابن أخيها المؤيد بن المظفر ، حتى أن صيتها انتشر في ربوع اليمن فعرفها الناس بالخير والمحبة والعفاف والإخلاص والتضحية ، ونجد في التعبير الذي وصفها به الإمام الزيدي

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٠١ – ١٠٢ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٦٩ – ٣٧٠ .

[٣] انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٣١٧ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٥٨٠ .

[٤] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٥٧ – ٢٥٨ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤١ – ٤٢ .

المطهر بن يحيى خير دليل على مكانة وثقل هذه المرأة عند سماعه بموتها ، إذ شبهها ببلقيس وقال : " ماتت بلقيس الصغرى "[١] .

لقد امتلكت الدار الشمسي العديد من الأموال والأملاك ، وسخرت أكثرها في أعمال الخير ، فبنت المدارس وعمرت المساجد وكفلت الأيتام[٢] ، وأوصت بما تبقى من تركتها لابن أخيها المؤيد بن المظفر عندما كان في السجن[٣] ، وقد كان لتلك الأموال دور في أن يكون لهذه المرأة مكانة رفيعة بين خاصة الناس وعامتهم لما قدمته لهم من أعمال .

د – جهة الدملوة :

كانت جهة الدملوة نبيلة بنت السلطان المظفر يوسف الأول من أعيان خواتين بني رسول لما عرف عنها من خير وصلاح وفعل للمعروف ، وكانت تقيم في حصن تعز حتى سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ، وقد عرف عنها حبها الكبير لأبناء أخيها الأشرف الأول[٤] لهذا دخلت في خلاف شديد مع أخيها السلطان المؤيد داؤد وذلك بعد أن أصيب بمرض شديد أقعده الفراش فخاف من هم حوله عليه الموت ، وراسل القاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر اليحيوي الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الأشرف الأول وحثه على الدعوة لنفسه لقرب أجل عمه السلطان المؤيد ، وقد بث ذلك الخبر الحياة في داخل المؤيد الذي خرج مسرعاً من تعز إلى الجند ، للقبض على ابن أخيه الذي لجأ إلى جبل سورق المطل على الجند فحاصره فيه حتى طلب الناصر الذمة من عمه فأنم عليه ، وعقد صلح بينهما[٥] ، وقد اتهمها أخوها بأنها هي المحرض الأساسي لابن أخيها الناصر بسبب موقفها المناصر له ، وأخذ موقفاً معادياً لها ، وأمرها بالنزول عن حصن تعز ، والإقامة في المدينة ، فسكنت في ناحية المعزية من مدينة تعز إلى أن توفيت هناك سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م[٦] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٠ .

[٢] عن هذه الأعمال الخيرية انظر فيما سبق : ص٣٦٨ ، ٣٧٢ – ٣٧٣ ، ٣٧٥ .

[٣] كان الوريث الشرعي للدار الشمسي أخوها من بنت جوزة الفائز بن المنصور نور الدين عمر ، وقد بذل ابن أخيها السلطان الأشرف الأول الكثير لإبطال هذه الوصية لإعادتها إلى عمه الفائز بهدف شرائها منه ، وكاد أن ينجح في ذلك لولا أن الموت عاجلـه فجأة ، فآلت أموال وأملاك الدار الشمسي إلى ابن أخيها الملك المؤيد بموجب الوصية بعد خروجه من السجن مباشرة . انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٤ .

[٤] يبدو أن دار الدملوة كانت من المناصرين لأبناء أخيها السلطان الأشرف الأول لنظرتها بأحقيتهم في الحكم بعد أبيهم ، بدلاً من أخيها المؤيد ، الأمر الذي دفع المؤيد إلى أن يتهمها بتدبير محاولة الانقلاب المذكورة ضده .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ص٣٣١ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٣٠ – ٤٣١ .

هـ – الدار جهة صلاح[١] :

برز دور جهة صلاح في الحياة السياسية بعد وفاة زوجها السلطان المؤيد داود سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م وتولي ابنها المجاهد علي المُلك بعده ، وقد عاشت جهة صلاح أصعب مراحل حياتها وأحرجها مع ولدها السلطان المجاهد ، فكانت خير معين له ، وشدت من أزره ولم تبخل عليه بالمشورة وصواب الرأي في العديد من المسائل الخاصة بالأمور السياسية التي اتبعها ، لاسيما أن المجاهد قد واجه منذ توليه الحكم العديد من المشكلات والخلافات ، وكان صراعه مع عمه الملك المنصور أيوب بن السلطان المظفر الأول الذي قبض عليه وسجنه في حصن تعز أولها ، إذ كاد ذلك أن يودي بملكه لولا تدخل والدته جهة صلاح في الأمر ، وقيامها بمراسلة غلمان زوجها المؤيد ، وبذلت لهم الأموال ، فتسلقوا الحصن ليلاً من ورائه حتى نفذوا إلى سوره واخرجوا ولدها المجاهد من معتقله وأعادوه إلى ملكه بعد أن قبضوا على عمه المنصور[٢] .

وفي هذا الصدد ، أثار سجن المنصور أيوب حفيظة الملك الناصر جلال الدين محمد بن السلطان الأشرف الأول على ابن عمه السلطان المجاهد وسانده في ذلك عدد من أمراء المماليك المؤيدين للمنصور ، فما كان من المجاهد الذي رأى تكاتف الجميع ضده إلاّ أن أمر صائحاً يصيح من أعلى حصن تعز بأعلى صوته ويقول : " يا أهل تعز بيوت المنصورية لكم حلال "[٣] ، فرجع الملوك والأمراء إلى بيوتهم خوفاً من النهب بعد هجوم الناس عليها وعلى وأملاكهم وأموالهم ، وكانت جهة صلاح أم المجاهد تراقب الموقف عن بعد وعندما لاحظت ما حل ببيوت الملوك وأملاكهم ونسائهم كتبت إلى ابنها المجاهد رسالة تقول فيها : " أعلمك يا ولدي أن بنات عمك وسائر نساء الملوك هتكوا ونهبوا ولم يبق لهم باقية ، وقد صاروا في حصر المساجد والمدارس "[٤] ، ولم يكن من المجاهد إلا أن أمر صائحاً يصيح في الناس من أخذ شيئاً من بيوت الملوك فليرده ، ويتبين لنا من خلال هذا الكتاب مدى حكمة جهة صلاح وحنكتها في معالجة الأمور في مثل هذه المواقف .

إلاّ أن أبرز الأدوار التي أدتها جهة صلاح كان في أثناء صراع ولدها المجاهد مع ابن عمه الظاهر بن الملك المنصور أيوب الذي كان من أشد المنافسين له سنة ٧٢٤هـ /

---

[١] وهي أمة بنت الشيخ منتخب الدين إسماعيل بن عبدالله الحلبي المعروف بالنقاش ، كانت امرأة عاقلة عفيفة شديدة الرأي حازمة عالية الهمة تزوجها السلطان المؤيد داود بن السلطان المظفر وكعادة نساء بني رسول جعل لها المؤيد زماماً وهو الطواشي أبو السعود شهاب الدين صلاح بن عبدالله المويدي (ت : ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ، فاشتهرت به ولم تعرف إلاّ بجهة صلاح . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٧ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٩ .

[٢] ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٨٧ – ٢٨٩ ؛ الخزرجي : العقد الفاخر الحسن ، ص٢١٢ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦ .

[٤] المصدر نفسه والجزء والصفحة .

١٣٢٣م ، حتى أنها كانت معه في الحصار الذي فرضه عليه الظاهر في حصن تعز ولم تفارقه ، وكانت تقف إلى جانبه عند رمي الحصن بالمنجنيق[١] ، كما تمكن المجاهد بمشورتها وحسن تدبيرها وبذلها الأموال الكثيرة سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م من استعادة بعض المناطق والحصون التي فقدها[٢] .

كانت جهة صلاح ترافق ولدها المجاهد في تحركاته كلها ، وعندما قرر في سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م التوجه إلى الحج[٣] قررت مرافقته وقضاء الفريضة معه ، إلاّ أن المشكلات لاحقتها حتى في الأراضي المقدسة ، حيث دخل ولدها المجاهد في صراع مع الركب المصري ، ووصل ذلك الصراع إلى درجة القتال معهم ، وعندما لاحظ تفوق العسكر المصري اضطر إلى الاستسلام فأسر وتم نقله إلى مصر ، وكانت والدته تراقب الموقف عن بعد دون أن تقوم بأي دور للدفاع عن ولدها لضعف قواتهم أمام القوات المصرية ، ولم يكن منها إلا أن بقيت في مكة حتى هدأت الأوضاع ، وسعت جاهده لاسترجاع ما تبقى من أملاك ولدها المجاهد من خيل وبغال وحمير وجمال وآلات ، ثم سارعت بالعودة بمن معها من رجال ولدها إلى اليمن حزينة مكسورة لما حدث له[٤] .

وكيفما كان الأمر ، فقد رأت جهة صلاح أن عليها أن تتصرف بحكمة وعقل في ظل هذه الأزمة التي نشأت بسبب غياب ابنها الأسير في مصر ، فعمدت بمجرد وصولها إلى اليمن بمن بقي معها من رجال أن وقفت في حرض ، وأمرت باستدعاء واليها الأمير نور الدين بن ميكائيل لكي تأخذ بمشورته لما تميز به من سكينة وحسن تدبير ، ثم سارت إلى تعز وعند دخولها إليها أصدرت أوامرها بضرب الطبلخانة ولم تكن تضرب قبل ذلك ، ويبدو أنها أرادت بضربها إعلام الناس بوصولها والإشهار بما حدث لابنها السلطان المجاهد ، كما أمرت بأن يرسل إليها أولاد ابنها المجاهد وهم الملك المظفر والملك الصالح ليسلما عليها ، فنزلوا بين أيديها وسلموا عليها ووقفوا عندها ، وقد يكون خوف جهة صلاح على أولاد ابنها هو الذي دفعها إلى أن تطلبهم ، حتى أنها تحصنت بهم في حصن تعز واستخلفت أحد الطواشية وهو الطواشي جمال الدين أهيف على كل شيء بعد أن توثقت منه واستحلفته[٥] ، ثم أرسلت إلى كبار الفقهاء والصالحين طالبة منهم الدعاء بفك أسر ولدها ، فدعوا له ، وبشّرها بعضهم بقرب عودته فبذلت لهم الأموال بهذه البشارة[٦] .

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٩٣ – ٥٩٤ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٤٧ .

[٣] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٦١ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص ٨٣ – ٨٥ .

[٥] المصدر نفسه والجزء ، ص٨٧ – ٨٨ .

[٦] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٩١ – ١٩٢ .

ومع ذلك عانت جهة صلاح في مدة غياب ابنها المجاهد من كثير من الفتن التي شهدتها البلاد لاسيما وأن عدداً من القبائل تجرأت وأعلنت تمردها وخروجها عن الطاعة ، كقبائل الأشعوب وأهل بعدان ، فكانت جهة صلاح حازمة في تعاملها معهم لإقرار الأمن في البلاد ، وبذلت مجهوداً غير عادي لضبط الأمور وحفظها حتى يعود ولدها ، و كانت تدير البلاد وتحرك العسكر والرجال وتبذل الأموال لذلك من حصن تعز ، إلى أن وصل خبر الإفراج عن ابنها المجاهد سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م فضربت الطبلخانه سبعة أيام ، وبرز أمرها بتهيئة البلاد والرجال للاستعداد لاستقبال السلطان ، وعند وصول خبر وصوله إلى المهجم تجرأت بالنزول من حصن تعز ، وتقدمت بمن معها من عسكر وأمراء من أولاد الملوك إلى زبيد التي زينت وأقيمت فيها الاحتفالات فرحاً وسروراً بقدوم المجاهد[١] بعد غياب عن البلاد دام سنة وأربعة شهر ، وقد غمرت السعادة قلب جهة صلاح بعودة ابنها السلطان المجاهد ، ولهذا تشفعت إليه بمجرد استقراره وارتياحه من عناء السفر في إطلاق سراح المسجونين من ملوك بني رسول ، فأخذ بما طلبت منه وأطلقهم جميعاً وأمر بإسكانهم قرية السلامة بزبيد[٢] ، ويبدو أنها قصدت من وراء ذلك كسب ود ملوك وأمراء الأسرة الرسولية الذين كان على خلاف معهم ، كما أرادت أن يعلو ابنها في نظر غيره من الخاصة والعامة من الناس على ما تميز به من روح التسامح والعفو .

وفي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م توفيت الآدر الكريمة جهة صلاح[٣] التي عرفت بأنها كانت امرأة عاقلة رشيدة حازمة حليمة سخية كريمة ذات سياسة ورئاسة وكرم ونفس طيبة وعلو همة وصدقة ومعروف[٤] ، وقد امتلأت اليمن في مدة غياب ابنها السلطان المجاهد أماناً وعدلاً وإحساناً وخصباً[٥] ، لقدرتها وخبرتها وحكمتها في إدارة أمور البلاد .

و – جهة طي[٦] :

برز دور جهة طي في الحياة السياسية بعد وفاة زوجها السلطان الأفضل العباس الأول سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م ، وذلك عندما أظهرت قدرة فائقة في إدارة الأمور وتسييرها عند وفاته ،

---

(١) الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٩٣ – ٦٩٥ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥١٦ .

(٣) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٦٢ .

(٤) عن دور جهة صلاح في بناء المدارس والمساجد وتصدقها على المحتاجين انظر فيما سبق : ص٣٦٩ – ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٨ .

(٦) وهي جهة الطواشي جمال الدين طي بن عبدالله الأفضلي الأشرفي ابنة الشيخ جمال الدين محمد بن عبدالله البركاني من ناحية لحج وأبين ، ويقول عنها عبدالله الحبشي نقلاً عن طراز أعلام الزمن للخزرجي أنها كانت امرأة لبيبة حازمة ، تزوجها السلطان الأفضل عباس بن علي بن داؤد بن يوسف بن عمر بن رسول وأنجبت لـه عدداً من الأولاد منهم : السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس وعبد الله والمنصور والمفضل وأبو بكر المؤيد وعمر المظفر وعلي المجاهد ، وقد كانت جهة طي في غاية الجمال والكمال . الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص٥٥ .

إذ أسرعت في استدعاء الأمراء وأعيان العسكر ورجال الدولة ووجوه الأشراف ومشائخ العرب ، وأمرت بالنفقة عليهم وعلى سائر العسكر ، وتصرفت التصرف الصحيح بعد أن دعتهم إلى طاعة ولدها الأشرف إسماعيل ، ووعدتهم بما طابت به أنفسهم فانحازوا جميعاً إلى الأشرف وساروا تحت طاعته وابتعدوا عن المعارضين له[١] ، وبسياستها هذه تمكنت من إرساء دعائم دولة ولدها الأشرف ، كما تمكنت من القضاء على معارضيه باستمالة المناصرين لهم في الدولة بالمال وكسبهم إلى صفه ، لذلك وصفت بأنها عقيلة الزمن وسيدة نساء ملوك الشام واليمن ، وعندما توفيت سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ندب ابنها السلطان الأشرف المؤرخ الخزرجي للحج عنها والزيارة وزوده بأربعة آلاف درهم ، وعند عودته من هذه المهمة سامحه في خراج أرضه ونخله مسامحة مستمرة مؤبدة مستقرة[٢] إكراماً لها .

وفي الوقت نفسه ، تُظهر لنا المصادر مواقف لعدد من نساء الأسرة الرسولية اللاتي فرضت عليهن الصراعات السياسية التي شهدتها اليمن الظهور والتصرف بحكمة وعقل ودهاء لتجنيب أبنائهن الولوج في تلك الصراعات ، مع بعدهن عن الحياة السياسية ومشكلاتها ، إلا أن خوفهن على أبنائهن بدافع الأمومة دفعهن إلى التدخل للحفاظ على سلامتهم ، وكان أبرز نساء بني رسول اللاتي ظهرن لاسيما في المدة المتأخرة من تاريخ هذه الدولة ، عند تدهور الأوضاع فيها بسبب التنافس على الحكم للوصول إلى السلطة ، زوجة السلطان الأشرف إسماعيل بن الناصر أحمد التي أنجبت من الأشرف – بعد أن تم خلعه عن الحكم من قبل عمه السلطان الظاهر سنة ٨٣٠هـ / ١٤٢٧م – ولداً أخفته عن جميع الناس ولم يعلم بوجوده أحد من رجال الدولة أو خدمها لخوفها الشديد عليه من السجن أو القتل ، ومع ذلك راح ضحية لذلك الصراع ؛ إذ سجنه السلطان الظاهر بالدملوة ومنع الناس من الدخول عليه ثم قام بخنقه حتى مات لخوفه من أن ينافسه على المُلك[٣] ، وتكرر ذلك الموقف مع الأشرف إسماعيل بن الناصر نفسه ، فبعد أن قتل وضعت زوجته غلاماً أخفته عن الجميع وقيل أنها وضعت له مهداً في جب (سطح) إحدى دور زبيد لكي لايعلم بوجوده أحد ، وأخذت في تربيته والحفاظ عليه حتى أخرجه العبيد إثر صراع حدث في زبيد ونصبوه عليهم سلطاناً ولقبوه بالمسعود صلاح الدين بن الأشرف إسماعيل بن الناصر[٤] .

خلاصة القول ، أن نساء الأسرة الرسولية كان لهن دور كبير وفاعل في الحياة السياسية بل إن دور بعضهن كان مصيرياً وحساساً ، لاسيما في بعض مراحل الدولة الرسولية .

---

[١] الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص٥٥ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٤ – ١٧٥ .

[٣] عماد الدين إدريس : كنز الأخبار ، ص٢٧ .

[٤] عن ذلك انظر : ابن الديبع : قرة العيون ، ص٤٠٣ ؛ عماد الدين إدريس : كنز الأخبار ، ص٢٧ .

٢ – الدور السياسي لنساء الأشراف :

لم تقتصر مشاركة المرأة في الحياة السياسية على نساء الأسرة الرسولية فقط ، بل ظهر من بين الفئات الأخرى عدد من النساء اللاتي كان لهن دور فاعل في هذه الحياة كنساء الأشراف اللاتي كان لبعضهن مواقف غيرت مجرى الأحداث السياسية في أحيان كثيرة لخبرتهن في إدارة الأمور وتوجيه سياسة بعض الأئمة ، ومن أشهر هؤلاء النسوة :

أ – فاطمة بنت الأسد :

وهي الحرة الكاملة فاطمة بنت الأمير أسد الدين بن إبراهيم الكردي زوجة الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي علي ، وأم ولده الإمام المنصور بالله علي بن صلاح الدين ، وقد برز دورها بشكل فاعل في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م عندما اشتدت الفتنة بين ابنها الإمام علي بن صلاح وبين قبائل البلاد المذحجية فسار إليهم في جهران[١] مستخلفاً والدته فاطمة بنت الأسد على صنعاء[٢] ، ويبدو أنها قد بلغت من الخبرة والقيادة والحكمة ما جعلها تحافظ على أمن وسلامة الناس في مدينة صنعاء من أي اعتداء قد يتعرضون له من المناوئين لابنها ، كما برز دورها أيضاً إلى جانب ابنها في سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م عندما وصلها إلى صنعاء خبر دخول الإمامين الهادي علي بن المؤيد الفللي (ت : ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) والمهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت : ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) إلى صعدة فعدت العدة وحشدت الرجال من العبيد والعسكر لطردهم عنها وسارعت بإرسالهم إلى هناك ، مما اضطر الإمامان المذكوران إلى الخروج من صعدة فوراً ، وقد أظهرت الحرة فاطمة خبرة كبيرة في معالجة مثل هذه المواقف ، لاسيما عند غياب ابنها الذي كان يعطي لها الصلاحية الكاملة لأن تكون في غيابه صاحبة الحل والعقد في صنعاء وأعمالها ، والناظرة في كثير من الأمور لكمالها وحسن تدبيرها[٣] ، ولعل أبرز مثال على ذلك أنه عندما خرج سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م إلى مدينة ذمار جعل التصرف في أمر صنعاء وأعمالها وما جاورها إلى والدته الحرة فاطمة بنت الأسد التي تصرفت تصرف الرجال في غيابه بعدما وصل علمها أن أحد الأشراف وهو الشريف داؤد بن الطهيف قد تغلب على بلاد المصانع[٤] ، فقامت بتجهيز أحد أهم رجال ابنها وهو قاسم بن عبدالله بن سنقر ومدته بما يحتاج إليه ليسير إلى هذه المنطقة وينتزعها من الشريف المذكور ، وهو ما فعله[٥] .

---

[١] جهران : حقل واسع فيه قرى عديدة ومزارع كثيرة ، ويقع شمال ذمار على مسافة (١٥كيلو متراً) تقريباً . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص٨٥ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٤٠ ؛ الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص١٥٢ .

[٣] يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، ق٨٣ب .

[٤] بلاد المصانع : عزلة كبيرة من أعمال ثلا . الحجري : مجموع ، مج١ ، ج١ ، ص١٦٦ .

[٥] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٦٢ .

ومهما يكن الأمر ، فقد كان الإمام المنصور علي بن صلاح يكن لوالدته وأهلها الكثير من الاحترام والتقدير حتى أنه عندما استولى سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م على حصن ريام[١] الـذي تغلب عليه زوج خالته الشيخ طاهر بن عامر ، وكانت خالته الحرة شمس بنـت الأسـد بـن إبراهيم الكردي وولدها عامر بن طاهر فيه ، تركها وولدها في ريام إكراماً لوالدته ولم يمنـع عنها شيئاً أو يضرها بشيء وأحسن إليها رحمة وتقديراً لوالدته[٢] .

ب – فاطمة بنت الحسن :

وهي الشريفة فاطمة بنت الحسن بن الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي ، حكمـت صنعاء بعد والدها ، فتزوجها ابن عمها الأمير محمد بن علي بن الناصر صلاح الدين ، وعنـدما توفي سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م تزوجها الإمام المهدي لدين الله صلاح بن علي بن أبي القاسم ، وقد بلغت من الخبرة والدهاء والحيلة ما مكنها من أن تؤدي دوراً كبيراً في فك أسر زوجها الإمام المهدي وذلك بعد أن قبض عليه أحد قادته وهو القاسم بن عبدالله بن سنقر لخلاف حدث بينهما ، ثم سارت به إلى صعدة ليكون بمأمن هناك ، وبعملها هذا أصبحت هي صاحبة الحل والعقد في حكم بعض المدن كصعدة وما جاورها ونجران والظاهر بعد أن حلف لهـا الجميـع بـالولاء والطاعة ، وقد ولّت أخلص رجالها على بعض المناطق والحصون ، ثم استقرت هي وزوجهـا في صعدة وأنفقت عليه وعلى من حوله من الأموال ما جعل الجميع يميلون إليها وإلى رأيها[٣] ، حتى قبض الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد (ت : ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) علـى زوجهـا الإمام المهدي بعد أن اختلف معه ، وظل مسجوناً عنده حتى توفي في صنعاء سـنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م ، وقد ترك خبر وفاته أثره على زوجته التي قامت بإرسال لوح من ألواح القبور إلى صنعاء ليوضع على قبره تقديراً له[٤] .

لقد ظلت الشريفة فاطمة بنت الحسن تحكم صعدة واستمرت على سياستها في صرف الأموال للسيطرة على صنعاء ، إلا أن الإمام الناصر بن محمد تمكن في سـنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م من دخول صعدة ، فنقلها ووزرائها إلى صنعاء واعتقلها بدار زوجها ، وحاول بعض العسكر أذيتها وإحراق بيتها فأسرع المؤيد محمد بن الناصر ومنعهم من الدخول عليها ، ثم نقلها إلـى دار بقصر صنعاء وبالغ في صونها ، ومكثت به حتى توفيت ودفنت في صنعاء[٥] .

---

[١] ريام : حصن يقع شمال أثوة من ناحية أرْحَب . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٣٣ .

[٢] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٥٨ .

[٣] للمزيد من التفاصيل انظر : عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٣٠ – ٣٣ .

[٤] يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨٠ .

[٥] الزحيف : مآثر الأبرار ، ج٣ ، ص١٥٢ ؛ الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص١٥١ .

كانت الشريفة فاطمة من كبار ملاك عصرها ، لما ورثته من أهلها وزوجها محمد بن علي بن صلاح الذي كانت لديه ثروة طائلة ورثها عن والدته فاطمة بنت الأسد ، فضلاً عن أملاكه التي كسبها من عمله في التجارة والتي عادت جميعها إلى ملكية الشريفة فاطمة ، إضافة إلى اكتسابها العديد من الأموال والأملاك التي صادرتها من الذين ماتوا من أهالي مدينة صنعاء في طاعون سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م ، ومصادرتها لأموال وأملاك بعض الأقوام والشخصيات المعارضة لها في صعدة بعد استقرارها بها[1] ، ويبدو أن تلك الأموال والأملاك الهائلة هي التي مكنتها من إعداد الجيوش وتجهيزها لفرض سيطرتها على العديد من المناطق التي خضعت لحكمها ، كما أعطت لها مكانة بين أفراد مجتمعها .

وفي هذا الصدد ، كانت للشريفة فاطمة بنت الحسن ابنة تسمى بدرة من زوجها الأول محمد بن علي بن صلاح ، وقد تزوجها الإمام الناصر بن محمد وظلت معه حتى طلقت منه بسبب كثرة غيابه عنها سنة ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م ، فتزوجها الإمام المطهر محمد بن سليمان ، وقد كان لها مشاركة كبيرة في الحياة السياسية في تلك المدة[2] .

لم تكن تلك النسوة إلا نماذج لغيرهن من نساء الأشراف اللاتي عرفن بخبرتهن وسياستهن المؤثرة على سير الأحداث السياسية والاجتماعية لِمَا كان لهن من مشاركة فاعلة ودور في تغيير كثير من مجريات تاريخ هذه الفئة[3] .

٣ – موقف بعض نساء المشائخ والقبائل من الأوضاع السياسية :

لقد كان لنساء المشائخ والقبائل أيضاً مواقفهن وآرائهن من الأحداث التي شهدتها اليمن ، لمشاركة بعضهن فيها ، وقيامهن بأدوار غيرت من مجرى تلك الأحداث ، ومن أبرز هؤلاء النساء الشيخة بنت جابر زوجة الشيخ ابن القرابلي أحد كبار مشائخ العرب وأرفعهم في تهامة ، وقد برز دورها في أثناء صراع المظفر الأول مع منافسيه على الحكم بعد مقتل والده السلطان المنصور ، وذلك عندما لجأ المظفر إلى زوجها ابن القرابلي ليقف معه ويسانده بما لديه من خيل ورجال على أعدائه ، وقد دفع هذا الأمر المقاصرة وهم قوم زوجها إلى رفع التكلفة بينهم وبين المظفر الأول فأصبحوا يدخلون عليه دون إذن وينادونه باسمه (يا يوسف) بغير نداء المُلْك ، ونتيجة لحاجته إليهم غض المظفر الطرف عن هذه المسألة ، إلا أنها أثارت الشيخة بنت جابر زوجة الشيخ القرابلي التي رأت بأنه لابد من وضع حد لهذا الأمر ، فسأمرتهم بالكف عن

---

[1] عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٣٦ – ٣٧ .

[2] انظر : عماد الدين إدريس : المصدر نفسه ، ص٤٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٨١ – ٥٨٣ .

[3] للمزيد من التفاصيل عن هؤلاء النسوة ودورهن في الحياة السياسية انظر : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٣٢ – ٤٤٥ ؛ يحيى بن الحسين : غاية الأماني ، ج٢ ، ص٥٢٧ – ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

الدخول عليه ، وكلفت من يقف ببابه حتى لا يدخل عليه أحد من المقاصرة إلا بإذنه[١] ، ومن خلال موقفها هذا يمكن أن نلاحظ أنه كان لهذه المرأة دور في هذه الأحداث ، ولا يستبعد أن يكون لها مشاركة فيها إلى جانب زوجها لما كان لها من مكانة وتقدير جعلت رجال هذه القبيلة القوية يسمعون لرأيها ويخضعون له .

وفي الوقت نفسه ، استصوب الكثير من الناس رأى بعض نساء المشائخ اللاتي أصبح لبعضهن أمر تعيين الشيخ أو عزله وقبلوا به تقديراً لهن ، مثلما حدث سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م عندما ساءت سيرة الشيخ عبد النبي السيري في حصن حب وبقية البلاد التي يحكمها ، فدفع هذا الأمر والدته إلى السعي في تغييره بعد أن رأت منه ما رأت ، ونصبت بدلاً منه أخاه الشيخ الجلال السيري ، وقد قبلت الرعية من أهل البلاد رأيها وأيدوه تقديراً لها[٢] ، كما قامت بعض النساء بدور الشيخ وسعين في حل المشكلات التي كانت تحدث للناس على اختلاف مستوياتهم ، ومن أبرز من عرفن بذلك امرأة تسمى الدادوة التي كانت تشرع في الصلح بين الناس لاسيما ذوي المكانة والجاه والسلطة ، وقد كان لرأيها وحكمها صداه بينهم لمكانتها[٣] .

إلاّ إن أبرز نساء القبائل اللاتي عرفن بمشيختهن وزعامتهن على قبائلهن الشيخة بنت العاطف المعزبية التي احتلت مكانة عظيمة بين قومها المعازبة في منطقة تهامة ، التي كان لها على ما يبدو علاقة طيبة مع السلطان المجاهد الذي شيّخها على قومها المعازبة إثر عصيان ظهر منهم ، فأصبحت هي المسؤولة عن شؤون هذه القبيلة ، والمتحدثة باسمها أمام الدولة ، وقد أعطى لها السلطان المجاهد من الصلاحيات والنفوذ ما يعطى لكبار المشائخ تقديراً لها ، وأصبحت تركب دابة من الحمر أو ناقة وتقود المعازبة بأسرهم[٤] . ومن الملاحظ أنه كان لهذه المرأة من المكانة والجاه ما جعل قبيلة المعازبة أشد وأقوى قبائل العرب في تهامة تنقاد لها برجالها وفرسانها ، ومما لاشك فيه أن مسألة تشييخ بنت العاطف لم تكن مسألة عرضية أو نادرة في قبيلة المعازبة لتكرارها سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م في عصر السلطان الناصر أحمد الذي شيّخ على المعازبة امرأة معزبية منهم ، حتى أنه أعطاها صلاحيات كاملة للتصرف في أمور هذه القبيلة[٥] ، وقد يكون لأمر تعيين مثل هؤلاء النساء في مثل هذه المواقع المهمة ارتباط بتمرد قبائلهن ، وكنوع من التأديب والإذلال لهم بين القبائل الأخرى بأن تحكمهم امرأة ، إلاّ أن ذلك دل على أنه كان من بين نساء القبائل من كانت لديها المقدرة على تولي أمور قبيلة بحالها كقبيلة المعازبة .

---

[١] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٤٣أ .

[٢] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٥٦ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٠٨ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٨٢ب .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٩ .

[٥] ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٨٧ .

وفضلاً عن ذلك ، شاركت بعض النساء في المعارك التي كانت تشنها القبائل على بعضها ، إذ كن يتولين عملية السلب وجمع الغنائم ، لما يذكره الوصابي[1] عن المرأة التي سلبت في إحدى المعارك التي كانت دائرة بين أهل جعر وابن أصهب في وصاب خلال يوم واحد ثمانية عشر ترساً خارجاً عن ما جمعته من السلاح كغنائم حرب ، ومع ذلك كانت النساء من أكثر المتضررات من الصراعات التي كثيراً ما تشهدها البلاد في ذلك العصر ، وتعد نساء بني رسول أكثرهن معاناة ، ومما يدل على ذلك ما حدث لهن في عصر السلطان المجاهد عندما كشفن كشفاً شنيعاً بعد أن هتكن ونهبن وصرن في حصر المساجد والمدارس ، تأديباً لرجالهن من أمراء بني رسول المناوئين له ، ولولا تدخل والدته جهة صلاح لأصبحن في أسوأ حال[2] ، كما كان لموقف جهة شقيق ابنة السلطان الأشرف بن الأفضل وأخت السلطان الظاهر يحيى على ما يبدو من سياسة ابن أخيها السلطان الأشرف بن الظاهر دور في قيامه باغتيالها سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م[3] ، وبالإضافة إلى ذلك شكلت النساء خير سلاح يستعمل للضغط على المتحاربين عند أسرهن وسجنهن ، إذ يضطر من ترهن أخته أو زوجته إلى التنازل عمّا يطلب منه والتخلي عن أهدافه مقابل الإفراج عنها[4] ، في حين عانت النساء في فترات الحروب والفوضى من الاعتداء والقتل لاسيما عند غياب دور الدولة[5] .

ثالثاً : مشاركتها العلمية والثقافية :

قدمت المرأة في عصر بني رسول جهوداً كبيرة وملموسة للنهوض بالحركة العلمية والثقافية في اليمن ، ولم تكن مشاركتها مقصورة على نساء فئة معينة في المجتمع بل فُتح المجال أمام جميع النساء من مختلف الفئات للمشاركة في تطوير الحياة العلمية والثقافية ، وقد دلت تلك المشاركة على المستوى الواعي الذي وصلت إليه نساء ذلك العصر ، ومما لا يدع مجالاً للشك أنه كان للمجتمع دور فاعل في تنمية وعي وقدرات المرأة لما لقيته من اهتمام وعناية من قبل الأسرة والبيئة المحيطة بها والتي كان لها الدور الأول في تعليمها وتثقيفها .

١ – الاهتمام بتعليمها :

أولت العديد من الأسر رعاية واهتماماً خاصاً ببناتهم ، وسخروا جزءاً من إمكانياتهم لتعليمهن مختلف أنواع العلوم لاسيما العلوم الشرعية والدينية ، فمنذ سن الطفولة تبدأ الفتاة بتلقي العلم على يد بعض أفراد أسرتها كوالدها أو أحد إخوتها ، وقد يستمر بعضهن في تلقي

---

(1) تاريخ وصاب ، ص١٢٥ .

(2) الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٥٨٠ .

(3) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٥٨ب ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٧١ .

(4) انظر : الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٤٤ – ١٤٥ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٠٦ – ٤٠٧ .

(5) الخزرجي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٣ .

العلم حتى بعد ارتباطها وزواجها وإنجابها ، وعادة ما يكون ذلك على يد زوجها الذي يقوم بتعليمها إذا كان من أهل العلم والمعرفة ، وهو ما يذكر عن الحرة هند بنت علي بن محمد القوتاي التي بدأت بتلقي العلم منذ طفولتها سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م وهي في العاشرة من عمرها ، إذ قرأت على يد أبيها وإخوتها ، وبعد زواجها قرأت على يد زوجها الفقيه عمر بن يوسف الحفصي المشهور[١] ، ويظهر أن الفتيات في ذلك العصر كن يتلقين تعليمهن في بيوت أهاليهن لأن المصادر لم تشر إلى وجود مدارس خصصت لتعليم الفتيات .

وقد أعطى سلاطين بني رسول جل اهتمامهم بتعليم نسائهم وبناتهم وراح بعضهم يخصصون لهن المدرسين من الطواشية الخصي (الزمام) ليكونوا معلمين ومربين لهن ، ونستدل على ذلك من خلال الإشارة التي يذكر فيها الجندي[٢] عن الطواشي تاج الدين بدر أنه كان أستاذ من أساتذة الحرة بنت جوزة ، وهو ما يدل على أن بني رسول خصصوا لنسائهم وبناتهم المدرسين لتعليمهن وتثقيفهن .

٢- دورها بالنهوض بالتعليم :

شاركت المرأة إلى جانب الرجل في تطوير التعليم والنهوض به ، باذلة في ذلك الأموال الطائلة بما ينفع المصلحة العامة ، ويعد بناء المدارس والمساجد من أهم ما ساهمت به النساء لاسيما نساء بني رسول ، لما أدته هذه المدارس والمساجد من دور في تخريج أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء ، علماً بأن تلك المنشآت الدينية لم تكن فقط مكاناً للتدريس ، بل كانت مكاناً يتجمع فيه الطلاب من الفقراء والمحتاجين والأيتام ، وموضعاً يتحصل فيه هؤلاء على الصدقات المختلفة من طعام (حبوب) وكسوات تخفف الكثير من الأعباء التي يتحتم على أسرهم توفيرها لهم كجزء من متطلباتهم الدراسية ، فضلاً عن دور هذه المدارس وما يقدم فيها من تشجيع هؤلاء الطلاب الفقراء على الإقبال وبكل شغف على الدراسة[٣] .

لقد كانت المدارس من أهم ما قدمنه نساء ذلك العصر للنهوض بالتعليم وتطويره ، وتعد نساء بني رسول والمقربات منهن وجواريهن من أكثر من اشتهرن بذلك ، فضلاً عن بعض نساء العامة من ذوي المقدرة ، ومن أشهر من عرفن ببناء المدارس من نساء الأسرة الرسولية[٤] الحرة لؤلؤة بنت يحيى بن أحمد العنسي زوجة الأمير شمس الدين علي بن رسول التي عمرت المدرسة العومانية في ذي جبلة[٥] ، والحرة زوجة السلطان المنصور وأم ولده

---

[١] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٢٧ .

[٢] السلوك : ج٢ ، ص٤٥ .

[٣] تم الحديث سابقاً عن هذه المدارس . انظر : ص٣٦٧ – ٣٧٢ .

[٤] سوف يتم ترتيب هؤلاء النسوة حسب الأقدمية وليس حسب الأكثر في التعمير .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٧٢ ؛ الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٢٥ .

المظفر الأول التي بنت المدرسة السيفية في زبيد[١] ، والدار النجمي ابنة علي بن رسول وأخت السلطان المنصور وعمة السلطان المظفر الأول التي بنت العديد من المدارس في مناطق مختلفة من اليمن ، ولكثرة فعلها المعروف قال عنها الجندي[٢] أنها كانت : "من الصالحات المحسنات ، ولم تزل هذه الحرة على الطريق المرضي ، ليس في جبلة رزق للطلبة غالباً ظاهراً منذ عصرها إلى عصرنا سنة ٧٢٩هـ [١٣٢٨م] ، وأعني بالرزق الأسباب الظاهرة من المدارس والمساجد إلاّ منها أو من حاشيتها " ، وكانت أشهر المدارس التي بنتها الدار النجمي المدرسة النجمية في ذي جبلة ، وقد اشترتها داراً لأبي الحسن علي بن محمد بن المعلّم وحولتها إلى مدرسة وسمتّها باسم زوجها الأمير نجم الدين بن أبي بكر زكريا ، وأوقفت عليها وقفاً عظيماً ، كما ابتنت مدرسة أخرى في ذي جبلة عرفت بالمدرسة الشرفية نسبة إلى أخيها شرف الدين الذي توفي في مصر ، وقد قبرت وقبر معها جماعة من أهلها في هذه المدرسة منهم أخوها بدر الدين الحسن وغيره ، ثم ابتنت المدرسة الشهابية في ذي جبلة ونسبتها إلى أخ لها اسمه أحمد شهاب الدين ، وكان القضاة يسكنون بها كلما تولى أحدهم القضاء هناك[٣] ، في حين ابتنت الدار الشمسي ابنة السلطان المنصور وأخت السلطان المظفر الأول مدرستين شهيرتين عرفت كل منهما بالشمسية ، وكانت إحداها قائمة في ذي عدينة بمدينة تعز بالقرب من الجامع المظفري ، وقد أوقفت عليها وقفاً جيداً ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومدرساً وطلبة ومعلماً وأيتاماً ، والثانية أقامتها في مدينة زبيد جنوبي سوق المعاصر ، ورتبت فيها أيضاً إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً يدرس الحديث النبوي الشريف ، وأوقفت عليها بدورها وقفاً جيداً في وادي زبيد للإنفاق عليها وعلى العاملين والدارسين فيها[٤] .

وفضلاً عن ذلك ، شاركت زوجات السلطان المظفر الأول في الحياة الاجتماعية ببناء عدد من المدارس مثل الحاجّة المصونة دار الأسد ابنة الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول أم ولده الواثق والمعروفة بكثرة المروءة والصدقة وحسن الشفاعة ، وقد بنت مدرسة بمغربة تعز بحافة الميْهال عرفت بالمدرسة الأسدية وأوقفت عليها وقفاً عظيماً[٥] ، وابتنت زوجته الثانية الحرة مريم ابنة الشيخ الشمس العفيف – التي عرفت بأنها أعقل النساء وأطهرهن وأخيرهن – عدة مدارس منها : المدرسة السابقية في زبيد التي عرفت بين أكثر الناس بالعفيفية أو مدرسة مريم ، وقد اشتهرت بأنها كانت من أحسن المدارس لما رتب فيها من طاقم تدريسي وقيادي (إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتام يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الإمام

---

[١] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩١ .

[٢] السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٥٢ – ٢٥٣ ؛ الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص٧٣ – ٧٤ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٣ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٥ .

الشافعي ومعيداً وطلبة) وأوقفت على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم ، كما ابتنت مدرسة الحميرا في حافة الحميرا من مغربة تعز ، وعرفت أيضاً بمدرسة الدار الجديدة ، وابتنت مدرسة ثالثة في قرية ذي عقيب في ذي جبلة وهي التي دُفنت بها وأوقفت على الجميع أملاكاً جليلة[١] ، كما ابتنت ثالث زوجات السلطان المظفر الأول الحرة جهة دينار الشهابي عائشة بنت محمد بن علي بن رسول أم ولده المؤيد المدرسة المعروفة بمدرسة مدية في قرية مدية في أعلى وادي ظبا في الشمال الشرقي من ذي سفال عند السفح الجنوبي لجبل التعكر على أرض كانت تمتلكها في وادي ظبا ، وأوقفت عليها أفضل أراضيها[٢] ، في حين اشتهرت بنات السلطان المظفر الأول بفعلهن للمعروف والتصدق على الناس والصلاح بأهلهن ومن لاذ بهن مثل الحرة نبيلة المعروفة بجهة دار الدملوة التي ابتنت عدداً من المدارس مثل المدرسة الأشرفية في مدينة زبيد في جنوبي مسجد الميلين ، ومدرسة أخرى في مدينة تعز ومدرسة في ظفار الحبوضي ، وعينت من يقوم برعاية هذه المدارس وأوقفت عليها أوقافاً تقوم بكفاية الكل[٣] ، كما ابتنت أختها الجهة الكريمة ماء السماء ابنة السلطان المظفر الأول المدرسة الواثقية في مدينة زبيد التي عرفت عند بعض الأهالي بالنورية ، وقد سميت بالواثقية لأنها بنتها بملاصقة بيت أخيها الملك الواثق ، وعينت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً وطلبة يقرؤون العلم وأوقفت عليهم من أملاكها ما يقوم بكفايتهم[٤] .

أما نساء وبنات السلطان المؤيد داؤد بن المظفر الأول فقد شاركن أيضاً في تعمير وإنشاء عدد من المدارس التي كان لها دور كبير في تطوير النهضة العلمية ، ومن أشهر نسائه الأدر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدين صلاح آمنة بنت الشيخ الصالح إسماعيل بن عبدالله الحلبي المعروف بالنقاش (ت : ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م)[٥] أم ولده المجاهد ، التي ابتنت عدداً من المدارس عرفت جميعها بالصلاحية ، ومنها : المدرسة الصلاحية في مدينة زبيد وهي من أكبر وأشهر مدارسها ، ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ونازحاً للماء إلى مطاهرها ومدرساً للحديث النبوي ومدرساً في النحو وطلبة في كل فن من الفنون المذكورة ومعلماً وأيتاماً ، وأوقفت عليها من خيار ما تملكه من الأراضي بما يقوم بكفاية الجميع ، وابتنت المدرسة الصلاحية الثانية في

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٢٣ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٦٣ب ، ١٦٤أ .

[٢] إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص١٦٨ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٦ – ٤٣٠ .

[٤] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣ ، ١٧٢ ؛ نهى صادق : صورة المرأة اليمنية في الدراسات اليمنية ، تر : أحمد جرادات ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٩٧م ، ص١٩٦ .

[٥] أشاد الملك الأشرف الثاني بجهة صلاح وأعمالها ، وعند موتها قال عنها أنه قل أن يأتي الزمان بمثلها ، كما قال عنها أنه ما أحقها بقول أبي الطيب المتنبي حين قال :

ولو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخراً للهلال

انظر : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧١٣ .

قرية المسلب من وادي زبيد وجعلت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ونازحاً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً على مذهب الإمام الشافعي ومدرساً على مذهب الإمام أبي حنيفة وطلبة من المذهبين ، وألحقت بها سبيلاً لشرب الماء للدواب ، وابتنت المدرسة الصلاحية الثالثة في قرية السلامية في وادي نخلة شرقي حيس وتعرف بمدرسة السلامة ، وكانت على يمين السالك إلى تعز ورتبت فيها إماماً وخطيباً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الإمام الشافعي ومدرساً للحديث النبوي وطلبة مع كل مدرس وقيماً ونازحاً للماء إلى المطاهر وإلى سبيل هناك ألحقته بالمدرسة ، ووقفت على الجميع أوقافاً جيدة نفيسة تقوم بكفايتهم وتزيد(١) ، كما عمرت ابنة المؤيد جهة فاتن المسماة ماء السماء أخت السلطان المجاهد المدرسة الفاتنية بزبيد جنوبي باب سهام ، وأوقفت عليها وقفاً جيداً يقوم بكفايتها(٢) ، وابتنت جهة الطواشي جمال الدين مرشد المجاهدي سلامة ابنة السلطان المجاهد مدرسة سلامة في مغربة مدينة تعز على أرض ورثتها من والدتها جهة الطواشي الأجل جمال الدين نصر(٣) .

وعلاوة على ذلك ، برزت من بين نساء السلطان الأشرف الثاني الجهة الكريمة جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفي التي كانت كثيرة البر والصدقة ، وقد أنشأت عدداً من المدارس كالمدرسة المعتبية في الواسطة من مدينة تعز ، ورتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومدرساً وطلبة ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن(٤) ، كما كان لزوجته الثانية الحرة أم الملوك جهة الطواشي جمال الدين فرحان أم ولده السلطان الظاهر مآثر كثيرة في أماكن متعددة كمكة وزبيد وتعز ولحج وذكر من هذه المآثر المدرسة الفرحانية في مدينة زبيد(٥) ، كما عرفت مدرسة أخرى بالفرحانية في مدينة تعز(٦) كانت ملحقه بجامع ذي عدينة (الجامع المظفري) ، ويعتقد أنها من مآثرها لإغفال المصادر عن ذكرها(٧) ، في حين وجدت مدرسة فرحانية أخرى في زبيد وهي المعروفة بالمدرسة الفرحانية البرية الخارجية ، وقد أمر ببنائها ولدها السلطان الظاهر يحيى عقب موتها وأدخل فيها ضريحها ، ورتب فيها إماماً وخطيباً وأيتاماً ومعلماً لهم ، وعشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة ، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم ، وكانت مدارسها معروفة بأنها ملجأ للخائفين والمغضوب عليهم(٨) ، وفي الوقت نفسه عمرت

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٨ – ١١٩ ؛ إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص٢٢١ – ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

(٢) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٥أ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٩ .

(٣) الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٢٤ ؛ حماد : مظاهر الحياة الإسلامية ، ص٧٠٠ – ٧٠٣ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

(٥) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٨ ، ١١١ .

(٦) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٢٦ .

(٧) إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص٢٩٠ .

(٨) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١١ – ١١٢ ؛ البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٩ .

زوجة السلطان الظاهر يحيى الحرة الطاهرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت أربع مدارس عرفت جميعها بالياقوتية ، وقد شيدت المدرسة الياقوتية الأولى في زبيد غربي الخان المجاهدي ورتبت فيها إماماً ومدرساً ومقرئاً بالقراءات السبع وغير ذلك[١] ، وشيدت المدرسة الياقوتية الثانية بعدن بحافة الشيخ البصال ورتبت فيها إماماً ومدرساً للفقه ومجموعة من طلبة العلم وأيتاماً يتعلمون القرآن[٢] ، وعمرت المدرسة الثالثة في مدينة حيس ، والمدرسة الرابعة في ذي سفال[٣] في رباط البريهي[٤] .

وفضلاً عن ذلك ، شاركت بعض النساء ممن ينتمين إلى البيت الرسولي في إنشاء وتعمير عدد من المدارس بهدف نشر التعليم وتنمية الحياة العلمية ببناء مثل هذه المنشآت مثل الحرة ابنة الأمير شرف الدين محمد بن علي بن رسول التي قامت بتعمير مدرسة ضراس في ناحية ذي سفال[٥] ، والحرة زهراء ابنة الأمير بدر الدين بن الحسن بن علي بن رسول والدة الأمير بدر الدين محمد بن أحمد بن خضير بن الحسام التي عرفت بأنها كانت من أعيان النساء حازمة لبيبة ، وقد ابتنت المدرسة المنسوبة إلى بني خضير بقرية الجنابي بذي جبلة والمعروفة بمدرسة بني خضير ، وقد دفنت فيها كما دفن فيها ابنها الأمير بدر الدين وعدد من أفراد أسرته[٦] .

كما شاركت جواري نساء بني رسول في تعمير المدارس وغيرها ، وبذلن في ذلك الأموال اقتداءً بسيداتهن مثل ماشطة الحرة بنت جوزة التي تنسب إليها المدرسة الشقيرية في مدينة الجند[٧] . والمدرسة الزاتية التي بنتها إحدى وصيفات الدار النجمي في ذي جبلة ونسبتها إلى بانيها ، وأوقفت عليها وقفاً جيداً يقوم بها[٨] ، كما شيدت الحرة حَلل بنت عبدالله الحسيني التي كانت إحدى حظايا الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي في سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م مدرسة برأس وادي نخلان شمال الجند بموضع يعرف بالظهرة وعرفت بمدرسة حَلل ،

---

[١] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٢ .

[٢] بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٦٨ ؛ إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص٣١٠ ؛ رابضة ، أحمد صالح : من تاريخ المدرسة الياقوتية في عدن ، بحث منشور في كتاب المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٠م ، ص٢٣٢ .

[٣] ذي السُّفال : بلدة عامرة تقع جنوب جبل التَّعْكَر وشمال تعز . إسماعيل الأكوع : البلدان اليمانية ، ص١٥٠ ؛ جسار الله ، عبد الرحمن حسن : ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية ، ط١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٥ – ٧ .

[٤] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص١٤٤ ، ٢٧٨ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٧٧ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٩٨ .

[٧] كانت هذه الماشطة زوجة لمملوك اسمه شقير ، وكانت موصوفة بالخير والصدقة ، وعندما حضرتها الوفاة ولا وارث لها أوصت بدارها وأرض كانت لها لأولاد سيدتها ، فلما بلغ بنت جوزة ذلك قالت : " أولادي في غنى عن ذلك " ، وأمرتها أن تجعل دارها مدرسة وتوقف عليها الأرض ففعلت . الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٦٥ – ٦٦ .

[٨] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٥٣ .

وقد كانت تلك المدرسة في الأصل داراً تسكنها فحولتها إلى مدرسة ، وانتقلت إلى بيت آخر بنته بالقرب منها ، وقد عملت بمناسبة افتتاحها سماطاً عظيماً حضره عدد من كبار الشخصيات في المجتمع كالأمير علي بن يحيى العنسي والأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن رسول وغيرهم ، وأوقفت على المدرسة والطلبة بها وقفاً جيداً من أملاكها[١] ، في حين شاركت بعض نساء العامة في إقامة المدارس موقفات بيوتهن اللاتي يسكن بها كمدارس باذلات في ذلك ما يملكن من أموال مثل الحرة سيدة بنت أحمد النظاري التي بنت مدرسة النظاري في عزلة الحرث من مخلاف بعدان من أعمال إب[٢] وأوقفت عليها وقفاً جيداً[٣] ، كما أنشأت امرأة أخرى مدرسة في قرية المنظاري وأوقفت عليها وقفاً جيداً ، وهي التي درس بها الفقيه أبو محمد الحسن بن علي بن فضل (ت : ٧١٨هـ / ١٣١٨م)[٤] .

ولم يقتصر دور نساء بني رسول على إنشاء هذه المدارس فقط والاكتفاء بذلك ، بل شارك بعضهن في البحث عن القائمين عليها من المدرسين وغيرهم ممن يجدن فيهم الكفاءة والمقدرة والخبرة في التعليم في مدارسهن ، ويذكر عن الدار النجمي ابنة الأمير شمس الدين علي بن رسول أنها كانت عندما تبني مدرسة تتولى هي شخصياً أو تكلف من يبحث لها عن الفقهاء الذين يتميزون بالعلم والفقه والصوت الحسن ، وتطلبهم لتعليم الأطفال في المدارس التي أنشأتها ، ومن هؤلاء الفقيه سعيد بن أسعد بن علي الحرازي الذي عرف بعلمه وحسن صوته ، وقد استدعته إلى ذي جبلة فصار معلماً في مدرستها هناك[٥] ، في حين ساعد على تطوير الحياة العلمية العناية والاهتمام الذي لقيه العلماء على يد بعض نساء الأسرة الرسولية مثل جهة صلاح أم المجاهد التي كانت تحب العلماء والصالحين وتكرمهم بالأموال والكسوات وتجلهم وتعظمهم[٦] .

٣- مساهمتها في الحياة العلمية والثقافية :

كان من الأمور التي ساهمت فيها المرأة ، رغبة منها في تطوير ونشر التعليم بين الناس في العصر المذكور ، التدريس وقيادة حلقات العلم ، وقد شهد المجتمع في هذا الخصوص ظهور العديد من النساء النوابغ اللاتي برز نجمهن في هذا الجانب وغيره من الجوانب المتعلقة بالحياة العلمية والثقافية ، وممن اشتهرن بذلك ابنة الفقيه أبي عمر بن عبد الرحمن بن حسان المعروف بالقدسي (ت : ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) التي كانت من خيار النساء

---

[١] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٦ ، ٤٥٥ ؛ إسماعيل الأكوع : المدارس الإسلامية ، ص١٤٧ – ١٤٨ .

[٢] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٢٨ ؛ إسماعيل الأكوع : المرجع نفسه ، ص٢٣٨ – ٢٣٩ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٣٥ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٤٢٧ .

[٥] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٣٣٤ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١١٨ .

حازمة عفيفة قارئة كاتبة ، ويبدو أنها كانت تدرس في الرباط الذي بناه والدها في الـذهوب تحت إب ، حتى أن الجندي[١] يقول إن الشيخ عيسى بن محمد بن عمـران الصـوفي عنـدما تزوجها كانت في الرباط المذكور ، ومعنى هذا أنها كانت تقيم أو تدرس فيه ، كما اشـتهرت الحرة الصالحة هند بنت محمد بن علي القوتاتي زوجة الفقيه أحمد بن عمر بن يوسف المكني بأنها كانت عالمة صالحة لما حفظته من فنون العلم ، وقد بلغ من حبها للتدريس أن تخصـص لنفسها وقتاً تدرس فيه الطلاب من منتصف الليل إلى الضحى ، وقد انتفع بها وبعلمها العديـد من الناس ، لما كان لها من باع طويل في التدريس ، حتى أنه كان يقال لأولادها أبناء المعلمة لطول عملها في التعليم[٢] .

وعلاوة على ذلك برز دور بعض النساء في عملية تأليف الكتب المفيدة ، واشـتهر بعضهن بخط هذه الكتب ونسخها ، وممن عرفن بذلك الشريفة العالمة صفيـة (ت : ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) بنت المرتضى بن المفضل بن منصور من ذرية الإمام الهادي يحيى بـن الحسـين التي اشتغلت بالعلم منذ صغرها ، فدرست على يد والدها وتفوقت في الفقه والأصول واللغة ، ولم يكن لها عمل غير العلم والاجتهاد فيه ، لهذا كانت كاتبة فصيحة ، تقول الشعر بإحكـام ، حسنة الخط ، نسخت كتباً كثيرة ، وبلغت بعلمها وفقهها إلى درجة الإفتاء في بعض المسـائل وقيادة حلقات العلم ، وقد صنفت بعض الكتب ، ونسبت إليها بعض الرسـائل منهـا الرسـالة الموسومة بـ : " الجواب الوجيز على صاحب التجويز " ، ولها رسالة بديعة جعلتها وصـية لابنتها الشريفة حورية بنت محمد بن يحيى القاسمي ، ومما يدل على سـعة علمهـا وبحـر معرفتها أنها كانت تناقش كبار الفقهاء وتراجعهم في كثير من المسائل العلميـة ، حتـى قـال أحدهم عنها : " صفية بنت المرتضى فائقة نساء زمانها خارجة عن النظـراء والأشـباه "[٣] ، ويبدو أنها أثرت ابنتها حورية بنت محمد المرتضى بالعلوم ، فأصبحت جليسة الدفاتر والأقلام والمحابر كأمها ، وأجازها كبار فقهاء ذلك العصر وأقروا بعلمها فصارت أكمل نساء عصرها وأزهدهن[٤] ، كما اشتهرت الحرة هند بنت علي بن محمد القوتاتي زوجة الفقيه عمر بن يوسف الحفصي في منطقة وصاب بأنها كانت امرأة عالمة فقيهة صالحة كاتبة مشهورة بالدين والصلاح والتقوى لا تنام الليل إلاّ أوله ثم تقوم للعبادة والقراءة والتدريس ، وقد ظلت تنسخ الكتب إلـى وقت متـأخر من عمرها لتمتعها بسمعها وبصرها وعقلها وجميع حواسها رغم كبـر سنها[٥] ،

---

[١] السلوك ، ج٢ ، ص٦١ .

[٢] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢١٢ .

[٣] زبارة : خلاصة المتون ، ص٤١ .

[٤] المرجع نفسه والصفحة .

[٥] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص٢٢٧ .

وكانت الشريفة العالمة فاطمة (ت : ٧٩١هـ / ١٣٨٨م) بنت الإمام المهدي علي بن محمد (ت : ٧٧٣هـ / ١٣٧١م) أخت الإمام الناصر لدين الله صاحبة رأي سديد ودين قويم ، وكان لها عدد من المؤلفات في مجال الفقه واللغة ، وقد شبهها أحد الشعراء ممن رثوها بعد موتها بأميرة المؤمنات لما عرف عنها من دين وطاعة ، فقال فيها :

أمير المؤمنين أخوك فينا وأنت أميرة للمؤمنات[١]

وفضلاً عن ذلك ، كان للشريفة دهماء بنت يحيى بن المرتضى صاحبة العلوم الواسعة والتصانيف النافعة في مختلف العلوم عدد من المصنفات ، أهمها : " شرح الأزهار " أربعة أجزاء ، وَ " شرح منظومة الكافي " في الفقه والفرائض ، وَ " مختصر المنتهي " في أصول الفقه ، وَ كتاب " الجوهر في علم الكلام " ، وقد تعلمت وقرأت على يد أخويها الهادي ابن يحيى والإمام المهدي أحمد بن يحيى ، وصارت من نساء العلم والفقه ، وسخرت ما تبقى من عمرها للتدريس في ثلا حتى وافتها المنية سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م[٢] ، كما كانت الشريفة فاطمة بنت المهدي أحمد بن يحيى من أشهر نساء عصرها علماً ومكانة ، وكانت لديها القدرة على استنباط بعض المسائل والأحكام الفقهية بعد الرجوع إلى نفسها وعلمها ، وهو ما كانت تناظر به والدها ، وقد بلغ من علمها وفقهها إلى أن زوجها الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي (ت : ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) كان يرجع إليها في حل بعض المشكلات العلمية ، وكان إذا دخل إليها وأطلعها على ما معه يخرج من عندها حاملاً الحل ، وعندها يقول له أصحابه : " ليس هذا من عندك وإنما هو من خلف الستار " ، وفيها يقول والدها :

ونساؤنا فاقت أئمة غيرنا في الفضل والتدريس والأخلاق[٣]

وفي هذا الصدد أيضاً برزت العديد من النساء اليمنيات ممن تلقين العلوم على يد علماء وفقهاء يمنيين وغير يمنيين خارج اليمن لاسيما في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقد كان لهؤلاء النسوة دور في تدريس وإقرار وإسماع في بعض العلوم كعلم الحديث[٤] .

صفوة القول ، أن ما وصلت إليه المرأة من مكانة على مستوى حياتها الاجتماعية والسياسية والعلمية جاء نتيجة لما أعطي لها من ثقة وحرية في التصرف والخروج والمشاركة الفاعلة ، ولِمَا تميزت به من دهاء وخبرة في وزن الأمور وتسييرها ، وما امتلكته من أموال ساعدتها على الصرف بسخاء ، فضلاً عمَّا وصل إليه بعضهن من علم مكنهن من الارتقاء بين

---

[١] زبارة : خلاصة المتون ، ص٤٢ - ٤٣ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤٧٩ .

[٢] الحبشي : معجم النساء اليمنيات ، ص٧٥ ؛ جرادة : الأدب والثقافة ، ص٣٢٣ .

[٣] الحبشي : المرجع نفسه ، ص١٤٩ ؛ جرادة : المرجع نفسه ، ص٣٢٣ - ٣٢٤ .

[٤] عن هؤلاء النسوة انظر : الحبشي : المرجع نفسه ، ص٩٠ ، ١٠٠ ، ١٨٩ ، ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٧٤٠ - ٧٤١ .

الناس ، وما قمن به من دور في التربية والتنشئة الاجتماعية وتقديم النصح ، وقد أدت تلك الأمور إلى أن تكرم المرأة ، وتعطى لها فرصة للمزيد من المشاركة في جوانب الحياة المختلفة ، وإلى أن تصل إلى أرقى درجات التوجيه والزعامة والقيادة ، مع قيام بعضهن بدور الحاكم والسلطان والشيخ والعالم والفقيه والمفتي والمحسن ، وذلك كله بفضل ما حصلت عليه من حقوق قد تفتقدها اليوم العديد من نساء عصرنا .

الفصل السادس

دور الدولة الرسولية في الحياة الاجتماعية

تمهيـــد :

أولاً : نشر العدل في المجتمع

ثانياً : تحسين المستوى المعيشي للناس

ثالثاً : حماية المجتمع من الجريمة

رابعاً : محاربة الظواهر السيئة والمنكرات

خامساً : سن الأعراف والقوانين المنظمة لحياة الناس وحل مشكلاتهم

سادساً : إنشاء القرى وحماية ساكنيها

سابعاً : إنشاء المؤسسات الدينية والخدماتية

ثامناً : تشييد المنشآت التعليمية

تاسعاً : الاهتمام بأوضاع الناس الصحية والبيئية

عاشراً : مساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام

تمهيـــد :

سعت الدولة الرسولية منذ قيامها سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م إلى تثبيت دعائم حكمها في اليمن وترسيخ وجودها بأساليب مختلفة ، فكان اهتمامها بالقضايا الاجتماعية للناس من أهـم تلك الأساليب التي ساعدتها على إقرار الأوضاع في البلاد ، لإدراكها لما لإهمـال حقـوق الناس ومصالحهم من أثر سلبي قد يؤثر على زعزعة أمن وسلامة المجتمع ، لذلك اتبعـت الدولة عدداً من الإجراءات التي انصبت جميعها في مصلحة الناس ، وكان أهمها :

أولاً : نشر العدل في المجتمع :

كانت قضية العدل ونشره في المجتمع ، والنظر في مظالم الناس والفصل فيهـا ، وإنصاف المظلوم من القضايا الأساسية التي لقيت عناية واهتماماً من قِبل الدولة ومن يمثلونها من الأمراء والولاة والمقطعين والقضاة ، لإدراكها لما قد يترتب عليه غياب العدل من انعدام الاستقرار وتشجيع الفوضى وربما اشتعال نيران الثورات والتمردات التي تهدد أمـن الدولـة واستقرارها ، ويظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن بعض سلاطين الدولة الرسولية استوعبوا هـذه المسألة وأدركوا عواقبها ، فذهبوا إلى تكريس جهودهم لرفع الظلم عن رعيتهم بنشر العدل وفتح أبواب قصورهم لاستقبال مظالم الناس وإعطاء كل ذي حقٍ حقه ، ومحاسبة القائمين على حقوق ومصالح الناس ومساءلتهم عند الحاجة[١] لضبط الموازين في دولتهم[٢] ، لذلك وصفت الدولة الرسولية منذ قيامها بالعدل ، وهذا ما عبر عنه المعلم وطيوط[٣] بقوله : " وكان أحسن الدول في اليمن دولة بني رسول التي أولها منصور ، وكان فيهم من الكمال وحسن السياسة والعدل والإنصاف وقلة سفك الدماء ما لم يكن في غيرهم " . وهو وصف ينطبق تماماً على دولـة السلطان المظفر الأول التي عرفت بأنها كانت أقرب إلى العدل والرأفة ، وقد بلغ من خوفـه على مصالح رعيته أنه متى ما أقطع والياً على منطقة أوصاه بالعدل في الرعية ، وحذره من التمادي في ظلمهم ، مثلما فعل مع الأمير أبي بكر بن فيروز عندما أقطعه بلد صهبان ، فأوصاه في المجلس الذي قُرئ فيه منشور إقطاعه بأربع خصال وحذره أمام الحضور من عدم الالتزام بها ، وكان أهمها العدل بين الرعية ، وهي من الوصايا التي تدل على خير السلطان المظفر وتوفيقه وعدله[٤] ، حتى أنه كان يعد من السلاطين الذين لا يكلفون الناس فـوق طـاقتهم ،

---

[١] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٢] كثيراً ما يحدث اختلال في هذه الموازين من قبل سلاطين بني رسول ، ففـي الوقت الذي تشير فيه المصادر إلى ظلـم بعض هؤلاء السلاطين وإجحافهم في حق رعيتهم في أوقات ، نجدهم في أوقات أخرى من أكثر المدافعين عن مصالحهم ، و يبدو أن ذلك يعود للاعتبارات السياسية التي تحدد من مواقف الرعية والتي تدفع السلاطين إلى التشديد عليهم ، حتى أنه بمجرد هـدوء الأوضاع واستقرارها تبدأ الدولة بالتعديل في سياستها تجاه رعيتها ، وللمقارنة انظر فيما سبق : ص٣١٦ – ٣٢٤ .

[٣] تاريخ العلم وطيوط ، ق٧٨أ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٧ . وانظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص٥٦ .

ومتى ما اشتكى أهل جهة من عامل من العمال أو كاتب من الكتاب عزله عنهم ولا يعيده إلى تلك الجهة أبداً خوفاً من غائلته عليهم[١] ، وقد بلغ من عدل السلطان المظفر الأول أنه لم يكن ليحكم على عماله وولاته وقضاته بموجب ما يقدم ضدهم من مظالم وشكاوى حتى لا يظلم أحداً منهم بل كان يكلف من رجاله من يقوم باستقصاء الحقيقة من صحة ما جاء في الشكوى ، وعادة ما يكلف لهذه المهمة قاضي القضاة لاسيما إذا كانت الشكوى ضد قاضي مدينة أو قريسة[٢] ، وإذا دعت الحاجة تدخل المظفر شخصياً لمعرفة الحقيقة ، لِمَا كان لمصلحة الرعية عنده من اهتمام قد يفوق اهتمامه بولاته وعماله ، ولعل أبرز مثال على ذلك الشكوى التي تقـدم بهـا أهالي مدينة عدن ضد ناظر المدينة شمس الدين أبي عبدالله محمد الجـزري الـذي عـرف بفظاظته وظلمه لهم ، حيث أمر بعزله أولاً عن منصبه مع المكانة التي احتلها هذا النـاظر عند المظفر إلى أن تأكد له صدق دعوى أهالي المدينة وثباتها ، ثم أمر بمصادرته وضـربه وتغريمه مبلغ ثلاثمائة ألف دينار ، ثم أمر في الأخير بمحاسبته على ما اقترف مـن أفعـال بحق الناس ، فضرب وعصر[٣] إنصافاً لأصحاب الدعوة[٤] .

كما بلغ من عدل دولة السلطان المظفر الأول قبول قاضي القضاة الدعوى التي رفعها أهالي وادي زبيد وأهالي وادي رمع ضد السلطان شخصياً لتقاعسه عن حمايتهم ومعاقبة رجال قبيلـة المعازبة لمهاجمتهم أراضيهم وأملاكهم التي أحرقت وأموالهم التي اغتصبت تحت علم السلطان المسؤول عنهم وعن أمنهم ، وقد أصدر قاضي القضاة أوامره بطلب السلطان المظفر للوقوف بين يديه في مجلس القضاء للنظر في تلك الدعوى ، فلما جاء قال له القاضي : " هؤلاء الرعية جاءوا مشتكين بك . ثم أن الرعية قاموا وقالوا للقاضي : انصفنا من الملك . قال القاضي : ما تشكون منه . قالوا : أنه جبانا وما حمانا . فقال للملك : ما تقول فيما ذكره الرعية . قال : اشتهي المهلة شهراً فأمهلوه "[٥] . وفي خلال الشهر أعد الرجال وجمع الأموال والخيل التي أنصف بها رعيته بمهاجمته لقبيلة المعازبة والقضاء على المفسدين فيها[٦] .

وليس من شك في أن سلاطين بني رسول الذين تولوا بعد السلطان المظفر الأول قد اقتدوا بسياسته وعدله في إنصاف الرعية حتى أن أكثرهم اشتهروا بالعدل والإنصاف وابطال

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٠١ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥٨٠ – ٥٨١ .

[٣] العصـر : نوع من أنواع التعذيب في العصر المملوكـي ، وكثيراً ما يعذب به الوزراء وأصحاب الأموال الكثيرة ، لأجل أن يعترفوا بما يخفونه من أموال ، وكيفية ذلك أن يوضع الشخص أو أطرافه بين خشبتين ويضغط عليه حتى تكاد تزهق روحه ، ثم يحل عنه ويطلب إليه بأن يعترف بما عنده من أموال . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص١١٣ .

[٤] بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ، ج٢ ، ص٢٢١ .

[٥] المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٥٧أ – ب .

[٦] المصدر نفسه ، ق٥٧ ب .

المحدثات وإزالة المظالم منذ لحظة توليهم الحكم لخلق حالة من الاستقرار والهدوء بين الناس[١] .
وقد ركز هؤلاء السلاطين على أهم القضايا الاجتماعية ومنها قضية المظالم وفتحوا أبواب مجالسهم لها لما فيها من إنصاف وعدل للرعية ، وكان السلطان المؤيد ممن اهتموا بمظالم الناس حتى إنه كان يستقبلها وهو في خلواته أو في زياراته الخاصة ، وكان يجيب عن كل واحدة منها بما تستحق[٢] ، فضلاً عن مناصرته للمظلومين من بسطاء رعيته الذين يتعرضون لظلم وجبروت المقربين منه ، وخروجه بنفسه لمعاقبتهم لاستغلالهم مراكزهم في اضطهاد البسطاء والتعدي على حرمتهم[٣] ، كما كان ولده المجاهد يرد على قصص المظالم بنفسه ويكتب عليها بخطه بما فيه من إنصاف للشاكين[٤] ، في حين دفعت المظالم بعض سلاطين بني رسول إلى النزول إلى أصحاب الشكوى من الرعية للسماع منهم شخصياً وحل مشكلاتهم بما يتناسب ونوعية المشكلة[٥] .

وإضافة إلى ذلك ، أولى معظم السلاطين اهتماما للشكاوى المقدمة ضد بعض الشخصيات ومنهم القيادات المتنفذة في الدولة ومشائخ وزعماء القبائل وغيرهم من المسؤولين عن مصالح الناس ومصائرهم ، وراحوا يحاسبونهم إذا ما ثبتت إدانتهم وتورطهم في بعض قضايا الفساد والنصب بغض النظر عن موقعهم أو مسؤوليتهم أو مستواهم الاجتماعي . ومع ما وصل إليه بعضهم من مكانة وجاه ونفوذ في المجتمع إلاّ أن سيرتهم وتصرفاتهم مع رعيتهم كانت خاضعة لرقابة السلاطين الذين قد يمهلون الوالي أو الأمير أو المقطع أو الشيخ الوقت ليعدل في سلوكه مع الرعية ، ولا يهملون مراقبة سيرته التي إذا تمادى فيها أمروا بمحاسبته إنصافاً لمن ظلمهم ، ويذكر أن السلطان المجاهد عندما لاحظ تمادي والي الكدرا ابن حسين في ظلم الناس وتعذيبهم ونهبهم سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م أمر بالقبض عليه لإدانته بكل ما فعل ، فعوقب بالضرب المبرح وأنواع العذاب كما كان يفعل بالرعية ، ثم وسط[٦] لعظم جرمه ، وقطع رأسه وطيف به[٧] ليكون عبرة لغيره من الظلمة والمفسدين ، كما دفعت تصرفات والي زبيد الأمير شهاب الدين أحمد بن سمير سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م السلطان الأفضل العباس إلى القبض عليه ومصادرة أمواله وتعذيبه ، لاستغلاله منصبه في مصادرة أموال وأملاك الناس هناك ، وتعذيبه

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٨ ؛ ج٢ ، ص٦٥ – ٦٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٠ .

(٢) الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٣) كان السلطان المؤيد غيوراً على حرمة رعيته وشرفهم ولا يتوانى في استعمال العنف على من يتعدى عليها . انظر فيما سبق عن بعض المواقف التي تدل على نخوة المؤيد ونجدته للبسطاء من الناس ضد بعض من أصحاب السلطة : ص٩٠ .

(٤) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص٤٧ – ٤٨ .

(٥) سوف يتم التفصيل عن ذلك لاحقاً . انظر : ص٤١٢ – ٤١٣ .

(٦) عن هذا الشكل من أشكال الإعدام المعروف بالتوسيط وكيفية تنفيذها انظر فيما سبق : ص٤٦ .

(٧) الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٢٥ – ٦٢٦ .

وقبضه وحبسه وقتله الكثير منهم دون أي سبب يذكر ، فضلاً عن طلبه من أهل زبيد ما فوق طاقتهم ، حتى أن بعضهم افتدوا أنفسهم منه بما طلب بعد تعرضهم للسجن والتعذيب ، ولم يزل على هذا السلوك السيئ والسيرة الظالمة حتى ضاق صدر السلطان منه فأمر بالقبض عليه ومحاسبته عمّا اقترفه[١] ، في حين سعى السلطان الأشرف الثاني لإنصاف الناس من المتنفذين في الدولة والمسؤولين عن أموال البسطاء منهم ، مثلما فعل سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م في الأعمال السهامية مع القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم ، والأمير شمس الدين علي بن حسن السقيم شاد الدواوين سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م اللذين استغلا منصبيهما لابتزاز الناس ونهب أموالهم وتعذيبهم ، فأكسبهم ذلك الأموال الطائلة التي أخضعتهم للتساؤل من قبل السلطان عن مصادرها ، فصودروا وحوسبوا على ما أخذوه من الرعية ، بعد أن ثبتت شبهة مصادرهم ، وتم تغريمهم مبالغ مالية كبيرة عقاباً لما اقترفوه[٢] .

والجدير ذكره ، أن سلاطين بني رسول لم ينظروا إلى المتنفذين في الدولة على أنهم عِلية القوم ومِنْ ثَمَّ يمكن التجاوز عن ظلمهم وجورهم ، بل نظروا إليهم على أنهم مسؤولون عن مصائر رعية السلطان وأموالهم ، وهو ما دفع بعض السلاطين إلى عدم غض الطرف عن أعمالهم وأفعالهم التي يتحقق العدل بمحاسبة هؤلاء المتنفذين ومعاقبتهم .

وفي الوقت نفسه ، شددت الدولة على مشائخ وزعماء القبائل ، وراحت تحاسبهم إذا ما اخلوا بأمن رعيتها وتمادوا في ظلمهم ، ومع مكانة هؤلاء المشائخ الاجتماعية إلاّ أن محاسبتهم من قبل الدولة قد تصل إلى القتل إذا ما دعت الحاجة ، مثلما حدث في سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م عندما قتل الشيخ عكم بن وهبان صاحب أبيات حسين بعد أن كثر فساده وازدادت أفعاله القبيحة في حق رعية السلطان من التجار وغيرهم في أبيات حسين بعد نهبه أموالهم ومجاهرته بذلك دون خوف أو رهبة من الدولة ، مع علم السلطان المجاهد بأفعاله هذه التي وصلت إلى القتل والنهب وتغافله عسى أن يصلح حاله ، إلاّ أن تماديه دفع المجاهد إلى إرسال بعض رجاله إلى هناك بحجة جباية الأموال في جهته ، وهناك قبض على الشيخ عكم وتم قتله بأمر من السلطان[٣] ، ومثل هذا الحزم فعله السلطان الظاهر مع الشيخ عثمان الزحافي في تهامة سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م بعد أن وصل إليه خبر قيامه بجباية المسافرين في الطرق وابتزازهم ونهب أموالهم مستغلاً مشيخته للمنطقة وكسبه الأموال من وراء ذلك ، وبأمر من السلطان هوجم بيته ونهب ما فيه من أموال بعد هروبه[٤] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٣٩ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٠أ – ب .

[٣] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٢٠ب ، ١٢١أ – ب .

[٤] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٢٢ ، ٢٥٩ .

وكيفما كان الأمر ، فقد دفعت كثرة المظالم والرغبة في إزالتها ونشر العدل بين الناس وإنصاف المظلوم بعض السلاطين إلى أن يقيموا بيوتهم ودورهم في أماكن قريبة من الأسواق التي تكثر فيها المعاملات التجارية بين أصحاب الأموال من كبار التجار وصغارهم أو بين الباعة والمشترين للاطلاع بشكل دائم على ما يدور في هذه الأسواق من معاملات قد يشوبها الظلم والجور على من لا مال له من بسطاء الناس العاملين في هذه الأسواق أو المشترين منها ، ويعد السلطان المظفر الأول أول من ابتدع ذلك في أثناء إقامته في حصن تعز ، إذ أنشأ داراً هناك عرفت بدار العدل بجانب سوق باب العقل ليكون على مقربة من أصحاب المعاملات التجارية ولإنصاف المظلوم من الظالم هناك ، كما فعل السلطان المجاهد ذلك حين أنشأ دار العدل في سوق الأحد بذي عدينة وجعلها قريبة من هذا السوق ومشرفة عليه للاطلاع على ما يدور فيه ولينصف المظلومين مما قد يتعرضون له من ظلم كبار التجار[١] .

وفي هذا الصدد ، استحوذت قضية العدل والمظالم على اهتمام بعض رجال الدولة الرسولية ممن عرفوا بعدلهم وإنصافهم للمظلومين ومنهم عمر بن العماد شاد الدواوين الذي اشتهر برفقه بالناس وكشفه لمظالمهم وقمعه للظلمة من الكتاب وغيرهم ، حتى إنه متى ما وصله مظلوم كشف مظلمته وقمع ظالمه ، وكان الناس إذا ذكروه من بين المشدين أثنوا عليه ، وقال بعضهم : " كنا متى جئناه أدنانا منه وسمع كلامنا وأزال مظلمتنا ، وإن شكونا عليه من والٍ أو متصرف أحضره لنا وسوى بيننا وبينه في المجلس وقوى قلوبنا على مقاومته ، فإذا أتضح له أنه أحدث علينا ظلماً أو حيفاً عزله بعد أن يلزمه إعادة ما ظلم "[٢] . كما عرف عن النقيب شمس الدين علي بن أحمد بن عمر بن أسود متولي سوق الصيفر في وصاب عدله وإنصافه للمظلومين ، وقد بلغ السوق من السمعة الطيبة ما جعل الناس يضربون به المثل لما فيه من إنصاف ، ولانفراده بهذه الصفة التي انعدمت في غيرها من أسواق وصاب ، كما بلغ من عدل النقيب المذكور أنه متى ما اختصم شخصان حول قضية وامتنع أحدهم عن أداء ما عليه من حق فإنه يحضره إلى القاضي طوعاً أو كرهاً وإن كان ذا مكانة ، وإذا ثبت عليه الحق لم يبرح مجلس القضاء حتى يسلم ما عليه أو يبرأ منه أو يرضي خصمه ، وكان قول الضعفاء والفقهاء مقبولاً عنده ، ويستوي في مقامه القوي والضعيف والدنيء والشريف[٣] .

وعلاوة على ذلك ، فقد شددت الدولة وولاتها وعمالها على تطبيق العدالة بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن مذهبهم أو ديانتهم لنبذ الظلم بينهم ولإنصاف الأقليات من أهل الذمة (اليهود) الذين كانوا يعيشون في المدن والقرى بين المسلمين في ذمة الدولة

---

[١] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٨٢ ، ٦٩٣ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٤ – ٥٧٥ .

[٣] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٠ .

وحمايتها ، وراحوا في محاسبة كل من يحاول أذيتهم أو التعدي عليهم[1] ، لذلك عندما قتل الفقيه أبو محمد سفيان بن عبدالله الأبيني رجلاً يهودياً في عصر السلطان المظفر الأول في مدينة عدن وبلغ الخبر إلى أمير المدينة ثار لهذه الجريمة وخرج بنفسه للقبض على الفقيه المذكور وأودعه السجن لفعلته هذه[2] .

صفوة القول ، إن الإجراءات الصارمة التي اتخذها سلاطين بني رسول ومن يمثلونهم والهادفة إلى نشر العدل في المجتمع قد ساعدت على استقرار حياة الناس ونشر الطمأنينة بينهم لشعورهم بدور الدولة وصرامتها في إنصافهم وحماية مصالحهم من المتنفذين وأصحاب السلطة والجاه ، فضلاً عن إدراكهم لجهود بعض هؤلاء السلاطين الذين فتحوا مجالسهم لمظالم وشكاوى عامة الناس ، وما تتركه تلك الشكاوى من صدى في تلك المجالس التي يكلف فيها من يتقصى الحقائق لإنصاف المظلوم من الظالم ، حتى إن ذلك كان من أبرز الأدوار التي أدتها الدولة في الحياة الاجتماعية للناس في العصر المذكور .

ثانياً : تحسين المستوى المعيشي للناس :

كانت مسألة تحسين معيشة الناس من أهم المسائل التي لقيت عناية واهتمام سلاطين بني رسول رغبة منهم في إخراج فئة واسعة في المجتمع من الفقر الذي وصلوا إليه بسبب كثرة إجراءات الدولة في فرض الضرائب المختلفة على رعيتها ، وزيادة نسبة الفقر لعدم وجود فرص العمل للعديد منهم وكثرة الكوارث الطبيعية والبيئية التي تعرضوا لها ، وقد أدت الدولة الرسولية دوراً كبيراً وبارزاً في هذا الجانب من جوانب الحياة الاجتماعية للناس لاسيما عند تدخل السلطان وسعيه إلى تحسين أحوالهم المادية والمعيشية بأساليب وطرق مختلفة كان أهمها إبطال أو تخفيف الجبايات المتعددة من الضرائب والمكوس والعشور التي كانت يفرضها عليهم بالقوة المسؤولون عن ذلك من الجباة والمشدين والعمال وغيرهم . ومع جور تلك الضرائب المرهقة التي كان يفرض بعضها بعض السلاطين إلاّ أن تولي غيرهم من السلاطين وإبطالهم لبعض تلك الضرائب أو التخفيف منها قلل من المعاناة كثيراً ، ويعد السلطان المظفر الأول من أكثر سلاطين بني رسول اهتماماً بأوضاع الناس المادية والمعيشية حتى أنه اتخذ العديد من الإجراءات التي تصب في مصلحة عامة الناس ، منها فرضه رقابة مشددة على الولاة والعمال المسؤولين عن جباية الضرائب ، وترقب ما يتم إيراده إلى خزينة الدولة من أموال من المناطق المختلفة حتى إنه إذا زادت جهة في خراجها عن المعتاد أو نقصت في خراجها المعتاد سأل عن سبب الزيادة أو النقصان ، فإذا كانت الزيادة من بدعة ابتدعها

---

[1] مع أن هناك بعض التجاوزات التي حدثت في حق اليهود في ذلك العصر . انظر فيما سبق : ص١٩٩ – ٢٠٠ .

[2] الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٤٦ – ١٤٧ .

العامل في جباية الناس وابتزازهم ، أو نقصان لخراب في الجهة أو إهمال العامل وتخاذله في إصلاح ما خرب أدب العامل أدباً بليغاً وصادره واستغنى عن خدمته[١] ، كما عمل على إبطال بعض الضرائب التي كانت تؤخذ دون أي وجه حق منها ضريبة المعونة[٢] التي أحدثها والده السلطان المنصور[٣] . وكان السلطان المظفر يوصي المقطعين عند توليهم لإقطاع أي منطقة أن يزيلوا عن الرعية الجور والاعتساف ، وأن يأخذوا منهم الضرائب المعروفة في الديوان ، وأن لا يحدثوا عليهم حادثاً ما لم تجر به العادة[٤] .

إلاّ أن من أكثر الأسباب التي دفعت سلاطين بني رسول إلى إلغاء بعض الضرائب الجائرة على الناس هو المستوى المعيشي المتدهور الذي وصلت إليه حالة بعضهم بسبب ما واجهوه من الكوارث البيئية ، لذلك راعى بعض السلاطين الكوارث التي يتعرض لها الفلاحون فراحوا يرسلون المندوبين عنهم للتأكد من مدى حجم الخسائر التي تعرضت لها أراضيهم ومحاصيلهم وتحديد ما سوف يفرض عليهم من جباية . وكان السلطان المظفر الأول من أكثر سلاطين بني رسول مراعاة لهذه الأمور ، حتى أنه راح يرسل المبشرين من الديوان في مثل هذه الحالات ليقدروا مدى الأضرار التي تعرضت لها أراضي الفلاحين بسبب مهاجمة الجراد لها أو الحشرات الزاحفة أو البرودة أو كثرة الأمطار وغزارتها وما تسببه من سيول جارفة لهذه الأراضي والمحاصيل ، ومِنْ ثَمَّ تحديد ما عليها من خراج أو مسامحات في حالة تعرض جميع ما في الأرض من محصول للتلف ، وبالتالي إسقاط ما على صاحب الأرض من زكاة أو عشور أو جباية[٥] .

وعلاوة على ذلك ، فقد كان للكوارث الطبيعية والبيئية المتعددة التي تعرض لها الرعية صداها عند معظم سلاطين الدولة الرسولية الذين – مع جور بعضهم وظلمه – أخذوا في تقدير خطورة الوضع المتدهور للناس الذي يستدعي ضرورة تدخلهم بإسقاط بعض الجبايات بعد تأكدهم عن طريق مندوبيهم من صحة ما يعانيه الرعية من ظلم ، فراحوا يرفعون الجور عنهم ، وقد كان السلطان الأشرف الأول عمر ممن راعوا أحوال الناس وسامحوهم بسبب ما تعرضوا له من جور وكوارث ، حتى أنه عندما هاجم الجراد مزارع أهالي وادي زبيد وأكل زرعها وأخربها أمر بمسامحتهم مسامحة تامة في خراج أراضيهم بعد أن قدم هؤلاء الشكاوى واصفين له أحوالهم المعيشية المتدهورة ، وقد دفعت هذه المسامحة التي أثرت على خزينة الدولة وزيره حسام الدين حسان بن أسعد العمراني إلى

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٢] تم الحديث عن المعونة سابقاً انظر : ص٣٢٠ .

[٣] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٠ .

[٤] نور المعارف : ج٢ ، ص٥٦ .

[٥] المصدر نفسه : ج١ ، ص٣٨٢ .

رفض أوامر السلطان في مسامحة الأهالي ؛ مما دفعهم إلى أن يتوجهوا بدعوى أخرى إلى السلطان شاكين تمنع الوزير عن تنفيذ أوامره ، فكتب إليه الأشرف قائلاً : " يا فلان اقتصر عنهم ولا تفرقهم يصعب علينا جمعهم "[١] . كما دفع الظلم وحياة البؤس والشقاء التي عانى منها وعاشها رعية بني رسول من ملاك النخل في وادي زبيد السلطان الأشرف الأول عند توليه الملك مباشرة إلى أن يتفقد النخل ويزيل عن أهله ما نزل بهم من جور الضرائب ، فكان أول من سن عديد النخل بالفقهاء العدول وأمرهم أن يزيلوا عن أهله ما يجب إزالته لتحديد ما يجب أن يؤخذ على كل صاحب أرض أو نخل من ضرائب دون فرضها عليهم بصورة عشوائية يظلم فيها الكثير ، وقد تبعه في ذلك بقية سلاطين بني رسول[٢] ، حتى أن أخاه السلطان المؤيد كان يشدد على الفقهاء العدول عند نزولهم لعديد نخل الرعية ، وكان يقول للعدول : " إذا بقيت لنا نخلة رضينا بها " ، فرغّب الرعية لغرس النخل ، ورغّب في النخل من لا يملكه[٣] ، بعد أن عزف الناس عنه وعن زراعته ، لما كان يفرض على ملاكه من ضرائب جائرة[٤] ، وقد زاد من حب الناس لغرس النخل حب السلطان المجاهد له وكثرة غرسه في مناطق متفرقة وامتلاكه للكثير منه وبنائه لمعظم قصوره ودوره الفاخرة بين بساتين النخيل ، وإقراره بنظام العدول فيه وفي غيره من المزروعات ، حتى إنه أمر بعده مرات عديدة خلال مدة حكمه بما يقتضي به قانون العدول المنصف للرعية من ملاكه ، مما زاد من تحسين المستوى المعيشي لهم ولغيرهم من الفلاحين ، وقد تتابع سلاطين بني رسول في إنصاف ملاك النخيل بموجب نظام العدول والرفق بالرعية ، وكان السلطان الأفضل العباس ممن أمروا بعديد النخل ، وكذلك ولده الأشرف الثاني الذي عد النخل في عهده ثلاث مرات بعد أن ندب لذلك عدة من الفقهاء والكتاب والمشائخ والنواب ، وقد أمرهم الأشرف بالاجتهاد ، وأن يسلكوا بالناس سبل الرشاد وذلك في السنوات التالية : ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م ، ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م ، ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م ، وبلغ من حبه للنخل وترغيب الناس في زرعه أن أمر في السنة الآخرة بغرس خمسة آلاف نخلة في زبيد[٥] .

وفي الوقت نفسه ، تزايدت أعمال بعض سلاطين بني رسول الهادفة إلى التخفيف عن الأهالي في محاولة لإسقاط بعض الضرائب الجائرة إنصافاً لهم ، وهو ما فعله السلطان

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٤ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٩٨ .

[٣] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٤ .

[٤] كان أول من جار على أهل النخل الملك سيف الإسلام طغتكين بن أيوب ، ثم الأتابك سنقر وأول من عطف على أهله السلطان الأشرف الأول . ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٨٠ ، ٩١ – ٩٢ .

[٥] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٦٣ ، ٧٨١ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص٩٤ .

المؤيد داؤد في سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م عندما أمر بإبطال ضمان بيت الحل[١] إكراماً للتجـار والنواخيذ المترددين على أسواق مدينة عدن[٢] .

وفي هذا الصدد ، أثارت الأوضاع التي وصل إليها حال الفلاحين في بعض المناطق بعض سلاطين بني رسول منهم السلطان المجاهد الذي أحزنه انكشاف أحوال الناس وتضررهم وهروبهم من وادي زبيد إلى مناطق مختلفة تاركين أموالهم وأملاكهم وزرعهم وحلالهم عند ظهور الدرهم الرياحي سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م الذي فرضت الدولة على الناس دفعـه عنـد تسليمهم لأموال الخراج مع صعوبة حصولهم عليه ، فضلاً عن تضررهم من الديوان الـذي كان يؤجل موعد تحصيل الخراج من وقت الحصاد عندما تكون الأسعار رخيصة إلى وقـت ترتفع فيه الأسعار ؛ مما أدى إلى هروب الفلاحين وخراب التهائم لقلة عـدد العـاملين فـي الأراضي الزراعية وعجزهم عن القيام بزراعتها ، وقد أجبر هذا الخراب المجاهـد علـى النزول من تعز إلى زبيد سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م لتفقد أحوال الرعية هناك وما وصلوا إليه ، ولخلق حالة من الاطمئنان بينهم أمر بإطلاق الصوائح بالأمان لجميع الرعية وكشف المظالم التي يشكونها ، فوصلوا إليه بحضور كبرائهم وأمراء بني رسول ووزرائهم وحجابهم وكتابهم ، وقد شرح هؤلاء للسلطان المجاهد ما هم فيه من ظلم ، وما هم مجبورون على دفعه للدولـة مع عجزهم عن الالتزام به ، موضحين للسلطان أن ما عليهم للديوان يجب أن يكون من عين ما زرعوه أو بثمن فيدفعون قيمته في حينه وليس بعد حين عند ارتفاع الأسعار ، وقد تقبـل المجاهد ما هم فيه من ظلم بين ، ولم يلمهم على هروبهم ، وأمر أن يُكتب منشوراً بـإجراء النواصف لجميع الرعية بالتهائم ، وذلك شيء لم يسبقه إليه أحد من سلاطين الدولة الرسولية ، وهو أن يؤخذ في كل نصف شهر أغبط سعر للديوان السعيد فيكون في كل شهر سـعران ، سعر لمستهله وهو من أول يوم فيه إلى آخر الخامس عشر ، وسعر لسلخه وهو مـن يـوم السادس عشر إلى آخر الشهر ، فكانت هذه الفعلة من الحسنات التي اشتهر بها المجاهد ممـا أعاد الحياة إلى الناس وحسن في وضعهم المعيشي[٣] ، مع أن ذلك لم يكن هو الحل الجذري للقضية لعدم توحيد السعر ووجود سعرين خلال الشهر ، في حين أن الحل الصحيح هو مـا أشار به الرعية على المجاهد ، وهو أن يؤخذ الخراج من عين ما زرعوه أو بقيمته ، ولزيادة تحسين هذا الوضع اتخذ المجاهد عدداً من الإجراءات التي لم يسبقها إليه أحد ، وكـان أول من اتبعها ، منها سنه نظام النواصف في أخذ الضريبة من الرعية في جهات التهائم كلهـا ،

---

[١] يقول عليان أن (حل) معناها أقام ، فيكون معنى الحل الإقامة والضيافة ومعنى إلغاء ضمان بيت الحل هو إلغاء الضريبة التي كانت تُحصل من هؤلاء التجار نظير الإقامة في عدن . انظر : الحياة السياسية ، ص١٨٢ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٤٦أ – ب .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٦٦٨ – ٦٦٩ .

وزيادته للرعية في القطائع[١] معاداً مستمراً في كل قطيعة[٢]، وفي آخر أيامه أزال عن الرعية الربع من الخراج من كل ما زرعوه مما جعلهم يعيشون في أحسن حال[٣] .

وفضلاً عن ذلك ، فقد شهدت أحوال الرعية تحسناً ملحوظاً في عهد السلطان الأفضل العباس ، وذلك عندما تصدق عليهم في سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م بصدقة عمت سائر جهات مملكته ، وفيها أمر بأن يستعمل للرعية في قياس الأراضي الذراع المظفري فسماه الناس الأفضلي لكونه هو الذي أجراه لهم صدقة دائمة وعامة لا يختص بها أحد دون أحد ، كما أجرى لبعضهم مزال الخمس في الخراج فيما يدور عليه الجبّال[٤] ،ولبعضهم مزال الربع في خراج ما زرعوه صدقة مؤبدة يتصل بها القوي والضعيف[٥] ، وأجرى للرعية الذراع الشرعي في قياس الأراضي الزراعية وتقدير مساحتها بدلاً عن الذراع الأرضي للأرض الذي كان بينه وبين الذراع الأرضي فرق في الطول يزيد من نسبة الخراج الذي يؤخذ من الفلاحين[٦] ، وكان أول من عمل بهذا الذراع الشرعي السلطان المظفر الأول لهذا عرف بالمظفري إنصافاً ومسامحة للرعية ، وتبعه في ذلك السلطان الأفضل فعرف بالأفضلي فيما بعد[٧] ، وكان العمل به من أفضل الحسنات التي قدمها السلطان الأفضل لتحسين مستوى معيشة رعيته .

كما شهدت دولة السلطان الأشرف الثاني العديد من الإجراءات المالية الهادفة إلى التقليل من معاناة الناس فيما كان مفروضاً عليهم من خراج اُلزموا بتسليمه للديوان في عهد من سبقه من السلاطين فكانت أول إجراءاته إصدار الأوامر بعديد النخل ولاسيما بعد أن تضرر أهله ، ثم قيامه بإبطال ضريبة مصالحة العطب سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م على مزارعي

---

[١] القطائع : جمع قطيعة والقطيعة ما اقتطعته منه ، واقتطعته قطيعة أي طائفة من أرض . ابن منظور : لسان العرب ، ج٣ ، مادة (قطع) . والقطيعة جزء من الأرض يملّكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة . المعجم الوجيز ، ص٥٠٨ . ونظام القطائع نظام قديم بدأ أيام الرسول محمد (ﷺ) وفي أيام خلفائه الراشدين واستمر فيما بعد بين حكام الدول الإسلامية . أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج ، تح : محمد إبراهيم البناء ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص١٣١ – ١٣٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص١٠٤ – ١١٧ .

[٢] وذلك عن طريق إعفاء الرعية من خراج سنة كاملة ، لاعتبارات تتعلق بالفارق بين السنين القمرية والشمسية وما يحدث فيها من اختلاف في الأيام . وللمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر : عليان : الحياة السياسة ، ص١٧٢ – ١٧٣ .

[٣] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦٧ ، ١٢٦ .

[٤] إن المقصود بما يدور عليها الجبال أي الأراضي التي يجلب الماء إليها بمشقة من عمق الآبار ، فيضطر الفلاحون إلى جلبها عن طريق إنزال دلو ضخم وربطه بعدة حبائل ورفعه . انظر : عليان : الحياة السياسية ، ص١٧٠ ؛ حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٦٤٨ . وانظر : ابن بطوطة : تحفة النظار ، ج١ ، ص٢٦٨ .

[٥] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٠٩ب ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠١ .

[٦] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٨ .

[٧] للمزيد من التفاصيل عن هذه الأذرع وتقديراتها انظر : حماد : مظاهر الحضارة الإسلامية ، ص٤٤٦ .

العطب (القطن)[١] ، بعد أن جار عليهم بها النواب والعمال في عصر السلطان الأفضل باستحداثهم لهذه الضريبة ، وتعد هذه الخطوة من مستحسنات أعماله التي استفاد منها الفلاحون ، كما أصدر أوامره في العام المذكور بإعفاء أهل القرى في وادي زبيد من ضريبة قبال نخل الأملاك السلطانية التي ابتدعها وأحدثها بعض النواب على الفلاحين[٢] ، كما بلغت صدقات ومسامحات وتخفيضات السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الضريبية أهالي جهات مختلفة في وادي زبيد كأهالي الشرج العليا سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، مفرقاً بين نسبة الخراج الذي يؤخذ على الأراضي التي تسقى عن طريق الوادي والتي تسقى بالآبار[٣] .

وفي الوقت نفسه ، لم يقبل السلطان الأشرف الثاني بالتلاعب الذي كان يقوم به المحتسبون في الأسواق في سعر مكيال الزبدي[٤] الذي تكال به الغلال على اختلافها ، وكذلك الدقيق وأنواع أخرى من الأطعمة فقام بمحاولات لتخفيفه شيئاً فشيئاً محاولاً تثبيت سعر المكيال على أربعمائة درهم ، إلاّ أن عدم استقرار الأسعار وارتفاعها وقلة وجود الطعام (الحبوب) دفع السلطان الأشرف إلى أن يرفعه إلى خمسمائة درهم دون زيادة أو نقصان ليستقر للرعية ، ولكنه استمر في التزايد فيما بعد دون أن يكون هناك حل جذري للمشكلة[٥] .

لقد اهتم السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بأمور رعيته وراح يتفقدها عند الشدائد والمحن ، فعندما ظهرت أسراب الجراد في جهات اليمن المختلفة سنة ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م وأتلفت معظم زرع البلاد بما فيه نخل زبيد سار الأشرف إلى هناك[٦] على ما يبدو لتفقد أحوال الناس ومساعدتهم ، وأصدر في السنة التي تليها سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م منشوراً يتضمن الصدقة على أهالي وادي سهام بزيادة معاد في القطيعة ، كما أصدر مرسوماً آخر سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م بإزالة مصالحة العطب ورفع الظلم عنهم في جميع ما هو مفروض عليهم[٧] ، وكرر ذلك في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م عندما أصدر مرسوماً إلى زبيد يتضمن الصدقة على الرعية كافة بزيادة معاد في القطيعة في جهات مملكته كافة كصدقة مستمرة ، كما ضمّ المنشور إعفاء الجميع من مصالحة العطب في وادي زبيد وغيره ، فكثر دعاء الناس للسلطان الأشرف الثاني إسماعيل لصدقاته التي عمت جميع

---

[١] انظر عن ضريبة مصالحة العطب (القطن) فيما سبق : ص٣٢٠ – ٣٢١ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٧٢ . وللمزيد عن هذه الضريبة انظر فيما سبق : ص٣٢١ .

[٣] انظر : الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص١٧٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢١أ .

[٤] تم الحديث سابقاً عن ضرر هذه الزيادة في الزبدي على أحوال الناس . انظر : ص٣٢١ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٨٠ – ١٨١ .

[٦] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٣ب .

[٧] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ،ص١٠٩ – ١١٠ .

الجهات[١] . وتتابعت صدقات الأشرف فأصدر في سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م في أثناء وجوده في المحالب منشوراً آخر بتنفيس القطيعة لأهل الضاحي في وادي زبيد ، وكتب منشوراً آخر بتخفيف القطيعة على الناس[٢] .

وفي هذا الصدد ، لاحظت الدولة المعاناة التي يمر بها التجار بسبب ما هو مفروض عليهم من ضرائب دهورت أحوالهم ، حتى أن ذلك دفع السلطان الناصر في سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م إلى الصفح عنهم في عشور السنة المذكورة ، ومِنْ ثَمَّ إصدار الأوامر إلى جميع المتصرفين في البنادر والسواحل ببسط العدل والرفق بسائر التجار ، وقد تبعه في هذا الإجراء السلطان الظاهر عند توليه الحكم سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م فأمر بالعدل وإبطال المحدثات من الضرائب والجبايات وإزالة المظالم وتقرير القواعد التي اعتادها الرعية في الدولة المجاهدية ، وكتب بذلك مناشير وأرسل بها إلى سائر الجهات ؛ مما نفس كثيراً على الناس وحسن أوضاعهم المعيشية[٣] ، وكان من بين ما أبطله ضريبتا ضمان الحسبة والمحناط التي أرهقت الناس في الأسواق[٤] .

وعلى ضوء ذلك ، نهج بعض المسؤولين في الدولة طريق سلاطينهم في التخفيف عن الرعية مما هو مفروض عليهم في محاولة لإصلاح أوضاعهم المادية والمعيشية الصعبة ، بتوجيهات من سلاطين بني رسول حرصاً على أهالي هذه الجهات ، وقد برز من الولاة والمقطعين من أثبت جدارته في الإدارة الهادفة إلى انتشال الرعية مما هم فيه من فقر وحرمان ، ويعد الأمير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن إسماعيل الحلبي النقاش (ت : ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ممن بذلوا الكثير لتحسين مستوى الرعية في ناحية الغنيمة من جهة وادي سهام وذلك بعد أن أقطعه السلطان المجاهد الجهة المذكورة ، فاستناب فيها نائباً وأمره أن يسمح للرعية في أول سنة نصف خراج ما زرعوه ، فاستكثروا من الحرث في تلك السنة ، فلما كانت السنة الثانية أمره أن يسمح لهم ربع خراج ما زرعوه ، فبادروا إلى الحرث واستكثروا منه ، ولم يزل يفتح لهم من أبواب العدل حتى بلغ خراج الجهة المذكورة سنوياً سبعة وأربعين ألف دينار لكثرة زراعتهم بدلاً من الخراج الذي كان يقدر – قبل أن يتولى الأمير المذكور – بألف دينار ، فتحسنت أحوال الناس في الجهة المذكورة لعدل ورفق وإنصاف الأمير شهاب الدين بالناس هناك[٥] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢٩ – ٢٣٠ .

[٢] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٦٠ .

[٣] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٦٩ ، ٢١٠ .

[٤] انظر : ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٢ .

[٥] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٩٩أ – ب ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص١١٤ .

وكيفما كان الأمر ، فقد فرضت الأوضاع المعيشية الصعبة على الدولة ضرورة التحرك السريع لإنقاذ الفقراء وإغاثتهم ومدهم بما يحتاجون إليه من طعام في أثناء القحط والجفاف ، وكان السلطان المظفر الأول ممن تعايشوا مع هذه الأزمات وتعاملوا معها بحكمة وعقل ، وتعد الأزمة التي مرت بها حضرموت سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م خير مثال على العناية التي أولتها الدولة الرسولية لرعيتها ، علماً بأن شبام وتريم كانتا من أكثر المدن تضرراً من تلك المجاعة التي خفف معاناتها السلطان المظفر الأول بما أرسله لأهلها ولاسيما أهالي تريم من إمدادات ومواد إغاثة من طعام وأموال لتجاوز هذه المحنة ، وقد أفاد ذلك الدعم أهالي تريم وتحسنت أحوالهم ، في حين دفع تأخر مثل تلك المعونات أهالي شبام إلى اللجوء إلى سلطان ظفار الحبوضي سالم بن إدريس الحبوضي ليغيثهم ، فأرسل إليهم ما خفف عنهم معاناة هذه المحنة[1] .

كما اتخذ سلاطين بني رسول أساليب أخرى لتحسين أوضاع رعيتهم المادية منها إقرارهم لنظام المسامحات والإعفاءات في خراج الأراضي[2] ، ودفعهم مبالغ مالية للمحتاجين من عامة الناس للعيش والاستفادة منها[3] ، فضلاً عن سعي الدولة إلى توفير فرص عمل مختلفة لفئة واسعة من أبناء المجتمع في أجهزتها الإدارية والمالية ومؤسساتها المدنية والعسكرية للعيش من وراء ما كان يدفع لهم من جوامك ، مع حرص الدولة على سرعة دفع هذه الجوامك لهم آخر كل شهر لتعينهم على مواجهة تكاليف الحياة[4] .

ثالثاً – حماية المجتمع من الجريمة :

دفعت الجرائم المختلفة التي شهدها المجتمع سلاطين الدولة الرسولية ومن يمثلونهم إلى ضرورة وضع حد لها ومحاربتها والقضاء عليها ، وذلك بالتحرك السريع لضبط مرتكبيها ومحاسبتهم ، لاسيما إذا عمل هؤلاء بشكل مجموعات (عصابات) تهاجم الأسواق وتنهب المارة وتسرق الزرع وتقتل الناس وغير ذلك مما يثير الأهالي ضد الدولة ، مثل ما فعل السلطان المظفر الأول مع جماعة من بني سلمة أهل خدير في ناحية تعز عندما وصل إليه خبر إخافتهم للناس ومهاجمتهم لهم في الأسواق وابتزازهم ، ونهبهم لسوق السبت هناك ، وقطعهم الطريق على القوافل القادمة من عدن وسرقة محتوياتها ، حتى أن تفشي أعمالهم دفع الناس إلى تقديم الشكاوى ضدهم إلى السلطان المظفر الذي أرسل إليهم قوات من عسكره لضبطهم ووضع حد لأعمالهم ، فتم القبض على ثمانية منهم وأمر المظفر بمعاقبتهم مباشرة

---

[1] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٠٥ – ٥٠٦ .

[2] تم الحديث سابقاً عن هذه المسامحات انظر : ص٣٠٥ .

[3] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٣٩٢ .

[4] عن هؤلاء وما تصرف لهم الدولة من رواتب انظر فيما سبق : ص٣٠٥ – ٣٠٨ .

فكحلوا[١] ليكونوا عبرة لغيرهم[٢] . كما دفع الخلاف الذي حدث بين فقراء الصوفية في زبيد ، والذي أدى إلى مقتل الشيخ زين العابدين بن الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد الصوفي إثر حجر شج بها رأسه في أثناء تدخله لفض شجار بينهم في سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م ، السلطان الناصر أحمد إلى النهوض سريعاً آمراً ولاته كافة في المنطقة للقبض على من وجد من هؤلاء ، وأن ينكل بهم أشد التنكيل[٣] ليكون عقاباً لهم على فعلتهم وعبرة لغيرهم .

ومما لاشك فيه أن سلاطين بني رسول كانوا يتدخلون شخصياً للحد من الجرائم التي تثير الرأي العام من حولهم ، لاسيما التي تضر بمصالح الناس أو التي تؤثر على أمنهم وسلامتهم ، لذلك شددوا في التضييق على المجرمين ، واتخذوا عدداً من الإجراءات للحد من الجريمة منها :

١ – التركيز على اختيار أفضل الولاة[٤] والقضاة المشهود لهم بالسيرة الحسنة والخبرة في كشف الجرائم وملاحقة المشتبه بهم وإصدار الأحكام العادلة ، وقد عرف خلال عمر هذه الدولة العديد من هؤلاء منهم القاضي الفقيه تقي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر بن أبي القاسم الرياحي الحميري (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) الذي تمكن بذكائه وبحثه وعيونه من القبض على جماعة من المجرمين الذين قاموا بمهاجمة امرأة تعمل في الدلالة وسرقة ما معها من قماش وحُلي محاولين قتلها بعد أن خنقوها ورموها في موضع خراب[٥] ، كما اشتهر من الولاة الأمير أحمد بن نجم الدين حسن بن الحسين بن أحمد بن همام بن همل الربعي الخرتبري (ت : ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م) والي زبيد الذي كان من أكثر من حاربوا الجريمة والمفاسد في هذه المدينة بتتبع ملابسات بعض الجرائم والتوصل إلى مرتكبيها ، وكانت زبيد قد فسدت قبل ولايته لها ، فلما ولي لزم المفسدين وعاملهم بما أجرموا ، فهابه الناس هيبة عظيمة ، وسار بهم سيرة عادلة ولم يميز ذا جاه عن ضعيف[٦] ، وكان والده الأمير نجم الدين حسن الخرتبري (ت : ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) من الولاة الذين عُرف عنهم خبرتهم في تقصي الحقائق ومتابعة الجرائم وكشف مرتكبيها ، لاسيما في مدينة زبيد التي تولاها في عصر السلطان المظفر الأول وشهدت العديد من عمليات السرقة والنهب للبيوت

---

[١] الكحل : هو سمل العين وفقأها بمسامير الحديد المحماة بالنار . ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ، مادة (سمر) ؛ الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، مادة (سمر) .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٠ .

[٣] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٠١ .

[٤] كانت مسألة الأمن في المدن من أهم مهام الوالي ، حيث يتولى هو مسؤولية تسيير الدوريات ، والحفاظ على المقبوض عليهم وعرضهم على القضاء ، وفي أحيان كثيرة اتخاذ الإجراءات بحقهم . انظر : الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢٠٦أ – ب ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

[٥] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١٠٣ – ١٠٤ .

[٦] انظر عن دوره في كشف بعض الجرائم : الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٥٧٢ .

ومحلات التجار ، فكان أكثر المحاربين لجرائم السرقة والنهب والسطو على محلات وحوانيت خان زبيد ، حتى إنه بذكائه وتتبعه لملابسات الجرائم كشف عن العديد من خباياها وقبض على العديد من فاعليها[١] .

إلاّ أن أشهر من عرف من الولاة بمحاربتهم للجريمة ومتابعتها ، وحل المشكلات بين المتخاصمين تفادياً لتفاقمها بينهم هو والي زبيد الطواشي أمين الدين أهيف الذي تولى منصبه هذا في سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م فاشتهر بخبرته في حل الخصومات بين الرعية ، ومحاربته للمجرمين بنشر الدوريات الليلية للحفاظ على الأمن[٢] ، وقد كان لصرامة هؤلاء وحكمتهم وخبرتهم دور في ردع كل من تسول له نفسه التفكير في ارتكاب الجريمة .

٢ – نشر الدولة للدوريات من رجال الشرطة (العسس) في الطرقات والأزقة ولاسيما في الليل ، حيث ينتشر هؤلاء بشكل فرق يتناوب أفرادها على الحراسة لضبط الأمن من اللصوص والقتلة الذين لا يباشرون أعمالهم الإجرامية إلاّ في الأوقات المتأخرة من الليل ، ويبدو أن هؤلاء كانوا يدربون على أعمال الحراسة والأمن في الأسواق وأماكن تجمع الناس بجانب المساجد وغيرها ، ويذكر الشرجي[٣] بعض التفاصيل عن مدى حنكة وخبرة هؤلاء العسس وانتشارهم وتفرقهم لحفظ الأمن ، وذلك عند حديثه عن الفقيه أبي الحسن علي بن موسى الجبرتي الفشلي الذي تعرض للسرقة والنهب ليلاً في أثناء وجوده في المسجد ، إلاّ أن يقظة رجال الدولة (العسس) واستمرار عمل دورياتهم ليلاً ونهاراً أوقعت اللص في أيديهم ؛ فلزموه وسلموه إلى والي المدينة الطواشي أمين الدين أهيف الذي أمر بحبسه إلى الصباح لينال ما يستحق من جزاء ، كما أمر أن تعاد المسروقات إلى صاحبها .

وفي الوقت نفسه ، نشرت الدولة دوريات لحفظ الأمن على طول الساحل اليمني ، وكلفت فرقاً من رجالها لدخول البحر بسفن خصصت لملاحقة من يسمون بالمجورين (القراصنة) الذين كانوا يثيرون الرعب في طرق التجارة البحرية فيهاجمون سفن التجار وينهبون محتوياتها ، وقد أدى هؤلاء دوراً كبيراً وبارزاً في استقرار وأمن المناطق الساحلية ، حتى أنهم نجحوا في الإيقاع بالعديد من أصحاب هذه السفن وتسليمهم للعدالة ، وصادروا ما وجدوا معهم من المسروقات[٤] .

---

[١] انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٧٣ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٤٨ – ١٤٩ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

[٣] طبقات الخواص ، ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

[٤] انظر عن هؤلاء : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢١٤ – ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ – ٢١٩ ، ٢٢٢ – ٢٢٣ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ .

٣ – حظر الدولة لحمل السلاح بين أفراد طبقة العامة في المدن الرئيسة مثل مدينة تعز ، ويعد هذا من الإجراءات التي حاولت بها الدولة تجنيب رعيتها العديد من الأضـرار الناجمة عن حمل السلاح ، والسير به في الطرقات لما في ذلك من تسهيل لحدوث الجريمـة والإسراع في وقوعها متى ما حصل خلاف أو شجار بين الناس في الأسواق أو في غيرها ، وقد حاولت الدولة أن تشجع أهالي تعز على العمل بأشياء تكون أكثر فائدة لهـم بـدلاً مـن الانشغال بشراء الأسلحة والتباهي بلبسها ، فأمرت الجميع بالعمل في الأسواق وألزمتهم بذلك ، فامتلأت أسواق مدينة تعز بأبنائها الذين عمل أكثرهم في بيع الفواكه والأقشـام مـن بقـول وخضار مختلفة ، فكانوا يخرجون يومياً للبيع في هذه الأسواق وحادوا عن حمل السـلاح ، وهدأت الجريمة حتى عصر السلطان المظفر الثاني الذي ضعفت الدولة في عهـده ، فعـاد الناس إلى عادتهم الأولى في حمل السلاح والتباهي به ، وكان لانتشار حمله بين أهالي تعـز أثره على أمن المدينة واستقرار سكانها ، فضلاً عن أثرها على أمن الدولة نفسها[1] .

٤ – تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في حق أصحاب الجرائم ، وقد كانـت هـذه الإجراءات من الأمور الأساسية التي ساعدت على الحد من ارتكاب الجرائم لصرامتها وخوف المجرمين من تنفيذها عليهم ، وقد شددت الدولة على العمل بهذه الأحكام ، وأمرت بمحاسبة كل من يرفضها ويرفض العمل بها لما فيها من إنصاف للمظلوم وعقاب للظالم ، ويعد السلطان الأشرف الثاني إسماعيل من أكثر سلاطين بني رسول تشديداً على القضاة للحكم بما تقتضيه الشريعة المطهرة من أحكام ، ونستدل على ذلك من خلال الخلاف الذي حدث بين اثنين من أهالي زبيد حول قضية بينهما سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م ، وطلب أحدهما حكم الشريعة المطهرة من والي زبيد لحل قضيتهم مع تمنع الوالي عن ذلك ، مما دفع بذلك الرجل إلى الاسـتعانة بقاضي أو حاكم الشريعة الذي عجز عن استنقاذه ، فكتب الحاكم إلى السلطان الأشرف الثاني يشكو إليه الوالي وتعديه على حكم الشريعة ، فأمر السلطان حينئذ من تقـدم إلـى الـوالي وأخرجه من بيته إلى بيت حاكم الشريعة إنصافاً وإجلالاً له وللشرع الشريف ، فنهاه القاضي مشافهة عن معارضة الشرع وانتقده على ذلك ، وأخذ عليه أخذاً كلياً ، ثم قال : " تقدموا به إلى باب السلطان ، وأشرف عليه السلطان وشتمه ووبخه وفضحه ، ولولا أنه كان يجله لحسـن سيرته في الناس ما سلم منه "[2] .

وقد أخضع الأشرف الثاني أحكام القضاة لحكم الشريعة الإسلامية المطهـرة لـردع المجرمين وتحقيق العدل في دولته بين رعيته ، وأمر باعتماد البينة في أي قضية قبل إصدار الأحكام ، وعلى رأسها القضايا الكبرى مثل القتل التي لا يفصل فيها إلاّ بما تحكم به الشريعة

---

[1] عماد الدين إدريس : روضة الأخبار ، ص٢٨ .

[2] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٩٧ .

من ثبات البينة والشهود أو اعتراف الفاعل (الجاني) بجريمته ، فعندما اتهم رجل يعرف بالشرايطي في زبيد بقتل رجل من أهالي المدينة يعرف بالحاج علي الموازيني تم القبض على الشرايطي وأودع سجن زبيد إلى أن وصل السلطان الأشرف الثاني الذي وافق على تنفيذ القصاص بحق القاتل والصادر بموجب حكم قاضي زبيد ، إلاّ أن الشرايطي عندما علم أنه مطلوب للقصاص طلب حكم الشرع ، وأنكر أن يكون هو القاتل ، فلم تقم عليه بينه بالقتل لعدم توافر الأدلة والشهود ، فأُطلق بأمر من السلطان[١] ، في حين نُفذ حكم القصاص الشرعي بحق القاتل الذي ثبتت إدانته بالقتل مثلما حدث مع الرجلين اللذين قتلا المرأة بالنويدرة واللذين حكم عليهما بالقصاص ثم سمرا[٢] ثم نكل بهما[٣] ليكونا عبرة لمن تسول له نفسه ارتكاب مثل هذه الجريمة النكراء ، كما نُفذ الحكم الشرعي بحق السارق وقاطع الطريق الذي يرهب الناس بقطع يده ورجله إذا ما تمادى في السرقة وكرر فعلته مثل الحكم الصادر بحق رجل يعرف بعثمان بن مطير في ناحية حيس سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م الذي حكم عليه بقطع يده ورجله من خلاف[٤] ، وحكم على المتهم بتزوير العملة بقطع يده[٥] ، وفرض على مرتكب جريمة القتل غير العمد دفع دية المقتول لأهله والتي تحددها الدولة[٦] ، وطُولب المرتد عن الإسلام بالقصاص[٧] .

وعلى ضوء ذلك ، فقد ساعد تطبيق أحكام الشرعية الإسلامية في بعض المناطق والأسواق إلى أن تصبح تلك الأماكن مضرباً للمثل في عدلها وقلة الجريمة والغش فيها مثل سوق الصيفر في وصاب الذي كان متولياً عليه النقيب شمس الدين علي بن أحمد بن عمر بن أسود سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م والذي فرض فيه تطبيق أحكام الشريعة لحمايته من الجريمة والظلم ، وأمر فيه بالعدل والإنصاف ، فضلاً عن سوق الثجة التابع لبني غليس في وصاب أيضاً الذي اشتهر بما اشتهر به سوق الصيفر في عدله وأحكامه[٨] .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٩٦ .

[٢] التسمير : نوع من الصلب على صليب من الخشب تدق فيه أطراف المحكوم بالإعدام بالمسامير إلى الخشب ويبقى مسمُراً ساعات أو أيام حتى يموت . دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص٤٤ – ٤٥ .

[٣] كثيراً ما كانت الدولة تأمر بالتنكيل بجثث المحكوم عليهم بعد إعدامهم ، مثلما عُمل مع هذين الرجلين ، إذ أركبهما والي المدينة جملين بعد موتهما ودار بهما في شوارع زبيد ، ثم أخرجهما إلى قبر المرأة وأمر بتوسيطهم ، فوسطا وعلقا على أربع خشبات حول القبر واستمرا معلقين هناك إلى آخر اليوم لإرهاب الناس وإخافتهم بعدم فعل ما يوصلهم إلى ما وصل إليه غيرهم . انظر : الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٦ب . مع ما في ذلك من بشاعة بعيدة عن تعاليم الدين الإسلامي التي تدعو إلى حسن القتل وعدم التنكيل بجثث المحكوم عليهم مراعاة لحرمتها بغض النظر عن الجريمة التي ارتكبوها .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٣٠٥ .

[٥] المصدر نفسه والجزء ، ص٢٩٤ .

[٦] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٧٧ .

[٧] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٣٧ .

[٨] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٠ .

٥ – إشراك الدولة للمجتمع في محاربة الجريمة ، وكانت هذه الخطوة من أكثر الإجراءات التي ساعدت على الحد من انتشار الجريمة ، مع ما فيها من إجحاف بحق أهالي بعض المناطق ذات الصلة بالمشتبه بهم ، وقد طبقت إجراءات الدولة هذه على أهالي قرية الجحوف القريبة من نخل وادي زبيد ، وذلك بعد أن ظهر منها جماعة يقطعون الطريق على الناس لينهبوا أموالهم وينشروا الخوف بين المارة هناك ، وقد أثبتت تحقيقات الشرطة وجواسيسها ممن يتتبعون الأثر أن هؤلاء يخرجون من قرية الجحوف ، فألزمت الدولة أهل القرية بإحضار الخصوم وشددت عليهم حتى أنهم خرجوا بأنفسهم للتقصي والبحث في كل القرية إلى أن تمكنوا من كشف ملابسات الجريمة باكتشاف عدد من الرجال في موضع بعيد عن الشبهة في القرية كانوا يظهرون أنهم من الفقراء ويظلون يطلبون الناس نهاراً فإذا جن الليل انتشروا لسرقة بيوت الناس وقطع الطريق عليهم ، وعند تفتيش مساكنهم وجدوا معهم العديد من الثياب الفاخرة وأنواع الأطعمة المسروقة[١] . وفي سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م قتلت امرأة في قرية النويدرة على باب سهام بزبيد على يد رجلين من أهل المملاح ، وقد جعلت هذه القضية والي زبيد الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف في حيرة حول الخصوم ، ومع ذلك بحث عن القتلة حتى حامت الشبهة حول أهالي المملاح الذين لم يعترف منهم أحد ، مما اضطره إلى الضغط عليهم لإحضار الخصوم ، فجاءت هذه الطريقة بنتيجة إيجابية ؛ إذ تحرك جميع أهالي المملاح للبحث عن مرتكبي هذه الجريمة وشددوا في السؤال والاستقصاء إلى أن توصلوا إلى مكان أحد المشتبه بهم في النخل فأرسل به إلى زبيد ، ويبدو أنه دل على مكان صاحبه الذي قبض عليه في قرية القرشية[٢] ، بتكثيف جهود وبحث أهالي قرية المملاح ، وهو ما فعله أيضاً أهالي منطقة وصاب سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م عندما قتل الفقيه جمال الدين محمد ابن عبد العزيز بن صفي الدين أحمد بن عبد الرحمن الحبيشي ، فعظم أمر مقتله عندهم واحتاروا في معرفة قاتله ، وعلى ما يبدو أن تكاتفهم مع والي المنطقة مكنهم من إلزام أحد القتلة الذي اعترف بجريمته وشركائه الذين وصلوا إلى أربعة عشر رجلاً[٣] . كما حملت الدولة سكان بعض المناطق أو القبائل نتائج أفعال أبنائها بهدف التشديد عليهم ليضبطوا أبناءهم وليضغطوا عليهم لعدم استسهال الجريمة ، فعندما قتل بعض أبناء نخل وادي زبيد من الشهابيين رجلين من بني الفقيه وأحرقوا محلتهم ، أمر السلطان الأشرف الثاني بتأديب جميع الشهابيين ، فأدبوا بعشرة آلاف دينار عقاباً لهم[٤] ، في حين الزم مشد الوادي زبيد القاضي

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٨٦ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٦ب .

[٣] البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص٣٢ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣١أ – ب .

سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م مشائخ قبيلة الأشاعر بدفع مبلغ خمسة عشر ألف دينار لجريمة ارتكبها بعض أبنائهم في حق خمسة من جيرانهم الفرس في الوادي[١] . ومما لا يدع مجالاً للشك أن إجراء الدولة هذا إنما جاء للضغط على المجتمع لكي يضع حداً لبعض الجرائم التي تحدث من قبل أبنائه ، وإشعار الجميع بالمضرة التي قد يرتكبها بعض الجهلة بحق الجميع ، ومِنْ ثَمَّ وقوف الجميع لمحاربة الجريمة لكيْ لا يتعرضون لعقاب الدولة الجماعي .

٦ – إخضاع معظم مدن وقرى وبوادي اليمن لحكم مشائخ وزعماء قبائل اشتهروا بصرامتهم وعدلهم ومحاربتهم للجريمة في مجتمعاتهم بإقامة حدود الشريعة وتنفيذ القصاص حتى بحق المقربين منهم متى ما أدينوا بجريمة ما ، وممن اشتهر من المشائخ بمحاربته للجريمة الشيخ أبو علي يحيى بن إبراهيم العمك (ت : ٦٧٠هـ / ١٢١٧م) أحد مشائخ قبيلة الرماة في قرية البسيط أكبر قرى وادي سهام والذي كان يضرب به المثل في العدل وحسن الجوار والوفاء بالذمم ، وقد حدث أن قام أحد أقاربه بقتل رجل كان مستجيراً عند الشيخ يحيى استخفافاً به وظناً أنه لا يؤخذ له ثأر لغربته ونهب ما معه من مال ، وقد تعجب الشيخ المذكور من فعل هذا الرجل وتصرفه وسكت عنه حتى كان يوم وعد القرية (سوقها) الذي حين استوى وأخذ بالزحام أمر الشيخ بربط القاتل ثم ضرب عنقه وسط السوق[٢] ، جزاءً لما اقترفه من جريمة حكم فيها الشرع بالقصاص ، كما عُرف أيضاً عن شيخ بلاد بني حبيش في إب الشيخ معوضة بن محمد بن سعيد تطبيقه لأحكام الشريعة الإسلامية بحق أصحاب الجرائم من القتلة والمجرمين ، وهو ما فعله مع قتلة الفقيه أبي الخطاب عمر بن محمد بن مسعود بن مبارك المري سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م الذي قُتِل على يد أحد قطاع الطرق بين بلاد بني حبيش والسحول ، حيث تابع الشيخ المذكور القاتل حتى لزمه ثم احضره إلى تربة الفقيه يوم الثالث من دفنه بعد أن حكم عليه بالقصاص لجرمه ، واستدعى ولد الفقيه وسلم له فأساً ، وقال له : " اقتل هذا فهو قاتل أبيك . فضربه حتى مات "[٣] ، ويبدو أن موقف هؤلاء المشائخ الذين يمثلون الدولة في مناطقهم دليل على الدور الفاعل الذي سعت الدولة لتحقيقه لنشر الأمن والاستقرار .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٦١ – ٣٦٢ .

[٣] الجندي : المصدر نفسه والجزء ، ص٢٦٧ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٥١٠ .

رابعاً : محاربة الظواهر السيئة والمنكرات :

عرف المجتمع في العصر المذكور بعض الظواهر السيئة والمنكرات التي انتشرت بين قلة من الناس ، وقوبلت بالرفض والمحاربة الشديدة من قبل الدولة التي قامت بدور كبير في نصح هؤلاء للحد منها ، وحاربت أكثرها تأثيراً تجنباً لتفشيها ، لخطورتها على حياتهم ، ومن هذه الظواهر والمنكرات ظاهرة شرب الخمور التي انتشرت بين عدد من الناس ، ويعد السلطان المظفر الأول من الذين وقفوا أمام هذه الظاهرة السيئة رغبة منه في التغيير للانتقاد الشديد الذي جابهه به بعض علماء وفقهاء الدين الذين كانوا ينصحون الملوك بالتفريق بين الحلال والحرام ، وقد أثرت تلك النصائح في المظفر الذي لولا تدخل بعض المقربين منه لأبطل وحرم شرب الخمر وحاسب شاربيها أو المتعاملين بها[١] ، إلاّ أن أكثر سلاطين بني رسول محاربة لهذه الظاهرة الخطيرة كان السلطان المؤيد داؤد الذي أسقط ضمان الخمر في عصره كخطوة أولية نحو تحريمه[٢] ، واستعان ببعض الفقهاء الذين كان على صلة بهم للتأثير على المجتمع ، وأخذ في دعمهم بما يحتاجون إليه لمعاقبة متعاطي الخمور بعد نصحهم بخطورتها وتحريم الإسلام لها[٣] ، كما عمل المؤيد على نصح رجال دولته وشدد على العاملين في قصوره من كبار موظفيه وحذرهم من شرب الخمر ، وحاسب المخالفين مثلما فعل مع صاحب بابه حسن بن تاج الدين أبي المظفر موسى بن الحسين الذي كان مبتليا بشرب المسكر ، وكانت تظهر منه تصرفات لا تليق برجل في مكانته ومنصبه ، وقد تحول نصح المؤيد له إلى غضب شديد دفعه إلى إبعاده عن منصبه وحبسه وضربه بعد أن استفحل أمره وتطورت حالته إلى التزوير في الأوراق الرسمية للنصب على العاملين في الخزينة ونهب أموال الدولة[٤] ، كما أدى مشائخ وزعماء القبائل والمناطق ممن يمثلون الدولة دوراً بارزاً في محاربة شاربي الخمور في مناطقهم ، وبلغ الأمر ببعضهم إلى أن يأمر بتحريم ذلك في الأسواق مشددين في ذلك ، ومظهرين دور الشيخ في محاسبة ومعاقبة المخالفين[٥] ، وهو ما فعله أيضاً بعض العلماء من القضاة الذين سعوا منذ توليهم لهذا المنصب إلى إزالة المنكر الذي كان أشهره شرب الخمر ، فضلاً عن محاربتهم لظاهرة أخرى عانى منها الناس منها الرشوة التي تغلغلت في المجتمع لتصل إلى رجال القضاء ، مع محاربة بعض ممن تولوا هذا المنصب لها لاسيما من عرفوا بنزاهتهم ورفعتهم ، حتى أنهم شددوا على المتعاملين بها من

---

[١] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٩٦ب .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٣٧ .

[٣] انظر فيما سبق : ص٣٣٥ – ٣٣٦ .

[٤] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٦٨ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٨٧ .

رجال القضاء ومساعديهم من كتاب وغيرهم ، وهددوا بمحاسبتهم إن هم استمروا في استلام الرشوة[١] . ومما لاشك فيه أن إجراءاتهم الصارمة هذه أفادت فقراء الناس وبسطائهم ممن يفتقرون إلى المال الذي يمكن أن يدفع رشوة لهذا القاضي أو ذاك ، ومِنْ ثَمَّ وقوف الجميع متساوين أمام القضاء دون تفريق بين غني وفقير .

وكيفما كان الأمر ، فقد تنوعت الظواهر السيئة التي لفتت اهتمام الدولة واستنكارها رغم محدودية انتشارها بين الناس ، مما استدعى ضرورة تدخلها لمخالفة هذه الظواهر للشرع ولخطورتها على أفكار الناس ولمضرتها على حياتهم ، وكان من أبرز الظواهر التي أغضبت المجتمع ، وأحدثت ثورة بين عامة الناس ظاهرة ارتداد بعض النساء عن الإسلام لاسيما من كن على خلاف مع أزواجهن ليعمل الشرع على تطليقهن منهم . ومن الملاحظ أن هذه الظاهرة لم تكن من الظواهر العرضية التي يمكن أن تغض الدولة الطرف عنها لندرة حدوثها ، لأنها أصبحت الحل بالنسبة لبعض النساء ممن يعانين من الخلافات الزوجية ، وقد أدى التكرار والاستمرار وتعدد طلبات النساء المقدمة إلى مجلس القضاء في مدينة عدن إلى أن يطلب الأهالي تدخل الدولة لإيجاد حل لهذه الظاهرة السيئة لاسيما بعد أن رُفعت إحدى تلك الدعاوى والسلطان المظفر الأول موجود في عدن مع قاضي قضاته بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني ، وقد استغل أهالي عدن هذه الفرصة لعرض هذه المشكلة على السلطان مظهرين له أنه إذا سكت عن هذا الأمر استمرت النساء على ذلك ، وكلما كرهت امرأة زوجها ارتدت عن الإسلام ، ومِنْ ثَمَّ عدم فلاح النساء مع أزواجهن ، عارضين عليه المعاناة التي يعاني منها الناس للتفكك الأسري الخطير الذي بدأت بوادره تظهر بعد طلاق عدد من النساء من قبل القضاء ، وقد جعلت هذه الظاهرة السلطان المظفر الأول في حيرة من أمره لمّا سمع ، ولذلك رأى بأن عليه التحرك السريع لوضع حد وحل صارم لها ، فأمر بموافقة قاضي القضاة بهاء الدين بإحراق المرأة التي ارتدت عن الإسلام ، على أن يكون ذلك علناً أمام جميع أهالي عدن رجالاً ونساء ، فجمع لها حطب كثير إلى ساحل حقات ، وأخرجت المرأة إلى قرب النار لتحرق ، وقيل لها قبل حرقها : " قولي أشهد أن لا اله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وتوبي "[٢] ، وفي هذه اللحظة أخذ الناس يهللون ويتوبون فتابت ، ثمّ خوطب السلطان وقاضي القضاة في إطلاقها ، فأُطلقت بعد أن كان يئس لها من السلامة[٣] .

---

[١] عن تفاصيل ذلك انظر فيما سبق : ص٣٣٦ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٢٠٢ ، ٤٣٧ .

[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص٤٣٧ .

وليس من شك في أن تصرف السلطان المظفر الأول الصارم هذا قد وضع حداً لهذه الظاهرة الخطيرة ، وقضى عليها من أساسها لعدم تكرار المصادر لذكرها أو حتى للإشارة إليها بعد أن تم القضاء عليها في مهدها قبل تفشيها .

وفي هذا الصدد ، سعت الدولة إلى محاربة ظواهر أخرى منها ظاهرة السحر والشعوذة التي انتشرت بين عدد من الناس ، وعاقبت كل من يقوم بها أشد العقاب ، لِمَا فيها من ابتزاز لأموال الجهلة من الرعايا ، ولِمَا فيها من مضرة على حياة من يُعمل عليهم السحر ، حتى أنها في سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م قامت بالقبض على أحد السحرة في مدينة تعز ، وتم إخضاعه للمحاسبة لمزاولته هذه الظاهرة الخطيرة على الناس فكحل وقطعت يده[١] ليكون عبرة لمن يفكر في العمل بالسحر أو غيره من أمور الشعوذة . كما حارب السلطان الأشرف الرابع إسماعيل الظواهر السيئة في المجتمع ، ووقف موقفاً شديداً منها حتى أنه أمر بقطع يد امرأة تضرب بالرمل لقيامها بإفساد عقليات الكثير من الناس بعملها هذا[٢] .

لقد كانت المرأة وسلوكها في الحياة من الأمور التي لقيت عناية من الدولة لِمَا كان لها من دور فاعل في الحياة الاجتماعية ، ولِمَا لسلوكياتها من تأثير على حياتها وحياة غيرها لاسيما السلوكيات الخارجة عن الشرع والتي فيها الكثير من التبرج المخالف لطبيعة المجتمع اليمني المحافظ ، إضافة إلى أمور دخيلة على المرأة اليمنية ، لذلك سعت الدولة إلى محاربة بعض السلوكيات التي رأت فيها ما يخدش حياء المرأة أو يعرضها للتبرج ، ومنها الخروج في الجنائز بين الرجال والنياحة على من مات ، ويبدو أن هذه الظاهرة كانت من أكثر الظواهر انتشاراً عند المآتم حتى أنها دفعت بعض السلاطين إلى التدخل لمنعها أو وضع حد لها ، وكان الأشرف الثاني ممن وقف أمامها ، وأصدر في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م أوامره بأن تُمنع النساء من السير وراء الجنائز إلى المقابر بين الرجال ، كما منع النياحة على من مات ، وأن لا يفرش على قبر أحد من النساء ولا من البنات شيء من الثياب ، مع تشديده على تنفيذ هذا المنشور[٣] .

وفي هذا الصدد ، منع بعض السلاطين النساء من الحضور إلى قصورهم لإحياء الحفلات الغنائية ، رغبة منهم في إزالة منكر والقضاء على ظاهرة كانت تمتلئ بها قصور من سبقهم من السلاطين ، ومن هؤلاء السلطان المنصور الثاني الذي وصف بإزالته للمنكرات التي انتشرت في المجتمع في ذلك الحين ، حتى أنه منع أرباب الطرب من النساء الحضور إلى دار مملكته[٤] ، ويبدو أن تلك الظاهرة قد عُرفت في قصور من سبقه من سلاطين بني رسول .

---

[١] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٣٣ب .

[٢] السخاوي : الضوء اللامع ، مج٤ ، ج٢ ، ص٣٠٨ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٨٠٤ .

[٤] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٨ – ١٠٩ .

خامساً : سن الأعراف والقوانين المنظمة لحياة الناس وحل مشكلاتهم :

عمدت الدولة الرسولية منذ قيامها إلى خلق حالة من الهدوء والاستقرار بين الناس ، فراحت تضع الأعراف وتسن القوانين المنظمة لحياتهم ومعاملاتهم الخاصة والعامة ، ولاسيما في الأمور الخلافية المهمة التي تثير المشكلات والصراعات الداخلية في الأسرة والأسواق أو في الأمور المتعلقة بالوراثة والوصاية وغير ذلك ، مع أن الدين الإسلامي فصل في بعض هذه الأمور التي شرع فيها بما لا يدع مجالاً للنقاش أو الشك ، إلاّ أن الدولة أخضعت بعض هذه الأمور لأعراف قد تكون من صنع أهالي المناطق أو المتولين عليها رسمياً من السلطة ، وقد قامت الدولة بدور في تنفيذ هذه الأعراف عن طريق أجهزتها الإدارية المنتشرة في كل مدينة وقرية ومن يمثلونها من الولاة أو العمال المسؤولين عن تطبيقها ، كما دفعت المسؤولية الواقعة على عاتق ولاة وعمال الدولة الرسولية أكثرهم إلى وضع أعراف أجهدوا أنفسهم في سنها وتطبيقها على حياة الناس اليومية ، لتجنب الاحتكاك فيما بينهم وحله إذا ما حصل .

وفي هذا الصدد ، رأت الدولة أن الأسواق وما يجري فيها من معاملات تجارية وبيع وشراء ودين وغش وغيرها من أكثر الأماكن التي هي في حاجة إلى وضع أعراف وقوانين لتنظيمها وتحديد مواعيدها ومراقبتها وترتيب المعاملات فيها ، لكونها أكثر مناطق الخلاف بين الناس ، حتى إن بعض السلاطين أقاموا دورهم وقصورهم على مقربة منها ، وأشرفت بعض هذه القصور على الأسواق للإطلاع على ما يحدث فيها من خلافات ومشكلات ومظالم يمكن حلها بكل سهولة إذا ما حدثت[١] ، كما ذهب بعضهم إلى إعادة تحديد مواعيد تلك الأسواق للأوقات غير المناسبة التي تعقد فيها ، مثلما فعل السلطان الأشرف الثاني سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م عندما أصدر مرسوماً جعل بموجبه وعد (سوق) زبيد يوم الخميس بدلاً من يوم الجمعة لانشغال الناس بالبيع والشراء عن حضور الصلاة ، وهو ما رأى فيه الأشرف مصلحة لجميع الناس من تجار وغيرهم[٢] ، فضلاً عن وضعهم أحكاماً للأسواق نفسها للفصل بين المنازعات التي قد تظهر حول البضائع المباعة ، على أن يُفصل بين الجميع بما يراه الشرع[٣] .

وفي الوقت نفسه ، عملت الدولة على ضمان حقوق الناس في هذه الأسواق التي تشهد حركة تجارية كبيرة مثل أسواق مدينة عدن ؛ لاسيما حقوق التجار أنفسهم فيما بينهم ، خوفاً من هروب أحدهم دون أن يسدد ما عليه من ديون أو بضاعة لغيره من التجار ،

---

[١] تم الحديث عن ذلك سابقاً . انظر : ص٤٠٨ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٩٨ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٩ .

[٣] انظر عن بعض هذه المنازعات : ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٥ – ١٤٦ .

وحاولت الدولة أن تنظم هذه المسألة تجنباً لحدوث مشكلات بين التجار ، فسنت مرسوماً مفاده : أنه إذا أراد أحد التجار الخروج من باب عدن للسفر في تجارة لابد أن يكون معه خط جواز (وثيقة خروج) أو ضامن يضمنه بأنه ليس عليه ديون لغيره أو عشور للدولة لم يدفعها ، وبعد التأكد من ذلك يكتب له رقعة (وثيقة) بختم أو علامة الوالي ثم يسمح له بالخروج دون أي عراقيل ، وفي حالة عدم وجود ضامن يضمن التاجر الذي يريد السفر يأمر الوالي بعض غلمانه بالخروج إلى وسط سوق عدن لينادي على من فيها : أن فلان بن فلان خارج من الباب ، فكل من له عليه شيء يطالبه ، فإن ظهر عليه شيء أُلزم بدفعه ، وأن لم يظهر عليه شيء خرج إلى أي موضع يشاء[١] .

ويعد الطواشي أمين الدين أهيف والي زبيد من أهم من سن مثل هذه الأنظمة وطبقها على الجميع ليكون هناك نوع من الاستقرار والعدل في حياة الناس حتى يشعروا بدور الدولة ووجودها وحكمتها في إدارة الأمور ، وتمثل ذلك بعدما تولى على زبيد وما جاورها سنة ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م حيث فرض على أهالي المناطق الواقعة تحت ولايته أنظمة مختلفة أهمها : أنه إذا اشتكى إليه إنسان بغريم له غائب عن البلاد وأعمالها وكان في أي بلد من بلاد السلطان ، كتب له محضراً وأرسل به جماعة من الجند والأعوان ، عارضاً عليه إما إرضاء خصمه أو الحضور لإقامة حجته ، فإن امتنع عن الوصول أو التسليم أمر الطواشي أهيف أهله وأقاربه أو وكيله أو عبيده بتسليم ما هو مفروض عليه ، وإن لم يكن له أقارب أو غيره في البلاد الزم الواصلين من أهل بلده التي يسكنها إذا وصلوا إلى زبيد بتسليم ما يتوجب عليه ، وقد فرض ذلك على الجميع دون استثناء لضبط النظام وفض المنازعات بين المتنازعين[٢] . وبالنظر إلى نجاح هذه الطريقة فقد طبقها العديد من الولاة والقضاة في المناطق التي تولوا إدارتها وذلك من خلال إلزام الناس لتسليم ما عليهم من أموال وديون لغيرهم أو إرضاء خصومهم من أمام الوالي أو قاضي المنطقة ، حتى إن جميع الناس تساووا أمام القضاء[٣] لعدل بعض تلك الأنظمة التي فرضتها الدولة لتنظيم وحل مشكلات الرعية ، وترتيب سير حياتهم .

كما نظمت الدولة أسلوب البيع والشراء في الأسواق ، ورتبت المعاملات بين كبار التجار وصغار الباعة من جانب والمشترين من جانب آخر ، ووضعت لهم أنواع المكاييل والموازين والمقايس في الأسواق ، مع اختلاف تلك الموازين من منطقة إلى أخرى ، وتحديد ما يعادلها بين المناطق ، وأصبحت تلك الأوزان والمكاييل والمقايس معتمدة من قبل الدولة ولا يعترف المتعاملون في الأسواق إلاّ بها في وزن جميع أنواع البضائع أو قياس مختلف

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص١٤٦ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٤٨ – ١٤٩ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٢٠٦ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق٢٠٦أ – ب .

[٣] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٣٠ .

أنواع الأراضي أو الأقمشة وغيرها[١] . ويبدو أن الدولة قد قامت بدور كبير أيضاً في تحديد الأسعار المناسبة لمعظم السلع التجارية المستعملة بشكل يومي في حياة الناس مثل اللحم ، مع تفريقها بين سعر لحم الضان والماعز والبقري والمشوي ، فضلاً عن تحديد سعر الخبز البر في الأسواق والسكر والتمر والحلوى والجبن والنَّشا والخضار من بصل وزنجبيل وثوم ولوز وحُمر (التمر الهندي) وحب الرمان والبطاط ، إضافة إلى تحديد أسعار الأقمشة بأنواعها والصابون والحديد والعبيد والجواري مع اختلاف تلك الأسعار من مدينة أو قرية إلى أخرى[٢] .

وفضلاً عن ذلك ، تورد المصادر معلومات عن عملية بيع الأراضي الزراعية ودور الدولة في تنظيمها ، لاسيما علاقة صاحب الأرض بالشريك أو العاملين معه ، وحددت في تلك العلاقة نصيب كل منهم في غلة الأرض أو فيما يدفع لهم من مال بعد بيع الغلة وإخراج ما على الأرض من خراج . ومما لا شك فيه أن الدولة نفسها وبمشاركة بعض الرعية وبعض المختصين من أجهزتها وضعوا تقديرات لأسعار بعض المنتجات الزراعية التي تباع بالجملة محددين سعرها الذي يختلف بين الزبون الذي يشتري بالجملة والزبون الذي يشتري بالتجزئة ، كما وضعوا قوانين منظمة لما يفرض على الأرض من خراج أو عشور مع إخضاع ذلك لجودة الأرض ونوعية زراعتها ، وما قد تتعرض له من سيول وفيضانات وجراد ودود وصقيع (برد) وغيره ، حتى أنهم عينوا موظفين عرفوا بالعدول تكون مهمتهم تقدير ما قد يفرض على الأرض من مبالغ مالية لتحديد حصة الدولة في الضريبة ، إضافة إلى ما عليها من عشور مع عدم اعتماد ما يقدمه صاحب الأرض أو الضامن من معلومات عن مساحتها عند البيع ، ومعلومات عمّا تتعرض له من أضرار وخراب إلاّ ما يقدمه العدول[٣] ، كما يبدو أنهم حددوا أيضاً سعر نقل المنتجات الزراعية من الأرض إلى السوق في المدن ، فضلاً عن تحديدهم أجرة نقل الركاب بين المناطق ، وأجرة نقل البضائع على الجمال أو البغال أو في السفن عبر البحر[٤] .

كما لقيت أمور الرعية الخاصة بالوصاية والوراثة اهتمام الدولة للحفاظ على أموال الورثة والأيتام ، وشدد الكثير ممن يمثلون الدولة في هذه الأمور ، وسن بعضهم الأعراف والأنظمة لضبطها وتنظيمها ، وقد بلغ الأمر بالقاضي الفقيه أبي العتيق أبو بكر بن أحمد بن عمران الأديب الأبيني قاضي عدن وأبين إلى أن يحدث ضوابط لم يحدثها قاضي قبله منها :

---

[١] عن نوعية هذه الأوزان والمكاييل التي تعامل بها الناس في الأسواق انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٦٥ – ٢٦٧ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ – ٣٣٨ ، ٣٤٠ – ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٩ ، ٤٠٨ ، ٥١٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٨ .

[٢] نور المعارف ، ج١ ، ص٣٥٦ – ٣٥٨ ، ٣٦٢ – ٣٦٣ .

[٣] انظر عن تفاصيل ذلك : نور المعارف ، ج١ ، ص٣٨٠ – ٣٨٤ .

[٤] انظر : المصدر نفسه والجزء ، ص٥٨ – ٦١ ، ١١١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ .

أنه منع أهل عدن من أن يوصوا إلاّ بحضرة أشخاص عينهم بنفسه وسماهم الأمناء بحيث لا يستطيع أحد من أهل عدن أن يضع وصيته إلاّ بوجودهم جميعاً ، ومتى فعل أحد بخلاف ذلك أنكر وصيته وحبس وعزر ، وربما حبس الشهود الذين حضروا على الوصية . ومع تشديد هذا القاضي فيما سنه ، إلاّ أن ذلك قوبل برفض الناس لتقييد وصيتهم بهؤلاء الأمناء الذين لم يوفق في انتقائهم ، لسرعة قدومهم على أصحاب الوصايا من ذوي الأموال من الأغنياء والتجار وتأخرهم وتقاعسهم عن الحضور عند فقراء الناس وبسطائهم ، ومِنْ ثَمَّ تكفل هؤلاء بدفع مبالغ مالية للأمناء حتى يأتوا لحضور الوصية التي لا تعتمد عند الوالي إلاّ بحضورهم[١] .

وعلاوة على ذلك ، كانت الدولة تتولى الإشراف على أموال التجار وغيرهم ممن يموتون ولا وارث لهم ، ولاسيما إذا مات ولم يوضع وصية تحدد المكان الذي تصرف فيه أمواله ، على أن يتم جرد هذه الأموال من قبل شيخ المنطقة وبحضور اثنين من الأهالي المعروفين بالأمانة بوصفهم شهود على ما يتم جرده من أموال وعقارات وغيرها ، إلى أن يتم إرسالها إلى الخزينة العامة لتدخل في رصيد الدولة . ويذكر الشرجي[٢] أنه عندما مات رجل من أهل قرية الفقيه أبي عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال (ت : ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) وكان من ميسوري القرية وتجارها كتب مشد الوادي زبيد إلى شيخ القرية أن يختم بيت المتوفى وينزل أمواله بحضور اثنين من أهل القرية ، وقد عرفت أموال مثل هؤلاء المتوفين بالمواريث الحشرية[٣] ، ويبدو أن الدولة عينت إدارة متكاملة لرصد مثل هذه الأموال وترحيلها إلى خزينتها[٤] .

وللحفاظ على أموال الناس أعطت الدولة صلاحية كاملة لبعض ممثليها كالقضاة وولاة المناطق لتولي مثل هذه المسائل الوراثية ، ونتيجة لما تميز به هؤلاء من أمانة وحسن خلق استأمنهم الأهالي على أموالهم وأولادهم ووصاياهم باعتبارهم جزءاً من الدولة ، وراح البعض يستدعونهم لإخبارهم بما معهم من أموال وأراض وعقارات ، وما تحتويه وصاياهم من تفاصيل وتقسيم في ممتلكاتهم لتكون تحت نظرهم إذا ما مات فجأة ، وليتولوا الإشراف على صرفها وتوزيعها على الورثة ، لاسيما إذا كانوا صغاراً ، على أن يأخذوا تركتهم بصورة شرعية فيما بعد وبإشراف رسمي من الدولة[٥] ، وفي هذا الاتجاه شددت الدولة ممثلة في صاحب القضاء الأعلى في اختيار هؤلاء القضاة في المدن والقرى والبوادي على اعتبار أنهم هم المشرعون لبعض الأعراف والقوانين المنظمة لحياة الرعية ، وأخذوا في انتقائهم من بين

---

[١] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٤٥٢ .

[٢] طبقات الخواص ، ص١٩٤ .

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٣٣ .

[٤] الحسيني : ملخص الفطن ، ق٩أ .

[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٣٢ – ٢٣٣ .

من يوصفون بالدين والورع ، لما لأحكامهم من دور في تحديد مصائر الناس من أصحاب القضايا ، حتى أن القاضي أبا الفداء إسماعيل بن محمد بن ميمون الحضرمي (ت : ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) متولي القضاء الأعلى في تهامة كان يضع شروطاً عند تعيينه للقضاة منها اشتراطه على كل قاض يوليه ألاّ يحكم إلاّ بمحضر من الفقهاء الذين يطلعون على أوراق أي قضية ويحضرون النطق بالحكم بها ويصادقون عليه[١] .

وفي الوقت نفسه ، حظيت المنازعات الكثيرة التي كانت تحدث بين الناس باهتمام الدولة ، لاسيما المنازعات الطائفية والخلافات الدينية ، مما دفعها إلى إصدار المراسيم الصارمة التي تحد من إثارة الفتنة التي قد يذهب ضحيتها العديد من الأبرياء ، مثلما حدث في عصر السلطان المظفر الأول عندما اشتد النزاع بين فقهاء الصوفية وفقهاء السنة حول بعض المسائل الدينية ، وقد تطور ذلك النزاع إلى أن ينقسم الناس إلى قسمين ، وكان ذلك تمهيداً لظهور فتنة بين أتباع كل فريق ، وقد أثار ذلك الخلاف السلطان المظفر الأول الذي وجه رسالة شديدة اللهجة إلى أطراف النزاع من الفقهاء والمؤيدين لهم فكانت عبارة عن منشور حذرهم فيه من إثارة الفتنة والفوضى بين الناس ، ومنعهم من الجدال في المسائل الدينية التي لا تحتاج إلى نقاش فيما بينهم ، وأمرهم بالعودة إلى الكتاب والسنة بدلاً من المهاترات التي لا أساس لها ، واختتم بخاتمة شديدة قال فيها : " فالحذر كل الحذر ومن أعذر فقد أنذر ، فإن اقتصرتم وألاّ قصركم السيف عن طول اللسان فقصدكم التلبيس على العوام بقيل قال "[٢] ، ثم أرسل بالمنشور إلى الوالي بحصن تعز وعرفه أن يأمر خطباء تعز بقراءته على منابر المساجد بحضور الفقهاء وغيرهم ، ففعل الوالي فتفرق الفقهاء في البلدان خوفاً من عقاب السلطان[٣] ، وبموجب هذه المنشور امتنع الناس عن المهاترات في المساجد حول المسائل الفقهية الخلافية .

سادساً : إنشاء القرى وحماية ساكنيها :

كانت عملية إنشاء القرى وتعمير المناطق الخاربة والبعيدة ، وترغيب الناس السكن فيها ، وإعطائهم الأراضي الزراعية لإحيائها ومسامحتهم في خراجها وضبط الأمن ، وتحصين تلك القرى لحمايتها من هجمات القبائل المتمردة والمفسدين من أهم الخدمات التي قدمتها الدولة لرعيتها ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر من أكثر سلاطين بني رسول اهتماماً بهذا الجانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، حتى أنه ابتنى في مفازة عظيمة بين حيس وزبيد قرية عرفت بالنوري بعد أن كانت منطقة خربة يهلك فيها

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٠١ .
[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص١١٢ .
[٣] المصدر نفسه والجزء ، ص١١٣ .

المارة[1] ، ويُنهب فيها المسافرون ويلجأ إليها اللصوص وقطاع الطرق ، حتى أن السلطان المنصور أراد بإقامة هذه القرية إحياء هذه المفازة لتشجيع الناس على العيش فيها ، وبخاصة بعض الجماعات المتنقلة من البدو بتوفير جميع سبل العيش لهم . وقطع السبل على المترددين عليها من اللصوص وأرباب الفساد ، ولتسهيل إقامة الناس ابتنى المنصور فيها مسجداً وجعل فيه إماماً ومؤذناً واشترط لمن يسكن معهم مسامحة فيما يزرعه ، فتجمع الناس حولهم وسكنوا معهم ، وزرعوا أرضها واستفادوا من منتوجها حتى صارت هناك قرية كبيرة انتفع الناس بها نفعاً عظيماً[2] ، ويقول الخزرجي[3] : " وأظنها إنما سميت بالنوري نسبة إليه لكونه الذي أحيى ذلك الموضع " .

وفي هذا الصدد قام السلطان الأشرف الثاني بتعمير بعض القرى وإحيائها بالسكان الذين كانوا يتوافدون إليها لحداثتها ، ولِمَا كان يصحب أمر إنشائها من منشورات سلطانية تضم تسهيلات للمقيمين بها إقامة دائمة ، ومن تلك المنشورات ذلك الذي أصدره الأشرف الثاني سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م بشأن تعمير قرية معقل غربي محل القلقل القريب من الوادي زبيد ، وقد صاحب أمر تعمير هذه القرية منشور يأمر فيه الأشرف بتخفيف ضريبة القطيعة لسكان هذه القرية وما جاورها ترغيباً لهم ، ورغبة منه في قطع الطريق عن المفسدين الذين كثيراً ما يقصدون أهالي النخل والوادي زبيد لنهبهم ونهب مزارعهم[4] ، كما كان السلطان الأشرف الثاني أكثر مراعاة لأحوال الرعية وأوضاعهم التي عادة ما تتضرر في الحروب ، ونتيجة لذلك كان كثيراً ما يصدر أوامره ببناء القرى لأهالي بعض المناطق الذين يتعرضون للضرر بسبب مهاجمة القبائل لهم ، مثلما فعل سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م عندما أمر أهالي النويدرة بالانتقال من قريتهم لقربها من سور مدينة زبيد وبابها اللذين كثيراً ما يتعرضان للضرر إذا ما هوجمت المدينة ، وأمر بأن تبنى لهم قرية فيما بين باب سهام وباب الشبارق ، وبعدوا ببنائهم عن السور[5] لضمان أمنهم وسلامتهم .

وفضلاً عن ذلك ، كان لبناء الدولة لبعض المنشآت الخدماتية دور في أن تصبح المناطق التي تبنى فيها مكاناً لتجمع الناس وتوافدهم للإقامة هناك ، لمَا تختص به تلك المشاريع من تسهيلات يفتقدها الناس في مناطقهم منها الأمان وتوفير الماء والخدمات ، ويذكر أن السلطان المظفر الأول عندما قام ببناء دار المضيف والمسجد المعروف بالجديد في تعز ، ومد الماء إليهما من جبل صبر توافد الناس من كل حدب وصوب للإقامة والسكن حول

---

[1] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص ٣٤٩ .

[2] المصدر نفسه والباب والصفحة .

[3] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٨٤ .

[4] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٧٨ .

[5] نفسه والجزء ، ص٢٠٥ .

تلك المنشأة ، فكان ذلك سبباً لانتعاش مدينتي المحاريب وعدينة ، وزيادة عدد سكانها الوافدين إليها[١] .

ومما لا شك فيه ، أنه كان للأوامر التي تصدرها الدولة لإنشاء بعض البنادر[٢] على شفاء المناطق الساحلية دور في دَبّ الحياة فيها ، لتوافد الناس إليها من مختلف الفئات لاسيما التجار ، مثلما حدث في سنة ٨٢٢هـ / ١٤١٩م عندما ورد المرسوم العالي بإنشاء بندر في بحر الأهواب في ساحل زبيد ، وكان ذلك البندر ابتداء لحياة جديدة في المنطقة[٣] .

لقد كانت الدولة حريصة على حياة رعيتها وسلامتهم فراحت تحمي المدن والقرى وتؤمن الاستقرار لساكنيها ، وذلك بطرق مختلفة منها تسوير هذه المدن بأسوار حصينة يصعب على أحد اختراقها أو مهاجمتها عند الحروب ، مثلما فعل الأمير عزيز الدين الطنبغاء والي حرض سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م عندما قام بتسوير المدينة وتحصينها تحصيناً كاملاً للحفاظ عليها وحماية أهلها بعد أن نما إلى علمه أن جموعاً من قبائل المنطقة مدعومة بالأشراف ينوون مهاجمة حرض وإخرابها ونهب سكانها[٤] ، وهو ما فعله أيضاً السلطان المظفر الأول سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م في صعدة عندما أمر بعمارة دربها لحمايتها وحماية ساكنيها من هجمات القبائل[٥] ، ويعد السلطان المجاهد ممن اهتموا بحماية المدن المهمة ذات المكانة فراح في تحصينها ، منها مدينة ثعبات التي أمر في سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م بعمارة سور حولها ، ولم تكن مسورة قبل ذلك ، وخلال عام تم إكمال عمارة السور وركبت أبوابه ، ورتب عليها حراساً من رجال الأمن لحفظها وحماية ساكنيها ، وصارت ثعبات بذلك مدينة محصنة ضمت تجمع سكاني كبير بعد أن عمّر جامعها وأجرى إليه الماء[٦] . ونتيجة لما كان لمدينة زبيد من أهمية سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية تأثرت بفعل الحروب التي تتسبب في إخراب أسواقها ومدارسها ومعالمها وبيوت أهلها سعى السلطان المجاهد إلى حماية هذه المدينة وأهلها وأمر سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م بتجديد سورها وعمارة أبوابها وفنادقها ، فعمّر السور وجددت أبوابه وزخرفت شرار يفه الخارجة منه ، وصارت من أحصن المدن وآمنها[٧] ، وظلت الدولة تحمي أمن هذه المدينة واستقرارها من أي هجوم قبلي أو زيدي قد يؤثر عليها أو يقلق أمن أهلها ، وأصبح كل من تولى عليها يعمل على تحصينها ، ونشر الحراس حول أسوارها مثل الطواشي

---

(١) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٦٩٢ .

(٢) البَنْدَر : مرسى السفن في الميناء ، ويطلق أيضاً على البلدة الكبيرة التي تتبعها بعض القرى اسم بندر . المعجم الوجيز ، ص٦٣ .

(٣) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٩١ .

(٤) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٣٢ – ٤٣٥ .

(٥) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٤٤ .

(٦) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٦١ – ٦٢ .

(٧) الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق١٨٩أ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ، ص٣٦١ .

أمين الدين أهيف الذي قام بموجب تعليمات السلطان الأفضل العباس بعمارة سور المدينة وفنادقها ورتب على أبوابها حراساً بالليل ، وحراساً على مصادر المياه[١] ، في حين سعت الدولة إلى حماية المدن ذات الكثافة السكانية وذات الأهمية مثل مدينة الجند التي أصدر السلطان الأشرف الثاني سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م أوامره إلى واليها القاضي وجيه الدين عبد الرحمن العلوي ليندب المعماريين والبنائين ليعمروا دربها ويحصنوها[٢] .

لقد بلغ من حرص الدولة على رعيتها أنها متى ما شعرت بأن هناك خطراً يهددهم تولت عملية إشعارهم ونقلهم إلى مناطق آمنة ، وقد تأمر ببناء قرى لهم يستقرون فيها مدة التوتر والصراع حفاظاً على سلامتهم[٣] ، في حين كانت الدولة تتكفل بإعادة إعمار بعض المدن والقرى التي تتعرض للخراب بفعل هجمات القبائل ، مثلما حدث في سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م عندما أمر السلطان الظاهر بعض أمراء دولته ومقدميها بالتقدم على رأس عدد من العسكر إلى المحالب لعمارتها وإرجاع أهلها إليها بعد إن أخربتها القبائل وهرب أهلها منها ، وللمصلحة التي اقتضتها المحالب بعد زيارة السلطان الظاهر في العام نفسه لتفقد سير إعادة الإعمار رأى الظاهر أنه لابد أن يبنى درب حول هذه المدينة على وجه السرعة ، لانفتاحها على القبائل التي كثيراً ما كانت تهاجمها وتعتدي على سكانها[٤] ، فضلاً عن قيام الدولة بدفع أموال لأهالي المدن المتضررة من الحروب لإعادة إعمار بيوتهم التي هدمتها الحروب[٥] ، لهذا نجد أن الدولة تكفلت بالعديد من الأموال وتخلت عن العديد من الجبايات في سبيل بناء العديد من القرى وتعميرها ، وإصلاح العديد من الأراضي الزراعية للناس ، إلى جانب تحملها للأضرار التي تعرض لها عامة الناس من جراء الحروب بإعادة البناء والإعمار .

سابعاً : إنشاء المؤسسات الدينية والخدماتية :

كانت المؤسسات الدينية كالمساجد والجوامع والخانقاوات ، والمؤسسات الخدماتية كدور الضيف والفنادق والأسبلة والقيساريات والخانات من أهم المنشآت الاجتماعية التي عملت الدولة الرسولية على إقامتها كجانب من الجوانب الخدماتية لحياة الناس ، علماً بأن تلك المنشآت لم تكن مقصورة على السلاطين فقط بل شملت أيضاً رجال الدولة وأمرائها وكبار موظفيها في المدن والقرى المختلفة ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر من أكثر من اهتم بمثل هذه المشاريع الخيرية والخدماتية منذ أن كان أميراً على اليمن من قبل الملك

---

(١) الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق٢٠٦أ ؛ العقد الفاخر الحسن ، ص٢٠٦ .

(٢) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١١٠ .

(٣) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٢٨ب .

(٤) مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٥) ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٤٣٢ – ٤٣٥ .

المسعود الأيوبي[١] ، وعند توليه حكم اليمن بعد إقامة دولته صار من أكثر المموليين للمشاريع الخيرية حتى إنه ابتنى في كل قرية من التهائم مسجداً وأوقف عليه أوقافاً جيدة[٢] ، كما شارك ولده السلطان المظفر الأول ومن تبعه من سلاطين بني رسول مثل المجاهد والأشرف الثاني في إنشاء العديد من المساجد في مناطق مختلفة لاسيما النائية منها التي يفتقر سكانها لمثل هذه المشاريع الدينية ، وزود هذه المساجد والجوامع بكل ما تحتاج إليه من طواقم إدارية وخدماتية ، حتى إنه أصبح لكل مسجد وجامع إمام وخطيب ومؤذن وقيم ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن ونازح أو قيم لتوفير الماء ومدرس للفقه والحديث واللغة وغيرها ، وعددوا في نوعية الخدمات التي تقدمها المساجد فجعلوها مكاناً للتعبد والتعليم معاً ، وأصبحت المساجد تقوم بدور المدرسة والعكس ، وأوقفوا عليها من خير ما يملكون من أملاك ، وتحملوا جميع مصاريف القـائمين على هذه المساجد والجوامع من مردود هذه الأوقاف[٣] ، فضلاً عن قيامهم بإعادة بناء وترميم بعض المساجد القديمة مع العمل على إجراء زيادة أو إضافة جانبية لها من منارات وأجنحة وغيرها ، وتفننوا في تعميرها وزخرفتها ، وقد أدى بعض السلاطين مثل السلطان الأشرف الثاني دوراً كبيراً في إجراء إحصائيات لبعض المنشآت الدينية منها المساجد والمدارس التي كانت موجودة في بعض المدن الكبرى منها مدينة زبيد في عصره ، فبلغت مائتين وبضـع وثلاثين موضعاً ، وقد أمر في سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م القاضي سراج الدين عبد اللطيف بـن محمد بن سالم بإعادة إعمار ما خرب من هذه المساجد مع رفع تقرير لمعرفة حجم الخـراب والدمار الذي حل بها وما تحتاج إليه لإعادة بناء ما خرب تماماً وإعادة ترميم ما هدم[٤] .

وفي الوقت نفسه ، قامت الدولة ببناء بعض أماكن التعبد الخاصة بالصوفية والمعروفة بالخانقاه ، وكانت أكثرها ملحقة بالمساجد أو بجانبها مثل الخانقاه التي قام ببنائها المظفر الأول بذي عدينة[٥] وفي مدينة حيس ورتب فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن[٦] ، كما أقام السلطان المجاهد خانقاه في مدرسة وجامع مدينة تعز في ناحية الجبيل ورتب فيهـا شيخاً ونقيباً وفقراء[٧] ، وأقام الأشرف الثاني خانقاه في المدرسة الأشرفية بتعز[٨] .

---

[١] ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٢] الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٣ .

[٣] عن هذه المدارس انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ ج٢ ، ص١٢٦ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٣١٧ – ٣١٨ .

[٤] انظر : الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٩ ، ٢١٣ – ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٤٤ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١١٠ .

[٥] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٤٩ .

[٦] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٤٥٠ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٦ .

[٧] الخزرجي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق٢٠٥أ .

[٨] وثائق تعليمية ، ص١٣ ؛ الأصبحي ، آلاء أحمد محمد : المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية في اليمن (دراسة معمارية تحليلية) (٦٢٦ – ٨٥٨هـ/١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، ط١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ، ص١٢٢ – ١٢٨ .

وعلاوة على ذلك ، أقامت الدولة بعض المشاريع التي استفاد منها جميع الناس ومنها دور الضيافة المخصصة لاستقبال الوافدين على السلطان ، وكان المظفر الأول أكثر من اهتم بإقامة مثل هذه المنشآت لتكون مكاناً يرتاده كبار الضيوف من الزوار والمحتاجين ، ومن أهمها دار الضيف في حصن تعز وذي عدينة وحيس[١] ، كما أنشأت الدولة القيساريات التي يبدو من خلال المعلومات التي توردها المصادر أنها استعملت كمكان لإقامة العسكر ، وقد أنشأ السلطان الأشرف الثاني واحدة من هذه القيساريات في قرية المملاح سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م ليرتفق بها العسكر المقيمون هناك[٢] ، كما أنشأ في العام المذكور في قرية القوز من زبيد قبالة دار النصر فندق البر والزبيب ليرتفق أيضاً إليه العسكر[٣] ، وأقاموا المحلات التجارية في المدن الكبرى ذات الأسواق المزدهرة مثل مدينة زبيد التي أمر السلطان الأشرف الثاني ببناء عدد من المتاجر فيها سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م[٤] ، ويبدو أن هذه المنشآت التجارية كانت تُستثمر من قبل الدولة أو تؤجّر على تجار بمقابل شهري يتفقون عليه مع الدولة .

وفضلاً عن ذلك ، أنشأت الدولة المشاريع الخيرية التي استفاد منها فقراء الناس من الفلاحين وغيرهم ، وتعد عمارة البرك وإصلاح سواقيها من أهم هذه المشاريع الاجتماعية ، ومنها البركة التي أمر بعمارتها وإصلاح سواقيها السلطان المؤيد في وصاب[٥] ، والبركة التي أمر بعمارتها السلطان الظاهر سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م في معجبة[٦] التي بلغ طولها مائة ذراع في عرض ستين ذراعاً ، وكان بناؤها من أجمل ما يكون[٧] ، كما أنشأ السلطان الأشرف الرابع إسماعيل بركة عظيمة حسنة في جامع زبيد ليستفيد منها المصلون والمارة وغيرهم[٨] ، في حين قامت الدولة ببناء القناطر[٩] التي يعبر عليها الناس وتصل بين القرى عبر الأودية والأنهار ، وكانت أشهر تلك القناطر القنطرة الشرفية التي بنيت سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م قبالي بستان الراحة للربط بين الزريبة والمرشدية ولم تكن قبل ذلك هناك قنطرة ، وقد أمر ببنائها مشد الوادي زبيد القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم[١٠] .

---

[١] انظر : نور المعارف ، ج٢ ، ص١٣ ، ١٦ ، ١١٤ ، ١٣٠ ؛ الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٥٢ .

[٢] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٢٢ب ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٣ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٧٠ .

[٤] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٤ .

[٥] الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١٤٢ .

[٦] معجبة : من قرى تهامة القريبة من قشال . انظر : مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٢٧٦ – ٢٧٧ .

[٧] مجهول : المصدر نفسه ، ص٢٨٧ .

[٨] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٥ .

[٩] القَنْطَرة : جسر مقوس يُبنى فوق الأنهار ليُعبر عليه . المعجم الوجيز ، ص٥١٧ .

[١٠] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

لقد كان لجميع المشاريع المذكورة التي قامت الدولة ببنائها دور في تسهيل العديد من الأمور الحياتية الخاصة بالناس في ذلك العصر ، وتظهر لنا تلك المنشآت المستوى الحضاري المتطور الذي وصل إليه المجتمع بفضل ما قدمته الدولة من مشاريع سهلت عليه الكثير من الأمور لِمَا فيها من فائدة لكل فرد من أفراد المجتمع ، فضلاً عن دور تلك المنشآت من مساجد وجوامع ومدارس وخانقاه وأربطة وأسبلة وخانات وغيرها في المساهمة بشكل أو بآخر في زيادة مساحة بعض المدن في العصر المذكور مثل مدينة زبيد ، وانتقال العديد من الناس إليها من العلماء والفقهاء وغيرهم ، وزيادة الكثافة السكانية لهذه المدن لوجود الخدمات الضرورية التي يحتاج إليها الناس(١) .

ثامناً : تشييد المنشآت التعليمية :

كان من أكثر الخدمات التي قدمتها الدولة الرسولية للمجتمع إنشاؤها للمؤسسات التعليمية في مختلف مدن وقرى وبوادي اليمن ، مما ساعد على أن تحصل فئة واسعة من الناس على التعليم دون انحصاره في فئة اجتماعية معينة ، وقد اهتم بنو رسول بإنشاء مثل هذه المنشآت لِمَا لها من دور فاعل وتوعوي وتربوي ساعد في إيجاد فئة عدت صفوة المجتمع في ذلك الحين لدورها في تنويره وتطويره علمياً وفكرياً وثقافياً ، حتى إن المدارس وبناءها والاهتمام بطواقمها وبأوقافها أصبح من سمات ذلك العصر . ويبدو أن انتشار التعليم بين الناس والإقبال الكبير عليه قد دفع معظم سلاطين بني رسول إلى التنافس على بناء المنشآت التعليمية لكسب قلوب العامة(٢) ، مقدمين في ذلك الأموال الطائلة ، وموقفين عليها أفضل أموالهم وأملاكهم ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر من أكثر من اهتم بهذا الجانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، مع انشغاله بشؤون الحكم ، وسعيه إلى ترسيخ دعائم دولته التي كانت في مهدها ، إلاّ أن ذلك لم يمنعه أو يشغله عن الاهتمام بحياة الناس التعليمية ، حتى إنه بنى لتحقيق هذا الهدف عدداً من المدارس في مناطق متفرقة من اليمن(٣) ، كما سار السلطان المظفر الأول بن المنصور على نهج والده في إنشاء مثل هذه المنشآت التعليمية(٤) ، وكذلك فعل السلطان المؤيد داؤد(٥) ، والمجاهد علي(٦) ، والأفضل

---

(١) الحداد : الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد ، ص٧٩ .

(٢) المطاع ، إبراهيم أحمد محمد : المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص١٩ – ٢٩ .

(٣) عن هذه المدارس وأماكن تعميرها انظر : الجندي : السلوك ، ج٢ ، ص٥٤٣ ؛ الملك الأشرف ، فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٤٩ .

(٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٥) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٢٠ – ٢٢١ .

(٦) الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٨١ .

العباس[١] ، و الظاهر يحيى[٢] ليستفيد أهالي المناطق التي بُنيت فيها مما تقدمه من خدمات تربوية وتعليمية وسلوكية .

وفي الوقت نفسه ، دفع إنشاء مثل هذه المؤسسات التعليمية السلاطين إلى الالتزام بتحمل تكاليف العاملين ومصاريفهم وجوامكهم وكسواتهم من المدرسين والمعيدين والمؤذنين والقيمين والمنظفين والقائمين على المدارس وعلى الوقف ونوابهم بما في ذلك الطلاب والأيتام وغيرهم ، وراحوا يبحثون لتلك المدارس عن مصادر دخل تمكنها من التكفل بالمصاريف الشهرية للمذكورين ، فضلاً عن مصاريف لإصلاح ما تشعث من المدرسة وجميع المرافق التابعة لها ، وما تقتضيه مصلحة المدرسة من شراء الدهن للإضاءة والحصير وغيره[٣] ، فأوقفوا أفضل ما عندهم من الأطيان والعقارات رغبة منهم في استمرار عمل هذه المدارس ، كما صرفت الدولة أموالاً طائلة في بعض الأحيان لشراء الكتب النفيسة ، وأرفقت ببعض المدارس مكتبات ضخمة لتكون عاملاً مشجعاً للطلاب الذين ينتمون إلى فئات فقيرة لا تقدر على شراء الكتب المقررة في الدراسة ، مما ساعد على أن يلتحق بهذه المدارس طلاب من مختلف فئات المجتمع الغنية والفقيرة ، وكان من أشهر المدارس التي اشتهرت في العصر المذكور بمكتبتها النفيسة المدرسة المؤيدية التي أمر بإنشائها السلطان المؤيد داؤد سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م في مغربة تعز ، وقد احتوت على كتب مختلفة في التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو والصرف وغيرها من أمهات الكتب[٤] .

ولم تكن المدارس التي بنتها الدولة الرسولية مجرد مبانٍ عادية ، بل كانت بطراز بنائها المعماري المتطور عبارة عن مجمع يضم في داخله قاعات الدرس وجامع ، إضافة إلى خانقاه ، بطاقم تدريسي وخدماتي متكامل ، فضلاً عن مخازن للطعام المخصص يومياً للواردين على المدرسة ، ولعل خير مثال على ذلك المدرسة المجاهدية التي أمر ببنائها السلطان المجاهد سنة ٧٣١هـ / ١٣٣٠م في ناحية الجبل من مدينة تعز التي جعلها مدرسة وجامعاً وخانقاه ، ومكان لإطعام الطلاب والضيوف القادمين عليها يومياً[٥] .

لقد كان من بين الأهداف التي وضعتها الدولة عند إنشائها لمثل هذه المؤسسات أن تخرج العلماء والفقهاء الذين يمكن أن يستفاد منهم في بناء المجتمع وتطويره وتطوير عقليات أبنائه الذين يجهلون العديد من الأمور الحياتية والدينية ، لذلك ولتحقيق الهدف المنشود من إنشاء المدارس سعت الدولة جاهدة في البحث عن المدرسين والمعلمين والمعيدين أصحاب

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٩ .

(٢) ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١١٢ .

(٣) وثائق تعليمية : ص١٢ – ١٣ ، ١٥ .

(٤) ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص٢٢٠ .

(٥) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٢٥ – ١٢٦ .

الخبرات ، وراحت في ترغيبهم للعمل بها والموافقة على شروطهم التي يضعونها مقابل تدريسهم ، كما راحوا في تقديم التسهيلات والإغراءات مقابل عملهم في التدريس في هذه المدارس[١] ، في حين هدد بعض السلاطين مثل السلطان المنصور الأول بعض المدرسين بالطرد إلى خارج مملكته إذا ما رفضوا التدريس في المدارس التي أنشأها لتعليم أبناء العامة من الناس[٢] ، كما استعمل العنف مع من رفض منهم ، وهو ما فعله مع الفقيه أبي الحسن علي بن قاسم العليف بن هيش بن عمر بن نافع الحكمي عندما رفض دعوته للتدريس في إحدى مدارسه ، فاستعمل معه جميع وسائل التهديد والوعيد لإجباره ، ووصل به الأمر إلى أن يأمر بسحبه في الطرقات حتى كاد يختنق بقميصه[٣] .

تاسعاً : الاهتمام بأوضاع الناس الصحية والبيئية :

عانت اليمن في العصر المذكور من العديد من الأمراض والأوبئة التي كانت كثيراً ما تنتشر بين الناس لقلة الرعاية الصحية والتوعية بينهم ، وقد حصدت تلك الأوبئة أرواح العديد من الناس خلال تاريخ هذه الدولة[٤] ، مع العناية التي أولتها بأوضاعهم الصحية ، في محاولة لمحاربة تفشي هذه الأوبئة والحد من انتشارها ، فضلاً عن علاجهم للأمراض الكثيرة التي كانت شائعة ومنتشرة بينهم والتي كانت في حاجة إلى مراقبة مستمرة لتفادي مضاعفاتها . وفي هذا الاتجاه قامت الدولة على ما يبدو ببناء وحدات صحية صغيرة في المدن الكبرى والرئيسة ولاسيما الموبوءة منها ، وراحت تبحث لهذه الوحدات عن المتخصصين من الأطباء أو الحكماء ، وإذا لم تجدهم أرسلت في طلبهم من خارج اليمن ، وهذا ما فعله السلطان المظفر الأول بعد فتح مدينة ظفار الحبوضي ، إذ كتب إلى الظاهر بيبرس صاحب مصر طالباً منه أن يرسل إليه طبيباً لمدينة ظفار الحبوضي لأنها وبيئة ، موضحاً له أنه لا يحتاج هذا الطبيب لنفسه وإنما لهذه المدينة[٥] ، ومثل هذا الاهتمام بأحوال الناس الصحية نجده أيضاً في عهد السلطان المؤيد داؤد ، ويتبين ذلك من خلال الإشارات التي يذكر فيها الجندي[٦] استقباله لشخص يسمى أحمد الساعور القادم من دمشق الذي كان على معرفة بالطب ، ومن الملاحظ أن تقديم السلطان المؤيد لهذا الطبيب الرواتب واستمراره بدفعها له حتى وفاته دليل على أن هذا الطبيب ظل يعمل في اليمن على معالجة الناس ، وإلاّ لمّا دفع له المؤيد جامكية .

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٦٥ ، ١٠٨ ، ٣٤٧ – ٣٤٨ .
[٢] الجندي : السلوك ، ج١ ، ص٤٠٣ – ٤٠٤ .
[٣] الشرجي : طبقات الخواص ، ص٢٠٧ .
[٤] للمزيد من التفاصيل عن هذه الأمراض انظر فيما سبق : ص٢٨٥ – ٢٨٧ .
[٥] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٧ – ٢٧٨ .
[٦] السلوك ، ج٢ ، ص٥٧١ .

وفضلاً عن ذلك ، كان سلاطين بني رسول هم أنفسهم على معرفة بالطب ، بل وعلّموا أولادهم ليكونوا أطباء يستفاد من عملهم في خدمة غيرهم ، وهو ما أشار إليه السلطان المظفر الأول في رسالته المذكورة آنفا التي وجهها إلى السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر التي قال فيها : " ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا ، وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً ، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب ، وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله "[١] ، علماً بأن سلاطين بني رسول وفروا لأنفسهم الأطباء ليهتموا بصحتهم وصحة المقربين منهم ، وضمت قصورهم عدداً منهم[٢] ، فضلاً عن استقدام الدولة لمثل هؤلاء من الخارج للرعاية الصحية بالسلطان ومن حوله[٣] ، كما أفادت المؤلفات الطبية التي قام بنو رسول بتأليفها المجتمع وانتفع منها خاصة الناس وعامتهم لِمَا فيها من وصفات يمكن الاستفادة منها في علاج الأمراض البسيطة والمستعصية التي يعاني منها جميع الناس[٤] .

كما انفردت بعض هذه المؤلفات بعلاج ما تتعرض له الدواب والحيوانات المختلفة من أمراض يجهلها بعض الناس[٥] ، فكانت تلك المؤلفات بمثابة مرشد طبي يوجههم لكيفية العلاج وتكوين الوصفات المحلية التي يمكن جمعها بسهولة من أعشاب ومواد معروفة لديهم وبإمكانهم الحصول عليها من حوانيت العطارة .

وفي الوقت نفسه ، أولت الدولة عنايتها بالبيئة التي يعيش فيها الناس ، وأخذت تهتم بها ، .ووجهت الإرشادات والتعليمات للحفاظ عليها وعلى جمالها مهددة بمحاسبة ومعاقبة من يتعدى عليها أو يعمل على إخرابها مشوهاً الصورة الجمالية لها ، ويذكر الخزرجي[٦] أن السلطان الأشرف الثاني عندما أمر بعديد النخل في وادي زبيد كان من جملة المندوبين رجل يسمى عبد الرحمن بن الوجيه الذي ما أن وصول ومن معه من المندوبين إلى النخل حتى رأى رجلاً يقطع نخلة مثمرة فعنفه وتوعده ووبخه وتهدده . ويعبر موقف هذا الرجل الذي يمثل السلطة عن مدى حرص الدولة على الحفاظ على جمال الطبيعة والبيئة في وادي زبيد ، رغبة منهم في عدم تشويهها بقطع أشجارها ، كما شجعت الدولة عامة الناس على الاهتمام بالمنظر الجمالي لمناطقهم ، وتزويد مزارعهم بما يجذب الأنظار إليها من ورود وأزهار وأنواع الفواكه ، فضلاً عن غرس هذه المزروعات ذات الصورة الجمالية في مناطق متفرقة

---

[١] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٨ .

[٢] نور المعارف ، ج٢ ، ص١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ؛ الخزرجي : المصدر نفسه والجزء ، ص٦٦ .

[٣] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٧٩٢ .

[٤] انظر عمّا كُتب في بعض هذه المؤلفات : الملك المظفر : المعتمد ، ص١٥ وما بعدها .

[٥] انظر : الملك المجاهد : الأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة ، ق٢٠أ ، ٢٢ب .

[٦] العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٦٤ .

بما فيها الشواطئ ، ويذكر أنه في سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م أصدر السلطان الأشرف الثاني أمراً بغرس نخلٍ ما بين المغرس والنخل بزبيد فغرس قدر ألف عود ، وللحفاظ على حياة هذا النخل ساقت الدولة إليها نهراً من العين التي ظهرت بالوادي[١] ، كما ورد أمر آخر إلى المشد بزبيد في سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م بغرس خمسة آلاف نخلة في الوادي ، فغرست في مدة يسيرة وهو الذي يسمى الربوة[٢] ، وكررت الأوامر للمشد بتعز سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م بحمل ألف غرسة من أشجار الفواكه منها العنب والتوت والخوخ والبلس والسفرجل والرمان والمشمش والأجاص ، فضلاً عن شجر الفوفل والموز والليم وسائر الخضروات التي أمر أن تغرس في أماكن أخرى فحملت وغرست في أماكن متفرقة بزبيد والنخل وعلى السواحل[٣] ، وقد يكون هدف الدولة من خلال إصدار مثل هذه الأوامر إقامة نواة لحدائق تكون متنفساً يخرج إليه أهــالي زبيــد والوادي للاستمتاع بالمناظر الجمالية التي تضم أجمل ما يحب المرء أن يراه ويتذوقه .

وفي هذا الصدد ، كانت عملية حفر الآبار من قبل الدولة والاستفادة من مياهها في سقي الأراضي والبساتين من الأمور التي ساعدت على تشجيع الرعية على الاهتمام بالطبيعة وإقامة البساتين التي تعد من أهم المتنفسات ، فقد أمر إن السلطان الأشرف الثاني بحفر وتعمير العين التي في قرية المغرس من وادي زبيد وأجرى الماء فيها إلى بستان الشوجين وهو من بساتين النخل بوادي زبيد ، فأدى ذلك إلى اخضرار الأرض حول هذه العين ، فضلاً عن قيام الرعية بإنشاء وغرس الأشجار لتكوين بساتين كثيرة في أقرب مدة حيث مرور المياه[٤] .

ومن الأمور التي ساعدت على الاهتمام بالبيئة المحيطة بالناس تكريس الدولة جهودها لتسخير المياه في مصلحة الطبيعة بدلاً من ضياعها في الأرض ، مثلما فعل السلطان المؤيد عندما أمر بتوصيل ماء الخشبة من جبل صبر إلى مغربة تعز ، فعظم نفع هذا الماء عند الناس ، واخضرت الأرض وازدهرت بعد أن كان الماء قبل ذلك يسيل في الأزقة ولا ينتفع به[٥] .

وفضلاً عن ذلك ، كانت الدولة نفسها تقيم البساتين والحدائق التي كانت تبهر الناظر لتكون متنفساً لجميع فئات الطبقة الحاكمة ، ومن خلال ما تنقله لنا المصادر من وصف لهذه المتنفسات وجمالها وخضرتها وعيونها[٦] يتبين أن الدولة الرسولية أعطت اهتماماً كبيراً للبيئة والطبيعة ، وقد حولت بعض المناطق من أرض قاحلة إلى بساتين وجنان تأسر النظار إليها .

---

[١] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٩٠ .

[٢] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص٢٤٢ .

[٣] مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص١٢٨ .

[٤] الخزرجي : طراز أعلام الزمن ، ق١٩١ب .

[٥] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٣١٨ .

[٦] للمزيد من التفاصيل عن هذه البساتين والجنان انظر فيما سبق : ص٢٢٧ – ٢٢٨ .

عاشراً : مساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام :

نظرت الدولة الرسولية للفقراء وأصحاب الحاجات والأيتام بعين الرحمة ، وراحت تتصدق عليهم بالأموال والطعام لكونهم شكلوا فئة واسعة يصعب عليها تركهم أو التخلي عنهم دون دعم يساعدهم بعض الشيء على تخطي مشاكل الحياة المتعبة ، فألحقت بعضهم بالمدارس والمساجد والخانقاه التي كانت تبنيها ، ومدتهم بما يحتاجون إليه من طعام ولحم وتمر وغيره بشكل يومي ، وأوقفت عليهم الأراضي وتكلفت الأموال الطائلة لإعانتهم ، ويذكر الخزرجي[١] أن السلطان المظفر الأول عندما أنشأ خانقاه مدينة حيس خصص طعاماً للفقراء الواردين إليها وأصحاب الحاجات في كل يوم مداً من الحب بمد أهل اليمن يزيد عن حمل الجمل الضخم الشديد ، خارجاً عن اللحم والتمر الذي يقدم بشكل يومي . كما قام السلطان المظفر الأول بإنشاء دُور الضيف وخصص بعضها لأصحاب الحاجات من الفقراء ، وفعّل مثل هذه الدُور بشكل كبير مع حلول شهر رمضان ، وذلك من خلال تشغيله للمطبخ المعروف بالخرجي لمد مثل هذه الدُور بأنواع الأطعمة والمأكولات الشهية التي كانت تقدم وجبتَي الفطور والسحور طيلة الشهر الكريم[٢] . وقد بلغ من عناية الدولة بهذه الفئة الاجتماعية الفقيرة أن أوقفت على المدارس التي تعيلهم وملحقاتها ، الأراضي الزراعية وغيرها ليعود مردودها لصالحهم ، وأولى بعض السلاطين عنايتهم بالأراضي والعقارات الموقوفة على المدارس التي تنفق على الفقراء والمحتاجين والمساكين ، لِمَا فيها من مسؤولية قد تضيع فيها حقوق هؤلاء وأموالهم الموقوفة لهم ، فعينوا لهذه الأوقاف موظفين أكفاء وشددوا عليهم للإشراف على الوقف بأنفسهم ، حتى إن بعض السلاطين متى ما يسمع بتقصير ذلك الموظف أو اتكاله على غيره لإدارتها أرسل إليه أو استدعاه ليوبخه على تضييعه أموال الناس وتقصيره في إدارتها والحفاظ عليها[٣] ، في حين تصدق بعض السلاطين على الفقراء والمساكين بالأموال مباشرة لمساعدتهم والتخفيف عنهم ، ويذكر أن السلطان الأشرف الثاني ممن كانوا يتصدقون على أصحاب الحاجات ، ومن أشهر صدقاته الصدقة التي قدمها للفقراء سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م والتي فاقت قيمتها ألف دينار[٤] ، بينما عبر بعض هؤلاء السلاطين عن محبتهم لفقراء الناس وبسطائهم بالتواضع والخروج إليهم والاختلاط بهم مثل السلطان المنصور الثاني عبدالله بن الناصر الذي اشتهر بحبه للفقراء والمساكين حتى أنه كان يصلي

---

[١] العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٢٧٦ .

[٢] انظر فيما سبق عن هذا الموضوع : ص٢١٣ .

[٣] الجندي : السلوك ، ص٢٢٤ ؛ الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص١٩٨ ، ١٩٩ .

[٤] الخزرجي : العسجد المسبوك ، ق٢٤٩ب .

معهم صلاة الفجر في جماعة بمسجد الأشاعر بزبيد ، ويصلي معهم جماعة في الجامع المظفري بذي عدينة[١] .

وكيفما كان الأمر ، فقد راعت الدولة أوضاع هؤلاء الفقراء وراحت تسهل لهم بعض الأمور التي يصعب عليهم القيام بها لأحوالهم المادية والمعيشية الصعبة ، وقد وجدت الدولة في موسم الحج الذي يخرج فيه السلطان خير مناسبة يمكن استغلالها لدعم هؤلاء ومساعدتهم للسفر إلى الأراضي المقدسة على نفقتها ، لِمَا تشكله تكاليف الحج من عبء يصعب على فقراء الناس توفيره ، ولذلك فتحت الدولة المجال أمام هؤلاء للالتحاق بالسفن التابعة للديوان السلطاني المسافرة بحراً ، لاسيما لمن ليست لديهم المقدرة المالية التي تمكنهم من السفر ، كما سمحت لمن يريد منهم الالتحاق بالقوافل التابعة لها والمنطلقة براً ، ولم تكتفِ الدولة بذلك بل راحت تؤمن لهؤلاء الحماية ، وتتكفل بتوفير المؤونة الضرورية للسفر والتي تضم الأطعمة والأشربة والدواب والعلوفات والخيام من دون أن يدفع المسافر أي مبلغ مالي كرسوم أو غيرها خلال مدة الذهاب والإياب . ويعد السلطان المظفر الأول من أكثر سلاطين بني رسول اهتماماً بتسهيل التحاق فقراء الناس وبسطائهم والمنقطعين منهم بموسم الحج تقديراً لأوضاعهم الصعبة وعجزهم عن توفير مصاريف السفر والزاد ، لهذا سمح لهؤلاء الفقراء بركوب السفن التابعة للدولة والمسافرة بحراً أو الالتحاق بالقوافل المسايرة لها براً والمشحونة بالأطعمة والعلوفات وغيرها ، حتى إنه من عظم موسم حج سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م مات من الجمال تحت الحوائج خاناه المحملة بزاد وأدوات الحجاج المرافقين لقوافل الدولة ألف بعير لمشقة ما كانت تحمله[٢] .

إلاّ أن أكبر العناية التي قدمتها الدولة كانت للأيتام الذين لا عائل لهم كواجب ديني وإنساني ، حتى أن معظم المدارس والمساجد التي بنيت على يد سلاطين بني رسول وغيرهم من رجال دولتهم كانت بمثابة ملاجئ يأوي إليها هؤلاء الأيتام ليحصلوا على الأطعمة المخصصة لهم من وقف هذه المدارس والمساجد ، وقد بلغ من اهتمام بعض السلاطين إلى إدراج صرفيات الأيتام الشهرية ضمن لوائح وقوائم ما يصرف للهيئة الإدارية والتدريسية والخدماتية للمدارس[٣] ، فضلاً عن تخصيصهم عدداً من المقاعد لهؤلاء الأيتام في كل مدرسة يقومون بإنشائها ، مع تكلفهم بمصاريف تعليمهم وإطعامهم ، والتشديد عليهم بتلقي العلوم لاسيما العلوم الدينية ، حتى إن أكثر ما يتعلمه هؤلاء الأيتام في هذه المدارس

---

[١] ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٩ ؛ سنان : الشعر اليمني ، ص١٠٤ .

[٢] ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٤٦ .

[٣] وثائق تعليمية : ص١٢ ، ١٦ .

والمساجد هو القرآن الكريم[١] ، ويظهر أن هدف الدولة من وراء تعليم الأيتام للقرآن واشتراطها عليهم حفظه كان إخراجهم قراءً له .

لقد كانت الدولة حريصة على الأيتام وعلى الأموال المخصصة لهم ، والتي أوكلت إدارتها لكبار الموظفين من القضاة وغيرهم ، وقد شددت عليهم وراحت تحاسبهم بغض النظر عن مكانتهم في المجتمع ، علماً بأن الدولة كانت تخضع هؤلاء المسؤولين بين مدة وأخرى للمساءلة والمحاسبة عن هذه الأموال ، لذا لابد عليهم أن يثبتوا فيما صرفت فيه هذه الأموال ، وإذا ثبتت أي اختلاسات فيها تمت معاقبتهم ومصادرة أموالهم وأملاكهم[٢] . وبلغ من حرص بعض المسؤولين في الدولة على أموال الأيتام رفع تقارير يومية بما يخرج منها ليعلم كل من حولهم بما يصرف على طعام الأيتام وشرابهم وما تبقى ، وكان الفقيه القاضي أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبدالله اليافعي المعروف بالهزاز (ت : ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) قاضي تعز أكثر رجال الدولة حرصاً على أموال الأيتام ، حتى إنه إذا مات أحد وله أولاد صغار أمر من يجهزه ويقضي دينه ، فإذا بقي شيء من تركته أمر المؤذن أن يصيح من على سطح جامع المعزية المشرف على السوق ليخبر جميع من في السوق عند ازدحامه بموت هذا الشخص مع إعطائهم معلومات تفصيلية بما خلفه وتركه من المال والعيال والديْن ، وكم صرف من هذا المال لقضاء دينه بعد وفاته ، وكم بقي لعياله الأيتام من هذا المال ، مع تعريف أهل المدينة الموجودين في السوق بالمبلغ الذي حدده الحاكم كصرفيات شهرية لأبنائه ، حتى إنه في آخر كل شهر يأمر المنادي بأن يطلع الناس على المبلغ الذي يُسلم لليتيم خلال الشهر وكم يبقي له ، فكان الناس يعرفون فيما تصرف فيه أموال الأيتام في مدينة تعز وما بقي لكل يتيم منها[٣] ، وهو ما يظهر لنا مدى حرص الدولة على أموال الأيتام .

وكيفما كان الأمر ، فقد أبدت الدولة تعاونها التام مع هؤلاء من خلال ما قدمه السلاطين من دعم وأوقاف تظهر مدى حبهم ورعايتهم وحرصهم على أن يعيش الأيتام حياة طبيعية كغيرهم من الأطفال دون أن يشعروا بنقص في المجتمع ، ويذكر أن السلطان الأفضل العباس عندما قام بإنشاء مدرسة في ناحية الجبيل في مدينة تعز التي كانت موضعاً لتجمع وتعليم الأيتام الفقراء خصص لهم طعاماً أوقفه على هذه المدرسة ليكون لهم ، وقد كان مصدر هذا الطعام أوقافاً ضمت أطياناً ونخلاً وكروماً وغيره ليقوم بكفايتهم[٤] .

---

[١] الملك الأشرف : فاكهة الزمن ، ب٥ ، ص٣٤٩ ، ٤٥٠ – ٤٥١ ، ٥٦٥ ، ٦١٨ ، ٧٥٦ .

[٢] انظر عن بعض هؤلاء : ابن عبد المجيد : بهجة الزمن ، ص١٨٥ .

[٣] الملك الأفضل : العطايا السنية ، ص٤٩٨ .

[٤] الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج٢ ، ص١٥٩ .

خلاصة القول ، إن الدولة الرسولية كانت من الدول التي أعطت عناية خاصة لرعيتها من خلال ما قدمته لهم من عناية واهتمام بحياتهم الاجتماعية رغبة منها في أن يعيشوا حياة أمن وهدوء رغم المعاناة التي مروا بها خلال مدة حكم بعض السلاطين ، ومع ذلك جاءت إجراءات من تبعهم في صالح جميع من في المجتمع ، لِمَا لقيته هذه الإجراءات من متابعة مستمرة من الدولة ومن يمثلونها حتى يتم تنفيذها ، وهو ما عكس نفسه على استقرار الأوضاع الاجتماعية في عصر هذه الدولة وبقائها مدة زمنية أطول .

الخاتمـــة

ضمَّ المجتمع اليمني عند قيام الدولة الرسولية على يد السلطان المنصور نور الـــدين عمر بن علي بن رسول تركيبة اجتماعية تكونت من عنصرين أساسيين كانا يشكلان الأساس لجميع فئات وشرائح الطبقات الاجتماعية التي عرفت في ذلك العصر ، وتُعد القبائل اليمنيـــة هي العنصر الأول والأهم في تكوين المجتمع ، يليها في ذلك الأجناس المختلفة القادمة إلـــى اليمن من مختلف الأمصار الإسلامية وغير الإسلامية ، وقد شكّلت القبائل السواد الأعظم من سكان اليمن الأصليين لجذورها التاريخية الراسخة في هذه الأرض الـــذي يؤكـــده انتشـــارها بفروعها كافة في مناطق اليمن المختلفة الجبلية منها والساحلية والتهامية والصحراوية .

ونتيجة لما يمثله المجتمع القبلي من تشكيلة اجتماعية ربطت بين أفرادها مصـــالح اقتصادية وصلات دم حكمتها أعراف وتقاليد موروثة وراسخة أصبحت القبيلة أكبر وحـــدة اجتماعية متماسكة عرفتها اليمن ، وقد أدى ذلك التماسك إلى أن تكون القبيلة مـــن أخطـــر القوى الاجتماعية التي كانت كثيراً ما تهدد أمن الأهالي وسلامة الدولة التي حاولـــت عبـــر تاريخها الطويل كسب ود هذه القبائل ، وضمها إلى صفها بإكرام مشائخها وزعمائها ومدهم بالأموال والكسوات وغيرها ، فأصبحت تلك القبائل بمشائخها وأفرادها خير معين للدولـــة ، حتى أن ذلك كان من أهم عوامل استقرار الدولة أو زوالها .

لم تكن طبائع أفراد تلك القبائل على مستوى واحد من التعامل ، لما كان للبيئة التي عاش فيها هؤلاء من دور فاعل في تحديد سلوكياتهم ، ومن الملاحظ أن ســلوكيات رجـــال القبائل الذين عاشوا في المدن واختلطوا بأهلها وزاولوا أنواع الأعمال والمهن فيها اختلفـــت من حيث الحدة والعصبية عن سلوكيات من عاشوا في المناطق البدوية الريفية أو الصحراوية أو الجبلية ، حتى إننا نجد أن معظم الهجمات التي كانت تتعرض لها المدن الكبرى لاســيما التجارية والزراعية منها كانت تأتي في الأساس من القبائل البدوية التي تسكن خارج المـــدن في الأرياف ، لبداوتهم وعصبيتهم ولأحوالهم المادية الصعبة التي دفعتهم إلى الكسب والعيش من الغنائم التي كانوا يغنموها من الدولة ومزارع الناس وتجارتهم ، ومع ذلك عمل أفراد من هذه القبائل في الأرياف والمدن على مزاولة أعمال خدموا بها غيرهم ، كمـــا خـــدموا بهـــا أنفسهم ، وكانت تلك الأعمال هي التي جعلتهم يكونون فئات وشرائح الطبقـــات الاجتماعيـــة التي عرفت في ذلك العصر .

وفي الوقت نفسه ، شكّلت العناصر القادمة إلى اليمن العنصر الثاني من عناصـــر التركيبة الاجتماعية المكونة للمجتمع ، وقد جاء هذا العنصر عن طريق الهجرات المتواصلة التي شهدتها اليمن ، حتى إنها كانت سبباً في تباين أشكال أهل اليمن ولهجـــاتهم وثقافـــاتهم

وعاداتهم وتقاليدهم ، لما كان للتمازج والتزاوج معهم من دور في ظهور أجيال جديدة جمعت بين أوصاف وعادات اليمنيين الأصليين وغيرهم ممن وفدوا إليها ، ويعد الغُز والأكراد والأحباش والفرس والزنوج والهنود ، بالإضافة إلى العرب من المصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة من أهم العناصر الوافدة إلى اليمن عبر الهجرات المستمرة ، فضلاً عن استقدام حكام اليمن العديد منهم للعمل أو لسد النقص في بعض المجالات التي تفتقدها البلاد منها الجندية والتدريس والعمارة والصناعة ، في حين قدم الكثير منهم من تلقاء أنفسهم لتلقي العلوم المختلفة من علماء اليمن المشهورين أو للبحث عن فرص عمل للعيش منها ، فاستقروا وانصهروا في المجتمع ، حتى إن الكثير من سكان المدن كمدينة عدن بتجارها وعلمائها وموظفيها كانوا من الوافدين الذين كان تأثيرهم كبيراً في الحياة السياسية والاقتصادية الاجتماعية والعلمية والفكرية والثقافية ، وقد أدى انصهار هذين العنصرين المتمثلين بالقبائل اليمنية والقادمين إلى اليمن في الحياة العامة إلى أن ينتج عنهم فئات وشرائح عديدة لطبقات اجتماعية تكوّن منها المجتمع .

لقد توصلنا في هذه الدراسة وبموجب ما تورده وتؤكده لنا المصادر التي بين أيدينا إلى أن المجتمع في عصر بني رسول كان مقسماً إلى طبقتين اجتماعيتين رئيستين كانتا الأساس لبقية التقسيم الاجتماعي بما يندرج تحتها من فئات وشرائح اجتماعية ، فعرفت إحدى هاتين الطبقتين بطبقة الخاصة وعرفت الأخرى بطبقة العامة ، وتميزت طبقة الخاصة بسمات اختلفت كل الاختلاف عمّا اتسمت به طبقة العامة ، وقد ضمت طبقة الخاصة عدداً من الفئات والشرائح ذات المكانة والجاه والمنزلة الرفيعة ، وتأتي فئة السلاطين على رأسها ورأس السلم الاجتماعي العام ، ويندرج ضمن هذه الفئة : شريحة أبناء السلاطين وأحفادهم وأفراد الأسرة الرسولية ، والحكام من السادة الأشراف ، ومشائخ القبائل ، وكبار الموظفين في الدولة من الوزراء ونواب السلطنة والأمراء وكبار رجال البلاط السلطاني ، وكبار القضاة والمدرسين ، وكبار الشخصيات الدينية ، وكبار التجار ، في حين ضمت طبقة العامة التي احتوت على السواد الأعظم من سكان الدولة على عدد من الفئات والشرائح منها فئة الموظفين بشرائحها المختلفة ، والسادة الأشراف ، وصغار العلماء ، وصغار التجار ، والفلاحين ، والصناع ، والحرفيين ، والمهنيين ، والفقراء والمساكين ، والأخدام ، والعبيد (الرقيق) ، وأهل الذمة .

ومن خلال الدراسة التفصيلية لطبقتي الخاصة والعامة بفئاتها وشرائحها المذكورة ودور أفراد كل فئة وشريحة ومهمتهم في المجتمع يتبين لنا أن التشكيل الطبقي في عصر بني رسول كان مرناً يسمح بتنقل أفراد فئات مختلفة من طبقة إلى أخرى صعوداً ونزولاً دون أن يكون هناك عائق يمنعهم ، مع العلم أنه كان للوضع المادي والعلمي والوظيفي الدور الأكبر في التنقل بين الطبقات ، أي أن الثراء الفاحش والمنصب الرفيع كان بمثابة

تأشيرة عبور بين الطبقات صعوداً ، ويؤدي فقدان واحدة من هذه الأمور إلى العكس هبوطاً ، ومن الممكن أن نلاحظ مرونة التشكيلة الاجتماعية الطبقية في فئة المماليك الذين هم أصلاً عبيد ، إلاّ أنهم لم يبقوا رقيقاً لتدرج أكثرهم في المناصب العسكرية التي مكنتهم من الوصول إلى أعلى المراكز في الدولة ، لما حصلوا عليه من ثروة وجاه ، وكذلك الحال بالنسبة لبعض أفراد الفئات الاجتماعية الأخرى كفئة العلماء والتجار.

لقد تميز المجتمع في العصر المذكور بتنوع وسائل الترف التي عاشها أفراد طبقة الخاصة الذين عرفوا بولعهم ببناء القصور الفارهة والحدائق الغناء والجنان ، فضلاً عن انشغالهم بوسائل اللهو والتسلية مقتدين في ذلك بسيرة سلاطين المماليك في مصر ، وهو ما نجد فيه فارقاً كبيراً بين حياة هؤلاء الخاصة وحياة فئات طبقة العامة المتواضعة ، كما أعطت هذه الدراسة تفاصيل متنوعة عن عادات وتقاليد حياة الناس الخاصة المتعلقة بأمور الزواج وخطوات سيرها ، والبيوت ومحتوياتها ، والملابس والزينة والطعام والشراب وأنواعه ، وأسلوب التحية والمصافحة المتبادلة بينهم ، وعادات الختان والمآتم ، فضلاً عن عادات اجتماعية أخرى توصلنا من خلالها إلى أنه كان لفئات طبقة الخاصة أسلوب ونمط في حياتهم اختلف عن أسلوب ونمط حياة عامة الناس لما كان بينهما من فوارق اجتماعية .

إلاّ أن ما ميز العلاقة بين طبقتي الخاصة والعامة مع الفارق الطبقي والاجتماعي الذي كان قائماً بينهما هو التواصل والتعاون الذي كثيراً ما يحدث بينهما ، وتدلّ الاحتفالات التي كان يقيمها سلاطين بني رسول ومن هم في مستواهم بمناسبات مختلفة منها افتتاحهم لبعض قصورهم الضخمة أو احتفالات عودتهم من الحج والختان وعيدي الفطر والأضحى وغيرها ، على أن هناك تواصلاً كبيراً كان قائماً بين الطبقتين للحضور الملحوظ والمشاركة الفاعلة التي كانت تشهدها هذه الاحتفالات من قبل العديد من أفراد فئة طبقة العامة ، فضلاً عمّا كان يقدمه الخاصة من معونات غذائية وأموال وقروض لهؤلاء في الأوقات الحرجة التي يتعرضون لها بسبب الكوارث البيئية الكثيرة التي أثرت على أوضاعهم المعيشية ، علماً بأن هناك بعض حالات الجدب والجوع والمجاعة التي عانت منها اليمن في العصر المذكور ، فضلاً عن حدوث فيضانات وسيول تسببت في انتشار الأمراض والأوبئة التي راح ضحيتها الكثير من الناس ، إضافة إلى معاناتهم من انتشار بعض الظواهر السيئة والخرافات التي أثرت على سير حياتهم وثقافتهم .

على أية حال ، فقد تميز المجتمع بعلاقاته الاجتماعية الراسخة التي كان للأسرة الدور الأكبر في تعميقها من خلال دورها في التربية الصحيحة لأبنائها ، حتى إن ذلك أدى إلى أن تظهر بين معظم الناس حالة من المحبة والترابط و التمازج والتعاون التي لم تقف أمامها الفوارق الاجتماعية والطبقية عائقاً .

وبما أنه كان للوضع المادي والعلمي دور في ثراء العديد من الناس بانتقالهم من طبقة إلى أخرى فقد اتجه العديد من أبناء اليمن إلى مزاولة الأعمال المختلفة ، وكثف بعضهم من جهوده في العمل ، وشغل بعضهم نفسه بأكثر من مهنة ووظيفة ساعدتهم على الثراء والارتقاء ، في حين لم يحالف بعضهم الحظ لشحة فرص العمل وندرتها فكرسوا أوقاتهم ومجهودهم في مزاولة أعمال ومهن بسيطة ووضيعة هدفوا من ورائها فقط إلى سد حاجتهم من العيش ، وفي الوقت نفسه كرس بعضهم جهوده لتلقي العلم والتبحر فيه ؛ مما ساعدهم على الارتقاء والوصول إلى أرفع المناصب في الدولة والتي مكنتهم من اكتساب الثروات الطائلة بوصولهم إلى ما وصلوا إليه .

وقد ساعدت المكانة والوضع الاجتماعي الذي عاشت فيه العديد من الفئات على أن يكون لبعض أفرادها دور فاعل وكبير في الحياة الاجتماعية من خلال مشاركة بعضهم في انتقاد سياسات السلاطين المجحفة بحق العامة ومشاركتهم في محاربة العديد من الظواهر السيئة التي كانت منتشرة في ذلك الحين ، فضلاً عن قيامهم بإنشاء المؤسسات الخدماتية والدينية والتعليمية ، وتكاتفهم عند المحن واتحادهم عند الأزمات بالدفاع عن مدنهم وقراهم ، ومساعدتهم لأصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين والمحتاجين والأيتام ، ولاسيما عند غياب دور الدولة .

وفضلاً عن ذلك ، أثبتت هذه الدراسة أنه كان للمرأة دور كبير لا يمكن إنكاره أو تجاهله لمشاركتها الفاعلة والكبيرة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ، بسبب الثقة التي حصلت عليها ومكنتها من التعلم والعطاء ، وتقديم الكثير لهذه الدولة والمجتمع ، حتى إن دورها لم يكن محصوراً في إطار بيت زوجها وتربيتها لأبنائها فقط ، بل امتد ليشمل الحكم والسياسة واتخاذ القرارات ، التي مكنتها من أن تقوم بدور السلطان والحاكم والمقطع والوالي والشيخ والفقيه والعالم والتاجر والفلاح والحرفي وغيره ، فضلاً عن دورها الاجتماعي الذي قدمت فيه الكثير لأبناء مجتمعها ، وهو ما يؤكد أن المرأة في عصر بني رسول أُعطيت من الثقة ما لم تُعطَ غيرها من نساء اليمن عبر التاريخ ، مع عدم انحصار تلك الثقة في نساء فئة معينة بل امتدت لتشمل جميع نساء الفئات الاجتماعية الأخرى .

لقد دفعت الأوضاع الحرجة التي مر بها الناس الدولة إلى ضرورة القيام بدور فاعل في الحياة الاجتماعية لأنها المسؤولة عنهم وعمّا هم فيه من معاناة ، لهذا كرست جهودها لنشر العدل بين الرعية ، والنظر في مظالمهم وإنصافهم من الظلمة والمتنفذين في السلطة والمجتمع ، مع البحث عن السبل المساعدة لتحسين أوضاعهم المادية والمعيشية من خلال إلغاء أو تخفيف ما عليهم من التزامات مالية للديوان ، فضلاً عن سعي الدولة لمحاربة

الجريمة والفساد والظواهر السيئة المتفشية آنذاك في بعض مناطق اليمن ، وتنظيم حياتهم بسن القوانين والأعراف المنظمة لسير حياتهم ، إلاّ أن أبرز ما قدمته الدولة لحياة الناس الاجتماعية سعيها لإنشاء المنشآت الخدمائية والخيرية والدينية والتعليمية التي استفاد منها جميع أفراد المجتمع دون استثناء ، وكذا تكلفها بدفع الإعانات لفئة واسعة من أصحاب الحاجات والفقراء والأيتام ، مما ساعدهم على العيش في مستوى أفضل .

وهكذا يتضح مما سبق أن محاولات الدولة الرسولية الهادفة إلى استقرار حياة الناس الاجتماعية ، ساعد بشكل أو بآخر على خلق حالة من الهدوء والسكينة في المجتمع نفسه ، حتى إن ذلك الاستقرار أدى إلى ازدهار اليمن في جوانبها السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية ، وبعبارة أخرى فقد خلق الاستقرار الاجتماعي حالة من الاستقرار السياسي والازدهار التجاري والزراعي والحرفي والعطاء العلمي والثقافي ، الأمر الذي ساعد على أن تُعمِّر الدولة الرسولية هذه المدة الزمنية الطويلة ، وهو ما لم يحصل لأيّ من الدول الأخرى التي قامت في اليمن في العصر الإسلامي .

الملحق الأول – القوائم :

قائمة رقم (١) بأسماء سلاطين الأسرة الرسولية الذين حكموا اليمن :

(٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م)

١- المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦ – ٦٤٧هـ / ١٢٢٨ – ١٢٤٩م)

٢- المظفر يوسف (الأول) بن عمر (٦٤٧ – ٦٩٤هـ / ١٢٤٩ – ١٢٩٤م)

٣- الأشرف (الأول) عمر بن يوسف (٦٩٤ – ٦٩٦هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٦م)

٤- المؤيد داؤد بن يوسف (٦٩٦ – ٧٢١هـ / ١٢٩٦ – ١٣٢١م)

٥- المجاهـد علي بن داؤد (٧٢١ – ٧٦٤هـ / ١٣٢١ – ١٣٦٢م)

٦- الأفضـل عباس بن علي (٧٦٤ – ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ – ١٣٧٦م)

٧- الأشرف (الثاني) إسماعيل بن عباس (٧٧٨ – ٨٠٣هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠م)

٨- الناصر أحمد بن إسماعيل (٨٠٣ – ٨٢٧هـ / ١٤٠٠ – ١٤٢٣م)

٩- المنصور (الثاني) عبد الله بن الناصر أحمد (٨٢٧ – ٨٣٠هـ / ١٤٢٣ / ١٤٢٦م)

١٠- الأشرف (الثالث) إسماعيل بن الناصر أحمد (٨٣٠ – ٨٣١هـ / ١٤٢٦ – ١٤٢٧م)

١١- الظاهر يحيى بن إسماعيل بن الأفضل عباس (٨٣١ – ٨٤٢هـ / ١٤٢٧ – ١٤٣٨م)

١٢- الأشرف (الرابع) إسماعيل بن يحيى (٨٤٢ – ٨٤٥هـ / ١٤٣٨ – ١٤٤١م)

١٣- المظفر يوسف (الثاني) بن عمر (٨٤٥ – ٨٤٧هـ / ١٤٤١ – ١٤٤٣م)

١٤- المسعود صلاح الديـن بن الأشرف (٨٤٧ – ٨٥٨هـ / ١٤٤٣ – ١٤٥٤م)

قائمة رقم (٢) بأسماء الأشراف من الأئمة الزيديين الذين عاصروا الدولة الرسولية[(١)] :

١- المعتضد بالله يحيى بن المحسن (٦١٤ - ٦٣٦هـ/ ١٢١٧ - ١٢٣٨م)

٢- المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم (٦٤٦ - ٦٥٦هـ/ ١٢٤٨ - ١٢٥٨م)

٣- الداعي إلى الله يحيى بن محمد السراجي (٦٥٩ - ٦٦٠هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٦١م)

٤- المنصور بالله الحسن بن بدر الدين محمد (٦٦١ - ٦٧٠هـ/ ١٢٦٢ - ١٢١٧م)

٥- المهدي إبراهيم بن تاج الدين أحمد الحسني (٦٧٠ - ٦٧٤هـ/ ١٢١٧ - ١٢٧٥م)

٦- المتوكل على الله المطهر بن يحيى المرتضى (٦٧٤ - ٦٩٧هـ/ ١٢٧٥ - ١٢٩٧م)

٧- المهدي محمد بن المطهر بن يحيى (٦٩٧ - ٧٢٨هـ/ ١٢٩٧ - ١٣٢٧م)

٨- المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي الحسني (٧٢٩ - ٧٤٩هـ/ ١٣٢٨ - ١٣٤٨م)

٩- الناصر للدين علي بن صلاح بن إبراهيم (٧٢٩ - ٧٣٠هـ/ ١٣٢٨ - ١٣٢٩م)

١٠- المهدي أحمد بن علي الفتحي الحسني (٧٣٠ - ٧٥٠هـ/ ١٣٢٩ - ١٣٤٩م)

١١- الواثق بالله المطهر بن المهدي محمد بن يحيى (٧٣٠ - ٧٥٠هـ/ ١٣٢٩ - ١٣٤٩م)

١٢- المهدي لدين الله علي بن محمد الحسني (٧٥٠ - ٧٧٣هـ/ ١٣٤٩ - ١٣٧١م)

١٣- الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي (٧٧٣ - ٧٩٣هـ/ ١٣٧١ - ١٣٩٠م)

١٤- المنصور بالله علي بن صلاح الدين محمد (٧٩٣ - ٨٤٠هـ/ ١٣٩٠ - ١٤٣٦م)

١٥- المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٧٩٣ - ٨٤٠هـ/ ١٣٩٠ - ١٤٣٦م)

١٦- الهادي لدين الله علي بن المؤيد الفللي (٧٩٦ - ٨٣٦هـ/ ١٣٩٣ - ١٤٣٢م)

١٧- المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم (٨٤٠ - ٨٤٩هـ/ ١٤٣٦ - ١٤٤٥م)

١٨- المنصور بالله الناصر بن محمد (٨٤٠ - ٨٦٧هـ/ ١٤٣٦ - ١٤٦٢م)

١٩- المتوكل على الله المطهر بن محمد الحمزي (٨٤٠ - ٨٧٩هـ/ ١٤٣٦ - ١٤٧٤م)

---

(١) نقلاً عن : يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ ؛ الجرافي ، المقتطف ، ص ١٣٢ - ١٤٤ ؛ أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٤٠٦ - ٤١٠ .

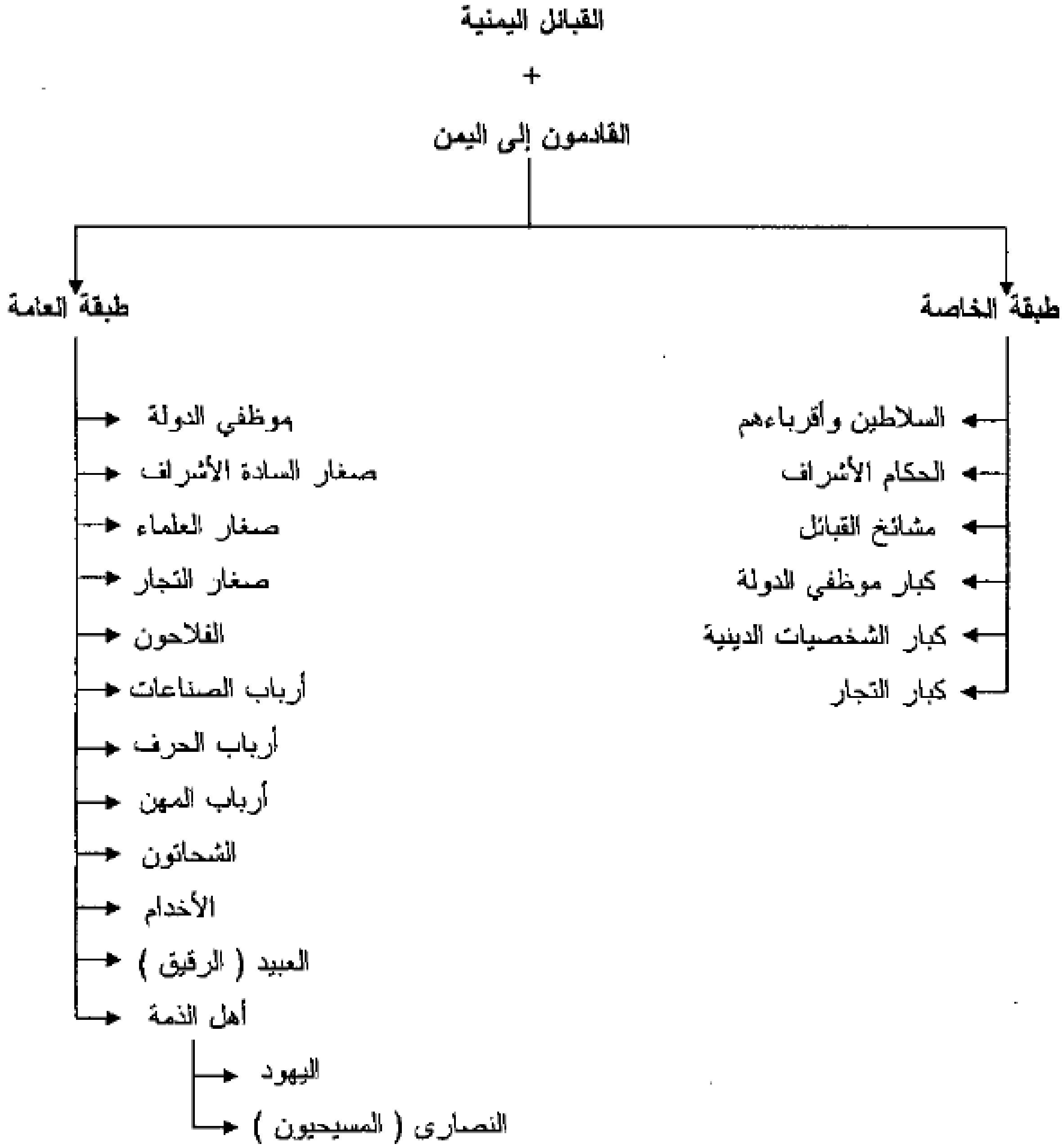
الملحق الثاني – المشجرات :

مشجرة رقم (١) للعناصر المكونة للسكان في عصر بني رسول :



[1] للمزيد من التفاصيل عن التقسيم القبلي للمجتمع في عصر بني رسول انظر : الملك الأشرف : طرفة الأصحاب ، ص٤٦ – ٧٨ .

مشجرة رقم (٢) للتقسيم الطبقي للمجتمع في عصر بني رسول :



الملحق الثالث – الجداول :

جدول رقم (١) لأهم مظاهر ترف سلاطين بني رسول من القصور والدور السلطانية[1] :

اسم القصر	التفاصيل •
• قصر عومان	بناه الأمير شمس الدين علي بن رسول في ناحية جبلة .
• دار الهوى	من دور السلطان المظفر الأول في منطقة الجبيل بتعز ، ويستخدم للاحتفالات بالأعياد .
• دار القلة	من دور السلطان المظفر في زبيد وينسب إلى إحدى نساء بني رسول .
• دور ضراس	من أهم دور المظفر الأول في منطقة ضراس .
• دار المربعة	من الدور السلطانية التابعة للمظفر الأول في ثعبات .
• دار مضيف	من الدور السلطانية المظفرية في منطقة ذي عدينة التي تفرغ للضيوف في رمضان .
• دار النوبة	من الدور السلطانية المظفرية التي كانت موجودة في تعز .
• دار السعيدة	وهي الدار التي أقام فيها المظفر عند محاصرته لإخوته في حصن تعز سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .
• قصر حقات	وهو القصر الذي نزل به المظفر الأول عند دخوله مدينة عدن سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .
• دار حيس	وهي الدار التي نزل بها السلطان المظفر وعميه بدر الدين وفخر الدين بعد قدومهما من الديار المصرية في حيس .
• قصر ثلا	ويقع قبالة حصن ثلا ، وقد أمر ببنائه السلطان المظفر سنة ٦٧٠هـ / ١٢١٧م .
• قصر الفازة	ويقع على ساحل بحر زبيد ، وقد نزل به السلطان المظفر الأول سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م .
•قصر أكمة عيشا	بناه السلطان المظفر في وصاب بوادي سخمل في موضع يسمى أكمة عيشا .
• قصر صعدة	أمر السلطان المظفر ببنائه سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م .
• دار الميهال	دار تتبع المؤيد داؤد ، توفيت فيها عمته الدار الشمسي سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م .
• دار السلام	وهي من دور المؤيد داؤد بثعبات كان يستخدم للاحتفال بالأعياد ولاستقبال كبار رجال الدولة والاحتفال بقدومهم .
• قصر المعقلي	بناه المؤيد داؤد في ثعبات وهو من أفخم ما بُني في عصر بني رسول .
• قصر صالة	أمر ببنائه المؤيد في بستان صالة بعد إكماله لبناء قصر المعقلي .
• قصر قراضة	من قصور ومتنزهات السلطان المؤيد .
• قصر صهلة	من قصور السلطان المؤيد .

---

[1] عن هذه القصور والدور انظر : نور المعارف ، ج١ ، ص١٢٤ – ١٢٥ ، ٣٢٠ ، ٥١٣ ؛ ج٢ ، ص٩ ، ١٦ ، ٢٣ – ٢٤ ، ١٢٤ – ١٢٥ ، ١٢٩ ؛ ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٥ ، ٤٠٥ – ٤٠٦ ، ٤٥٤ ؛ الجندي : السلوك ، ج١ ، ص ٣٠٢ ؛ ج٢ ، ٥٥٦ ، ٦١٢ ؛ الوصابي : تاريخ وصاب ، ص١١٧ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص٣٢ ، ٦٦ ، ٩٥ ، ٢٩٠ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ ، ٣٧٧ – ٣٨٣ ، ٤٠٢ ، ٤١٩ – ٤٢١ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ؛ ج٢ ، ص١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٤١ – ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٩ ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٤٤ ، ٦٣ ، ٧٧ – ٧٨ ، ٩٧ ، ١١٦ – ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٩ – ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ – ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ – ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ – ٢٩٠ ، ٣٠١ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد ، ص١٠٦ – ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٥ – ١١٦ .

• قصر حائط لبيق	أمر السلطان المؤيد بإنشائه سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م بزبيد على ظاهر باب الشبارق في البستان الذي أمر بإنشائه المعروف بحائط لبيق .
• دار الشجرة	من قصور السلطان المؤيد داؤد في تعز ، وقد توفي فيه سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م .
• دار العدل	من دور السلطان المؤيد بتعز وقد غسل جثمانه فيه عند وفاته سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م .
• دار الضيف	من دور المؤيد ، وقد قراء فيه المنشور بتولية المجاهد بعد أبيه .
• دار الذهب	من دور السلطان المجاهد في منصورة الدملوة ، وكان بها أكثر من أربعين امرأة للمجاهد من أحسن النساء ، وقد خربت في سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م من قبل أهل المنصورة والأشعوب بعد أن سبوا ما فيها من نساء .
• قصر الفائق	من قصور المجاهد في زبيد ، وقد نزل فيه عند قدومه من الحج سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م .
• قصر الجهملية	يقع في تعز نزل به المجاهد بعد وصوله من الحج سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م للراحة .
• قصر الشوجين	وهو من قصور المجاهد التي أقامها في زبيد .
• دار السعادة	بناها السلطان المجاهد في عدن وتشرف على البحر .
• دار الكوكب	وهي الدار الذي توفي السلطان المجاهد سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م في مدينة عدن .
• قصر المحلية	من قصور السلطان الأفضل العباس التي أقامها في بستان المحلية في تعز .
• قصر الخورنق	من قصور الأفضل في القوز بزبيد ، كان ينزل فيه عند خروجه للصيد ، وقد توفي فيه سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م .
• دار النصر	من دور السلطان الأشرف الثاني في المملاح ، وقد لقيت اهتماماً كبيراً منه .
• دار حرض	من دور بني رسول في حرض ، ويبدو أنها تتبع الأشرف الثاني .
• قصر دار النصر	من قصور السلطان الأشرف الثاني إسماعيل في القوز بزبيد ، وقد أمر ببنائه سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م .
•قصر دار الفرج	أمر بإنشائه السلطان الأشرف الثاني إسماعيل سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م .
• دار الحمام	من دور الأشرف الثاني في زبيد ، وقد دخلها سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م .
• دار النصر	أمر السلطان الأشرف الثاني بتعميرها في القوز الأعلى ، ووضعت عتبته سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م ، وفي سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م نزل فيها .
• دار التشفيع	من دور السلطان الأشرف الثاني في القوز بزبيد ، وكان يقضي شهر رمضان فيها .
• دار الأمان	من دور السلطان الأشرف الثاني في مغربة تعز .
• دار سرياقوس	من دور السلطان الأشرف الثاني ، وتقع في رأس الوادي زبيد .
• دار السلام	من دور السلطان الأشرف الثاني ، وقد أقامها في جبلة .
• قصر الراحة	أقامه السلطان الأشرف الثاني في بستان الراحة للتنزه عند نزوله في نخل وادي زبيد .
• الدار الكبير	أقامها الأشرف الثاني في زبيد ، ونزل فيها بعد زواجه من جهة الطواشي مرجان .
• الدار الصلاحي	تتبع السلطان الأشرف الثاني ، وتوجد في زبيد .
• دار السرور	من دور الأشرف الثاني في زبيد ، وكان يقيم بها عند نزوله لموسم سبوت النخل .
• دار الذهب	أمر الأشرف الثاني بعمارتها سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م بزبيد بالركن اليماني من الدار السلطانية .

• دار الوعد	وتقع في تعز ، وكان الأشرف الثاني يصوم فيه شهر رمضان في بعض السنين .
• القصر اليماني	أمر الأشرف الثاني بتعميره سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م في الدار السلطانية قبالة مدرسة الميلين .
• قصر الشوجين	من قصور الأشرف الثاني ، ويحدد ابن المقرئ موقعه على شاطئ البحر الأحمر ، ويقع في وسط حديقة الشوجين .
• قصر مقعد	من قصور السلطان الناصر أحمد ، ويقع في متنزه مهلة بتعز .
• دار شعب	من دور السلطان الناصر أحمد بذي جبلة ، وقد دخلها سنة ٨١١هـ / ١٤٠٨م .
• الدار الغربية	أسسها السلطان الناصر في سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م ، وتعد جزء من دار الشجرة .
• دار الجند	من الدور التي كان ينزل بها الناصر عند دخوله الجند وكان يستقبل فيها هدايا الملوك .
• دار النعيم	من دور الناصر في المجلية بتعز .
• دار النعيم	من دور الناصر في بيدحة ، كما أنشاء إلى جانبها دار أخرى .
• دار النعيم	بناها السلطان الناصر في المقرانة ، وقد زارها في أثناء تعميرها سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م .
• قصور ودور حصن قوارير	بناها الناصر بوصاب سنة ٨٢٠هـ / ١٤١٧م في حصن قوارير وما جاوره ، وكانت من أفضل ما تم بنائه ، وأشهرها دار الترنجة ودار القاهرة ودار يحرة ودار الدّعْب .
• دار الفردوس	من دور الناصر في تهامة ، وقد نزل بها سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م .
• دار المرسى	من دور الناصر التي أقامها على ساحل البحر في تهامة ليقضي بها أمتع أوقاته .
• الدار الكبير	ويعرف بالدار الكبير الناصري ، وينسب إلى السلطان الناصر في زبيد .
• دار الأخضر	وتقع في تعز ، وفيها قبض المماليك على السلطان الأشرف الثالث سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م .
• دار المنظرة	من دور السلطان الظاهر في زبيد .
• دار السدير	من دور السلطان الظاهر في زبيد ، وكانت تعرف أيضاً بالدار السعيدة .
• دار الفرح	من دور السلطان الظاهر في النخل بوادي زبيد .
• دار العذيب	أحدثها السلطان الظاهر سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م في العذيب في نخل وادي زبيد .
• دار الأمان	من دور السلطان الظاهر في سرياقوس ، وينزل بها للاستجمام والتنزه .
• دار الجنة	أمر ببنائها السلطان الظاهر سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م في الجنة بتهامة .
• دار مستمرة	من دور السلطان الظاهر القريبة من حصن التعكر .
• دار المنصورة	من دور الظاهر في المنصورة ، وقد نزل بها سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م .
• دار المهجم	من دور السلطان الظاهر في المهجم .
• دار الخورنق	أمر السلطان الظاهر ببنائها سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م في زبيد بجانب دار السدير .
• دار القوز	من دور السلطان الظاهر في الكثيب ، وتعرف بالدار السعيدة .
• دار السرور	من دور السلطان الأشرف الرابع إسماعيل في تعز ، وقد توفى فيها سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .
• دار النجا	وتقع في تعز ، وقد سكنها السلطان المظفر يوسف الثاني عند تنصيبه سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول رقم (٢) لأنواع الأطعمة والأشربة والحلويات التي عرفت بين الناس في عصر بني رسول[1] :

المأكولات	التفاصيـــــــــل
• العصيدة	وجبة يمنية شعبية سريعة الإعداد ، اشتهرت بين صفوف أهل البوادي والأرياف وبعض سكان المدن وتعمل من دقيق البر أو الدخن وتؤكل بسليط الجلجل أو العسل أو المرق .
• اللحوح أو الخفوش	ضرب خميرة الذرة يكون ليناً رقيقاً يكاد يشف عمّا وراءه ، ويؤكل بادام الحلبة أو المرق وينتشر أكله مع اللبن الحقين .
• الزَّوم	هو أدام للطعام يتخذ من اللبن – الحقين – المغلي المُبتل ببعض البهارات .
• الثَّرِيد	ما يفت من الخبز ثم يبل بالمرق ويعرف بالفتيت .
• الملوخية	من الوجبات الأساسية لأهل زبيد .
• الهريس	وجبة تحضر من كمية من اللحم يطبخ مع قمح مجروش ممزوج بالسمن .
• المشاوي	وجبة غذائية لذيذة تعمل من لحم الضأن أو الماعز أو البقر أو الجمال أو الدجاج الذي يشوى في النار بعد أن تضاف إليه البهارات المختلفة ، وقد يقدم الشواء بحجم الضأن أو الماعز أو الدجاج الطبيعي ، وقد يقطع إلى شرائح صغيرة ، وهو من أفضل ما كان يقدم على موائد السلاطين .
• العجة	طعام يتخذ من بيض ، يضرب ويضاف إليه بعض الأخلاط ، ويقلى بالسمن أو الزيت .
• بطماح	وجبة لم يعد لها ذكر يدخل في صنعها لحم الخيل والثوم والزنجبيل وجوز وفلفل وزعفران وسليط وخل .
• تخثير	وجبة تضم أقراص من الخبز التي ترص فوق بعضها في قدر ثم يصب عليها السمن أو غيره من الدهون وتقدم إلى المائدة .
• بَوَارِد	وجبة غذائية تعد في المطابخ السلطانية من اللحم والبيض والعسل والسكر والتمر والسليط والزعفران والباذنجان واليقطين (دبا أو قرع) ونشأ وموز وطحينة وشقر وخردل .
• الكعك	وهو من الأكلات المعروفة اليوم ، ويدخل في عمله الشمار والكزبرة والحبة السوداء ، ومن أنواع الكعك التي عرفت في ذلك العصر الكعادر (كعك مُحَلاً) ، والسندود (من كعك الحلواء) .
• الرقاق	نوع من الخبز .
• البَقْسُمَاط	نوع من الكعك الجاف ، ليس له ذكر اليوم في اليمن .
• الكبان	نوع من الفطائر السميكة .
• القطائف	خبز مازال معروف حتى اليوم في اليمن ، وعادة ما يتم حشوه باللحم أو الجبن .
• الفطائر	خبز يحشى باللحم أو غيره .

---

[1] نقلاً عن : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٢٢ ، ٣٧٣ ، ٥٢٨ ، ٥٤١ ؛ ج٢ ، ص١ ، ٢ ، ٤ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٢ ، ٨٤ – ٨٧ ، ٩٠ – ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ – ١١٢ ، ٢٢٢ ، ٣٧٣ ؛ ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ج١ ، ص٧٩ ، ٨٦ – ٨٧ ؛ ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٣٨٢ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٤٧ ؛ ج٢ ، ص٢٣٣ ، ٢٣٦ ؛ الشرجي : طبقات الخواص ، ص١٣٥ ؛ أبو زيد : إسماعيل المقرئ ، ص٢٧٦ ؛ المعجم الوجيز ، ص٨٣ ، ٤٠٦ ؛ الإرياني : المعجم اليمني ، ص٤٠٦ ، ٧٩٨ .

• الخمير	فطائر تعمل من دقيق القمح بعد تخميره ثم قليه بالزيت أو السمن .
• زَلابيا أو زَلابيه	خبز يعمل من الدقيق القمح ويقلى بالزيت بعد أن تضاف له الخميرة والحبة السوداء فيكون له مذاق طيب الطعم .
• الكُمّاح	نوع من الخبز .
• القسيل	وجبة غذائية تتكون من سكر وأرز وزعفران وليم وخضروات مختلفة .
• الكَوامخ	هي المخللات التي تقدم على الأطعمة .
• شرَايح مُمرَّح	وجبة غذائية تعد من لحم الأغنام العربية وعسل وسكر ونشأ وزعفران وخل وبيض وجبن وسليط وفلفل وكزبرة وقرفة وأطراف طيب وملح وموز وشقر ودقيق .
• شرَايح مَبْرَّر	وجبة غذائية يستعمل في صنعها اللحم والمواد المستعملة في شرايح ممرح .
• كراونات	وجبة غذائية تعد من طيور الكروان الشبيهة بالدجاج ، وتعمل مع أرز وحمص وزيت ودقيق .
• شِوَى مَرقُوق	وجبة غذائية تصنع من لحم أغنام عربية مدقوقة (مفرومة) وزعفران وسليط وخل وباذنجان وموز وشقر وليمون وملح ، ويبدو أنه ما يعرف اليوم بالكباب أو الكفتة .
• سَمِيط	نوع من الشواء .
• الأسْبُوطيَّة	وجبة غذائية يدخل في عملها دقيق وسكر وعسل وفستق وودك (السمن المذاب من الشحم) وبندق وخشخاش وزعفران وسليط .
• المُثَوَّرَة	وجبة لم يعد لها ذكر يدخل في صنعها ودك وسليط وثوم وزنجبيل وبصل وفلفل وكزبرة .
• مَلُوحَات	وجبة غذائية تعمل من سمك الظَبْرَاك وجبن وبصل وسليط وخردل وصعتر وأطراف طيب وحليب وسكر أبيض وموز وفلفل وكزبرة وثوم وزنجبيل وزعفران .
• المُلتح	وجبة غذائية انتشرت بين أهالي زبيد ، وتضم فطيرة تؤكل باللبن والسمك .
• سَطِيْط	وجبة تعمل من لحم أغنام عربية (بلدي) وسليط وفلفل وكزبرة وملح ودقيق .
•قَدِيْد العَدَس	وجبة تعمل من لحم البرابر مقددة (جافة) وتخلط بحبوب العدس ويضاف إليها ودك وسليط وجبن وفلفل وصعتر وزعفران وقرفة وأطراف طيب وكزبرة وجوز وزنجبيل وسلق وخضرة وبصل يابس وبصل أخضر وثوم وزيت وكمون .
• مَصُوْص	وجبة يدخل في إعدادها لحم أغنام عربية (بلدي) وسكر وخل وبصل وزعفران .
• سَحْتُور	وجبة تعمل من لحم البرابر ولحم أنثى الأغنام العربية (البلدي) ويضاف إليها أرز وودك وسليط وفلفل وكزبرة وأطراف طيب وجوز وبصل يابس وأخضر وحمص وقرفة وكمون وزنجبيل وصعتر وثوم وخضرة وسلق .
• مُحَشْحَشَة	وجبة يدخل في صنعها لحم وودك وفلفل وكزبرة وبصل وسلق وخضرة متنوعة .
• رُمَانِيَـة	وجبة غذائية يدخل الرمان في صنعها إضافة إلى لحم الأغنام وسكر أبيض وودك وزمان وسلق وخضرة وبصل أخضر .

الحلويات	التفاصيل
• هريسة	نوع من الحلوى الممزوجة بلحم صدور الدجاج والفستق والبندق والجوز والنشأ والزعفران والهيل والقرنفل والقرفَة والسليط .
• سَنْبُوسك	نوع من الحلوى المعمولة من الدقيق والدهن واللوز والسكر .
• المسفوح	نوع من الحلويات تصنع من السكر الأبيض والعسل والسليط والزعفران والبيض والنشأ .
• صَابُوني	نوع من الحلوى تأخذ شكل الصابون ، مازالت تعرف حتى اليوم تصنع من سكر أبيض وعسل ونشأ وسليط وبيض .
• الفَانِيْد	حلوى تعمل من السكر الأبيض .
• الطحينية	نوع من الحلوى التي يدخل السمسم (الجلجل) في صنعها ، مازالت تعمل حتى اليوم .
• المشبك	حلوى تأخذ هيئة خطوط متشابكة على شكل أقراص دائرية مازالت تعرف حتى اليوم .
• القرعية	نوع من الحلوى تصنع من القرع (الدبا) .
• القاهرية	نوع من الحلوى يبدو أنها تصنع في قاهرة تعز .
• الشيزرية	نوع من الحلوى غير معروفة .
• الخشخاشية	نوع من الحلوى قد يدخل نبات الخشخاش في عملها .
المشروبات	**التفاصيل**
• لَيْمُون	شراب يعد من الليمون والسكر .
• السُّقَّاء	من المشروبات التي كانت تقدم على موائد بني رسول .
• السوبيا	نوع من النبيذ يعمل من الحنطة أو الأرز ويشرب في الأعياد .
• الفقاع	شراب يتخذ من الشعير ويقدم إلى موائد الملوك .
• السَّكَنجَبِين	نوع من المشروبات غير المسكرة ، ويرى بعضهم أنها نوع من الخمور .
• الفضيخ	النبيذ يعمل من البر والتمر والرطب يشربه عامة الناس في تهامة عند الاحتفالات .
• الطاري	مشروب غير مسكر ، مازال يعرف حتى اليوم ، ويستخرج من نبات شجرة الطاري .

جدول رقم (٣) لبعض الأدوات المنزلية والمفروشات المستعملة في البيوت اليمنية في عصر بني رسول[1] :

الأثاث الأساسي	التفاصيل
• القعائد	عرفت بالتخوت وتستعمل للنوم أو للجلوس وتصنع من الخشب وتشد بالحبال أو القماش .
• المطارح	وتفرش على القعائد (الأسرّة) وتصنع من الكتان .
• الحصر	وتفرش به قعائد الجواري والخدام على ما يبدو لخشونته وردات المواد المُصنع منها .

[1] نقلاً عن : نور المعارف ، ج١ ، ص٢٣ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٩ – ٥٥ ، ٧٩ – ٨٠ ، ١٤١ ، ٢٠٨ – ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ – ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ – ٢٥٩ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ – ٢٩٣ ، ٢٩٩ – ٣٠١ ، ٣٠٣ – ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٥١ .

المَخَاد	وهي الوسائد التي يتوسدها الإنسان ويضع عليها خده عندما ينام .
• السجاجيد	وتفرش بها أرضيات غرف النوم وبقية غرف المنزل وتعمل من الحرير .
• الرباع	أوعية لحفظ الملابس ، وتعمل من خوص النخيل مازالت تستعمل حتى اليوم .
• الخزائن	صناديق توضع فيها الملابس وعادةً ما توضع به العروس ملابسها وملابس زوجها .
• البسط	سجاجيد تزخرف بأشكال مختلفة تفرش على أرضيات البيوت والأسِرة والكراسي والمجالس .
• المكاحل	وتصنع من الزجاج أو النحاس وتكون في غرفة النوم للتكحل بها المرأة أو الرجل .
أدوات الزينـــــة والإضاءة	**التفاصيـــــل**
• حواجب	نوع من الستائر الخشبية التي تغطى بها النوافذ لحجب الشمس ولتستر بها عن المارة .
• الشمعدان	ويستعمل لإضاءة البيوت والزينة أيضاً ، ويصنع من الخشب المخروط أو النحاس .
• سُفَر	قطعة من الجلد أو القماش المزخرفة تزين بها الطاولات وتوضع عليها الشمعدانات .
• سجاجيد	وتصنع بعضها من الخوص وتزخرف بزخارف إسلامية كالمحاريب ، وتستعمل للصـــلاة ويزين بها جدران المنازل في بعض مناطق اليمن .
• الثرياء	سراج يصنع عادة من الزجاج وله عدة فتائل يتم إشعالها للإضاءة .
• الفوانيس	وتصنع عادة من الحديد أو الزجاج وتستعمل لإضاءة البيوت .
• سراج	يصنع عادة من الحجر ويوضع فيه فتيلين ، ويستعمله عادة العامة لرخصه .
أدوات المطابخ	**التفاصيل**
• كراسي	وتصنع خصيصاً للجلوس عليها عند تقطيع الخضار أو الطبخ على الموقد .
• المناسف	طبق كبير من سعف النخيل تنقا فيه الحبوب (تنسف) .
• المناخل	وتستعمل لنخل الدقيق وتنقيته .
• الغرابيل	وتعمل من الشعر لغربلة الحبوب وتكون فتحتها كبيرة .
• المكانس	تستعمل لتنظيف أرضية البيت ، وتصنع من سعف النخيل .
• الملاكد	وعاء من خشب أو حديد تدق فيه البهارات عند الطبخ .
• الملحدان	وعاء يوضع فيه الملح .
• المهارس	وعاء وملكد يستعمل لهرس الحب أو غيره .
• معجنة	وعاء من الفخار يعجن فيه الدقيق لصنع الخبز .
• القدور	وهي آنية كبيرة تعمل من الفخار أو الحجر يطبخ فيها اللحم .
• المقالي	تصنع من الحجر أو الفخار لغلي اللحم وغيره .
• آنية طعام	وهي أوعية يحفظ فيها الطعام من الحبوب .
• الصحون	وتعمل من الفخار أو الحديد أو النحاس يوضع فيها الطعام للأكل .
• الأزيار	أوعية فخارية ضخمة تحفظ فيها مياه الشرب .

• الملاعق	وتستعمل للأكل أو تقليب الطعام .
• السكاكين	وعرفت بأحجام مختلفة في أي مطبخ يمني .
• السطول	وعاء لنقل الماء يصنع من الحديد .
•مغلى العجة	مغلى من الحديد يغلى فيه البيض .
• ساطور	سكين ضخم يستعمل لتقطيع اللحم .
• الطاسات	مفردها طاسة وتصنع من النحاس وتستعمل لوضع الطعام فيها على المائدة .
• الدسوت	أوعية كبيرة يطبخ فيها اللحم والمرق أو توضع فيه الحبوب لكبرها ويصنع من النحاس .
• المغارف	وعاء من نحاس يستعمل لغرف الماء عند الطبخ .
• القناني	إناء من زجاج يوضع فيه ماء لشرب أو الخل .
• الكيزان	جمع كوز وهو من الزجاج أو الفخار ، ويوضع عادة في النوافذ لتبريد ماء الشرب .
• الأقداح	أوعية تعمل من الزجاج أو الفخار أو الخشب يشرب فيها الماء أو النبيذ .
• السفر	وعاء من سعف النخيل يوضع عليه الطعام عند الأكل .
• الجرار	أوعية فخارية منتفخة لها عنق ضيق تنقل بها المياه .
أدوات الحمامات	**التفاصيل**
• كراسي بيت الماء	وتستعمل لحمامات البيوت عند الاغتسال أو قضاء الحاجة .
• المطاهر	أوعية فخارية استعلمت في الحمامات لحفظ ماء الوضوء أو الاغتسال وتصنع في زبيد .
• طاسات الطهور	توضع في بيت الماء (الحمامات) وهي خاصة بالوضوء .
• طاسة الحمام	تصنع من النحاس لتوضع في الحمامات للاغتسال أو الوضوء بها .
•طبق الغسل	ويبدو أنه يستعمل للاغتسال فيه .

جدول رقم (٤) لأسعار بعض المواد الغذائية والاستهلاكية الضرورية في أسواق زبيد والمهجم سنة ٦٩١هـ / ١٢٩١م في عصر بني رسول[1] :

السلعة	السعر
• لحم الضأن	رطل ونصف بربع دينار .
• لحم الماعز	رطلين بربع دينار .
• اللحم البقري	ثلاثة أرطال بربع دينار .
• اللحم الشواء	رطل بربع وست فلوس .
• الخبز البر	رطل بثمن دينار .

[1] نقلاً عن : نور المعارف ، ج١ ، ص٨١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

• السكر القوالب	رطل بربع دينار وفلسين .
• القطارة (سكر)	رطل بسدس .
• التمر	رطل بربع دينار .
• الحلوى	رطل بنصف دينار .
• الهريس	رطل بست فلوس .
• الجبن	رطل بخمس قراريط .
• البصل	رطل بست فلوس .
• الزنجبيل	رطل بست فلوس .
• الثوم	رطل بثمن .
• اللوز	رطل بنصف وربع دينار .
• الخشخاش	رطل بربع وثمن .
• حب الرمان	رطل بسدس .
• الحُمَر (التمر الهندي)	رطل بست فلوس .
• النشأ	رطل بخمس قراريط .
• البطاطس	رطل بقيراطين .
• الكتان النسيج	رطل بنصف وربع دينار .
• الصابون	رطل بربع دينار .
• الحديد	البهار ثلاثين دينار .
• سكر أبيض	المن بدينارين ونصف وربع .
• العسل	المن ثلثي دينار .

جدول رقم (٥) لأهم الكوارث البيئية والحرائق والأوبئة التي تعرض لها الناس في عصر بني رسول[١] :

سنة الكارثة	التفاصيل
٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م	وقع غلاء عظيم في صنعاء ومخاليفها ، فسميت هذه السنة بسنة شذابة .
٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م	ارتفع سعر الطعام في صنعاء وصعدة والظاهر ، إثر قحط عظيم مات فيه الكثير من الناس جوعاً ، وأكل بعضهم الكلاب والسباع .

---

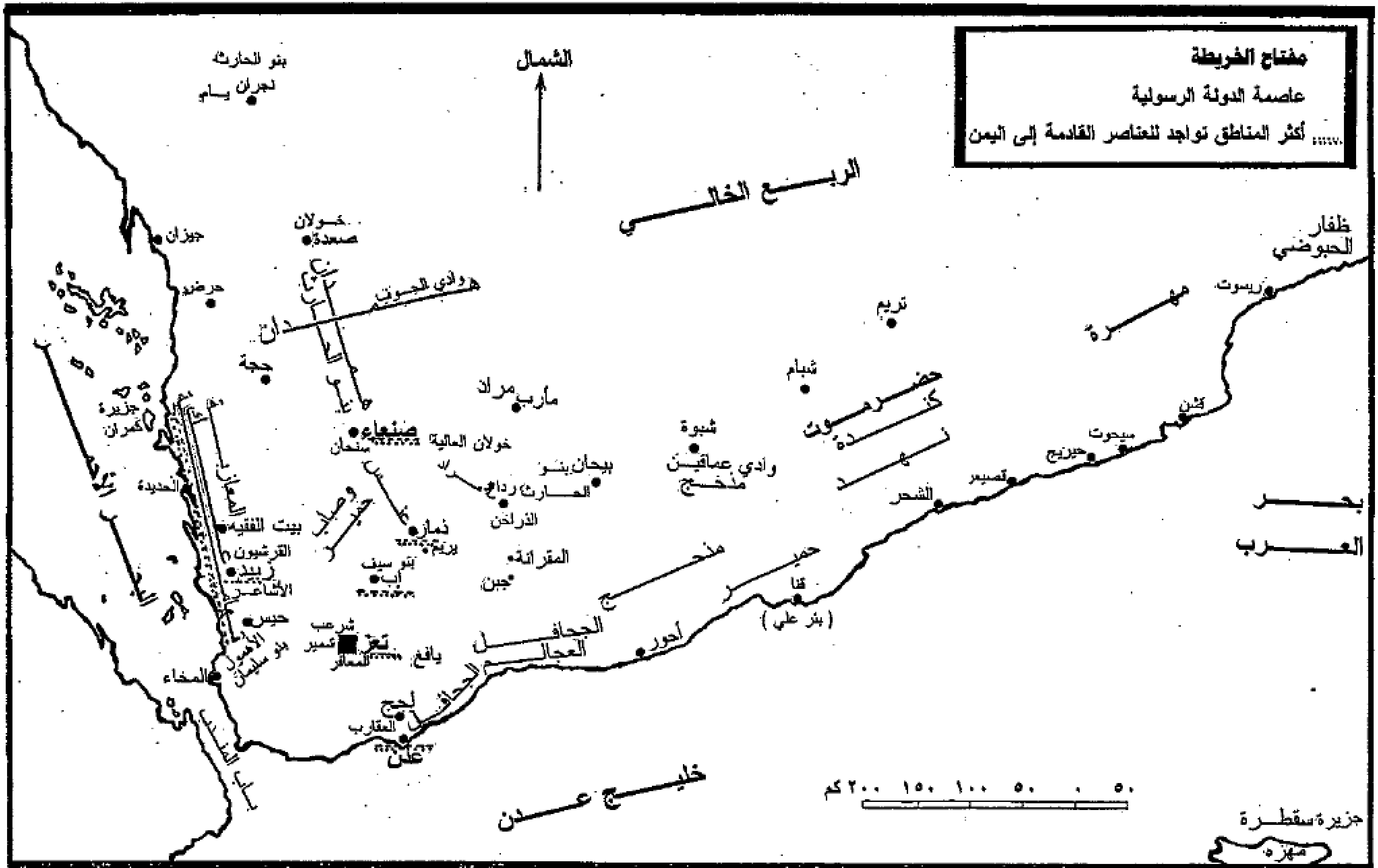
[١] نقلاً عن : ابن حاتم : السمط الغالي الثمن ، ص٥٠٥ – ٥٠٦ ؛ الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج١ ، ص١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ – ٢٠٨ ، ٣٢٨ – ٣٢٩ ؛ ج٢ ، ص٢٩ ، ٧٥ – ٧٦ ، ٨٩ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ – ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ؛ المعلم وطيوط : تاريخ المعلم وطيوط ، ق٧٨أ – ب ؛ مجهول : تاريخ الدولة الرسولية ، ص٧٣ ، ٨٥ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٧ – ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٤٨ – ١٤٩ ، ١٦٨ ، ٢٦١ – ٢٦٢ ، ٣٠٢ – ٣٠٣ ؛ شنبل : تاريخ شنبل ، ص١٠٥ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٨١ ، ١٦٦ ؛ ابن الديبع : الفضل المزيد : ص١٠٧ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ؛ بامخرمة : قلادة النحر ، ج٣ ، ص٣٥٦٢ ، ٣٥٨٥ .

٦٥٦هـ/١٢٥٨م	اشتد القحط والغلاء بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين ، ومات كثير من الناس ، وفقدت اليمن العديد من العلماء وفقهاء في هذا القحط .
٦٥٩هـ/١٢٦٠م	وقعت زلزلة في صنعاء ولم تخرب شيئاً ، ثم وقعت زلزلة أخرى بالمغرب أخربت جبالاً ، وهدمت مواضع كثيرة وتضرر منها الناس .
٦٦١هـ/١٢٦٢م	أصيب أهل ذمرمر بمرض لم يسمعوا بمثله ، فكان إذا أصاب أحد سقطت أضراسه كلها فيقيم بعد ذلك خمسة عشر يوماً ثم يموت ، فهلك منهم الكثير في مدة يسيرة .
٦٧٣هـ/١٢٧٤م	حصل قحط عظيم في البلاد ، ومات من الكثير من الناس وأكل بعضهم الميتة .
٦٧٧هـ/١٢٧٨م	حدثت مجاعة عظيمة وقحط شامل في بلد حضرموت ، مما دفع الأهالي إلى الاستنجاد بحكام الممالك المحيطة بهم لمساعدتهم لتجوز المحنة .
٦٨٥هـ/١٢٨٦م	تعرضت اليمن إلى جدب عظيم لم يعرف مثله ، كما تعرضت لريح شديدة الحرارة أظلمت السماء بسببها وتضرر الناس من حرها ، تبعتها أمطار شديدة تحركها الرياح ، فتسببت في تدفق السيول من كل مكان ، وتهدم البيوت على أصحابها بما فيها من رقيق ومواشي ودواب وسكن الناس في المساجد ، وفقر أكثرهم من أموالهم وأصبحوا لا يجدون شيء يأكلونه أثر تخريب الرياح لبساتينهم وتكسيرها لنخيلهم وأشجارهم ، فتحملوا الديون بسببها ، كما أصاب ظفار الحبوضي مطر شديد وريح عاصفة وسيول ، وزاد البحر واجتمع الماء وغير الزرع ، وخرب آبار كثيرة ، ومات أناس كثيرون .
٦٩٨هـ/١٢٩٨م	تعرضت حضرموت لسيل عظيم يعرف بالهميم ، أخذ كثير من الناس ، وجزء من مدينة شبام ، وثلاثة مساجد وديار بأهلها .
٧٠١هـ/١٣٠١م	وقع في تهامة اليمن قحط عظيم ، فهلك الكثير من الناس جوعاً .
٧٠٢هـ/١٣٠٢م	اشتد القحط ، وبلغ الزبدي أربعة دنانير ، وخرج العديد من الناس عن ديارهم ، وابتيعت الأطيان بأرخص الأثمان ، ثم تبعه أمطاراً عظيمة في صنعاء والظاهر ، ومع ذلك ظل السعر على حاله وزاد الغلاء حتى بلغ الزبدي من الدقيق ثلاثين درهماً .
٧٢٥هـ/١٣٢٤م	تعرضت قرية السلامة لحريق عظيم هلك فيه نحو خمسين شخصاً خارجاً عن الدواب ، وذهب في هذا الحريق من أموال الناس ما لا يحصر .
٧٤٣هـ/١٣٤٢م	وقع مطر عظيم في تهامة ودفع وادي زبيد دفعه عظيمة أخذت معظم قرية المسلب ونحو مائة وخمسين من أهلها ، وهلك من البقر والغنم والحمير الكثير ، ولم يبقَ من البيوت المسكونة إلاّ شيء يسير ، وافتقر كثير من أهلها ، وانتقل بعضهم إلى قرى أخرى ، كما غرقت قرية أخرى من قرى زبيد بسبب سيل أخذ نحو ربع البلاد .
٧٥٢هـ/١٣٥١م	حصل في اليمن وباء وموت عظيم ، وكان يموت في اليوم الواحد في داخل مدينة تعز سبعون إنساناً ، وكان من بينهم شخصيات ذات مكانة من الأشراف .
٧٥٩هـ/١٣٥٧م	وقع مطر شديد في زبيد ونواحيها ، وهدمت بيوت كثيرة على أصحابها ، ومات تحت الهدم نحو من ثمانين أنساناً ، ولم يبقَ بيت من بيوت المدينة صغيراً كان أو كبيراً إلاّ ما تشعث بعضه ، ومنها ما استولى عليه الخراب كاملاً .

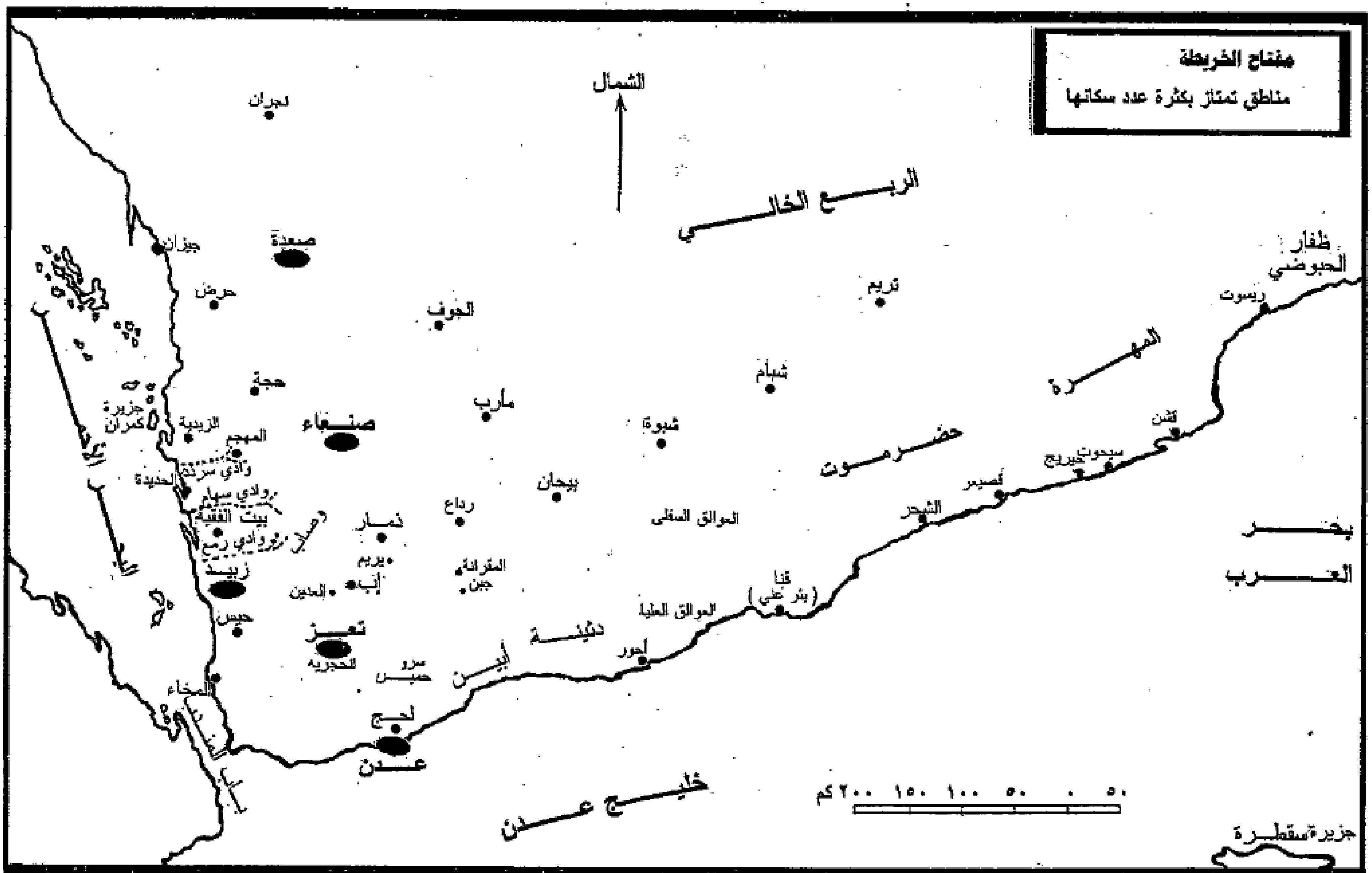
٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م	وقع في تعز ونواحيها مطر عظيم أخرب بستان المحلية وعدة من قصورها ومنازل كثيرة ، وسحب السيل كثير من الناس من بيوتهم فهلكوا ، وكانت مطره لم يعهد مثلها .
٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م	كثيرة الأمطار فيها ، وامتلأت الأودية بمياهها وفيضاناتها التي أخذت الكثير من الناس والدواب .
٧٨١هـ/ ١٣٧٩م	وقع حريق في زبيد فحرق السوق كله ، كما حرقت عدة أماكن من زبيد وغيرها.
٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	وقع حريق في مدينة زبيد في ناحية السوق وكان قريباً من الحريق الأول ، فأنضر به أناس كثيرون ، كما وقع وباء وموت فضيع بدوعن وما جاورها حتى خلت ديار من أهلها إلاّ اقلهم ولم يحصى كم مات فيه .
٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	تعرضت اليمن لأوبئة أدت إلى حدوث حالات وفاة كثيرة بين الناس في البلاد المرتفعة عن تعز كبلاد جحاف والجحدري وبني صهيب ووصاب وماوالاهم ، حتى أن المار في قرى هذه البلاد يجد الأنعام سائبة والناس موتى في منازلهم لا يجدوا من يدفنهم .
٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م	وقع حريق في عدن فاتلف شيئاً كثير من بيوت المدينة وأموال أهلها . كما تعرضت قرية المملاح الأسفل بزبيد لحريق هلك فيه عدد من الناس ، واتلفت أموالهم ومواشيهم .
٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م	وقع في نواحي زبيد مطر شديد واظلم الجو ، واشتد البرق في وادي رمع وهلك ثلاثة نفر ، كما حصل في نواحي عدن زلازل شديدة سقطت على أثرها بعض الدور .
٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	جاء وادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله بلغ ارتفاعه أربعة أبواع ، فاتلف كثير من النخل ، وهدم العديد من بيوت الناس ودوابهم ، كما وقع مطر عظيم ورياح شديدة غرب ناحية الحجاز مما يلي حلي بن يعقوب فغرق من سفن الحجاج السائرين في البحر إلى مكة المشرفة ثمانية عشر سفينة ، وقيل أحدى وعشرون ، وهلك فيها طائفة عظيمة من الناس وتلفت أموال جليلة .
٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	وقع حريق في النويدرة فطارت الرياح بالنار إلى زبيد فحرق من باب سهام إلى باب الشبارق ، ولم تزل النار تشتعل إلى أخر الليل وتلفت فيه أموال عظيمة وطعام كثير .
٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م	أصاب الناس مجاعة عظيمة في التهائم وتأخر الغيث عن أيام إتيانه فارتفع السعر وهلكت البهائم وانقطعت السيول وانكشفت أحوال كثير من الناس ، وابتاع مُدّ الطعام بنيف وتسعين دينار وابتاع السمن كل أربعين فقلة بدرهم ، ثم حصل المطر في أخر شهر رمضان وسالت الأودية وتنفس السعر في نصف شوال وتواترت الأمطار ووصل الطعام الجديد ، كما حصل في عدن قلة في الماء حتى بلغت الراوية عشرة دنانير ونصف .
٧٩٤هـ/ ١٣٩١م	حصل مطر عظيم في المحالب واتصل إلى تعز ، فانتشرت الأمراض بين الناس منها سعال شديد ، ونزلات برد هلك فيها الكثير منهم .
٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م	اشتدت الأمطار في هذه السنة ، ودفع الوادي زبيد بماء عظم لا نظير له ، فأخرب جوانب من الوادي واتلف الكثير من النخيل والبيوت ، كما وقع غلاء عظيم في البر خبزاً وحباً ودقيقاً في زبيد ، وتبعها حريق عظيم حرقت على أثره أماكن من المدينة .

٧٩٦هـ/١٣٩٣م	حصل في مدينة تعز ونواحيها مطر ورعد وبرق فأصاب جماعة مات بعضهم ، كما حصل في قرية موزع ونواحيها رجفات (هزات) متتابعة نحو من أربعين رجفة .
٧٩٧هـ/١٣٩٤م	وقع في تعز ونواحيها مطر شديد متواصل ، فاتلف بيوتاً كثيرة وهدم دكاكين عديدة على من فيها ، كما نزل في وادي زبيد سيول عظيمة أتلفت مواضع كثيرة في أعلى الوادي وفي أسفله ، حتى أنها تتابعت ولم تنقطع ، وتكرر الماء في المحارث مرة بعد مرة وسقي في وادي زبيد مواضع كثيرة لا عهد لها بالسقي وسقيت الضواحي بماء الوادي . وفي السنة المذكورة وقع في التهائم مطر عظيم عام وهاجت رياح شديدة وغرق في ذلك خمس سفن من سفن الحجاج على ساحل المخلاف السليماني .
٧٩٨هـ/١٣٩٥م	حدث برق في قرية من قرى مور يقال لها الدملة ، فاحرق مواشيها ولم يحرق من القرية شيء لا من بيوتها ولا من أهلها ولا أصاب أحداً من سكانها ضرر في جسمه أبداً إلاّ اثنين كانا خارج القرية منفردين عن القرية فحرقا ، كما ظهر جراد عظيم اتلف شيئاً من الزراعة ، وقد كثرت القصص عن فضاعة هذا الجراد وإتلافه لمزارع الناس .
٧٩٩هـ/١٣٩٦م	وقع مطر عظيم في الجبال ونزل سيل عظيم سحب معه جمال بعض القوافل المارة وما عليها من الحمل والركبان ، فهلك تسعة عشر نفساً ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة .
٨٠٠هـ/١٣٩٧م	حصلت ريح شديدة وكانت أشد ما تكون حرارة كأنها تحمل لهب نار لشدة حرارتها ، كما حرقت قرية القرشية حريقاً عظيماً ولم يسلم منها إلاّ القليل من القرية السفلى .
٨٠١هـ/١٣٩٨م	ارتفعت الأسعار في زبيد فبلغ سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم ، وبلغ زبدي السمن بعشرة دنانير ، وبلغ سعر البر كل زبدي بدرهم ونصف ، والوزف كل زبديين بدرهم ، ودخلت سنة ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م والحال على ما هو عليه .
٨٠٢هـ/١٣٩٩م	حرقت محل مبارك – قرية من قرى وادي زبيد – بأسرها ، كما وقعت رجفة عظيمة وانهدمت مواضع كثيرة في الجبال ، وتكررت الرجفات وتضرروا الناس من تكرارها ، كما وقع مطر عظيم في زبيد ونواحيها وتشعثت بيوت الناس ، وتتابع سيل الوادي زبيد ليلاً ونهاراً وسائر الأودية وبلغ بعضها البحر ، واتلف ثمرة النخل إتلافاً شديداً ، وقد أدى ذلك إلى أن يدفع الوادي زبيد دفعه عظيمة أخربت العديد من أراضي ومزارع الناس ، وشهد بعض ممن شاهدوا تلك السيول أنها لا سابق لها ، كما ظهر جراد عظيم في زبيد ونواحيها واتلف كثيراً من الزروع والثمار والأشجار .
٨٠٨هـ/١٤٠٥م	حصل مطر شديد في زبيد وأخرب بيوتاً عديدة ، كما حدث فيها حريق عظيم ليلاً فاحرق بيوتاً كثيرة ، وفقد الناس في هذا الحريق أموال جزيلة لهم .
٨١٠هـ/١٤٠٧م	حصل حريق آخر في زبيد مات فيه الكثير من الناس وحرقت لهم أموال لا تحصى .
٨١٦هـ/١٤١٣م	حصل في الجبال زلزلة عظيمة ، فانهدم بسببها برج من حصن الخضراء ، وانشقت بركة وسال ما فيها من ماء ، واختلت حصون كثيرة في بلاد حمير ، كما انتشر الغلاء في سائر البلاد ، ومات العديد من ضعفاء الناس ، كما حصل في الخيل والدواب مرض دفنت على أثره الكثير من الخيول والدواب في سائر البلاد .

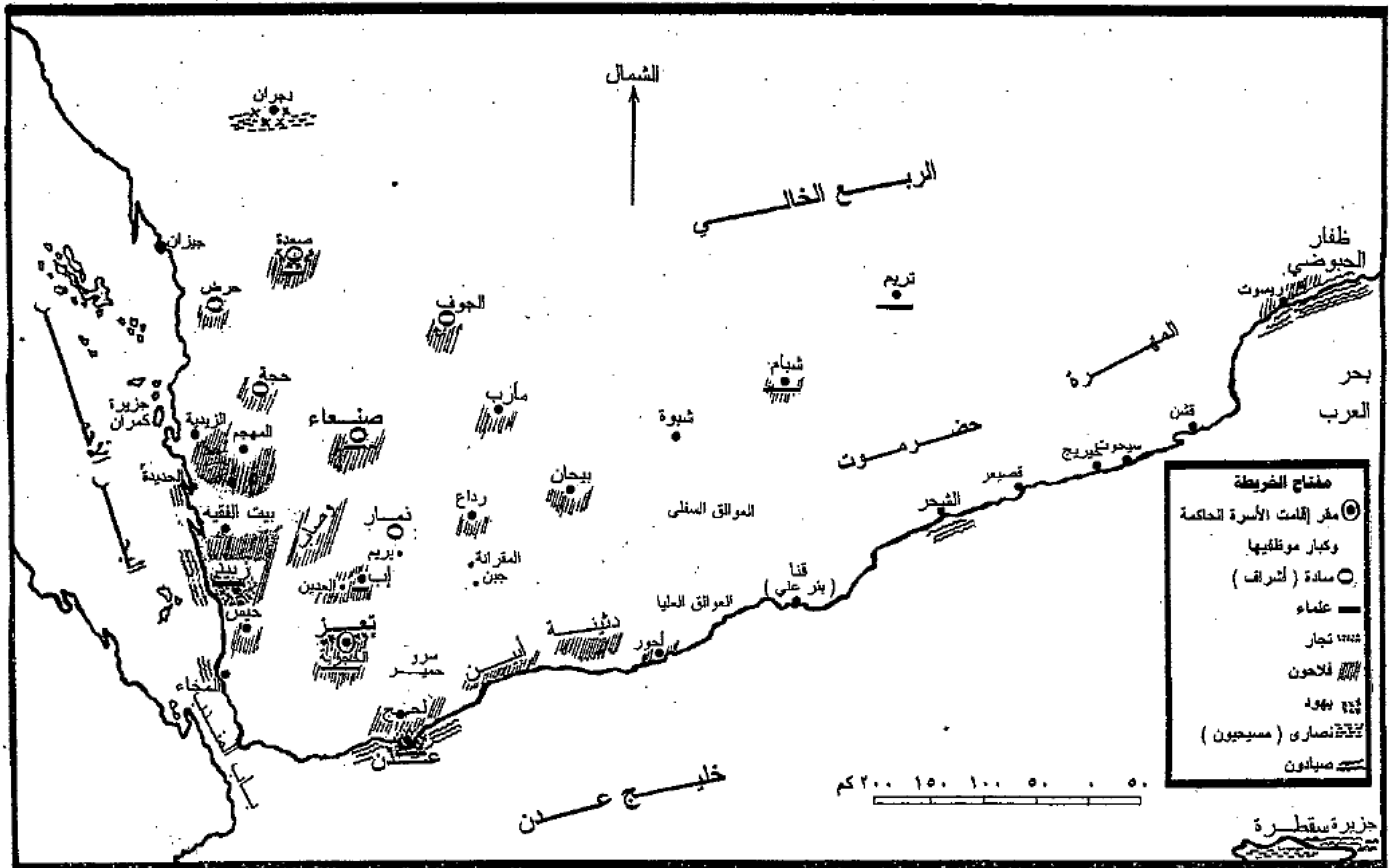
٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م	انتشرت الأوبئة في حضرموت ، وعم الغلاء وارتفعت الأسعار وبلغ طعام الذرة مصري إلاّ ربع بدرهم والتمر رطل بدرهم وطعام البر ربع بدرهم ، وقلت المواشي ، وبلغ سعر الثور بمائة دينار والبقرة بستين دينار والشاة بثلاث أواق ، ومات أكثر الناس من الجوع والمرض ، لأكل بعضهم الحمير والهرر والكلاب ، وقيل أكل بعضهم بني آدم في حريضة ، ومات الكثير منهم في ديارهم ولم يغسلوا حتى يبسوا وخليت بعض ديار شبام من أهلها .
٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	حصل في اليمن غلاء عظيم وجوع شديد تضرر منه الكثير من عامة الناس .
٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م	خرجت نار (بركان) من جبل كمران وكانت تأكل حجارة الجبل كما تأكل النار الحطب ، وكان لهذه النار صوت عظيم هابه الناس يشابه الرياح القوية عند التهابها في حجارة الجبل ، ولا يزال الجبل يضمحل وحجارته تتساقط ناراً إلى البحر فإذا انطفأت صارت جفافاً ، واستمر ذلك ما يقارب من نصف شهر .
٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م	وقع بمدينة زبيد وباء خطير مات على إثره العديد من الناس حتى بلغ الذين يخرج بهم يومياً إلى المقابر ثلاثين ميتاً وأقل وأكثر ، وكثُر المرض بين صفوف الناس خلال العام حتى أن بعض البيوت مرض جميع أهلها ، ولم يجدوا من يمرضهم ، كما تعرضت زبيد أيضاً في العام المذكور لحريق عظيم ، وشهدت أمطاراً شديدة خُربت على إثرها فوق سبعين من بيوت أهلها المعمولة من الإسعاف والخوص حتى المبنية باللبن ، ولم يبقَ بيت إلاّ حصل فيه الخراب ، وسال الوادي زبيد لأكثر من ستين يوماً بشكل متصل دون انقطاع ، وانتشرت الأمراض بين الناس بعد هذه الأمطار ، ومات على إثرها أعداد كبيرة في أنحاء اليمن .
٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م	حصل وباء (طاعون) وموت عظيم لم تشهد له اليمن نظير ، وكان في أول السنة في عدن وتفشى إلى أن وصل إلى ذمار وصنعاء وما يليها من الجبال العالية أجمع ، ومات فيه عدد لا تحصى من الناس ، حتى أن قرى كثيرة خلت من أهلها ، وذكر أن البهائم والأنعام تخرج ترعى وترجع مالها راع .
٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م	استمر وباء الطاعون في اليمن إلى رمضان من العام المذكور وفقدت اليمن فيه الكثير من خيرة رجالها سادة وقضاة وعلماء وفقهاء وغيرهم من مختلف الفئات .
٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م	وقع باليمن طاعون عظيم ، وكان معظمه في الجبال ، ومات بسببه خلائق لا يحصون من خيرة أبناء اليمن .
٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م	انتشرت أوبئة في حضرموت مات على إثرها الكثير من الناس في شبام وبور .
٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م	حصل بمدينة زبيد وما يليها جوع عظيم وغلاء شديد ، وعرفت هذه السنة بين الناس بسنة محرر ، ويؤرخ بهذه السنة عوام أهل زبيد تاريخهم فيقولون سنة الجوع .



الملحق الرابع – الخرائط : خريطة رقم (١) بعض مناطق تجمع العناصر المكونة للمجتمع (القبائل اليمنية + العناصر القادمة إلى اليمن) في عصر بني رسول



خريطة رقم (٢) أكثر المناطق كثافة في عدد السكان في عصر بني رسول



خريطة رقم (٣) أكثر المناطق تواجد لبعض الفئات الاجتماعية في عصر بني رسول :

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

* **الحجوري ، يحيى بن سليمان بن أبي الحفيظ (ت : ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) :**

١- روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكث الآثار ومواعظ الأخبار وملح الأشعار وعجائب الأسمار ، المعروف بروضة الحجوري ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (١٠٨١) ، القاهرة .

* **الحسيني ، الحسن بن علي الشريف (ت . د : ٨١٥هـ / ١٤١٢م) :**

٢- ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب ، مخطوط رقم (130 H) ، مكتبة الأمبروزيانا ، ميلانو ، ايطاليا .

* **الحموي ، محمد بن أحمد بن علي (ت . د : ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) :**

٣- البيان في كشف أسرار الطب للعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٤٨٦) ، ميكروفيلم رقم (١٠٤٦) ، القاهرة .

* **الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت : ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) :**

٤- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٢٦٥٧) ، وميكروفيلم رقم (٢٩٩٣٥) ، القاهرة .

٥- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوطة مصورة ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ١/٦ ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٦- الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من ملوك الإسلام ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٢٢٠٦) ، القاهرة .

* **الدواري ، محمد بن أحمد بن علي بن موسى (لا يوجد له تاريخ وفاة) :**

٧- رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة صعدة باليمن ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (١٦٦١) ، القاهرة .

* ٨- **ديوان الخراج الديوان المالي المعمور في زمن دولة بني رسول** ، مخطوط مصور بمكتبة الملك فهد الوطنية بدون رقم ، الرياض .

* **ابن أبي الرجال ، صفي الدين أحمد بن صالح بن محمد (ت : ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م) :**

٩- مطلع البدور ومجمع البحور ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم (١٢٣١) ، القاهرة .

* **أبو علامة ، عز الإسلام محمد بن عبدالله بن المؤيد (ت . د : ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م) :**

١٠- روضة الألباب وتحفة الأحباب وبغية الطلاب ونخبة الأحساب لمعرفة الأنساب ، مخطوط

ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (١٠٨٣) ، القاهرة .

* **عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله الأنف (ت : ٨٧٥هـ / ١٤٦٧م) :**

١١- عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار وصحبه وآله الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفار وما أظلم ليل وأشرق نهار ، ج٧ ، مخطوط في المكتبة الشخصية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع .

١٢- نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام في اليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٢٢٥٣) ، القاهرة .

* **عيسى بن لطف الله بن المطهر شرف الدين (ت : ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م) :**

١٣- روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ١/٧ ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* **الكوفي ، أبو جعفر محمد بن سليمان (لا يوجد له تاريخ وفاة) :**

١٤- سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ودخوله اليمن ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٣٤١ ، ٣٩) علم الكلام ، القاهرة .

* **المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد (ت . د : ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) :**

١٥- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، ج٢ ، مخطوط مصور ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢م .

* **المُذَهْجَن ، جمال الدين محمد بن علي (ت . د : ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) :**

١٦- رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة زبيد باليمن ، مخطوط ميكروفيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية رقم (١٦٦٠) ، القاهرة .

* **المعلم وطيوط ، حسين بن إسماعيل (ت . د : ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) :**

١٧- تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير رقم (١٧٣) ، صنعاء .

* **الملك الأشرف : عمر بن يوسف بن رسول (ت : ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) :**

١٨- المغني في البيطرة ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٢٣٣٤٨) ، القاهرة .

* **الملك الأفضل ، العباس بن علي بن المؤيد الرسولي (ت : ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) :**

١٩- بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين ، مخطوط ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٤٥٢٥٠) ، القاهرة .

٢٠- نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون ، مخطوطة ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم (٥١٩٨٥) ، منسوخة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٣٥١) ، القاهرة .

* **الملك المجاهد ، علي بن داؤد بن يوسف بن رسول (ت : ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :**

٢١- الأقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة ، مخطوط ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية رقم (١٧٤) ، عدن .

* **يحيى بن الحسين بن القاسم (ت : ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م) :**

٢٢- إنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٢٤) ، القاهرة .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

* **ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن الشيباني (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) :**

٢٣- الكامل في التاريخ ، مج١٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .

* **الأهدل ، بدر الدين أبو عبدالله الحسين بن عبد الرحمن (ت : ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :**

٢٤- تحفة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

* **الأهدل ، عبد الرحمن بن سليمان (ت : ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :**

٢٥- النفس اليماني ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

* **ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر بن عبدالله (ت . د : ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) :**

٢٦- كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٧ ، المعروف بـ " الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، تح : سعيد عبد الفتاح عاشور ، د . ن ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

* **بافقيه ، محمد بن عمر الطيب (ت . د : ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م) :**

٢٧- تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

* **بامخرمة ، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت : ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) :**

٢٨- تاريخ ثغر عدن ، ج١ ، مط : بريل ، ليدن ، ١٩٣٦م .

٢٩- قلادة النحر في وفيات الدهر ، ج٣ ، تح : محمد يسلم عبد النور ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٣٠- النسبة إلى المواضع والبلدان ، ط١ ، تح ونشر : مركز الوثائق والبحوث ، أبو ظبي ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) :**

٣١- صحيح البخاري ، مج٢ ، ج٤ ، حقق أصولها وأجازها : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

* **البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت : ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) :**

٣٢- طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي ، تح ، عبدالله محمد الحبشي ، ط٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

* **ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت : ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) :**

٣٣- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ج١ ،

قدم له وحققه : محمد عبد المنعم العريان ، راجعه وأعدّ فهارسه : مصطفى القصاص ، ط١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

• **البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت : ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) :**

٣٤- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج٣ ، تح : علي محمد البجاوي ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

• **البقاعي ، إبراهيم بن عمر (ت : ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :**

٣٥- تاريخ البقاعي إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، دراسة وتح : محمد سالم شديد العوفي ، ط١ ، د . ن ، الرياض ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

• **البكري ، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت : ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :**

٣٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج١ ، تح : مصطفى السقاء ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣م :

• **ابن بهران ، محمد بن محمد بن يحيى اليمني الصعدي (ت : ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) :**

٣٧- الرسالة اليمنية المسماة ببهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال ، مط : الجمل المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .

• **ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت : ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) :**

٣٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٦ ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

• **الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) :**

٣٩- التبصرة بالتجارة ، نشره : حسن حسني عبد الوهاب ، د . ت ، دمشق ، ١٩٣٢م .

• **الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد (ت : ٨١٦هـ / ١٤١٣م) :**

٤٠- كتاب التعريفات ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

• **ابن جرير ، إسحاق بن يحيى (ت نحو : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :**

٤١- تاريخ صنعاء ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة السنحاني ، صنعاء ، د . ت .

• **ابن الجزري ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت : ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) :**

٤٢- حوادث الزمان وأبناؤه ووفيات الأعيان من أبنائه ، دراسة وتح : خضير عباس المنشداوي ، ط١ ، دار الكتاب لعربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .

• **ابن الجزيري ، زين الدين عبد القادر بن محمد الحنبلي (ت : ٩٦١هـ / ١٥٥٤م) :**

٤٣- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، مط : السلفية ، القاهرة ، د . ت .

• **ابن جزي ، عبدالله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت : ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) :**

٤٤- كتاب الخيل مطلع اليمن والأقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، حققه وقدم له : محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* **الجعدي ، عمر بن علي بن الحسن بن سمرة (ت : ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) :**

٤٥– طبقات فقهاء اليمن : تح : فؤاد سيد ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* **الجندي ، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت : ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :**

٤٦– السلـوك في طبقات العلماء والملوك ، تح : محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشـاد ، صنعاء ، ج١ ، ط١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ؛ ج٢ ، ط٢ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

* **ابن حاتم ، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت . د : ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) :**

٤٧– السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تح : ركس سمث ، لندن ، ١٩٧٤م .

* **الحازمي ، أبوبكر محمد بن موسى بن عثمان (ت : ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) :**

٤٨– عجالـة المبتدأ وفضائـل المنتهى في النسب ، تح : عبد الله كنون ، ط١ ، دار الآفـاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

* **ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :**

٤٩– الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣م .

* **ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت : ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) :**

٥٠– جمهرة أنساب العرب ، مراجعة وإشراف : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميـة ، بيروت ، ١٩٩٨م .

* **الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت : ٧١٤هـ / ١٣١٤م) :**

٥١– كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار ، دراسة وتح : عبد المحسن مدعـج المدعـج ، ط١ ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٩٢م .

* **الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت : ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :**

٥٢– معجم البلدان ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

* **ابن حمير ، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن حمير الهمداني (ت : ٦٥١هـ / ١٢٥٣م) :**

٥٣– ديـوان ابن حمير ، حققه وعلـق عليه : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، دار العـودة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

* **الحميري ، أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم (ت أواخر القرن ٩هـ / أواخر القرن ١٥م) :**

٥٤– الـروض المعطار في خبر الأقطـار ، تح : إحسان عباس ، ط٢ ، مط : هيـد لبرغ ، بيروت ، ١٩٨٤م .

* **الحميري ، نشوان بن سعيد (ت : ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) :**

٥٥– ملوك حمير وأقيال اليمن ، تح : إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٥٦– منتخبات في أخبار اليمن ، عنى بتصحيحه : عظيم الدين أحمد ، ط٣ ، دار التنـوير ، بيروت ، ١٩٨٦م .

* **الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت : ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) :**

٥٧- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح : ناظم رشيد ، بغداد ، ١٩٧٩م .

* **الخزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت : ٨١٢هـ / ١٤٠٩م) :**

٥٨- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، جزئين ، عنى بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ، مط : الهلال ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .

٥٩- العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن ، تح : علي مطهر حمود العلماني ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

* **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :**

٦٠- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج١ ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت .

٦١- مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، دمشق ، د . ن .

* **ابن دريد ، أبوبكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ / ٩٣٣م) :**

٦٢- الاشتقاق ، ط١ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مط : المدني ، القاهرة ، د . ت .

* **ابن دعثم ، أبو فراس بن دعثم الصنعاني (ت . د : ٦١٤هـ / ١٢١٧م) :**

٦٣- السيرة المنصورية ، سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣ - ٦١٤هـ) ، مج١ ، ج٢ ، تح : عبد الغني عبد العاطي ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

* **ابن الديبع ، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت : ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) :**

٦٤- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

٦٥- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٦٦- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، حققه وعلق علية : محمد بن علي الأكوع ، ط٢ ، دار بساط ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٦٧- تحفة الزمن في فضائل أهل اليمن ، تح : سيد كسروي حسن ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٦٨- نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، تح : أحمد راتب حموش ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

* **الديلمي ، محمد بن الحسن (من علماء القرن ٨هـ / ١٣م) :**

٦٩- بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد ، عنى بتصحيحه : شد وطمان ، مط : الدولة ، استانبول ، ١٩٣٨م .

* **الرازي ، أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الصنعاني (ت : ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) :**

٧٠- تاريخ مدينة صنعاء ، تح : حسين العمري ، ط٢ ، ب . ن ، صنعاء ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* **الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :**

٧١- مختار الصحـــاح ، عنى بترتيبه : محمود خاطر ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

* **ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت : ٢٩٥هـ / ٨٩٠م) :**

٧٢- الاعلاق النفيسة ، حققه ونشره : دي جويه ، ليدن ، ١٨٩١م .

* **الروحي ، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور (لا يوجد له تاريخ وفاة) :**

٧٣- بلغة الظرفاء في ذكر تواريـــخ الخلفاء ، تح : محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافـــة الدينية ، بور سعيد ، ٢٠٠١م .

* **الزبيدي ، تقي الدين أبو العباس حمزة الناشري اليمني (ت : ٩٢٦هـ / ١٥١٩م) :**

٧٤- انتهاز الفرص في الصيد والقنـــص ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، الدار اليمنيـــة للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* **الزبيدي ، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت : ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) :**

٧٥- تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

٧٦- ترويح القلوب في ذكر ملوك بنـــي أيوب ، تـــح : صلاح الدين المنجد ، مط : مجمـــع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

* **الزحيف ، محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت : ٩١٦هـ / ١٥١٠م) :**

٧٧- مآثـــر الأبرار في تفصيل مجملات جواهـــر الأخبار ويسمى اللواحق النديـــة بالحدائـــق الورديـــة ، مج٢ ، تـــح : عبد السلام عباس الوجيـــه وخالد قاسم محمد المتوكل ، ط١ ، مركز النهاري ، صنعاء ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

* **السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت : ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) :**

٧٨- معيد النعم ومبيد النقم ، حققه وضبطه وعلق عليه : محمد علي النجار وآخرون ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

* **السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت : ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) :**

٧٩- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفـــة ، ج١ ، تح : محمد الثقفي ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٨٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م .

* **السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت : ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) :**

٨١- الأنساب ، ج٥ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، دار الجنـــان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* السويدي ، أبو الفوز محمد أمين البغدادي (ت : ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) :

٨٢- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

* ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت : ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) :

٨٣- المخصص ، السفر الثاني عشر ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديد، د . ت.

* السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :

٨٤- رفع شأن الحبشان ، دراسة وتح : محمد عبد الوهاب فضل ، مط : كويك حمادة ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٨٥- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

٨٦- حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة ، ج٢ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٨٧- لُب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

* أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي (ت : ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) :

٨٨- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، ج١، ب . د ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

* ابن شاهين ، غرس الدين خليل (ت : ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) :

٨٩- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر لويس راويس ، باريس ، ١٨٩٤م .

* الشرجي ، أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف (ت : ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) :

٩٠- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، دار المناهل ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* شنبل ، أحمد عبد الله (ت : ٩٢٠هـ / ١٥١٤ م) :

٩١- تاريخ حضرموت المعروف بـ : تاريخ شنبل ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط٢ ، مكتبة صنعاء الأثرية ، صنعاء ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

* الشوكاني ، شيخ الإسلام محمد بن علي (ت : ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :

٩٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج١ ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

* الصيرفي ، الخطيب الجوهري علي بن داود (ت : ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) :

٩٣- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ج٤ ، تح وتعليق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

* طافور ، بيرو (ت : ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) :

٩٤- رحلة طافور في عالم القرن ١٥م ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

* ابن الطيب ، أبو الحسن محمد بن علي (ت : ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) :

٩٥- المعتمد في أصول الفقه ، اعتنى بتهذيبه وتحقيقه : محمد حميد الله وآخرون ، ج١ ، المعهد العلمي الفرنسي ، دمشق ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

* **الظاهري ، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت : ٩٢٠هـ / ١٥١٤م) :**

٩٦- نيل الأمل في ذيل الدول ، ج١، تح : عمر عبدالسلام تدمري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

* **ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله (ت : ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :**

٩٧- الأنباه على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* **عبدالله بن حمزة ، الإمام المنصور بالله (ت : ٦١٤هـ / ١٢١٧م) :**

٩٨- تاريخ الخيول العربية أو شرح أرجوزة في صفات الخيل وألوانها وما يحمد منها وما يذم ، شرح ابنه أحمد بن عبدالله بن حمزة ، ط١ ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

٩٩- الشافي ، تقديم : مجد الدين محمد بن منصور المؤيدي ، مج١ ، ج١ ، ط١ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٦م .

* **ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي (ت : ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م) :**

١٠٠- تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني ، ط١ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* **ابن علوان ، أحمد (ت : ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) :**

١٠١- ديوان الفتوح ، تح : عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

* **عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبدالله بن علي الأنف (ت : ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) :**

١٠٢- روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار ، تح : محمد بن علي الأكوع ، دار المعرفة ، صنعاء ، ١٩٩٥م .

* **ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي (ت : ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :**

١٠٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، لجنة إحياء التراث ، بيروت ، د . ت .

* **عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن علي الحكمي (ت : ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) :**

١٠٤- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، مط : مرسو ، شالون ، ١٨٩٧م .

١٠٥- تاريخ اليمن ، حقق نصه وضبط أعلامه وعلق عليه وقدم له بالإضافة إلى مقدمة وتعليقات الناشر الأول (كاي) سنة ١٨٩٢م المترجمة ترجمة دقيقة : حسن سليمان محمود ، ط١ ، مكتبة الرشاد ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت : ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) :**

١٠٦- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح : محمد حامد الفقي ، ج٢ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

١٠٧- شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، ج٢ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار

الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

١٠٨- الزهـور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفـة ، تح وتعليق : محمد زينهم محمد عزب ، ط١ ، الدار الثقافية ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت : ٧٣٢هـ / ١٢٣١م) :**

١٠٩- التبـر المسبوك في تواريخ الملـوك ، تح : محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

* **ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت : ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :**

١١٠- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القسم الخاص بمملكة اليمن) ، حققه وقدم لـه : أيمن فؤاد سيد ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

* **ابن الفقيه ، أبوبكر أحمد بن محمد الهمداني (ت : ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) :**

١١١- مختصر كتاب البلدان ، ط١ ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* **ابن فهد ، النجم عمر بن محمد المكي (ت : ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) :**

١١٢- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ج٣ ، طبعة جامعة أم القرى ، مكة ، د . ت .

* **الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧هـ / ١٤١٤م) :**

١١٣- القاموس المحيط ، تح : وبإشراف : محمد نعيم العرقسوس ، ط٦ ، مؤسسة الرسالـة ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

١١٤- نخبة الرشاف من خطبة الكشاف ، دراسة وتح : عمر علـوي بن شهاب ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م .

* **بن فيروز ، أحمد بن يوسف بن محمد (ت . د : ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م) :**

١١٥- مطلع النيران رسالة في تاريخ اليمن ، دراسة وتح : محمد عيسى صالحيـة ، د . ن ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

* **القرماني ، أحمد بن يوسف (ت : ١٠١٩هـ / ١٦١٠م) :**

١١٦- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تح : أحمد حطيـط وفهمي سعد ، مج٣ ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* **القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :**

١١٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، الشركة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١١٨- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه وقدم له ووضع فهارسه : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، مط : السعادة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

١١٩- صبح الأعشـى في صناعة الإنشـا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : نبيـل خالد الخطيب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* **ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :**

١٢٠- البداية والنهاية في التاريخ ، ج١٣ ، تح : أحمد عبد الوهاب فتيح ، ط١٤ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

* **ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب (ت : ٢٠٤هـ / ٨١٩م) :**

١٢١- نسب معد واليمن الكبير ، ج١ ، ط١ ، تح : ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٢٢- جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣م .

* **ابن كنان ، محمد بن عيسى (ت : ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م) :**

١٢٣- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تح : عباس صباغ ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

* **ماركو بولو (ت : ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) :**

١٢٤- رحلات ماركو بولو ، ج٣ ، تر : إلى الإنجليزية : وليم مارسدن ، تر : إلى العربية : عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

* **الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري (ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :**

١٢٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٦م .

* **ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت : ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) :**

١٢٦- كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه : أوسكر لو فقرين ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

* **مجهول المؤلف (ت . د : ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)**

١٢٧- تاريخ الدولة الرسولية في اليمن ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مط : الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

* **المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت : ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) :**

١٢٨- مروج الذهب ومعادن الجواهر ، مج ٢ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣م .

* **المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :**

١٢٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢ ، مط : بريل ، ليدن ، ١٩٠٦م .

* **ابن المقرئ ، شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر (ت : ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) :**

١٣٠- عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي ، تح : عبد الله إبراهيم الأنصاري ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

* **المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :**

١٣١- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تح : جمال الدين الشيال ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

١٣٢- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

١٣٣- المواعـظ والاعتبار في ذكر الخطـط والآثار ، تح : أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥م .

١٣٤- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تح : جمال الدين الشيال ، ط١ ، مكتبة الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

• المكي ، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن أبو الضياء (ت : ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) :

١٣٥- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تح : علاء إبراهيم الأزهري وإيمن الأزهري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

• الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت : ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) :

١٣٦- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، ج٢ ، تـح : محمود عبد المنعم : دار التراث الإسلامي ، بيروت ، دار البيان ، بغداد ، د . ت .

١٣٧- فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملـك اليمن على إثر التبابعة ملـوك العصر والزمن ، (الباب الرابع) ، دراسة وتح : علي حسن معيلي ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، اليرموك ، ١٩٩٧م .

١٣٨- فاكهـة الزمن ومفاكهـة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن ، (الباب الخامس) ، تح : علي حسن معيلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة تونس ، تونس ، ٢٠٠٥م .

• الملك الأشرف : عمر بن يوسف بن عمر بن رسول (ت : ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) :

١٣٩- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . د . ستر ستين ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

١٤٠- ملح الملاحة في معرفة الفلاحة ، تح : عبدالله محمد علي المجاهـد ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

• الملك الأفضل ، العباس بن علي بن رسول (ت : ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) :

١٤١- نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، دراسة وتح : نبيلة عبد المنعم داوُد ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

١٤٢- رسالة في الفتال ، تح : علي بن سالم آل نصيف : رسالة ماجستير ، جامعة مانشستر ، لندن ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

١٤٣- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية ، دراسة وتح : عبد الواحد عبد الله الخامري ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

• الملك المجاهد ، علي بن داوُد بن رسول (ت : ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :

١٤٤- الخيول اليمنية في المملكة الرسولية ، تح : هلال ناجي ، مجلة دراسات يمنية ، ع (١٦) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، صنعاء ، يونيو ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص٢٠ - ٥٤ .

* **الملك المظفر ، يوسف بن عمر بن علي بن رسول (ت : ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) :**

١٤٥- المخترع في فنون من الصنع ، دراسة وتح : محمد عيسى صالحيـــة ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٨٩م .

١٤٦- المعتمد في الأدوية المفردة ، صححه : مصطفى السقا ، دار العلم ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

* **ابن مماتي ، أسعد (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :**

١٤٧- قوانين الدواوين ، حققه : عزيز سوريال عطية ، مط : مصر ، القاهرة ، ١٩٤٣م .

* **ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ / ١٣١١م) :**

١٤٨- لســان العرب ، ج٧ ، اعتنـــى بتصحيحـــه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م .

* **ابن منقذ ، مؤيد الدين أبو المظفر أسامة بن مرشد الشيزري (ت : ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) :**

١٤٩- كتاب الاعتبار ، تح : فيليب حتي ، ط١ ، الدار المتحدة ، بيروت ، ١٩٨١م .

* **النجدي ، محمد البسام التميمي (ت : ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) :**

١٥٠- الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (قبائل العرب) ، تح : سعود بن غانم الجمران العجمي ، ط١ ، د . ن ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* ١٥١- **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف** ، ج١ ، تح : محمد عبد الرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٣م ؛ ج٢ ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

* **النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) :**

١٥٢- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٦ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

* **النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (ت : ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) :**

١٥٣- البرق اليماني في الفتح العثماني ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

* **ابن هتيمل ، القاسم بن علي (ت : ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) :**

١٥٤- ديوان ابن هتيمل درر النحور ، دراسة وتح : عبد الولي الشميري اليمني ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة الإبداع للثقافة والأدب ، بيروت ، ١٩٩٧م .

* **الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت : ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) :**

١٥٥- الإكليل ، ج١ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، مط : السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

١٥٦- كتاب الجوهرتين العتيقتين المانعتين من الصفراء والبيضاء ، تح : كريسوفر تول ، تر : يوسف محمد عبدالله ، ط٢ ، مشروع الكتاب ، صنعاء ، ١٩٨٥م .

١٥٧- الإكليل ، ج٢ ، ط٣ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، دار التنوير ، بيروت ، ١٩٨٦م .

١٥٨- الإكليل ، ج١٠ ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٩٠م .

١٥٩- صفــة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

* **ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت : ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) :**

١٦٠- مفرج الكروب في أخبــار بني أيوب ، ج٢ ، تح : جمال الدين الشيــال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت .

* **١٦١- وثائق تعليمية من عصر الدولة الرسوليــة (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) ،** دراسة ونشر وتح : ضيف الله بن يحيى الزهراني وطلال بن جميل الرفاعي ، مــط : بهادر ، مكة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

* **الوصابي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبيشي (ت : ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) :**

١٦٢- تاريخ وصــاب الاعتبار في التواريخ والآثــار ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

* **اليافعي ، أبو محمد عبد الله ابن أسعد بن علي (ت : ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) :**

١٦٣- مرآة الجنان وعبــرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حــوادث الزمان ، ج٤ ، ط٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

* **يحيى بن الحسين بن القاسم :**

١٦٤- أنباء الزمن في أخبــار اليمن من سنة ٢٨٠ إلى سنة ٣٢٢هـ ، صححه ووضع حواشيه وقدم له : محمد عبدالله ماضي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت .

١٦٥- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تح : عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

* **أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت : ١٨٢هـ / ٧٩٨م) :**

١٦٦- كتــاب الخراج ، تح : محمد إبراهيم البناء ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨١م .

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

١ - الكتب :

* **إبراهيم مصطفى وآخرون :**

١٦٧ - المعجم الوسيط ، ج١ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت .

* **إحسان عباس :**

١٦٨ - تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، مط : الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

* **أحمد عبد الرازق أحمد :**

١٦٩ – البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة) ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

١٧٠ – شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك ، مكتبة سعيد رأفت للنشر ، القاهـرة ، ١٩٨٢م .

١٧١ – وسائل التسلية عند المسلمين ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، مج١ ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

* **الأرناؤوط ، شفيق :**

١٧٢ – قاموس الأسماء العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٤م .

* **الإرياني ، مطهر علي :**

١٧٣ – المعجم اليـمني في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنـية ، ط١ ، مط : العلمية ، دمشق ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

* **الأشقر ، محمد عبد الغني :**

١٧٤ – تجارة التـوابل في مصر في العصر المملوكي ، الهيئـة المصرية العامـة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

* **الأصبحي ، آلاء أحمد محمد :**

١٧٥ – المدرسة الأشرفية بتعز زمن الدولة الرسولية في اليـمن (دراسة معمارية تحليـلية) (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، ط١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنـعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

* **الأكوع ، إسماعيل بن علي :**

١٧٦ – المدارس الإسلامية في اليمن ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٧٧ – البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالـة ، بيروت / مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٧٨ – أعراف وتقاليد حكام اليـمن في العصر الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيـروت ، ١٩٩٤م .

١٧٩ – هجر العلم ومعاقله في اليـمن ، ج٤ ، ط١ ، دار الفكر المعاصـر ، بيـروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

١٨٠ – الدولة الرسولية في اليمن (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤م) ، ط١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م .

* **الأكوع ، محمد بن علي :**

١٨١ – صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي وقصة حياتي ، ج٢ ، مط : مؤسسة ١٤ أكتوبر ، عدن ، د . ت .

١٨٢ – اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط٢ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

* **الآلوسي البغدادي ، محمود شكري :**

١٨٣ – بلـــوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، عنى بشرحه تصحيحـــه وضبـــطه : محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

* **إنجرامس ، دبليو إتش :**

١٨٤ – حضـــرموت (١٩٣٤ – ١٩٣٥م) ، نسر وتعريب : سعيسد عبد الخير النوبـــان ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١م .

* **أيمن فؤاد سيد:**

١٨٥ – تـــاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ط١ ، الدار المصـــرية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* **البار ، محمد علي :**

١٨٦ – سقطرى الجزيـــرة الساحرة ، مط : العصر الحديث ، بيـــروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

* **بارتولد ، ف . ف :**

١٨٧ – تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، تر : أحمد سعيد سليمان ، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

* **باشا ، إبراهيم رفعت :**

١٨٨ – مرآة الحرميـــن والرحلات الحجازية والحج ومشاعـــره الدينيـــة ، ج١ ، مـــط : دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م .

* **الباشا ، حسن :**

١٨٩ – الفنون الإســـلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج١ ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

١٩٠ – الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٩١ – مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، د . ت .

* **الباشا ، محمد خليل :**

١٩٢ – الكافي معجم عربي حديث ، ط١ ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* **بافقيه ، محمد عبد القادر :**

١٩٣ – في العربية السعيدة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

* **باكريت ، علي سعيد :**

١٩٤ – المهرة الأرض والإنسان ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٩م .

* **البالوي ، مصطفى حمدي بن أحمد الكردي :**

١٩٥ – قلائـــد الذهب في معرفة أنساب قبائـــل العـــرب ، تقديـــم وتعليـــق وشـــرح : كامـــل سليمان الجبوري ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

* **بامطرف ، محمد عبد القادر :**

١٩٦ – الجامع : جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلها ، ج٤ ، ط٢ ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٣م .

* **باوزير ، خالد سالم:**

١٩٧ – ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م .

* **باوزير ، سعيد عوض :**

١٩٨ – صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، د . ت .

١٩٩ – معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط٢ ، مؤسسة الصبان ، عدن ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

* **البستاني ، بطرس :**

٢٠٠ – محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧م .

* **البقلي ، محمد قنديل :**

٢٠١ – التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

* **بيضاني ، إيمان محمد عوض:**

٢٠٢ – صنعاء في كتابات المؤرخين الجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع من ٢٠٠ – ٤٠٠هـ ، ط١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م .

٢٠٣ – الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صـــدر الإسلام ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

* **جـــاد طـــه :**

٢٠٤ – سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، القاهرة ، د . ت .

* **جار الله ، عبد الرحمن حسن :**

٢٠٥ – ذي السفال مدينة الآثار الإسلامية ، ط١ ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **جبران مسعود :**

٢٠٦ – الرائد معجم لغوي عصري ، ج٢ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م .

* **الجرافي ، عبد الله عبد الكريم :**

٢٠٧ – المقتطف من تاريخ اليـــمن ، تقديم : الياس عبود ، ط٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤م .

* **جميل حرب محمد حسين :**

٢٠٨ – الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط٢ ، دار تهامة ، جدة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* **الجوهري ، يسري وآخرون :**

٢٠٩ – جغرافية العالم الإسلامي ، مط : الجهاد ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م .

• الحامد ، صالح :

٢١٠ - تاريخ حضرموت ، ج٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، د . ت .

• الحبشي ، عبدالله محمد :

٢١١ - الصوفية والفقهاء في اليمن ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٢١٢ - حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول ، ط٢ ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٠م .

٢١٣ - معجم النساء اليمنيات ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

• الحجري ، محمد بن أحمد :

٢١٤ - مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح وتصحيح ومراجعة : إسماعيل بن علي الأكوع ، ط٢ ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

• الحداد ، عبدالله عبد السلام صالح:

٢١٥ - حَيْس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٢١٦ - الاستحكامات الحربيّة بمدينة زبيد منذ نشأتها وحتى نهاية الدولة الطاهرية ٢٠٤ - ٩٢٣هـ/ ٨١٩ - ١٥١٧م دراسة أثرية ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

• الحداد ، محمد يحيى :

٢١٧ - التاريخ العام لليمن ، ج٣ ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

• الحديثي ، نزار عبد اللطيف:

٢١٨ - أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د . ت .

• حسين الحاج حسن :

٢١٩ - النظم الإسلامية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م .

• الحضرمي ، عبد الرحمن عبد الله أحمد :

٢٢٠ - تهامة في التاريخ ، ط١ ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٥م .

• حماد ، أسامة أحمد:

٢٢١ - مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي " عصر دولتي بني أيوب وبني رسول " ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

• الحمد ، جواد مطر:

٢٢٢ - الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢م .

• الحيمي ، عفاف أحمد :

٢٢٣ - التركيبة الاجتماعية للمجتمع اليمني المعاصر دراسة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للفترة من ١٩٨٠ - ٢٠٠٠م ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* الحييد ، عبد الله حامد :

٢٢٤ – قيام الدولة الطاهرية تحت قيادة الملكين المجاهد علي والظافر عامر أبناء طاهر بن معوضة آل طاهر (٨٥٨ – ٨٨٣هـ / ١٤٥٨ – ١٤٧٨م) ، د . ن ، مكة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

* الخطيب ، مصطفى عبد الكريم :

٢٢٥ – معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م .

* خليفة ، ربيع حامد :

٢٢٦ – الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* الدجيلي ، محمد رضاء حسن :

٢٢٧ – الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٥م .

* دحلان ، أحمد بن السيد زيني :

٢٢٨ – أمراء البلد الحرام منذ أولهم في عهد الرسول (ﷺ) حتى الشريف الحسين بن علي ، ط٢ ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

* الدقدوقي ، وفيق :

٢٢٩ – الجندية في عهد الدولة الأموية ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

* دهمان ، محمد أحمد :

٢٣٠ – معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

* الرافعي ، مصطفى :

٢٣١ – الإسلام نظام إنساني ، مط : شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

* رزق ، عاصم محمد :

٢٣٢ – معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

* رودينوف . م . أ :

٢٣٣ – عادات وتقاليد حضرموت الغربية العام والمحلي في الثقافة السلالية ، تر : علي صالح الخلاقي ، ط١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٢م .

* ريتشارد مورتيل :

٢٣٤ – الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي ، ط١ ، مط : جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* **زبارة ، محمد بن محمد يحيى :**

٢٣٥ – تاريخ الأئمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث ، تقديم وعرض : محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت .

٢٣٦ – خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون ، ج٢ ، ط١ ، مركز التـــراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

* **أبو زهرة ، محمد :**

٢٣٧ – أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت .

* **أبو زيد ، طه أحمد :**

٢٣٨ – إسماعيل المقرئ حياته وشعره ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* **السامرائي ، إبراهيم :**

٢٣٩ – رحلة في المعجم التاريخي ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

* **أبو سديرة ، السيد طه السيد :**

٢٤٠ – الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (٢٠ – ٥٦٧هـ / ٦٤١ – ١١٧١م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م .

* **السروري ، محمد عبده محمد:**

٢٤١ – الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **السقاف ، عبد الرحمن بن عبيد الله :**

٢٤٢ – إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، دار المناهج ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

* **سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد :**

٢٤٣ – الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م .

* **سلطان ناجي :**

٢٤٤ – التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ – ١٩٦٧م) ، بدون دار نشر ، ١٩٨٩م .

* **السيد عبد العزيز سالم:**

٢٤٥ – تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

٢٤٦ – تاريخ الأيوبيين والمماليك ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م .

٢٤٧ – العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت .

* **سيد مصطفى سالم:**

٢٤٨ – الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ – ١٦٣٥م) ، ط٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٢٤٩ – تكوين اليمن الحديث اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤ – ١٩٤٨م) ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

* الشامي ، أحمد بن محمد :

٢٥٠ – تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ / ٧٥٠ – ١٢٥٩م) ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* الشامي ، فؤاد عبد الوهاب :

٢٥١ – تاريخ المخلاف السليماني في ظل حكم أسرة آل خيرات (١١٤١ – ١٢٦٤هـ / ١٧٢٧ – ١٨٤٨م) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد:

٢٥٢ – اليمن في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧م .

٢٥٣ – النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٢٥٤ – الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* الشرجبي ، قائد:

٢٥٥ – الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ط١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

٢٥٦ – القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ط١ ، دار التضامن ، بيروت ، ١٩٩٠م .

* الشمري ، محمد كريم إبراهيم:

٢٥٧ – زهور السوسن في تاريخ عدن – اليمن : دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي الوسيط ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٤م .

٢٥٨ – عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (٤٧٦ – ٦٢٧هـ / ١٠٨٣ – ١٢٢٩م) ، ط٢ ، جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٤م .

* شمسان ، إيمان أحمد :

٢٥٩ – اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٠٣هـ / ٧٥٠ – ٨١٨م) ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م .

* شهاب ، حسن صالح :

٢٦٠ – أضواء على تاريخ اليمن البحري ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٢٦١ – فن الملاحة عند العرب ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢م .

٢٦٢ – عدن فرضة اليمن ، ط٣ ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر ، صنعاء ، ٢٠٠٠م .

* الشهابي ، مصطفى محمد سعيد:

٢٦٣ – معجم مصطلحات العلوم الزراعية ، ط١ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٨م .

* شيحة ، مصطفى عبد الله :

٢٦٤ – مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية ، ط١ ، وكالة أسكرين ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٦٥ – شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، ج١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

* ضومط ، أنطوان خليل:

٢٦٦ – الدولة المملوكية ، دار الحداثة ، بيروت ، د . ت .

* أبو طالب ، محمد نجيب :

٢٦٧ – الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية ، دار المعارف ، تونس ، د . ت .

* طربوش ، قائد محمد :

٢٦٨ – من أنساب عشائر محافظة تعز ، ط١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٥م .

* طرخان ، إبراهيم علي:

٢٦٩ – النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

* الظاهري ، محمد محسن :

٢٧٠ – الدور السياسي للقبيلة في اليمن (١٩٦٢ – ١٩٩٠م) ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

* العارف ، ممتاز :

٢٧١ – الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٥م .

* عاقل ، نبيه:

٢٧٢ – تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

* العبادي ، أحمد مختار:

٢٧٣ – قيام دولة المماليك الأول في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م .

* العبدلي ، أحمد بن فضل بن علي :

٢٧٤ – هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

* عبد المنعم ماجد:

٢٧٥ – نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر : دراسة شاملة للنظم السياسية ، مط : الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

* العبيدي ، صلاح حسين :

٢٧٦ – الملابس العربية في العصر العباسي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م .

* العرشي ، حسين بن أحمد :

٢٧٧ – بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، عنى بنشره الأب أنستاس ماري الكرملي ، دار الندوة الجديد ، بيروت ، د . ت .

* عسيري ، محمد علي :

٢٧٨ – الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، دار المدني ، جده ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* العقيلي ، محمد بن أحمد :

٢٧٩ – التصوف في تهامة ، ط٢ ، دار البلاد ، جدة ، د . ت .

* عكاشة ، محمد عبد الكريم :

٢٨٠ – يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين ١٨٨١ – ١٩٥٠م ، ط١ ، د . ت ، عدن ، ١٩٩٣ .

* علي إبراهيم حسن :

٢٨١ – دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص ، مسط : الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٤م .

* العمري ، حسين بن عبدالله :

٢٨٢ – الأمراء العبيد والمماليك في اليمن ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

* عواجي ، غالب بن علي :

٢٨٣ – فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، ج٢ ، ط٣ ، دار لينة ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

* عواد ، محمود أحمد محمد سليمان :

٢٨٤ – الجيش والقتال في صدر الإسلام ، ط١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م .

* أبو غانم ، فضل علي أحمد :

٢٨٥ – البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير ، مسط : الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

* غزالي ، نصارى فهمي محمد :

٢٨٦ – المظاهر السياسية والحضارية في اليمن على العهد الأيوبي ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

* فاروق أحمد حيدر مجاهد :

٢٨٧ – التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، إصدارات جامعة صنعاء ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* الفرح ، محمد حسين :

٢٨٨ – اليمن في تاريخ ابن خلدون ، ط١ ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

* الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف :

٢٨٩ – اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام الدولة الرسولية ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

* الفيفي ، محمد بن يحيى :

٢٩٠ – الدولة الرسولية في اليمن : دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية (٨٠٣ – ٨٢٧هـ / ١٤٠٠ – ١٤٢٤م) ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

* قاسم عبده قاسم :

٢٩١ – تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

* قطان ، فريال محمود عباس :

٢٩٢ – الحجاز في ظل الدولة الأيوبية والفاطمية بمصر ، ب . د ، جدة ، ٢٠٠٣م .

* القطب ، سمير عبد الرزاق :

٢٩٣ – أنساب العرب ، ط٢ ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

* الكبسي ، محمد بن إسماعيل :

٢٩٤ – اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مط : السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

* الكندي ، عبدالله بن محمد بن سالم باكثير :

٢٩٥ – رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية ، قدمته وضبطته : أميمة الصواف ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

* كيال ، محمد عبده :

٢٩٦ – الفقيه الذي لم ينصفه التاريخ الشيخ أحمد بن عجيل (٦٠٨ – ٦٩٠هـ) ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* لقمان ، حمزة علي إبراهيم :

٢٩٧ – معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ط١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٨م .

٢٩٨ – تاريخ القبائل اليمنية ، ط١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

* لويس معروف :

٢٩٩ – المنجد في اللغة ، ط١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت .

* ماير ، ل . أ :

٣٠٠ – الملابس المملوكية ، تر : صالح الشيتي ، مراجعة : عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

* المجاهد ، محمد محمد :

٣٠١ – مدينة تعز غصن نضير في دوحة التاريخ العربي ، ط١ ، المعمل الفني للطباعة ، تعز ، ١٩٩٧م .

* مجهول المؤلف :

٣٠٢ – صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تح : حسين بن أحمد السياغي ، ط ٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

* مجهول المؤلف :

٣٠٣ – قلائد الجمن في ملوك عدن وصنعاء اليمن ، (طبعة حجر) ، كانبور ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .

* محسن محمد حسين :

٣٠٤ – الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين . تركيبه . تنظيمه . أسلحته . بحريته . وأبرز المعارك التي خاضها ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* محمد أحمد محمد :

٣٠٥ – عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١م .

* محمد أمين صالح :

٣٠٦ – تاريخ اليمن الإسلامي في القرون الأولى للهجرة (عصر الولاة) ، ط١ ، مط : الكيلاني ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

* محمد عبد العال أحمد :

٣٠٧ – الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م .

٣٠٨ – بنو رسول و بنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٢٩ – ١٥١٧م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م .

* محمد محمد أمين وآخرون :

٣٠٩ – المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الجامعة الأمريكية ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

* محمود علي عامر :

٣١٠ – المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني دراسة وثائقية ، مط : ابن حيان ، دمشق ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

* المديرس ، عبد الرحمن مديرس :

٣١١ – المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، د . ن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

* **المروني ، محمد بن عبد الملك :**

٣١٢ – الثناء الحسن على أهل اليمن ، ط٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

* **المشهور ، أبو بكر بن علي العدني :**

٣١٣ – الشيخة سلطانة الزبيدية (ت : ٨٤٢هـ) ، ط١ ، فرع الدراسات وخدمة التراث ، عدن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

* **المصري ، أحمد عطية :**

٣١٤ – النجم الأحمر فوق اليمن ، ط٣ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٨م .

* **المصري ، حسن مجيب :**

٣١٥ – في الأدب الشعبي المقارن ، د . ن ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

* **المطاع ، أحمد بن أحمد بن محمد :**

٣١٦ – تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ ، تح : عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

* ٣١٧ – **المعجم الوجيز** : مط : التربية والتعليم ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **المقالح : عبد العزيز :**

٣١٨ – شعر العامية في اليمن ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٦م .

* **المقحفي ، إبراهيم بن أحمد :**

٣١٩ – معجم البلدان والقبائل اليمنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

* **المقرمي ، عبد الملك :**

٣٢٠ – التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية : رؤية سوسيولوجية لتحول بناء القوة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

* **المقطري ، إيمان ناجي :**

٣٢١ – الملكة سيدة بنت أحمد (٤٤٠ – ٥٣٢هـ) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

* **مكرم ، عبد العالم سالم وآخرون :**

٣٢٢ – معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء ، ج١ ، ط١ ، مط : جامعة الكويت ، الكويت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

* ٣٢٣ – **الموسوعة العربية العالمية** ، ج١٨ ، ط٢ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

* ٣٢٤ – **الموسوعة العربية الميسرة** ، مج٢ ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* **نبيل محمد عبد العزيز :**

٣٢٥ – المطبخ السلطاني زمن الأيوبيين والمماليك ، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر ، القاهرة ، د . ت .

* **النجار ، رجب :**

٣٢٦ – حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١م .

* **النخيلي ، درويش محفوظ:**

٣٢٧ – السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٤م .

* **نصار ، لطفي أحمد :**

٣٢٨ – وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

* **نعمة ، حسن :**

٣٢٩ – الأعياد – العادات التقاليد والمعتقدات – عبر التاريخ ، ط١ ، وشاد برس للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١م .

* **النقيب ، خلدون حسن :**

٣٣٠ – المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية " من منظور مختلف " ، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

* **هارون ، عبده علي عبدالله :**

٣٣١ – الدر النضيد في تحديد معالم وآثار مدينة زبيد ، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى :**

٣٣٢ – تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط٢ ، دار اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٩١م .

* **وفاء محمد علي :**

٣٣٣ – قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

* **ويستنفلد ، ب :**

٣٣٤ – جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، تر : عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

* **الويسي ، حسين بن علي :**

٣٣٥ – اليمن الكبرى كتاب جغرافي تاريخي ، ط٢ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

* آل ياسين ، **محمد حسن :**

٣٣٦ – معجم النباتات والزراعة ، ج١ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

٢- الرسائل العلمية :

* الحسن محمد ربيع خليل :

٣٣٧ - بلاد اليمن في عهد الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس الرسولي (٧٧٨ - ٨٠٣هـ / ١٣٧٦ - ١٤٠٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة المنيا ، المنيا ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

* آل راشد ، جلال محمد عيسى :

٣٣٨ - المصطلحات المتعلقـــة بالحرف التقليديـــة في الكويت دراسة لغوية ميدانيـــة ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

* السعدي ، هدى مفتاح عبد الحميد :

٣٣٩ - العلاقات بين اليمن وبلاد الحجاز في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

* سنان ، يحيى محمد حسان :

٣٤٠ - الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

* السنيدي ، عبد العزيز بن راشد بن عبد الكريم :

٣٤١ - المدارس وأثـــرها على الحياة العلميـــة في اليمن في عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤م) ، رسالـــة ماجستير ، جامعـــة الإمام محمد بن سعـــود الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

* الشرفي ، علي بن علي حسين أحمد :

٣٤٢ - الحياة العلمية في تعز في عصر بني رسول (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير ، أم القرى ، مكة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

* العبادي ، عبدالله قائد حسن :

٣٤٣ - الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسوليـــة (٦٢٦ - ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

* العراشي ، عبد الحكيم محمد ثابت :

٣٤٤ - الدولة الرسولية في عهد السلطان المظفر الأول يوسف بن عمر (٦٤٧ - ٦٩٤هـ) : دراسة سياسية وحضارية ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

* عليان ، محمد عبد الفتاح :

٣٤٥ - الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

* **العنسي ، حسين صالح حسين :**

٣٤٦ – الحياة الفكرية في اليمن في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، جامعة ذمار ، ذمار ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

* **فضل محمد صالح :**

٣٤٧ – الحياة العلمية في اليمن في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (عصر الدولة الرسولية) ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

* **قائد حميد عثمان :**

٣٤٨ – أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل بني رسول (٦٢٦ – ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ – ١٤٥٤ م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، البصرة ، ٢٠٠٠م .

* **محمد عبد الخالق :**

٣٤٩ – يهود اليمن في أدب حاييم هزاز ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

* **المصري ، آمال حامد :**

٣٥٠ – مدارس مدينة تعز باليمن في عصر بني رسول (٦٢٦هـ إلى سنة ٨٥٨هـ / سنة ١٢٢٩م إلى سنة ١٤٥٤م) : دراسة أثرية حضارية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

* **المطاع ، إبراهيم أحمد محمد :**

٣٥١ – المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

* **المندعي ، داؤد داؤد عبد الهادي :**

٣٥٢ – الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، عمّان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

* **هُديل ، طه حسين عوض :**

٣٥٣ – التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها على الحياة العامة في اليمن (٦٢٦ – ٨٥٨هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

٣- البحوث والمقالات :

* **بلعفيـر ، محمد صالح:**

٣٥٤ - " معطيـات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامـي في دراسة لتاريخ الدولتين الصليحيـة والزريعية من خلال المسكوكات " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع (١) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٦م ، ص١١ - ٣٦ .

* **بورتر ، فنيشيا :**

٣٥٥ - " الزجـاج ذو الزخارف المموهة بالمينـا المصنوعة لسلاطيـن بني رسول " ، بحث منشور في كتـاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، تـر : نهـى صادق ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص١٩٠- ٢٠٦ .

٣٥٦ - " الزجاج المزخرف المصنوع للعائلة الرسولية في اليمن " ، تـر : سعيد عبد الخير النوبان ، بحث منشور في كتاب الدولة الرسولية في اليمن للقاضي إسماعيل الأكوع ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٥٥ - ٦١ .

* **الحبشي ، عبدالله محمد :**

٣٥٧ - " تاريخ التربيـة والتعليم في عصر بني رسول (٦٢٦ - ٨٥٨هـ) " ، مجلـة اليمن الجديدة ، صنعاء ، أبريل ١٩٧٧م ، ص٧٤ - ٩١ .

* **رابضة ، أحمد صالح :**

٣٥٨ - " من تاريخ المدرسة الياقوتية في عدن " ، بحث منشور في كتاب المدرسة الياقوتية في عـدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٠م ، ص٢٢٧ - ٢٣٥ .

* **روبان ، كرستيان :**

٣٥٩ - " انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى العاشر الميلادي " ، تـر : علي محمد زيـد ، مجلـة دراسات يمنيـة ، ع (٢٧) ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص٨٣ - ١٠٧ .

* **سارجنت . ر . ب :**

٣٦٠ - " التجار والتجارة في اليمن من القرن١٣م إلى القرن١٦م " ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامـي ، المعهد الأمريكـي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٥٨ -٨١ .

٣٦١ - " مينائـي عدن والشحر في العصر الإسلامـي الوسيط " ، تـر : نهى صادق ، بحث منـشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكـي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٤١ - ٥٧ .

* السامرائي ، إبراهيم :

٣٦٢ - " الأصول البدوية للمصطلح الحضاري " ، مجلـة دراسات يمنية ، ع (٣٤) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٩٨م ، ٥٠ - ٦٦ .

* سميث ، ركس :

٣٦٣ - " معلومـات عن تاريخ ثعبـات وكتاباتها ومسكوكاتها " ، تـر : نهى صـادق : بحث منشور فـي كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامـي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٨٢ - ٩٤ .

* شائف عبده سعيد:

٣٦٤ - " الحياة الاقتصادية في اليمن لدى الجغرافيين العرب في العصور الوسطى " ، دراسات يمنية ، صنعاء ، ع (٤١) ، سبتمبر ١٩٩٠م ، ص١٦٥ - ١٨١ .

٣٦٥ - " الصراع الإجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين " ، مجلة سبأ ، ع (٧) ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٨م . ص٨٧ - ١٢٠ .

٣٦٦ - " الحياة الاجتماعية في عهد الدولة الرسولية " ، بحث منشور في كتاب المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٤٣ - ٦٩ .

* الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد:

٣٦٧ - " ملامـح الحركة العلميـة في ثغر عدن إبان عصر بني رسول " ، مجلة اليمن ، ع (٢٢) ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، دار جامعة عدن ، عـدن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص٣٢ - ٥١ .

* شكري ، محمد سعيد :

٣٦٨ - " في التاريخ السياسي للدولة الرسولية (٦٢٨ - ٨٥٨هـ / ١٢٣٠ - ١٤٥٤م) " ، بحث منشور في كتاب المدرسة الياقوتية في عدن ودور المدارس الإسلامية في اليمن في نشر التعليم ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٢٩ - ٤١ .

* شلحد ، يوسف :

٣٦٩ - " الجزيـرة العربية كما وصفها الرحالة ماركو بولو (١٢٥٤ - ١٣٢٣م) " ، مجلـة دراسات يمنية ، ع (٣٤) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص٢٤٩ - ٢٦١ .

* العلس ، أسمهان عقلان:

٣٧٠ - " صورة المرأة الرسولية في الكتابات التاريخية " ، ندوة عدن في ظل حكم الزريعيين والأيوبيين والرسوليين ، جامعة عدن ، عدن ، ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص١ - ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* علي محمد زيد :

٣٧١ - " الثأر بين الفقه الإسلامي والعرف القبلي "، مجلة دراسات يمنية ، ع (٣٠) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص١٦٠ - ١٧٧ .

* لويك ، نيكولاس :

٣٧٢ - " موجز تاريخي عن دار السكة بصنعاء " ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص١٢١ - ١٤٣ .

* ماد لونج . و . ف :

٣٧٣ - " أصول الهجرة اليمنية " ، تر : نهى صادق ، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص١٢ - ٤٠ .

* محمد عبد الرحيم جازم :

٣٧٤ - " دراسة في تراث المنسوجات والملابس في اليمن " ، مجلة الإكليل ، ع (١) ، صنعاء ، ١٤٢١هـ / ١٩٩٢م . ص١١٦ - ١٣٥ .

* محمد علي موسى :

٣٧٥ - " ماركو بولو وعدن أيام الرسوليين " ، ندوة عدن في ظل حكم الزريعيين والأيوبيين والرسوليين ، جامعة عدن ، عدن ، ديسمبر ٢٠٠٤م ، ص١٠ - ٢٤ .

* المشرقي ، رياض علي سعيد :

٣٧٦ - " التعليم في اليمن خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (٨٥٨ - ٩٢٣هـ / ١٤٥٤ - ١٥١٧م) " ، ندوة المدرسة الياقوتية رجب ١٤٢٢هـ / أكتوبر ٢٠٠١م ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣م ، ص٢٣٧ - ٢٥٥ .

* نهى صادق :

٣٧٧ - " صورة المرأة اليمنية في الدراسات اليمنية " ، تر : أحمد جرادات ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٩٧م ، ص١٩٠ - ٢٢٠ .

٣٧٨ - " المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر " ، منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي ، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص٢٠٧ - ٢١٢ .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

١- الكتب :

* **Hedy ,W :**

379 - *Histoire du commerce du levant au moyen age* , tome 2 , Leipzig , 1925 .

* **Michael Mitchiner :**

380 - The World of Islam , Hawkins , London , 1977.

* **Nützel , Heinrich :**

381 - *Münzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids Comprising A Synopsis of The History of That Yemenite Dynasty* ,Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987.

* **Playfair , R . L :**

382 - *AHistory Arabia Felix or Yemen , from the Commencement of the Christian Era to the Present Time , including An Account of the British Settlement of Aden,* Bombay : Edncoton S . P ., 1859.

* 383 - ***The New Encyclopaedia Britannica*** , volume 1 _ 9 , micropaedia Ready Reference , (15^{th} edition) , E . B . Inc : U . S . A , 1995.

* **Serjeant & Lewcock (ed) ;**

384 - Sana , An Arabian Islamic City , London , 1983 .

* **Water field :**

385 - Sultans of Aden , Jon Muray , London , 1968 .

٢- الرسائل العلمية :

* **Balafier, Mohamed :**

386 - *Trésors et Collections de Monnaies islamiques des Musées du Yémen,* Thèse de Doctorat , 3 tomes , Université de Paris – Sorbonne (Paris IV) , 1994 .

٣- البحوث و المقالات :

* **Diamand , M :**

387 - " Un published metal work of the Rasulid Sultans of Yemen " , *Metroplitan Museum Studies* ; Vol , 11 , 1930 . pp . 230 – 245.

* **Goitein , S . D :**

388 - " Two Eyewitness Reports on Expedition of the King of Kish. against Aden ", *BSOAS,* No . 16 , 1954 . pp . 248 – 265.

Abstract

The Yemeni Community was of two parties during Rasulid era, which had lasted for nearly two centuries and a half (626 – 858 A. H. / 1229 – 1454 A.D.): first, the tribes which were the common population and the immigrants who came continuously for ages from different parts of Muslim and non-Muslim World. The society became a collection of different local and foreign communities. This new forge and harmony of the country brought new generations with various habits and traditions of natives and immigrants. The emerge of new nation was apparent in their accents, culture, fraction, and conduct. The impact of the configuration of the two parties in the public life made the people into two main social classes which were the fringe of other sub-classes. They were the private class and public class.

The private class included a number of groups of people in power with prestige and nobility such as the Sultans, their sons and family members of the Rasulid,s Dynasty who are on top of the social hierarch, the noble judges, tribal leaders, high state men of the state ministers, governors, the Sultanate princes, seniors, the Sultanate court seniors, religious scholars, and senior businessmen. The public class was of common people - the simple and poor, employees of the state, tribesmen, tradesmen, scholars, farmers ,craftsmen, professionals, slaves, and non Muslims.

The main factor of the configuration of such group and category of these classes had depended on the level of the social professional and financial position. It was reported that the Yemeni community, at that age, had got access to all instruments of luxury, amusement, and enjoyment. These high social standards were mostly among the private class, while the common public lived in diversity of tradition and conventions.

The distinguished relation between the two classes were positively conspicuous in their relations and assistance. This social trait was often occurred among people. Therefore, the whole community was identified for its tenacious social relations which broke out the barrier of all class and social elements of discrimination. Woman had got their rights and respect in their family members due to tradition which was in the public life. She had a great contribution which was obvious in her participation in charity projects and public services.

The Rasulid state had planned for social stability of the public life. This played as the major factor to create calmness and harmony the country. Consequently, the social stability brought political stability, industrial rise, peasant and commercial prosperity and advanced scholarship for a long time. This process of development lasted the Rasulid state more than any other states established in Yemen from time to time at the Islamic Period.

Ph. D. Islamic History Programme
Department of History
Faculty of Arts
Graduate Studies & Scientific Research
Sana'a University

٦٦٦٩٧٢

The Social Life in Yemen During The Rasulid State Era

(626 - 858 A. H. / 1229 - 1454 A. D)

Thesis

Submitted for the Award of the Degree of

Doctor of Philosophy
In
Islamic History

BY
Taha Husein Awadh Ahmed Hudeel

Under the supervision of
Prof. Dr. Mohamed Abdu Al- Saroori
(Professor of Islamic History and Its Civilization - University of Sana'a)

Assistant Supervision of
Dr. Mohamed Saleh Balafier
(Professor of History and Islamic Civilization - University of Aden)

1428 A. H. / 2007 A. D.